سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح
الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

للحافظ المحقق
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية
تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الثاني

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

شرح الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

٢

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العثيمين، محمد بن صالح
شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيّم الجوزية./
محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤هـ
٤مج؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)
ردمك: ٤ ـ ٦٢ ـ ٨٠٣٦ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)
٨ ـ ٦٤ ـ ٨٠٣٦ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (ج٢)
١ ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ التوحيد ٣ ـ أهل السنّة
أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٤/١٠٢٢٧

الطبعة الأولى
محرم ١٤٣٥هـ

يُطلب الكتاب من:
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية
القصيم ـ عنيزة ـ ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩
هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ ـ ناسوخ: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩
جوّال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧
www.ibnothaimeen.com
info@binothaimeen.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فصــل

فِي الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ المُعَطِّلَةِ القَائِلِينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلا فَوْقَ السَّمَوَاتِ إِلَهٌ يُصَلَّى له ويُسْجَدُ، وَبَيانُ فَسَادِ قَوْلِهِمْ عَقْلاً وَنَقْلاً، وَلُغَةً وَفِطْرَةً

الشَّــرحُ

الـجَهْمِيَّةُ هم أتباعُ الـجَهْمِ بنِ صَفْوانَ[1] الذي أَخَذَ العِلْمَ عن الـجَعْد بنِ دِرْهم[2] لكن نُسِبَ المذهبُ إلى الجَهْم، لأنه هو الذي نشَرَه وبَثَّه في الوَرَى، وإلَّا فإنَّ أصلَ التعطيل من الجَعْد، حيث قال: إنَّ اللهَ تعالى لم يتخذ إبراهيمَ خليلًا، ولم يكلِّم موسى تكليمًا.

وانظر إلى أوَّل التعطيل تَجِدْ أنَّ أوَّلَه نفيُ المحبَّةِ ونفيُ الكلامِ، ومعروفٌ أنه حَصَلَ انتشارٌ عظيمٌ لهذا المذهبِ الخبيثِ منسوبًا إلى الجَهْم بنِ صَفْوانَ، لأنه نشره.

١٠٤٦- وَاللهُ كَـــانَ وَلَــيْسَ شَيْءٌ غَـــيْرُهُ وَبَــرَى الْبَرِيَّـةَ وَهْــيَ ذُو حِــدْثَانِ

١٠٤٧- فَسَلِ المُعَطِّلَ هَلْ بَرَاهَا[3] خَارِجًـا عَــنْ ذَاتِــهِ أَمْ فِيــهِ حَلَّــتْ ذَانِ؟

---

(١) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرِز السَّمَرْقَندِي، رأس الجَهْمِيَّة مِن أكذَبِ الناس على الله تعالى وأَعْظَمِهم فتنةً وضلالةً في الدِّين، وكان مِن أعظم الناس نفيًا لصفات الله تعالى وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا، هلكَ زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

(٢) الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة -يعني العراق- وأخذ عنه مروان بن محمد، أو تَأَدَّب عليه في صغره، قُتِلَ (سنة ١١٨). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥١)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٨)، وميزان الاعتدال (١/ ترجمة ١٤٨٢).

(٣) في نسخة برلين «يراها» بياء مثناة.

١٠٤٨- لَا بُـدَّ مِـنْ إِحْـدَاهُمَا أَوْ أَنَّهَا ... هِـيَ عَيْنُـهُ مَـا ثَـمَّ مَوْجُـودَانِ

١٠٤٩- مَـا ثَـمَّ مَخْلُـوقٌ وَخَالِقُـهُ وَمَـا ... شَيْءٌ مُغَـايِرُ هَـذِهِ الأَعْيَـانِ

١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْـدَى ثَـلَاثٍ مَـا لَـهَا ... مِـنْ رَابِـعٍ خَلُّـوا عَـنِ الرَّوَغَـانِ

١٠٥١- وَلِـذَاكَ قَـالَ مُحَقِّـقُ الْقَـوْمِ الَّـذِي ... رَفَـعَ الْقَوَاعِـدَ مُـدَّعِي الْعِرْفَـانِ:

١٠٥٢- هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَـوْنِ لَـيْسَ بِغَـيْرِهِ ... أَنَّـى وَلَـيْسَ مُبَـايِنَ الأَكْـوَانِ؟

١٠٥٣- كَـلَّا وَلَـيْسَ مُجَانِبًـا أَيْضًـا لَـهَا ... فَهْـوَ الْوُجُـودُ بِعَيْنِـهِ وَعِيَـانِ

١٠٥٤- إِنْ لَـمْ يَكُنْ فَوْقَ الْـخَلَائِقِ رَبُّهَـا ... فَـالْقَوْلُ هَـذَا الْقَـوْلُ فِي الْـمِيزَانِ

١٠٥٥- إِذْ لَـيْسَ يُعْقَـلُ بَعْـدُ إِلَّا أَنَّـهُ ... قَـدْ حَـلَّ فِيهَـا وَهْـيَ كَالأَبْـدَانِ

١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْـحَقِّ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... حَلَّـتْ بِهَـا كَمَقَالَـةِ النَّصْرَانِـي

الشـرحُ

هذا الفصلُ أَرَادَ به -رَحِمَهُ اللهُ- الرَّدَّ على الجَهْمِيَّةِ المُعطِّلةِ الذين يقولون: ليس اللهُ فوقَ العَرْشِ، فأرادَ -رَحِمَهُ اللهُ- أن يُلزِمَهم بأحدِ أمورٍ ثلاثةٍ، فقال:

١٠٤٦- وَاللهُ كَـانَ وَلَـيْسَ شَيْءٌ غَـيْرُهُ ... وَبَـرَى الْبَرِيَّـةَ وَهْـيَ ذُو حِـدْثَانِ

الله كان وليس شيءٌ غيرُه، وهذا صحيحٌ، يعني: كان ولم يكن شيءٌ معَه -سبحانه وتعالى- ولا قبله.

قَوْلُهُ: «وَبَرَى الْبَرِيَّةَ» يعني: خَلَقَهَا، و(البَرِيَّة) فَعِيلةٌ بمعنى مَفْعُولةٍ.

١٠٤٧- فَسَلِ الْمُعَطِّلَ هَلْ بَرَاهَا خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ؟

١٠٤٨- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أَنَّهَا هِيَ عَيْنُهُ مَا ثَمَّ مَوْجُودَانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ فِيهِ حَلَّتْ» أي: كُلُّها، هل بَرَى البَرِيَّةَ خارجًا عن ذاتِهِ، أو بَرَى البَرِيَّةَ في ذاتِهِ؟ يقول: (ذَانِ لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا)، (ذان) ما هما؟

الجَوَابُ: المشار إليه أنها خارجًا عنه، أو في ذاتِه، لا بُدَّ من إحداهما.

قَوْلُهُ: «أو أنَّها هِيَ عَيْنُهُ» هذا الاحتمالُ الثالثُ.

١٠٤٩- مَا ثَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيْءٌ مُغَايِرُ هَذِهِ الأَعْيَانِ

١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ خَلُّوا عَنِ الرَّوَغَانِ

قَوْلُهُ: «لا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلاثٍ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ» الثلاثُ هي: أن نقولَ: إنَّ المخلوقاتِ هي عينُ الخالِقِ، وهذا مذهبُ أهلِ وَحْدةِ الوُجودِ، أو نقولَ: خلَقَها في ذاتِهِ، أو خلَقَها خَارِجَ ذاتِهِ، قِسْمةٌ عَقْلِيَّةٌ، لا يُمْكِنُ أن تَجِدَ قسمًا رابعًا، ولهذا قال: (خَلُّوا عن الرَّوَغَانِ).

فلمَّا رأى أهلُ وَحْدةِ الوُجودِ أنَّ هذا التقسيمَ حاصلٌ قالوا: (هو عَيْنُ هذا الكَوْنِ)، ولذا قال:

١٠٥١- وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ:

١٠٥٢- هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الأَكْوَانِ؟

١٠٥٣- كَلَّا وَلَيْسَ مُجَانِبًا أَيْضًا لَهَا فَهْوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ عَيْنُ هَذَا الكَوْنِ» يعني: قال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو عينُ هذا الكونِ،

فلا خالِقَ ولا مَخْلوقَ، فالكونُ خالِقٌ مَخْلوقٌ، فالكونُ هو اللهُ -نسألُ اللهَ العافيةَ- وقد تقدَّمَ أنهم قالوا: إنَّ السمعَ هو اللهُ، والأرضَ هي اللهُ، والإنسانَ هو اللهُ، والبعيرَ هو اللهُ... وهكذا.

قَوْلُهُ: «أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الأَكْوَانِ» إذا قال: (لَيْسَ مُبَايِنَ الأكوانِ) يَعْنِي: ليس بائِنًا من الخلقِ، لَزِمَ أنْ يكونَ هو الخَلْقَ.

قال ابنُ القَيِّمِ:

١٠٥٤- إِنْ لَـمْ يَكُنْ فَوْقَ الْـخَلَائِقِ رَبُّهَـا فَـالْقَوْلُ هَـذَا الْقَـوْلُ فِي الْـمِيزَانِ

يعني: إن لم يَقُلْ: إنَّ اللهَ فوقَ كُلِّ شيءٍ، صارَ هذا القولُ هو القولَ، يَعْنِي: هو القولُ الراجِحُ في المِيزانِ.

قَوْلُهُ: «فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ» المشارُ إليه: الذي قال: إنَّ اللهَ هو عينُ هذا الكونِ.

فالمعنى: إنْ لم نَقُلْ: إنَّ اللهَ فوقَ كُلِّ شيءٍ، لَزِمَ أنْ نَقُولَ: إنه عينُ كُلِّ شيءٍ، لأننا إذا قُلنا: إنَّ اللهَ ليس فَوْقَ الخلقِ، ولا عن يمينٍ، ولا شمالٍ، ولا تحت، ولا أَمَام، ولا خَلْف، لَزِمَ أنْ يكونَ هو عينَ الخلقِ، فإذا قُلْنَا: إنه فَوْقَ العرشِ سَلِمْنَا من هذا.

فصارَ قولُ الجَهْميَّةِ المُعطِّلةِ يَعُودُ تمامًا إلى قولِ الاتِّحادِيَّةِ (أهلِ وَحْدَةِ الوُجُودِ)، لِأَنَّهُم يقولون: إنَّ اللهَ لا فوق ولا تحت، ولا يَمِين ولا يَسار، ولا أَمَام ولا خَلْف، ولا مُباين، ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، إذَنْ هو عَدَمٌ، إذَنْ هو هذا الكونُ، هو هذه المخلوقاتُ.

قَوْلُهُ: «فِي الْـمِيزَانِ» يعني: العَدْلُ، فالعَدْلُ ينبغي أن يكونَ هكذا، يعني: إمَّا

أنْ تقولَ: إنَّ اللهَ فوق كُلِّ شَيْءٍ، وإِلَّا فقُلْ بهذا القولِ.

١٠٥٥- إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّهُ ... قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهْيَ كَالأَبْدَانِ

١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِي

يعني: إذا قُلْنَا: إنه ليس فوقٌ، ولا تحتُ، ولا يمينُ، ولا شمالُ، لَزِمَ أنْ يكون حالًّا في الْخَلْق، فيكون الْخَلْقُ بمنزلةِ الجَسَدِ، والخالِقُ بمنزلةِ الرُّوحِ، كمَقَالةِ النَّصْرانِيِّ، ماذا قال النَّصْرانِيُّ؟ قال: إنَّ اللهَ حلَّ في عيسى -والعياذ بالله- فجعلوا عيسى جَسَدًا، وجَعَلوا اللهَ رُوحًا.

* * *

١٠٥٧- فَاحْكُمْ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ ... عَنْهَا، وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانِ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ وَالإِجْمَاعَ وَالْـ ... عَقْلَ الصَّرِيحَ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَذَا ... حَدُّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ

١٠٦٠- يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ مُخْبَرًا ... وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ ... لَا يَصْدُقَانِ مَعًا لِذِي الإِمْكَانِ

١٠٦٢- إِلَّا عَلَى عَدَمٍ صَرِيحٍ نَفْيُهُ ... مُتَحَقِّقٌ بِبَدَاهَةِ الإِنْسَانِ

١٠٦٣- أَيَصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النُّهَى ... ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ؟

١٠٦٤- لَيْسَتْ تُبَايِنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لأُخْـ ... ـرَى أَو تُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهْوَ ذَا ... فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

الشــرحُ

١٠٥٧- فَاحْكُمْ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَـا، وَلَا فِيهَـا بِحُكْـمِ بَيَـانِ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْـوَحْيَيْنِ وَالإِجْمَاعَ وَالْـ عَقْـلَ الصَّـرِيحَ وَفِطْـرَةَ الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا» أي: عن المخلوقاتِ، وفاعِلُ (خَارِجٍ) يَعُودُ على الله.

قَوْلُهُ: «وَلَا فِيهَا» يَعْنِي: داخِلٌ.

قَوْلُهُ: «فَاحْكُمْ عَلَى... بِحُكْمِ بَيَانِ» ما هذا الحُكْمُ؟ قال: (بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ) يَعْنِي: بأنه مُخَالِفٌ للوَحْيَيْنِ، وهما الكِتَابُ والسُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «الوَحْيَيْنِ والإجْماعَ والعَقْلَ الصَّرِيحَ وفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ»: خَمْسَةٌ، لأنَّ كُلَّ هذه الخمسةِ -وهي: الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ والعقلُ والفِطْرةُ- تَطابَقَتْ على إثباتِ عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ فوقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١- فالقرآنُ مملوءٌ مِن ذِكْرِ عُلُوِّ الله قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٧]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥]، والآياتُ كثيرةٌ أكثرُ من أنْ تُحْصَى.

٢- وأمَّا السُّنَّة فاجتمعتْ أنواعُ السُّنَّةِ الثلاثةِ: القَوْلُ والفِعْلُ والإقرارُ، أمَّا القولُ فإنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- كان يقولُ في سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»[1]، وأمَّا الفِعْلُ: فإنه حينما سَأَلَ الناسَ وهو يَخْطُبُهم يومَ عَرَفَةَ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسلمين وقصرها، باب استحباب القراءة في الصلاة، برقم (٧٧٢).

«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»[1]، وأمَّا الإقرارُ: فَسَأَلَ الجَارِيَةَ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[2].

٣- وأمَّا الإجماعُ: فقد أَجْمَعَ السَّلفُ مِن الصحابةِ والتابِعِينَ والأئمة بعدهم على أنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وأنه استوى على العَرْشِ.

٤- وأمَّا العَقْلُ الصَّرِيحُ: وهو العَقْلُ السالمُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَوَاتِ، لأنَّ صَرِيحَ كُلِّ شَيْءٍ هو الخالِصُ منه، فالعَقْلُ السالمُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ يَشْهَدُ بأنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وأنَّ العُلُوَّ مِن صِفَاتِهِ، وذلك لأَنَّنَا نَسْأَلُ: هل العُلُوُّ صِفَةُ كَمالٍ أو صِفَةُ نَقْصٍ؟

كُلُّ أحدٍ يقولُ: صِفةُ كَمالٍ، وإذا كان صِفَةَ كَمالٍ، فإنَّ الرَّبَّ أَحَقُّ بالكَمالِ من غيرِهِ، فيكونُ العَقْلُ دالًّا على عُلُوِّ اللهِ.

٥- أمَّا الفِطْرةُ: فكُلُّ إنسانٍ يقولُ: (يا اللهُ) لا يَرْتَفِعُ قَلْبُه إلَّا إلى السَّماءِ، وهذا شَيْءٌ مُشاهَدٌ، لا يُمكِنُ أنْ يَمِيلَ قَلْبُكَ إذا قُلْتَ: (يا الله) إلى أسفل، ولا إلى يمين، ولا شمال.

يقول:

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَذَا ... حَدُّ الْـمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ

فالذي يقولُ: لا داخِلَ العالَـمِ ولا خارِجَه، ولا فوقُ ولا تحتُ، ولا يمينُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

ولا شِمالٌ، ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، أَوْقَعَ على الله حدَّ المعدومِ الذي لا وُجودَ له.

١٠٦٠- يَـا لِلْعُقُـولِ إِذَا نَفَيْـتُمْ مُخْـبَرًا وَنَقِيضَـهُ هَـلْ ذَاكَ فِي إِمْكَـانِ

قَوْلُهُ: «يَا لِلْعُقُولِ» عندنا مُسْتَغَاثٌ به، ومستغَاثٌ لَه، فاللام تدخل على المُسْتَغَاثِ بِه فتُفْتَح، وتُكْسَر في المُسْتَغَاثِ له، فتقول: (يَا للهِ لِلْمُسلِمِينَ) فهل هي هنا (يَا لَلْعُقول) أو أنها (يا لِلْعُقُول)؟ يَعْنِي: هل هو يَسْتَغِيثُ بها أو لها؟ الظاهِرُ: أنه يَسْتَغِيثُ لها فتكون: (يا لِلْعُقُول).

والمعنى: أنه لا عُقُولَ لكم، فأَنَا أَسْتَغِيثُ اللهَ أنْ يَهَبَكم عُقولًا.

قَوْلُهُ: «إذا نَفَيْتُم مُخْبَرًا ونَقِيضَه» مِثل: لا داخِلَ العالَمِ، ولا خارِجَه.

فَنفَوْا كَوْنَه داخِلًا ونَفَوْا كَوْنَه خارِجًا، وهذا لا يَصِحُّ، لأنَّ نَفْيَ النَّقِيضَيْنِ مُحَالٌ، فهو إذا لم يَكُنْ داخِلًا لَزِمَ أنْ يكونَ خارِجًا، وإذا لم يكُنْ خارِجًا لَزِمَ أنْ يكونَ داخِلًا، فأيُّ عقلٍ يَقُولُ: لا داخِل ولا خارِج، ويُصَدِّقُ بهذه القَضِيَّةِ فلَيْسَ بعقلٍ إطلاقًا، ولهذا قال: (**يَا لِلْعُقُولِ**).

١٠٦١- إِنْ كَـانَ نَفْـيُ دُخُولِـهِ وَخُرُوجِـهِ لَا يَصْـدُقَانِ مَعًـا لِـذِي الإِمْكَـانِ

١٠٦٢- إِلَّا عَـلَى عَـدَمٍ صَرِيـحٍ نَفْيُـهُ مُتَحَقِّـقٌ بِبَدَاهَـةِ الإِنْسَـانِ

يعني: أنَّ نفيَ الدخولِ والخروجِ معًا لا يَصْدُقان إِلَّا على شَيْءٍ عَدَمٍ، فالذي ليس بداخلٍ ولا بخارجٍ معناه أنه عَدَمٌ.

قَوْلُهُ: «لا يَصْدُقانِ إلا عَلَى عَدَم صَرِيحٍ نَفْيُهُ مُتَحَقِّقٌ» إذا جعلنا (نَفْيُهُ مُتَحَقِّقٌ) مبتدأً وخبرًا، صار (مُتحقِّقٌ) بالرَّفع.

وإذا قُلْنَا: (إِلَّا عَلَى عَدَمٍ صَرِيحٍ نَفْيُهُ مُتَحَقِّقٍ): فتكون صفةً لـ(عدم)،

إذَنْ يجوزُ الوَجْهانِ: الجرُّ والرَّفعُ.

١٠٦٣- أَيَصِحُّ فِي الْـمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النُّهَـى ... ذَاتَـــانِ لَا بِــالْغَيْرِ قَائِمَتَـــانِ؟

الجَوَابُ: لا يَصِحُّ، هل يُمكِنُ أنْ نقول: ذاتانِ، وليست كُلُّ واحدةٍ قائِمةً بنفسها؟ إذَنْ معنى (لَا بِالْغَيْرِ) يَعْنِي: ليست كُلُّ واحدةٍ قائِمةً بغير الأخرى.

هل يَصِحُّ أنْ نقولَ: عندنا ذاتان: ذاتُ الخالِقِ وذاتُ المخلوقِ، وليست كُلُّ واحدةٍ قائِمةً بنفسها؟ الجواب: لا، لا يَصِحُّ أبدًا.

١٠٦٤- لَيْسَـتْ تُبَـايِنُ مِـنْهُمَا ذَاتٌ لأُخْـ ... ـرَى أَو تُحَايِثُهَـا فَيَجْتَمِعَـانِ

١٠٦٥- إِنْ كَـانَ فِي الـدُّنْيَا مُحَـالٌ فَهْـوَ ذَا ... فَـارْجِعْ إِلَى الْـمَعْقُولِ وَالْبُرْهَـانِ

صحيح، فالمعنى: لا بُدَّ إذا أَثْبَتُّمْ لله ذَاتَيْنِ أنْ تكونَ إحداهما خارجةً عن الأُخْرَى أو داخلةً فيها، أَمَّا أنْ تقولَ: (لا داخِل ولا خارِج)، فهذا لا يمكنُ، هذا شَيْءٌ مستحيلٌ، إلَّا إذا قُلْتُم بقول أهلِ وَحْدةِ الوُجودِ: إنَّ الرَّبَّ عينُ العبدِ، فحينَئذٍ تَسْلَمُونَ من المُحالِ، لكن تأتون بمحالٍ أَنْكَرَ منه وأَشَدَّ.

قَوْلُهُ: «تُحَايِثُهَا» المُحايَثَةُ ضِدُّ المُبَايَنَةِ، يَعْنِي: تَتَّصِلُ بها.

***

١٠٦٦- فَلَـئِنْ زَعَمْـتُمْ أَنَّ ذَلِـكَ فِي الَّـذِي ... هُـوَ قَابِـلٌ مِـنْ جِسْـمٍ اوْ جُـثْمَانِ

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَـيْسَ كَـذَا فَنَفْـيُ دُخُولِـهِ ... وَخُرُوجِـهِ مَـا فِيـهِ مِـنْ بُطْـلَانِ

١٠٦٨- فَيُقَـالُ: هَـذَا أَوَّلًا مِـنْ قَـوْلِكُمْ ... دَعْــوَى مُجَــرَّدَةٌ بِــلَا بُرْهَــانِ

١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْـ ... ـوَحْيَ الْـمُبِينَ بِحِكْمَـةِ الْيُونَـانِ

١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنْ قَابِلٍ ... وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودِ كُلِّ لِسَانِ

١٠٧١- أَنَسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ: الظْ ... ظُلْمُ الْمُحَالُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانِ؟!

١٠٧٢- وَنَسِيتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ الَّتِي ... لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الإِمْكَانِ

١٠٧٣- وَنَسِيتَ نَفْيَ الطُّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا ... مَقْبُولَهُ وَالنَّفْيُ فِي الْقُرْآنِ؟!

١٠٧٤- وَنَسِيتَ نَفْيَ وِلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ ... وَهُمَا عَلَى الرَّحْمَنِ مُمْتَنِعَانِ؟!

الشَّرحُ

يريدُ المؤلفُ -رحمه الله- في هذه القطعة أنْ يُبيِّنَ أنَّ هؤلاء الذين نَفَوْا عُلوَّ الله على عرشِه، قالوا: إنَّ هذا التقسيمَ الذي ذكرتم بأنه إمَّا أنْ يكونَ العالَمُ خارجَ الله عزَّ وجلَّ أو داخلًا فيه، أو هو الله، قال: إنَّ هذا إنما يكونُ فيما هو قابلٌ، فهو الذي لا يَصِحُّ أنْ يُنْفَى عنه أَحَدُ الْمُتناقِضَيْنِ، أَمَّا ما ليس بقابلٍ فإنَّه يَصِحُّ أنْ يُنْفَى عنه النقيضانِ.

مثلًا (الجدار) هل يَصحُّ أنْ نقول: إنه لا يظلمُ أو لا يصحُّ؟

الجَوَابُ: لا يصحُّ، لِأَنَّهُ غيرُ قابلٍ، فإذَنْ نقول: ليس بظالم ولا غير ظالم، فننفي عنه الأمرين، لِأَنَّهُ ليس بقابل.

ابنُ القيِّمِ -رحمه الله- يقول: قولكم: (هذا الشيءُ قابلٌ أو غيرُ قابلٍ) هذه دعوى مجردة، ولذا قال:

١٠٦٦- فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي ... هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ اوْ جُثْمَانِ

قَوْلُهُ: «اوْ جُثْمَانِ» فِي نِسْخَةٍ (أو جُسْمانٍ) بالسين، والصواب (اوْ جُثْمَانِ) بالثاءِ.

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَنَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ مَا فِيهِ مِنْ بُطْلَانِ

يقول: إن زعمتم أنه لا يصحُّ نفيُ الدخولِ والخروجِ فيما هو قابل من الأجسامِ والجثمان.

١٠٦٨- فَيُقَالُ: هَذَا أَوَّلًا مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ بِلَا بُرْهَانِ

يعني: قولكم: إنَّ الشيءَ يجوزُ نفيُ وجودِه وانتفاؤُه إذا كان مضافًا إلى غير قابل، نقولُ: هذه دعوى مُجَرَّدةٌ.

١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْـ ـوَحْيَ الْـمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

يعني بذلك: أهلَ المنطق والفلسفة، فهم الذين قالوا: إنه يَصِحُّ أنْ يُقَالَ: لا داخل ولا خارج، لِأَنَّهُ ليس بقابلٍ للدخول والخروج، فيقال: إنَّ هذا اصطلاحٌ منكم، فإنه يصحُّ أنْ يُنْفَى الشيءُ عمَّا ليس بقابلٍ له كما سيأتي.

وَقَوْلُهُ: «**فَارَقُوا الْوَحْيَ الْـمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ**» الباء في قَوْلِهِ: «**بِحِكْمِةِ**» للمُعاوضةِ، يَعْنِي: فارقوا الوحيَ وأحلُّوا بدلَه حكمةَ اليونان.

١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنْ قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودِ كُلِّ لِسَانِ

يعني: يَصِحُّ أنْ يُنْفَى الشيءُ عَمَّا يقبلُه وما لا يَقْبَلُه في معهودِ كُلِّ لسانٍ.

١٠٧١- أَنَسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ: الظْ ظُلْمُ الْـمُحَالُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانِ؟!

قَوْلُهُ: «**أَنَسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ**» يَعْنِي: عن الله.

قَوْلُهُ: «**وَقَوْلَكَ: الظُّلْمُ الْـمُحَالُ**» الجَهْمِيُّ والمعتزليُّ يقولان: إنَّ الظلمَ محالٌ على الله، فلا يُتصوَّرُ وجودُ ظلمٍ، ومع ذلك فاللهُ -سبحانه وتعالى- نفاه عن نفسِه.

إذَنْ نَفَى الشيءَ عمَّا ليس بقابلٍ له، فَدَلَّ هذا على أنَّ الشيءَ يَصِحُّ نفيُه عمَّا ليس بقابلٍ له، حتى في إقرارِك، أنت تقولُ: إنَّ الظلمَ محالٌ على الله، ولا يمكنُ أنْ يتصفَ به اللهُ، ومع ذلك فقد نفاه اللهُ عن نفسه، ولهذا يقول: (**أَنَسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ**) يَعْنِي: ونسيت قولَك: (الظُّلْم المُحالُ) يَعنِي: أنَّ الظلمَ محالٌ أنْ يقعَ من الله.

فهم يقولون: إنَّ اللهَ لا يظلمُ ليس لكمال عدلِه، ولكن لعدمِ إمكانِ الظلم، فهو -أصلًا- غيرُ قادرٍ على أنْ يَظلِمَ، فالظلمُ عندهم محالٌ لذاته، لا لتَنَزُّه الله عنه، ومعَ ذلك تَنْفِي عنه الظلمَ مع أنَّ المحلَّ -على زعمك- ليس قابلًا لثُبوتِه أو نَفْيِه.

فهم يقولون: إنَّ الظلمَ هو تصرُّفُ الفاعلِ في غيرِ مُلكِه، واللهُ تعالى إذا تَصرَّفَ في مُلْكِه بأيِّ شَيْءٍ فهو ليسَ بظالمٍ.

١٠٧٢- وَنَسِيتَ نَفْيَ النَّـوْمِ وَالسِّـنَةِ الَّتِـي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَـرْشِ فِي الإِمْكَـانِ

قَوْلُهُ: «**ونَسِيتَ نَفْيَ النَّوْمِ والسِّنَةِ**» نفي النومِ والسِّنَةِ في قولِه تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، مع أنَّ اللهَ ليس بقابلٍ لذلك، ولهذا قال: (**الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ العَرْشِ بالإمكان**).

١٠٧٣- وَنَسِيتَ نَفْيَ الطُّعْمِ عَنْهُ وَلَـيْسَ ذَا مَقْبُولَـــهُ وَالنَّفْـــيُ فِي الْقُـــرْآنِ؟!

قَوْلُهُ: «**ونَسِيتَ نَفْيَ الطُّعْمِ عَنْهُ**» قال سبحانه: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

قَوْلُهُ: «**وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَهُ**» يَعْنِي: ليس ذا مقبولًا له، فلا يمكنُ أنْ يكونَ اللهُ تعالى مُحْتَاجًا إلى الطعامِ ولا طاعِمًا للطَّعامِ.

١٠٧٤- وَنَسِيتَ نَفْيَ وِلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ   وَهُمَا عَلَى الرَّحْمَنِ مُمْتَنِعَانِ؟!

قَوْلُهُ: «وَنَسِيتَ نَفْيَ وِلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ» قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣] وقال أيضًا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، وهما على الرَّحْمنِ مُمْتنعانِ.

* * *

١٠٧٥- وَاللهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ   مَيْتٌ أَصَمٌّ وَمَا لَهُ عَيْنَانِ

١٠٧٦- وَكَذَا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ   وَالْخَلْقَ نَفْيًا وَاضِحَ التِّبْيَانِ

١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي   يُنْفَى وَلا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ

١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَـ   ـذَا الشَّرْطُ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ

١٠٧٩- لَا فِي النَّقِيضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا   لَا يَثْبُتَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفِعَانِ

الشـرحُ

١٠٧٥- وَاللهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ   مَيْتٌ أَصَمٌّ وَمَا لَهُ عَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيْتٌ» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل:٢٠-٢١]، مع أنَّ اللاَّتَ، والعُزَّى ومَنَاةَ جماداتٌ، فوَصفَها بأنها مَيْتَةٌ مع أنها غيرُ قابلةٍ لذلك.

إذَنْ فالشيءُ يَثْبُتُ فيما لا يَقْبلُه، ويُنْفَى عمَّا لا يَقْبلُه بنَصِّ القرآنِ، فكيف تَقُولُونَ: إننا إذا قُلْنَا: إنَّ اللهَ لا داخل ولا خارج، فإنَّ هذا وصفٌ صحيحٌ، لِأَنَّهُ غيرُ قابلٍ لأنْ يكونَ داخلًا أو خارجًا؟!

نقولُ لهم: حتى وإنْ كَانَ غيرَ قابِلٍ فإنَّ هذا لا يَصِحُّ.

قَوْلُهُ: «مَيْتٌ» ذَكَرَ بعضُهم أنَّ (المَيْتَ) هو الذي قد مات فعلًا واقعًا، والـ(مَيِّتُ) هو الذي سيموت، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، أي: سيَمُوتُ، وبقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وهذا هو الذي حَصَلَ له الموتُ فعلًا، والظاهِرُ أنَّ الصحيحَ أنه لا فَرْقَ.

١٠٧٦- وَكَذَا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ ... وَالْـخَلْقَ نَفْيًا وَاضِحَ التِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْـخَلْقَ**» قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢٠-٢١].

١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي ... يُنْفَى وَلا مِنْ جُمْلَةِ الْـحَيَوَانِ

يعني: هذه الأشياءُ جمادٌ، ليست مِن الحيوانِ الذي يُنْفَى عنه الموتُ أو الشعورُ، ومع ذلك نفاهُ اللهُ عنها.

١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَـ ... ـذَا الشَّرْطُ لِـمَا هُمَا ضِدَّانِ

١٠٧٩- لَا فِي النَّقِيضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا ... لَا يَثْبُتَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفِعَانِ

هذا هو الوجه الثاني.

الوجه الأول: عَرَفْنَا أنَّ دَعْواكم أنَّ هذا الشيءَ قابلٌ للشيءِ فيُنْفَى عنه أو يَثْبُتُ، هذه دعوى مُجَرَّدةٌ غيرُ مقبولةٍ.

ثانيًا: لو سلَّمنا ذلك جَدَلًا مَا صَحَّ أنْ يكونا في النَّقِيضَيْنِ، وهما الوجود والعدم، هم يقولون: لا تَصِفوا اللهَ بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ.

نقول: باتفاقِ العقْلاءِ لا بُدَّ من أنْ يكونَ إمَّا موجودًا وإمَّا معدومًا، لأنَّ التقابلَ بين الوجود والعدم تقابُلُ سلبٍ وإيجابٍ، لا تَقابُلُ عَدَمٍ ومَلَكَةٍ، فتَقَابُلُهُما من بابِ تقابُلِ النَّقِيضَيْنِ، والنقيضانِ لا يَجْتَمِعانِ ولا يَرْتَفِعانِ، يَعْنِي: لا يمكن أنْ يجتمعا ولا يُمكن أنْ يرتفعا، إذَنْ لا بُدَّ من وجودِ أَحَدِهما، فأنت إذا قُلْتَ: إنَّ اللهَ لا يُوصفُ بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ، ماذا صَنَعْتَ؟

الجَوَابُ: رَفَعْتَ عنه النَّقيضَيْنِ، وهذا مُحَالٌ، ولهذا قال: **(ويُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ كَانَ لِـمَا هُمَا ضِدَّانِ)**، ما هو الشَّرْطُ؟ الجَوَابُ: أنَّ الإثباتَ والنفيَ لا يَصِحُّ رَفْعُهُما فيما كان قابلًا لهما، لو صَحَّ أنه لا يَصِحُّ نَفْيُهما وإثباتُهما إلَّا لِـمَا كان قابلًا، فنقُولُ: هذا يَصِحُّ في الضِّدَّينِ، أمَّا في النَّقيضَيْنِ فلا.

إذَنْ نَحْتَاجَ إلى معرفةِ الفَرْقِ بينَ الضِّدَّيْنِ والنقيضَيْنِ، الفَرْقُ بينهما أنَّ الضِّدَّينِ لا يَجْتَمِعانِ ولكنْ يُمكنُ أنْ يَرْتَفِعا جميعًا، وأنَّ النَّقِيضَيْنِ لا يَجتَمِعانِ، ولا يمكنُ أنْ يَرْتَفِعا جميعًا، بل لا بُدَّ مِن وُجُودِ أَحَدِهِما.

مِثَالُ النَّقِيضْينِ: (الحَرَكةُ والسُّكُونُ) فهذانِ نَقِيضانِ، إذا انتَفَتِ الحَرَكةُ لَزِمَ وُجودُ السكونِ، وإذا انتَفَى السُّكونُ لَزِمَ وُجودُ الحَرَكةِ، ولهذا لا يَصْلُحُ أنْ تقولَ: هذا غيرُ مُتحرِّكٍ وغيرُ ساكِنٍ، فهذا مستحيلٌ.

(الوُجودُ والعَدَمُ) كذلك نَقِيضانِ، فلا يمكن أبدًا أنْ تقولَ: لا مَوْجُودَ، ولا مَعْدُومَ.

مِثَالُ الضِّدَّيْنِ: (السوادُ والبياضُ) ضدَّانِ، لِأَنَّهُما لا يَجتمعانِ، فإذا كان الشيءُ أسودَ، فليسَ بأَبْيَضَ، وإذا كان أبيضَ، فليس بأَسْوَدَ، فلا يُمْكِنُ أنْ يكونَ الشيءُ أسودَ وأبيضَ في آنٍ واحدٍ، لكن هل يُمْكِنُ أنْ يرتَفِعا؟

الجَوَابُ: نعم. كيفَ؟ الجَوَابُ: يَعْنِي: يَرتَفِعُ السوادُ والبياضُ ويَحُلُّ بَدَلَهُ الأَحْمَرُ أو الأصفرُ مَثَلًا.

فمثلًا: (هذا الثَّوْبُ أَبيضُ أو أَسودُ أو أَحْمَرُ) إذا قُلْتَ: (إنه أَسْودُ) لم يكن (أبيضَ)، وإذا قُلْتَ: (أبيضُ) لم يكن أَسودَ، هل يُمْكِنُ أنْ تقولَ: ليس أسودَ ولا أبيضَ؟

الجَوَابُ: نعم، ويكون أحمرَ مثلًا، فهذانِ ضِدَّانِ.

لكن (وُجُودٌ وعَدَمٌ) فهذانِ نَقِيضانِ، والشيءُ إذا قُلْتَ فيه: (غيرُ موجودٍ) لَزِمَ أنْ يكونَ مَعْدُومًا، وإذا قُلْتَ فيه: (مَعْدُومٌ) لم يكن موجودًا، فإذا كان الشيءُ مَعْدُومًا لم يكن موجودًا، وإذا كان موجودًا لم يَكُنْ مَعْدُومًا، لكن إذا كان أسودَ ليس بلازمٍ أنْ يكونَ أبيضَ.

وهناك أيضًا (الخِلَافانِ): والخِلافانِ يَجْتَمِعانِ ويَرْتَفِعانِ لَكِنَّهُما مُتَبايِنَانِ كـ(الحَرَكةِ والبَيَاضِ) يُمْكِنُ أنْ يَجْتَمِعا، فيكونَ الشيءُ مُتَحَرِّكًا أبيضَ، ويُمْكِنُ أنْ يَرْتَفِعا فيكونَ ساكنًا أَسْودَ، لَكِنَّهُما مُتَبايِنانِ، فهذا غيرُ هذا.

هناك أيضًا المُتَوافِقاتُ أو المُتَرادِفاتُ، ومعناها أنْ يَتَّفِقا في الحقيقةِ، مِثل: (القِيامِ والوُقُوفِ) إذا جَعَلْنا الوُقوفَ بمعنى القِيامِ، فهما شَيْءٌ واحدٌ، و(الإنسانُ والبَشَرُ) شَيْءٌ واحدٌ.

إذَنْ صارت النِّسَبُ أربعةً: نِسبةٌ بين مُتناقِضَيْنِ، ونِسبةٌ بين ضِدَّيْنِ، ونِسبةٌ بين خِلافَيْنِ، ونِسبةٌ بين مُتَّفِقَيْنِ.

وقَوْلُنا: (داخِلُ العالَمِ) و(خارِجُ العالَمِ)، نِسْبةٌ بين مُتناقضَيْنِ، لِأَنَّهُما لا يَجْتَمِعانِ ولا يَرْتَفِعانِ، فكُلُّ موجودٍ لا بُدَّ إِمَّا أنْ يكونَ داخلَ العالَمِ أو خارِجَ العالَمِ.

لكن لو قال قائِلٌ: (لا داخِلَ العالَمِ ولا خارِجَ العالَمِ)، فليس نِسْبةً بين مُتناقضَيْنِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أنْ يُقَالَ: هو نفسُهُ العالَمُ؟

قُلْنَا: إذا قُلْتَ: (هو نفسُهُ العالَمَ)، لم تُثْبِتْ مَوجودَيْنِ، إنما أَثْبَتَّ موجودًا واحدًا، ونحن نَتكلَّمُ عن مَوجودَيْنِ.

فابنُ القيِّمِ -رحمه الله- يقولُ: لو صَحَّ هذا الشرطُ وهو أنه يجوزُ نَفْيُ الضِّدَّيْنِ عمَّا ليسَ قابِلًا لهما ما صَحَّ في النَّقِيضَيْنِ اللذَيْنِ كِلاهُما لا يَثْبُتَانِ، أي: (لا يَجْتَمِعانِ)، وليس يَرْتَفِعانِ.

* * *

١٠٨٠- وَيُقَالُ أَيْضًا: نَفْيُكُمْ لِقَبُولِهِ	لَهُمَا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الإِمْكَانِ
١٠٨١- بَلْ ذَا كَنَفْيِ قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ	بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالأَذْهَانِ
١٠٨٢- فَإِذَا الْمُعَطِّلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ	بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانِ
١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ الْـ	أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهْوَ ذُو إِمْكَانِ
١٠٨٤- جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا	عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَخَوَانِ
١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ	مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الإِمْكَانِ
١٠٨٦- فَكِلاكُمَا يَنْفِي الإِلَهَ حَقِيقَةً	وَكِلَاكُمَا فِي نَفْيِهِ سِيَّانِ
١٠٨٧- مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ	فِي النَّفْيِ صِرْفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟
١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا	ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيَ فِي الْبُطْلَانِ

١٠٨٩- فَـوِزَانُ هَـذَا النَّفْـيِ مَـا قَـدْ قُلْتَـهُ حَرْفًـا بِحَـرْفٍ أَنْـتُمَا صِـنْوَانِ

١٠٩٠- وَالْـخَصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَـا هُـوَ قَابِـلٌ لِكِلَـيْهِمَا فَكَقَابِـلٍ لِـمَكَانِ

١٠٩١- فَافْرُقْ لَنَـا فَرْقًـا يُبِـينُ مَوَاقِـعَ الْـ إِثْبَـاتِ وَالتَّعْطِيـلِ بِالْبُرْهَـانِ

١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا وَخَـلْ لِ الْفَشْرَ عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْـهَذَيَانِ

الشَّـرحُ

١٠٨٠- وَيُقَـالُ أَيْضًـا: نَفْـيُكُمْ لِقَبُولِـهِ لَـهُمَا يُزِيـلُ حَقِيقَـةَ الإِمْكَـانِ

إذا قُلْتُم: إنَّ اللهَ ليس بقابِلٍ لهما، والضميرُ هنا يَعُودُ على كونِه داخِلَ العالَمِ وخارِجَ العالَمِ، يَعْنِي: ليس بقابِلٍ أَنْ يكونَ داخلَ العالَمِ أو خارِجَ العالَمِ، وإذا كان ليس بقابِلٍ جازَ أَنْ نَنْفِيَهُما عنه، فنقولَ: ليس بداخِلٍ وليسَ بخارِجٍ، كما يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ في الجِدارِ: ليس ظالِمًا ولا غيرَ ظالِمٍ، لِأَنَّهُ لا يَقْبَلُ.

فنَقُولُ لهم: إذا قُلْتُم: إنه ليس بقابِلٍ لهما، فإنَّ هذا يُزِيلُ حقيقةَ الإمكانِ، يَعْنِي: يجعلُ الشيءَ الممكنَ مستحيلًا، كيف ذلك؟ بَيَّنَ لهم النظيرَ فقالَ:

١٠٨١- بَـلْ ذَا كَنَفْـيِ قِيَامِـهِ بِـالنَّفْسِ أَوْ بِـالْغَيْرِ فِي الْفِطْـرَاتِ وَالأَذْهَـانِ

وذلك أننا نسأَلُ هذا الرجلَ المُعَطِّلَ الذي يقولُ: إنَّ اللهَ ليس بقابِلٍ أَنْ يكونَ داخلَ العالَمِ أو خارِجَه، نسأَلُهُ: هل قامَ بنَفْسِهِ أو بغيرِه؟

لا يستطيعُ أَنْ يقولَ: لم يَقُمْ بنَفْسِهِ ولا بغَيْرِه، لِأَنَّهُ إِنْ قالَ: لم يَقُمْ بنَفْسِهِ، لَزِمَ أَنْ يكونَ مُحْتَاجًا إلى الغَيْرِ، وحينئذٍ يكونُ قد وَصَفَ اللهَ بأَقْبَحَ مِمَّا لو قالَ: إنه قائِمٌ بنَفْسِهِ، لذلك ليسَ له مَفَرٌّ، وهو سُؤَالٌ مُحْرِجٌ.

نَقُولُ له: إذا قُلْتَ: ليس بقَابِلٍ أنْ يكونَ داخِلَ العالَمِ أو خارِجَه يَجِبُ أنْ تقولَ: ليس بقَابِلٍ أنْ يكونَ قائِمًا بِنَفْسِه أو بِغَيْرِه.

وهذا لا أَحَدَ يقولُ به، لا بُدَّ أنْ يكونَ قائِمًا بِنفْسِه أو بِغَيْرِه.

ونحن نقولُ: ما هذا التكلُّفُ وهذا التنطُّعُ؟ هل الصحابةُ سَلَكُوا هذا المَسْلَكَ؟

الجَوَابُ: لا، ما ناقشوا هذا النقاشَ، لكن علماء السَّلف -ولا سيما في العصور الوسطى- اضطروا إلى هذا البحثِ الذي قد يقولُ القائِلُ: إنه لا ينبغي أنْ نبحثَه في الله عزَّ وجلَّ وأنْ نَتكلَّفَ ونتنطَّعَ هذا التنطعَ، اضطروا إلى ذلك، لِأَنَّهُم ابْتُلوا بقومٍ يتكلَّمون بمثل هذه الأُمورِ مِن أَجْلِ نفيِ الله حقيقةً، لأنَّ حقيقةَ قولِهم أنه ليس هناك إلهٌ.

إذا قالوا: (**ليسَ اللهُ بداخِلِ العالَمِ وَلَا خارِجِهِ**) فكُلُّ إنسانٍ يَفْهَمُ على فِطرتِهِ أنَّ الشيءَ الذي ليس داخلَ العالَمِ ولا خارِجَهُ شَيْءٌ مَعْدُومٌ، وهم يُخاطِبونَ الناسَ بعُقُولِهم وفِطَرِهِمْ، فإذا سَمِعُوا مِثْلَ هذا الكلامِ قالوا: إذَنْ ليس هناك رَبٌّ، لذلك اضطرَّ العلماءُ -كشيخِ الإسلامِ، وابنِ القيِّمِ وغيرِهما من العلماءِ- إلى الخوضِ في هذا الأمرِ، وإِلَّا فإِنَّ الإنسانَ يقولُ: ما لنا ولِهذا البحثِ، الذي قد يكونُ تصوُّرُه صعبًا فضلًا عن إقرارِه أو نفيِه؟

نقول: لأننا إذا ابتُلينا لا ينبغي أنْ نجعلَ الباطِلَ في الميدانِ يَرْكُضُ حيث شاءَ ويَنصرِفُ حيث شاء، بل لا بُدَّ أنْ ندخُلَ المعركةَ حتى يَتبَيَّنَ الأمرُ.

فهنا -رَحِمَهُ اللهُ- يقول: (**بَلْ ذَا كَنَفْيِ قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ**)، وهذا شَيْءٌ مستحيلٌ، لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يقولَ: إنَّ اللهَ ليس بقائِمٍ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه.

١٠٨٢- فَـإِذَا الْـمُعَطِّلُ قَـالَ: إِنَّ قِيَامَـهُ ... بِـالنَّفْسِ أَوْ بِـالْغَيْرِ ذُو بُطْـلَانِ

١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ الْـ ... أَمْـرَيْنِ إِلَّا وَهْـوَ ذُو إِمْكَـانِ

إذا قال: (إِنَّ قِيَامَه بالنَّفْسِ أو بِالغَيْرِ ذُو بُطْلَانِ) يَعْنِي: معناه أننا لا يمكنُ أنْ نقولَ: إنه قائِمٌ بالغيرِ، لأنَّ هذا أمرٌ معلومُ البُطلانِ، إذ إنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن كُلِّ أحَدٍ، ولو قُلْنَا: إنه قائِمٌ بِغَيْرِه، لَزِمَ أَلَّا يَصِحَّ أنْ يكونَ ربًّا، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ منه -إذا كان قائِمًا بِغَيْرِه- أنْ يكونَ مُحْتَاجًا لذلك الغَيْرِ، بل وأن يكونَ مسبوقًا بذلك الغيرِ، لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إليه.

١٠٨٤- جِسْـمٌ يَقُـومُ بِنَفْسِـهِ أَيْضًـا كَـذَا ... عَـرَضٌ يَقُـومُ بِغَـيْرِهِ أَخَـوَانِ

١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَـانٍ وَلَـيْسَ بِوَاجِـبٍ ... مَـا كَـانَ فِيـهِ حَقِيقَـةُ الإِمْكَـانِ

يقول: إِنَّ الشيءَ الذي يقومُ بِنَفْسِه جسمٌ، والذي يقومُ بِغَيْرِه عَرَضٌ، فالطولُ والقِصَرُ والصِّحَّةُ والمَرَضُ هذه تَقُومُ بالغيرِ، فهي عَرَضٌ، والذاتُ هذه جِسمٌ.

فإذا قُلْتَ: إنه قائِمٌ بِنَفْسِه شبَّهته بالجسم، وإن قُلْتَ: إنه غيرُ قائِمٍ بِنَفْسِه شبَّهته بالعَرَضِ.

هم يَقولونَ: إِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الأجسامِ والأعراضِ، لا تَقُلْ: (إِنَّ اللهَ جِسمٌ) ولا تَقُلْ: (إنه عَرَضٌ)، ولا تَصِفْه بالصِّفاتِ التي تَستلزِمُ أنْ يكونَ جسمًا أو عَرَضًا على زعمِهم، فلهذا نفيُ الجسم عندهم ونفيُ العَرَض بالنسبة لله أمرٌ ممكنٌ، لِأَنَّهُ غيرُ قَابِلٍ لذلك.

قَوْلُهُ: «فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ» أي: إنَّ هذا ممكنٌ، وليس بواجب، أي ممكن أنْ يقومَ بِغَيْرِه أو بِنَفْسِه وليس بواجب، أي: أنه يجوز أنْ نَنْفِيَ الأمرينِ عنه.

ولكننا نقول: الواقعُ أنه يَجِبُ أنْ يكونَ إمَّا قائِمًا بِنَفْسِه، وإمَّا قائِمًا بِغَيْرِه، وليس في ذلك مَحِيدٌ، فكذلك أيضًا نقول: بالنسبة لكونه داخلَ العالَمِ أو خارجَه، لا بُدَّ من أحَدِ الأمرينِ: إمَّا داخلٌ وإمَّا خارجٌ، وإمَّا الأمر الثالثُ وهو: أنْ يكونَ هو عينَ الْـخَلْقِ، واسلُكْ مَسْلَكَ أهلِ وَحْدةِ الوُجودِ.

١٠٨٦- فَكِلاكُـمَا يَنْفِـي الإِلَـهَ حَقِيقَـةً ... وَكِلاكُـمَا فِي نَفْيِـهِ سِـيَّانِ

إذَنْ صار الخِطابُ مع قومٍ يقولون: (إنَّه لا قائِمٌ) على تقدير قول مَنْ يقولُ: (لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه).

نقولُ لهم: إنَّ هذا يساوي تمامًا قولَ القائِلِ: (لا داخِلِ العالَمِ ولا خارِجه)، فإذا كان يستحيلُ ألَّا يكون قائِمًا بِنَفْسِه أو بِغَيْرِه، فيَستحيلُ ألَّا يكونَ داخلَ العالَمِ ولا خارِجَهُ، يَعْنِي: لا بُدَّ أنْ يكونَ قائِمًا بِنَفْسِه أو بِغَيْرِه، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ أنْ يكونَ داخلَ العالَمِ أو خارجَه، فهذه كهذه.

فيكون قَوْلُهُ: «**فَكِلاكُمَا**» يشيرُ إلى الذي يقول: (لا داخل العالَمِ ولا خارِجه)، والذي يقول: (لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه)، مع أنه لا أحدَ من الجَهْمِيَّة والمعتزلةِ الذين يُنكرون الأوَّل يقولون: (إنَّ اللهَ قائِمٌ بِنَفْسِه)، ويقولون: مستحيلٌ أنْ نقولَ: (لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه).

فنقول: إذا جَعَلْتُم هذا مستحيلًا فاجعلوا الثانِـيَ -وهو: (لا داخل ولا خارج)- مستحيلًا، وإذا جعلتم (لا داخل العالَمِ ولا خارجه) ممكنًا، فاجعلوا (لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه) ممكنًا، ولهذا قال:

١٠٨٦- فَكِلاكُـمَا يَنْفِـي الإِلَـهَ حَقِيقَـةً ... وَكِلاكُـمَا فِي نَفْيِـهِ سِـيَّانِ

١٠٨٧- مَـاذَا يَـرُدُّ عَلَيْـهِ مَـنْ هُـوَ مِثْلُـهُ ... فِي النَّفْـيِ صِرْفًـا إِذْ هُمَـا عِـدْلَانِ؟

صحيح، يعني: يُقال لِـمَن قال: (لا داخل العالَم ولا خارجه)، ماذا تَرُدُّ على مَنْ قال: (لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه)؟

لا يُمْكِنُ أنْ تَرُدَّ عليه أبدًا، لأنك إذا رَدَدْتَ عليه قال لك: إن كان ما أقولُ مستحيلًا، فكذلك ما تقولُه أنت مستحيلٌ.

١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَـكَ بَعْـدَمَا ... ضَاهَيْتَ هَـذَا النَّفْـيَ فِي الْـبُطْلَانِ

١٠٨٩- فَـوِزَانُ هَـذَا النَّفْـيِ مَـا قَـدْ قُلْتَـهُ ... حَرْفًـا بِحَـرْفٍ أَنْـتُمَا صِـنْوَانِ

صار الكلام أنْ نشبك بين هؤلاء وهؤلاء، يَعْنِي: بين مَنْ يقولونَ: إنه يُمْكِنُ أنْ يكونَ لا داخل العالَم ولا خارجه، وبين مَن يقول: لا يُمْكِنُ أنْ نقول: إنه لا قائِمٌ بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه.

١٠٩٠- وَالْـخَصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَـا هُـوَ قَابِـلٌ ... لِكِلَـيْهِمَا فَكَقَابِـلٍ لِـمَكَانِ

قَوْلُهُ: «الخَصْمُ» يَعْنِي به أهلَ السُّنَّةِ الذين يقولون: إنَّ ما هو قابلٌ لكليهما فكقَابِلٍ لمكانٍ، ونحن نقولُ: إنه يقبلُ المكانَ أو لا يقبل؟

الجَوَابُ: يقبلُ، فاللهُ تعالى في مكانٍ، وهو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنَّهُ ليس مكانًا محيطًا به.

١٠٩١- فَافْرُقْ لَنَـا فَرْقًـا يُبِـينُ مَوَاقِـعَ الْـ ... إِثْبَـاتِ وَالتَّعْطِيـلِ بِالْبُرْهَـانِ

يعني: يُبَيِّن أنَّ هذا ممكنٌ وهذا غيرُ ممكنٍ.

١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا وَخَـلْ ... لِ الْفَشْرَ عَنْـكَ وَكَثْـرَةَ الْـهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يَعْنِي: لا تَفْرُقْ فأَعْطِ القَوْسَ بارِيَها.

قَوْلُهُ: «فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا» وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ للشخصِ الذي لا يُحْسِنُ الشيءَ، فيُقال له: (أَعْطِ القوسَ باريَها)، لأنَّ بارِيَ القوسِ الذي يَبْرَاها ويَصْنَعُها أَعْلَمُ بها.

قَوْلُهُ: «وَخَلِّ الْفَشْرَ عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْـهَذَيَانِ»: الفشر: الكلامُ اللغو الذي ليس فيه فائِدةٌ، فكلامُك إذَنْ لغوٌ.

خلاصةُ هذا الفصلِ كُلِّه: أنَّ ابنَ القَيِّمِ يريدُ أنْ يُلْزِمَ نُفَاةَ العُلُوِّ بالقولِ بالعُلُوِّ، لِأَنَّهُ يقولُ لهم: أَمامَكم ثلاثةُ احْتِمالاتٍ: إمَّا أنْ يكونَ داخِلَ العالَمِ، أو خارِجَ العالَمِ، أو هو العالَمُ بعَيْنِهِ، ليس فيه خروجٌ عن هذه الثلاثةِ.

هم لا يمكنُ أنْ يقولوا: إنه هو نفسُ العالَمِ، لِأَنَّهُم يُكفِّرونَ مَنْ يَقُولُ بذلك.

نقولُ: إذَنْ يَلْزَمكُم أنْ يكونَ إمَّا داخلا، وإمَّا خارجًا.

هم يقولون: لا داخِلٍ ولا خارِجٍ، نَقُولُ: لا يمكنُ هذا، فلا يمكنُ أنْ تَرْفَعوا الدخولَ والخروجَ.

فيقولون: إنَّ ذلك ممكنٌ، لأنَّ اللهَ غيرُ قَابِلٍ لهذين الوصفَيْنِ، وما كان غيرَ قَابِلٍ صَحَّ نفيُهُما عنه، كما تقول: (الجِدارُ لا يَظْلِمُ ولا يَعْدِلُ) تنفي عنه النَّقيضينِ، لِأَنَّهُ غيرُ قابِلٍ.

بماذا نَرُدُّ عليهم؟ نَرُدُّ عليهم بثلاثةِ أوجهٍ كما قال ابنُ القيِّم:

الوجه الأول: قولُكم: (إنَّ النفيَ والإثباتَ إنما يكونُ فيما كان قابلًا)، هذه دعوى مُجَرَّدةٌ، لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- نَفَى الحياةَ وأَثْبَتَ الموتَ للجمادِ، وذلك في الأصنامِ التي تُعْبَدُ، والجمادُ ليس قابلًا للحياةِ التي هي حياةُ الحَيَوانِ، ومع ذلك نَفَى اللهُ عنه الحياةَ وأَثْبَتَ الموتَ، كما قال تعالى: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ [النحل:٢٠]،

ونَفَى الشعور مع أنَّ الجمادَ غيرُ قَابِلٍ للشعور.

كذلك أيضًا نفى -سبحانه وتعالى- عن نفسِه الموتَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وهو في حقِّه مستحيلٌ، فاللهُ لا يقبلُ الموتَ، وكذلك النَّومُ والسِّنَةُ والظُّلْمُ، مع أنَّ الظُّلْمَ عندكم مُحَالٌ لِذاتِه، ومع ذلك نَفَاه اللهُ عن نَفْسِهِ، فنَفَى اللهُ الشيءَ عمَّا ليس قابلًا له.

الوجه الثاني: أنْ نقولَ: إنْ صَحَّ هذا فيما ذكرتُم من الموتِ، والسَّمع، والبصر، والأشياء التي لا يَتَّصِفُ بها إلَّا ما له حياةٌ حَيَوانيَّة، فإنه لا يَصِحُّ في النقيضَيْنِ، وما هما النقيضان؟ الجَوَابُ: اللذان لا يَجْتمعانِ، ولا يَرْتفعانِ.

فأنتم نَفَيْتم الدخولَ والخروجَ، وهما نَقيضانِ، لأنَّ ما ليسَ بداخلٍ فهو خارجٌ قطعًا، فهما نقيضانِ كالوجودِ والعَدَم، فما ليس بمَوجودٍ فهو مَعْدُومٌ، وهذا باتِّفاقِ العُقَلاءِ.

الوجه الثالث: أنْ نقولَ: نفيُكم للدخولِ والخروجِ كنَفْيِ مَنْ يقولُ: إنه ليس قائِمًا بِنَفْسِه ولا بِغَيْرِه على حدٍّ سواء، وأنتم تَقُولُونَ: إنه قائِمٌ بِنَفْسِه، فإذا نَفَيْتُم أنه لا داخِل العالَمِ ولا خارِجه، فهو كقولِ مَنْ قال بنَفْيِ قيامِه بِنَفْسِه وقيامِه بِغَيْرِه، إذَنْ فأنتم سواءٌ.

حينئذٍ نقولُ: إنَّ اللهَ تعالى قابلٌ لأن يكونَ فَوْقَ العالَمِ أو معَ العالم، لكن مع العالَمِ مستحيل، فتَعيَّنَ أنْ يكونَ فَوْقَ العالم، كما تَعيَّنَ أنْ يكونَ قائِمًا بِنَفْسِه، ولا فَرْقَ، فأنتم إنْ أتيتم لنا بفرقٍ فحَسَنٌ، وإلَّا فأعطوا القوسَ باريَها، نحن عندنا الفرق، ونَقُولُ: إنَّ اللهَ تعالى خارجُ العالَمِ، وهو -سبحانه وتعالى- فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وإنه قائِمٌ بِنَفْسِه.

فالنتيجة الآن: أنه سَيُلْزَمُ بالإقرارِ بأنه خارِجُ العالَمِ، وإذا أَثْبَتَ أنه خارجُ العالَمِ يَلْزَمُه أنْ يقولَ بالعُلُوِّ، لأنَّ ما سِوَى العُلُوِّ فهو صفةُ نقصٍ، وهو يُقِرُّ بأنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن النقصِ.

وبذلك نَرُدُّ عليهم جميعَ شُبَهِهِم التي يدَّعونها مَعْقولاتٍ، وهي مجهولاتٌ في الواقعِ.

أنا أكرر وأقول: إنَّ الإنسانَ قد يقول: لا حاجةَ لهذه المباحثِ، وهو حقيقة بالنسبةِ للعامِّي، فما نقرؤه عليه من هذا الفصل من النونية ونشرحه لو فعلنا ذلك لرميناه ببحرٍ لا ساحلَ له، ولا يستطيعُ أنْ يَخْرُجَ أبدًا، لِأَنَّهُ لم يتعلَّم، فيغرق، لكن طلبة العلم يُمْكِنُ أنْ يقرؤوا مثلَ هذه المباحث، لِأَنَّهَا شَيْءٌ وَقَعَ.

* * *

فصل

فِي سِيَاقِ هَذَا الدَّلِيلِ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ

١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعَطِّلَ عَنْ مَسَائِلَ خَمْسَةٍ ... تُرْدِي قَوَاعِدَهُ مِنَ الأَرْكَانِ

١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعَطِّلِ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهُنَا الْـ ... ـمَعْبُودُ حَقًّا خَارِجَ الأَذْهَانِ؟

١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَاكَ مُعَطِّلٌ ... لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغُ الْكُفْرَانِ

١٠٩٦- وَإِذَا أَقَرَّ بِهِ فَسَلْهُ ثَانِيًا ... أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ؟

١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ ... هُوَ عَيْنُهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ

١٠٩٨- فَقَدِ ارْتَدَى بِالاتِّحَادِ مُصَرِّحًا ... بِالْكُفْرِ جَاحِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ ... وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ

١١٠٠- هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ ... وَأُولَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانِ

١١٠١- وَإِذَا أَقَرَّ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى ... عَبْدٌ وَمَعْبُودٌ هُمَا شَيْئَانِ

١١٠٢- فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ ... أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ؟ هُنَا أَمْرَانِ

١١٠٣- وَإِذَا أَقَرَّ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ الْـ ... أَمْرَيْنِ قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي

١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا ... خُشْدَاشُنَا وَحَبِيبُنَا الْحَقَّانِي

١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَنْ ... هَلْ ذَاتُهُ اسْتَغْنَتْ عَنِ الأَكْوَانِ؟

١١٠٦- فَلِذَاكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِالْـ ... أَعْيَانِ كَالأَعْرَاضِ وَالأَلْوَانِ

١١٠٧- فَإِذَا أَقَرَّ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ ... بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ

١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا ... مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ

١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ ... لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

١١١٠- ضِدَّيْنِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَا ... نَا، بَلْ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ

١١١١- فَلِذَاكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ ... بِالاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ

١١١٢- نَقَّطْتُمُ لَهُمُ وَهُمْ خَطُّوا عَلَى ... نُقَطٍ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصِّبْيَانِ

الشرحُ

في هذا الفصلِ أَرَادَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنْ يَستدِلَّ على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ بنفسِ الدليلِ العَقْلِيِّ، لكن على وجهٍ آخَرَ، يقول:

١٠٩٣- وَسَلِ الْـمُعَطِّلَ عَنْ مَسَائِلَ خَمْسَةٍ ... تُرْدِي قَوَاعِدَهُ مِنَ الأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «تُرْدِيها» أي: تُتْلِفُها.

قَوْلُهُ: «مِنَ الأَرْكَانِ» أي: من الأصل، والشيءُ إذا تَرَدَّى من أركانِه فإنَّ فُروعَه تَبَعٌ لأركانِه فتَنْهَدُّ.

١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعَطِّلِ: هَلْ تَقُولُ: إِلَـهُنَا الْـ ... ـمَعْبُودُ حَقًّا خَارِجَ الأَذْهَانِ؟

يعني: اسأَلْهُ هل اللهُ عزَّ وجلَّ خارجُ الأذهانِ أو لا؟ إمَّا أنْ يقولَ: إنه خارج الأذهانِ، أو داخلُ الأذهانِ.

١٠٩٥- فَـإِذَا نَفَـى هَـذَا فَـذَاكَ مُعَطِّـلٌ لِلـرَّبِّ حَقًّـا بَـالِغُ الْكُفْـرَانِ

ماذا نَفَى؟ الجَوَابُ: قال: إنه ليس خارِجَ الأذهانِ، يَقُولُ: (**فَذَاكَ مُعَطِّلٌ لِلرَّبِّ**) يَعْنِي: إذا نفى هذا، وقال: لا أقولُ: إنه خارج الأذهان، فإنه يكونُ مُعطِّلًا للرَّبِّ، لأنَّ هذا هو إنكارُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ.

١٠٩٦- وَإِذَا أَقَـرَّ بِـهِ فَسَـلْهُ ثَانِيًـا أَتَـرَاهُ غَـيْرَ جَمِيـعِ ذِي الأَكْـوَانِ؟

قَوْلُهُ: «**وَإِذَا أَقَرَّ بِهِ**» يَعْنِي: قال: إنه خارجُ الأذهانِ، يَعْنِي: إنه موجودٌ، (**فَسَلْهُ ثَانِيًا أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ**)؟ يَعْنِي: هل تعتقد أنه غيرُ الأكوانِ أم هو الأكوان؟

في الأوَّل: خاطبناه بأنه هل يراه في الذهن أو لا؟ فإذا قال: لا يوجدُ ولا في الذهن، فهذا مُعطِّلٌ لا شكَّ، وإذا قال: يوجدُ في الذهن نسأله ثانيًا: (**أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ**)؟

١٠٩٧- فَـإِذَا نَفَـى هَـذَا وَقَـالَ بِأَنَّـهُ هُـوَ عَيْنُهَـا مَـا هَـا هُنَـا غَـيْرَانِ

قَوْلُهُ: «**فَإِذَا نَفَى**» ماذا نفى؟ نفى أنْ يكونَ غيرَ الأكوان، وإذا نَفَى أنْ يكونَ غيرَ الأكوانِ مع إقرارِهِ بوُجودِهِ عينًا تَعَيَّنَ أنْ يكونَ هو الأكوان.

قَوْلُهُ: «**مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ**» يَعْنِي: قال: ما ها هنا رَبٌّ ومربوب.

١٠٩٨- فَقَـدِ ارْتَـدَى بِالاتِّحَـادِ مُصَـرِّحًا بِـالْكُفْرِ جَاحِـدَ رَبِّـهِ الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**فَقَدِ ارْتَدَى بِالاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكُفْرِ**» يَعْنِي: إذا قال: إنَّ الرَّبَّ هو عينُ المَرْبوبِ، فقد ارتدى بالاتحادِ مُصَرِّحًا بالكُفْرِ جاحِدَ ربِّه الرحمنِ.

فمضى الآن سؤالان:

السؤال الأول: هل هو في الذهن أو لا؟

السؤال الثاني: أن يكون موجودًا، لكن هل هو نفسُ المخلوق أو غيرُه؟ إذا قال: إنه عينُ المخلوق، يَقُولُ: (فقد ارتدى بالاتِّحادِ مُصَرِّحًا بالكُفْرِ جاحدَ ربِّه الرحمنِ).

١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُـوا مِثْلَـهُ وَهُمُ الْـحَمِيرُ وَعَابِـدُو الصُّـلْبَانِ

قَوْلُهُ: «حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ» يَعْنِي: يُنَزِّه النَّصارَى أنْ يكونوا مثلَ هذا، لماذا؟ لأنَّ النَّصارى قالوا: إنَّ اللهَ حَلَّ في المَسيحِ فقط، وهذا قال: إنَّ اللهَ حلَّ في كُلِّ المخلوقاتِ حتَّى في الحيوانِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

قَوْلُهُ: «وَهُمُ الْـحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ» وصَفَهُم بأنهم حَمِيرٌ، لِأَنَّهُم يَستحِقُّون هذا، لِأَنَّهُم يَعْبُدونَ الصَّلِيبَ الذي صُلِبَ عليه نبيُّهم، ولو كانوا عقلاءَ لكان يَجِبُ أنْ يَكْسِروا الصليبَ، لِأَنَّهُ صُلِبَ عليه نبيُّهم.

كيف تُعظِّمونَ الصليبَ وقد صُلِبَ عليه نبيُّكم؟! ولكن هذا لِبَلَادَتِهِم وضَلالِهم، قال الله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، فهم يغلبُ عليهم الضلالُ والجهلُ، كالحِمار يَحْمِلُ أسفارًا ولا يَنتفِعُ منها.

فَلِضَلالِـهِم وبَلادَتِهم صاروا يَعْبُدونَ الصليبَ الذي صُلِبَ عليه نبيُّهم، أَدْنَى واحدٍ من الناسِ له عقلٌ إذا وَجَدَ الحُجْرةَ التي حُبِسَ فيها صديقُه ماذا يفعل؟ الجَوَابُ: يَهْدِمُها، لكن هؤلاء قالوا: لا، بل نعبدُ الصليبَ.

إِذَنْ استحقُّوا الوصفَ الذي وَصَفَهم به ابنُ القيِّمِ وهو (**الحمير**)، وإنما كانوا كذلك لبلادتِهم، نسألُ اللهَ العافيةَ.

وأنت تَتعجَّبُ من هذه العقول، ذكاءٌ بلا زكاءٍ، ليس عندهم عقلٌ، وإلَّا لو تَأَمَّلوا قليلًا لقالوا: كيف يكونُ عيسى -عليه الصلاة والسلام- ربًّا وإلهًا، ثُمَّ يُقْتَلُ، ثُمَّ يُصْلَبُ، ثُمَّ يُعْبَدُ الصَّليبُ الذي صُلِبَ عليه؟! ولهذا يقولُ: (**وَهُمُ الْـحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ**).

وكان من الوفاءِ له -لو كانوا صادِقِينَ- أنْ يَكْسِرُوا الصليبَ إذا رَأَوْهُ، لِأَنَّهُ صُلِبَ عليه نبيُّهم -عليه الصلاة والسلام- كما يَزْعُمُونَ، وهذا الصليبُ الذي يَدَّعونَ أنَّ المسيحَ صُلِبَ عليه قد كَذَّبه الله تعالى في القرآنِ، فقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨]، لكنْ تَنَزُّلًا معهم وما يَعتقدون في نبيِّهم -عليه الصلاة والسلام- نقول: كيف تَعْبُدونَ الصليبَ وقد صُلِبَ عليه نبيُّكم؟! كان أَجْدَرَ بكم أنْ تكْسِرُوا الصليبَ إذا رأيتُمُوه، لا أنْ تَعْبُدُوه!

أما نحن فعَقيدتُنا في المسيح عيسى بنُ مَرْيَمَ: أنه عبدُ الله ورسولُه، وأنه آيةٌ من آياتِ الله عزَّ وجلَّ هو وأُمُّهُ، لِأَنَّها حَمَلَتْ بلا زوجٍ، وخُلِقَ بلا أبٍ، وتَكَلَّمَ في المَهْدِ، ورُفِعَ إلى السَّماءِ وهو حَيٌّ، وهو باقٍ إلى أنْ يَنْزِلَ في آخِرِ الدُّنْيا.

ونؤمن بأنه ما قُتِلَ وما صُلِبَ، بل رَفَعَه اللهُ إليه، وسينزلُ في آخِرِ الزمانِ يَحْكُمُ بشريعةِ النَّبِيِّ ﷺ إلَّا في الجِزْيةِ، فإنه لا يَقْبَلُ الجِزْيَةَ، فلا يَقْبَلُ إلَّا الإسلامَ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْـخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْـجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْـمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ**

أَحَدٌ»[1]. وليس هذا ابتداءَ شريعةٍ، ولَكِنَّهُ تقريرٌ لشريعةٍ أَخْبَرَ بها الرسولُ ﷺ، فكأَنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- يقول: سَتُقْبَلُ الجِزْيةُ إِلَّا إذا نَزَلَ عيسى.

هذا هو حاصِلُ الكلامِ على عيسى -عليه الصلاة والسلام- وما يَعْتَقِدُه المُسلمون فيه.

١١٠٠- هُـمْ خَصَّصُـوهُ بِالْـمَسِيحِ وَأُمِّـهِ وَأُولَاءِ مَـا صَـانُوهُ عَـنْ حَيَـوَانِ

قَوْلُهُ: «هُمْ خَصَّصُوهُ» أي: خصَّصوا اللهَ.

قَوْلُهُ: «وَأُولَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانِ» يَعْنِي: قالوا: إِنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- هو كُلُّ شَيْءٍ: هو المرأةُ، والرَّجُلُ، والفَرَسُ، والبَعِيرُ، والحِمارُ -والعِياذُ باللهِ- وغير ذلك، لِأَنَّهُم يقولون: إِنَّ اللهَ هو عينُ الوُجُودِ.

١١٠١- وَإِذَا أَقَـرَّ بِأَنَّـهُ غَـيْرُ الْـوَرَى عَبْـدٌ وَمَعْبُـودٌ هُمَـا شَـيْئَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقَرَّ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى» هذا هو السؤال الثالث، إذا قال: أنا لا أقولُ: إنه عينُ الْـخَلْقِ، بل هو غيره، قال ابنُ القيِّم:

١١٠٢- فَاسْأَلْهُ هَـلْ هَـذَا الْـوَرَى فِي ذَاتِـهِ أَمْ ذَاتُـهُ فِيـهِ؟ هُنَـا أَمْـرَانِ

قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ؟» فيكونَ الْـخَلْقُ حالًّا في ذاتِ اللهِ؟!

قَوْلُهُ: «أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ» يَعْنِي: ذات الله في الْـخَلْقِ.

يعني: هل الخالقُ حَلَّ في المخلوقِ؟ أو المخلوقُ حَلَّ في الخالِقِ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، برقم (٢٣٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى -عليه السلام-، برقم (١٥٥).

١١٠٣- وَإِذَا أَقَرَّ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ الْـ أَمْرَيْنِ قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي

قَوْلُهُ: «**وَإِذَا أَقَرَّ بِوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ الأَمْرَيْنِ**» ما الأَمْرَانِ؟ إذا قال: إِنَّ الخالِقَ حَلَّ في المخلوقِ، أو قال: المخلوقُ حَلَّ في الخالِقِ.

فهذا يقول: (قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي)، وذلك تعظيمًا له، لِأَنَّهُ مثلُه، وافقَه على حُلُولِ الله عزَّ وجلَّ في عيسى وأمِّه.

١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا خُشْدَاشُنَا وَحَبِيبُنَا الْحَقَّانِي

قَوْلُهُ: «**خُشْدَاشُنَا**» الظاهر أنها كلمةٌ أَعْجَمِيَّةٌ، لكن معناها -والله أعلم- أنه ناصِرُنا ووَلِيُّنا.

قَوْلُهُ: «**حَبِيبُنَا الْحَقَّانِي**» يَعْنِي: الحبيبَ حقًّا.

والمعنى أنَّ مَنْ قال ذلك فقد صار حَبِيبًا لهم، غاليًا عليهم، يُرحِّبونَ به.

١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَنْ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَغْنَتْ عَنِ الأَكْوَانِ؟

١١٠٦- فَلِذَاكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِالْـ أَعْيَانِ كَالأَعْرَاضِ وَالأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «**وَإِذَا نَفَى الأَمْرَيْنِ**» ما هما الأمران؟ قال: إنه لم يَحُلَّ في الوَرَى، ولم يَحُلَّ الوَرَى في ذاتِه.

قَوْلُهُ: «**فَاسْأَلْهُ**» أي: اسأَله هل قامَ بِنَفْسِه أو قام بِغَيْرِه؟

نحن وصلنا الآن -بعد المنازلة- إلى مرحلة أنه ذاتٌ مُنفردةٌ خارجُ الأكوانِ، نسأَلُهُ الآن هل قام بِنَفْسِه أو قامَ بِغَيْرِه؟ ولهذا قال: (**وإِذَا نَفَى الأَمْرَيْنِ فاسْأَلْه هل ذَاتُهُ اسْتَغْنَتْ عَنِ الأَكْوَانِ؟**)، وهذا عبارةٌ عن أنه قام بِنَفْسِه.

قَوْلُهُ: «أَمْ قَامَ بِالأَعْيَانِ كَالأَعْرَاضِ وَالأَلْوَانِ» الأعراضُ تقومُ بالأعيانِ، فالمَرَضُ مثلًا هذا عَرَضٌ يقومُ بعَيْنٍ، واللونُ كالبَيَاضِ والسَّوادِ عَرَضٌ أيضًا يقومُ بعينٍ.

١١٠٧- فَإِذَا أَقَرَّ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ ... بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ

١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا ... مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ

إذا قال: إنه قائِمٌ بِنَفْسِه، فقل له: هما ذاتان الآن: خالقٌ ومخلوقٌ.

قَوْلُهُ: «بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ» أي: كُلُّ واحدٍ انفصلَ عن الآخَرِ وبايَنَ الآخَرَ، فاسْأَلْه: هل هما مِثْلانِ أو ضِدَّانِ أو غَيْرانِ؟

طبعًا: لن يقولَ: إنهما مِثْلانِ، لِأَنَّهُ إنَّما عَطَّلَ الصِّفَاتِ خَوْفًا مِن التَّمْثِيلِ.

وهل يقولُ: إنهما ضِدَّانِ؟ الجَوَابُ: قد يقولُ، وقد لا يقولُ، لأنَّ الضدَّ هو الذي يُخالِفُ ضِدَّه، ولكن رُبَّما يرتَفِعانِ، وهنا الارتفاعُ غيرُ مُمكِنٍ، لأنَّ هنا خالِقًا ومخلوقًا، لا يمكنُ أَلَّا يُوجدَ خالقٌ ولا مخلوقٌ بخلافِ الضدَّيْنِ.

وهل هما غَيْرانِ؟ الجَوَابُ: نعم، كُلُّ ما سبق يَدُلُّنا على أنَّ الخالقَ غيرُ المَخلوقِ.

١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ ... لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

يعني: حتى إن قُلْتَ: مِثْلُه، أو ضدُّه، أو غيرُه، فلا بُدَّ أنْ يكونَ مُبايِنًا له، لأنَّ مِثْلَ الشيءِ مُنفصِلٌ عنه، لِأَنَّهُ لو كان إيَّاه ما صَحَّ أنْ نقولَ: مِثْلُه، وضدُّ الشيءِ منفصلٌ عنه أيضًا، وغيرُ الشيءِ منفصلٌ عنه أيضًا، فإذَنْ لولا التبايُنُ لم يَكُنْ شيئانِ.

١١١٠- ضِـدَّيْنِ أَوْ مِثْلَـيْنِ أَوْ غَـيْرَيْنِ كَـا نَـا، بَـلْ هُمَـا لَا شَـكَّ مُتَّحِـدَانِ

يعني: أنه لو لم يَكُنْ تباينٌ، لَلَزِمَ الاتحادُ، وعُدْنا إلى الأوَّل، وهَدَمْنا كُلَّ ما سَبَق من قَوْلِنا: إنه عينٌ قائِمٌ بِنَفْسِه، منفصلٌ عن المخلوق، مباينٌ له.

١١١١- فَلِـذَاكَ قُلْنَـا: إِنَّكُـمْ بَـابٌ لِـمَنْ بِالاتِّحَـادِ يَقُـولُ بَـلْ بَابَـانِ

يُخاطِبُ الذين يُنكِرونَ العُلُوَّ، لأنَّ لازِمَ إنكارِهم أنْ يقولوا في النهاية: إنهما مُتَّحدانِ، وحينئذٍ يفتحون البابَ لأهل الاتِّحادِ، بل يقولُ ابنُ القيِّم: بابان.

١١١٢- نَقَّطْـتُمُ لَـهُمُ وَهُـمْ خَطُّـوا عَـلَى نُقَـطٍ لَكُـمْ كَمُعَلِّـمِ الصِّـبْيَانِ

المُعَلِّمُ إذا أَرَادَ مِن الطالِبِ أنْ يَخُطَّ خطًّا مستقيمًا، فإنَّه يَضَعُ نُقَطًا: نقطةً، ونقطتين، وثلاثًا، وأربعًا... إلى نهايةِ الوَرَقةِ، ثُمَّ يقولُ: (خُطَّ)، حينئذٍ يكونُ (خَطُّه) مستقيمًا، لكنْ لو قال: (خُطَّ) بدون أنْ يُنَقِّطَ له، ما استطاع، لِأَنَّهُ يكونُ مُعْوَجًّا.

على كُلِّ حالٍ يقولُ ابنُ القيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: أنتم إذا لم تقولوا بمُبَايَنةِ الخالِقِ للمخلوقِ وعُلُوِّه، لا بُدَّ أنْ تَقَعُوا في الاتِّحادِ، وتقولوا: إنه هو والمخلوقُ شَيْءٌ واحدٌ، وحينئذٍ تكونون فتحتم الأبوابَ لأهل وَحْدَةِ الوُجودِ.

وصحيحٌ أنَّ المُعَطِّلَةَ يفتحون الأبوابَ لأهلِ وَحْدةِ الوُجُودِ، ومن ذلك ما سَبَقَ لنا في (الكلامِ)، حيث قالوا: إنَّ كلامَ الله مخلوقٌ، فإذا قالوا: مخلوقٌ، لَزِمَ أنْ نقولَ: كُلُّ كلامٍ مخلوقٍ فهو كلامُ الله.

* * *

فصــل

فِي الإِشَارَةِ إِلَى الطُّرُقِ النَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ سَماوَاتِه عَلَى عَرْشِهِ

١١١٣- وَلَقَدْ أَتَانَا عَشْـرُ أَنْـوَاعٍ مِـنَ الْـ ـمَنْقُولِ فِي فَوْقِيَّـةِ الـرَّحْمَنِ

١١١٤- مَـعَ مِثْلِهَـا أَيْضًـا تَزِيـدُ بِوَاحِـدٍ هَـا نَحْـنُ نَسْـرُدُهَا بِـلَا كِتْمَانِ

١١١٥- مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي سَـبْعٍ أَتَـتْ فِي مُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ

١١١٦- وَلِـذَلِكَ اطَّـرَدَتْ بِـلَا لَامٍ وَلَـوْ كَانَـتْ بِمَعْنَـى الـلاَّمِ فِي الأَذْهَـانِ

١١١٧- لأَتَتْ بِهَا فِي مَوْضِعٍ كَيْ يُحْمَلَ الْـ ـبَاقِي عَلَيْهَـا بِالْبَيَـانِ الثَّانِـي

١١١٨- وَنَظِـيرُ ذَا إِضْـمَارُهُمْ فِي مَوْضِـعٍ حَمْلًا عَـلَى الْـمَذْكُورِ فِي التِّبْيَـانِ

١١١٩- لَا يُضْمِرُونَ مَـعَ اطِّـرَادٍ دُونَ ذِكْـ ـرِ الْمُضْـمَرِ الْمَحْـذُوفِ دُونَ بَيَـانِ

١١٢٠- بَلْ فِي مَحَلِّ الْـحَذْفِ يَكْثُـرُ ذِكْـرُهُ فَـإِذَا هُـمُ أَلِفُـوهُ إِلْـفَ لِسَـانِ

١١٢١- حَـذَفُوهُ تَخْفِيفًـا وَإِيجَـازًا فَـلَا يَخْفَـى الْـمُرَادُ بِـهِ عَـلَى الإِنْسَـانِ

١١٢٢- هَذَا وَمِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ التْـ ـفْسِيرُ بِـ(اسْتَوْلَى) لِـذِي الْعِرْفَـانِ

١١٢٣- قَـدْ أُفْـرِدَتْ بِمُصَـنَّفٍ لإِمَـامِ هَـ ـذَا الشَّأْنِ بَحْرِ العَالِـمِ الـحَرَّانِـي

الشَّـرحُ

هذا الفصلُ أشارَ المؤلفُ فيه إلى الطُّرُقِ النقليَّة الدَّالَّةِ على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ،

والفَصْلانِ السابِقانِ فيهما الأدلةُ العَقْليَّةُ.

الأدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ: ما كان مَنْشَؤُهُ النَّقْلَ من كِتابٍ، أو سُنَّةٍ، أو قولِ صَحَابيٍّ، أو إمامٍ مِن الأئمةِ، يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١١٣- وَلَقَدْ أَتَانَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْـ ... ـمَنْقُولِ فِي فَوْقِيَّةِ الرَّحْمَنِ

١١١٤- مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ ... هَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانِ

فيكون الجميع واحدًا وعشرين نوعًا.

قَوْلُهُ: «هَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانِ» جزاه الله خيرًا، يسردُها بيانًا للحقِّ، وإظهارًا له.

١١١٥- مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي ... سَبْعٍ أَتَتْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «مِنْهَا» أي: من هذه الأنواع.

والاستواءُ ذَكَرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في سبعةِ مواضِعَ من القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد.

سبعةُ مواضع ذكرها اللهُ كُلَّها بلفظ: (استوى على العَرْشِ)[1].

١١١٦- وَلِذَلِكَ اطَّرَدَتْ بِلَا لَامٍ وَلَوْ ... كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الأَذْهَانِ

١١١٧- لأَتَتْ بِهَا فِي مَوْضِعٍ كَيْ يُحْمَلَ الْـ ... ـبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ اطَّرَدَتْ بِلَا لَامٍ» يَعْنِي: أنَّ السبعةَ كُلَّها أتت بـ(استوى)،

---

(١) المواضع كلها استوى على العرش، لكن اللفظ الذي في سورة طه: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

ولم تأتِ باللام، يَعْنِي: لم يَقُلْ في موضعٍ منها: (استولى على العَرْشِ)، بل قال: (اسْتَوَى على العَرْشِ).

قَوْلُهُ: «وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى اللاَّمِ فِي الأَذْهَانِ لأَتَتْ بِهَا فِي مَوْضِعٍ» يَعْنِي: لو كانت (استوى) بمعنى (استولى) لأَتَتْ بها في موضِعٍ، يَعْنِي: في موضِعٍ واحدٍ مِن أَجْلِ أن (يُحْمَلَ الْبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي)، والمُرادُ بالبَيَانِ الثاني هنا الذي أَتَتْ فيه باللام، فتُحْمَلُ النصوصُ الأُخْرَى الخاليةُ مِن (اللام) على النَّصِّ الذي فيه (اللام).

١١١٨- وَنَظِيرُ ذَا إِضْمَارُهُمْ فِي مَوْضِعٍ ... حَمْلًا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي التِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ ذَا» يَعْنِي: أنَّ هذه القاعدةَ التي قعَّدها -رَحِمَهُ اللهُ- أنها لو كانت بمعنى (استولى) لأتت به ولو في موضعٍ واحدٍ.

المعنى أنهم -أي العرب- يُضْمِرُون في مَوْضِعٍ حملًا على المذكورِ في مَوْضِعٍ آخَرَ، فيكونُ المُضمَرُ في هذا الموضِعِ هو المذكور في الموضِعِ الآخَرِ، مِن أَجْلِ أنْ يُحْمَلَ هذا الذي فيه المضمَرُ، ودلالته مُبْهَمَةٌ -كما هو معلوم- فالشيءُ المُضْمَرُ مُبْهَمٌ، فَيُحْمَلُ هذا الذي فيه الإضمارُ، ودَلَالَتُه مُبْهَمَةٌ، على الذي فيه الذِّكْرُ لِيَكونَ مُبيَّنًا.

١١١٩- لَا يُضْمِرُونَ مَعَ اطِّرَادٍ دُونَ ذِكْـ ... ـرِ الْمُضْمَرِ الْمَحْذُوفِ دُونَ بَيَانِ

يعني: لا يمكنُ أنْ يُضْمِرَ العربُ شيئًا بدون بيانٍ أبدًا، بل لا بُدَّ من بيان.

والبيانُ إِمَّا أنْ يكونَ في نفسِ اللَّفظِ، وإِمَّا أنْ يكونَ من سياقٍ آخرَ يُبَيِّنُه، فمثلًا: (القرية) جاءت في القرآن الكريم أحيانًا تُضَافُ إليها كلمةُ (أهل)، وأحيانًا

تُحْذَفُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١]، فأُضِيفَت كلمة (أهل).

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف:٤]، كلمة ﴿قَرْيَةٍ﴾ هنا ما المرادُ بها؟ الجَوَابُ: أهلُها، على إضمارِ (أهل).

من أين عَرَفْتَ أنَّ فيها إضمارَ (أهل)؟ الجَوَابُ: من السِّياقِ، ومن آياتٍ أُخْرَى.

فلا يُمْكِنُ للعربِ أنْ يُضْمِرُوا بلا بيانٍ، بل لا بُدَّ من بيانٍ، إمَّا من نفسِ السِّياقِ، وإمَّا من سياقٍ آخرَ في موضعٍ آخَرَ.

تقول: (بَنَى عَمْرُو بنُ العاصِ مدينةَ الفُسطاطِ في مِصرَ)، مَن الذي بناها مباشرةً؟ الجَوَابُ: العُمَّال، لَكِنَّهُ أمَرَ بِبنائِها، كُلٌّ يَعرِفُ أَنَّ مِثْلَ عَمْرِو بنِ العاصِ القائِدِ المشهورِ لا يمكنُ أنْ يُباشرَ البناءَ، إنما الذي بناه العمالُ بأمرِه.

وتقول مثلًا: (بَنَى المَلِكُ قَصْرَه)، هل هو الذي وَضَعَ اللَّبِنةَ على اللَّبَنةِ؟ الجَوَابُ: لا، بل هو أَمَرَ بذلك.

إذَنْ لا يمكنُ للعربِ أبدًا أنْ يُضْمِرُوا شيئًا لا يَدُلُّ عليه اللفظُ في سياقِه، أو يدلُّ عليه لفظٌ آخرُ في موضعٍ آخَرَ.

١١٢٠- بَلْ فِي مَحَلِّ الْـحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فَـإِذَا هُـمُ أَلِفُـوهُ إِلْـفَ لِسَـانِ

١١٢١- حَـذَفُوهُ تَخْفِيفًـا وَإِيجَـازًا فَـلَا يَخْفَـى الْـمُرَادُ بِـهِ عَـلَى الإِنْسَـانِ

إذَنْ الإضمارُ لا يمكنُ أبدًا أنْ يُدَّعى إلَّا إذا جاء، ولو في مَوْضِعٍ، حتى إذا أَلِفَهُ الناسُ سَهُلَ عليهم.

فهم يقولون: (استوى) فيها حذفٌ، والمحذوفُ هو اللامُ، وأصلُها عندهم (استولى).

وهذا باطِلٌ، ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ هذا هو الأصل، لأنَّ هذا الأصلَ لم يُذْكَرْ ولا بنصٍّ واحدٍ، ولا يمكنُ أنْ يُحْذَفَ حرفٌ من كلمةٍ إلَّا بدليلٍ، ولا دليلَ على هذا.

يقول: جَرَتْ عادةُ العربِ أنْ يَحْذِفوا من الكلمةِ ما يحذفون، أو من الجُملةِ ما يَحْذِفون إذا ذَكَرُوها أوَّلًا، حتىَّ يَأْلَفَها اللسانُ، وحتَّى تصير معروفةً عندهم، حينئذٍ رُبَّما يَحْذِفون ذلك اختصارًا، كمسألة الترخيم في النداء، وغير ذلك ممَّا هو معروفٌ عندهم في الحذف، أمَّا بدون دليلٍ، ولا قرينةٍ، ولا استعمالٍ، فهذا لا يُمْكِنُ.

١١٢٢- هَذَا وَمِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ التْـ تَفْسِيرُ بِـ(اسْتَوْلَى) لِـذِي الْعِرْفَـانِ

١١٢٣- قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَـنَّفٍ لِإِمَـامِ[1] هَـ ـذَا الشَّأْنِ بَحْرِ العَالَـمِ الـحَرَّانِـي

قَوْلُهُ: «**لِإِمَامِ هَذَا الشَّأْنِ بَحْرِ العَالَـمِ الـحَرَّانِي**» المرادُ به أحمدُ ابنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- شيخُ الإسلامِ، يَعْنِي: أنه -رَحِمَهُ اللهُ- بحرٌ للعالَـم في العلوم.

وَقَوْلُهُ: «**الـحَرَّانِي**» في نسخة: (**الرَّبَّانِي**).

وشيخُ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- ذَكَرَ في رسالةٍ له أنَّ تَفْسِيرَ (استوى) بـ(استولى)

(١) يشير إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، المولود في حرَّان سنة (٦٦١هـ) المتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ)، وكان آيةً من آيات الله في العلوم النقليَّة والعقليَّة، وقد بارك اللهُ في عمره وعمله وتأليفاته. [الشارح].

باطِلٌ من عِشْرِينَ وَجْهًا، لكنني لا أدري هل هذه الرسالة موجودة أم لا؟ إنما يمكنُ للإنسانِ إذا تَأَمَّلَ هذا، وَجَدَ أنَّ هذا التفسيرَ باطِلٌ من عِدَّةِ أَوْجُهٍ.

إذَنْ هذا واحدٌ من الأنواع الدالة على عُلُوِّ الله، وهو ذِكْرُ استوائِه على عَرْشِهِ، ووَجْهُ كونِ هذا دالًّا على العُلُوِّ أنَّ عَرْشَ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ أَعْلَى المَخْلُوقاتِ على الإطلاقِ، فإذا كان اللهُ مستويًا عليه، لَزِمَ من ذلك أنْ يكونَ عاليًا.

* * *

فصل

١١٢٤- هَـذَا وَثَانِيهَـا: صَرِيحُ عُلُـوِّهِ ... وَلَـهُ بِحُكْـمِ صَرِيحِـهِ لَفْظَـانِ

١١٢٥- لَفْظُ (الْعَلِيِّ) وَلَفْظَةُ (الأَعْلَى) أَتَتْ ... ذُكِـرَتْ مُعَرَّفَـةً لِقَصْـدِ بَيَـانِ[1]

١١٢٦- إِنَّ الْعُلُـوَّ لَـهُ بِمُطْلَقِـهِ عَـلَى التـْ ... ـتَعْمِـيمِ وَالإِطْـلَاقِ بِالْبُرْهَـانِ

١١٢٧- وَلَـهُ الْعُلُـوُّ مِـنَ الْوُجُـوهِ جَمِيعِهَـا ... ذَاتًـا، وَقَهْـرًا، مَـعْ عُلُـوِّ الشَّـانِ

١١٢٨- لَكِـنْ نُفَـاةُ عُلُـوِّهِ سَـلَبُوهُ إِكْـ ... ـمَالَ الْعُلُـوِّ فَصَـارَ ذَا نُقْصَـانِ

١١٢٩- حَاشَاهُ مِنْ إِفْـكِ النُّفَـاةِ وَسَلْبِهِمْ ... فَلَـهُ الْكَمَـالُ الْـمُطْلَقُ الرَّبَّانِـي

١١٣٠- وَعُلُـوُّهُ فَـوْقَ الْـخَلِيقَةِ كُلِّهَـا ... فُطِـرَتْ عَلَيْـهِ الْـخَلْقُ وَالـثَّقَلَانِ

١١٣١- لَا يَسْـتَطِيعُ مُعَطِّـلٌ تَبْـدِيلَهَا ... أَبَـدًا وَذَلِـكَ سُـنَّةُ الـرَّحْمَنِ

١١٣٢- كُـلٌّ إِذَا مَـا نَابَـهُ أَمْـرٌ يُـرَى ... مُتَوَجِّهًـا بِضَـرُورَةِ الإِنْسَـانِ

١١٣٣- نَحْوَ الْعُلُـوِّ فَلَـيْسَ يَطْلُـبُ خَلْفَـهُ ... وَأَمَامَـهُ أَوْ جَانِـبَ الإِنْسَـانِ

الشـرحُ

١١٢٤- هَـذَا وَثَانِيهَـا: صَرِيحُ عُلُـوِّهِ ... وَلَـهُ بِحُكْـمِ صَرِيحِـهِ لَفْظَـانِ

---

(١) هكذا صحَّحه الشيخُ الشارح -رحمه الله-، وقال: «لعلَّ البيتَ هكذا حتَّى يستقيمَ الوزنُ» إذ هو في الأصل: لَفْظُ الْعَلِـيِّ وَلَفْظَةُ الأَعْلَى مُعَرْ ... رَفَـةٌ ذكرت لِقَصْـدِ بَيَـانِ

١١٢٥- لَفْظُ (الْعَلِيِّ) وَلَفْظَةُ (الأَعْلَى) أَتَتْ ذُكِـرَتْ مُعَرَّفَـةً لِقَصْـدِ بَيَـانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَثَانِيهَا» يَعْنِي: هذا هو النوع الثاني من الأدلة على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ عُلوًّا ذاتيًّا، وهو التصريحُ بالعُلُوِّ، وله صِيغتان:

الصيغة الأولى: (العَلِـيُّ) كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وهي هنا صِفَةٌ مُشَبَّهةٌ تدلُّ على أنَّ العُلوَّ وَصْفُه الدائِمُ الثابتُ، لأنَّ مدلولَ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ مع الحدثِ الثبوتُ والاستمرارُ.

الصيغة الثانية: فهي اسم التفضيل (الأعلى) ليفيد أنَّ علوَّه لا يشاركُه فيه أحدٌ، لأنَّ مطلقَ العُلُوِّ قد يشاركه فيه أحدٌ، فتقول مثلًا: (فلانٌ عَلِـيٌّ وفلان عَلِـيٌّ)، لكنَّ العلوَّ الذي اتَّصفَ اللهُ به لا يساويه فيه أحدٌ، ولا يُشارِكُه فيه أحدٌ، ولهذا جاء بلفظ (الأعلى)، دليله قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

إذَنْ فالتصريح بالعُلُوِّ يَشْمَلُ -كما قال ابنُ القَيِّم رحمه الله- العُلُوَّ المُطْلَقَ، فلفظ (العَلِـيُّ)، و(الأعلى) جِيءَ به مُعَرَّفًا بـ (أل) لِيَدُلَّ على العُلُوِّ المُطْلَقِ، ولهذا قال:

١١٢٦- إِنَّ الْعُلُـوَّ لَـهُ بِمُطْلَقِـهِ عَـلَى التـْ تَعْمِـيمِ وَالإِطْـلَاقِ بِالْبُرْهَـانِ

يعني: له العُلُوُّ المُطْلَقُ العامُّ، ثُمَّ ذَكَرَ المؤلفُ أنَّ العلوَّ ثلاثةُ أقسامٍ، فقال:

١١٢٧- وَلَـهُ الْعُلُـوُّ مِـنَ الْوُجُـوهِ جَمِيعِهَـا ذَاتًـا، وَقَهْـرًا، مَـعْ عُلُـوِّ الشَّـانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا» وهي: عُلُوُّ الذات، والثاني: عُلُوُّ القهر، والثالث: عُلُوُّ الشأن، يَعْنِي: عُلُوُّ القَدْرِ، هكذا قَسَّم المؤلفُ العُلُوَّ ثلاثةَ أقسامٍ:

فالأَوَّل: عُلُوُّ الذات، أي: أنه -سبحانه- فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

الثاني: عُلُوُّ القهر، والقهر يَعْنِي الغلبة، فهو غالبٌ لكُلِّ أحدٍ، ومن عُلُوِّ القهر قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد:٣٥]، لكن ما المراد بـ (الأعلون) هنا، هل هو عُلُوُّ المكان؟ الجَوَابُ: لا، بل هو عُلُوُّ القهرِ، لأنَّ المسلمين مع الكُفَّار في الأرض، فالمراد إذَنْ في الآيةِ عُلُوُّ القهر، يَعْنِي: أنتم الأعلون، قاهرون لهم.

إذَنْ عُلُوُّ الذات معناه أنه نفسَه فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وعُلُوُّ القهر، أنه قاهر لكُلِّ شَيْءٍ، لأنَّ العلوَّ يأتي بمعنى القهر.

الثالث: عُلُوُّ الشأن، أي: شأنُه عالٍ، وقَدْرُه عزَّ وجلَّ رفيعٌ، ولهذا قالوا: عُلُوُّ القَدْرِ.

وهذا -لا شكَّ- تَقْسِيمٌ جَيِّدٌ، لكن لو قال قائِلٌ: إنَّ العُلُوَّ نوعانِ: عُلُوُّ ذاتٍ، وعُلُوُّ صِفَةٍ، والصِّفَةُ إمَّا صِفَةُ قَهْرٍ، أو صِفَةُ قَدْرٍ وشَرَفٍ، أمَّا عُلُوُّ الذاتِ فهو العَلِـيُّ الأَعْلى بذاتِهِ، وأمَّا عُلُوُّ الصِّفَةِ فإنَّ له الوصفَ الأعلى من كُلِّ وجهٍ لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، إذا قُلْنَا بهذا صارَ أَخْصَرَ، وربَّما يكونُ أعمَّ أيضًا، لأنَّ القهرَ والقدرَ لم يُحِيطَا بجَميعِ الصِّفاتِ.

فنحن نقولُ: له عُلُوُّ القَدْرِ، وعُلُوُّ القَهْرِ، وعُلُوُّ السَّمْعِ، وعُلُوُّ البَصَرِ، فيكونُ قولُنا: عُلُوُّ الله نوعان: (عُلُوُّ ذاتٍ)، و(عُلُوُّ صِفَةٍ) أخصرُ وأشملُ.

١١٢٨- لَكِــنْ نُفَــاةُ عُلُــوِّهِ سَــلَبُوهُ إِكْـــ ـــمَالَ الْعُلُــوِّ فَصَــارَ ذَا نُقْصَــانِ

الذين سلبوا إكمالَ العُلُوِّ قالوا: إنه عالٍ قهرًا وشأنًا، وليس عَلِيًّا ذاتًا، إذَنْ نَقَصُوا معنى العُلُوِّ.

١١٢٩- حَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْـمُطْلَقُ الرَّبَّانِي

قَوْلُهُ: «فَلَهُ الْكَمَالُ الْـمُطْلَقُ الرَّبَّانِي» يَعْنِي: له -جلَّ وعلا- الكمالُ المُطْلَقُ من كُلِّ وجهٍ.

١١٣٠- وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْـخَلِيقَةِ كُلِّهَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْـخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ

هذا الدليلُ فِطْرِيٌّ، فالدليلُ الفِطْرِيُّ على عُلُوِّ الله لا أحدَ يُمارِي فيه، ولذلك الذين يُنْكِرونَ عُلُوَّ الله إذا دَعَوُا اللهَ فإنهم يَنْصَرِفونَ إلى العُلُوِّ.

تَجادَلَ رَجُلانِ في مِنًى في يومِ العِيدِ في عُلُوِّ الله الذاتِيِّ، فقال النافي: إنه ليس فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بذاتِهِ. فقَالَ له صاحِبُهُ: أنت -أمسِ- واقِفٌ بعَرَفَةَ تَدْعُو اللهَ؟ قال: نعم. قال: أين رَفَعْتَ يَدَيْكَ؟ هل قُلْتَ: (يا رَبِّي)، هكذا مشيرًا إلى الأرضِ، أو قُلْتَ: (يا ربِّي)، هكذا مشيرًا إلى السَّماءِ؟ قال: قُلْتُ: (يا ربِّي) مشيرًا إلى السَّماء، فقال: أنت الآن حكمتَ على نَفْسِكَ، كيف تُوَجِّهُ يَدَيْكَ إلى فوقُ، وأنت تدعو اللهَ وتقول: إنَّ اللهَ ليس فَوْقُ؟!

ولهذا لا يمكنُ أبدًا لهؤلاء النُّفَاةِ أنْ يَحِيدوا عن هذا الدليلِ الفِطْرِيِّ.

١١٣١- لَا يَسْتَطِيعُ مُعَطِّلٌ تَبْدِيلَهَا أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «سُنَّةُ الرَّحْمَنِ» أي: طريقتُه التي فَطَرَ الْـخَلْقَ عليها، فجميعُ الناس مَفْطورونَ على أنَّ اللهَ عالٍ بذاتِه، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١١٣٢- كُلٌّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الإِنْسَانِ

١١٣٣- نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الإِنْسَانِ

وهل هذا صحيحٌ أو غيرُ صحيحٍ؟ الجَوَابُ: صحيحٌ، فالكُلُّ يَدْعو مُتوجِّهًا إلى جِهةِ العُلُوِّ وَحْدَها.

ولذلك قَالَ أبو جَعْفرٍ الهَمَذَانِيُّ[١] لأبي المَعَالي الجُوَيْنِيِّ[٢] وهو يُقَرِّرُ نَفْيَ عُلُوِّ الله في قَوْلِهِ: «كان اللهُ ولا عَرْشَ، وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». فقَالَ له أبو جَعْفرٍ الهَمَذَانِيُّ: «يا شيخُ، دَعْنا مِن ذِكْرِ العَرْشِ».

لماذا يقولُ: دَعْنَا منه؟ الجَوَابُ: لأنَّ دَلِيلَه سَمْعِيٌّ، وليس فِطْرِيًّا، والسَّمْعِيُّ قابِلٌ للتأويلِ ولو تحريفًا.

«أَخْبِرْنا عن هذه الضَّرورةِ التي نَجِدُها في قُلوبِنا، فإنه ما قال عَارِفٌ قَطُّ: يا اللهُ، إلا وَجَدَ من قلبِه ضَرورةً بطَلَبِ العُلُوِّ، ولا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، فكيفَ نَدْفَعُ هذهِ الضَّرورةَ عن قُلوبِنَا؟».

فصَرَخَ أبو المَعالِـي ولَطَمَ على رأسِهِ، وقال: «حَيَّرَني الهَمَذَانِيُّ حَيَّرَني الهَمَذَانِيُّ»[٣].

تَحَيَّرَ، لأنَّ هذا دليلٌ فِطْرِيٌّ لا يُمْكِنُ النِّزاعُ فيه، كما قَالَ ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-.

قَوْلُهُ: «**نَحْوَ الْعُلُوِّ... إلخ**» وهذا صحيح، أين تطلبُ ربَّك إذا دعوتَه؟

---

(١) أبو جعفر الهمذاني الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأثبات، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، الهمذاني توفي سنة (٥٣١هـ). ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠١).

(٢) **أبو المعالي الجويني**: إمامُ الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ولد في جوين من أعمال نَيْسَابُور سنة (٤١٩هـ)، وأقام مدةً بالحجاز (مكة والمدينة) كان من أعلم المتأخرين من الشافعية، تُوُفِّي بقرية من أعمال نيسابور سنة (٤٧٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨).

(٣) انظر: كتاب الاستقامة (١/ ١٦٧).

هل تطلبُه من فَوْق أو من يسار أو من أمام أو من خلف؟! الجَوَابُ: من فوق.

لكن لو قَالَ قائِل: إذا قُلْت لهؤلاء: لماذا ترفعون أيديَكم إلى السَّماءِ؟ يقولون: لأنَّ السَّماءَ أفضلُ الجهاتِ؟

فنقولُ لهم: ماذا تَقُولُونَ: هل أنتم تَقُولُونَ: (يا سَمَاءُ)؟! أنتم تقولون: (يا الله)، إذَنْ هو في الجِهَةِ التي هي أفضلُ الجِهَاتِ، لأنكم أنتم -الآن- إذا رَفَعْتُم أَيْدِيَكم تُنادُون اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا تَقُولُونَ: (يا سَمَاءُ)، وتَقُولُونَ: دَعَوْناها، لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الجِهاتِ، إنما دَعَوْتُم اللهَ الذي هو في أَفْضَلِ الجِهاتِ.

لكن لو قَالَ قائِلٌ: ما الفَرْقُ بين قولِ مَنْ يقولُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ فَوْقُ في مكانٍ، وبين قولِ مَنْ يقولُ: إنَّ اللهَ فَوْقُ لا في مكانٍ؟

نَقُولُ: هذا تَناقُضٌ، إِلَّا إذا قَصَدَ بقَوْلِهِ: (لا في مَكانٍ) أي: ليس في مَكانٍ يَحْصُرُهُ، كما نحن الآن في المسجدِ، والجُدرانُ أَمَامَنا ويَمِينَنا وشِمالَنا ووراءَنا، أمَّا إنْ لم يَكُنْ يَقْصِدُ ذلك فهذا تَنَاقُضٌ واضِحٌ، ثُمَّ نقولُ لهم: أأنتم أَعْلَمُ أم الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- الذي قَالَ للجاريةِ «أَيْنَ اللهُ؟»[1]، وهذه صِفَةٌ مُبَيِّنَةٌ عن المَكَانِ باتِّفاقِ أهلِ اللغةِ.

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

١١٣٤- وَنِهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وتَخْـ ـمِيشٌ وتَغْبِيرٌ عَلَى الإِيمَانِ

١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضَ المَعْلُومِ والْـ ـمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الإِنْسَانِ

١١٣٦- فَمِنَ الْمُحَالِ القَدْحُ فِي المَعْلُومِ بِالشْـ ـشُبُهَاتِ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلانِ

١١٣٧- وَإِذَا البَدَائِهُ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشْـ ـشُبُهَاتُ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى بُطْلانِ

١١٣٨- شَتَّانَ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضٌ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِي

١١٣٩- وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الإِلَهُ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلانِ

الشَّرحُ

١١٣٤- وَنِهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وتَخْـ ـمِيشٌ وتَغْبِيرٌ عَلَى الإِيمَانِ

هذه نهايةُ الشُّبُهَاتِ التشكيكُ والتَّخْمِيشُ وهو أَشَدُّ مِن التَّشْكِيكِ، والتَّغْبِيرِ، فالشُّبُهَاتُ -والعياذ بالله- إذا أُلْبِسَتْ في القَلْبِ -نَسْأَلُ اللهَ العافيةَ- فهذه نِهَايَتُها، يَبْقَى الإنسانُ في شَكٍّ وحَيْرةٍ، ولا يستطيعُ التخلُّصَ منها إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.

١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضَ المَعْلُومِ والْـ ـمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الإِنْسَانِ

يعني: ما ثَبَتَ بِبَدَاهَةِ العُقُولِ أو مِن المَعْلومِ مِن المَنْقولِ هل يمكنُ لهذه الشُّبُهات التي تَرِدُ على الإنسانِ أنْ تُعَارِضَ ذلك؟ الجَوَابُ: لا.

فلا يُمْكِنُ أبدًا، لِأَنَّ الـمَعْلومَ تَزُولُ به الشُّبَهُ، والـمَعْقُولُ تَبطُلُ به الشُّبَهُ أيضًا.

١١٣٦- فَمِنَ المُحَالِ القَدْحُ فِي المَعْلُومِ بِالشْـ ـــشُبُهَاتِ هَــذَا بَــيِّنُ الْـبُطْلانِ

يعني: الشيءُ المَعْلُومُ هل يُمْكِنُ أنْ تُبْطِلَه الشُّبُهَاتُ؟

الجَوَابُ: أبدًا، أنا إذا قيل لي: هذا فلانٌ، وأنا أَعْرِفُ أنه فلانٌ، وجاءَ إنسانٌ يُشَكِّكُني فيه، هل يَرِدُ على قلبي شَكٌّ؟

الجَوَابُ: أَبَدًا، مهما كان، فالشيءُ المعلومُ لا يُمْكِنُ أنْ تُبْطِلَه الشُّبُهَاتُ.

١١٣٧- وَإِذَا البَدَائِـهُ قَابَلَتْهَـا هَـذِهِ الشْـ ـــشُبُهَاتُ لَـمْ تَحْـتَجْ إِلَى بُطْـلانِ

أيضًا الشُّبُهاتُ هل يمكنُ أنْ تُبْطِلَ ما يُعْلَمُ بالبَدَاهَةِ؟

الجَوَابُ: لا يمكنُ أبدًا، ولذلك حُجَّةُ مَنْ أَنْكَرَ عُلُوَّ الله أنهم قالوا: لو كانَ فوقُ بذاتِهِ، لَزِمَ أنْ يكونَ محدودًا بحدٍّ، والله تعالى لا يَحُدُّه شَيْءٌ.

فهذه شُبْهةٌ لكن لا تُبْطِلُ أبدًا ما كان معلومًا بالسَّمعِ أو معقولًا بالبَدَاهةِ.

١١٣٨- شَــتَّانَ بَــيْنَ مَقَالَــةٍ أَوْصَى بِهَــا بَعْــضٌ لِــبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِــي

١١٣٩- وَمَقَالَــةٍ فَطَــرَ الإِلَــهُ عِبَــادَهُ حَقًّــا عَلَيْهَــا مَــا هُمَــا عِــدْلانِ

قَوْلُهُ: «مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا» هي مَقَالةُ المُعَطِّلَةِ الذين أَنْكَرُوا عُلُوَّ الله.

صحيحٌ، شَتَّانَ بينَ مَقَالَةٍ فطَرَ اللهُ الْـخَلْقَ عليها ومَقَالَةٍ أَوْصَى بها أَوَّلٌ للثاني مَبْنِيَّةٍ على الشُّبُهاتِ، فبَيْنَ المَقَالَتَيْنِ كما بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وكما بينَ السَّماءِ والأرضِ، لكن ما هي المَقَالَةُ التي فَطَرَ اللهُ العِبادَ عليها؟

الجَوَابُ: هي قولُنا: إنَّ اللهَ بذاتِه فَوْقَ جَميعِ المَخلوقاتِ.

وأَمَّا المَقَالَةُ التي أَوْصَى بها بعضُهم لبعضٍ قالوا: لا تقولوا: إِنَّ اللهَ فَوْقَ العالَمِ بذاتِه، لا تقولوا هذا أبدًا.

لكن ماذا نقولُ؟ لهم في ذلكَ طَرِيقانِ: إِمَّا أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللهَ لا فَوْق ولا تَحْت، ولا يَمِين ولا شِمال، ولا داخِلَ العالَمِ ولا خارجَه، ولا مُتَّصِل بالعالَمِ ولا مُنْفَصِل عنه، هذا قولٌ، أو تَقُولَ: إِنَّ اللهَ بذاتِهِ في كُلِّ مكانٍ، هذانِ قولانِ.

القولُ الثالث -وهو قولُ أهلِ الحقِّ-: إِنَّ اللهَ بذاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وهذا هو الذي ساق المؤلفُ الأدلةَ لإثباتِه.

* * *

فصـــل

١١٤٠- هَذَا وثَالِثُهَا: صَرِيحُ الْفَـوْقِ مَصْـ ـحُوبًا بِـ(مِنْ) وبِـدُونِهَا نَوْعَـانِ:

١١٤١- إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِـلُ التَّأْوِيـلِ وَالْـ أَصْـلُ الْـحَقِيقَةُ وَحْـدَهَا بِبَيَـانِ

١١٤٢- فَـإِذَا ادَّعَـى تَأْوِيـلَ ذَلِـكَ مُـدَّعٍ لَـمْ تُقْبَـلِ الـدَّعْوَى بِـلَا بُرْهَـانِ

١١٤٣- لَكِنَّمَا الْـمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِـلِ التْـ تَأْوِيـلِ فِي لُغَـةٍ وَعُـرْفِ لِسَـانِ

١١٤٤- وَأَصْـخِ لِفَائِـدَةٍ جَلِيـلٍ قَـدْرُهَا تَهْـدِيكَ لِلتَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

١١٤٥- إِنَّ الْكَــلَامَ إِذَا أَتَــى بِسِــيَاقَةٍ يُبْـدِي الْـمُرَادَ لِـمَنْ لَـهُ أُذُنَـانِ

١١٤٦- أَضْحَى كَنَصٍّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَـلُ التْـ تَأْوِيـلَ يَعْـرِفُ ذَا أُولُـو الْأَذْهَـانِ

١١٤٧- فَسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْـلُ شَـوَاهِدِ الْـ أَحْــوَالِ إِنَّهُــمَا لَنَــا صِــنْوَانِ

١١٤٨- إِحْـدَاهُمَا لِلْعَـيْنِ مَشْـهُودٌ بِهَـا لَكِــنَّ ذَاكَ لِــمَسْمَعِ الْإِنْسَــانِ

١١٤٩- فَـإِذَا أَتَـى التَّأْوِيـلُ بَعْـدَ سِـيَاقَةٍ تُبْدِي الْـمُرَادَ أَتَى عَـلَى اسْـتِهْجَانِ

١١٥٠- وإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَـوَاهِدِ الْـ أَحْـوَالِ كَـانَ كَـأَقْبَحِ الْكِـتْمَانِ

الشـــرحُ

في هذه القطعة بيَّنَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- النوعَ الثالثَ من أدلة العُلُوِّ، وهو التَّصريحُ بالفوقيَّة، وذكَرَ أنها نوعان: إحداهما مقرونةٌ بـ(مِنْ)، والثانيةُ مطلقةٌ،

ففي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، هذه غيرُ مُقيَّدةٍ بـ(مِنْ)، فهي مطلقةٌ، وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، هذه مقيَّدةٌ بـ(مِنْ).

ويقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-: إنَّ التي لم تُقيَّدْ بـ(مِنْ) تَحتمِلُ التأويلَ، أمَّا الـمُقَيَّدَةُ بـ(مِنْ) فإنها لا تَحتمِلُ التأويلَ.

الأُولى تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وهي أنْ تكونَ الفوقيَّةُ فَوْقيَّةَ الشأْنِ والصِّفَةِ، كما تقولُ مثلًا: (الـذهبُ فَوْقَ الفِضَّةِ)، يَعْنِي: في الشَّرَفِ والقِيمةِ.

أمَّا (مِنْ) في قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥]، فإنها لا تحتملُ التأويلَ، لِأَنَّهَا صريحةٌ في أنَّ المرادَ فوقيَّةُ المكانِ، وأنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ جَميعِ الـخَلْقِ، فإنْ كانت هذه لا تحتملُ التأويلَ وَجَبَ أنْ تُحْمَلَ تلك على هذهِ حتَّى يَتَّفِقَ النَّصَّانِ.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- على التأويلِ الأوَّلِ أنَّ المُطْلَقَ يَحْتَمِلُ التأويلَ: لا نَقْبَلُ التأويلَ، لأنَّ الأصلَ الحقيقةُ، ثُمَّ ذَكَرَ قاعدةً مُهِمَّةً، وهي أنه إذا أتى اللفظُ بِسِياقِهِ مُبيِّنًا للمُرَادِ، فإنه لا يُقْبَلُ تأويلُه، لِأَنَّهُ يكون كالصريحِ، كما أنَّ شواهِدَ الأَحْوالِ كالصريحِ عندَ كِتْمانِ الشيءِ، إذا كَتَمَ الإنسانُ شيئًا، وكانت شَوَاهِدُ الأَحْوالِ تَدُلُّ على كَذِبِهِ صارت هذه الشَّوَاهِدُ كالصريحِ.

قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٤٠- هَذَا وثَالِثُهَا: صَرِيحُ الْفَـوْقِ مَصْـ ـحُوبًا بِـ(مِنْ) وبِـدُونِهَا نَوْعَـانِ:

قَوْلُهُ: «مَصْحُوبًا بـ(مِنْ) وبِدُونِها» كم يكون؟ الجَوَابُ: نَوْعَانِ.

١١٤١- إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِـلُ التَّأْوِيـلِ وَالْـ أَصْـلُ الْـحَقِيقَةُ وَحْـدَهَا بِبَيَـانِ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ» ما هو قَابِلُ التأويلِ؟

الجَوَابُ: الذي بدون (مِنْ).

قَوْلُهُ: «والأَصْلُ الحَقِيقَةُ وَحْدَهَا بِبَيَانِ» يَعْنِي: حتَّى على قَوْلِنا بأنه قابلُ التأويلِ فالأصلُ الحقيقةُ وعَدَمُ التَّأْوِيلِ.

١١٤٢- فَـإِذَا ادَّعَـى تَأْوِيـلَ ذَلِـكَ مُـدَّعٍ لَـمْ تُقْبَـلِ الـدَّعْوَى بِـلَا بُرْهَـانِ

إذا ادَّعى تأويلَ ذلك مُدَّعٍ، وقال: إِنَّ المُرَادَ بكذا كذا. على خِلَافِ اللَّفْظِ، فإنه يقولُ: لم تُقْبَل الدَّعْوى بلا بُرهانٍ، أي: بلا دليلٍ، يَعْنِي: أنه يُحْمَلُ الكلامُ على حَقيقتِهِ وأصلِه، ولا تُقْبَلُ دعوى التأويلِ إِلَّا بدليلٍ.

١١٤٣- لَكِنَّمَا الْـمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِـلِ التْـ تَأْوِيـلِ فِي لُغَـةٍ وَعُـرْفِ لِسَـانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْـمَجْرُورُ» أي: بـ(مِنْ)، كقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، (لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ)، لأنَّ الفوقيَّةَ المَعْنَوِيَّةَ فوقيَّةَ الشَّأْنِ لا تأتي بـ(مِنْ)، فـ(مِنْ) تأتي لابتِداءِ المكانِ، فيكون مكانُ الله عزَّ وجلَّ فوقُ، ولا تَقْبَلُ غيرَ هذا.

١١٤٤- وَأَصْـخِ لِفَائِـدَةٍ جَلِيـلٍ قَـدْرُهَا تَهْـدِيكَ لِلتَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

قَوْلُهُ: «وَأَصْخِ» يَعْنِي: استَمِعْ.

قَوْلُهُ: «لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» بَيَّن هذه الفائِدَةَ بقَوْلِهِ:

١١٤٥- إِنَّ الْكَـلَامَ إِذَا أَتَـى بِسِـيَاقَةٍ يُبْـدِي الْـمُرَادَ لِـمَنْ لَـهُ أُذُنَـانِ

١١٤٦- أَضْحَى كَنَصٍّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التْـ   تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أُولُو الْأَذْهَانِ

يعني: إذا أتى الكلامُ بسياقةٍ مُعيَّنةٍ، أي: بصيغةٍ مُعيَّنةٍ، فإنه (يُبْدِي المُرَادَ)، يَعْنِي: يُظْهِرُهُ.

قَوْلُهُ: «أَضْحَى كَنَصٍّ قاطِعٍ لا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ» يَعْنِي: إذا كان سِياقُه يُبْدِي المُرَادَ فإنَّ هذا يكون كالنَّصِّ القاطعِ الصريحِ لا يَقْبَلُ التأويلَ.

وهذا واضحٌ، بل أَبْلَغُ من هذا نفسُ نَبَراتِ الإنسانِ يختلفُ بها المعنى، فإذا زَجَرَ الإنسانُ صَبِيًّا قائِلًا له: يا ولد كيف فعلتَ هذا الشيءَ؟ هل مثل أنْ يقول له: لماذا سوَّيتَ هذا؟

الجَوَابُ: لا، فالأوَّلُ أبلغُ في الزَّجْرِ.

فالسياقُ، والأحوالُ، وكذلك نَبَراتُ الأصواتِ، وغيرُ ذلك كُلُّها تدلُّ على المعنى المُرَادِ، وهذا شَيْءٌ قد فُطِرَ الناسُ عليه.

١١٤٧- فَسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْـ   أَحْوَالِ إِنَّهُمَا لَنَا صِنْوَانِ

يعني: أنَّ سِياقَةَ الأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ، كُلٌّ منهما يُعَيِّنُ المُرَادَ.

شَوَاهِدُ الأَحْوَالِ -أحيانًا- تكونُ كالصريحِ، ولعلَّه ليسَ ببعيدٍ عنكم قِصَّةُ عَمِّ حُيَيِّ بنِ أَخطَبَ حينما أَنْكَرَ مالَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ[1]، فعن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن رسولَ الله ﷺ قاتَلَ أهل خَيْبَرَ حتى أَلْجَأَهُم إلى قَصْرِهم، فغَلَبَ على الأرضِ والزَّرْعِ والنَّخْلِ، فصَالَحُوه على أنْ يُجْلَوْا مِنها ولهم ما حَمَلت رِكَابُهم،

(١) حيي بن أخطب بن سَعْية بن عامر بن عُبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حَبيب بن النَّضيرِ بن النَّحّام بن يَنْحوم من بني إسرائيل. وهو والد صفية زوج النبي ﷺ، وسيد بني النضير. جاء ذكره في ترجمة صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٢٠).

ولرَسُولِ الله ﷺ الصَّفْراءُ والبَيْضاءُ، ويَخْرُجونَ مِنْها، واشْتَرَطَ عليهم ألا يَكْتُموا ولا يُغَيِّبوا شيئًا، فإنْ فَعَلُوا فلا ذِمَّة لهم ولا عَهْدَ، فغَيَّبوا مَسْكًا فيه مالٌ وحُلِيٌّ لحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ كانَ احْتَمَلَهُ معَه إلى خَيْبَرَ حين أُجْلِيَت النَّضِيرُ، فقال رسول الله ﷺ لعَمِّ حُيَيٍّ: «مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جاءَ به مِن النَّضِيرِ؟». فقالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقاتُ والحُروبُ. فقال: «العَهْدُ قَرِيبٌ، والْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ». فدَفَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى الزُّبَيْرِ فمَسَّه بعَذَابٍ، وقد كانَ حُيَيٌّ قبلَ ذلك دَخَلَ خَرِبَةً، فقال: قَدْ رَأَيْتُ حُيَيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ ههنا. فذَهَبُوا وطَافُوا فوَجَدُوا المَسْكَ في الخَرِبَةِ.[1] والمسك يَعْنِي: جلد الثور.

الشاهد من هذا أنَّ قَرائِنَ الأحوالِ صارت كالصريح، وكشواهِدِ الألفاظ، يَعْنِي: كأنَّ هذه القرينةَ قالت لهم: إنَّ عنده مالًا، ولم يَنْفَدْ مالُه.

قَوْلُهُ: «صِنْوَانِ» الصِّنْوَانِ هما الفَرْعَانِ مِن أَصْلٍ واحِدٍ، قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- لعُمَرَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[2].

١١٤٨- إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا ... لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا» يَعْنِي: القَرائِنَ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ ذَاكَ» يَعْنِي: سِيَاقَ الأَلْفَاظِ (لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ) يَعْنِي: إذا سَمِعَ الإنسانُ شيئًا وتَفَهَّمَ السِّياقَ عَرَفَ دَلالَتَهُ على المُرادِ، والسِّياقُ يَجْعَلُ المُرادَ بالقرائِنِ كأنه صريحٌ.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب من رأى قسمة الأراضي، برقم (١٨٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم (٩٨٣).

١١٤٩- فَـإِذَا أَتَـى التَّأْوِيـلُ بَعْـدَ سِـيَاقَةٍ تُبْدِي الْـمُرَادَ أَتَى عَـلَى اسْـتِهْجَانِ

وهذا صَحِيحٌ، إذا أتى التأويلُ وهو صَرْفُ اللفظِ عن ظاهِرِهِ بعدَ سِيَاقةٍ تُبْدِي المُرَادَ، ماذا يكون هذا التأويلُ؟

الجَوَابُ: يَكُونُ مُسْتَهْجَنًا، مَرْدُودًا، لا يُقْبَلُ، لأنَّ السِّياقَ يُعَيِّنُ المعنى، حتَّى وإنِ احتَمَلَ مُجَرَّدُ اللَّفْظِ مَعْنًى آخَرَ فإنَّ السِّياقَ يَمْنَعُ هذا المَعْنَى الآخَرَ.

١١٥٠- وإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَـوَاهِدِ الْـ أَحْـوَالِ كَـانَ كَـأَقْبَحِ الْكِـتْمَانِ

وهذا -أيضًا- صحيحٌ، فإذا أتى الكِتْمانُ بعدَ شَواهِدِ الأحوالِ صارَ مِن أقْبَحِ الكِتمانِ، كقضيةِ الرجُلِ الذي ذَكَرْنا، وهو حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، فشَواهِدُ الأحوالِ تَدُلُّ على أنَّ له مالًا موجودًا.

والكِتمانُ في هذا الموضعِ هو فوقيَّةُ الله عزَّ وجلَّ بذاتِهِ.

فإذا أَتَى الكِتْمانُ بعدَ شَواهِدِ الأَحْوَالِ كانَ مِن أَقْبَحِ الكِتْمانِ، لأنَّ الواجِبَ إجراءُ اللفظِ على ما يَقْتَضِيهِ السِّياقُ، وعلى ما تَقْتَضِيهِ الأحوالُ، وقد مَثَّلْنا فيما سَبَقَ بأنَّ الإنسانَ يَختلفُ معنى كلامِهِ بِنَبَرَاتِ صوتِهِ ومُخاطَبَةِ الناسِ، فالشواهِدُ لا بُدَّ منها.

***

١١٥١- فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَـاظَ وَانْظُـرْ مَـا الَّـذِي سِـيقَتْ لَـهُ إِنْ كُنْـتَ ذَا عِرْفَـانِ

١١٥٢- وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِـنْ كُـلِّ الْوُجُـوهِ لِفَـاطِرِ الْأَكْـوَانِ

١١٥٣- لَكِـنْ نُفَـاةُ الْفَـوْقِ مَـا وَافَـوْا بِـهِ جَحَـدُوا كَـمَالَ الْفَـوْقِ لِلـدَّيَّانِ

١١٥٤- بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدْرَ الله أَعْـ ـلَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ

١١٥٥- قَالُوا: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ:

١١٥٦- هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

١١٥٧- وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا لله ثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ

١١٥٨- هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقُ الْقَهْرِ وَالْـ ـفَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

الشرحُ

١١٥١- فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانْظُرْ مَا الَّذِي سِيقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

يقولُ المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: (تَأَمَّلِ الأَلْفَاظَ وَانْظُرْ مَا الَّذِي سِيقَتْ لَهُ) لأنك إذا تأمَّلْتَ الألفاظَ ونظرتَ ما الذي سيقت له عَيَّنَتْ لك المُرَادَ، وذلك لأنَّ الإنسانَ لا ينبغي أنْ ينظرَ إلى الألفاظِ مُجَرَّدةً عن قرائِنِ السِّياقِ، لأنَّ الألفاظَ نفسَها مُجَرَّدةٌ ليس لها معنًى إِلَّا بالسِّياقِ، فالسِّياقُ هو الذي يُظْهِرُ معناها، ولهذا رُبَّ كلمةٍ تكونُ في هذا السِّياقِ لَمعْنًى، وفي سياقٍ آخَرَ لِمَعْنًى آخَرَ.

إذَنْ تأمَّلِ السِّياقَ، وانظُرْ لِأَيِّ شَيْءٍ جاءَ هذا السِّياقُ، فإذا جاءَ لإثباتِ الفَوقيَّةِ تَعَيَّنَ أنْ يكونَ المُرَادُ بالفَوقيَّةِ فوقيَّةَ الذاتِ، وهذا مِثالٌ، وإلَّا فالقاعدةُ أنَّ السِّياقَ يُعَيِّنُ المُرَادَ.

١١٥٢- وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

يعني: أنَّ الفوقَ وصفٌ ثابتٌ بالذاتِ مِن كُلِّ الوُجُوهِ لله فاطِرِ الأكوانِ، و(فاطرُ الأَكْوَانِ) هو الذي خَلَقَها ابتداءً على غيرِ مِثالٍ سَبَقَ، ولهذا قالوا:

(فاطِرُ السَّمَوَات) أي: مُنْشِئُهَا على غيرِ مِثَالٍ سَبَقَ، يَعْنِي: مُنشِئَها لأوَّلِ مَرَّةٍ، فالذي فَطَرَ الأكوانَ مِنْ غيرِ مِثالٍ سابِقٍ هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

١١٥٣- لَكِـنْ نُفَـاةُ الْفَـوْقِ مَـا وَافَـوْا بِـهِ جَحَـدُوا كَـمَالَ الْفَـوْقِ لِلـدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ نُفَاةُ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ» يَعْنِي: ما أَتَوْا به وافيًا.

ونُفَاةُ الفَوْقِ هم: الجَهْمِيَّةُ[1]، والأشاعِرةُ[2]، ونَحْوُهُما مِمَّن يُنْكِرونُ العُلُوَّ الذاتِيَّ، فهؤلاء جَحَدُوا كَمَالَ الفوقِ للدَّيَّانِ.

١١٥٤- بَـلْ فَسَّـرُوهُ بِـأَنَّ قَـدْرَ الله أَعْـ ـلَى لَا بِفَـوْقِ الـذَّاتِ لِلـرَّحْمَنِ

إذَنْ فَسَّروا الفوقيَّةَ بالقَدْرِ، أي: فوقيَّة المعنى فَقَطْ.

١١٥٥- قَالُوا: وَهَذَا مِثْـلُ قَـوْلِ النَّـاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَـالِصِ الْعِقْيَـانِ:

١١٥٦- هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الفِضَّةِ الْبَيْضَـاءِ لَا بِالـذَّاتِ بَـلْ فِي مُقْتَضَـى الْأَثْـمَانِ

فالذهبُ فوقَ الفِضَّةِ، والبِلاتينُ فوقَ الذهَبِ، والصوفُ فوقَ القُطنِ، والمسجدُ فوقَ السورِ، هذه فَوْقِيَّةُ القَدْرِ.

---

(١) هم أصحاب جَهْم بن صفوان، وهو مِن الجَبرية الخالصة، ظهرت بدعته بِتِرْمِذَ، وقتَلَه سَلْم بن أَحْوَز المازني بِمَرْو في آخر مُلك بَني أُمية، وافق المُعْتَزِلَة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء: منها قوله: لا يجوز أن يُوصف الباري تعالى بِصِفَةٍ يُوصَف بها خَلْقُه، لأن ذلك يقضي تشبيهًا، فنفى كونَه حيًّا عالمًا، وأثبت كونَه: قادرًا، فاعلًا، خالقًا، لأنه لا يوصف شيء مِن خَلْقِه بالقُدْرَة والفِعل والخَلق. انظر: الملل والنِّحَل للشهرستاني (١/ ٨٦).

(٢) هم أصحاب الأشعري: عليُّ بن إسماعيل، أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، كان من أئمة المتكلِّمين المجتهدين، أسَّس مذهب الأشاعرة، ولد سنة (٢٦٠هـ) في البصرة، وتلقَّى مذهب المعتزلة، وتقدَّم فيهم، ثُمَّ رجع وجاهر بخلافهم، والتزم مذهب أحمد بن حنبل، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ).

فقالوا: هذه الفوقيَّةُ لله هي فوقيَّةُ القَدْرِ، أمَّا الذاتُ فلا.

قَوْلُهُ: «**العِقْيَان**» اسمٌ للذَّهَبِ.

ثُمَّ بَيَّنَ المؤلفُ أنَّ الفوقَ ثلاثةُ أَنْوَاعٍ كالعُلُوِّ، فقال:

١١٥٧- وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا ... لله ثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ

١١٥٨- هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقُ الْقَهْرِ وَالْـ ... ـفَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «**هَذَا الَّذِي قَالُوا**» يَعْنِي: فَوْقَ القَدْرِ.

قَوْلُهُ: «**والفَوْقِيَّةُ العُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ**» أي: فَوْقُ الذَّاتِ.

فجَعَلَ المُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- فَوْقِيَّةَ الله كعُلُوِّ الله، فَوْقِيَّةَ قَدْرٍ، وقهرٍ، وذاتٍ، وهي كُلُّها ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ.

الآن إذا قُلْتُم: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)، ما الذي يَتبادَرُ إلى أَذْهانِكُم؟ الجَوَابُ: يَتَبَادَرُ عُلُوُّ الذاتِ، أمَّا عُلُوُّ المَعْنَى فيَغِيبُ عن كثيرٍ من الناسِ، حتى طُلابُ العِلْمِ قد لا يَسْتَحْضِرُونَ عُلُوَّ المعنى عندَ قولِهم: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)، ولكن نَقُولُ: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فلا هاديَ له.

* * *

فصل

١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْـ أَمْـلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

١١٦٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْـ ـتَمَلَا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ

١١٦١- فِي سُورَةٍ فِيهَا الْـمَعَارِجُ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْـحُسْبَانِ

١١٦٢- وَبِسَجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ

١١٦٣- يَوْمُ الْـمَعَادِ بِذِي الْـمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الآنِ

١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدَّيَّانِ

١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ وَذَا ضِعْفَانِ

١١٦٧- لَكِنَّمَا الْـخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةُ السْـ ـسَبْعِ الطِّبَاقِ وَبُعْدُ ذِي الأَكْوَانِ

١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الحَضِيضِ الأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الْـ ـبَغَوِيُّ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي

١١٧٠- وَمُجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَـ ـكِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ الْـجَلِيلَ الشَّانِ

١١٧١- قَالَ: الْـمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالعَرْشِ ذَا الْـ ـمِقْدَارُ فِي سَيْرٍ مِنَ الإِنْسَانِ

١١٧٢- وَالْقَوْلُ الاَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةٍ وَقَوْ لُ قَتَادَةٍ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ

١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الحَسَنُ الرِّضَا وَرَوَاهُ عَنْ بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ

١١٧٤- وَيُرَجِّحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ:

١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَانِعٍ لِزَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الأَعْيَانِ

١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَنْبَانِ

١١٧٧- خَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَاكَ الْيَوْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ

١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْ مٌ وَاحِدٌ مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ

١١٧٩- قَالُوا: وَإِيرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـ ـمَضْمُونَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التِّبْيَانِ

١١٨٠- فَانْظُرْ إِلَى الإِضْمَارِ ضِمْنَ (يَرَوْنَهُ) و(نَرَاهُ) مَا تَفْسِيرُهُ بِبَيَانِ

١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَذَا بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالْجِيرَانِ

١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدْ دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ

١١٨٣- فَنُزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ كَنُزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ

١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إِذَنْ شَأْنَانِ

١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ

١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيَّ وَعِلْمُهَا الْـ ـمَوْكُولُ بَعْدُ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلَا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الإِمْكَانِ

١١٨٨- واللهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ ... وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

الشرحُ

هذا الفصلُ فيما يتعلّقُ بالنوع الرابع من الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ على عُلُوِّ الله -جلَّ وعلا-، يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْـ ... أَمْلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَرَابِعُهَا» يَعْنِي: رابعَ الأنواعِ الدَّالَّةِ على عُلُوِّ الله بذاتِهِ.

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ الرُّوحِ والأَمْلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ» كما قَالَ الله تعالى: ﴿ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣-٤] الملائكة معروفة.

قَوْلُهُ: «الرُّوح» هل هو (جِبريلُ)، فيكون عطفُه على (الملائكةِ) من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر:٤]، أو الرُّوحُ جِنْسُ أَرْواحِ بَنِي آدَمَ، كما صَحَّ بذلك الحديثُ عن النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَتْ صُعِدَ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وذلك عند حديثه على رُوحِ المؤمن والكافر في قوله: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلاَّ قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ»[1].

سواء هذا أو هذا، فإنَّ في كُلٍّ منهما دلالةً على أنَّ اللهَ فوق، فهذا دليلٌ.

١١٦٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْـ ... ـتَمَلَا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ

الضميرِ في قَوْلِهِ: (أَتَى)، يعودُ على العُروجِ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٥٥٧).

١١٦١- فِي سُورَةٍ فِيهَا الْـمَعَارِجُ قُـدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْـحُسْبَانِ

قَالَ الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:١-٤].

١١٦٢- وَبِسَجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ

هذا الألْف، قَالَ الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥]، وفي آية ثانية يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

لكنَّ المؤلف أتى بهذين اليومين فقط: في سورة المعارج، وفي سورة ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢].

قَوْلُهُ: «فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ» (قالوا) أي: أهلُ العِلْم.

١١٦٣- يَوْمُ الْـمَعَادِ بِذِي الْـمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَـوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الآنِ

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الآنِ» هو يومُ القيامة، قَالَ الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡ﴾ [المعارج:٤-١١].

والسِّياقُ واضحٌ جدًّا أنَّ المُرَادَ بهذا يومُ القيامة، ويُؤيِّدُه ما ثبت في صحيح مسلم «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ

وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[1]. فيكون الذي في المعارج هو يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الآنِ» (في الآن) يَعْنِي: في الدنيا، فاليوم الذي فيه ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]، ليس يومَ القيامة، بل هو يومٌ في الدنيا.

فقالوا: هما إذَنْ يومان: أَحَدُهما: يومُ المَعادِ، والثاني: يومُ المَعاشِ في هذه الدنيا، وهذا هو الذي عليه جمهورُ أهلِ العلمِ، وهذا هو الحقُّ.

ذكَرَ المُؤلِّفُ رأيَه في هذه المسألةِ، ثُمَّ في النهايةِ ذكَرَ أنها لم تَتَّضِحْ له.

لكن لننظر إلى قولِ الجُمهورِ في هذه الآيةِ المَرْوِيِّ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن الحسن البصريِّ -رحمه الله- وغيرِهما.

وذلك لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- قَالَ في ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وهذا يدلُّ على أنَّ هناك سماءً، وهناك أرضًا، وهناك تدبيرًا من السَّماء إلى الأرض، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ [السجدة:٥]، يَعْنِي: في يومٍ واحدٍ، وفي لحظةٍ واحدة، ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥]، مقدارُ هذا الذي يأتي مقدارُه في يومٍ، وقد يكونُ في لحظةٍ واحدةٍ، لأنَّ (في) للظرفيَّة، و(اليوم) ظرفٌ، والظرفُ أوسعُ من المظروفِ، يَعْنِي: هذا التدبير يكونُ في يوم، وقد يكونُ في لحظة، فاللحظةُ في يومٍ، ما خَرَجَت عن طَوْرِ اليوم، وذلك لأنَّ مسافةَ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ خمسمائة عامٍ كما جاءت به الأحاديثُ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

فنزولُه من السَّماءِ في خمسمائة عامٍ، وصعودُه من الأرضِ إلى السَّماءِ في خمسمائة عامٍ، قَالَ الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، فيكونُ الجميعُ ألْفًا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٥-٧].

وهذا واضحٌ جدًّا من السِّياقِ أنه في الدنيا.

فالسِّياقُ -كما علَّمَنا ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله- يُعيِّنُ أنَّ المُرادَ بهذا اليوم يومٌ في الدنيا، لِأَنَّهُ هو الذي فيه التدبيرُ، ثُمَّ العروج، وواضحٌ جدًّا من المعنى أنه ليس في الآخرة، لأنَّ الذي في الآخرة مقدارهُ خمسون ألفَ سنةٍ.

ولنأتِ إلى اليوم الثاني في الآخرة، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:١-٤] تعرجُ إلى مَنْ؟ الجَوَابُ: إلى ذي المعارج، ولم يُبيِّن -سبحانه وتعالى- في هذه الآية مدةَ عروجِها إلى الله.

وأما قَوْلُهُ: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ فهذا متعلِّقٌ بـ(وَاقِعٍ)، يَعْنِي: (بعذابٍ واقعٍ) قَالَ الله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج:٤-٨] وهذا واضحٌ أنه يومُ القِيامةِ.

وهذا في الطُّولِ، لا في المسافةِ، يَعْنِي: طُول هذا اليوم خمسون ألفَ سنةٍ، ويؤيِّدُ هذا ما رَواهُ مُسْلِمٌ في صحيحِهِ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ

صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»[1]، فالآيةُ والحديثُ يَدُلاَّنِ دَلَالةً صريحةً على أنَّ هذا اليومَ هو يومُ القيامةِ.

وأَمَّا ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]، فواضحٌ من السِّياقِ أنَّ المُرَادَ به هذا اليوم الذي في الدنيا.

إذَنْ فالقولُ الراجحُ في الآيتين الكريمتين ما قالَه جُمهورُ أهلِ العِلم أنَّ الذي في سورة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] في الدنيا ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وأمَّا الذي في سورة المَعارِج هو يوم القيامة، وعلى هذا فيكون قولُه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، منقطعًا عمَّا بعدَه، وهو كالتفسير لقَوْلِه: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:٣]، لكن لماذا وصف نفسَه بذي المعارج؟ قال: لأنَّ الملائكةَ والروحَ ترجعُ إليه، فهذه الجملةُ كالتفسير والبيانِ لقَوْلِه: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:٣].

بَقِيَ علينا أنْ يُقالَ: هناك يومٌ ثالثٌ، لكن ليس فيه ذِكْرُ العُرُوجِ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

نَقُولُ: اللهُ أعلمُ بهذا اليومِ، لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ فاختصَّ به، ولا ندري ما هذا اليوم؟ نَقُولُ: هذا يومٌ عندَ الله، ولا نَعْلَمُ عَيْنَه، لأنَّ اللهَ لم يَذكُرْ ما يدلُّ على تَعْيينِه، فإذا كان عنده ولم يخبرنا به، فالواجبُ علينا أنْ نُحْجِمَ عنه، وأنْ نقولَ: اللهُ أعلمُ بهذا اليومِ، لِأَنَّهُ ليس هو اليوم الذي في سورة

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]، لأنَّ الذي في ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] هو يومٌ في الدنيا، أمَّا هذا فلا ندري، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَبْهَمَهُ ولم يُبَيِّنْهُ، وليس كما قَالَ بعضُهم: إنَّ الأيامَ عندَ الله كألفِ سنة، لأنَّ اللهَ نَكَّرَ اليوم فقال: ﴿يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾، فهو يومٌ واحد، اللهُ أعلمُ به، ونحن لا يلزمُنا أنْ نعلمَ كُلَّ شَيْءٍ ممَّا لا تَصِلُ إليه عقولُنا.

قَالَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ واحِدٌ ... وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ واحِدٌ» (كلاهما) الضميرُ يعودُ إلى اليومِ الذي في ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]، واليومِ الذي في ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١].

١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ ... وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ ... خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ وَذَا ضِعْفَانِ

قَوْلُهُ: «خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ» يَعْنِي: خمسَمائةٍ، هذا الصعودُ والنزولُ في خمسمائة، فهذا ألفٌ، ولذا قال: (وذا ضعفان)، لماذا صارا ضِعْفَيْنِ؟

الجَوَابُ: لِأَنَّهُم بين صعود ونزول.

١١٦٧- لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةُ السَّـ ... ـبْعِ الطِّبَاقِ وَبُعْدُ ذِي الأَكْوَانِ

١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى ... عِنْدَ الحَضِيضِ الأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

المعنى: (خَمْسونَ ألف) التي في (سأل)، يُرادُ بها ما بينَ قاعةِ الأرضِ السفلى إلى العَرْشِ، فيكون خمسين ألفًا، لكن كيف ذلك؟

الجَوَابُ: إذا قُلْنَا: إِنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ، وكُلُّ أرضٍ مسافتُها خمسُمائة عامٍ، فإذا ضربتَ خمسَمائة في سبعِ أرَضِينَ فيكونُ الجميعُ ثلاثةَ آلافٍ وخَمسَمائةٍ.

والسموات سبعٌ، سَمْكُ كُلِّ سماءٍ خَمْسُمائة عامٍ، فالجميعُ يكونُ ثلاثةَ آلافٍ وخمسَمائةٍ، بينَ كُلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسُمائةٍ، فيكونُ سبعٌ في خمسِمائةٍ، فيكونُ الجميعُ ثلاثةَ آلافَ وخمسَمائةٍ، إذَنْ الجميعُ سبعةُ آلافٍ، وعندنا بالأرض ثلاثةُ آلاف وخَمْسُمائةٍ، فهذه عَشَرَةُ آلافٍ وخَمْسُمائة.

وبعضُ العلماءِ يقول: سَمْك كُلِّ أرضٍ خَمْسُمائةٍ، فيكون الجميعُ أربعةَ عَشَرَ ألْفًا، ويقولون: ما بينَ السَّماءِ السابعةِ والعَرْشِ ستةٌ وثلاثونَ.

لكن من أين لنا هذا؟! يَعْنِي: من أين لنا أنَّ ما بينَ السَّماءِ السابعةِ والعَرْشِ ستةٌ وثلاثون؟! وهل كانوا يُرِيدون تكميلَ العددِ فيكون خَمْسِينَ ألفَ سنةٍ؟!

لا ندري، ولهذا كُلَّما تأمَّلْتَ هذا القولَ وجَدْتَه ضعيفًا جدًّا، فخمسون أَلْفًا المُقَدَّر بها في ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١] ليست للمسافةِ، ولكن للمُدَّةِ (لطول الزمن)، يَعْنِي: مقداره خمسون ألف سنة، هذا باعتبار الطول، لا باعتبار المسافة، وهذا الأمرُ واضحٌ.

ولهذا ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- في النهايةِ تَرَدَّد، وقال: إنه قد أُشْكِلَ عليه، ولننظر:

١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الْـ ـبَغَوِيُّ[1] ذَاكَ العَالَـمُ الرَّبَّانِـي

(١) **البغوي هو:** الحسين بن مسعود، محيي السُّنَّة، البغوي، نسبة إلى بغا من قرى خراسان، المولود سنة (٤٣٦هـ) المتوفى بمرو الروذ سنة (٥١٦هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩).

١١٧٠- وَمُجَاهِدٌ[١] قَدْ قَالَ هَـذَا الْقَـوْلَ لَـ ـكِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ[٢] الجَلِيلَ الشَّانِ

١١٧١- قَالَ: الْـمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالعَرْشِ ذَا الْـ ـمِقْدَارُ فِي سَـيْرٍ مِـنَ الإِنْسَـانِ

المعنى أنَّ ابنَ إسحاقَ قال: «اختلافُ الزَّمَنِ أو اختلافُ التقديرِ ما بينَ ألفٍ إلى خَمْسِينَ ألفًا باعتبار السَّيْرِ، فلو أنَّ الإنسانَ سارَ من تُخُومِ الأرض السُّفلى إلى العَرْشِ لكان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، وأمَّا الملائِكةُ فألفُ سنةٍ».

فجَعَل الفرق بين هذين العددين -وهو فرقٌ كبير- باعتبار السَّيْرِ.

وهذا -أيضًا- ضعيف، لأنَّ هذا الجمعَ مُسْتَكْرَهٌ في الواقعِ، لا نلجأُ إلى مثل هذا الجمع إلَّا عند الضرورة، وليس هناك ضرورةٌ تجعلُنا نجعلُ اليومين يومًا واحدًا.

ننفكُّ عن كُلِّ هذه التأويلاتِ المُستكرَهةِ بأن نَقُولَ: هما يومان: يومُ القيامةِ، واليومُ في الدنيا.

١١٧٢- وَالْقَوْلُ الاَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةٍ[٣] وَقَوْ لُ قَتَـادَةٍ[٤] وَهُمَـا لَنَـا عَلَـمَانِ

---

(١) **مجاهد هو**: مجاهد بن جبر، أبو الحجَّاج المكي، مولى بني مخزوم، أخذ التفسيرَ عن ابن عباس، ولد سنة (٢١هـ) واستقرَّ بالكوفة ومات سنة (١٠٤هـ)، وقيل: مات بمكةَ وهو ساجدٌ سنة (١٠٢هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٢) **ابن إسحاق هو**: محمد بن إسحاق بن يسار، المطلبي، مولاهم المدني، سكن بغدادَ، ومات فيها، قال ابن حبان: «لم يكن بالمدينة أحدٌ يقاربُ ابنَ إسحاق في علمه، أو يوازيه في جمعه». [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٣) **عكرمة هو**: عكرمة أبو عبد الله البربري، المدني، مولى ابن عباس، ولد سنة (٢٥هـ)، ومات بالمدينة سنة (١٠٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢).

(٤) **قتادة هو**: قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، المولود سنة (٦١هـ)، كان من أحفظ أهل البصرة، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩).

١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الحَسَنُ[1] الرِّضَا وَرَوَاهُ عَـنْ ... بَحْـرِ الْعُلُـومِ مُفَسِّـرِ الْقُـرْآنِ[2]

كُلُّ هؤلاء الذين اختاروا هذا القولَ أئمةٌ أَجَلُّ من الذين اختاروا ما ذهَبَ إليه ابنُ القيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-.

١١٧٤- وَيُـرَجِّحُ الْقَـوْلَ الَّـذِي قَـدْ قَالَـهُ ... سَـادَاتُنَا فِي فَـرْقِهِمْ أَمْـرَانِ:

قَوْلُهُ: «يُرَجِّحُ» أي: قولُ الجمهورِ، وهذا مِن عَدْلِ ابنِ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- وإنصافِه، حيثُ ذَكَرَ ما له وما عليه.

١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَـا فِي الصَّحِيحِ لِـمَانِعٍ ... لِزَكَاتِـهِ مِـنْ هَـذِهِ الأَعْيَـانِ

قَوْلُهُ: «الأَعْيَانِ» جمع (عَيْن)، وهما الذَّهَبُ والفِضَّةُ.

١١٧٦- يُكْـوَى بِهَـا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ ظَهْـرُهُ ... وَجَبِينُـهُ وَكَـذَلِكَ الْـجَنْبَانِ

١١٧٧- خَمْسُـونَ أَلْفًـا قَـدْرُ ذَاكَ الْيَـوْمِ فِي ... هَـذَا الْـحَدِيثِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَـانِ

وهذا يُؤَيِّدُ قولَ الجمهور، وأنَّ المُرَاد بخمسين ألف سنة في سورة ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١] يومُ القيامةِ، ولهذا قال:

١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْـوَجْهَيْنِ يَـوْ ... مٌ وَاحِـدٌ مَـا إِنْ هُمَـا يَوْمَـانِ

قَوْلُهُ: «الظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ» يَعْنِي بذلك: اليومَ الذي في ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١]، واليومَ الذي في الحديثِ أنهما يومٌ واحدٌ.

---

(١) لعله الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار، إمام أهل البصرة، وحَبر الأُمة في زمنه، ولد بالمدينة سنة (٢١هـ)، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ). انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/ ٣٦٣).

(٢) لعله عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ بحر العلم وترجمان القرآن.

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ»، (ما) نافية، و(إنْ) زائدة، ونظيرُ هذا قولُ الشاعر العربي:

بَنِــي غُدَانَــةَ مَــا إِنْ أَنْــتُمُ ذَهَبًــا ... وَلَا صَرِيفًا وَلَكِنْ أَنْـتُمُ الــخَزَفُ[1]

الشاهد قَوْلُهُ: «مَا إِنْ أَنْتُمُ ذَهَبًا»، (إِنْ) هنا زائِدة، والتقدير: (ما أنتم ذهب).

١١٧٩- قَــالُوا: وَإِيــرَادُ السِّــيَاقِ يُبَــيِّنُ الْـــ ... ـمَضْمُونَ مِنْـهُ بِأَوْضَـحِ التِّبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا» أي: الجمهورُ.

قَوْلُهُ: «وَإِيرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـمَضْمُونَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التِّبْيَانِ» وسبقتْ هذه القاعدة في كلامِ ابنِ القيِّم: أنَّ السِّياقَ يُعَيِّنُ المعنى المُرَادَ.

١١٨٠- فَانْظُرْ إِلَى الإِضْمَارِ ضِمْنَ (يَرَوْنَـهُ) ... و(نَــرَاهُ) مَــا تَفْسِــيرُهُ بِبَيَــانِ

١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِــيرِ أَوْلَــى مِــنْ عَــذَا ... بٍ وَاقِــعٍ لِلْقُــرْبِ وَالــجِيرَانِ

نقرأ دائِمًا قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [المعارج:١-٧]، الضمير في (يرونه) هل يعود على (العَذاب) أو يعود على (اليومِ)؟ ابنُ القيِّمِ يقولُ: إنه يعودُ إلى (اليوم).

قَوْلُهُ: «فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَذَابٍ وَاقِعٍ» لماذا؟ الجَوابُ: للقُرْبِ، لأنَّ الضميرَ يَعُودُ إلى أقربِ مَذْكورٍ، ولكننا نقولُ في الجَوَابِ عن هذا: حتَّى وإن قُلْنَا:

---

(١) البيت من البسيط، وهو غير منسوب، انظر: مختار الصحاح، مادة: صرف.

إنه عائِدٌ إلى (اليوم) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧] نقولُ: نعم، حتى لو عاد إلى (**اليوم**) لا إلى (**العذاب**)، فإِنَّ العذابَ أين يقع؟ الجَوَابُ: في اليوم، فإذا قَرُبَ العذابُ قَرُبَ اليومُ، وإذا بَعُدَ العذابُ بَعُدَ اليومُ.

وعندي أنه لا فرقَ بين أنْ نقولَ: إنَّ الضميرَ يعودُ على (اليوم)، أو إنه يعودُ على (العذاب)، فهو على كُلِّ تقديرٍ لا يَدُلُّ على ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بل إنهم يَرَوْنَ هذا اليومَ بَعِيدًا ونَرَاه قَرِيبًا، بل إنهم أَنْكَرُوا هذا اليومَ، قَالَ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، أو إنهم يرون العذابَ بعيدًا، ونراه قريبًا، بل هم أنكروه، واستبعدوه، ولا فرق، ولكن الذي يَتَبَيَّنُ به المعنى أنْ نَقُولَ: قَوْلُهُ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ [السجدة:٥] هل هو متعلِّقٌ بـ﴿تَعْرُجُ﴾ [المعارج:٤] أو متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]؟

الجَوَابُ: نَقُولُ: متعلِّقٌ بـ(**واقع**) أي: واقع في هذا اليوم ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:١-٤]، وقولُه تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ تبَعٌ لقَوْلِه: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، وانقطع الكلامُ بها.

وحتَّى لو قُلْنَا: إنَّ قولَه: ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ متعلِّقٌ بـ(**تَعْرُجُ**)، فإنه لا يَتعيَّنُ به ما ذَهَبَ إليه ابنُ القيِّمِ، لأنَّ من الجائِز أنَّ قَوْلَه تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ في ذلك اليوم، يَعْنِي: يوم القيامة، ولا مانع، فإنَّ الملائِكةَ في ذلك اليوم قد تعرجُ إلى الله عزَّ وجلَّ بما شاء الله.

وعلى كُلِّ تقديرٍ فإنَّ ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- يدلُّ على أنَّ الإنسانَ مهما بلغ في العلم فإنه لا يخلو من الخطأ -فيما نرى- والعِلْمُ عندَ الله.

١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدْ دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ» أي: عُروجِ الملائِكةِ.

قَوْلُهُ: «فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ»، يَعْنِي: أنَّ عروجَهم في الدنيا ويوم القيامة خَمْسون ألفَ سنةٍ.

لكن نَقُولُ له -رَحِمَهُ اللهُ-: أين في الآيةِ أنها تَعْرُجُ في الدنيا إلى الله في يومٍ كان مقدارُه خَمْسين ألفَ سنةٍ؟!

إذا جعلْنا قولَه تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ﴾ متعلِّقٌ بـ(تعرُج)، لَزِمَ أنْ يكونَ العروجُ يومَ القيامةِ، فكيف يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-: (ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ)؟! لأنَّ الله لم يَذْكُر أنهم يَعْرُجونَ في هذه الدنيا خَمْسين ألفَ سنةٍ، والذي في سورة: ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] ما الذي يعرج؟

الجَوَابُ: الأمر، وليس الملائِكة، ولا ذُكِرَت الملائِكةُ إطلاقًا كما قَالَ تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥].

١١٨٣- فَنُزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ كَنُزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ

قَوْلُهُ: «هُنَالِكَ» الإشارة إلى يومِ القيامةِ.

قَوْلُهُ: «ثَابِتٌ»، لِأَنَّهُ ثَبَتَ أنَّ الملائِكةَ تَنْزِلُ من السَّماء، كما قَالَ تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

قَوْلُهُ: «كَنُزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ» أي: في الدنيا كما قَالَ تعالى في نزولهم في الدنيا: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤].

١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ القَضَا كَعُرُوجِهِمْ   أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إذَنْ شَأْنَانِ

قَوْلُهُ: «**عُرُوجُهُمْ**» أي: يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «**بَعْدَ القَضَا**» يَعْنِي: بعد أنْ يَقْضِيَ اللهُ تعالى بين الخلائِقِ، والملائكةُ صفوفٌ، وينتهي الأمرُ، تَعرُجُ الملائِكةُ كما قَالَ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥].

قَوْلُهُ: «**كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا**» وهل هم يَعْرُجُونَ هنا؟

الجَوَابُ: نعم، الملائكةُ يَعْرُجُونَ من الأرضِ إلى السَّماءِ، ومن ذلك الملائكةُ الموكَّلونَ بحفظِ الإنسانِ، فإنَّ للإنسانَ ملائِكةً مُوَكَّلِينَ به في الليلِ، وملائِكةً في النهارِ، إذا جاءت ملائِكةُ النهارِ عَرَجَتْ ملائِكةُ الليلِ، وإذا جاءت ملائِكةُ الليلِ عَرَجَتْ ملائِكةُ النهارِ.

١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا   فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ

يقول: إنَّ السقفَ الذي هو السَّماء يزولُ، ودليلُ هذا قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وإذا كان كذلك، يَبْقَى عُروجُهم من الأرضِ إلى العَرْشِ رأسًا، ولهذا قال: (**فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ**).

١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيَّ وَعِلْمُهَا الْـ   ـمَوْكُولُ بَعْدُ لِمُنْزِلِ القُرْآنِ

أكثرُ النسخ (**وَمَا اتَّضَحَتْ**)، لكن توجد نسخة، وعليها شرح ابن عيسى -رَحِمَهُ اللهُ-: (**هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدَيَّ**) والنُّضْجُ بمعنى الكمال، ومنه نَضِجَتِ اللحمةُ، ونَضِجَ الطعامُ، يَعْنِي: كَمُلَ واستوى.

كَأَنَّ المؤلِّفَ -رَحِمَهُ اللهُ- في النهايةِ شَكَّ في الأمرِ، وقال: إنها ما نَضِجَتْ.

والحقيقةُ أنَّ هذه تُعْتَبَرُ مرتبةً ثانيةً بعدَ أن بَحَثَ وناقَشَ -رَحِمَهُ اللهُ-، ففي النهاية تَرَدَّدَ.

فعندَنا الآن ثلاثةُ مَقاماتٍ:

جَزْمٌ بأنَّ اليومين واحدٌ، وجَزْمٌ بأنَّ اليومين مختلفان، وتَرَدُّدٌ كما في حالِ ابنِ القَيِّمِ أخيرًا.

والصوابُ الجَزْمُ بأنهما يومان، والسِّياقانِ لا يَتَّفِقانِ أصلًا، بل يختلفان في أُمور:

أولًا: يختلفان في العَدَد: هذا ألفٌ، وهذا خمسون ألفًا.

ثانيًا: يختلفان في الذي يَعْرُجُ: ففي ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] الذي يَعْرُجُ الأَمْرُ، وفي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج:١] الذي يَعْرُجُ الملائِكةُ.

ثالثًا: يشهد لِلَّذِي في ﴿سَأَلَ﴾ الحديثُ الصحيحُ أنَّ المُرَادَ بذلك يومُ القيامة (يوم المعاد).

فإذا كان كذلك فكيف يُشْكِلُ الأمرُ؟!

فالصوابُ المقطوعُ به أَنَّ ما ذُكِرَ في ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢]، هو يومٌ في الدنيا، أي: أَنَّ اللهَ يُدَبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ الدنيا إلى الأرضِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إليه في يومٍ كان مقدارُه ألفَ سنة: خمسمائة للنزول، وخمسمائة للعروجِ، وينتهي الأمر.

وفي يوم القيامة يُعَذَّبُ الكافرون، أو يقعُ بهم العذابُ في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، وإن شِئتَ فقُلْ: تعرجُ الملائِكةُ والرُّوحُ إلى الله في ذلك اليومِ الذي مقداره خمسون ألفَ سنةٍ، ولا مانعَ أنْ يكونَ لهم عروجٌ في ذلك اليوم.

لكن مع ذلك نحن نرى أنَّ الذي في سورةِ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١-٢] هو مقدار المسافة ما بين الأرضِ والسَّماءِ، وأنَّ ما في سورة المعارجِ هو مقدارُ الزمنِ، يَعْنِي: أنَّ اليومَ طويلٌ، لا أنَّ المساحةَ كبيرةٌ، بل اليوم طويلٌ مقدارُه خمسون ألفَ سنةٍ، ثُمَّ بعدَ ذلك ينتهي كُلُّ شَيْء، ويعود أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وأهلُ النار إلى النار.

قَوْلُهُ: «**بَعْدُ**» أي: بعد أنْ ناقَش هذه المناقشة. ثُمَّ قال:

١١٨٧- وَأَعُـوذُ بِـالرَّحْمَنِ مِـنْ جَـزْمٍ بِـلا عِلْـمٍ وَهَــذَا غَايَــةُ الإِمْكَــانِ

قَوْلُهُ: «**وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلَا عِلْمٍ**»، استعاذَ بالله من أنْ يَجْزِمَ بأحدِ القولينِ بلا علم، وهذا هو الواجِبُ على كُلِّ مسلمٍ، فكُلُّ مؤمنٍ إذا كان عندَه تَرَدُّدٌ في الأمرِ لا يجوزُ أنْ يَجزِمَ به، وهذا دَأْبُ السَّلَفِ: الإمامُ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- وهو من أئمةِ السَّلفِ، إذا سُئِلَ عن شَيْءٍ، قال: أرجو، أو يُعْجِبُني، أو لا يُعْجِبُني، أو لا أقولُ، أو أجبنُ عن هذا، أو ما أَشْبَهَ ذلك من الكلمات التي تدلُّ على وَرَعِه -رَحِمَهُ اللهُ-.

لكن عندنا في الوقت الحاضر -ما شاء الله- شبابٌ في أوَّل درجةٍ من طلب العلم يقولُ عن مسألة يَترَدَّدُ فيها الفحولُ من أهل العلم: هذه حرامٌ قطعًا، وهذا واجبٌ قطعًا، ويجبُ الموالاةُ والمعاداةُ على هذه المسألةِ.

وهذا خطأ عظيم، والواجبُ أنَّ الإنسانَ يَتأدَّبُ معَ الله، لأنَّ الذي يُفتي أو يقولُ يتكلَّمُ عن الله وعن شريعةِ الله، والعلماءُ ورثةُ الأنبياء، وخلفاءُ الأنبياء، فيَجِبُ أنْ يتأنَّى، وألا يَجْزِمَ بالشيء إلَّا بعلمٍ، ولهذا أعوذُ بالله من جزمٍ بلا علمٍ.

الجزمُ لا بُدَّ له من عِلم، ولا يكفي الظنُّ، بل لا بُدَّ من عِلمٍ، ولكنَّ الإنسانَ بَشَرٌ قد لا يستوعبُ الأدلةَ، وقد لا يستوعبُ فَهْمَها، ففي مثل هذه الحال يقولُ:

هذا فيما أَعلمُ، هذا في غالب ظنِّي. وما أشبه ذلك، أمَّا أنْ يَجْزِمَ بلا علم وتكون بضاعتُه من العلم مزجاةً(١)، لم يعرف إلَّا حديثًا أو حَدِيثَيْنِ، أو تفسيرَ آيةٍ أو آيَتَيْنِ، ثُمَّ يقولُ على لِسان حالِهِ: (أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا)(٢) هذا ليس بصحيح، والواجب أنَّ الإنسانَ يتأدَّبُ في شَرْعِ الله عزَّ وجلَّ، ونسألُ اللهَ أنْ يجعلنا كذلك.

قَوْلُهُ: «وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ» جزاه الله خيرًا، يَعْنِي: هذا غايةُ ما تمكَّنْتُ منه، عَرَضتُ عليك البحثَ والمناقشةَ، وأنا مع ذلك لَمْ تَنْضَجْ عندي، وَلَمْ تَتَّضِح لي.

وهذا -والله- غايةُ الوَرَع، وغايةُ التقوى، رجلٌ بهذا المِقْدارِ من العلم، والفهم، وحفظ النصوص يَصِلُ إلى حدِّ التوقُّفِ، ويستعيذُ بالله عزَّ وجلَّ أنْ يجزمَ بلا علمٍ، وهؤلاء هم العلماء الأخيار الأطهار، فعلى الإنسانِ أنْ يتوقَّفَ عند منتهى علمه، والشيء الذي لا يعلمُه لا يُكَلَّفُ به، وحسبه أنْ يقولَ: اللهُ أعلمُ بما أرادَ في كلامه، ولذا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٨٨- واللهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «اللهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ» صحيحٌ -والله- فاللهُ أعلمُ، ولهذا نَجِدُ أنَّ الُمحرِّفينَ لكلامِ الله عن ظاهرِه ادَّعَوْا لأنفسِهم أنهم أعلمُ بالله من الله.

فمثلًا قالوا: ليسَ لله عينٌ مع أنَّ اللهَ قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

وقالوا: ليس لله يدٌ، مع أنَّ اللهَ قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

---

(١) أي: قليلة. انظر: لسان العرب، مادة: زجا.

(٢) هذا شطر بيت من الوافر، وهو لسحيم بن وثيل، وشطره الثاني: متى أضع العمامة تعرفوني. انظر: لسان العرب، مادة: جلا.

وقالوا: ليس لله وجهٌ، مع أنَّ اللهَ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] وهَلُمَّ جَرًّا.

فهؤلاء نقولُ لهم: اللهُ أعلمُ أم أنتم؟ فإن قالوا: نحن، فيا وَيْلَهُم، وإن قالوا: اللهُ أعلمُ، قُلْنَا: الْزَمُوا ما أَخْبَرَ اللهُ به، ولا تَتَعَدَّوْه.

قَوْلُهُ: «وَرَسُولُهُ الْـمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ» لماذا لم يَقُلْ بالقرآنِ؟ الجَوَابُ: لأنَّ المَقامَ مَقامُ فرقٍ وتفريقٍ، فكان ذِكْرُ الفرقانِ أولى من ذِكْرِ القرآنِ، ولا شكَّ أنَّ القرآنَ فرقانٌ، قَالَ اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وقَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فالقرآنُ فرقانٌ، والله لو تمسَّكنا به ورَجَعْنا إليه ما بَقِي عندنا مشكلةٌ، لكن المشكلة في الإعراض الَذي هو التقصير، أو من عدم الآلة الذي هو القصور، فالإنسانُ يُؤْتَى إمَّا من تقصيره، أو قصوره، أو سوء نِيَّته، أَمَّا إذا اجتمَعَ حسنُ النِّيةِ، وقوةُ الفَهْم، وكثرةُ العلم فإنَّ الغالبَ أنْ يُوفَّقَ الإنسانُ للصوابِ.

* * *

فصل

١١٨٩- هَـذَا وَخَامِسُـهَا: صُـعُودُ كَلَامِنَا ... بِالطَّيِّبَـاتِ إِلَيْـهِ وَالْإِحْسَـانِ

١١٩٠- وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِـحَا ... تِ إِلَيْـهِ مِـنْ أَعْـمَالِ ذِي الْإِيـمَانِ

١١٩١- وَكَذَا صُـعُودُ تَصَـدُّقٍ مِـنْ طَيِّبٍ ... أَيْضًـا إِلَيْـهِ عِنْـدَ كُـلِّ أَوَانِ

١١٩٢- وَكَذَا عُـرُوجُ مَلَائِـكٍ قَـدْ وُكِّلُـوا ... مِنَّـا بِـأَعْمَالٍ وَهُـمْ بَـدَلَانِ

١١٩٣- فَإِلَيْـهِ تَعْـرُجُ بُكْـرَةً وَعَشِـيَّةً ... وَالصُّـبْحُ يَجْمَعُهُـمْ عَـلَى الْقُـرْآنِ

١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْـهِ بِالْـ ... أَعْـمَالِ سُـبْحَانَ الْعَظِـيمِ الشَّـانِ!

١١٩٥- وَكَذَاكَ سَعْيُ اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الـرَّ ... حْمَـنِ مِـنْ قَبْـلِ النَّهَـارِ الثَّانِـي

١١٩٦- وَكَـذَاكَ سَـعْيُ الْيَـوْمِ يَرْفَعُـهُ لَـهُ ... مِـنْ قَبْـلِ لَيْـلٍ حَـافِظُ الْإِنْسَـانِ

١١٩٧- وَكَذَاكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْـهِ حَـقْ ... قٌ ثَابِـتٌ مَـا فِيـهِ مِـنْ نُكْـرَانِ

١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ وَقَـدْ دَنَـا ... مِنْـهُ إِلَى أَنْ قُـدِّرَتْ قَوْسَـانِ

١١٩٩- بَلْ عَادَ مِـنْ مُوسَـى إِلَيْـهِ صَـاعِدًا ... خَمْسًا عِدَادَ الْفَرْضِ فِي الْـحُسْبَانِ

١٢٠٠- وَكَذَاكَ رَفْعُ الرُّوحِ عِيسَى الْمُرْتَضَى ... حَقًّـا إِلَيْـهِ جَـاءَ فِي الْقُـرْآنِ

١٢٠١- وَكَذَاكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُـلِّ مُصَـدِّقٍ ... لَـمَّا تَفُـوزُ بِفُرْقَـةِ الْأَبْـدَانِ

١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجُثْمَانِ

١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ

١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَكْوَانِ

الشرحُ

في هذا الفصلِ ذَكَرَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- بعض أنواعِ أَدِلَّةِ العُلُوِّ، ومنها صعودُ الأشياءِ إلى الله عزَّ وجلَّ والصعودُ إلى الشيءِ يَدُلُّ على علوِّه، لأنَّ الصعودَ يكونُ من أسفلَ إلى أعلى، فإذا أضاف اللهُ الشيءَ إلى نفسِه صاعدًا، عُلِمَ أنَّ اللهَ تعالى في العُلُوِّ.

قَالَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٨٩- هَذَا وَخَامِسُهَا: صُعُودُ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ

ذكَرَ أوَّلًا صعودَ كلامِنا بالطيِّباتِ إليهِ والإحسانِ، قَالَ الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

الكَلِمُ الطيِّبُ: كُلُّ ما طَابَ، وضِدُّه الكَلِمُ الخبيثُ، فالذِّكْرُ، وقراءةُ القرآنِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المُنكرِ، وتعليمُ العلمِ الشرعيِّ، كُلُّ هذا من الكَلِمِ الطيِّبِ. والسَّبُّ، والشَّتمُ، واللعنُ، والقذفُ، وما أَشْبَهَه من الكَلِمِ الخبيثِ.

١١٩٠- وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَا تِ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» هي كُلُّ عملٍ صالحٍ، قَالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦]، فالباقياتُ الصالحاتُ كُلُّ الأعمالِ الصالحةِ، ويدخُلُ في ذلكَ الذِّكْرُ، والصومُ، والحجُّ والصلاةُ، وغيرُ ذلك.

يقول المؤلف: إنها تُرْفَعُ إلى الله لقَوْلِه: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، مَنْ يَرْفَعُه؟ الجَوَابُ: اللهُ عزَّ وجلَّ، فيَصْعَدُ إليه الكَلِمُ الطيِّبُ، والعملُ الصالحُ يَرْفَعُه اللهُ إليه ويقبَلُه.

١١٩١- وَكَذَا صُعُودُ تَصَدُّقٍ مِنْ طَيِّبٍ ... أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ

قَوْلُهُ: «تَصَدُّقٍ مِنْ طِيِّبٍ» التَّصَدُّقُ من الطيِّبِ، أي: من الكَسْبِ الطَّيِّبِ، وقد جاء في الحديث: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ -وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ- فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْـجَبَلِ»[1]، هذا إذا تَصَدَّقَ من طَيِّبٍ، أمَّا إذا تَصَدَّقَ من غيرِ طَيِّبٍ، فإنَّ اللهَ لا يَقْبَلُه كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»[2].

١١٩٢- وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا ... مِنَّا بِأَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ مَلَائِكٍ» أشار إليه النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في قَوْلِهِ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، رقم (٦٩٩٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، برقم (١٣٤٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم (٦٣٢).

١١٩٣- فَإِلَيْـــهِ تَعْـــرُجُ بُكْـــرَةً وَعَشِــــيَّةً وَالصُّــبْحُ يَجْمَعُهُــمْ عَــلَى الْقُــرْآنِ

١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْـهِ بِالْــ أَعْـمَالِ سُـبْحَانَ الْعَظِـيمِ الشَّـانِ!

ولهذا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، يجتمعُ في صلاةِ الصبحِ ملائِكةُ الليلِ وملائِكةُ النهارِ، ثُمَّ تَصْعَدُ ملائِكةُ الليلِ، وتبقى ملائِكةُ النهارِ.

وهذا من عظمة الله عزَّ وجلَّ أنَّ هؤلاء الملائِكةَ المُوكَّلونَ بحفظِ بني آدمَ يتعاقبون بانتظامٍ عندَ صلاةِ الصبحِ وعندَ صلاةِ العصرِ، ولهذا ينبغي للإنسانِ أنْ يستحضرَ هذا وهو يصلِّي الفجرَ، وهو أنَّ الملائِكةَ المُوكَّلينَ بحفظِ بني آدم مجتمعون في هذه الصلاةِ، وكذلك عندَ صلاةِ العصرِ، لكننا -والله- نَغْفُل كثيرًا حتَّى تمرَّ بنا هاتانِ الصلاتانِ، وكأنهما بقيةُ الصلواتِ، وهذا أمرٌ سَبَبُه الغفلةُ عن هذه الأمورِ العظيمةِ، وإلَّا فإنك لو استحضرتَ وأنت تصلِّي الفجرَ أنَّ ملائِكةَ الليلِ وملائِكةَ النهارِ شاهدون معك في هذه الصلاة، وكذلك في العصر، لوجدتَ لِهاتيْنِ الصلاتينِ شأنًا كبيرًا، وأمرًا عظيمًا، لا تجِدُه في غيرِهما.

١١٩٥- وَكَذَاكَ سَعْيُ اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الـرّ رَحْمَــنِ مِــنْ قَبْــلِ النَّهَــارِ الثَّانِــي

١١٩٦- وَكَــذَاكَ سَــعْيُ الْيَــوْمِ يَرْفَعُــهُ لَــهُ مِــنْ قَبْــلِ لَيْــلٍ حَــافِظُ الإِنْسَــانِ

هذا فيه أنَّ الملائِكةَ السابِقينَ يَحْفظونَ الإنسانَ، وهناك ملائِكةٌ أُخْرَى تَحْفَظُ عملَ كُلِّ إنسانٍ بِنَفْسِه قَالَ الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]، كُلُّ هؤلاء يَرْفعونَ ما كَتَبوا إلى الله عزَّ وجلَّ.

١١٩٧- وَكَذَاكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقْـ ... ـقٌ ثَابِتٌ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

معراجُ الرسول إلى الله عزَّ وجلَّ، وذلك ليلة الإسراء، وكان في ربيعٍ الأوَّل على المشهور قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات.

عُرِجَ بالنَّبِيِّ ﷺ إلى السموات السَّبعِ ببَدنِه ورُوحِه، ليسَ بالرُّوحِ فقطْ، لو كان بالرُّوحِ فقطْ ما أنْكَرَتْه قريشٌ، لأنَّ المناماتِ لا تُنْكَرُ، لكنَّه عُرِجَ به بجَسَدِه وروحِه ﷺ، أوَّلًا أُسْرِيَ به من المسجد الحرام من الحِجْر الذي هو الحَطِيم على البُرَاقِ بصُحْبةِ جِبْرِيلَ -عليهما السلام-.

وهذا البُرَاقُ دونَ البغلِ وفوقَ الحِمارِ، فهو دابةٌ عجيبةٌ، يَضَعُ خَطْوَه عند مُنْتَهَى طَرْفِه، الخَطْوةُ مَدُّ بَصرِهِ، وبَصَرُه قويٌّ بلا شكٍّ، ولذلك وَصَلَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، وصلَّى بالأنبياءِ -عليهم الصلاة والسلام-، وَعَرَجَ به جِبْرِيلُ إلى السموات -سبحان الله- مسافاتٍ عظيمةً لا يعلمُها إلَّا اللهُ، وكان هذا في ليلةٍ واحدةٍ، يَستفتِحُ جبريلُ، فيقال: «مَن هذا؟ فيَقولُ: جِبْرِيلُ. قيل: ومنَ معَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ. قيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ»[(١)]، ومرَّ على الأنبياء والرُّسلِ في كُلِّ سماءٍ حتَّى وَصَلَ إلى السَّماءِ السَّابعةِ، إلى سِدْرةِ المُنتَهى، قال النبي ﷺ: «ثم عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلامِ»[(٢)]، التي تكتب ما يكونُ في اليوم والليلة، سَمِعَه النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- وصَلَ إلى مكانٍ ما وصَلَ إليه بَشَرٌ، عُرِجَ به إلى الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:٢]. برقم (٣٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس -عليه السلام-، برقم (٣١٦٤). وصريف الأقلام: أي صوت جريانها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: صرف.

قَوْلُهُ: «وكَذَاكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ ثَابِتٌ» أي: بدَلَالةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، ففي سورة الإسراء دليلُ الإسراء، قَالَ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، وفي أول سورة النجم قصةُ المِعْراجِ، قَالَ -سبحانه وتعالى-: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١-١٨] هذه الآياتُ كُلُّها في المعراج.

١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ وَقَدْ دَنَا ... مِنْهُ إِلَى أَنْ قُدِّرَتْ قَوْسَانِ

يُقرِّرُ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أيضًا: أنَّ الرسولَ عُرِجَ به إلى ما فَوْقَ السموات السَّبعِ، حتَّى دنا من الرحمنِ عزَّ وجلَّ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، يَعْنِي: قَدْرَ قوسين أو أدنى من ذلك.

وهذا الذي ذَهَبَ إليه المؤلفُ ذَهَبَ إليه كثيرٌ من المفسِّرين، وهو أنَّ المُرَادَ بقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ اللهُ عزَّ وجلَّ.

ولكنَّ القولَ الصحيحَ أنَّ المُرَادَ به جبريلُ، وليس اللهَ -سبحانه وتعالى-، وأنَّ اللهَ لم يَدْنُ فيتدلَّى حتَّى كان قابَ قوسينِ أو أدنى، لأنَّ اللهَ تعالى قد ثبت له العُلُوُّ المُطْلَقُ، والتدلِّي ضدُّ العُلُوِّ، أمَّا الدنوُّ فليسَ ضِدَّ العُلُوِّ، لكنَّ التدلِّيَ مأخوذٌ من الدَّلْو إذا هَبَطَ في البئرِ، فهذا ينافي العلوَّ، ولهذا ذكَرَ المؤلفُ في هذه النونيَّة هذا

القولَ الذي مَشَى عليه، وذكَرَ في موضعٍ آخَرَ في (**التبيان فِي أقسام القرآن**) أنَّ الذي دنا فتدلَّى هو جبريل، وهذا هو الصحيح بل هو مُتَعَيِّنٌ، لأنَّ الدلالةَ اللفظيةَ والمعنويةَ كُلَّها تؤيِّدُ ذلك.

أمَّا الدلالةُ اللفظيَّةُ فسياقُ الكلامِ يرجعُ فيه الضميرُ إلى مرجعٍ واحدٍ، ولنقرأ قولَه تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ جبريل أيضًا ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ جبريل، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من الأفق الأعلى ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، الذي دنا فتدلَّى هو جبريلُ، فجبريلُ دنا من محمد، لِأَنَّهُ قال: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ ولو كان الدنو من الله لقال: (فصَعِدَ).

بَقِي علينا قولَه تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، ليس هناك مانعٌ أنْ يكونَ المعنى: أوحى جبريلُ إلى عبد الله، فيكون فاعِلَ (أَوْحَى) جبريلُ، والضمير في ﴿عَبْدِهِۦ﴾ يعودُ إلى الله عزَّ وجلَّ، واختلافُ الضميرَيْنِ هنا قد تَبَيَّن من السِّياقِ، لأنَّ محمدًا ﷺ لا يمكنُ أنْ يكون عبدًا لجبريلَ، أمَّا الوحيُ فيمكنُ أنْ يكونَ من الله، ويُمْكِنُ أنْ يكونَ من جبريلَ، ولهذا يُمْكِنُ أنْ نَقُولَ: إنَّ الضميرَ في (**أَوْحَى**) يَحْتَمِلُ أنْ يعودَ إلى جبريلَ كبقيةِ الضمائرِ السابقةِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يعودَ إلى (**الله**) (**فأَوْحَى اللهُ إلى عبدِه**).

ويجوز ذلك أيضًا من حيثُ المعنى، فقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾، لا يليقُ بالله، لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا يتدلَّى، لأنَّ التدلِّيَ هو السُّفول من الأعلى، ويؤيِّدُ ذلك من حيث المعنى قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النجم:١٣-١٤]، يَعْنِي: مَرَّةً أُخْرَى، رأى النَّبيُّ ﷺ جبريلَ عندَ سِدْرة المنتهى، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لم يَرَهُ في صورتِه إلا مَرَّتَيْنِ:

مَرَّةً عندَ سِدْرةِ المُنْتَهى، ومَرَّةً في جِياد، له سِتُّمائةِ جَنَاحٍ، قد سَدَّ الأُفُقَ[١].

وبهذا يَتبَيَّنُ أنَّ ما ذَهَبَ إليهِ ابنُ القَيِّمِ في هذهِ المسألةِ قولٌ ضعيفٌ، وإن كان قد قَالَ به كثيرٌ من المفسِّرين.

لكن لا شكَّ أنَّ الرسولَ ﷺ عُرِج به إلى الله حتَّى جاوَزَ السَّبعَ الطِّباقَ، كما قَالَ المؤلف.

١١٩٩- بَلْ عَادَ مِـنْ مُوسَـى إِلَيْـهِ صَـاعِدًا   خَمْسًا عِدَادَ الْفَرْضِ فِي الْـحُسْبَانِ

عاد من موسى إلى الله، لأنَّ الرسولَ ﷺ فَرَضَ اللهُ عليه خمسين صلاةً، فقَبِلَ ورَضِيَ، وأسلمَ لله ظاهرًا وباطنًا، ولما نَزَلَ إلى جبريلَ إلى الأرض مَرَّ بموسى، وكان موسى -عليه الصلاة والسلام- قد غَبَطَ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- على ما أعطاه الله من الفضائِلِ، فقَالَ له: ما الذي فرض اللهُ عليك وعلى أمتك؟ قال: فرض عَلَيَّ خمسينَ صلاةً في كُلِّ يومٍ وليلةٍ، قال: لا، إِنَّ أُمَّتَك لا تُطيق ذلك، إني قد جَرَّبْتُ الناسَ وعالَجْتُ بني إسرائِيل أشدَّ المعالجة، فاذهبْ إلى ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

وهذا من توفيق الله عزَّ وجلَّ، لا في فرضها خمسين، ولا في تنبيه موسى للرسول ﷺ فرجَعَ إلى الله، صَعِدَ من موسى إلى الله، لأنَّ موسى في السَّماءِ السادسةِ، فَرَجَعَ إلى الله عزَّ وجلَّ، وما زال يَتَرَدَّدُ بينَ موسى وبينَ الله، حتى صارت خمسًا في الفعلِ، وخمسين في الميزانِ[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن، سورة والنجم، برقم (٣٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٣).

والحمد لله، هل هي خمسون في الميزانِ لأنَّ الحسنةَ بعَشْرِ أمثالها؟ الجَوَابُ: لا، لِأَنَّهُ لو كان كذلك لم يَكُنْ للصلواتِ مَزِيَّةٌ، لكنَّ خمسين في الميزان على أننا نصلِّي خمسين بالفعلِ، وليس المُرَادُ الثوابَ، لأنَّ ثوابَ كُلِّ الحسنات هكذا، الحسنةُ بعشرِ أمثالها، فالخمسُ بخمسين، لكن المُراد أنها خمسٌ في الميزان، أي: أننا نُعْطَى أجرَ خمسين صلاةً، وهذا -والحمد لله- من نعمة الله، وهو أنَّ اللهَ خَفَّفَ عنَّا، وأعطانا ما فرَضَه علينا أوَّلًا.

١٢٠٠- وَكَذَاكَ رَفْعُ الرُّوحِ عِيسَى المُرْتَضَى حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا موجودٌ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وفي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران:٥٥]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ اللهَ في العُلُوِّ.

١٢٠١- وَكَذَاكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ لَـمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ

نعم، تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ -أي: مؤمن- إلى الله وتَخْرِق السموات حتَّى تَصِلَ إلى الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «لَـمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ» أي: روحُ المؤمنِ تفوزُ إذا فارقت البدنَ، لكن كيف تفوزُ وكُلٌّ يكرهُ الموتَ؟!

نَقُولُ: هذا الإشكالُ أوردتْه عائِشةُ على النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-، حَدَّثَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنَّ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله كُلُّنَا يَكْرَهُ المَوْتَ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ»، يَعْنِي: لَيْسَ الأمرُ ما تظنِّينَ «المُؤْمِنُ إِذَا حَضَرَهُ الموتُ وبُشِّرَ بالجَنَّةِ

أَحَبَّ لِقَاءَ الله»[١] لِأَنَّهُ يُبَشَّرُ بنعيمٍ أكثرَ من الدنيا بآلافِ المراتِ ولا يُقَاسُ، فتُحِبُّ رُوحُه لقاءَ الله، وتَخْرُجُ وقد سَهُلَ عليها الخروجُ، حتَّى إنها تُسَلُّ من بَدَنِه كما تُسَلُّ الشعرةُ من العَجينِ، والشعرةُ من العجينِ سَلُّها سهلٌ.

لكنَّ روحَ الكافرِ -والعياذ بالله- إذا بُشِّرَتْ بالغضبِ والسَّخَطِ تفَرَّقَتْ في البَدَنِ -يَعْنِي: هَرَبَت- من سُوءِ ما بُشِّرَتْ به، فيَنْتزِعُها مَلَكُ الموتِ كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ من الصوفِ المَبْلولِ، والسَّفُّودُ: هو الذي يُغْزَلُ به، وهو عِبارةٌ عن خَشَبتين فيهما مساميرُ يكون فيها الصوفُ، إذا نَشِبَ الصوفُ في هذا السَّفُّودِ لا يُستطاعُ أن يُنْزَع، فيَنْتَزِعُها الشخص بأشد ما يكون -والعياذ بالله- فتكرهُ لقاءَ الله[٢]، لِأَنَّهَا بُشِّرتْ بالعذاب والغَضَبِ وما يسوءُها، فلهذا قَالَ المؤلف: (**لَـمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ**).

فهي إذا بُشِّرت بِرَوْحٍ ورَيْحانٍ وربٍّ غيرِ غَضْبَانَ تَفْرَحُ وَتُسَرُّ، يأخُذُها مَلَكُ الموتِ، ويُعطيها الملائكةَ الذين حَضَروا، ومعَهم كفنٌ من الجَنَّة، وحَنُوطٌ من الجنة، فيجعلونها في هذا الكفنِ والحنوط، ثُمَّ يَصْعَدون بها إلى الله، فتُفْتَحُ لها أبوابُ السَّماءِ، بخلافِ المُكَذِّبِ، فإنهم يَصْعَدُونَ بها إلى السَّماءِ، ثم تُغْلَقُ أبوابُ السَّماءِ دونَها، وتُطْرَحُ على الأرضِ طَرْحًا -والعياذُ بالله- وهذا أشدُّ مـمَّا لو لم يَصْعَدُوا بها، لِأَنَّهَا لو بَقِيت في الأرضِ كان أهونَ من أنْ يَصْعَدُوا بها إلى السَّماءِ، ثُمَّ تُرَدُّ من هناك[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (٦١٤٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (٢٦٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧).

(٣) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

إذَنْ رُوحُ المُؤمِنِينَ -اللَّهُمَّ اجعلنا وإِيَّاكم منهم- تفوزُ إذا فارقتِ البدنَ، لِأَنَّهَا تَنْتَقِلُ إلى خيرٍ مِمَّا انتقلتْ منه.

١٢٠٢- حَقًّــا إِلَيْــهِ كَــيْ تَفُــوزَ بِقُرْبِــهِ وَتَعُــودَ يَــوْمَ الْعَــرْضِ لِلْجُـثْمَانِ

تفوزُ بقربِه، لِأَنَّهَا في الجنة تَسْرَحُ في أنهارِها وأشجارِها هناك، فإذا كان يومُ القيامةِ ونُفِخَ في الصُّورِ خرجت أرواحُ المؤمنين من هذا الصور، وعليها نورٌ، حتَّى تكونَ في الأبدانِ، فتَحُلَّ بالأبدانِ حُلولًا أبديًّا، ولا تخرجُ من هذا بَعْدُ.

١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْـمُضْطَرِّ أَيْضًا صَـاعِدٌ أَبَــدًا إِلَيْــهِ عِنْــدَ كُــلِّ أَوَانِ

وهذا من رحمتِه عزَّ وجلَّ، أنه يُجِيبُ المضطرَّ إذا دعاه كُلَّ أوانٍ، حتَّى لو كان كافرًا، فإنَّ اللهَ يُجيبُه، لأنَّ رحمةَ الله سبقتْ غضبَه، والدليلُ على أنَّ الكافرَ تُجابُ دعوتُه عند الضرورة قولُ الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، ولم يَقُلْ: (المُؤمِن)، بل جَعَلَ سببَ الإجابةِ الاضطرارَ.

ومثالٌ واقعيٌّ أنهم إذا كانوا في الفُلْك، وهاجت بهم الأمواج، دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ له الدِّينَ، فيُنَجِّيهم، مع أنه يعلمُ أنهم سيُشْركون، قَالَ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، لكن مِن أَجْلِ اضطرارهم فإنَّ رحمةَ الله عزَّ وجلَّ تسبقُ غضبَه، فالمضطرُّ تَصْعَدُ دعوتُه إلى الله حتَّى يُجِيبَها عزَّ وجلَّ.

١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْـمَظْلُومِ أَيْضًا صَـاعِدٌ حَقًّــا إِلَيْــهِ قَــاطِعَ الْأَكْــوَانِ

دعاءُ المَظْلومِ أيضًا يَصْعَدُ إلى الله، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ: «اتَّقِ دَعْوَةَ

المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ»[١].

تُرْفَعُ فَوْقَ السَّحابِ، ويُجِيبُ اللهُ تعالى دعاءَه، حتَّى وإن كان كافرًا، فالمظلومُ وإن كان كافرًا فإنَّ الله تعالى يُجِيبُ دعاءَه، لماذا؟ هل لأنَّ اللهَ يحبُّه؟ الجَوَابُ: لا، ولكن لأنَّ اللهَ يحبُّ العدلَ والإنصافَ، والإنصافُ للمظلوم من الظالم عدلٌ، وليس جَوْرًا، فلمَحبَّةِ الله للعدلِ يَقْبلُ اللهُ دعوةَ المظلومِ ولو كانَ كافرًا على مَنْ ظَلَمَه، ولهذا **يقولُ العلماءُ**: إننا نُعامِلُ الكافرَ والمؤمنَ على حدٍّ سواءٍ في بابِ القضاءِ والحُكْمِ مع أننا بشرٌ.

إذا جاء مؤمنٌ وكافرٌ يَخْتصمانِ إلى القاضي، فإنه لا يَجوزُ أنْ يُحابِيَ المُسلِمَ أبدًا، بل يَدْخُلانِ جميعًا، ويجلسان أمامَ القاضي جميعًا، ويَنْظُرُ إليهما نظرًا واحدًا، فلا ينظرُ إلى الكافر بوجهِ الغضبِ وإلى المسلمِ بوجهِ الرِّضا، لأنَّ المقامَ مَقامُ عدلٍ.

وهل يجوز أنْ يقومَ للمؤمنِ ولا يقومَ للكافر في باب المحاكمة؟

الجَوَابُ: لا، لأنَّ هذا خلافُ العدلِ، فإذا كنا نحن المنفِّذين لأحكامِ الله فيَجِبُ علينا العدلُ حتَّى مع الكُفَّار، فما بالك بالرَّبِّ الذي هو أعدلُ العادلينَ، فإنه إذا ظُلِمَ أحدٌ -ولو من الكُفَّار- فدعا اللهَ استجابَ له.

ويُذْكَرُ أنَّ بعضَ القُضاةِ كانَ له صِهرٌ -والصِّهرُ: هو قريبُ الزوجةِ- وكان هذا الصِّهرُ له خَصْمٌ، فجاء الصِّهْر ودخَلَ بيتَ القاضي، لِأَنَّ فيه ابنته، أو أخته، أو ما أَشْبَهَ ذلك، وذلك لما أَحَسَّ بمجيء الخصمِ للمُخاصمةِ، وجاء القاضي ودخل البيت، ولم يكن يظنُّ أنَّ هناك خصومةً، فقال لِصِهْره: ما الذي جاء بك؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم (١٤٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

قال: بيني وبين فلانٍ خصومةٌ، قال: الخصومة مجلسُها غدًا -يَعْنِي: ليس في هذا اليوم الذي جئتَ فيه إلى بيتي- حتى أَفْصِلَ بينكما.

وهكذا يَجِب، لأنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ المُقْسطِينَ.

إذَنْ نقول: المظلومُ والمضطرُّ يجيبُ اللهُ دعوتَهما ولو كانا كافِرَيْنِ، أمَّا إجابة المضطرِّ، فلأنَّ رحمةَ الله سبقتْ غضبَه، وأمَّا إجابة المظلومِ فلأنَّ اللهَ حَكَمٌ عدلٌ، لا يَدَعُ للظالمين فرصةً.

* * *

فصل

١٢٠٥- هَـذَا وَسَادِسُـهَا وَسَـابِعُهَا: النُّـزُو ... لُ، كَـذَلِكَ التَّنْزِيـلُ لِلْقُـرَآنِ

١٢٠٦- وَاللهُ أَخْبَرَنَـا بِـأَنَّ كِتَابَـهُ ... تَنْزِيلُـهُ بِالْـحَقِّ وَالْبُرْهَـانِ

١٢٠٧- أَيَكُونُ تَنْـزِيلًا وَلَـيْسَ كَـلَامَ مَنْ ... فَوْقَ الْعِبَـادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمْكَـانِ؟!

١٢٠٨- أَيَكُونُ تَنْـزِيلًا مِـنَ الـرَّحْمَنِ وَالـرْ ... رَحْمَـنُ لَـيْسَ مُبَـايِنَ الْأَكْـوَانِ؟!

١٢٠٩- وَكَـذَا نُـزُولُ الـرَّبِّ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْـلٍ وَذَاكَ الثَّانِـي

١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَحْـ ... ـوَالِ الْعِبَـادِ، أَنَـا الْعَظِـيمُ الشَّـانِ

١٢١١- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطَـى سُـؤْلَهُ؟ ... مَـنْ ذَا يَتُـوبُ إِلَيَّ مِـنْ عِصْـيَانِ؟

١٢١٢- مَـنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِـي فَـأَغْفِرَ ذَنْبَـهُ؟ ... فَأَنَـا الْـوَدُودُ الْوَاسِـعُ الْغُفْـرَانِ

١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيـدُ شِـفَاءَهُ مِـنْ سُـقْمِهِ؟ ... فَأَنَا الْقَرِيـبُ مُجِيـبُ مَـنْ نَادَانِـي

١٢١٤- ذَا شَـأْنُهُ سُـبْحَانَهُ وَبِحَمْـدِهِ ... حَتَّى يَكُـونَ الْفَجْـرُ فَجْـرًا ثَانِـي

١٢١٥- يَـا قَـوْمِ لَـيْسَ نُزُولُـهُ وَعُلُـوُّهُ ... حَقًّـا لَـدَيْكُمْ بَـلْ هُمَـا عَـدَمَانِ

١٢١٦- وَكَذَا يَقُـولُ لَـيْسَ شَـيْئًا عِنْـدَكُمْ ... لَا ذَا، وَلَا قَـوْلٌ سِـوَاهُ ثَانِـي

١٢١٧- كُـلٌّ مَجَـازٌ لَا حَقِيقَـةَ تَحْتَـهُ ... أَوِّلْ وَزِدْ وَانْقُـصْ بِـلَا بُرْهَـانِ

الشـرحُ

في هذا الفصل ذكَرَ المؤلفُ نوعينِ من الْأَدِلَّةِ على عُلُوِّ الله -جلَّ وعلا- وهما: النزولُ والتنزيلُ، ولذا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٢٠٥- هَـذَا وَسَادِسُـهَا وَسَـابِعُهَا: النُّـزُو ... لُ، كَـذَلِكَ التَّنْزِيـلُ لِلْقُـرَآنِ

قَوْلُهُ: «**التَّنْزِيلُ لِلْقُرَآنِ**» قَالَ تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت:١-٣]، وقَالَ تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس:٥]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

١٢٠٦- وَاللهُ أَخْبَرَنَـا بِـأَنَّ كِتَابَـهُ ... تَنْزِيلُـهُ بِالْـحَقِّ وَالْبُرْهَـانِ

أَخْبَرَ في عِدَّة آياتٍ بأنَّ كتابَه الكريمَ تنزيلٌ من عندِه.

١٢٠٧- أَيَكُونُ تَنْـزِيلًا وَلَـيْسَ كَـلَامَ مَـنْ ... فَوْقَ الْعِبَـادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمْكَـانِ؟!

قَوْلُهُ: «**أَيَكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ**»؟ الجَوَابُ: لا يمكنُ.

قَوْلُهُ: «**أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ**» الجَوَابُ: لا.

١٢٠٨- أَيَكُونُ تَنْـزِيلًا مِـنَ الـرَّحْمَنِ وَالـرْ ... رَحْمَـنُ لَـيْسَ مُبَـايِنَ الْأَكْـوَانِ؟!

الجَوَابُ: لا، فهذا التنزيلُ، فإذا أَخْبَرَ اللهُ بأنَّ القرآنَ تنزيلٌ منه، وهو كلامُه، لَزِمَ أنْ يكونَ اللهُ عزَّ وجلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لأنَّ القرآنَ كلامُه، فإذا كان تنزيلَه لَزِمَ أنْ يكونَ فوقُ.

وأمَّا النزولُ فقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٢٠٩- وَكَـذَا نُـزُولُ الـرَّبِّ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْـلٍ وَذَاكَ الثَّانِـي

يعني: يَنْزِلُ اللهُ تعالى في النصفِ الأخيرِ من الليلِ، إمَّا حين يَبْقَى الثُّلُثُ[١]، وإمَّا من حيثُ انتصافُ الليلِ، على روايتين في هذا.

والمشهورُ أنه من الثلث، لكن توجدُ روايةٌ أنه من النصفِ، وليس ببعيد أنْ يكون من النصف، لكن إلى أنْ يَطْلُعَ الفجرُ[٢].

ونزولُ الرَّبِّ جاء متواترًا عن الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- أنه يَنْزِلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا.

لكن من الذي ينزلُ؟ الجَوَابُ: ينزلُ هو نفسُه، وذلك لأنَّ القاعدةَ العامَّةَ أنَّ ما أضافه اللهُ إلى نفسه من الأفعالِ والصفاتِ فهو له نفسُه، لا لغيرِه.

فمثلًا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٤] مَنْ خلقها؟ هو نفسُه.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:٩٩]، مَن الذي أَنْزَلَ؟ هو نفسُه، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] مَن الذي استوى؟ هو نفسُه، وهَلُمَّ جَرًّا.

فكُلُّ فعلٍ أَضَافَه اللهُ إلى نفسِه فهو له نفسُه، لا يعودُ إلى غيرِه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، مَن الفاعل؟ الجَوَابُ: اللهُ، فهو الخالقُ وهو المستوي، وكذلك كُلُّ الضمائرِ في أيِّ آيةٍ من القرآنِ.

فإذا كان النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»[٣] مَن النَّازِلُ؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذِّكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/ ١٩٩، رقم ٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

الجَوَابُ: اللهُ عزَّ وجلَّ لا غَيْرُه، ولا يجوزُ أنْ نقولَ: إنَّ النازلَ غيرُه أبدًا، لأننا إذا قُلْنَا: إنَّ النازلَ غيرُه، فقد قدَّمنا بين يَدَيِ الله ورسولِه، وقد قَالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات:١]، فإذا كان اللهُ يَنْزِلُ، فإنَّ جميعَ اللغاتِ تَقْتضي أنَّ النزولَ إنما يكونُ من أعلى إلى ما دونَه.

لكن يَبْقَى علينا أنْ نعلمَ أنْ نزولَ الله عزَّ وجلَّ لا يَستلزِمُ ألَّا يكونَ عاليًا فَوْقَ الْـخَلْقِ، فهو نازلٌ إلى السَّماءِ الدنيا، وعالٍ فَوْقَ الْـخَلْقِ كما أنه قريبٌ مع العبادِ، وعالٍ فَوْقَ عرشِه، حتَّى قَالَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُوَن أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنِقِ رَاحِلَتِهِ»[1]. ومكانُه فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فهو معنا أيضًا وهو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فينزلُ إلى السَّماءِ الدنيا، وهو فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَوْقَ السموات السَّبعِ، وفوقَ العَرْشِ، ونَقُولُ: إنَّه نازِلٌ إلى السَّماءِ الدنيا.

قد تقول: إنَّ هذا غيرُ معقولٍ، كيف يكونُ فوقَ كُلِّ شَيْءٍ وهو نازلٌ إلى السَّماءِ الدنيا؟!

نَقُولُ: هذا غيرُ معقولٍ بالنسبةِ للمخلوقِ الذي تُحِيطُ به الأفلاكُ، أمَّا بالنسبةِ للخالقِ المُحِيطِ بكُلِّ شَيْءٍ، فإنه معقولٌ ومنقولٌ، لأنَّ اللهَ ليسَ كمثلِه شيءٌ، وأنت إذا حاولتَ أنْ تقيسَ صفاتِ الله بصفاتِكَ فاعلَمْ أنك سَتضِلُّ، إمَّا بتَحريفِ النَّصِّ وتعطيلِ الصِّفَةِ، وإمَّا بالتمثيلِ ولا بُدَّ، فهذه قاعدةٌ، ولهذا نقولُ: هو ينزلُ حقًّا كما أضافَ ذلك أعلَمُ الْـخَلْقِ بهِ إلى الله، وهو محمدٌ -عليه الصلاة والسلام- لكن

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٢) واللفظ له، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤).

نُؤمِنُ بأنه معَ نزولِه ما زالَ عاليًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، ولا نقولُ: إنَّ هذا مُتناقِضٌ، لأنَّ الخالقَ لا يُماثلُه شَيْءٌ من مخلوقاتِه.

وهنا ليس مُرَادُ المؤلفِ أنْ يُثْبِتَ النزولَ، وأن يَتكلَّمَ عن النزولِ، إنما أَرَادَ أنْ يُثْبِتَ العلوَّ، لأنَّ النزولَ لا يكونُ إلَّا من علوٍّ.

١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَحْـ ـوَالِ الْعِبَادِ، أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ يسألُ عن عبادي غيري؟ فهو عزَّ وجلَّ الذي يسألُ عن عبادِه، وليسَ يسألُ سؤالَ استرشادٍ أو جَهْلٍ، لِأَنَّهُ عالِـمٌ، لكن يسألُ سؤالَ عنايةٍ، ما حَوائِجُهُم؟ فيقولُ:

١٢١١- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطَى سُؤْلَهُ؟ مَـنْ ذَا يَتُـوبُ إِلَيَّ مِـنْ عِصْـيَانِ؟

١٢١٢- مَـنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِـي فَـأَغْفِرَ ذَنْبَـهُ؟ فَأَنَـا الْـوَدُودُ الْوَاسِـعُ الْغُفْـرَانِ

١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيـدُ شِـفَاءَهُ مِـنْ سُـقْمِهِ؟ فَأَنَا الْقَرِيـبُ مُجِيـبُ مَـنْ نَادَانِـي

كُلُّ هذه يقولُها اللهُ عزَّ وجلَّ، فهو نفسُه يَعرِضُ لعبادِه أنْ يَتوبوا إليه ويَسْتغفِرُوه، وأن يسألوه، كما عَرَضَ على نفسِه أنْ يؤمنوا، فقَالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف:١٠]، يَعْنِي: هل تُحبُّون أنْ أدلَّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليمٍ؟ الجَوَابُ: نعم، دُلَّنا يا ربَّنا، ووَفِّقْنا إليها، فهو عزَّ وجلَّ يَعرِضُ، وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾ تشويقٌ، وعَرْضٌ للعبادِ، ثُمَّ ذَكَرَ التجارةَ فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف:١١]، وهذا أيضًا يقولُه اللهُ تعالى في آخِرِ الليلِ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وإِيَّاكم ممَّن يَقومُه- فيقولُ هكذا: مَنْ يتوبُ؟ مَنْ يَستغفِرُ؟ مَنْ يسألُ؟ مَنْ يُرِيدُ الشِّفاءَ: شفاءَ القلبِ وشفاءَ البَدَنِ؟

١٢١٤- ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِي

يعني: إلى أنْ يَطْلُعَ الفجرُ الثاني، لأنَّ الفجرَ فجرانِ، وقد سَبَقَ ذلك.

١٢١٥- يَا قَوْمِ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعُلُوُّهُ حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمِ» يُخاطِبُ هنا المُنْكِرِينَ للعلوِّ، لكن كيف يقولُ: (يَا قومِ)، وهو يُضَلِّلُهم؟! نَقُولُ: نعم: يقولُ ذلك مثلَ الأنبياءِ، فهم يَقولونَ لأقوامِهم: (يا قومِ)، وهم يُكَذِّبُونهم، ويُشرِكون بالله.

قَوْلُهُ: «بَلْ هُمَا عَدَمَانِ»، لِأَنَّهُم لا يُقِرُّون بعلوِّ الله ولا بنُزولِه.

يقولونَ: عُلُوُّ الله هو عُلُوُّ القَدْر والقَهْرِ، ويقولونَ في النُّزولِ: نزولُ الأمرِ والرحمةِ، فإذا قُلْتَ في «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»[1]: هو نفسُه عزَّ وجلَّ ينزلُ. ضَرَبَ بيَدَيْهِ على رأسِه وصَرَخَ بكَ: آللهُ يَنْزِلُ؟! فتقولُ له: نعم، فيقولُ لك: لا، أنتَ مخطئٌ، بل الذي ينزلُ إلى السَّماءِ الدنيا في ثُلُثِ الليلِ هو أمْرُه.

لكن إذا سألتَه: هل الأمْرُ يقولُ: مَنْ يَدْعوني فأستجيبَ له؟ يقول: لا، ويقول إذَنْ تنزلُ رحمتُه، وهل الرحمةُ تقولُ هذا الكلامَ؟ يقولُ: لا، فتقولُ: ثُمَّ ما الفائِدةُ لنا بنزول الرحمةِ إلى السَّماءِ الدنيا؟! ثُمَّ الأمْرُ ليسَ منتهاه إلى السَّماءِ الدنيا، بل منتهاه إلى الأرضِ، قَالَ تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥].

فيَقُولُ ثالث: وَجدْتُ المعنى الصحيحَ، ينزل مَلَكٌ من ملائِكتِه.

نَقُولُ: سبحان الله! المَلَك يدعو الناسَ إلى الإشراكِ، ويقول: مَنْ يَدْعُوني

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

فأستجيبَ له؟! وحينئذٍ تَنْقَطِعُ عنه السُّبُلُ، ويُصْبِحُ ابنَ سبيلٍ مُنْقَطِعًا به، ونَقُولُ: سَلِّم واسْلَم، سَلِّم الأمرَ إلى الله ورسولِه، وقل: ينزلُ ربُّنا نزولًا حقيقيًّا يَلِيقُ به عزَّ وجلَّ، وحينئذٍ تَسْلَمُ، لكن هم يقولون: لا نزولَ ولا علوَّ.

١٢١٦- وَكَذَا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ ... لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي

قَوْلُهُ: «وَكَذَا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ» لِأَنَّهُم يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وليس قولَ ربِّ العالَمِينَ، وإنَّ اللهَ لا يقولُ، لكن يَخْلُقُ قولًا.

قَوْلُهُ: «لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي» يَعْنِي: لا يقولُ لا هذا ولا غيرَه، فاللهُ لا يقولُ، ولا يمكنُ أنْ يقولَ: مَنْ يدعوني؟ وإنما يخلقُ صوتًا مثلَه.

١٢١٧- كُلٌّ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ ... أَوِّلْ وَزِدْ وَانْقُصْ بِلَا بُرْهَانِ

يَتهكَّمُ بهم، فيقول: (أَوِّلْ) والتأويلُ بالنسبةِ للمعطِّلةِ حقيقتُه التحريفُ.

قَوْلُهُ: «وزِدْ وانْقُصْ» يقول: (يَنْزِلُ رَبُّنَا) يَعْنِي: ينزلُ أمرُ ربِّنا، وهذا زائِدٌ، و(انقُصْ): يَعْنِي: يمكنُ أنْ تأتِيَ صِفَةٌ فيَنْقُصها، ويقول: هذا زائِد، فمثلًا قولُه تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، بعضُهم يقولُ: ويَبْقَى رَبُّك، لكن ماذا نفعَلُ بكلمةِ (وجه)؟ يقول: هذه صلةٌ، فتَحَاشَى أنْ يقولَ: زائِدٌ في القرآنِ، وهي زيادةٌ لَفْظيَّةٌ، وجَسَرَ[1] أنْ يقولَ: زائِدٌ زيادةً مَعْنويَّة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فيمَن هَدَيْت.

* * *

(١) جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُورًا وجَسارَةً: مَضَى ونفَذ. وجَسَرَ عَلَى كَذَا يَجْسُر جَسارَةً وتَجاسَر عَلَيْهِ: أَقدم. والجَسُورُ: المِقْدامُ. وَرَجُلٌ جَسْر وجَسُورٌ: ماضٍ شجاعٌ. انظر: لسان العرب، مادة: جسر.

فصــل

١٢١٨- هَـذَا وَثَامِنُـهَا بِسُـورَةِ غَـافِرٍ: هُـوَ رِفْعَـةُ الـدَّرَجَاتِ لِلـرَّحْمَنِ

١٢١٩- دَرَجَاتُـهُ مَرْفُوعَـةٌ كَمَعَـارِجٍ أَيْضًـا لَـهُ، وَكِلَاهُمَـا رَفْعَـانِ

١٢٢٠- وَفَعِيـلُ فِيهَـا لَـيْسَ مَعْنَـى فَاعِـلٍ وَسِـيَاقُهَا يَأْبَـاهُ ذُو التِّبْيَـانِ

١٢٢١- لَكِنَّهَـا مَرْفُوعَـةٌ دَرَجَاتُـهُ لِكَـمَالِ رِفْعَتِـهِ عَـلَى الْأَكْـوَانِ

١٢٢٢- هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَـلَا تَحِـدْ عَنْـهُ، وَخُـذْ مَعْنَـاهُ فِي الْقُـرْآنِ

١٢٢٣- فَنَظِيرُهَـا الْـمُبْدِي لَنَـا تَفْسِـيرَهَا فِي ذِي الْـمَعَارِجِ لَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ

١٢٢٤- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلَاكُ تَصْـعَدُ فِي مَعَـا رِجِـهِ إِلَيْـهِ جَـلَّ ذُو السُّـلْطَانِ

١٢٢٥- ذَا رِفْعَـةُ الـدَّرَجَاتِ حَقًّـا مَـا هُمَـا إِلَّا سَـوَاءٌ أَوْ هُمَـا شِـبْهَانِ

١٢٢٦- فَخُذِ الْكِتَابَ بِبَعْضِـهِ بَعْضًـا كَـذَا تَفْسِـيرُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ لِلْقُـرْآنِ

الشـرحُ

١٢١٨- هَـذَا وَثَامِنُـهَا بِسُـورَةِ غَـافِرٍ: هُـوَ رِفْعَـةُ الـدَّرَجَاتِ لِلـرَّحْمَنِ

هذا هو النوعُ الثامنُ من أَدِلَّةِ عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ، وهو ما جاءَ في سورةِ غافرٍ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥]، فـ (رفيع) واضحٌ أنها صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ، يَعْنِي: أنَّ درجاتِه عزَّ وجلَّ رفيعةٌ، فالوصفُ هنا عائِدٌ إلى الله عزَّ وجلَّ.

لكنَّ بعضَ الناسِ قال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: رافعُ الدرجاتِ، فجعَلَ (رفيعًا) صيغةَ مبالغةٍ مضافةً إلى المفعولِ، والصوابُ المقطوعُ به أنها صِفَةٌ مُشبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ كما تقولُ: (زيدٌ جميلُ الظاهِرِ، طيِّبُ القلبِ) أي: جميلٌ ظاهرُه طيِّبٌ قلبُه، فهكذا (رَفِيعُ الدَّرجاتِ) صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ.

أما مَنْ فَسَّر (رفيع) بمعنى: رافع، وجعَلَها مضافةً إلى المفعولِ به، فهذا خطأٌ، ويَدُلُّ على ذلك ما أشارَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بأنَّ القرآنَ يُفسِّرُ بعضُه بعضًا، وقد قَالَ اللهُ تعالى في سورة سأل: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٢-٤]، فـ(ذِي المَعَارِجِ) يَعْنِي: صاحِبَ المعارجِ، فهي بمعنى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ سواءً بسواءٍ، أو شِبْهًا بشِبْهٍ.

ويُؤيِّدُ ذلكَ أيضًا أنه عزَّ وجلَّ قال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥] أي: صاحبُ العَرْشِ، ومعلومٌ أنَّ العَرْشَ أعلى المخلوقاتِ، فإذا كانَ هو صاحبَ العَرْشِ الذي لم يستوِ على عرشِه غيرُه، لَزِمَ أنْ يكونَ (رفيعُ) بمعنى الصِّفَة المُشَبَّهَةِ.

إذَنْ فتَفسيرُ الآيةِ من الآيةِ، ومن الآيةِ الثانيةِ التي في سُورةِ المَعارِجِ.

١٢١٩- دَرَجَاتُــهُ مَرْفُوعَــةٌ كَمَعَــارِجٍ ... أَيْضًــا لَــهُ، وَكِلَاهُمَــا رَفْعَــانِ

قَوْلُهُ: «دَرَجاتُهُ مَرْفُوعةٌ كمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ» أين المعارجُ التي له؟ الجَوَابُ: قولُه في سأل: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾.

١٢٢٠- وَفَعِيــلُ فِيهَــا لَــيْسَ مَعْنَــى فَاعِــلٍ ... وَسِــيَاقُهَا يَأْبَــاهُ ذُو التِّبْيَــانِ

قَوْلُهُ: «وفَعِيلُ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ» هذا رَدٌّ لقولِ مَنْ قالَ: إنها بمعنى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾.

قَوْلُهُ: «**وَسِيَاقُهَا يَأْبَاهُ ذُو التِّبْيَانِ**» يَعْنِي: يأباه صاحبُ التِّبْيانِ، أي: يَمْنَعُه، لأنَّ مَنْ قَرَأَ الآيَةَ عرَفَ تمامًا أنَّ الوصفَ يعودُ فيها إلى الله -سبحانه وتعالى- بأنه هو نفسُه رفيعُ الدَّرَجاتِ.

١٢٢١- لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ ... لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ

١٢٢٢- هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحِدْ ... عَنْهُ، وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ

١٢٢٣- فَنَظِيرُهَا الْـمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرَهَا ... فِي ذِي الْـمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

قَوْلُهُ: «**فَنَظِيرُهَا الْـمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرَهَا**» يَعْنِي: الذي يُظْهِرُ لنا تفسيرَها، ما هو؟ قال: (**فِي ذِي الْـمَعَارِجِ**) أي: كائِنٌ في ذي المَعارِجِ.

١٢٢٤- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلَاكُ تَصْعَدُ فِي مَعَا ... رِجِهِ إِلَيْهِ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «**الرُّوح**» أي: جِبْريلُ، أو أرواحُ أهلِ العلمِ والإيمانِ.

١٢٢٥- ذَا رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا ... إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ

قَوْلُهُ: «**ذا رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ**» أي: المذكورةِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر:١٥].

قَوْلُهُ: «**مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ**» الضميرُ في (**هما**) يعودُ على (**رفيع الدرجات**)، و(**ذي المعارج**).

١٢٢٦- فَخُذِ الْكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا ... تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

أحسنُ التفسيرِ تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ بِلا شكٍّ، ووَجْهُ ذلك أنَّ القرآنَ تَكَلَّمَ به واحدٌ، فإذا فَسَّرَ المُتكلِّمُ كلامَه بعضَه ببعضٍ صارَ أدْرَى به من غيرِه، فإذا لم نَجِد

تفسيرَ القرآنِ بالقرآنِ، رَجَعْنَا إلى تفسيرِ أعلمِ الْـخَلْقِ بالقرآنِ، وهو النَّبِيُّ ﷺ، ولا يمكنُ أنْ نَحِيدَ عنه.

ففي قَوْلِهِ تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فسَّرها النَّبِيُّ ﷺ بأنها «النَّظَرُ إلى وَجْهَ الله»[1]، فلا نَحِيدُ عن هذا، لأنَّ الرسولَ فسَّرها.

وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، قال: «أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ»[2]، فنقف على هذا التفسيرِ.

ولذلك الرَّمْيُ هو السِّلاحُ الفَعَّالُ الآن في الوقت الحديثِ في أساليبِ الحربِ المتطورة،، مثل: القنابل، والصواريخ من فوق أو من جنب، كُلُّ هذا السِّلاحِ أشدُّ من الدبابات.

إذا لم نَجِد في السُّنَّة، فمَنْ أعلم الناس بتفسيرِ القرآنِ فيما يَتعلَّق بالعباداتِ؟

الجَوَابُ: الصحابةُ بلا شكٍّ، فلا شكَّ أنهم أعلمُ الناسِ فيما يَتعلَّقُ بالعباداتِ من غيرِهم.

فهم أعلمُ الناسِ بتفسيرِ القرآنِ، فنَرجِعُ إلى أقوالِ الصحابةِ، فإن اخْتَلَفوا على قولَيْنِ، طَلَبْنا المُرَجِّحَ.

فإذا اختلفَ العلماءُ ولم نَعْلَم، فهل نأْخُذُ بأقوالِ التابِعِينَ أو لا؟

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧)

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم (١٩١٧).

فمِنهم مَن قال: لا نأخذُ بأقوالِ التابعِينَ، لأنَّ التابعين لم يشهدوا الوحيَ حين نُزولِه، وما كانوا مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى نَقُولَ: فَهِموا من الرسول معنى الآيةِ وعَبَّروا عنه بألسنتِهم، فهم كغيرِهم.

ومنهم مَنْ فَصَّلَ وقال: مَن عُرِفَ عنه أنه تَلَقَّى التفسيرَ من الصحابةِ، فإننا نَرجِعُ إلى تفسيرِه، مثل مجاهدٍ، فقد تلقَّى عن ابنِ عَبَّاسٍ، ومَنْ لا، فهو كغيرِه.

لكن يَجِبُ أنْ نعلمَ قاعدةً مهمةً، وهي أنه كُلَّما كان الناسُ أقربَ إلى زَمَنِ النُّبوةِ كانوا أقربَ إلى الصوابِ فيما يَتعلَّقُ بالعقائِدِ والعباداتِ، وهذا شَيْءٌ معروفٌ، ولهذا قَالَ الرسول ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[1]. وهذا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ، لأنَّ القَرِيبِينَ من عَهدِ النبوة ليس بينهم وبين النبوة وسائِطُ إِلَّا وسائِطَ قليلةً، فالتابعون بينَهم وبينَ الرسولِ واسطةٌ واحدةٌ، وتابعو التابعين بينهم وبين الرسولِ واسِطَتانِ، وتابعو تابعي التابعين بينهم وبين الرسولِ ثلاث وسائط... وهلمَّ جرًّا.

ثُمَّ إنه من بعدِ القرون المفضَّلة كَثُرت الفتنُ والأهواءُ، وصارت بضاعةُ كثيرٍ من الناسِ قليلةً بالنسبةِ للعلومِ الشرعيةِ.

قَوْلُهُ: «أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ» المُرَاد بهم المُفسِّرونَ الذين يُفسِّرونَ الكتابَ بعضَه ببعضٍ، وهذا هو الواجبُ، لأنَّ المُتكلِّمَ بالقرآنِ واحدٌ، فهو أعلمُ بما أَرَادَ في كلامِه.

* * *

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

فصـل

١٢٢٧- هَـذَا وَتَاسِـعُهَا: النُّصُـوصُ بِأَنَّـهُ ... فَـوْقَ السَّـمَاءِ وَذَا بِـلَا حُسْـبَانِ

١٢٢٨- فَاسْتَحْضِرِ الْوَحْيَيْنِ وَانْظُـرْ ذَاكَ تَلْـ ... ـقَاهُ مُبِينًـا وَاضِـحَ التِّبْيَـانِ

١٢٢٩- وَلَسَوْفَ نَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ عَنْ قَرِيـ ... ـبٍ كَـيْ تَقُـومَ شَـوَاهِدُ الْإِيـمَانِ

١٢٣٠- وَإِذَا أَتَتْـكَ فَـلَا تَكُـنْ مُسْتَوْحِشًـا ... مِنْهَـا وَلَا تَـكُ عِنْـدَها بِجَبَـانِ

١٢٣١- لَيْسَتْ تَدُلُّ عَـلَى انْحِصَـارِ إِلَـهِنَا ... عَقْـلًا وَلَا عُرْفًـا وَلَا بِلِسَـانِ

١٢٣٢- إِذْ أَجْمَعَ السَّلَفُ الْكِـرَامُ بِـأَنَّ مَعْـ ... ـنَاهَا كَمَعْنَـى الْفَـوْقِ بِالْبُرْهَـانِ

١٢٣٣- أَوْ أَنَّ لَفْـظَ سَـمَائِهِ يَعْنِـي بِـهِ ... نَفْسَ الْعُلُوِّ الْـمُطْلَقَ الْـحَقَّانِـي

١٢٣٤- وَالرَّبُّ فِيهِ وَلَيْسَ يَحْصُـرُهُ مِنَ الْـ ... ـمَخْلُوقِ شَيْءٌ عَـزَّ ذُو السُّـلْطَانِ

١٢٣٥- كُـلُّ الْـجِهَاتِ بِأَسْرِهَـا عَدَمِيَّـةٌ ... فِي حَقِّــهِ هُــوَ فَوْقَهَــا بِبَيَـانِ

١٢٣٦- قَدْ بَانَ عَنْهَا كُلِّهَـا فَهْـوَ الْـمُحِيـ ... ـطُ وَلَا يُحَاطُ بِخَـالِقِ الْأَكْـوَانِ

١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقِمُ بَعْدُ ذُو التَّعْطِيـلِ مِـنْ ... وَصْـفِ الْعُلُـوِّ لِرَبِّنَـا الـرَّحْمَنِ

١٢٣٨- أَيَـرُدُّ ذُو عَقْـلٍ سَـلِيمٍ قَـطُّ ذَا ... بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِـي الْأَذْهَـانِ؟!

١٢٣٩- وَاللهِ مَـا رَدَّ امْـرُؤٌ هَـذَا بِغَيْـ ... ـرِ الْـجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّـةِ الشَّـيْطَانِ

الشَّـرحُ

١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقِمُ بَعْدُ ذُو التَّعْطِيـلِ مِـنْ وَصْـفِ الْعُلُـوِّ لِرَبِّنَـا الـرَّحْمَنِ

صحيح، ماذا يَنقِمُ مُنكرو العُلُوِّ؟ وسبحانَ الله على هذه العقولِ التي تُنْكِرُ العلوَّ، والذي يُقِرُّ كُلُّ أحدٍ بأنه صِفَةُ كمالٍ، وأنه لو لم يَثْبُت لله لكانَ اللهُ -تعالى وحاشاه- مُتَّصِفًا بالنقصِ!

فتَعَجَّب للعبِ الشياطينِ بعقولِ هؤلاءِ! هم يُقِرُّونَ -وكُلُّ أحدٍ يُقِرُّ- بأَنَّ العُلُوَّ صِفَةُ كمالٍ، ومعَ ذلك يُنكرونها مع وضوحِها عقلًا ونقلًا.

١٢٣٨- أَيَـرُدُّ ذُو عَقْـلٍ سَـلِيمٍ قَـطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَـانِ؟!

قَوْلُهُ: «أَيَرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ؟» الجَوابُ: لا.

١٢٣٩- وَالله مَـا رَدَّ امْـرُؤٌ هَـذَا بِغَيْـ ـرِ الْـجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّـةِ الشَّـيْطَانِ

يعني: الذي يَرُدُّ علوَّ الله فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لا تَخْلُو حالُه من أمرينِ:

الأول: (**الْـجَهْل**)، وهذا قصورٌ، قد يكونُ ناشئًا عن تقصيرٍ، لكن كيفَ عن تقصيرٍ؟ يَعْنِي: أنه لم يَطْلُب الحقَّ.

الثاني: (**حَمِيَّة الشَّيْطَانِ**): وهي التَّعَصُّب وسوءُ القصدِ والنيَّة، وإلَّا لا يمكنُ أنْ يردَّه أبدًا.

فَرَدُّ الحقِّ أسبابُه ثلاثة: قصورٌ، وتقصيرٌ، وسوءُ قصدٍ ونية، يَعْنِي: هَوًى، فالقصورُ هو الجهلُ، والتقصيرُ هو التفريطُ في طَلَبِ الحقِّ، والثالث: سوءُ القصد، يَعْنِي: لا يَقْصِدُ الحقَّ، إنما هو مُتعصِّبٌ صاحبُ هَوًى، أمَّا شخصٌ عنده علمٌ وجِدٌّ في طَلَبِ العلم، وحُسْنُ نيَّةٍ وقَصْدٍ، فإنه لا يمكنُ أنْ يَرُدَّ الحقَّ إطلاقًا.

فصــل

١٢٤٠- هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ ... أَمْلَاكِــهِ بِالْعِنْــدِ لِلـــرَّحْمَنِ

١٢٤١- وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْـ ... ـدِ الله فَـوْقَ الْعَـرْشِ ذُو تِبْيَـانِ

١٢٤٢- لَوْ لَـمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْـوَرَى ... كَـانُوا جَمِيعًـا عِنْـدَ ذِي السُّـلْطَانِ

١٢٤٣- وَيَكُـونُ عِنْـدَ الله إِبْلِـيسٌ وَجِبْــ ... ـرِيلٌ هُمَـا فِي الْعِنْـدِ مُسْـتَوِيَانِ

١٢٤٤- وَتَمَـامُ ذَاكَ الْقَـوْلِ أَنَّ مَحَبَّـةَ الـرْ ... رَحْمَـنِ عَـيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْـوَانِ

١٢٤٥- وَكِلَاهُمَــا مَحْبُوبُــهُ وَمُــرَادُهُ ... وَكِلَاهُمَـا هُــوَ عِنْـدَهُ سِـيَّانِ

١٢٤٦- إِنْ قُلْـتُمُ: عِنْدِيَّـةُ التَّكْـوِينِ فَالـذْ ... ذَاتَــانِ عِنْــدَ الله مَخْلُوقَــانِ

١٢٤٧- أَوْ قُلْـتُمُ: عِنْدِيَّـةُ التَّقْرِيـبِ تَقْــ ... ـرِيبُ الْـحَبِيبِ وَمَـا هُمَا عِـدْلَانِ

١٢٤٨- فَالْـحُبُّ عِنْدَكُمُ الْـمَشِيئَةُ نَفْسُـهَا ... وَكِلَاهُمَـا فِي حُكْمِهَـا مِـثْلَانِ

١٢٤٩- لَكِـنْ مُنَـازِعُكُمْ يَقُـولُ بِأَنَّهَـا ... عِنْدِيَّــةٌ حَقًّــا بِــلَا رَوَغَــانِ

١٢٥٠- جَمَعَـتْ لَـهُ حُـبَّ الْإِلَـهِ وَقُرْبَـهُ ... مِــنْ ذَاتِــهِ وَكَرَامَــةَ الْإِحْسَـانِ

١٢٥١- وَالْـحُبُّ وَصْفٌ وَهْوَ غَيْرُ مَشِـيئَةٍ ... وَالْعِنْــدُ قُــرْبٌ ظَــاهِرُ التِّبْيَـانِ

الشــرحُ

ذكر المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الفصلِ نوعًا عاشرًا من أَدِلَّةِ عُلُوِّ الله -سبحانَه

وتعالى- وذلك بأنَّ اللهَ تعالى ذكَرَ عن بعضِ مخلوقاتِه أنه عندَ الله، قال:

١٢٤٠- هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ

وذلك مثلُ قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء:١٩]، وقولِه -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، ووَجْهُ ذلك أنه قال: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، فدَلَّ ذلك على أنَّ هناك خَلْقًا آخَرَ، ليسوا عندَ الله، أي: بَعِيدينَ منه، وإلَّا لولا هذه الدَّلالةُ لكانت المخلوقاتُ سواءً في العِنْديَّة، ولكانَ إبليسُ وجبريلُ سواءً عندَ الله، وهذا مستحيلٌ.

إذَنْ فكونُ بعضِ المخلوقاتِ عندَ الله يدلُّ على أنه -سبحانه وتعالى- فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وهؤلاء عندَه وقَرِيبونَ منه، والآخرون بَعِيدونَ عنه، ولهذا قال:

١٢٤١- وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْـدِ اللهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تِبْيَانِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[1].

١٢٤٢- لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ

فهذا دليلٌ صحيحٌ، فلولا أنه فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ما صار هؤلاء عندَه وهؤلاءِ ليسوا عندَه، ولكانَ الناسُ كُلُّهم عندَ الله.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللهِ إِبْلِيسٌ وَجِبْـ ـرِيلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ

مع أنَّ اللهَ قَالَ لإبليسَ: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ [الأعراف:١٨]، أبْعَدَه اللهُ عزَّ وجلَّ.

١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ أَنَّ مَحَبَّةَ الرْ رَحْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ

١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سِيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَتَمَامُ ذَاكَ القَوْلِ»، ويجوزُ (وَتَمَامُ ذَاكَ القَوْلُ).

يعني: أنَّ هؤلاء القوم قالوا: المَحبَّة هي الإرادةُ، وكُلُّ الكونِ مُرَادٌ له، وعلى ذلك فالنتيجةُ: كُلُّ الكونِ محبوبٌ له، ولهذا قالوا: إنَّ اللهَ يُحِبُّ الكُفْرَ، والمَعاصِيَ، والفسوقَ، والغَيَّ، والجهلَ، والظلمَ، والعُدْوان. لماذا؟

قالوا: لأنَّ الكلَّ مُرَادُه، بل إنَّ بعضَهم -خاصَّة بعض الصُّوفية- جعلوا هذا غايةَ المُشاهِد، وهو أنْ يَشْهَدَ بأنَّ الكونَ كُلَّه مُرَادٌ لله، وكلَّه محبوبٌ لله، فهم قالوا: المَحبَّةُ والإرادةُ سواءٌ، كما قالوا: العِنْدُ والبُعْدُ سواءٌ.

ثُمَّ قَالَ المُؤلف:

١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمُ: عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ فَالْـ ذَاتَانِ عِنْدَ اللهِ مَخْلُوقَانِ

قالوا: (عِنْدَهُ) أي: أنه خَلَقَ هذا وخَلَقَ هذا، فيُرادُ بالعِنْديَّة عنديَّةُ التكوينِ والْـخَلْقِ.

١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمُ: عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيبِ تَقْـ ـرِيبُ الْـحَبِيبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

العنديَّةُ يَعْنِي بذلك: أنه قَرَّبَه ولو كانَ بعيدَ المكانِ، (فعنده) يَعْنِي: أنهم

قَرِيبونَ منه بطَاعَتِه ولو كانوا بَعِيدِي المكانِ.

١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمُ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا وَكِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا» أي: المشيئةُ والمَحبَّةُ في الحُكْمِ مثلان، أي: شاء هذا فأحبَّه.

١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَغَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ» المُنازِعُ أي: أهلُ السُّنَّةِ يقولون بأنها عِنديَّةٌ حقًّا.

قَوْلُهُ: «عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَغَانِ» هل هي عِنْديَّةُ خَلْقٍ وتَكْوينٍ، أو تقريبٍ وإرادةٍ، أو مكانٍ؟

الجَوابُ: مكانٍ.

١٢٥٠- جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

فالذين عندَ الله جَمَعوا بينَ محبَّةِ الله لهم، لِأَنَّهُ أدناهم وقرَّبهم، وكذلك قرَّبهم إلى ذاتِه عزَّ وجلَّ، والثالثُ: الكرامةُ التي أكْرَمَهم بها، لأنَّ مَنْ كانوا قَرِيبِينَ منه -جلَّ وعلا- فهم عندَه أكرمُ ممَّن كانوا بَعِيدينَ عنه بلا شكٍّ.

١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهْوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «والحُبُّ وَصْفٌ وَهْوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ» أي: الحبُّ غيرُ المشيئةِ، فقد يشاءُ ما لا يُحبُّه، وقد يُحِبُّ ما لا يَشاؤُه، فقد يشاءُ ما لا يحبُّه، لأنَّ المشيئةَ كونيَّةٌ، وليس فيها شرعيَّةٌ.

فقد شاءَ الكفرَ وهو لا يُحبُّه، قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقد يُحِبُّ ما لا يشاؤه، وهذا صحيحٌ.

فيُحبُّ من الفاسقِ أنْ يكونَ عدلًا، ويُحبُّ من الكافرِ أنْ يكونَ مؤمنًا، ولكنَّه لا يشاؤه لِحِكْمةٍ، ولهذا قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فلو كان الناسُ كُلُّهم مؤمنين لكان خَلْقُ النارِ عَبَثًا، لكنَّ اللهَ حقٌّ، وَعَدَ النَّارَ أنْ يَمْلأها والجنَّةَ أنْ يملأها، ولا تُمْلأُ النَّارُ إِلَّا مِن أهلِها، فلا بُدَّ أنْ يكونَ هناك كُفَّارٌ.

قَوْلُهُ: «**والعِنْدُ قربٌ**» هل العِنْدُ قُرْبٌ أو تَكْوينٌ؟

الجَوَابُ: العندُ قُرْبٌ، وليسَ تكوينًا، فإذا قُلْتَ: (العند تكوينٌ) فهذا خلافُ الظاهِرِ.

* * *

فصــل

١٢٥٢- هَــذَا وَحَـادِيَ عَشْـرَهُنَّ: إِشَـارَةٌ ... نَحْــوَ الْعُلُــوِّ بِإِصْــبَعٍ وَبَنَــانِ

١٢٥٣- لله جَــلَّ جَلَالُــهُ لَا غَــيْرِهِ ... إِذْ ذَاكَ إِشْرَاكٌ مِــنَ الْإِنْسَــانِ

١٢٥٤- وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الْـ ... ـحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْغُفْرَانِ

١٢٥٥- نَحْوَ السَّمَاءِ بِإِصْبَعٍ قَدْ كُرِّمَتْ ... مُسْتَشْــهِدًا لِلْوَاحِــدِ الــرَّحْمَنِ

١٢٥٦- يَــا رَبِّ فَاشْــهَدْ أَنَّنِـي بَلَّغْــتُهُمْ ... وَيُشِــيرُ نَحْــوَهُمُ لِقَصْــدِ بَيَــانِ

١٢٥٧- فَغَــدَا الْبَنَــانُ مُرَفَّعًــا وَمُصَــوَّبًا ... صَــلَّى عَلَيْــكَ اللهُ ذُو الْغُفْــرَانِ

١٢٥٨- أَدَّيْــتَ ثُــمَّ نَصَـحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَــا ... حَـقَّ الْـبَلَاغِ الْوَاجِـبِ الشُّـكْرَانِ

الشــرحُ

هذا الفصلُ أَرَادَ به المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنْ يُبَيِّنَ الدليلَ الحادِيَ عَشَرَ على عُلُوِّ الله -سبحانه وتعالى-، وذلك بالدلالة الفعليَّةِ من رسولِ الله ﷺ، حيث خَطَبَ النَّاسَ يومَ عَرَفَةَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ في ذلك المَجْمَعِ الذي لم يُوجَدْ في الإسلامِ أكثرُ جمعًا منه، وقال: «هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: نعم، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» يُشِيرُ إِلَى السَّمَاءِ، ويَنْكُتُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى النَّاسِ[1]، قَالَ ﷺ ذلك ثلاثًا، وهذه دَلالةٌ بالفِعْلِ وليستْ بالقولِ على أنَّ اللهَ سبحانه فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وعلى أنَّ اللهَ في العُلُوِّ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

فصل

١٢٥٩- هَذَا وَثَانِيَ عَشْرَهَا: وَصْفُ الظُّهُو ... رِ لَـهُ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي الْقُـرْآنِ

١٢٦٠- وَالظَّاهِرُ الْعَالِـي الَّـذِي مَـا فَوْقَـهُ ... شَيْءٌ كَـمَا قَـدْ قَـالَ ذُو الْبُرْهَـانِ

١٢٦١- حَقًّـا رَسُـولُ الله ذَا تَفْسِـيرُهُ ... وَلَقَـدْ رَوَاهُ مُسْـلِمٌ بِضَـمَانِ

١٢٦٢- فَاقْبَلْـهُ لَا تَقْبَـلْ سِـوَاهُ مِـنَ التَّفَـا ... سِـيرِ الَّتِـي قِيلَـتْ بِـلَا بُرْهَـانِ

١٢٦٣- وَالشَّـيْءُ حِـينَ يَـتِمُّ مِنْـهُ عُلُـوُّهُ ... فَظُهُـورُهُ فِي غَايَـةِ التِّبْيَـانِ

١٢٦٤- أَوَمَا تَـرَى هَـذِي السَّـمَا وَعُلُوَّهَـا ... وَظُهُورَهَـا، وَكَـذَلِكَ الْقَمَـرَانِ؟

١٢٦٥- وَالْعَكْـسُ أَيْضًـا ثَابِـتٌ فَسُـفُولُهُ ... وَخَفَـاؤُهُ إِذْ ذَاكَ مُصْـطَحِبَانِ

١٢٦٦- فَانْظُرْ إِلَى عُلْوِ الْـمُحِيطِ وَأَخْذِهِ ... صِـفَةَ الظُّهُـورِ، وَذَاكَ ذُو تِبْيَـانِ

١٢٦٧- وَانْظُرْ خَفَاءَ الْمَرْكَـزِ الْأَدْنَـى وَوَصْـ ... ـفَ السُّـفْلِ فِيـهِ وَكَوْنَـهُ تَحْتَانِـي

١٢٦٨- وَظُهُـورُهُ سُـبْحَانَهُ بِالـذَّاتِ مِثْـ ... ـلُ عُلُـوِّهِ فَهُـمَا لَـهُ صِـفَتَانِ

١٢٦٩- لَا تَجْحَـدَنَّهُمَا جُحُـودَ الْـجَهْمِ أَوْ ... صَـافَ الْكَـمَالِ تَكُـونُ ذَا بُهْتَـانِ

١٢٧٠- وَظُهُـورُهُ هُـوَ مُقْـتَضٍ لِعُلُـوِّهِ ... وَعُلُـوُّهُ لِظُهُـورِهِ بِبَيَـانِ

١٢٧١- وَكَذَاكَ قَدْ دَخَلَتْ هُنَـاكَ الْفَـاءُ لِلتَّـ ... ـسْبِيبِ مُؤْذِنَـةً بِهَـذَا الشَّـانِ

١٢٧٢- فَتَـأَمَّلَنْ تَفْسِـيرَ أَعْلَـمِ خَلْقِـهِ ... بِصِـفَاتِهِ مَـنْ جَـاءَ بِـالْقُرْآنِ

١٢٧٣- إِذْ قَالَ: أَنْتَ كَـذَا، فَلَـيْسَ لِضِـدِّهِ أَبَــدًا إِلَيْــكَ تطَــرُّقُ الْإِتْيَــانِ

الشَّــرحُ

هذا أيضًا من الْأَدِلَّة على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ وهو المستفادُ من اسمِه (الظَّاهِرِ)، قَالَ الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وتفسيرُ (الظَّاهِر) فسَّره أهلُ التعطيل الْمُنْكرونَ للعُلوِّ بأنه الظاهرُ بآياتِه، يَعْنِي: الذي يُعْرَفُ بآياتِه، فجَعَلوا الظهورَ ظهورًا مَعْنويًّا، ولكنَّ أعلمَ الْـخَلْقِ بالله فسَّره على خلافِ ذلكَ فقال: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ»[1]. وأتى بالفاءِ الدَّالَّة على التفريعِ، يَعْنِي: أنت فوقَ كُلِّ شَيْءٍ، فليسَ فوقَكَ شَيْءٌ.

وقال: «أَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ»[2] هم عندهم أنَّ الباطنَ هو ما لَطُفَ[3] حتَّى لم يَكُنْ له جِسْمٌ -والعياذُ بالله- فوَصَفوا اللهَ بأنه لا شَيْءَ.

ولكن نقولُ: إنَّ معنَى (لَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ)، أي: أنك محيطٌ بكُلِّ شَيْءٍ، فلا يحولُ دونَك شَيْءٌ.

وعلى هذا فنقولُ: (الظاهر) بمعنى العالي، وكُلُّ ما علا فقد ظَهَرَ، انْظُر إلى النجومِ في السَّماء، فهي ظاهرةٌ لماذا؟ الجَوَابُ: لعُلوِّها، فلو كانت في الأرض لم يَرَها أحدٌ، والقمران -الشَّمس والقَمْرُ- ظاهران لعُلوِّهما، وظهرُ الحيوان لماذا سُمِّي ظهرًا؟ الجَوَابُ: لِأَنَّهُ أعلى ما فيه، فإِذَنْ (الظاهر) هو الذي ليسَ فوقَه شَيْءٌ.

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٣) أي: صغر. انظر: مختار الصحاح، مادة: لطف.

فصل

١٢٧٤- هَـذَا وَثَالِـثَ عَشْـرَهَا: إِخْبَـارُهُ ... أَنَّـا نَـرَاهُ بِجَنَّـةِ الْـحَيَوَانِ

١٢٧٥- فَسَلِ الْـمُعَطِّلَ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَـا ... أَمْ عَـنْ شَـمَائِلِنَا وَعَـنْ أَيْـمَانِ

١٢٧٦- أَمْ خَلْفَنَـا وَأَمَامَنَـا سُـبْحَانَهُ ... أَمْ هَـلْ يُـرَى مِـنْ فَوْقِنَـا بِبَيَـانِ؟

١٢٧٧- يَا قَـوْمِ مَـا فِي الْأَمْـرِ شَيْءٌ غَـيْرُ ذَا ... أَوْ أَنَّ رُؤْيَتَـهُ بِـلَا إِمْكَـانِ

١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَـةٌ لَا فِي مُقَابَلَـةٍ مِـنَ الـرْ ... رَائِـي مُحَـالٌ لَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ

١٢٧٩- وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعْـ ... ـوَاهُ مُكَـابَرَةً عَـلَى الْأَذْهَـانِ

١٢٨٠- وَلِـذَاكَ قَـالَ مُحَقِّـقٌ مِـنْكُمْ لِأَهْـ ... ـلِ الِاعْتِـزَالِ مَقَالَـةً بِأَمَـانِ

١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْـنَكُمُ لِـذِي التْـ ... تَحْقِيـقِ فِي مَعْنًـى فَيَـا إِخْوَانِـي

١٢٨٢- شُـدُّوا بِأَجْمَعِنَـا لِنَحْمِـلَ حَمْلَـةً ... تَـذَرُ الْـمُجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَـوَانِ

١٢٨٣- إِذْ قَـالَ: إِنَّ إِلَـهَنَا حَقًّـا يُـرَى ... يَـوْمَ الْـمَعَادِ كَـمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ

١٢٨٤- وَتَصِـيرُ أَبْصَـارُ الْعِبَـادِ نَـوَاظِرًا ... حَقًّـا إِلَيْـهِ رُؤْيَـةً بِعِيَـانِ

١٢٨٥- لَا رَيْـبَ أَنَّهُـمُ إِذَا قَـالُوا بِـذَا ... لَـزِمَ الْعُلُـوُّ لِفَـاطِرِ الْأَكْـوَانِ

١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... فَلِـذَاكَ نَحْـنُ وَحِـزْبُهُمْ خَصْـمَانِ

١٢٨٧- لَكِنَّنَا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا عَدْنَا عَلَى نَفْيِ الْعُلَا الرَّحْمَنِ

١٢٨٨- فَعُلُوُّهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْ قَ الْعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا دَيَّانِ

١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ سِلْمَانِ

١٢٩٠- هَذَا الَّذِي -وَاللهِ- مُودَعُ كُتْبِهِمْ فَانْظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرحُ

١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ أَنَّا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

هذا أيضًا من الْأَدِلَّة على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ أنه أَخْبَرَ بأننا نراه في جنَّة الحَيَوانِ.

قَوْلُهُ: «الحَيَوان» يَعْني: الحياة، وليس المُرادُ بالحيوانِ الحيَّ، كما قَالَ الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤]، و(الحَيَوان) هنا فيه صِيغَةُ مُبالغةٍ، يَعْنِي: الحياةَ الكاملةَ، فنحن نراه في جنَّةِ الحَيَوانِ -وأسأَلُ اللهَ أنْ يَجْعَلَني وإِيَّاكم ممَّن يَراهُ- كما ثَبَتَ ذلك في الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلف، يَعْنِي: أنَّ اللهَ تعالى يُرَى بالعَينِ، لكن لا يُحاطُ به لقولِ الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، كما نَرَى الشَّمْسَ الآن ولا نُدْرِكُها.

١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعَطِّلَ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ

١٢٧٦- أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بِبَيَانِ؟

يقول: اسألِ المُعطِّلَ الذي يُنكِرُ عُلوَّ الله، هل نراه مِن تحت أو مِن يمين أو شمال أو خلف أو أمام؟ يَعْنِي: اسأله عن كُلِّ الجهاتِ السِّت، هل نراه من تحتنا؟

الجَوَابُ: مستحيل، لأننا لو رأيناه مِن تَحتِنا لكان ناقصًا، وهل نراه عن يمينٍ أو شمالٍ أو أمامٍ أو خلفٍ، أربع جهات؟ الجَوَابُ: محالٌ، لِأَنَّهُ يستلزمُ أنْ يكونَ ناقصًا كذلك، فبَقِيَ أنْ نراه من فوق، وهذا هو المطلوبُ، ولهذا قال:

١٢٧٧- يَا قَـوْمِ مَـا فِي الْأَمْـرِ شَيْءٌ غَـيْرُ ذَا   أَوْ أَنَّ رُؤْيَتَـــهُ بِـــلَا إِمْكَـــانِ

١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَـةٌ لَا فِي مُقَابَلَـةٍ مِـنَ الـرْ   رَائِـي مُحَـالٌ لَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ

١٢٧٩- وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعْـ   ـوَاهُ مُكَـابَرَةً عَـلَى الْأَذْهَـانِ

معلومٌ في الرؤيةِ أنه لا بُدَّ من مقابلةٍ بينَ الرائِي والمرئيِّ، فأنتم إن قُلْتُم: يقابُلنا من أسفلَ تنقَّصْتُم اللهَ، وإن قُلْتُم: مِن يَمينٍ، أو شِمالٍ، أو أمامٍ، أو خلفٍ، كذلك تنقَّصتُمُ اللهَ بإقرارِكم، فلم يَبْقَ إلَّا أنْ يُرَى مِن فوقُ، وهذا هو المطلوبُ.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٢٨٠- وَلِـذَاكَ قَـالَ مُحَقِّـقٌ مِـنْكُمْ لِأَهْـ   ـلِ الِاعْتِـزَالِ مَقَالَـةً بِأَمَـانِ

١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْـنَكُمُ لِـذِي التْـ   ـتَحْقِيـقِ فِي مَعْنًـى فَيَـا إِخْوَانِـي

قال: إنَّ المحقِّقَ منكم قَالَ للمُعتزلةِ -وهو الآن يَتكلَّمُ على الأشاعرةِ-: إنه لا فرقَ بينَنا وبينكم، دَعُونا نكن إخوانًا سِلْمًا فيما بينَنا، حَرْبًا على المُجَسِّم الذي يُثْبِتُ أنَّ اللهَ يُرَى بعِيانٍ.

١٢٨٢- شُـدُّوا بِأَجْمَعِنَـا لِنَحْمِـلَ حَمْلَـةً   تَـذَرُ الْـمُجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَـوَانِ

مَن المجَسِّم؟ الجَوَابُ: يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٢٨٣- إِذْ قَـالَ: إِنَّ إِلَــهَنَا حَقًّـا يُـرَى   يَـوْمَ الْـمَعَادِ كَمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ

ومَن الذي قَالَ ذلك؟ الجَوَابُ: الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فهو على زَعْمِهم مُجَسِّمٌ، وهم حَرْبٌ عليه، نَعوذُ بالله.

انظر كيف الهوى؟! لِأَنَّهُم قالوا: مُستحيلٌ أنْ يُرَى اللهُ بالعينِ، وقد ذَكَرَ شيخُ الإسلامِ أنَّ جمهورَ أهل السُّنَّة كفَّروا مَنْ يُنكِرُ رُؤْيَةَ الله في الآخرةِ.

قال: لأنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ السَّلَفِ كُلَّها تَطَابَقَت على إثباتِها. وهل أبينُ من أنْ يقولَ الرسولُ ﷺ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا تُضَامُونَ»**[1] أو قال: **«كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»**[2]؟!

لو قَالَ لنا: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ) فقطْ، لثَبَتَت الرؤيةُ، فكيف إذا أكَّدها بقَوْلِهِ: **«كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»**؟!

ومن العجب أنَّ الذين أنكروا ذلك، قالوا: لأنَّ اللهَ قَالَ لموسى لـمَّا قَالَ له: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، كيف يقولُ اللهُ في القرآن: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وتأتي أنت وتقولُ: إنَّ اللهَ يُرَى؟

فنقولُ في الرَّدِّ عليهم: إننا نحن لا نقولُ: إننا نراه في الدنيا، وإنما نراه في الآخرةِ، وما قولُكم هذا إلَّا كقولِ مُنْكِرِي البَعْثَ ﴿فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الدخان:٣٦]، الذين ينكرون البعثَ قالوا: كيف يُبْعَثُ الناسُ؟ فَائتوا بآبائِنا إن كنتم صادقين؟ فنَقُولُ لهم: نحن ما قُلْنَا نأتي بآبائِكم الآن، متى يُبْعَثُون؟ الجَوَابُ: يومَ القيامةِ، فتَحَدِّيكُم هذا لا وَجْهَ له.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

كذلك الذين استدلُّوا بقَوْلِهِ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ نَقُولُ: هذا لا دليلَ فيه لكم، لأننا لا نقولُ: إننا نراه في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة.

بل قَالَ أهلُ السُّنَّة: إنَّ طلبَ موسى -عليه الصلاة والسلام- رؤيةَ الله تعالى في قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، يَدُلُّ على إمكانِ الرؤيةِ، لأنَّ الرؤيةَ لو كانت رؤيةً مستحيلةً لكانت من النواقصِ، ولا يمكنُ لموسى -عليه الصلاة والسلام- أنْ يَعتقِدَ في الله تعالى صِفَةً ناقصةً.

الدليلُ الثاني لهم: قولُه تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فنقولُ: هذا حُجَّةٌ عليكم، وليس دليلًا لكم، لأنَّ الإدراكَ أخصُّ من الرؤية، فإنَّ الإنسانَ قد يَرَى الشيءَ، ولا يُدرِكُه، ولكنَّه إذا أدرَكَه فقد رآه، أو لَمَسَه، أو ما أَشْبَهَ ذلك.

المهم أنَّ اللهَ قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولم يَقُلْ: **(لا تَراهُ)**، فيكون في نفي الإدراكِ للإبصارِ دليلٌ على أنها تراه، لِأَنَّهَا لو كانت لا تراه لكان نفيُ إدراكِها له تلبيسًا، إذ إننا نَقُولُ: ما دامَ الأعمُّ لا يُوجَدُ، فالواجبُ نفيُ الأعمِّ، ولقال: **(لا تَرَاهُ الأبصارُ)**، لأننا نعلَمُ أنها إذا كانتْ لا تراه فلن تُدْرِكَه.

إذَنْ ففي الآيةِ دليلٌ عليهم، لا دليلٌ لهم.

وقد ذكَرَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابِه: **(العَقْلِ والنَّقْلِ)** الذي قَالَ عنه ابنُ القَيِّم: **(مَا فِي الوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي)**، قال: **«أنا مُلْتَزِمٌ لكُلِّ مُبْتَدِعٍ أو مُعَطِّلٍ يأتي بدليلٍ من الكِتابِ والسُّنَّةِ أنْ أَجْعَلَ دَلِيلَه دليلًا عليه»**[1].

---

(١) انظر: مقدمة درء تعارض العقل والنقل.

وهذا صحيحٌ واضحٌ، لأنَّ هذا المُبْطِلَ لم يَستدِلَّ بالنَّصِّ إلَّا وهو يَجِدُ فيه أو يَشَمُّ منه رائِحةً لِـمَا يُرِيدُ، لَكِنَّهَا ليستِ الرائِحةُ التي يَتَعطَّرُ بها، ولَكِنَّهَا الرائِحةُ التي تَزْكُمُ أنفَه وتَرُدُّ عليه.

إذَنْ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ليس فيها دليلٌ، لماذا؟ لِأَنَّهَا في الدنيا، ونحن نُوافِقُ على هذا، وقَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ليسَ فيها دليلٌ، بل هو دليلٌ عليهم.

فهم يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعِه، ويقولونَ: المُرَادُ بالرؤيةِ رؤيةُ العِلْم واليَقينِ، وليست رؤيةَ البَصَرِ، ولكن كيف يقول الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»[1]، و«كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»[2]، ونَقُولُ: المُرَادُ رؤيةُ العِلْمِ؟!

فرؤيةُ العِلْم -حتَّى في الدُّنيا- فإنَّ أهلَ اليقينِ يَعْبُدونَ اللهَ كأنهم يَرَوْنَه، كما قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الإحسانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَـمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[3].

فإذا كان النَّصُّ لا يُمْكِنُ إنكارُه حَرَّفوه، مثلُ القرآنِ وغَيْرُه ممَّا تَواتَرَ، وإذا كان آحادًا قَعَّدوا قاعدتَهم الفاسدةَ الباطِلَةَ بأنَّ الآحادَ ليسَ فيه حُجَّةٌ في إثباتِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

العقائِدِ، معَ أنَّنا نَقُولُ: إنَّ حديثَ الرؤيةِ مُتواترٌ، قَالَ الناظم:

مِـمَّا تَـوَاتَرَ حَـدِيثُ مَـنْ كَـذَبْ وَمَـنْ بَنَـى لله بَيْتًـا وَاحْتَسَـبْ

وَرُؤْيَـةٌ شَـفَاعَةٌ وَالْـحَوْضُ وَمَسْـحُ خُفَّـيْنِ، وَهَـذِي بَعْـضُ

ثُمَّ قَالَ المؤلفُ:

١٢٨٤- وَتَصِـيرُ أَبْصَـارُ الْعِبَـادِ نَـوَاظِرًا حَقًّـا إِلَيْـهِ رُؤْيَـةً بِعِيَـانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فقولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] أي: تَنْظُرُ إليه.

١٢٨٥- لَا رَيْـبَ أَنَّهُـمُ إِذَا قَـالُوا بِـذَا لَـزِمَ الْعُلُـوُّ لِفَـاطِرِ الْأَكْـوَانِ

يعني: إذا قالوا بثبوتِ الرؤية لَزِمَهم لزومًا لا محيدَ عنه أنْ يكونَ اللهُ تعالى عاليًا، كما سَبَقَ في الجهاتِ الخمسِ أنها ممتنعةٌ.

١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ العَرْشِ جَـلَّ جَلَالُـهُ فَلِـذَاكَ نَحْـنُ وَحِـزْبُهُمْ خَصْـمَانِ

قَوْلُهُ: «نَحْنُ» يَعْنِي: المعتزلة والأشاعرة.

قَوْلُهُ: «وَحِزْبُهم» أي: المُجَسِّم -على زَعْمِهم- ومنهم الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- وهم أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ.

١٢٨٧- لَكِنَّنَـا سِـلْمٌ وَأَنْـتُمْ إِذْ تَسَـا عَـدْنَا عَـلَى نَفْـيِ الْعُـلَا الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّنَا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ» يَعْنِي: نحن وإِيَّاكم بيننا سِلْمٌ، لا حربٌ، لأننا تَساعَدْنا على نَفْيِ العُلُوِّ لله عزَّ وجلَّ.

والمساعدُ للمُبطِلِ على باطِله بينَه وبينَه سِلْمٌ، لكنَّه يومَ القيامةِ يكون بينه

وبينَه حربٌ، كما قَالَ تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، وقَالَ تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

١٢٨٨- فَعُلُوُّهُ عَيْنُ الْـمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْ قَ الْعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا دَيَّانِ

أعوذ بالله، يقولون: (عُلُوُّه عَيْنُ الْـمُحَالِ)، ونحن نقولُ: عُلوُّه عينُ الكمالِ، فعُلوُّ الله عزَّ وجلَّ لا شكَّ أنه عينُ الكمال، وأنه من كمالِه عزَّ وجلَّ أنه فَوْقَ كُلِّ شَيْء، لا إلهَ إِلَّا هو.

١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْـخِلَافَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ سِلْمَانِ

١٢٩٠- هَذَا الَّذِي -وَاللهِ- مُودَعُ كُتْبِهِمْ فَانْظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

يعني: لا تُخالفونا، ولا تُنازِعُونا، لأنَّ الخلافَ ليسَ له طعمٌ، إذ إنه ليسَ بخلافٍ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ... سِلْمَانِ» أي: مُسالِمٌ بعضُنا بعضًا.

وهنا مسألة: هل هؤلاء يكْفُرونَ إن كانوا مُتأوِّلينَ أو لا؟

الجَوَابُ: هم مثلُ غيرِهم، فكُلُّ قولٍ مُكفرٍ لا بُدَّ أنْ تقومَ الحُجَّةُ على مَنْ قَالَ بِهِ مثلُ غيرِهم، يَعْنِي: لو فَرَضْنا أنَّ عندَهم شُبهاتٍ يُعْذَرونَ بها ما كفرناهم، لِأَنَّ هناك فرقًا بينَ التكفيرِ بالعينِ والتكفيرِ بالوصفِ، وكذلك كُلُّ شَيْءٍ يُفَرَّقُ فيه بينَ العينِ والوصفِ، فلو قُلْتَ: (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فهو شهيدٌ)، فهذا صحيحٌ، لكن لا تَقُلْ عن الذي قُتِلَ في المعركةِ: إنَّه شهيدٌ، بل تقول: يُرْجَى أنْ يكونَ من الشُّهداءِ، أَمَّا أنْ تَشْهَدَ له بعينِه بأنه شهيدٌ، فلا تَدْرِي.

فهذا الرجلُ الذي قَالَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّه مِنْ أَهْلِ النَّارِ»[(١)]، مع أنه كان لا يَدَعُ فاذَّةً ولا شَاذَّةً للعدوِّ إِلَّا أتى بها، ومع ذلك قال: «إِنَّهُ فِي النَّارِ».

وخطَبَ عمرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ -يَعْنِي: مِنَ الغُلُولِ- أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُولُوا كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ مَاتَ فهو شَهِيدٌ»[(٢)]، فقال: (من مات) على سبيلِ العُمومِ.

ولهذا نَقُولُ: كُلُّ مؤمنٍ في الجَنَّةِ، ونَشْهَدُ بذلك، لكن لو رَأَيْنا رجلًا مؤمنًا في ظاهِرِه هل نَشْهَدُ له بالجَنَّةِ؟ الجَوَابُ: لا، فقد بَيَّنَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ الرَّجُلَيْن يُهاجِرَان أَحَدُهُمَا: هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَالثَّانِي: هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا»[(٣)] وما يُدْرِينا لعلَّ هذا الذي يُقاتِلُ يُقَاتِلُ لأجلِ الدنيا.

ولهذا قَالَ شيخُ الإسلامِ في عكس هذه المسألة لـمَّا سُئِلَ عن قومٍ من الجنود توقَّفوا عن قتال التتارِ، قالوا: لأنَّ التتارَ معهم قومٌ مسلمون ومُكْرَهون، فقال: يَجِبُ قتالُهم، حتَّى المسلمون يُقْتَلُونَ، وقال: إنَّ هؤلاء الذين أُكْرِهُوا على الخروج

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، رقم (٢٧٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم (٤٧٧٢). والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، رقم (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم (٤٠٩٥). وأحمد: (١/ ١٩٠، رقم ١٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية». رقم (١٩٠٧).

يجوزُ أنْ نقتلَهم لصالحِ الإسلامِ، لأننا لو تركناهم فإننا لا نَعْلَمُ المُكْرَه من غيرِ المُكْرَه، فيكونُ حسابُهم على ما في قلوبِهم على الله، أمَّا بالنسبة لنا، فإننا نُقاتِلُ مَن وَجَدْناه في صَفِّ عدوِّنا، قاتلناه ولو كان مسلمًا، حتَّى وإنْ قال: إنه مُكْرَهٌ.

يقولُ شيخُ الإسلام: «ويكونُ هؤلاء الذين جاءوا مُكْرَهِينَ، وقاتَلوا في صفِّ الكُفَّار -وهو يَتكلَّمُ عن التَّتارِ- عندَ الله شهداءَ، بِناءً على ما في قلوبِهم، أمَّا بالنسبةِ لنا فليسَ لنا إلَّا الظاهرُ، وذكَرَ أثرًا عن العباسِ بنِ عبدِ المطلب لما أُسِرَ في بَدْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا، فَقَالَ: «**أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، فَأَمَّا ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا**»[(١)] .

فكونُ كُلِّ واحدٍ يقولُ: أنا -والله- مُكْرَهٌ، فمِثْلُ هذه المسائِلِ لا يُمْكِنُ الإحاطةُ بها، لِأَنَّهَا مَبْنيَّةٌ على ما في القلوبِ، ولا يَعْلَمُ ما في القُلوبِ إلَّا عَلَّامُ الغيوب، ولهذا قال: «باتِّفاقِ عُلماءِ المُسلمينَ أنَّ الكُفَّارَ إذا تَتَرَّسوا بالأَسْرَى المُسْلِمِينَ وَخِيفَ على المُسْلِمِينَ من الكُفَّارِ أنْ يَنْدَفِعوا بواسطةِ الأَسْرَى -لأنَّ المُسْلِمِينَ لا يَقْتُلونَ أسراهم الذين عندَ الكُفَّارِ- فإنه يُقْتَلُ المسلمُ الذي تَتَرَّسَ به الكافرُ»[(٢)]، فإننا إذا قتلناه فإننا مَعْذُورونَ، وليسَ علينا إثمٌ، وهو بِنَفْسِه أيضًا يكون شهيدًا، لِأَنَّهُ قُتِلَ لنُصرةِ الحقِّ.

فهذه المَسائِلُ -في الحقيقةِ- مَسائِلُ دقيقةٌ، يَنْبَغِي للإنسانِ ألا تَأْخُذَه العاطفةُ في الحُكْمِ على هذهِ الأمورِ، بل يَرْجِعُ إلى كلامِ العلماءِ، وما قاله أهلُ العلمِ في هذه المسائِلِ حتَّى لا يَحْكُمَ بالضلالِ، وهذه مَسائِلُ خطيرةٌ جدًّا، خصوصًا في أحداثِنا

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٥٥٢).

هذه، فإنَّ كثيرًا من الناسِ صار يَنْسَى بعضَ المصائِبِ التي أصابتِ المُسلمينَ ويَتأوَّه لقومٍ تَتَرَّسَ بهم العَدُوُّ، نَقُولُ: هؤلاء شهداءُ إذا قُتِلُوا -إن شاء الله- وهم على الإسلامِ، لكن أنْ نَدَعَ هذا العدوَّ يَتَتَرَّسُ بما يَتَتَرَّسُ به من المُسلِمِينَ، فهذا لا يمكنُ، وإلَّا ضاعت الأمورُ.

المُهِمُّ أنْ نقولَ: إنَّ هؤلاء الذين يُنكرونَ رؤيةَ الله لا نُكَفِّرُ كُلَّ واحِدٍ بعينِه، ولكن نقولُ: مَنْ أَنْكَرَ رُؤيةَ الله بعدَ بُلوغِ الحُجَّةِ، فإنه يكونُ كافرًا، لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لله ورسولِه، ولِـمَا أجْمَعَ عليه الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* * *

فصل

١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا: إِقْرَارُ سَا ... ئِلِهِ بِلَفْظِ الْـ(أَيْنَ) لِلرَّحْمَنِ

١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا ... سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوِزَانِ

١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرِّرًا ... لَمَّا أَقَرَّ بِهِ بِلَا نُكْرَانِ

١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ) ... لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ

١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لِـ(مَنْ) دُخُولٌ قَطُّ فِي ... هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

١٢٩٦- دَعْ ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ: ... أَيْنَ الْإِلَهُ؟ لِعَالِمٍ بِلِسَانِ

١٢٩٧- وَاللهِ مَا قَصَدَ الْمُخَاطِبُ غَيْرَ مَعْـ ... ـنَاهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَّانِي

١٢٩٨- وَاللهِ مَا فَهِمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ ... وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ

١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الْـ(أَيْنَ) مُمْتَنِعٌ عَلَى الرْ ... رَحْمَنِ عِنْدَكُمُ وَذُو بُطْلَانِ

١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكَفِّرُنَا بِهِ ... بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ

١٣٠١- لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى ... قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ

١٣٠٢- وَاللهِ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ ... عَنْ لَفْظِ (مَنْ) مَعَ أَنَّهَا حَرْفَانِ

١٣٠٣- وَالْـ(أَيْنَ) أَحْرُفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو ... لَبْسٍ وَ(مَنْ) هِيَ غَايَةُ التِّبْيَانِ

١٣٠٤- وَاللهِ مَا الْمَلَكَانِ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ ... فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ السَّمَا يَسَلَانِ

١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا ... وَاللهِ مَـــا اللَّفْظَـــانِ مُتَّحِـــدَانِ

١٣٠٦- كَـــلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَـــا أَيْضًـــا لِـــذِي ... لُغَـــةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَـــانِ

الشـــرحُ

١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْـــرَهَا: إِقْـــرَارُ سَـــا ... ئِلِـــهِ بِلَفْـــظِ الـــ(أَيْنَ) لِلـــرَّحْمَنِ

١٢٩٢- وَلَقَـــدْ رَوَاهُ أَبُـــو رَزِيـــنٍ بَعْـــدَمَا ... سَـــأَلَ الرَّسُـــولَ بِلَفْظِـــهِ بِـــوِزَانِ

١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًـــا لَـــهُ وَمُقَـــرِّرًا ... لَـــمَّا أَقَـــرَّ بِـــهِ بِـــلَا نُكْـــرَانِ

هذا أيضًا من الْأَدِلَّةِ على عُلُوِّ الله -سبحانه وتعالى- وهو إقرارُ سائِلِه بلفظِ الـ(أين) يَعْنِي: إقرارُ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ سَأَلَهُ: أَيْنَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ»[1] يَعْنِي: فِي شَيْءٍ من جنس الغَمامِ ونحوِه.

فهذا السائِلُ قال: أين رَبُّنا؟ والـ(أين) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكانِ، فأقَرَّه النَّبِيُّ ﷺ على هذا السؤالِ، وأجابه بأنه في عَماءٍ، يَعْنِي: أنه -سبحانه وتعالى- فوقَ كُلِّ شيءٍ، وحولَه هذا الذي يكونُ في عَماءٍ من جنسِ السَّحَابِ الخفيفِ.

وكذلك أيضًا هو نفسُه سألَ الجاريةَ فقالَ لها: «أَيْنَ اللهُ؟» فقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَأَقَرَّهَا[2].

فالنَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- أجاب السائِلَ بـ(أين)، وهو نفسُه أيضًا وَجَّه سؤالًا بـ(أين)، (وأين) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكانِ.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «مُقَرِّرًا لَـمَّا أَقَرَّ بِهِ» ويَحتمل أنْ تقول: (مُقَرِّرًا لِـمَا أَقَرَّ به) يَعْنِي: أنَّ الرسولَ قرَّرَ ما أقَرَّ به.

١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الجَوَابُ جَوَابَ (مَـنْ) لَكِـنْ جَـوَابُ اللَّفْـظِ بِالْـمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا ومَا كانَ الجَوَابُ جَوَابُ (مَن)» لِأَنَّهُ لو كان الجَوَابُ جوابَ (مَنْ) كان الاستفهامُ هنا ليس عن المكان، بل عن الذاتِ (مَنِ الله)؟ مثلًا، فيقول: رَبُّ السموات والأرضِ، لكن (أين الله)؟ استفهامٌ عن المكانِ.

١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لِـ(مَنْ) دُخُـولٌ قَـطُّ فِي هَـذَا السِّـيَاقِ لِـمَنْ لَـهُ أُذُنَـانِ

لـمَّا قالَ: أين اللهُ؟ فقال: في السماءِ، ما يصحُّ أبدًا أنْ تكون (أين) هنا بمعنى (مَنْ)، فالاستفهامُ ليسَ بلفظِ (مَنْ)، و(أين) لا تَصِحُّ أنْ تكونَ بمعنى (مَنْ).

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٢٩٦- دَعْ ذَا فَقَـدْ قَـالَ الرَّسُـولُ بِنَفْسِـهِ: أَيْـنَ الْإِلَـهُ؟ لِعَالِـمٍ بِلِسَـانِ

قَوْلُهُ: «أيْنَ الإلَهُ» يُخَاطِبُ مَنْ يَعرِفُ اللغةَ، أي: مَنْ هو عَالِـمٌ باللسانِ، يُخاطِبُ امرأةً عربيَّةً ويقول لها: «أين الله؟»[1].

١٢٩٧- وَاللهِ مَا قَصَدَ الْـمُخَاطِبُ غَيْرَ مَعْـ ـنَاهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْـحَقَّانِـي

١٢٩٨- وَاللهِ مَـا فَهِـمَ الْـمُخَاطَبُ غَـيْرَهُ وَاللَّفْـظُ مَوْضُـوعٌ لِقَصْـدِ بَيَـانِ

قَوْلُهُ: «الْـمُخَاطِب» هو الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «والْـمُخاطَب» يَعْنِي: المرأة.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ» وهو بَيِّنٌ، فهناك فرقٌ بين (أَيْنَ) وبينَ (مَنْ).

١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الـْ(أَيْنَ) مُمْتَنِعٌ عَلَى الـرْ رَحْمَـــنِ عِنْــدَكُمُ وَذُو بُطْــلَانِ

يعني: أنَّ الذين يُنكرونَ عُلوَّ الله يقولونَ: لا يَجوزُ أنْ تَقولَ: أين اللهُ؟ وإذا قُلْتَ: أين اللهُ؟ فهذا حَرَامٌ عليكَ، بل يقول:

١٣٠٠- وَيَكَـــادُ قَـــائِلُكُمْ يُكَفِّرُنَـــا بِـــهِ بَـــلْ قَــدْ وَهَــذَا غَايَــةُ الْعُــدْوَانِ

قَوْلُهُ: «يَكَادُ» يَعْنِي: يَقْرُبُ أنْ يُكَفِّرَنا به.

قَوْلُهُ: «بَلْ قَدْ» يَعْنِي: بل قد كَفَّرنا، وقال: مَنْ قال: (أين اللهُ؟) فهو كافرٌ، وعلى رأيِهم يكونُ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- كافرًا، ويكونُ مُقَرِّرًا للكُفرِ.

١٣٠١- لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الْـوَرَى قَـــوْلًا وَإِقْــرَارًا هُمَـــا نَوْعَـــانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلًا» فِي قَوْلِهِ: «أينَ اللهُ؟».

قَوْلُهُ: و«إِقْرَارًا» أي: في جوابِه للسائِلِ.

١٣٠٢- وَاللهِ مَــا كَــانَ الرَّسُــولُ بِعَــاجِزٍ عَنْ لَفْظِ (مَـنْ) مَـعَ أَنَّهَـا حَرْفَـانِ

١٣٠٣- وَالـْ(أَيْنَ) أَحْرُفُهَا ثَلَاثٌ وَهْـيَ ذُو لَـبْسٍ وَ(مَـنْ) هِـيَ غَايَـةُ التِّبْيَـانِ

ذكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- ثلاثةَ أُمورٍ:

الأول: كيف تَقُولُونَ: إنَّ (أين) بمعنى (مَنْ)؟ هل الرسولُ الذي يَستطِيعُ أنْ يقولَ: (أين) يَعْجِزُ عن (مَنْ)؟ الجَوَابُ: لا، وإذا كان كذلك، فأيُّهما أكثرُ حروفًا (أين) أو (مَنْ)؟

الجَوَابُ: (أَيْنَ)، كيف يَعدِلُ عن (مَنْ)، وهي أقلُّ حروفًا، إلى (أَيْنَ) وهي أكثرُ حروفًا، وهذا هو الثاني.

الثالث: (مَنْ) واضحةٌ في المعنَى، (وأَيْنَ) إذا قُصِدَ بها (مَنْ) صارت ذا لَبْسٍ، لأنَّ حملَ (أَيْنَ) على (مَنْ) بعيدٌ، فلو قَصَدَ المُخاطِبُ بها (مَنْ) لكان مُلَبِّسًا غيرَ مُبيِّنٍ.

فذكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- ثلاثةَ موانِعَ، كُلُّها تَمنَعُ أنْ تكونَ (أَيْنَ) بمعنى (مَنْ).

١٣٠٤- وَاللهِ مَا الْـمَلَكَانِ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ السَّمَا يَسَلَانِ

لما أَرَادَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- (مَنْ) بيَّنها، وقال: إنَّ المَلَكَيْنِ يَسْأَلَانِ العَبْدَ فِي قَبْرِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ»[1]؟ ولا يقولان: أَيْنَ ربُّكَ؟

فلمَّا أُرِيدَ معنى (مَنْ) عُبِّر بـ(مَنْ)، وإذا أُريد معنى (أَيْنَ) عُبِّر بـ(أَيْنَ).

فهل تَقُولُونَ أنتم: إنَّ المَلَكَيْنِ أفصحُ من الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟! لأنَّ هؤلاء -والعياذُ باللهِ- يقولون: إنَّ معنى (أَيْنَ اللهُ)؟ يَعْنِي: مَن اللهُ؟ ولا شكَّ أنَّ هذا مُمتنِعٌ، لكن هذا معنَى كلامِهم، فيُقَالُ: كيف يُعَبِّر الرسولُ بـ(أين) بدلًا عن (مَنْ)؟!

إذَنْ -على زَعْمِكم- المَلَكَانِ أفصحُ من الرسولِ وأَبْيَنُ، مع العِلْمِ بأنَّ المَلَكَيْنِ يُخاطبانِ المَيِّتَ، وهو غيرُ مُكَلَّفٍ، والرسولُ يُبيِّنُ للأحياءِ المُكَلَّفِينَ، فكيف يُعَبِّرُ بـ(أين) عن (مَنْ)؟!

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السُّنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا وَاللهِ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «ويَقولُ: أينَ اللهُ؟ يَعْنِي: مَنْ؟» يَعْنِي: هم يَدَّعون أنَّ معنى قولِ الرسولِ: «أين اللهُ»؟ يَعْنِي: مَن اللهُ؟ كيف يريدُ (مَن الله)، وهو يقولُ: أين؟!

قَوْلُهُ: «وَاللهِ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ» صَدَقَ، فبَيْنَهما فرقٌ.

١٣٠٦- كَلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيْضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانِ

فهما مُتباينانِ لفظًا ومعنًى.

وخلاصةُ هذا الفصلِ أنَّ مِن الْأَدِلَّةِ على عُلُوِّ الله: أنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- سأل: «أين اللهُ؟»[1] فقيلَ: في السَّماءِ، وسُئِلَ: «أين اللهُ؟»، فقال: في السَّماءِ، إذَنْ اللفظُ واضحٌ بأنَّ اللهَ تعالى بذاتِهِ فوقَ كُلِّ شَيْءٍ.

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

فصل

١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ ... رُسُلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتْبِهِمْ ... قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الْوَرَى ... وَالدِّينِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي

١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِي أَيْضًا حَكَى ... إِجْمَاعَهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي

١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى ... إِجْمَاعَهُمْ عَلَمُ الْهُدَى الْحَرَّانِي

١٣١٢- وَلَهُ اطِّلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ ... لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانِ

١٣١٣- هَذَا وَنَقْطَعُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ ... إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ

١٣١٤- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ... ـبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ

١٣١٥- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ... ـبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٣١٦- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ... ـبَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ

١٣١٧- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ ... حِيدِ الْإِلَهِ وَمَا لَهُ مِنْ ثَانِ

١٣١٨- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ... ـبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ

١٣١٩- فَالرُّسْلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أُصُو ... لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

١٣٢٠- كُلٌّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَاجٌ وَذَا ... فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمْ ذَانِ

١٣٢١- فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٢٢- دِينُ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ

١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسْلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبَرَانِ مُخْتَلِفَانِ

١٣٢٤- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْ لِ اللهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

١٣٢٥- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ أَيْضًا دَعَوْا لِلْخَمْسِ وَهْيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ

١٣٢٦- إِيمَانُنَا بِاللهِ ثُمَّ بِرُسْلِهِ وَبِكُتْبِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْأُلَى هُمْ رُسْلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

١٣٢٨- هَذِي أُصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُو لُ الخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِي

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلاعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرْعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

١٣٣٠- وَجُحُودُ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

١٣٣١- وَكَذَاكَ نَفْيُهُمُ لِرُؤْيَتِنَا لَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

١٣٣٢- وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ

١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَخَلَّدُوا أَهْلَ الْكَبَائِرِ فِي لَظَى النِّيرَانِ

١٣٣٤- وَلِأَجْلِهَا نَفَوُا الشَّفَاعَةَ فِيهِمُ وَرَمَوْا رُوَاةَ حَدِيثِهَا بِطِعَانِ

١٣٣٥- وَلِأَجْلِهَا قَالُوا بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ

١٣٣٦- وَلِأَجْلِهَا قَالُوا بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

١٣٣٧- وَلِأَجْلِهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشْـ ـشَرْعِ الْـمُحَالِ شَرِيعَةِ الْبُهْتَانِ

١٣٣٨- وِلِأَجْلِهَا هُـمْ يُوجِبُـونَ رِعَايَـةً لِلْأَصْلَحِ الْـمَوْجُودِ فِي الْإِمْكَانِ

١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْـوَرَى بِعُقُولِـهِمْ سُـبْحَانَكَ اللَّهُـمَّ ذَا السُّـبْحَانِ!

الشَّرحُ

١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ رُسُـلِ الْإِلَـهِ الْوَاحِـدِ الْـمَنَّانِ

١٣٠٨- فَالْـمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَـعَ كُتْبِهِمْ قَـدْ صَرَّحُـوا بِـالْفَوْقِ لِلـرَّحْمَنِ

١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الْـوَرَى وَالدِّينِ عَبْدُ الْقَـادِرِ الْـجِيلَانِـي

هذا هو الدليلُ الخامسَ عشرَ في إثباتِ عُلُوِّ الله، وهو إجماعُ الرُّسلِ على إثباتِه.

قَوْلُهُ: «وخَامِسَ عَشْرَها» يجوزُ في مثل هذا التركيب ثلاثةُ أوجه:

الوَجْه الأَوَّل: إعرابُ الطرفين، فنقولُ: (هذا وخَامِسُ عَشْرِهَا)، وهذا هو مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ.

الوَجْه الثاني: إعرابُ الثاني، وبناءُ الأوَّل، فنَقُولُ: (هذا وَخَامِسَ عَشْرِهَا) (وخَامِسَ) مُضافٌ، و(عَشْرِ) مُضافٌ إليه.

الوَجْه الثالث: البناءُ على الفتح في الجُزْءَيْنِ، فتقولُ: (هذا وَخَامِسَ عَشْرَهَا).

إذَنْ يجوزُ أنْ تقولَ: (خامِسُ عَشْرِهَا) أو (خَامِسَ عَشْرِهَا) أو (وَخَامِسَ عَشْرَهَا).

قَوْلُهُ: «عَبْدُ القَادِرِ الجِيلانِي[١]» عبدُ القادِرِ الجِيلانِيُّ إمامٌ مشهورٌ معروفٌ، زاهدٌ ناسكٌ، من أصحابِ الإمامِ أحمدَ بن حَنْبلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى- فقد حَكَى أنَّ استواءَ الله على العَرْشِ مذكورٌ في كُلِّ كتابٍ أنزله اللهُ على كُلِّ نَبِيٍّ.

ولا شكَّ أنَّ علوَّ الله موجودٌ في الشرائِعِ السابقةِ، فهذا فِرْعونُ يقولُ لهَامانَ: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦-٣٧] وهذا يَدُلُّ على أنَّ موسى قَالَ له: إنَّ اللهَ في السَّماءِ.

١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِي[٢] أَيْضًا حَكَى إِجْمَاعَهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي

ابنُ رشدٍ الثَّاني -رَحِمَهُ اللهُ- مالكيُّ المذهب، وهو رجلٌ مذهبُه مذهبٌ سَلَفِيٌّ، أمَّا ابنُ رشدٍ الأوَّلُ فقد دخَلَ عليه شَيْءٌ من مذاهبِ الفلاسفةِ.

١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى إِجْمَاعَهُمْ عَلَمُ الْهُدَى الْحَرَّانِي

قَوْلُهُ: «أَبُو الْعَبَّاسِ» هو شيخُ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- يُكْنَى أبا العبَّاسِ، وهل يُكنى بذلك لِأَنَّهُ أكبَرُ أولادِه؟

الجَوابُ: لا، لِأَنَّهُ لم يَتزوَّجْ، لكنَّ المُزَوِّرينَ زَوَّجوه، فإذا ذهبتَ إلى المسجد الأمويِّ، قالوا: أترغبُ أنْ تَزورَ شيخَ الإسلام ابن تيمية وابنَه؟ فإذا قُلْتَ: أرغبُ أن أسلِّمَ عليه، وأدْعُوَ له، قالوا: هذا قَبْرُه، وهذا قَبْرُ ابنه، ولم يَعْلَموا أنَّ الرجلَ لم

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩).
(٢) أبو الوليد المالكي هو: محمد بن أحمد، من أهل قرطبة، ولد سنة (٥٢٠هـ)، كان المنصور المؤمنيُّ يُجله، فرماه خصومه عنده بالزندقة، فنفاه إلى مراكش، ثُمَّ رضي عنه، وأذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش سنة (٥٩٥هـ) ونُقلت جثتُه إلى قرطبة. [الشارح]. انظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٧).

يَتزوَّجْ إطلاقًا، ولكن هذا ليسَ بغريبٍ على المُزَوِّرينَ الذين جَعَلوا الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في العراق، وجَعَلوه في الشامِ، وجعلوه في مِصْرَ.

١٣١٢- وَلَـهُ اطِّـلَاعٌ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ قَبْلِـهِ لِسِـوَاهُ مِـنْ مُـتَكَلِّمٍ بِلِسَـانِ

قَوْلُهُ: «**له**» أي: لشيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْميَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- فله اطِّلاعٌ لم يَكُنْ من قبلِه لسواه مِن مُتكلِّمٍ بلسانٍ.

وصَدَقَ ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فإنَّ مَنْ راجَعَ كُتُبَ شيخِ الإسلامِ ابن تَيْميَّةَ يأخذه العجبُ العُجابُ في كَثْرةِ ما يَنْقِلُ عنه من الكتب، وهذا من هِبَةِ الله -سبحانه وتعالى- له، أن وَهَبَه حِفْظًا راسخًا، وكأنه -والله أعلم- لا يَنْسَى، لأنَّ الإنسانَ لو أَرَادَ أنْ يَعُدَّ هذه الكتبَ التي يَنْقِلُ منها لَنَسِيَها فضلًا عن أنه هو يَنْقِلُ عباراتِها، لكنَّ فضلَ الله يُؤتِيهِ مَنْ يشاء، نسألُ اللهَ الذي أعطاه من فَضْلِه أَلَّا يَحْرِمَنا.

١٣١٣- هَـذَا وَنَقْطَـعُ نَحْـنُ أَيْضًـا أَنَّـهُ إِجْمَـاعُهُمْ قَطْعًـا عَـلَى الْبُرْهَـانِ

أيضًا هو -رَحِمَهُ اللهُ- يَقْطَعُ بإجماعِ الرُّسل السابِقِينَ على أنَّ اللهَ في السَّماءِ.

١٣١٤- وَكَـذَاكَ نَقْطَـعُ أَنَّهُـمْ جَـاءُوا بِإِثْـ ـبَاتِ الصِّفَاتِ لِـخَالِقِ الْأَكْـوَانِ

أي: أنهم مُجْمِعونَ على إثباتِ صِفاتِ الكمالِ لله عزَّ وجلَّ.

١٣١٥- وَكَـذَاكَ نَقْطَـعُ أَنَّهُـمْ جَـاءُوا بِإِثْـ ـبَاتِ الْكَـلَامِ لِرَبِّنَـا الـرَّحْمَنِ

مُجْمِعون أيضًا على أنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ، يَتكلَّمُ بصوتٍ مسموعٍ يَسمعونَه، فاللهُ تعالى يُناديهم، ويَسْمعون نداءَه.

١٣١٦- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ـبَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ

ولهذا لا يُنْكِرُ المَعادَ أحدٌ يَنتسِبُ إلى دينٍ سَماويٍّ أبدًا، حتَّى اليهودُ والنصارى يُقِرُّونَ بالمَعادِ، وأنَّ هناكَ جَنَّةً ونارًا، وأنَّ الجنةَ لَمن أطاع، والنارَ لَمن عَصَى.

١٣١٧- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ حِيدِ الْإِلَهِ وَمَا لَهُ مِنْ ثَانِ

لا شكَّ في هذا أيضًا، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

١٣١٨- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ـبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «**إثباتِ القَضَاءِ**» أي: إثباتِ قضاءِ الله، وأنَّ ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، ولهذا تَجِدُهم يَذْكُرون هذا في مُحاجَّة قومِهم، وأنَّ هذا من الله -سبحانه وتعالى- وهو الذي قدَّره.

١٣١٩- فَالرُّسْلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أُصُو لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

أصولُ الدينِ التي لا تَتِمُّ العبادةُ إلَّا بها مُتَّفِقونَ عليها، وأمَّا الشرائعُ والمنهاجُ الذي يَسِيرُ الناسُ عليه في عباداتِهم من كَيْفِيَّةٍ، أو عددٍ، أو نحوِ ذلك، فإنَّ الرُّسلَ مختلفون فيها، كما قَالَ الله تعالى في سورةِ المائِدة، وهي من آخِرِ ما نَزَلَ، قال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة:٤٨].

١٣٢٠- كُلٌّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَاجٌ وَذَا فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمْ ذَانِ

وهذه فائِدةٌ عظيمةٌ، فاختلافُهم في المأمورِ، لا في الخَبَرِ، أمَّا في التوحيدِ فلم يَخْتلِفوا، بمعنى أنَّ بعضَهم يُؤْمَرُ بشيءٍ، ويُؤمَرُ الآخَرُ بخلافِه، يَحِلُّ له شَيْءٌ،

ويُحَرِّمُه الآخَرُ، قَالَ عيسى -عليه السلام- لبني إسرائيلَ: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

قَوْلُهُ: «فافْهَم ذان» (ذان) المشارُ إليه الأصولُ والفروعُ، أو إنْ شِئْتَ فقُل: الأخبارُ والأوامرُ، فالأخبارُ مُتَّفقونَ عليها، وهي أصولُ الإيمانِ السِّتَّةُ، لكنَّ الأوامرَ تَختلِفُ.

١٣٢١- فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ ... لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٢٢- دِينُ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ ... وَلِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ

يعني: أنَّ اللهَ -سبحانَه وتعالى- يَختارُ الدينَ للعِبادِ حَسَبَ ما يُصْلِحُهم، وذلك في الشرائعِ والمِنهاج، وأمَّا في الأصلِ الذي هو توحيدُ الله فإنه واحدٌ.

١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسْلِهِ ... فِي وَصْفِهِ خَبَرَانِ مُخْتَلِفَانِ

وهذا صحيحٌ، فمِن المُحالِ أنْ يُوجَدَ في كُتُبِ الله، أو فيما جاءت به الرُّسل خَبَرانِ مُختلفانِ في صفاتِ الله، فهذا لا يمكنُ أبدًا، وهذه قاعدةٌ في الحقيقةِ.

فمثلًا لو قَالَ قائِلٌ: إذا كانَ اللهُ يَنْزِلُ إلى السَّماءِ الدنيا حين يَبْقَى ثلثُ الليلِ الآخِرُ، فهذا يُنافِي العُلُوَّ؟

قُلْنَا: لا ينافيه، لأنَّ كونَه في العُلُوِّ ثابتٌ بخبرٍ، ونزولُه إلى السَّماءِ الدنيا ثابتٌ بخبرٍ، والخبرانِ لا يَتناقضانِ، لأننا لو جَوَّزنا تناقضَ الخَبَرَيْنِ لجوَّزنا أنَّ أحدَهما كاذبٌ، وهذا محالٌ، ولكن يُقَالُ: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ليس كمِثْلِه شَيْءٌ، فلا يَلْزَمُ من نُزولِه إلى السَّماءِ الدنيا أنْ يكونَ غيرَ عالٍ على خَلْقِه.

١٣٢٤- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْ ... لِ اللهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ

هذا أيضًا نقطعُ به، فالعدلُ بين الْـخَلْقِ في الشرعِ، وفي القضاءِ الدنيويِّ والأُخرويِّ.

فهذه ثلاثةُ أمورٍ: عَدْلٌ في الشرعِ، وعَدْلٌ في القضاء الدنيويِّ، وفي القضاء الأُخرويِّ.

فالغنيُّ إذا سَرَقَ يُقْطَعُ كما يُقْطَعُ الفَقِيرُ، والشريفُ إذا سَرَق يُقْطَعُ كما يُقْطَعُ الوَضيعُ، وكُلُّ إنسانٍ تَجِبُ عليه الصلواتُ الخمسُ مثلًا، وكُلُّ غَنِيٍّ تَجِبُ عليه الزكاةُ، وكُلُّ فَقيرٍ مُستحِقٍّ للزكاةِ يُعْطَى من الزكاةِ.

وفي الآخرةِ كذلك، الجزاءُ بحَسَبِ الأعمالِ، لا بحَسَبِ الشرفِ والجاه، وهذا عَدْلٌ.

ولهذا لا يُوجَدُ شَيْءٌ -أبدًا- من الشريعةِ يَخْتَصُّ بشخصٍ لعَيْنِه حتَّى قول الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأبي بُرْدةَ بْنِ نِيَارٍ[1] لـمَّا قال: إنَّ عِنْدَهُ عَنَاقًا[2] أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ شَاتَيْنِ، وكَانَ قَدَ ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ، وَكَانَ جَاهِلًا، فذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكُلَ هُو وَأَهْلُهُ وَجِيرانُهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ نُسُكٌ، شَاتُكَ شَاةُ لَـحْمٍ»، وهذا فيه فائِدةٌ عظيمةٌ أنَّ مَنْ فعَلَ العبادةَ المُؤَقَّتَةَ قبلَ وقتِها -ولو كان جاهلًا- فإنَّ ذِمَّتَه لا تَبْرَأُ بذلك، ولا ينافي هذا قولَه تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، لأنَّ هذا انتفى عنه الإثمُ، وهو المؤاخذةُ، لكن هو لا زال الآن مُطالَبًا بفعلِ العبادةِ، فيَفْعَلُها ولا بُدَّ.

---

(١) انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣١).

(٢) هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سَنَة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: عنق.

المُهِمُّ أنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- لـمَّا قَالَ له: «شَاتُكَ شَاةُ لَـحْمٍ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا -يَعْنِي: عَنْزًا لها أربعةُ أَشْهُرٍ أو نَحْوُ ذلكَ- هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتُجْزِئُ عَنِّي، قَالَ: «نَعَمْ، وَلَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»[1].

لو أنَّ أحدًا ضَحَّى بعَناقٍ فإنَّ أُضْحِيَّتَه لا تُجْزِئُ، لِأَنَّها لم تَبْلُغِ السِّنَّ، فلم تكن ثَنِيَّةً[2]، لكن هذا قَالَ له الرسولُ ﷺ: «لَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»، فقَالَ بعضُ العلماء: إنَّ هذا حكمٌ خاصٌّ بالرجلِ لا يَتعدَّاهُ إلى غيرِه، لأنَّ قولَ الرسول ﷺ: «لَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ» صريحٌ في ذلك.

ولكنَّ بَحْرَ العلومِ ابنَ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- أَبَى ذلك، وقال: أيُّ سببٍ يَخْتَصُّ بهذا الرجل بعينِه؟! هذا شرعٌ، وليسَ جزاءً، حتَّى الجزاءُ يَتساوَى فيه الناسُ، فكيف؟ قال: إنَّ المُرَادَ بقَوْلِهِ: «لَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ» أي: بعدَ حالِكَ، يَعْنِي: لن تُجْزِئَ عن أحدٍ إلَّا مَنْ كانت حالُه مثلَ حالِك، فإذا وُجِدَ شخصٌ انْطَبَقَتْ حالُه على حالِ أبي بُرْدَةَ أجزأتْ عنه العَناقُ.

وكلامُه -رَحِمَهُ اللهُ- أَصحُّ، لِأَنَّهُ هو المُوافِقُ للقاعدةِ الشَّرْعيةِ العامَّةِ.

١٣٢٥- وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ أَيْضًا دَعَوْا ... لِلْخَمْسِ وَهْيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب، رقم (٩٤٠)، ومسلم: كتاب الأضاحي، باب وقتها، رقم (١٩٦١).

(٢) الثَّنِيَّة من الغنم ما دخل في السنه الثالثة، ومن البقر كذلك، ومن الإبل في السادسة، والذكر ثنى، وعلى مذهب أحمد بن حنبل: ما دخل من المعز في الثانية، ومن البقر في الثالثة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ثنا.

ثُمَّ ذَكَرَها بقَوْلِهِ:

١٣٢٦- إِيمَانُنَا بِاللهِ ثُمَّ بِرُسْلِهِ ... وَبِكُتْبِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْأُلَى ... هُمْ رُسْلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

فهذه خمسُ قَواعِدَ للإيمانِ، لكن قد يَقولُ قائِلٌ: إِنَّ ابنَ القَيِّمِ مُقَصِّرٌ، لِأَنَّهُ لم يَذْكُرِ القاعدةَ السَّادسةَ، وهي الإيمانُ بالقَدَر، فماذا نُجِيبُ؟

الجَوَابُ: نقولُ: ذكَرَها -رَحِمَهُ اللهُ- من قَبْلُ في قَوْلِهِ:

وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْـ ... ـبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلانِ

لَكِنَّهُ اقْتَصَرَ على هذه الخمسِ لِيَرُدَّ بها على قواعدَ خمسٍ للمعتزلةِ، فخمسٌ بخمسٍ، ولهذا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٣٢٨- هَذِي أُصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُو ... لُ الخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الهَمْدَانِي[1]

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلاعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا ... فَرْعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

أصولُ المُعتزلةِ عندَهم خمسةٌ، وهي:

الأول: التوحيدُ، فقالوا: هذه قاعدةٌ من قواعدِ الدِّينِ، وهذا صحيحٌ، فالتوحيدُ هو أصلُ الأصولِ.

الثاني: العدلُ، وهذا صحيحٌ، فالعدلُ من قواعدِ الإسلامِ.

الثالث: المَنْزِلةُ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ، يَعْنِي: أَنَّ الإنسانَ لا يكونُ مؤمنًا، ولا يكونُ

---

(١) **القاضي الهمداني** هو: عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شيخ المعتزلة في عصره، يلقِّبونه قاضي القضاة، ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة (٤١٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤).

كافرًا، لأنَّ فيه خصالَ كفرٍ، فلا نقولُ له: أنت مؤمنٌ، ولا نقولُ له: أنت كافرٌ، بل أنت بينَهما.

الرابع: إنفاذُ الوعيد، قالوا: لأنَّ خبرَ الله صِدْقٌ، وخبرَ رسولِهِ صِدْقٌ، فإذا كانَ مُدمِنُ الخَمْرِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ[1] فصِدْقٌ، هكذا قَالَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-.

الخامس: الأمرُ بالمَعْروفِ والنهيُ عن المُنكَرِ، وهذا صحيحٌ، فهذا من القواعدِ أيضًا.

قُلْنَا: والله هذه قواعدُ جَيِّدة، إذا قرَأَها الإنسانُ قال: ما أحسنَ هذه القَوَاعِدَ! لكنَّهم يَعْنُونَ بالتوحيدِ ألا تُثْبَتَ لله صِفَةٌ، فأيُّ إنسانٍ يُثْبِتُ لله صِفَةً فهو مُشرِكٌ، فليسَ لله سمعٌ، ولا بصرٌ، ولا قدرةٌ، ولا كلامٌ، ولا شَيْءٌ، لأنك إذا أثبتَّ صِفَةً أثبتَّ معَ الله إلـهًا، إذ إِنَّك إذا قُلْتَ: هذه الصِّفَةُ قديمةٌ -يَعْنِي: لم تزل- فقد جعلتَها معَ الله إلـهًا، وأنت الآن كم صِفاتُ الله عندَكَ؟ يقول: صفاتُ الله لا تُحْصَى، فيقول: أنت أكفرُ من النصارى، لأنَّ النصارى جعلوا اللهَ ثلاثةً، وأنت جعلتَه ثلاثين ألفًا أو أكثر، فأنت أكفرُ منهم، إذَنْ أنْكَرَ الصِّفَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ لله صِفاتٍ غيرَ قديمةٍ، لَزِمَكَ أنْ تقولَ بوُقوعِ الحوادثِ في الله أو بحُلولِ الحوادثِ بالله، وحينئذٍ نقولُ: الحوادثُ لا تقومُ إِلَّا بحادثٍ، فتكونُ قد أنكرتَ أزليَّةَ الله.

فصار توحيدُهم تعطيلًا وجَحْدًا للخالِقِ عزَّ وجلَّ، لأنَّ وجودَ ذاتٍ مُجَرَّدةٍ عن الصفاتِ أمرٌ مُستحيلٌ، إذَنْ وُجودُ الله على قَاعدتِهم مُستحِيلٌ.

---

(١) أخرجه النسائي: كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر، رقم (٥٦٧٢)، وابن ماجه: كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، رقم (٣٣٧٦).

انظر ماذا يعنون؟ مع أنك أوَّل ما تسمع (التوحيد) تقول: ما شاءَ اللهُ، مِن أَحْسَنِ شَيْءٍ.

الثاني: العدلُ، يَعْنِي: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عَدْلٌ، فنقولُ: صحيحٌ، لكن أَتَدْرُونَ ماذا يقولون؟ يقولون: إنَّ اللهَ عدلٌ، إذَنْ ليس له عَلاقةٌ بفِعْلِ العَبْدِ، لِأَنَّهُ ليسَ من العَدْلِ أنْ يُدَبِّرَ للعبدِ ثُمَّ يعاقبُه، وبِناءً على العدلِ أنْكَرُوا القَدَرَ، وقالوا: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لم يُقَدِّر أعمالَ العبادِ، ولا يَقْدِر على أنْ يَجْعَلَ الكافِرَ مؤمنًا، ولا المؤمنَ كافرًا، ولا العاصيَ عدلًا، ولا العدلَ عاصيًا، فلا يَقْدِرُ على هذا، لأنك لو قُلْتَ: إنَّ اللهَ قادرٌ على ذلك، وأنَّ اللهَ هو المدُبِّرُ، فقد وَصَفْتَ اللهَ بالجَوْر، وأنشدوا على ذلك:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ[1]

(**واليَمُّ**) يَعْنِي: البحر، والدليلُ قولُه تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦].

وهذا محالٌ، فلا بدَّ أنْ يَبْتَلَّ، إلَّا إذا كانَ عليه كِيسٌ من البلاستيك، فهذا يُمْكِنُ ألا يبتلَّ، لكنَّ هذا غيرُ موجودٍ.

هم يقولون: كيف يأمُرُنا اللهُ بشيءٍ، ويكونُ فعلُنا لهذا الشيءِ أو تَرْكُنا لهذا الشيءِ بتقديرِه ثُمَّ يُعاقِبُنا؟ يقولون: هذا ظُلْمٌ، وهو مُحالٌ على الله، إذَنْ فيَلْزَمُ أنْ تكونَ أفعالُنا مُستقلةً، ليسَ لله فيها تَدَخُّلٌ، هذا يُسمُّونَه العَدْلَ.

إذَنْ الذي يَنْبَنِي على العدلِ عندهم إنكارُ القَدَرِ بالنسبةِ لفعلِ العَبْدِ، وغريبٌ هذا العَدْلُ، لأنَّ هذا العدلَ يَتضمَّنُ تكذيبَ الله عزَّ وجلَّ، وهل من العَدْلِ أنْ يُكَذِّبَ اللهُ ورسلُه؟! الجَوَابُ: أبدًا.

---

(١) البيت في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمسان (٥/ ٢٩٢) بلا نسبة.

الثالث: المنزلةُ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ -وأظنُّ بعضَهم يَجْعَلُ بدلَها وُجوبَ فِعْلِ الأصلحِ، أو الصَّلاحِ على الله- يَعْنِي: أنَّ العاصِيَ الذي لا تَصِلُ مَعْصِيَتُه إلى الكُفْرِ لا يَجوزُ أنْ نَقولَ: إنه مؤمنٌ، ولا أنْ نقولَ: إنه كافرٌ، بل هو في منزلةٍ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ، كرَجُلٍ سَافَرَ من المدينةِ إلى مَكَّةَ، فهو في أثناءِ الطريقِ لا نَقُولُ: إنَّه من أهلِ مَكَّةَ، ولا من أهلِ المدينةِ، بل هو في منزلةٍ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ.

هذا الإنسانُ لَـمَّا فَعَلَ الكبيرةَ خَرَجَ من الإيمانِ، لكن لـمَّا كانَ معَه بعضُ الإيمانِ لم يَصِلْ إلى الكفرِ، فكان في منزلةٍ بينَ مَنزلتَيْنِ.

وبَنَوْا على هذا أنَّه لا تَنْفَعُ فيه الشفاعةُ، لِأَنَّهُم يُنْفِذُونَ الوعيدَ، كما سيأتي -إن شاء اللهُ- في إنفاذِ الوَعِيدِ.

أمَّا في مسألةِ وُجوبِ الصلاحِ والأَصْلَحِ على الله، فهذا أيضًا من أُصولِهِم، يقولون: يَجِبُ على الله أنْ يَفْعَلَ الأصلحَ، قالوا: لِأَنَّهُ حَكِيمٌ، والحكيمُ لا يَفْعَلُ إِلَّا الأصلحَ، لأنَّ العُدولَ عن الأصلحِ إلى ما دونَه يُنافِي الحِكْمَةَ، إذَنْ يَجِبُ على الله أنْ يَفْعَلَ الأصلحَ، ويَجِبُ عليه أنْ يفعلَ الصَّلاحَ.

وهذا القولُ -وإن كانَ ظاهرُه حقًّا- لكنَّهم لا يُريدونَ الحقَّ، لأننا نَقُولُ: ما مِيزانُ الأصلحِ أو الصَّلاحِ؟ إن كان عقولَكم، فإنَّ قولَكم هذا باطِلٌ، لأنكم لا تَعْلَمونَ ما هو الأصلحُ من غيرِه؟ وإن كان الأصلحُ هو ما تَقْتضيهِ حِكْمةُ الله، فهذا ليس إليكم، ولَسْتُم الذين أوجبتموه على الله، بل إنَّ اللهَ هو الذي أَوْجَبَه على نفسِه، فإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ، ويُحِبُّ المُصْلِحِينَ، ويُجازِيهم.

ولهذا نَقُولُ لهم: رجل له ثلاثةُ أولادٍ: مات الولدُ الأوَّلُ، وهو لم يَبْلُغْ، ومات الثاني بعدَ البلوغِ، ومات الثالثُ بعدَ أن عُمِّرَ طويلًا، موتُ الأوَّلِ بالنسبةِ

للوَلَدَيْنِ الآخَرَيْنِ ليسَ فيه صلاحٌ ولا أصْلَحُ، فهو ولدٌ مِسْكِينٌ، ما جاءَه صلاحٌ ولا أصْلَحَ، غاية ما هنالك أنَّه سَلِمَ من الإثْمِ، وهذا هو الأوَّلُ.

الثاني: الذي ماتَ بعدَ البلوغِ لكن ما بَقِيَ إلَّا سَنَةً أو سنتين، فهذا حَصَلَ له الصَّلاحُ.

الثالث: الذي طال عُمُرُه في طاعةِ الله، هذا حَصَلَ له الصلاحُ وأَصْلَحَ.

إذَنْ المعنى -على زَعْمِكم- لم يَقُمِ اللهُ بشيءٍ من الوَاجِبِ عليهِ عندَكم إلَّا في الابنِ الثالثِ فَقَطْ.

وهذا قولٌ مُنْكَرٌ، لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- يفعلُ ما يشاءُ، ونحن نعلمُ أنه لا يفعلُ الشيءَ إلَّا لحكمةٍ، لكنَّ الحِكْمَةَ لَسْنَا نحن مَنْ يَفْرِضُها على الله، بل الحِكْمَةُ يكونُ علمُها عندَ الله عزَّ وجلَّ، ويأتي -إن شاء الله- بقيةُ الكلامِ على أصولِهم الخمسةِ، وهذا هو السِّرُّ في أنَّ ابنَ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- جَعَلَ القواعدَ الخمسَ هي خمسة من أركانِ الإيمانِ.

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلاعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا ... فَرْعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «**وكَمْ لَهَا فَرْعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ للقُرْآنِ**» يَعْنِي: يقولون: القرآنُ مخلوقٌ كغيرِهِ من المخلوقاتِ، بائِنٌ عن الله كغيرِه من البائِناتِ، وليسَ وَصْفًا له، وإنما أُضيفَ إليه إضافةَ المَخلوقِ إلى خَالِقِه، فـ(بيتُ الله)، و(كلامُ الله) عندَهم سواءٌ، لأنَّ كلامَ الله مخلوقٌ، وبيتَ الله مخلوقٌ أيضًا، وبَنَوا على هذه الأصولِ.

١٣٣٠- وَجُحُودُ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ ... لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**وَجُحُودُ أَوْصَافِ الإِلَهِ**» هذا أيضًا مِمَّا بَنَوْهُ على أُصولِهم، أو على

قَوَاعِدِهم الخمسِ، فجحودُ أوصافِ الإلَهِ مَبنيٌّ على التوحيدِ.

قَوْلُهُ: «**وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ للرَّحْمَنِ**» هذا أيضًا مَبنيٌّ على التوحيدِ، لِأَنَّهُم يَرَوْنَ أنَّ إثباتَ هذا العُلُوِّ يَستلزِمُ التجسيمَ والتمثيلَ.

١٣٣١- وَكَـذَاكَ نَفْـيُهُمُ لِرُؤْيَتِنَـا لَـهُ ... يَـوْمَ اللِّقَـاءِ كَـمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ

قَوْلُهُ: «**وكَذَاكَ نَفْيُهُمُ لِرُؤْيَتِنَا لهُ يَوْمَ اللِّقاءِ**» أيضًا بَنَوْه على ذلك، لِأَنَّهُم يقولون: لو رُئِي لكان جسمًا، وهذا شِركٌ.

١٣٣٢- وَنفَوْا قَضاءَ الرَّبِّ وَالْقَـدَرَ الَّـذِي ... سَـبَقَ الْكِتَـابُ بِـهِ هُمَـا حَـتْمَانِ

١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَخَلَّدُوا ... أَهْـلَ الْكَبَـائِرِ فِي لَظَـى النِّـيرَانِ

قَوْلُهُ: «**وَنفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ**» وهذا بِناءً على العَدْلِ.

وَقَوْلُهُ: «**هُمَا حَتْمَانِ مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الأُصُولِ**» يَعْنِي: أنَّ هذا حتمٌ لبنائِه على هذه الأصولِ.

قَوْلُهُ: «**وَخَلَّدُوا أَهْلَ الكَبائِرِ فِي لَظَى النِّيرانِ**» وهذا بِناءً على إنفاذِ الوَعيدِ.

١٣٣٤- وَلِأَجْلِهَـا نفَـوُا الشَّـفَاعَةَ فِـيهِمُ ... وَرَمَـوْا رُوَاةَ حَـدِيثِهَا بِطِعَـانِ

قَوْلُهُ: «**وَلأَجْلِهَا نَفَوُا الشَّفَاعَةَ فِيهِمُ**» هذا أيضًا مِن أَجْلِ إنفاذِ الوَعيدِ، لأنَّ الوعيدَ إذا كان نافذًا فلا فائِدةَ من الشفاعةِ فيه.

قَوْلُهُ: «**وَرَمَوْا رُوَاةَ حَدِيثِهَا بِطِعَانِ**» الذين رَوَوْا أحاديثَ الشفاعةِ طَعَنُوا فيهم، وقالوا: إنَّ هذه أخبارُ آحادٍ تُنافي المَقطوعَ به عقلًا، فلا تكونُ مقبولةً.

وهذا -كما علمتم- أساسٌ بَنَى عليه جميعُ أهلِ البِدَعِ ما يَذْهَبُونَ إليه من

البدَعِ، فكُلُّ شَيْءٍ يُخالِفُ بِدَعَهم يقولون: هذا خبرُ آحادٍ، ونحن نَتكلَّمُ عن أمورِ القَطعيَّاتِ، فلا نَقْبَلُ، مع أنَّ أحاديثَ الشفاعةِ مُتواترةٌ، وهذا بالنسبةِ للشفاعةِ في أهلِ الكبائرِ.

أمَّا الشفاعةُ بينَ أهلِ المَوْقِفِ أنْ يُقْضَى بينَهم، فإنهم لا يُنكِرونها، لِأَنَّهَا شفاعةٌ عامةٌ للمؤمنين، والكُفَّارِ، والفُسَّاقِ، والمُنافقينَ.

١٣٣٥- وَلِأَجْلِهَا قَالُوا بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ

لماذا؟ لأنَّ فِعْلَ العبدِ لا عَلاقةَ له بالله، فالعبدُ إذا كان يُرِيدُ المعصيةَ فليسَ لله تعالى تَعلُّقٌ فيه، فلا يَقْدِرُ اللهُ -على زعمهم- أنْ يَصْرِفَه إلى الطَّاعةِ، وإذا كانَ يُرِيدُ الطاعةَ لم يَقْدِرِ اللهُ على أنْ يَجْعلَه عاصيًا، إذَنْ هذا مَبْنِيٌّ على العدلِ.

١٣٣٦- وَلِأَجْلِهَا قَالُوا بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

لا يَقْدِرُ اللهُ على إيمانِ الكافِرِ إطلاقًا، فلا يَقْدِرُ اللهُ أنْ يَجْعَلَ الكافرَ مؤمنًا، ولا الفَاسِقَ مُطِيعًا، لماذا؟ لأنَّ فعلَ العبدِ لا تَعَلُّقَ له بالله، فالعبدُ مُستقِلٌّ بعَمَلِه، ليسَ له دَخْلٌ في القضاءِ والقَدَرِ.

١٣٣٧- وَلِأَجْلِهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشْـ ـشَرْعِ الْـمُحَالِ شَرِيعَةِ الْبُهْتَانِ

١٣٣٨- وِلِأَجْلِهَا هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةً لِلْأَصْلَحِ الْـمَوْجُودِ فِي الْإِمْكَانِ

كذلك أيضًا حَكَمُوا على الرحمنِ بالشَّرْعِ المُحالِ، وهو أنه يَجِبُ على الله أنْ يَفْعَلَ الأصلحَ أو يَفْعَلَ الصَّلاحَ، قالوا: فإذا خَالَفَ فهو ظالمٌ؛ لِأَنَّهُ تركَ الواجبَ عليه.

فحَكَمُوا على الله بالشريعةِ، والذي يَحْكُمُ بالشريعةِ هو اللهُ، فهو الذي يَحْكُمُ بها على العبادِ، لا العبادُ بها على الله.

ونحن نَقُولُ: أمَّا وُجوبُ الأصلحِ، فنحن نؤمنُ به، لكن لا نُوجِبُه، بل نؤمنُ به لِأَنَّهُ مُقْتَضَى الحِكْمة، ولا شكَّ أنه إذا كان أمامَ الإنسانِ صالحٌ وأصْلَحُ، فالحِكْمةُ أنْ يَتْبعَ الأصلحَ، وإذا كان أمامه صالحٌ وفاسدٌ فَلْيَتَّبِعِ الصَّالحَ، لكن لا نوجبهُ على الله.

نقولُ: هذا كان واجبًا بمُقْتَضَى حِكْمتِه، وبِناءً على ذلك يختلفُ الفرقُ بينَ قَوْلِنا هذا وقولِ المعتزلةِ، فالمعتزلةُ يَرَوْنَ أنَّ الأصلحَ والصالحَ مَوكولٌ إلى عقولِهم، فإذا وقَعَ فعلُ الله خلافَ ما يَرَوْنَه أصلحَ، قالوا: هذا ظلمٌ، أمَّا نحن فنقولُ: إنَّ مِيزانَ الصَّلاحِيَةِ والأصلحيَّةِ ليستْ عقولَنا، بل مِيزانُهما حِكْمةُ الله عزَّ وجلَّ.

فمثلًا لو أنَّ الناسَ أُصِيبوا بقَحْطٍ وجَدْبٍ -القَحْط: امتناعُ المَطَر، والجَدْبُ: عَدَمُ النَّباتِ- وهَلَكَت المواشي، فنحن إذا نظرنا إلى مقتضى العقولِ القاصرةِ نَقُولُ: هذا ليسَ بأصلحَ، بل هذا فسادٌ، ولكنَّ حكمةَ الله تأبَى أنْ يكونَ هو الأصلحَ، لِـمَا يَتَرَتَّبُ عليهِ من المصالحِ العَظيمةِ التي قد تَظْهَرُ الآن لنا، وقد لا تَظْهَرُ، وقد تَظْهَرُ بعدَ زمنٍ، وقد لا تَظْهَرُ، ونحن قَاصِرُونَ، فهذا هو الفرقُ بينَ قَوْلِنا وقولِ المعتزلةِ.

١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِـهِمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ!

لو قالوا: يَجِبُ على الله فِعْلُ الأصلحِ بمُقْتَضَى الحِكْمةِ لا بمُقْتَضَى ما تَفرِضُه عقولُنا، لقُلْنَا: هذا صحيحٌ، أمَّا بمُقْتضَى العَقْلِ فنَقُولُ: هذا هو الأصلحُ، فيَجِبُ على الله أنْ يفعلَه، فهذا لا شكَّ أنه قولٌ باطِلٌ.

* * *

فصل

١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْـ ـلِ الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ

١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

١٣٤٢- لَا عِبْرَةً بِمُخَالِفٍ لَهُمُ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

١٣٤٣- أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ وَهْوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٣٤٤- هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنِ

١٣٤٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ أَقْوَالَهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْـ ـهِمْ بَعْدَهَا بِالْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ

١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَئِمَّةِ ذَاكِرِي الْـ إِسْنَادِ فَهْيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ

١٣٤٧- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْـ ـسِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

١٣٤٨- وَانْظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ حَبْرَانِ

١٣٤٩- وَانْظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ أَيْضًا وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ

١٣٥٠- وَكَذَا رُفَيْعُ التَّابِعِيُّ أَجَلُّهُمْ ذَاكَ الرِّيَاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٥٢- فَلْيَهْنِ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا فِقْ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

١٣٥٤- وَهْيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (ارْ تَفَعَ) الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

١٣٥٥- وَكَذَاكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

الشرحُ

١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْـ ـلِ الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ

١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

في هذه المقطوعةِ بَيَّنَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أنَّ مِن الْأَدِلَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى عالٍ بذاتِهِ فوقَ كُلِّ شَيْءٍ إجماعَ أهلِ العلمِ -أعني: حُجَّةَ الأزمان- لأنَّ إجماعَ أهل العلم حُجَّةٌ في كُلِّ زمانٍ، فإذا أجْمَعوا من غيرِ خلافٍ سَبَقَ، فإجْماعُهم حُجَّةٌ على مَنْ بعدَهم، أما إذا أجْمَعوا بعدَ اختلافِهم، فهذا الإجماعُ ليسَ بحُجَّةٍ.

فإذا اختلَفَ الصحابةُ على قولَيْنِ ثُمَّ أجْمَعَ التابعون على أحَدِهما، فليسَ هذا الإجماعُ بحُجَّةٍ، لِأَنَّهُ مَسبوقٌ بخلافٍ، أمَّا لو أَجْمَعوا على شَيْءٍ، ثُمَّ نَشَأَ الخلافُ مِن بعدِهم، فهذا الخلافُ مَرْفوضٌ، لأنَّ الحُجَّةَ ثَبَتَتْ بالإجماعِ السَّابقِ.

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ» ويجوزُ النصبُ، أي: أعني: أهلَ الحديثِ وعَسْكرَ القرآنِ.

١٣٤٢- لَا عِبْرَةً بِمُخَالِفٍ لَهُمُ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

يعني: الذي يُخالِفُ أهلَ الحديثِ وأهلَ القرآنِ فلا عِبْرَةَ بقولِه، ولو كانوا عديدَ الشاءِ والبُعْران، و(الشَّاءُ) جمع: (شاةٍ)، و(البُعْرانُ) جَمْعُ (بَعيرٍ) وهي الإبلُ،

وفي هذا من تَحْقيرِ هؤلاءِ ما هو ظاهرٌ، حيث شَبَّههم بالنِّعاج -أي: بالضَّأْن- وشبَّههم أيضًا بالبُعْرانِ.

١٣٤٣- أَنَّ الَّـذِي فَـوْقَ السَّـمَوَاتِ الْعُـلَى وَالْعَـرْشِ وَهْـوَ مُبَـايِنُ الْأَكْـوَانِ

١٣٤٤- هُـــوَ رَبُّنَـــا سُـــبْحَانَهُ وَبِحَمْـــدِهِ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْـتَوَى الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَنَّ الَّذِي...» مُتعلِّقٌ بقَوْلِهِ: (إجماع).

قَوْلُهُ: «الرَّحْمَنِ» هنا فيها إشكالٌ من جِهَةِ الإعرابِ، فإِمَّا أَنْ نقولَ: إنَّ المؤلفَ -رَحِمَهُ اللهُ- كَسَرَها من أجْلِ الرَّوِيِّ، يَعْنِي: من أجْلِ القافيةِ، وقد أجازَ بعضُ النَّحْويينَ تغييرَ الإعرابِ من أجْلِ الرَّويِّ.

وإمَّا أنْ نقولَ: إنَّ كلمةَ (الرحمنِ) هنا ليستْ فَاعِلَ (اسْتَوَى)، بل هي بَدَلٌ، أو عَطْفُ بيانٍ من الضَّميرِ في (سبحانَه)، أي: هو رَبُّنَا سبحانَه الرحمنِ، أو من الضَّمِيرِ في (بِحَمْدِهِ).

١٣٤٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ أَقْوَالَـهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْـ ـــهِمْ بَعْـدَهَا بِـالْكُفْرِ وَالْإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «بالكُفْرِ والإِيمَانِ» يَعْنِي: إذا سَمِعْتَ أقوالَـهم فحينئذٍ قل: إنهم إِمَّا كافرون، وإِمَّا مؤمنون.

١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَئِمَّـةِ ذَاكِـرِي الْـ إِسْـنَادِ فَهْـيَ هِدَايَـةُ الْـحَيْرَانِ

التفاسيرُ تَنْقَسِمُ إلى قِسْمينِ: قِسْمٌ يُذْكَرُ فيه السَّنَدُ، مثلُ تفسيرِ ابنِ جَريرٍ[1] -رَحِمَهُ اللهُ- لكن يُؤْخَذُ عليه أنه لم يُمَحِّصِ الإسنادَ، يَعْنِي: أَتَى بكُلِّ ما حَصَّلَ،

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٨).

فهو كَحَاطِبِ ليلٍ، وعُذْرُه -رَحِمَهُ اللهُ- في ذلك أنه حَرَصَ على جَمْعِ الآثارِ، وجَعَلَ تَمْحِيصَها مَوْكولًا إلى مَنْ بعدَه، إلى مَنْ يقرأ هذا التفسيرَ، لِأَنَّهُ لو اشتغلَ بالتَّمحيصِ لفاتَه الوقتُ ولم يَتمكَّنْ من استكمالِ هذا.

فهو -رَحِمَهُ اللهُ- خافَ أنْ يُبادِرَه الأجلُ، فجَمَعَ التفاسيرَ بأسانيدِها، ووَكَلَ الأمرَ إلى القارئِ بعدَه.

فمثلًا التفاسيرُ التي تَذْكُرُ الإسنادَ هي غايةُ ما يكونُ من التفسيرِ، وبعدَها التي تَذْكُرُ القولَ بدونِ إسنادٍ، فيقولُ مثلًا: قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: كذا، قَالَ مجاهدٌ: كذا، قَالَ مقاتلٌ: كذا، قَالَ قتادةُ: كذا، وما أشْبَهَها.

وهذا مُشكِلٌ في الحقيقةِ، ولكن مع ذلك اصْطَلَح عليه المُفسِّرونَ اليومَ، وصاروا يَذْكُرونَ هذا بدونِ إسنادٍ، مثلُ ابنِ كثيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- وغيرِه.

١٣٤٧- وَانْظُرْ إِلَى قَـوْلِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ بِتَفْـ ـسِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، يَعْنِي: علا على العَرْشِ، وارتفع، وابنُ عبَّاسٍ -كما نعلم- هو حَبْرُ الأُمَّةِ، وتُرْجُمانُ القرآنِ.

١٣٤٨- وَانْظُـرْ إِلَى أَصْـحَابِهِ مِـنْ بَعْـدِهِ كَمُجَاهِـدٍ وَمُقَاتِـلٍ[1] حَـبْرَانِ

مُجاهدٌ هو أخَصُّ أصحابِه به في عِلْمِ التفسيرِ، حتَّى إنه قرَأَ عليه القرآنَ من فاتحتِه إلى خاتمتِه، يُوقِفُهُ عندَ كُلِّ آيةٍ، ويسألُه عن معناها.

قَوْلُهُ: «**كَمُجَاهِدٍ ومُقَاتِلٍ حَبْرَان**» يَعْنِي: هما حَبْرَانِ[2].

---

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، كبير المفسرين، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١).

(٢) مثنى حبر، والحبر أي: العالِـمُ. انظر: القاموس المحيط، مادة: حبر.

١٣٤٩- وَانْظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ[١] أَيْضًا وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ

١٣٥٠- وَكَذَا رُفَيْعُ[٢] التَّابِعِيُّ أَجَلُّهُمْ ذَاكَ الرِّيَاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

قَوْلُهُ: «كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ» أي: إلى رُفَيْعٍ، ويجوز: ألقى رُفَيعٌ إليه علمَه.

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ» يَعْنِي: اتَّفَقَ العلماءُ على أنه -رَحِمَهُ اللهُ- كَبِيرُ الشأنِ، واسعُ العلمِ، كثيرُ الاطِّلاعِ.

١٣٥٢- فَلْيَهْنِ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا فِقْ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ

لأنَّ الذين يُنْكِرونَ العلوَّ، ويقولون: (استوى) بمعنى (استولى)، يُنكرون على رُفَيْع وغيرِه من السَّلفِ الذين يفسِّرون ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، بأنه علا عليه.

١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

١٣٥٤- وَهْيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (ارْ تَفَعَ) الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

---

(١) الكلبيُّ: يحتمل أنه محمد بن أحمد بن جَزْيٍ الكلبي، من أهل غرناطة، ولد سنة (٦٣٩هـ)، وتوفي سنة (٧٤١هـ) مفقودًا وهو يحرض الناسَ يوم معركة طريف، ويحتمل أنه محمد بن السائب بن بشر الكلبي كان نسَّابةً، راويةً، عالمًا بالتفسير، وُلِدَ بالكوفة ومات بها سنة (١٤٦هـ) وهذا أقرب. [الشارح].

(٢) رُفَيْع -بضم الفاء، مُصغَّرًا- هو ابن مهران الرِّياحيّ، أبو العالية من أئمة التابعين، اخْتُلف في سنة وفاته، فقيل: سنة (٩٠هـ)، وقيل: سنة (١١١هـ)، وقيل غير ذلك، وقولُ الشارح -يقصد الهرَّاس- إنه الحسن البصري فخطأٌ. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧).

١٣٥٥- وَكَذَاكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ ... وَأَبُو عُبَيْدَةَ[1] صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ ... أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ» وهي: (استقرَّ)، (وقد علا) اثنان، وكذلك (ارْتَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ) هذه ثلاثة، وكذاك (قَدْ صَعِدَ) الذي هو رابعٌ.

فصار الواردُ عن السَّلفِ في معنَى قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، أربعةَ معانٍ: علا، وارتفع، واستقرَّ، وصَعِدَ.

فأمَّا (عَلَا، وارتَفَعَ، وصَعِدَ)، فمعناها متقاربٌ، و أمَّا (الاستقرار) فشيءٌ زائِدٌ على العُلُوِّ، فهو أخصُّ مِن مُجَرَّدِ العُلُوِّ، ولهذا لو أرَدْنا أنْ نَختصِرَ لقُلْنَا: معناها: (علا) و(استقرَّ)، وبهذا نَنْتَظِمُ المَعانِيَ الأربعةَ.

* * *

١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (اسْتَوَى) ... بِحَقِيقَةِ (اسْتَوْلَى) مِنَ الْبُهْتَانِ

١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتْـ ... ـبَاعٍ لِجَهْمٍ وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ

١٣٥٩- فِي كُتْبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ) ... وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ) بِبَيَانِ

١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَا ... هُ عَنْهُمُ بِـ(مَعَالِمِ) الْقُرْآنِ

١٣٦١- وَانْظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ ... قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

(١) أبو عبيدة هو: معمر بن المُثَنَّى التيمي، مولاهم، من أئمة العلم باللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة (١١٠هـ)، ومات بها سنة (٢٠٩هـ) على أحد الأقوال. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥).

١٣٦٢- فِي الِاسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْـمَعْلُومُ لَـ ـكِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

١٣٦٤- اللهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ

١٣٦٥- فَانْظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْـ ـمَعْلُومِ مِنْ ذَا الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

١٣٦٦- فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الْـ ـمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ

١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنْ مَالِكٍ مَنْ رَدَّهِ فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانِ

١٣٦٨- وَكَذَاكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بِـ(جَامِعٍ) عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ:

١٣٦٩- اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانِ

١٣٧٠- وَكَذَاكَ أَوْزَاعِيُّهُمْ أَيْضًا حَكَى عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ

١٣٧٢- إِيمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

١٣٧٣- وَكَذَاكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنْـ ـهُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِي

١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللهُ الْـخِلَافَةَ رَبُّنَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعُبْدَانِ

١٣٧٥- حِبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالْـحَقِّ لَا فَشِلٌ وَلَا مُتَوَانِ

١٣٧٦- فَانْظُرْ إِلَى الْمَقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لَـ ـكِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ

١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصْفٌ لَهُ لَمْ يَنْفَصِلْ عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

الشــرحُ

١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (اسْـتَوَى) بِحَقِيقَـةِ (اسْـتَوْلَى) مِـنَ الْبُهْتَـانِ

١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَقَـوْلُ أَتْـ ـبَاعٍ لِـجَهْمٍ وَهْـوَ ذُو بُطْـلَانِ

ذكَرَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه المقطوعةِ أنَّ الأشعرِيَّ يقول: إِنَّ تفسيرَ (استوى) بـ(استولى) من البُهتانِ، يَعْنِي: من الكَذِب.

إذَنْ تفسيرُ (استوى) بـ(استولى) هو قولُ المُعتزلةِ والجَهْميَّةِ.

١٣٥٩- فِي كُتْبِهِ قَـدْ قَـالَ ذَا مِـنْ (مُـوجَزٍ) وَ(إِبَانَـةٍ) وَ(مَقَالَـةٍ) بِبَيَـانِ

قَوْلُهُ: «فِي كُتْبِهِ قَدْ قَالَ ذَا» الضميرُ يعودُ على الأشعريِّ -رَحِمَهُ اللهُ-.

قَوْلُهُ: «مِنْ مُوجَزٍ» اسمُ كتابٍ، (وإبانةٍ) اسمُ كتابٍ أيضًا وهو (الإبانةُ عن أصولِ الدِّيانةِ)، (ومَقَالَةٍ) اسمُ كتابٍ -أيضًا- وهو كتابُ (مَقالات الإِسْلامِيِّينَ).

١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَا هُ عَنْهُمُ بِـ(مَعَالِمِ) الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بمَعَالِمِ الْقُرْآنِ» يَعْنِي: (معالم التنزيل)، فكتابُ تفسيرِ البَغَويِّ -رَحِمَهُ اللهُ- اسمه: (مَعَالمُ التنزيل)، لكن المؤلف قال: بـ(مَعالِم القرآن) مِن أَجْلِ القافية.

١٣٦١- وَانْظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ[1] قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

---

(١) مالك هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الحميري، أحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة سنة (٩٣هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨).

١٣٦٢- فِي الِاسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَـ ... ـكِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

الإمامُ مالكٌ -رَحِمَهُ اللهُ- إمامُ أهلِ المدينةِ، وابنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- ينتسبُ في المذهبِ إلى الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، لكن مع ذلك نحن نَرَى، وابنُ القَيِّمِ يَرَى أنَّ الإمامَ مالكًا إمامٌ له، والإمامَ الشافعيَّ إمامٌ له، والإمامَ أبا حنيفةَ إمامٌ له، والإمامَ أحمدَ إمامٌ له، فهم أَئِمَّتُنا لا شكَّ، ولهذا قال: (**كَلامَ إمامِنَا هو مَالِكٌ**).

وأظنُّ العبارةَ عنه معروفةً، فلَمَّا سُئِلَ عن الاستواء، وقال: له رجل: يا أبا عبدِ الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ فأطْرَقَ برأسه[١] هكذا، حتى جَعَل يَتصبَّبُ عَرَقًا مِن شِدَّةِ ما وَقَعَ على نفسِه مِن هذا السؤالِ العظيمِ، ثُمَّ رَفَعَ رأسَه، وقال: «**يَا هَذَا، الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا**»[٢]، ثُمَّ قال: «**أَخْرِجُوهُ**»، فأَخْرَجوه من المسجد، لأنَّ أهلَ البِدَعِ لا يَنْبَغِي أنْ تُجْلِسَهم في مجلسِ حَديثِكَ، لِأَنَّهُم أهلُ شَرٍّ، يُلْقونَ الشُّبهَ من أجلِ أنْ يَلْبِسُوا الحقَّ بالباطِلِ، ولهذا أمَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- أنْ يُخْرَجَ، فَأُخْرِجَ.

١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ[٣] الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ ... مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

١٣٦٤- اللهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ ... سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ

(١) أي أماله. انظر: لسان العرب، مادة: طرق.

(٢) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جوَّده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٧).

(٣) **ابن نافع**: يحتمل أن يكونَ أبا بكر بن نافع، أو عمرَ بن نافع، وكلاهما ثقةٌ، وأمَّا نافع فهو أبو عبد الله مولى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو ديلميُّ الأصل، كان أحدَ الأعلامـ، مات سنة (١١٧هـ) أو سنة (١٢٠هـ). [الشارح].

هذا، كأنه يُشيرُ إلى قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، فإنَّ هذه الآيَةَ لَبَّس بها الحُلوليَّةُ الذين قالوا: إنَّ اللهَ تعالى في الأرضِ كما أنه في السَّماءِ، وقالوا: إنه مَعَكم أينما كُنتم.

فردَّ عليهم الأئمةُ، وقالوا: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- في السَّماءِ، ولا يمكنُ أنْ يكونَ في الأرضِ، وأمَّا قولُه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، يَعْنِي: أنه يَعْلَمُكم وأنتم في الأرضِ، فالمُرَادُ بالمَعِيَّةِ علمُه بكم، وليسَ المعنى أنه هو ذاتُه معنا، لأنَّ هذا شَيْءٌ مستحيلٌ على الله، قَالَ تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فكيف تُحِيطُ به الأرضُ؟! ولهذا يقولُ:

١٣٦٥- فَانْظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْـ ... ـمَعْلُومِ مِنْ ذَا الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

١٣٦٦- فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الْـ ... ـمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «الْـمَعْلُوم» هم الْـخَلْق. لكن أين هم؟ الجَوَابُ: في الأرضِ، فمعلومُه في الأرضِ، وأما ذاتُه ففي السَّماءِ.

١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنْ مَالِكٍ مِنْ رَدِّهِ ... فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا» يَعْنِي: هذا الذي قُلْتُ من أنَّ اللهَ في السَّماء، وعلمُه في كُلِّ مكانٍ ثابتٌ عن مالكٍ، ومَنْ ردَّه فلَسَوْفَ يَلْقَى مالكًا بهوانٍ.

قَوْلُهُ: «مَالِكًا» يَعْنِي: مالكًا خَازِنَ النارِ، يَعْنِي: مَنْ رَدَّ ما قيلَ عن مالكٍ الإمامِ، فإنه سيكونُ في النار، وسيَلْقَى مالكًا خَازِنَ النارِ بهوانٍ.

إذَنْ (مالكٌ) الثانيةُ غيرُ (مالكٍ) الأولى، فـ(مالك) الأولى يَعْنِي بها الإمامَ مالكًا، والثانية يعني بها خازن النار.

وهل نقولُ: إنَّ هذه مبالغةٌ من المؤلف، أو نقولُ: إنَّ مَن ادَّعى أنَّ اللهَ في الأرضِ فهو كافرٌ؟ الظاهرُ الثَّاني، وأنَّ مَنْ قال: إنَّ اللهَ في الأرض فهو كافرٌ، لِأَنَّهُ يُنكِرُ عُلوَّ الله -سبحانه وتعالى- ويَلْزَمُ من قولِه أنْ يكونَ اللهُ في كُلِّ مكانٍ قَذِرٍ، وفي كُلِّ مكانٍ مَكْروهٍ، وأنَّ اللهَ تعالى مُتجَزِّئٌ، وأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- مُتعدِّدٌ، وهذا كُلُّه يُفْضِي إلى الكُفْرِ.

١٣٦٨- وَكَذَاكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ[1] بِـ(جَامِعٍ) عَنْ بَعْضِ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالْإِيـمَانِ:

١٣٦٩- اللهُ فَـوْقَ الْعَـرْشِ لَكِـنْ عِلْمُـهُ مَـعَ خَلْقِـهِ تَفْسِـيرَ ذِي إِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «بِجَامِعٍ» يَعْنِي: بجامعِ الإمامِ التِّرمذيِّ، وهو معروف، ورُبَّما سُمِّي (سنن التِّرمذي).

قَالَ عن بعضِ أهلِ العلمِ: إنَّ اللهَ فوقَ العَرْشِ، وعلمُه مع خلقِه، فيَجْعلون المَعيَّةَ مَعيَّةَ العلم، وأمَّا الذاتُ فهي في السَّماءِ.

والقول الثاني في المسألةِ -كما سبق في التوحيد-: أنَّ المعيَّةَ معيَّةُ المُصاحَبةِ، ولكن لا يَلْزَمُ أنْ يكونَ اللهُ في الأرضِ، بل هو مَعَنا حقيقةً، وهو في السَّماءِ.

وذَكَرْنا أنَّ شيخَ الإسلام ابن تيميةَ -رَحِمَهُ اللهُ- في (العقيدةِ الوسطيةِ) ضَرَبَ مثلًا بالقَمَرِ، وقال: (إنه مَعَنا وهو في السَّماءِ).

المُهِمُّ أنَّ العلماءَ مُتَّفِقونَ على أنَّ اللهَ فوقَ السَّماءِ، وأنه لا يمكنُ أنْ يكونَ تحت السَّماءِ أبدًا، ولا يمكن أنْ يكونَ في الأرضِ.

---

(١) هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ العلَم الإمام البارع، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

١٣٧٠- وَكَذَاكَ أَوْزَاعِيُّهُمْ[١] أَيْضًا حَكَى　　عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ　　مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ

١٣٧٢- إِيمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ　　فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

الذي نَقَلَ عنه شيخُ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: (**كُنَّا نقولُ والتابعون متوافرون**)، ولكنْ كلامُ ابنِ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- له وَجْهٌ.

قَوْلُهُ: «**مِن قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ**» يَعْنِي: حال كونِهم مُتوافرين، وهم أولو العِرْفانِ، نقَلَ أو حَكَى (**إيمانَهم بعُلُوِّه سُبْحانَه**).

١٣٧٣- وَكَذَاكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنْـ　　ـهُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِي

١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللهُ الْخِلَافَةَ رَبُّنَا　　فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعُبْدَانِ

يشيرُ إلى: قولِ الشافعيِّ: «**خلافة أبي بكر حق قضاها الله فِي سمائه، وجمع عليها قلوب أصحاب نَبِيِّه ﷺ**»[٢] وهذا إثباتٌ لعُلُوِّ الله -سبحانَه وتعالى-.

١٣٧٥- حِبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ　　بِالْحَقِّ لَا فَشِلٌ وَلَا مُتَوَانِ

قَوْلُهُ: «**حِبُّ الرَّسُولِ**» الحِبُّ بمعنى: المَحْبوبِ.

قَوْلُهُ: «**وقَائِمٌ مِن بَعْدِه بالحَقِّ**» ويعني بذلك: أبا بكرٍ الصِّدِّيق -رضي الله تعالى عنه-؟

---

(١) نسبة إلى الأوزاعي، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص:٩٥).

١٣٧٦- فَانْظُرْ إِلَى المَقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لْـ ـكِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ

١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصْفٌ لَهُ لَمْ يَنْفَصِلْ عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

القضاءُ في السَّماءِ، لِأَنَّهُ من الله، والمَقْضِيُّ في الأرضِ.

***

١٣٧٨- وَكَذَلِكَ النُّعْمَانُ[1] قَالَ وَبَعْدَهُ يَعْقُوبُ[2] وَالْأَلْفَاظُ لِلنُّعْمَانِ

١٣٧٩- مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

١٣٨٠- وَيُقِرَّ أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ هَوَاجِسُ الْأَذْهَانِ

١٣٨١- فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ للهِ دَرُّكَ مِنْ إِمَامِ زَمَانِ

١٣٨٢- هَذَا الَّذِي فِي (الفِقْهِ الاَكْبَرِ) عِنْدَهُمْ وَلَهُ شُرُوحٌ عِدَّةٌ لِبَيَانِ

الشرحُ

الإمامُ أبو حَنِيفةَ -رَحِمَهُ اللهُ- صَرَّح بأنَّ مَنْ لم يُقِرَّ بعُلوِّ الله عزَّ وجلَّ وعُمومِ عِلمِه فإنه كافرٌ، لا شَكَّ في تكفيرِه، وهذا يدلُّ على أنه كافرٌ عندَه يقينًا، وقد أثْنَى عليه ابنُ القَيِّم بقَوْلِهِ: (للهِ دَرُّكَ مِنْ إِمَامِ زَمَانِ) وهذا يدُلُّ على ارتضاءِ ابنِ القَيِّمِ لهذا القولِ، وهو حقٌّ، فإنَّ الذي يُنْكِرُ عُلوَّ الله مُكَذِّبٌ للقرآنِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلفِ، ومُخَالِفٌ للمعقولِ، والمَفطورِ عليه الناسِ.

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠).

(٢) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، العلَّامة المحدث، قاضي القضاة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥).

١٣٨٣- وَانْظُرْ مَقَالَةَ أَحْمَدٍ وَنُصُوصَهُ ... فِي ذَاكَ تَلْقَاهَا بِلَا حُسْبَانِ

١٣٨٤- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِعُلُوِّهِ ... وَبِالِاسْتِوَا وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

١٣٨٥- وَلَهُ نُصُوصٌ وَارِدَاتٌ لَمْ تَقَعْ ... لِسِوَاهُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ

١٣٨٦- إِذْ كَانَ مُمْتَحَنًا بِأَعْدَاءِ الْحَدِيـ ... ـثِ وَشِيعَةِ التَّعْطِيلِ وَالْكُفْرَانِ

١٣٨٧- وَإِذَا أَرَدْتَ نُصُوصَهُ فَانْظُرْ إِلَى ... مَا قَدْ حَكَى الْخَلَّالُ ذُو الْإِتْقَانِ

١٣٨٨- وَكَذَاكَ إِسْحَاقُ الْإِمَامُ فَإِنَّهُ ... قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ

١٣٨٩- وَابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ قَوْلًا شَافِيًا ... إِنْكَارُهُ عَلَمٌ عَلَى الْبُهْتَانِ

١٣٩٠- قَالُوا لَهُ: مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا ... حَقًّا بِهِ لِنَكُونَ ذَا إِيمَانِ

١٣٩١- فَأَجَابَ نَعْرِفُهُ بِوَصْفِ عُلُوِّهِ ... فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟

١٣٩٢- وَبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا عَلَى الْـ ... ـعَرْشِ الرَّفِيعِ فَجَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

١٣٩٣- وَهُوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمَةَ ... إِذْ سَلَّ سَيْفَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

١٣٩٤- وَقَضَى بِقَتْلِ الْمُنْكِرِينَ عُلُوَّهُ ... بَعْدَ اسْتِتَابَتِهِمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

١٣٩٥- وَبِأَنَّهُمْ يُلْقَوْنَ بَعْدَ الْقَتْلِ فَوْ ... قَ مَزَابِلِ الْمَيْتَاتِ وَالْأَنْتَانِ

١٣٩٦- فَشَفَى الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْحَبْرُ الَّذِي ... يُدْعَى إِمَامَ أَئِمَّةِ الْأَزْمَانِ

١٣٩٧- وَلَقَدْ حَكَاهُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الرِّضَا ... فِي كُتْبِهِ عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ

١٣٩٨- وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (تَمْهِيدِهِ) ... وَكِتَابِ (الِاسْتِذْكَارِ) غَيْرَ جَبَانِ

١٣٩٩- إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللهَ فَوْ ... قَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٠٠- وَأَتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الْهُدَى ... لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَى الْعُمْيَانِ

١٤٠١- وَكَذَا عَلِيٌّ الْأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ ... فِي كُتْبِهِ قَدْ جَاءَ بِالتِّبْيَانِ

١٤٠٢- مِنْ (مُوجَزٍ) وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ) ... وَ(رَسَائِلٍ لِلثَّغْرِ) ذَاتِ بَيَانِ

١٤٠٣- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْ ... قَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٠٤- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ بِأَحْسَنِ التْـ ... ـتَقْرِيرِ فَانْظُرْ كُتْبَهُ بِعِيَانِ

١٤٠٥- وَاللهِ مَا قَالَ الْمُجَسِّمُ مِثْلَ مَا ... قَدْ قَالَهُ ذَا الْعَالِمُ الرَّبَّانِي

١٤٠٦- فَارْمُوهُ وَيْحَكُمُ بِمَا تَرْمُوا بِهِ ... هَذَا الْمُجَسِّمَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

١٤٠٧- أَوْ لَا فَقُولُوا: إِنَّ ثَمَّ حَزَازَةً ... وَتَنَفُّسَ الصُّعَدَاءِ مِنْ حَرَّانِ

١٤٠٨- فَسَلُوا الْإِلَهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ الْعُضَا ... لِ مُجَانِبَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

١٤٠٩- وَانْظُرْ إِلَى حَرْبٍ وَإِجْمَاعٍ حَكَى ... للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى كِرْمَانِي

١٤١٠- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ وَهْبٍ أَوْحَدِ الْـ ... ـعُلَمَاءِ مِثْلِ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ

١٤١١- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللهِ فِي ... تِلْكَ الرِّسَالَةِ مُفْصِحًا بِبَيَانِ

١٤١٢- مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

١٤١٣- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْكَرْخِيُّ فِي ... شَرْحٍ لِتَصْنِيفِ امْرِئٍ رَبَّانِي

١٤١٤- وَانْظُرْ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحُهُ ... فَهُمَا الْهُدَى لِمُلَدَّدٍ حَيْرَانِ

١٤١٥- وَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِ عَبْدٍ مَا الَّذِي ... فِيهِ مِنَ الْآثَارِ فِي ذَا الشَّانِ

١٤١٦- وَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الْفَاضِلِ الثْـ ... ـثَبَتِ الرِّضَا الْـمُتَضَلِّعِ الرَّبَّانِي

١٤١٧- ذَاكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ وَشَيْخُهُ ... وَأَبُوهُ سُنِّيَّانِ رَازِيَّانِ

١٤١٨- وَانْظُرْ إِلَى النَّسَائِي فِي (تَفْسِيرِهِ) ... هُوَ عِنْدَنَا سِفْرٌ جَلِيلُ مَعَانِ

١٤١٩- وَاقْرَأْ كِتَابَ (الْعَرْشِ) لِلْعَبْسِيِّ وَهْـ ... ـوَ مُحَمَّدُ الْـمَوْلُودُ مِنْ عُثْمَانِ

١٤٢٠- وَاقْرَأْ لِـ(مُسْنَدِ) عَمِّهِ وَ(مُصَنَّفٍ) ... أَتَرَاهُمَا نَجْمَيْنِ بَلْ شَمْسَانِ

١٤٢١- وَاقْرَأْ كِتَابَ (الِاسْتِقَامَةِ) لِلرِّضَا ... ذَاكَ ابْنُ أَصْرَمٍ حَافِظٌ رَبَّانِي

١٤٢٢- وَاقْرَأْ كِتَابَ الْـحَافِظِ الثِّقَةِ الرِّضَا ... فِي السُّنَّةِ الْعُلْيَا فَتَى الشَّيْبَانِي

١٤٢٣- ذَاكَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْحَدُ الْـحُفَّاظِ قَدْ ... شَهِدَتْ لَهُ الْـحُفَّاظُ بِالْإِتْقَانِ

١٤٢٤- وَاقْرَأْ كِتَابَ الْأَثْرَمِ الْعَدْلِ الرِّضَا ... فِي السُّنَّةِ الْأُولَى إِمَامِ زَمَانِ

١٤٢٥- وَكَذَا الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ الْـمُرْتَضَى ... حَقًّا أَبِي دَاوُدَ ذِي الْعِرْفَانِ

١٤٢٦- تَصْنِيفُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا وَاضِحٌ ... فِي السُّنَّةِ الْـمُثْلَى هُمَا نَجْمَانِ

١٤٢٧- وَاقْرَأْ كِتَابَ (السُّنَّةِ) الْأُولَى الَّذِي ... أَبْدَاهُ مُضْطَلِعٌ مِنَ الْإِيمَانِ

١٤٢٨- ذَاكَ النَّبِيلُ ابْنُ النَّبِيلِ كِتَابُهُ ... أَيْضًا نَبِيلٌ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

١٤٢٩- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ أَسْبَاطِ الرِّضَا ... وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرِّضَا سُفْيَانِ

١٤٣٠- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَاكَ حَمْـ ... ـمَادٌ وَحَمَّادِ الْإِمَامِ الثَّانِي

١٤٣١- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الْـهُدَى عُـثْمَانُ ذَاكَ الـدَّارِمِي الرَّبَّانِـي

١٤٣٢- فِي (نَقْضِهِ) وَ(الرَّدِّ) يَا لَـهُمَا كِتَا بَـا سُـنَّةٍ وَهُمَـا لَنَـا عَلَـمَانِ

١٤٣٣- هَـدَمَتْ قَوَاعِـدَ فِرْقَـةٍ جَهْمِيَّـةٍ خَرَّتْ سُـقُوفُهُمُ عَـلَى الْـحِيطَانِ

١٤٣٤- وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي (صَـحِيحِ) مُحَمَّـدٍ ذَاكَ الْبُخَـارِيُّ الْعَظِـيمِ الشَّـانِ

١٤٣٥- مِنْ رَدِّهِ مَـا قَالَـهُ الْـجَهْمِيُّ بِالنْـ نَقْلِ الصَّـحِيحِ الْوَاضِـحِ الْبُرْهَـانِ

١٤٣٦- وَانْظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَـا الَّـذِي فِي ضِـمْنِهَا إِنْ كُنْـتَ ذَا عِرْفَـانِ

١٤٣٧- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي (الشْـ ـشَرْحِ) الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِـفْرَانِ

١٤٣٨- أَعْنِـي: الْفَقِيـهَ الشَّـافِعِيَّ اللَّالَكَـا ئِـيَّ الْـمُسَدَّدَ نَـاصِرَ الإِيـمَانِ

١٤٣٩- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الْهُـدَى التَّـ ـيْمِـيُّ فِي إِيضَـاحِهِ وَبَيَـانِ

١٤٤٠- ذَاكَ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ (التَّرْغِيـبِ وَالتَّـ ـرْهِيـبِ) مَمْـدُوحٌ بِكُـلِّ لِسَـانِ

١٤٤١- وَانْظُرْ إِلَى مَـا قَالَـهُ فِي (السُّـنَّةِ الْـ ـكُبْرَى) سُـلَيْمَانٌ هُـوَ الطَّبَرَانِـي

١٤٤٢- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَـهُ شَـيْخُ الْـهُدَى يُـدْعَى بِطَلْمَنْكِـيِّهِمْ ذُو شَـانِ

١٤٤٣- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الطَّحَـاوِيِّ الرِّضَـا وَأَجِـرْهُ مِـنْ تَحْرِيـفِ ذِي بُهْتَـانِ

١٤٤٤- وَكَذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ هُـوَ ابْـ ـنُ الْبَاقِلَانِـي قَائِـدُ الْفُرْسَـانِ

١٤٤٥- قَـدْ قَـالَ فِي (تَمْهِيـدِهِ) وَ(رَسَـائِلٍ) وَ(الشَّـرْحِ) مَـا فِيـهِ جَلِـيٌّ بَيَـانِ

١٤٤٦- فِي بَعْضِهَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّـهُ اسْـتَوْلَى عَـلَى الأَكْـوَانِ

١٤٤٧- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ وَأَبْطَلَ الْـ ... لَامَ الَّتِي زِيدَتْ عَلَى الْقُرْآنِ

١٤٤٨- مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَذَا فِي كُتْبِهِ ... بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ

١٤٤٩- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ كُلَّابٍ وَمَا ... يَقْضِي بِهِ لِمُعَطِّلِ الرَّحْمَنِ

١٤٥٠- أَخْرِجْ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وعَقْلِهِ ... مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٤٥١- لَيْسَ الإِلَهُ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ ... أَوْ خَارِجٍ عَنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ

الشرحُ

على كُلِّ حالٍ هذه الكتبُ التي ذكرها ابنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- تدلُّ على سَعَةِ اطِّلاعِه، ولم نُحِبَّ أنْ نَقِفَ عندَ كُلِّ واحدٍ، لأنَّ الفائِدَةَ قليلةٌ، لكنْ كُلُّها تقرِّرُ أنَّ اللهَ تعالى فوقَ السَّماءِ، وأنَّ القولَ بأنه ليسَ بداخلٍ ولا خارجٍ قولٌ مُنْكَرٌ، لا يُقِرُّه العَقْلُ ولا يُقِرُّه النقلُ.

إذا قُلْنَا: ليسَ بداخلِ العالَـمِ ولا بخارجِ العالَـمِ فأين يكون؟! لا شيءَ، لأنَّ النسبةَ بينَ لا دَاخِل ولا خَارِجَ نسبةٌ بينَ نَقِيضَيْنِ، والنقيضان لا بدَّ من وُجودِ أحدِهما، فلا يُمكِنُ أنْ يَرتِفعا أبدًا، فإذا قُلْنَا: لا داخل ولا خارج فهذا هو النفيُ المحضُ، ولذلك لا شكَّ أنَّ ما ذَكَرَه ابنُ القَيِّمِ من هذه الكتبِ العظيمةِ من هؤلاء الأئمة يدُلُّ دَلالةً واضحةً على أنَّ السَّلفَ -رضي الله عنهم وجعلنا منهم- لا يَشُكُّونَ في أنَّ اللهَ تعالى فوقَ كُلِّ شَيْءٍ كما دَلَّت على ذلكَ العقولُ والفِطَرُ السَّليمةُ.

وقولُ المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: (**لَكِنَّهُ اسْتَوْلَى على الأكوانِ**) هذا صحيحٌ، فهو مستولٍ على الجميعِ، على كُلِّ شَيْءٍ، ولا يَعْنِي أننا إذا قُلْنَا: إنَّ (استولى) تدلُّ على أن

ما استولى عليه كان مملوكًا لغيره من قَبْلُ، بل تكون الولايةَ، فإذا قُلْتَ: (استولى فلانٌ على هذا اليتيم)، لا يَلْزَمُ أنْ يكونَ من قبلُ قد سُبِقَ بولايةٍ، كما أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦] لا يلزمُ أنْ يكونَ مسبوقًا بفقرٍ.

***

١٤٥٢- وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي (التـ ... تَفْسِيرِ) وَ(التَّهْذِيبِ) قَوْلَ مَعَانِـي

١٤٥٣- وَانْظُـرْ إِلَى مَـا قَالَـهُ فِي سُـورَةِ الْـ ... أَعْرَافِ مَعْ (طَهَ) وَمَـعْ (سُـبْحَانِ)

١٤٥٤- وَانْظُـرْ إِلَى مَـا قَالَـهُ الْبَغَـوِيُّ فِي ... (تَفْسِيرِهِ) وَ(الشَّـرْحِ) بِالْإِحْسَـانِ

١٤٥٥- فِي سُورَةِ الْأَعْـرَافِ عِنْدَ الْإِسْتِوَا ... فِيهَـا وَفِي الْأُولَى مِـنَ الْقُـرْآنِ

١٤٥٦- وَانْظُـرْ إِلَى مَـا قَالَـهُ ذُو سُـنَّةٍ ... وَقِـرَاءَةٍ ذَاكَ الْإِمَـامُ الدَّانِـي

١٤٥٧- وَكَذَاكَ (سُنَّةُ) الاصْبَهَانِي أَبِي الشّـ ... ـشَيْخِ الرِّضَا الْـمُسْتَلِّ مِـنْ حَيَّـانِ

١٤٥٨- وَانْظُـرْ مَـا قَالَـهُ ابْـنُ سُرَيْـجٍ الْـ ... ـبَحْرُ الْـخِضَمُّ الشَّـافِعِيُّ الثَّانِـي

١٤٥٩- وَانْظُرْ إِلَى مَـا قَالَـهُ عَلَـمُ الْـهُدَى ... أَعْنِـي: أَبَا الْـخَيْرِ الرِّضَـا الـنُّعْمَانِ

١٤٦٠- وَكِتَابُـهُ فِي الْفِقْـهِ وَهْـوَ بَيَانُـهُ ... يُبْـدِي مَكَانَتَـهُ مِـنَ الْإِيـمَانِ

١٤٦١- وَانْظُرْ إِلَى السُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَّفَ الْـ ... ـعُلَمَاءُ بِالْآثَـارِ وَالْقُـرْآنِ

١٤٦٢- زَادَتْ عَلَى الْـمِئَتَيْنِ مِنْهَـا مُفْـرَدًا ... أَوْفَى مِنَ الْـخَمْسِينَ فِي الْـحُسْبَانِ

١٤٦٣- مِنْهَـا لِأَحْمَـدَ عِـدَّةٌ مَوْجُـودَةٌ ... فِينَـا رَسَـائِلُهُ إِلَى الْإِخْـوَانِ

١٤٦٤- وَاللَّاءِ فِي ضِمْنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي ... شُهِرَتْ فَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ

١٤٦٥- فَكَثِيرَةٌ جِدًّا فَمَنْ يَكُ رَاغِبًا ... فِيهَا يَجِدْ فِيهَا هُدَى الْحَيْرَانِ

١٤٦٦- أَصْحَابُهَا هُمْ حَافِظُو الْإِسْلَامِ لَا ... أَصْحَابُ جَهْمٍ حَافِظُو الْكُفْرَانِ

١٤٦٧- وَهُمُ النُّجُومُ لِكُلِّ عَبْدٍ سَائِرٍ ... يَبْغِي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ

١٤٦٨- وَسِوَاهُمْ وَاللهِ قُطَّاعُ الطَّرِيـ ... ـقِ أَئِمَّةٌ تَدْعُو إِلَى النِّيرَانِ

١٤٦٩- مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ آنِفًا ... مِنْ حَنْبَلِيٍّ وَاحِدٍ بِضَمَانِ

١٤٧٠- بَلْ كُلُّهُمْ وَاللهِ شِيعَةُ أَحْمَدٍ ... فَأُصُولُهُ وَأُصُولُهُمْ سِيَّانِ

١٤٧١- وَبِذَاكَ فِي كُتُبٍ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا ... وَأَخُو الْعِمَايَةِ مَا لَهُ عَيْنَانِ

الشرحُ

إِنَّما قَالَ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ-: **(مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ آنِفًا مِنْ حَنْبَلِيٍّ)**، لأنَّ أهلَ الشَّرِّ والباطِلِ كانوا يرمون الحنابلةَ بالمجسِّمَة، ولا يقبلون منهم شيئًا، كما رمى المتأخِّرون أهلَ هذه البلاد بالوهابيَّة، لِأَنَّهُم يتَّبعون محمدَ بنَ عبد الوهَّاب، ويقولون: إنهم متشددون، وإنهم يكفِّرون النَّاسَ، وما أشبهَ هذا، وكُلُّ هذا كَذِبٌ.

كذلك في أصحابِ الإمامِ أحمدَ، كانوا يقولون: إنَّ أصحابَ الإمامِ أحمدَ حنابلةٌ مُجَسِّمَةٌ، فابنُ القَيِّمِ يقولُ: إنَّ مَن حكى عنهم ليس فيهم حنبليٌّ واحدٌ، حتَّى يُقَالَ: إنهم مُجَسِّمةٌ، بل هم من الحنفيَّة، والشافعيَّة، والمالكيَّة، وغيرِهم، ومن التابعين والصحابة، فالمسألةُ واضحةٌ والحمدُ لله، كُلُّهم يُثبِتون أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- على عرشِه فوقَ سمواته.

١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟

١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَاكَ بَلْ وَالله هُمْ أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ

١٤٧٤- فَانْظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِي

١٤٧٦- وَالله مَا اسْتَوَيَا وَلَنْ يَتَلَاقَيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغِرْبَانِ

١٤٧٧- أَفَتَقْذِفُونَ أُوْلَاءِ بَلْ أَضْعَافَهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلَّ زَمَانِ

١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتْـ ـتَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ؟!

١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا أَللهَ فِي إِسْلَامِكُمْ لَا تُفْسِدُوهُ بِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعِ مَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ

١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِذْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ وَقِتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيسُ وَالتَّلْبِيسُ عِنْـ ـدَ النَّاسِ وَالْحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ

١٤٨٣- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ

١٤٨٤- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ الْـ إِيمَانِ أَنَّهُمُ عَلَى الْبُطْلَانِ

١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ -وَالله- غَيْرُ شِكَايَةٍ فَأْتُوا بِعِلْمٍ وَانْطِقُوا بِبَيَانِ

١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ فَاشْكُوا لِنَعْذِرَكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ

١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ وَعَلَيْكُمُ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

الشـــرحُ

يقول المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه المقطوعَةِ:

١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟

قَوْلُهُ: «**أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً**» لأنَّ مِن الناس مَن ادَّعى أنَّ مذهبَ السَّلفِ الإيمانُ باللفظ فقط فيما يتعلَّقُ بأسماءِ الله وصفاتِه، دونَ فهمٍ لمعناه، فيقولون: إنَّ السَّلف يقرءون اللفْظَ، ويجهلون المعنى كالحمار يُقَادُ بالرَّسَنِ[1]، ولا يدري أين يُذْهَبُ به؟

وهذا القولُ الذي يظنُّ كثيرٌ من المتأخِّرين أنَّه مذْهَبُ السَّلف إن هو إلا كَذِبٌ على السَّلف، بل هذا القولُ يقولُ عنه شيخُ الإسلام ابنُ تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه (العَقْل والنقل)[2]: «**إنه شَرُّ أقوالِ أهل البدع والإلحاد**». وإنه هو الذي فتح البابَ على مصراعيه لأهل الفلسفة والمنطق، فقالوا: إذا كان مذهبُكم أيها السَّلفيُّون أنَّكم لا تفهمون إلَّا اللفظَ، فأنتم جُهَّالٌ أُمِّيُّون، لأنَّ اللهَ قَالَ في القرآن: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] يَعْنِي: إلَّا قراءةً، ونحن أهلَ العقول ندري المعانيَ ونعرفُها، ولو بالتحريف الذي يُسمُّونَه تأويلًا.

فالحقيقةُ أنَّهم فتحوا على المسلمين بابًا لا يمكنُ سَدُّه لأهل البدعِ والكلامِ، يَعْنِي: لو أنَّ مذهبَ السَّلف -كما يقول هؤلاء- أنْ تقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] ولا تدري ما معنى (**استوى**) لكنتَ أجهلَ من حَمَارِك، كيف تقرأ (استوى) ولا تدري ما معناها؟!

(١) الحبل، والجمع (أَرْسَانٌ)، و(أَرْسُنٌ)، وربما قيل: (رُسُنٌ) بضمتين، انظر: المصباح المنير (ص:١١٩).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

هم يقولون: نحن ندري معنى (استوى)، فمعنى (استوى): (استولى)، وكونُنا نُثبتُ للنُّصوص معنىً، ولو بالتأويل، خيرٌ من كوننا لا نُثبتُ لها معنىً، لِأَنَّهَا إذا لم يَكُنْ لها معنىً بَقِيَتْ ألفاظًا لا فائِدةَ منها؛ كالأحجار.

فالمهم أنَّ ابنَ القَيِّم -رَحِمَه الله- يُنكرُ هذا الظنَّ الخاطئَ بالنسبة للسَّلف، وهو أنهم لفظيَّةٌ جهليَّةٌ، ولذا قال:

١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَاكَ بَلْ وَالله هُمْ أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ

١٤٧٤- فَانْظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِي

قَوْلُهُ: «عَقْلَانِ» العَقْل الأول: عقلُ أهل السُّنَّةِ والجماعة، والثاني: عقلُ أهل البدع.

يقول:

١٤٧٦- وَالله مَا اسْتَوَيَا وَلَنْ يَتَلَاقَيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغِرْبَانِ

قَوْلُهُ: «حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغِرْبَانِ» ومتى تشيبُ؟

الجَوَابُ: لا يمكنُ أنْ تشيبَ أبدًا، ولهذا يقولُ الشاعرُ الذي لا يحبُّ أهلَه[1]:

إِذَا شَابَ الغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ القَارُ كَاللَّبَنِ الحَلِيبِ

وهذه المدةُ هل هي قريبةٌ أو بعيدةٌ؟

الجَوَابُ: بعيدةٌ، لأنَّ الغرابَ لا يَشيبُ.

---

(١) البيت في النكت والعيون للماوردي (٢/ ٢٢٣)، الدر المصون (٥/ ٣٢٠)، المغني لابن قدامة (١٠/ ٤٧٥) غير منسوب.

قَوْلُهُ: «وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الـحَلِيبِ» ومتى يصير؟

الجَوَابُ: لا يصيرُ، فلو غليناه بالنَّار، لا يمكنُ أنْ يكونَ كاللَّبَن الحليب.

فالمؤلف يقول: (لَنْ يَتَلَاقَيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغِرْبَانِ)، وهذا أمرٌ مستحيلٌ.

١٤٧٧- أَفَتَقْـذِفُونَ أُوْلاءِ بَـلْ أَضْـعَافَهُمْ ... مِـنْ سَـادَةِ الْعُلَـمَاءِ كُـلَّ زَمَـانِ

١٤٧٨- بِالجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتْـ ... تَبْـدِيعِ وَالتَّضْـلِيلِ وَالْبُهْتَـانِ؟!

قَوْلُهُ: «بِالْـجَهْلِ» أي: يقول: هؤلاء جُهَّالٌ، لا يعرفون المعنى.

قَوْلُهُ: «وَالتَّشْبِيهِ» هذا لِـمَنْ يُثبتون الصفاتِ، يَقُولُ: أنتم مُشَبِّهَةٌ.

قَوْلُهُ: «التَّجْسِيم» أيضًا يقول: أنتم مُجَسِّمَةٌ، تَقُولُونَ: إنَّ اللهَ جسمٌ.

قَوْلُهُ: «والتَّبْدِيع» يقولون: أنتم مبتدعةٌ.

قَوْلُهُ: «والتَّضْلِيل» يقولون: أنتم ضُلاَّلٌ.

قَوْلُهُ: «والبُهْتَانِ» أي: الكَذِب.

يصفونهم بكُلِّ ما يستطيعون من تنفير، ويقولون: حَشَوِيَّةٌ، نَوَابِتُ، بُسَطَاء، وما أشبه ذلك من الكلمات التي يُنَفِّرون بها الناس.

١٤٧٩- يَـا قَوْمَنَـا أَللهَ فِي إِسْـلَامِكُمْ ... لَا تُفْسِـدُوهُ بِنَخْـوَةِ الشَّـيْطَانِ

نَدَبهم إلى أنْ يتَّقوا اللهَ تعالى في إسلامهم.

١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعِ مَنْ خَـلَا ... مِـنْ قَـبْلِكُمْ فِي هَـذِهِ الأَزْمَـانِ

١٤٨١- لَـمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِـذْبُهُمْ وَمِحَالُـهُمْ ... وَقِتَالُـهُمْ بِـالزُّورِ وَالْبُهْتَـانِ

١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيسُ وَالتَّلْبِيسُ عِنْـ ـدَ النَّاسِ وَالْـحُكَّامِ وَالسُّـلْطَانِ

لأَنَّه يوجدُ من أهل البدع مَنْ صار له اتِّصالٌ بالحكَّام والسَّلاطين، وصاروا يسُبُّون أهلَ السُّنَّة.

والغالبُ منذُ انقراضِ الْقُرونِ الثَّلاثة أنَّ الحكَّامَ قلِيلُو البضاعة من العلْمِ، فيأتِيهِمْ هؤلاءِ الَّذين يدَّعُون العلمَ، ويلتصِقون بهم، ويَسُبُّون عندهم أهلَ السُّنَّة، ويقولون: هم مُجَسِّمَةٌ، مُشَبِّهَةٌ، وما أشبهَ ذلك، والحاكمُ لقلَّةِ علمِه يظنُّ أنَّ ما قاله هؤلاء حقٌّ، وأهلُ السُّنَّةِ قد يكونون بعيدِينَ عن السَّلاطين، ولا يُحبُّون أنْ يلتصقوا بهم، أو يَقْربُوا منهم، إلَّا إذا دعت الضرورةُ لبيانِ حقٍّ أو دفعِ باطِلٍ.

١٤٨٣- وَبَدَا لَـهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَـائِهِمْ مَـا لَـمْ يَكُـنْ لِلْقَـوْمِ فِي حُسْـبَانِ

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

١٤٨٤- وَبَدَا لَـهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ الْـ إِيـمَانِ أَنَّهُـمُ عَـلَى الْـبُطْلَانِ

١٤٨٥- مَـا عِنْـدَهُمْ -وَاللهِ- غَـيْرُ شِـكَايَةٍ فَـأْتُوا بِعِلْـمٍ وَانْطِقُـوا بِبَـيَانِ

الذي ليس عنده إلَّا الشِّكايةُ يقولُ: والله إمَّا أنْ ترجعَ عن قولِك، وإلَّا أخبرتُ عنك الأميرَ، ولا يقولُ له: ماذا عندك؟ ما الدليلُ؟ فما عنده إلَّا الشِّكايةُ.

كثيرٌ من الناس ليس عنده شكايةٌ، ولا يقْدِرُ أنْ يصلَ إلى الأمير، لكن عنده كلمة «**ولو**»، تقولُ له: (يا ابن الحلال هذا لا يجوز) قال: (**ولو**)، وكلمة (**ولو**) هذه تُشْبِهُ الشِّكايةَ عند السلطان والحكَّام، ولهذا وَشَوْا بالإمام أحمدَ بنِ حنبل -رَحِمَهُ اللهُ-، ووَشَوْا بشيخ الإسلام ابن تيميةَ، وبِغَيْرِهما من الْعُلماءِ، وعُذِّبُوا، وهذا كُلُّه مِن أَجْلِ الوِشَايةِ مِن هؤلاء.

١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ ... فَاشْكُوا لِنَعْذِرَكُمْ إِلَى الْقَرْآنِ

١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ ... وَعَلَيْكُمُ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

يعني: أنتم إذا شكيتم الأمرَ (إلى القرآنِ)، عرفتم ماذا يَقضي لكم القرآنُ أو يقضي عليكم؟ (فالحقُّ في الفرقان).

***

١٤٨٨- لَبَّسْتُمُ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلَنَا ... فَغَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْبِيسَانِ

١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا ... يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانِ؟!

١٤٩٠- يَا قَوْمُ وَاللهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمُ ... بِأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ

١٤٩١- مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَدْ قَالَ مَا ... قَالُوا، كَذَاكَ مُنَزِّلُ الْفُرْقَانِ؟!

١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمُ ... إِذْ جَسَّمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ

١٤٩٣- مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ ... مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ؟

١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْخَبِيثُ لِصَحْبِهِ ... كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ

١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْـ ... ـدَ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانِ

١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ ... مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرَيَانِ

١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ غَدَا ... يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءَ ذِي شُكْرَانِ

١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ: يَؤُمُّكُمْ ... عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوَغَانِ

١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةِ غَيْرِهِ ... حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ

١٥٠٠- وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْـخَلِيلَ لِوَاحِـدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْـخَلِيلَ الـدَّانِي

١٥٠١- لَكِنَّـهُ الْأَخُ وَالرَّفِيـقُ وَصَـاحِبِي وَلَـهُ عَلَيْنَـا مِنَّـةُ الْإِحْسَـانِ

١٥٠٢- وَيَقُـولُ لِلصِّـدِّيقِ يَـوْمَ الْغَـارِ: لَا تَحْـزَنْ فَـنَحْنُ ثَلَاثَـةٌ لَا اثْنَـانِ

١٥٠٣- اللهُ ثَالِثُنَـا وَتِلْـكَ فَضِـيلَةٌ مَـا حَازَهَـا إِلَّا فَتَـى عُـثْمَانِ

١٥٠٤- يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْـدَ ذَا؟ لَـمْ يَـدْهَكُمْ إِلَّا كَبِـيرُ الشَّـانِ

١٥٠٥- فَتَفَرَّقَـتْ تِلْـكَ الـرَّوَافِضُ كُلُّهُـمْ قَـدْ أَطْبَقَـتْ أَسْـنَانَهُ الشَّـفَتَانِ

١٥٠٦- وَكَذَلِكَ الْـجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِـيعُهُمْ فَهُـمَا رَضِـيعَا كُفْـرِهِمْ بِلِبَـانِ

١٥٠٧- ثَوْبَانِ قَدْ نُسِجَا عَلَى الْـمِنْوَالِ يَـا عُرْيَـانُ لَا تَلْـبَسْ فَـمَا ثَوْبَـانِ

١٥٠٨- وَاللهِ شَرٌّ مِـنْهُمَا فَهُـمَا عَـلَى أَهْـلِ الضَّـلَالَةِ وَالشَّـقَا عَلَـمَانِ

الشَّـرحُ

١٤٨٨- لَبَّسْـتُمُ مَعْنَـى النُّصُـوصِ وَقَوْلَنَـا فَغَـدَا لَكُـمْ لِلْحَـقِّ تَلْبِيسَـانِ

لما ذكر -رَحِمَهُ اللهُ- أنَّ هؤلاء ليس عندهم إلَّا الوشايةُ للحكَّام والسَّلاطين، وأنَّ هذا إنما يكونُ دأبَ العاجز، ودعاهم إلى الشِّكَاية إلى القرآن الكريم، فيحكم لهم أو عليهم، ذكر أنهم لَبَّسوا معنى النصوص وقَوْلَنا، يَعْنِي: أنهم حرَّفوا النصوص وحرَّفوا أقوالَنا أيضًا، وقالوا علينا ما لم نَقُل، فغدا لهم بالحقِّ تلبيسان:

التلبيس الأول: للنصوص.

والتلبيس الثاني: لأقوال أهل السُّنَّة.

ثُمَّ قال:

١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا يَـأْتِي بِتَحْرِيـفٍ عَـلَى إِنْسَـانِ؟!

يعني: أنَّ الذي يتجاسرُ على تحريفِ كلام الله وكلامِ رسوله لا يهمُّه أنْ يتجاسرَ على تحريف كلامِ غيرِهما منَ النَّاس.

١٤٩٠- يَـا قَـوْمُ وَاللهِ الْعَظِـيمِ أَسَـأْتُمُ بِأَئِمَّـةِ الْإِسْـلَامِ ظَـنَّ الشَّـانِ

قَوْلُهُ: «الشَّان» أي: الْمُبْغِضِ، يَعْنِي: أنكم ظننتم بأهل السُّنَّةِ، بل بأهل الإسلام ظَنَّ المبْغِض.

١٤٩١- مَـا ذَنْـبُهُمْ وَنَبِـيُّهُمْ قَـدْ قَـالَ مَـا قَـالُوا، كَـذَاكَ مُنَـزِّلُ الْفُرْقَـانِ؟!

يعني: هل لهؤلاء الذين يقولون ما قَالَ اللهُ ورسولُه هل لهم أيُّ ذنبٍ؟! الجَوَابُ: أبدًا، هم على الحقِّ.

١٤٩٢- مَا الـذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُـوصِ لَـدَيْكُمُ إِذْ جَسَّـمَتْ بَـلْ شَـبَّهَتْ صِـنْفَانِ

هم يقولون: إنَّ ظاهرَ النصوص التجسيمُ، فيجبُ صرفُها عن ظاهرِها، ظاهرُ النصوص التشبيهُ فيجبُ صرفُها عن ظاهرِها.

يعني: مثلًا، قالوا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] اللهُ عزَّ وجلَّ، ظاهرُ النَّصِّ عندهم أنَّ هاتَيْنِ اليدين مُشْبِهتان لأيدي المخلوقين، وأنه لا يمكنُ إثباتُ هذه الحقيقة إلَّا بالتشبيه، والتشبيهُ باطِلٌ، فإذا كان لا يمكنُ إثباتُ هذه الحقيقة إلَّا بالتشبيهِ والتشبيهُ باطِلٌ كانت الحقيقةُ باطِلةً، فيجبُ أنْ نصرفَ معنى (اليد) إلى النعمة أو القوة.

وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، قالوا: لا يستوِي شَيْءٌ

على شَيْءٍ إلَّا وهو جسمٌ، والجسمُ على الله -عندهم- مستحيلٌ، وإذا كان مستحيلًا وَجَبَ أنْ نصْرِفَ معنى (**الاستواء**) إلى (**الاستيلاء**)، وهو المُلك والْغَلَبةُ والقهر، وهكذا يقولون.

فلذلك قالوا: إنَّ النصوصَ ظاهرُها التشبيهُ، أو ظاهرُها التجسيمُ، فيجبُ علينا أنْ نصْرِفَها عن هذا الظاهر، فأساءوا إساءتين:

الإساءة الأولى: ظنُّهم أنها تستلزمُ التشبيهَ والتجسيمَ.

الإساءة الثانية: صرفُهم إيَّاها عن معانيها التي أرادها اللهُ بها ورسولُه.

١٤٩٣- مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ ... مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ؟

الجَوابُ: لا ذنبَ له.

١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْخَبِيثُ لِصَحْبِهِ ... كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ

هذا رجلٌ رافضيٌّ قَالَ لأصحابِه وهم واقفون عند قبر النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لهم ما سيذكره ابنُ القَيِّم.

قَوْلُهُ: «**كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثِ**» بالجرِّ صِفَة للروافض؛ فابنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- وصَفَ الروافضَ بأنهم أخبثُ الحيوان، والمُرَادُ بذلك الروافضُ الذين تصلُ بدعتُهم إلى الْكُفْر، لأنَّ مَنْ كان كافرًا فإنه شرُّ الدوابِّ عند الله كما قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

ماذا قَالَ هذا الخبيثُ لصحبه؟ وهذا الخبيث لم أجده لا في شرح (**الهراس**)، ولا في شرح (**إبراهيم بن عيسى**)، فلعلَّه منقولٌ لابن القيّم، أو كان في عصرِه

والله أعلم، وعلى كُلِّ حالٍ لا يهمُّنَا شخصُ الرَّجُل، بل الذي يهمُّنَا هو الفعل والقول.

١٤٩٥- لَـمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْـ ـــدَ الْقَـبْرِ لَا تَخْشَـوْنَ مِـنْ إِنْسَـانِ

يعني: لما صاروا يتكلَّمون عن أصول الروافض، ومن أصولهم أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ظالمان، معتديان، وأنَّ عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحقُّ بالخلافة منهما، حتَّى إني رأيتُ عجبًا عجابًا قال: إنَّ أبا بكر، وعمرَ، وعليًّا، كُلٌّ منهم كافرٌ.

فأمَّا أبو بكر وعمرَ فلاغتصابهما الخلافةَ، وأما عليٌّ، فلِأَنَّهُ لم يُدافع عن حقِّ الخلافة، فكفَر بتفريطه، وعدم مدافعتِه عن الحقِّ الذي يَرَوْنَ أنه من أوْجَبِ الواجبات.

لما أفاضوا بهذا الحديث، قال: **(لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانِ)** يَعْنِي: لا تخشَوْنَ من أيِّ إنسانٍ، لأنَّ البلاءَ ليسَ من إنسانٍ، بل البلاءُ من هذا الذي أشار إليه في **قَوْلِهِ**:

١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْـلُ بَلَائِكُـمْ وَمُصَـابِكُمْ مِنْ صَـاحِبِ الْقَـبْرِ الَّـذِي تَرَيَـانِ

قَوْلُهُ: «**صَاحِبِ الْقَبْرِ**» أي: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: أصلُ بلائِكم ومصيبتِكم من صاحب هذا القبر، ثم كيف ذلك؟ فقال:

١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْـنَ أَبِي قُحَافَـةَ بَـلْ غَـدَا يُثْنِـي عَلَيْــهِ ثَنَـاءَ ذِي شُــكْرَانِ

فلمَّا قَدَّمَه وأثنى عليه صار هو الخليفةَ بعدَه، فالذَّنبُ إذَنْ ذنبُ الرسولِ -صلوات الله وسلامه عليه-، وحاشاه من الذَّنب الذي يدَّعونه.

١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَـاءِ: يَـؤُمُّكُمْ عَنِّـي أَبُــو بَكْــرٍ بِــلَا رَوَغَــانِ

قَوْلُهُ: «**ويقول**» أي: الرسولُ ﷺ، إذَنْ هو الذي رفع من شأن أبي بكر، فهو

بليَّتكم ومُصابُكم.

١٤٩٩- وَيَظَـلُّ يَمْنَـعُ مِـنْ إِمَامَـةِ غَـيْرِهِ حَتَّـى يُـرَى فِي صُـورَةِ الْغَضْـبَانِ

لـمَّا خاطبته عائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنَّ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي»، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى القِرَاءَةِ، واللهُ أعلمُ بما أرادت؛ لكن هكذا اعتذرتْ أمامَ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-، فقال: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» -يَعْنِي: إنَّ هذا كَيْدٌ مِنْ كَيْدِكُنَّ- «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[1]، وغَضِبَ -عليه الصلاة والسلام-، ولهذا قال: (حَتَّى يُرَى فِي صُورةِ الغَضْبَانِ).

١٥٠٠- وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْـخَلِيلَ لِوَاحِـدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْـخَلِيلَ الـدَّانِي

قَوْلُهُ: «ويقول» أي: الرسولُ ﷺ حيث قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»[2].

١٥٠١- لَكِنَّـهُ الْأَخُ وَالرَّفِيـقُ وَصَـاحِبِي وَلَـهُ عَلَيْنَـا مِنَّـةُ الْإِحْسَـانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ عَلَيْنَا مِنَّةُ الْإِحْسَانِ»، لِأَنَّهُ قَالَ على المِنْبَرِ في مَرَضِ موتِه: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ»[3]؛ فأبو بكرٍ أَمَنُّ النَّاسِ عليه، لا عمُّه، ولا ابنُ عمِّه، ولا أيُّ واحدٍ من الناس.

١٥٠٢- وَيَقُـولُ لِلصِّـدِّيقِ يَـوْمَ الْغَـارِ: لَا تَحْـزَنْ فَـنَحْنُ ثَلَاثَـةٌ لَا اثْنَـانِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم (٦٦٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، رقم (٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا»، رقم (٣٦٥٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٢).

١٥٠٣- اللهُ ثَالِثُنَـــا وَتِلْـــكَ فَضِـــيلَةٌ   مَـــا حَازَهَـــا إِلَّا فَتَـــى عُـــثْمَانِ

لـمَّا قَالَ أبو بكر وهما في الغار: يا رسولَ الله لَوْ أَنَّ أَحَدُهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ قَالَ لَهُ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[1]، وَقَالَ لَهُ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»[2]، ولا شَكَّ أنَّ حفظَ الله لا يمكنُ أنْ يُخْرَقَ سياجُه أبدًا، ولهذا يقول: (الله ثالثنا).

قَوْلُهُ: «فَتَى عُثْمَانِ» هو أبو بكر، لأنَّ اسمَه عبدُ الله بن عثمان، فأبوه اسمُه عثمان، وهذه الفضيلةُ ما حازها إِلَّا أبو بكرٍ، فانظر إلى الفضائِل العظيمة!

فيقولُ هذا الرافضيُّ الخبيثُ: هذه بليَّتُكم التي جعَلَتْ أبا بكر مُقَدَّمًا على غيرِه من الصحابة، وليست البليَّة أنْ يقولَ واحدٌ من الناس: إنَّ أبا بكرٍ أفضلُ من عليٍّ، بل البليَّة مِن صاحب هذا القبر.

١٥٠٤- يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْـدَ ذَا؟   لَـــمْ يَـــدْهَكُمْ إِلَّا كَبِـــيرُ الشَّـــانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟» النَّواصِبُ أي: الذين يُفَضِّلون أبا بكرٍ، ولكنَّهم يُبغِضون عليًّا، يقول: ما ذنبُهم إذا قدَّموا أبا بكر؟

قَوْلُهُ: «لَـمْ يَدْهَكُمْ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ»، والرسولُ -عليه الصلاة والسلام- هُوَ كبيرُ الشأن، يَعْنِي: هذا هو الذي دَهاكم، هو الذي ضربكم بداهيةٍ، حيثُ فَضَّلَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة:٤٠]، رقم (٤٦٦٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٥)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل، رقم (٢٠٠٩).

أبا بكرٍ، وأنتم تُفَضِّلون عليًّا.

١٥٠٥- فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ   قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانَهُ الشَّفَتَانِ

يعني: أنهم ممتلئون غيظًا، فليس على وجوههم ابتسامةٌ إطلاقًا، لِأَنَّهُم دُهوا بهذه الداهيةِ التي ذكرها خبيثُهم.

١٥٠٦- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ   فَهُمَا رَضِيعَا كُفْرِهِمْ بِلِبَانِ

فكذلك الجَهْميُّ أيضًا يقولُ: الذَّنبُ ذنبُ النصوصِ في إثبات التجسيمِ، لأنَّ الجَهْميَّ يقولُ: كُلُّ صِفَةٍ فإنها تستلزمُ التجسيمَ، فَالاستواءُ يستلزمُ التجسيمَ، و(اليدُ) تستلزمُ التجسيمَ، و(الوجهُ) يستلزمُ التجسيمَ، وهذا على رأي الجَهْميِّ بليَّةٌ ومصيبةٌ أنْ تكونَ النصوصُ التي هي كلامُ الله وكلامُ رسولِهِ تقتضي -على زعمِه- التجسيمَ.

فهو والرَّافضيُّ على حدٍّ سواء، لكنَّه هو أعظمُ من الرَّافضيِّ، لأنَّ الجَهْميَّ جعل هذا في أسماء الله وصفاته، والرَّافضيُّ جعله في مسألةِ الإمامة، وإن كان كُلٌّ منهما خبيثًا، لكنَّ الجهميَّ أشدُّ.

١٥٠٧- ثَوْبَانِ قَدْ نُسِجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا   عُرْيَانُ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثَوْبَانِ

١٥٠٨- وَالله شَرٌّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى   أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَا عَلَمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَلْبَسْ» أي: لا تلبس ثوبَ الجَهْميِّ، ولا ثوبَ الرَّافضيِّ.

أَقْسَمَ ابنُ القَيِّمِ أنه لا يوجدُ ثوبان شرًّا من هذين الثَّوبَيْنِ: ثوبِ الرَّفض، وثوبِ التَّجهُّم، (فهُمَا على أهل الضَّلالة) والشَّقاء (عَلَمَانِ).

* * *

فصل

١٥٠٩- هَـذَا وَسَـابِعَ عَشْـرَهَا: إِخْبَـارُهُ ... سُـبْحَانَهُ فِي مُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ

١٥١٠- عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرْبِـهِ ... فِرْعَـوْنَ ذِي التَّكْـذِيبِ وَالطُّغْيَـانِ

١٥١١- تَكْذِيبَـهُ مُوسَـى الْكَلِـيمَ بِقَوْلِـهِ: ... اللهُ رَبِّي فِي السَّـمَا نَبَّانِـي

١٥١٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُـهُمْ: إِنَّ اعْتِقَـا ... دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْـرَانِ

١٥١٣- فَـإِذَا اعْتَقَـدْتُمْ ذَا فَأَشْـيَاعٌ لَـهُ ... أَنْـتُمْ وَذَا مِـنْ أَعْظَـمِ الْبُهْتَـانِ

١٥١٤- فَاسْمَعْ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ ... عَوْنَ الْـمُعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

١٥١٥- وَانْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي ... تَحْكِـي مَقَـالَ إِمَـامِهِمْ بِبَيَـانِ

١٥١٦- وَاللهُ قَـدْ جَعَـلَ الضَّـلَالَةَ قُـدْوَةً ... بِأَئِمَّـةٍ تَـدْعُو إِلَى النِّـيرَانِ

١٥١٧- فَإِمَـامُ كُـلِّ مُعَطِّـلٍ فِي نَفْيِـهِ ... فِرْعَـوْنُ مَـعْ نَمْـرُودَ مَـعْ هَامَـانِ

١٥١٨- طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَـذِّبًا ... مُوسَـى وَرَامَ الصَّـرْحَ بِالْبُنْيَـانِ

١٥١٩- بَلْ قَالَ: مُوسَى كَـاذِبٌ فِي زَعْمِـهِ ... فَوْقَ السَّمَاءِ الـرَّبُّ ذُو السُّـلْطَانِ

١٥٢٠- فَابْنُوا لِـيَ الصَّرْحَ الرَّفِيـعَ لَعَلَّنِي ... أَرْقَـى إِلَيْـهِ بِحِيلَـةِ الْإِنْسَـانِ

١٥٢١- وَأَظُـنُّ مُوسَـى كَاذِبًـا فِي قَوْلِـهِ: ... اللهُ فَـوْقَ الْعَـرْشِ ذُو السُّـلْطَانِ

١٥٢٢- وَكَــذَاكَ كَذَّبَــهُ بِــأَنَّ إِلَــهَهُ نَــادَاهُ بِــالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَــانِ

١٥٢٣- هُــوَ أَنْكَــرَ التَّكْلِيمَ وَالْفَوْقِيَّــةَ الْـ ـعُلْيَا كَقَوْلِ الْـجَهْمِ ذِي صَـفْوَانِ

١٥٢٤- فَمَـنِ الَّـذِي أَوْلَــى بِفِرْعَـوْنٍ إِذَنْ مِنَّــا وَمِــنْكُمْ بَعْــدَ ذَا التِّبْيَــانِ؟

الشــرحُ

هذه المقطوعةُ فيها الدليلُ السابعَ عشرَ على عُلُوِّ الله، وذلك فيما أخبر اللهُ به عن موسى وفرعونَ، يقول المؤلِّفُ:

١٥٠٩- هَــذَا وَسَــابِعَ عَشْــرَهَا: إِخْبَــارُهُ سُــبْحَانَهُ فِي مُحْكَــمِ الْقُــرْآنِ

١٥١٠- عَنْ عَبْدِهِ مُوسَــى الْكَلِيمِ وَحَرْبِـهِ فِرْعَـوْنَ ذِي التَّكْـذِيبِ وَالطُّغْيَـانِ

قَوْلُهُ: «وَحَرْبِهِ فِرْعَوْنَ» يَعْنِي: وعن حربه فرعون، «ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ»، فإنَّ فرعونَ جَمَع بين التكذيب، والطغيان، والاستكبار، وقصَّتُه في القرآنِ معروفةٌ.

١٥١١- تَكْذِيبَــهُ مُوسَــى الْكَلِيمَ بِقَوْلِــهِ: اللهُ رَبِّي فِي السَّــمَا نَبَّانِــي

قَوْلُهُ: «بِقَوْلِهِ» أي: بقول موسى.

قَوْلُهُ: «اللهُ رَبِّي فِي السَّمَا نَبَّانِي» يَعْنِي: أرسلني، وفرعونُ كذَّب موسى، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] يَعْنِي: وإنِّي لأظنُّه كاذبًا في دعواه أنَّ اللهَ أرسلَه، وأنَّ اللهَ في السَّماء.

وواضحٌ أنَّ المراد بها أنَ فرعونَ يُنكرُ علوَّ الله، بل يُنكر اللهَ رأسًا، يَقُولُ: وإني لأظنُّه كاذبًا.

والعجيبُ أنَّ أهلَ التعطيلِ قالوا: إنكم أنتم -أيها المثْبِتُون للعلوِّ- أنتم الذين جعلتم فرعونَ إمامًا لكم، لأنَّ فرعونَ مُقِرٌّ بالعُلُوِّ، والدليلُ على إقراره أنه قَالَ لوزيره هامان: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، وهذا يدلُّ على تصديقِه، فأنتم إذا قُلْتُم: (إنَّ اللهَ في السَّماء) فقدْ جعلتم فرعونَ إمامًا لكم.

وهذا لا شكَّ أنه مِن الطغيان على أهلِ السُّنَّة، لأنَّ قولَهم هذا كقول القائلِ(١):

مَا قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِلأُلَى سَكِرُوا   بَلْ قَالَ رَبُّكَ: وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَا

واحدٌ ينهى شخصًا عن شرب الخمر -ينهاه مثلًا وقتَ صلاةٍ- يقول: اترك الخمرَ، واذهب للصلاة، فيقول له الشاربُ هذا البيتَ والعياذ بالله.

فهذا ترك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥]، وهؤلاء تركوا قولَ فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] ووقفوا على قوله: ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص:٣٨] ولم يقولوا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] فجعلوا فرعونَ يُقِرُّ بعلوِّ الله، رجل يُنْكِرُ اللهَ، ويقولُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] كيف نَقُولُ: إنه يُقِرُّ بعلوِّه؟! فالذي يُنْكرُ نفسَ العالي هل يُمْكِنُ أنْ يُقِرَّ بعلوِّه؟ الجَوَابُ: لا يمكنُ، ولهذا قال:

١٥١٢- وَمِنَ المَصَائِبِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اعْتِقَا   دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ

١٥١٣- فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَأَشْيَاعٌ لَهُ   أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

(١) البيت غير منسوب في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٢٤).

قَالَ ابنُ القيِّم: «فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَأَشْيَاعٌ لَهُ» ثُمَّ قال: «وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ» (ذا) يَعْنِي: قولـهم: إننا نحن أشياعٌ لفرعونَ بإثبات العُلُوِّ.

١٥١٤- فَاسْمَعْ إذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ ... عَوْنَ الْـمُعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

قَوْلُهُ: «مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ؟» مَن الأَوْلى؟ والجَوابُ: المعطِّلةُ أَوْلَى، لِأَنَّهُ هو معطِّلٌ، بل هو إمامُ المعطِّلة.

١٥١٥- وَانْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقَصَصِ الَّتِي ... تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بِبَيَانِ

١٥١٦- وَاللهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالَةَ قُدْوَةً ... بِأَئِمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النِّيرَانِ

لقولِ الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص:٤١-٤٢]، فهم أئمَّةُ الْكُفْر، يَدْعُون إلى النيرانِ.

١٥١٧- فَإِمَامُ كُلِّ مُعَطِّلٍ فِي نَفْيِهِ ... فِرْعَوْنُ مَعْ نَمْرُودَ مَعْ هَامَانِ

١٥١٨- طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا ... مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «مُكَذِّبًا مُوسَى» يَعْنِي: غيرَ مُصَدِّقٍ له، لكن يريدُ أنْ يوهِمَ قومَه ببناء الصَّرح العالي، ويقولُ لصحبه وأتباعِه: أنا -واللهِ- رقيتُ أبحثُ عن إله موسى، ولكن ما لَقِيتُه، هذا هو مُرَادهُ بما طلب.

١٥١٩- بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ ... فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ» الذي يقولُ ذلك هو فرعونُ، «فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ» يَعْنِي: قال: إنَّ موسى كاذبٌ في زعمِه أَنَّ الرَّبَّ فوقَ السَّماء.

١٥٢٠- فَابْنُوا لِـيَ الصَّرْحَ الرَّفِيـعَ لَعَلَّنِـي أَرْقَـى إِلَيْـهِ بِحِيلَـةِ الْإِنْسَـانِ

قَوْلُهُ: «أَرْقَى إِلَيْهِ» أي: إلى إله موسى لا إلى الله، فهو لا يُقِرُّ به، فيَقُولُ: (إلى إله موسى).

١٥٢١- وَأَظُـنُّ مُوسَـى كَاذِبًـا فِي قَوْلِـهِ: اللهُ فَـوْقَ الْعَـرْشِ ذُو السُّـلْطَانِ

١٥٢٢- وَكَـذَاكَ كَذَّبَـهُ بِـأَنَّ إِلَـهَهُ نَـادَاهُ بِـالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَـانِ

١٥٢٣- هُـوَ أَنْكَـرَ التَّكْلِيمَ وَالْفَوْقِيَّةَ الْـ ـعُلْيَا كَقَوْلِ الْـجَهْمِ ذِي صَفْوَانِ

الجَهْمُ بن صفوان يُنْكِرُ التَّكليمَ، وفرعونُ يُنْكِرُ التَّكليمَ، يقول لموسى: ما كلَّمك اللهُ وما أرسلك، الجَهْم يُنْكِرُ العلوَّ، وفرعونُ يُنْكِرُ العلوَّ.

١٥٢٤- فَمَنِ الَّـذِي أَوْلَـى بِفِرْعَـوْنٍ إِذَنْ مِنَّـا وَمِـنْكُمْ بَعْـدَ ذَا التِّبْيَـانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنِ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ؟» والمنصف سيقول: هؤلاء الجهمية وأمثالهم أولى.

* * *

١٥٢٥- يَـا قَوْمَنَـا وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِنَـا أَلْفًـا تَـدُلُّ عَلَيْـهِ بَـلْ أَلْفَـانِ

١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعْ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الْـ أُولَى وَذَوْقِ حَـلَاوَةِ الْقُـرْآنِ

١٥٢٧- كُـلٌّ يَـدُلُّ بِأَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ فَـوْقَ السَّـمَاءِ مُبَـايِنُ الْأَكْـوَانِ

١٥٢٨- أَتَـرَوْنَ أَنَّـا تَـارِكُو ذَا كُلِّـهُ لِـجَعَاجِعِ التَّعْطِيلِ وَالْـهَذَيَانِ؟!

١٥٢٩- يَـا قَـوْمُ مَـا أَنْـتُمْ عَـلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُـوا لِلْـوَحْيِ بِالْإِذْعَـانِ

١٥٣٠- وَتُحَكِّمُـــوهُ فِي الْـــجَلِيلِ وَدِقِّـــهِ   تَحْكِـــيمَ تَسْـــلِيمٍ مَـــعَ الرِّضْـــوَانِ

١٥٣١- قَــدْ أَقْسَــمَ اللهُ الْعَظِـــيمُ بِنَفْسِـــهِ   قَسَـــمًا يُبِـــينُ حَقِيقَـــةَ الْإِيـــمَانِ

١٥٣٢- أَنْ لَيْسَ يُـؤْمِنُ مَـنْ يَكُـونُ مُحَكِّمًا   غَـيْرَ الرَّسُـولِ الوَاضِـحِ الْبُرْهَـانِ

١٥٣٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الْـ   وَحْيَـيْنِ حَسْـبُ، فَـذَاكَ ذُو إِيـمَانِ

١٥٣٤- هَــذَا وَمَــا ذَاكَ الْـــمُحَكِّمُ مُؤْمِنًــا   إِنْ كَــانَ ذَا حَــرَجٍ وَضِــيقِ بِطَــانِ

١٥٣٥- هَــذَا وَلَـيْسَ بِمُـؤْمِنٍ حَتَّـى يُسَلْـ   ـلِمْ لِلَّـذِي يَقْضِـي بِـهِ الْوَحْيَـانِ

الشَّرحُ

١٥٢٥- يَـــا قَوْمَنَـــا وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِنَـــا   أَلْفًـــا تَـــدُلُّ عَلَيْـــهِ بَـــلْ أَلْفَـــانِ

١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعْ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الْـ   أَوْلَى وَذَوْقِ حَــلَاوَةِ الْقُـــرْآنِ(١)

١٥٢٧- كُـــلٌّ يَـــدُلُّ بِأَنَّـــهُ سُـــبْحَانَهُ   فَـــوْقَ السَّـــمَاءِ مُبَـــايِنُ الْأَكْـــوَانِ

هذه الأبياتُ المقطوعة أيضًا يقولُ المؤلفُ -رَحِمَهُ اللهُ- فيها: إنَّ لقَوْلِنا في عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ فوقَ كُلِّ شَيْء أَلْفَ دليلٍ، بل أَلْفَان مِن الأَدِلَّة، كُلُّها تدلُّ على عُلُوِّ الله: مِن العَقْل، والنقل، والفِطْرة، والذوق، كُلُّها تدلُّ على عُلُوِّ الله -سبحانه وتعالى- فوقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١٥٢٨- أَتَـــرَوْنَ أَنَّـــا تَـــارِكُو ذَا كُلِّـــهُ   لِـجَعَاجِعِ التَّعْطِيلِ وَالْـــهَذَيَانِ؟!

قَوْلُهُ: «أَتَرَوْنَ» أي: أتظنُّون؟

---

(١) في نسخة: «حلاوة الإيمان». [الشارح].

قَوْلُهُ: «جَعَاجِعِ» هي في الأصل: صوت الرَّحَى، هدير قد يكونُ فيه طحنٌ وقد لا يكونُ، فلا يمكنُ أنْ ندعَ هذه الأدلَّةَ مِن أَجْلِ جعاجعِكم أَيُّها المعطِّلة، وهذيانِكم.

١٥٢٩- يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ

وهذا حَقٌّ، فكُلُّ مَنْ خالفَ الوحيَيْن فليس على شَيْءٍ.

١٥٣٠- وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «تُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ» الجليلُ: الأمورُ العظيمة، والدِّقُّ: الأمورُ التي ليست من عظائِم الأصول.

وكذلك حتَّى تحكِّموه في العبادات، وفي المعاملات، في الأمور الاجتماعية، والأمور الاقتصاديَّة، فَمَنْ حَكَّم الوحيَ في شَيْء دونَ شَيْء فقد كفَر بالوحي كُلِّه، وليس بمؤمنٍ، لِأَنَّهُ إذا قال: (أرضى بهذا، وأحكمُ به، ولا أرضى بهذا، ولا أحكمُ به) لم يَكُنْ مُتَّبِعًا لشرع الله، وإنما هو مُتَّبِعٌ لهواه، إذ إِنَّ المتَّبعَ للشَّرع يقولُ: سَمِعْنَا وأطعنا في أمور العبادات، والمعاملات، والاقتصاديات، والاجتماعيات، وفي جميع شؤون الحياة.

١٥٣١- قَدْ أَقْسَمَ اللهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ قَسَمًا يُبِينُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

١٥٣٢- أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ أَقْسَمَ اللهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ» وذلك في قَوْلِهِ تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

انظر إلى المؤكِّداتِ في هذه الآية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هذه الآيةُ مُؤكَّدةٌ بالقَسَم، وبـ«لا»، وبإضافة الربوبيَّة إلى الرسولِ -عليه الصلاة والسلام-، لِأَنَّهُ صاحبُ الشَّريعة.

فقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ «لا» هنا زائِدة للتنبيه والتأكيد، القسم ﴿وَرَبِّكَ ﴾ أُضِيفَت الربوبيَّةُ إلى الرسول ﷺ، لِأَنَّهُ صاحبُ الشريعة، وهذا نوعٌ من التأكيد، لأنَّ ربوبيَّةَ الله -سبحانه وتعالى- لرسولِهِ ليست كربوبيَّتِهِ العامة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ أي: أنت وحدك، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: فيما حصل بينهم من نِزاعٌ، وهذا هو **الأوَّل**.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: ضِيقًا، بمعنى: أنْ تَتَقَبَّلَ نفوسُهم هذا الحكمَ بانشراحٍ وفرحٍ وسرورٍ، لا بضيقٍ وحرجٍ، وهذا **هو الثاني**.

الثالث: ﴿وَيُسَلِّمُواْ ﴾ أي: ينقادوا، ويُذْعِنُوا، ويستسلموا تمامًا.

الرابع: ﴿تَسْلِيمًا ﴾ وهذا تأكيدٌ بالمصدر، يَعْنِي: تسليمًا تامًا.

كُلُّ هذه المؤكِّدات وهذه الشروطُ تدُلُّ على أنه لا يمكنُ الإيمانُ إِلَّا بهذه الأمورِ، فلو حَكَّمَ غيرَ الرسول فليس بمؤمنٍ، ولو حكَّم الرسولَ لكن ضاق صدرُه بِحُكْمه وكَرِهَه لكنَّه يُنَفِّذُه فليس بمؤمنٍ، ولو قَبِلَه ورَضِيَ به لكن لم يُسَلِّم التَّسليمَ التَّام، فصار يُماطِلُ فليس بمؤمنٍ، إذَنْ لا بُدَّ من هذه الأمور كُلِّها.

١٥٣٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الْـ ـوَحْيَيْنِ حَسْـبُ، فَـذَاكَ ذُو إِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «حَسْبُ» يَعْنِي: فقط.

ودليلُ تحكيمِ الْوَحْيَيْن قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء:٥٩] يَعْنِي: فإن لم تردُّوه إلى الله والرسولِ فلسْتُم بمؤمنين.

١٥٣٤- هَـذَا وَمَـا ذَاكَ الْـمُحَكِّمُ مُؤْمِنًـا ... إِنْ كَـانَ ذَا حَـرَجٍ وَضِـيقِ بِطَـانِ

يعني: لو حكَّم الوحيين وقَبِل حكمَهما، لكن لم يرتَحْ له، وصار عنده ضيقٌ فإنه ليس بمؤمنٍ -نسأل الله العافية-، فلا بدَّ أنْ يقبلَ، وينشرحَ صدرُه بذلك.

١٥٣٥- هَـذَا وَلَـيْسَ بِمُـؤْمِنٍ حَتَّـى يُسَلْـ ... ـلِمْ لِلَّـذِي يَقْضِـي بِـهِ الْوَحْيَـانِ

أيضًا لا يكفي أنْ ينشرحَ صدرُه، بل لا بُدَّ أنْ يُسَلِّمَ، ولْنَضْرِبْ لهذا أمثلةً:

المثال الأول: رجلٌ لم يتحاكمْ إلى الشَّرع، بل تحاكَمَ إلى القانون، ولم يرضَ بالشَّرع أصلًا، فهذا ليسَ بمؤمنٍ.

المثال الثاني: رجلٌ تحاكم إلى الشَّرع، وحَكَمَ الشَّرعُ عليه، فليس له بُدٌّ مِن تنفيذِه، لكن مع الشدة، والحرج والضيق والكراهة، هذا أيضًا ليس بمؤمنٍ، لكنَّه أهونُ مِن الأول.

المثال الثالث: رجلٌ تحاكم إلى الشَّرع، وانشرحَ صدره له، لكن صار يماطلُ، ولم يسلِّمِ التَّسليمَ التَّامَّ، هذا أيضًا ليس بمؤمن، لكنَّه دون الثَّاني.

فلا بُدَّ مِن أمورٍ ثلاثةٍ: التَّحكيمُ، والرضى والانشراحُ، والتَّسليمُ التَّامُّ.

أيضًا رجلٌ آخرُ احتلم في ليلةٍ باردةٍ، وليس عنده ما يُسَخِّنُ به الماءَ، لكن يستطيعُ أنْ يستعملَ الماءَ الباردَ مع شَيْء مِن المَشَقَّة، فقال: ليس هناك داعٍ اليومَ للاغتسال، لأنَّ الجوَّ بردٌ، فهذا لا يكون حكَّم الشَّرع، إذَنْ ليس بمؤمن.

الثاني: احتلم في الليلةِ الباردة، واغتسل لكن على كراهةٍ، تجدُه يتكرَّه للدِّين، أو لهذا العملِ الواجبِ في الدين، هذا أيضًا ليس بمؤمنٍ، وإن كان نَفَّذَ واغتسل.

الثالث: رضي، وانقاد للاغتسال، لكن صار يماطلُ، ويململ حتَّى خرج الوقت، هذا أيضًا ليس بمؤمنٍ، لِأَنَّهُ لم يُسَلِّم التَّسليمَ التامَّ.

ففَتِّشْ في نفسِك الآن هل أنت في جميع العبادات والمعاملات، تُحَكِّمُ الشريعةَ وينشرحُ صدرُك لها، وتُسَلِّمُ تسليمًا تامًّا؟ إن كان الأمر كذلك فأنت سعيدٌ مؤمنٌ، وإن كان هناك عراقيلُ فأصلح أحوالَك، فلستَ بمؤمنٍ.

فلا بدَّ أنْ يكونَ انقيادٌ تامٌّ، ورضى، وتسليمٌ.

وهناك مَنْ يصومُ رمضانَ ولا يتأخَّرُ، لكن مع ثقلٍ عظيمٍ وكراهة، وربَّما -نسألُ اللهَ العافيةَ- يعترِض، فهذا ليس بمؤمنٍ، بل لا بُدَّ أنْ يُسَلِّمَ، ويصومَ بانشراحٍ، وصيامٍ تامٍّ، حسب ما يُؤْمَرُ به، فيكون بذلك تامَّ الإيمان.

* * *

١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ   وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٥٣٧- هَلْ حَدَّثَتْكُمْ قَطُّ أَنْفُسُكُمْ بِذَا؟   فَسَلُوا نُفُوسَكُمُ عَنِ الْإِيمَانِ

١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ   وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ   ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ

١٥٤٠- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ   أَعْنِي: ابْنَ حَنْبَلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي؟

١٥٤١- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمْ   أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

١٥٤٢- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصْمَكُمْ ... شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِي؟

١٥٤٣- أعني: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْـ ... ـمُخْتَارِ قَامِعَ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ

١٥٤٤- وَاللهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى ... تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنْ شِرْكٍ، كَذَا ... تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنْ بُهْتَانِ

١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ ... فَلِذَاكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانِ

١٥٤٧- مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ ... غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفُرْقَانِ

١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى ... وَدَعَوْتُمُ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانِ

١٥٤٩- شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ ... يَا قَوْمُ مَا بِكُمُ مِنَ الْخِذْلَانِ

١٥٥٠- قَالُوا لَنَا لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى ... هَذَا مَقَالَةَ ذِي هَوًى مَلْآنِ

١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْـ ... ـعُلَمَاءِ بَلْ عَبَرَتْهُمُ الْعَيْنَانِ

١٥٥٢- وَتَرَكْتُمُ أَقْوَالَهُمْ هَدَرًا وَمَا ... أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمُ أُذُنَانِ

١٥٥٣- لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ ... نَعْدُ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانِ

١٥٥٤- يَا قَوْمُ وَاللهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمُ ... وَأَتَيْتُمُ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٥٥٥- وَنَسَبْتُمُ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي ... هُمْ مِنْهُ أَهْلُ بَرَاءَةٍ وَأَمَانِ

١٥٥٦- وَاللهِ مَا أَوْصَوْكُمُ أَنْ تَتْرُكُوا ... قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ

١٥٥٧- كَلَّا وَلَا فِي كُتْبِهِمْ هَذَا، بَلَى ... بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ
١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
١٥٦٠- فَلِذَاكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَهُمْ كَالنَّصِ فِي الْمِيزَانِ
١٥٦١- لَكِنْ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تُوَا فِقْهَا فَتِلْكَ صَحِيحَةُ الْأَوْزَانِ
١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمُ أَقْوَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
١٥٦٣- وَاللهِ لَا لِوَصِيَّةِ الْعُلَمَاءِ نَفَـ ـفَذْتُمْ وَلَا لِوَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ
١٥٦٤- وَرَكِبْتُمُ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُمُ النَّـ ـنَصَّيْنِ مَعْ ظُلْمٍ وَمَعْ عُدْوَانِ

الشرحُ

يقول -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «نَشَدْتُكُمْ» المناشدةُ: الطَّلبُ بإلحاح؛ أي: أنا أُناشدُكم بالله، وبحُرْمة الإيمان، والقرآن.

١٥٣٧- هَلْ حَدَّثَتْكُمْ قَطُّ أَنْفُسُكُمْ بِذَا؟ فَسَلُوا نُفُوسَكُمُ عَنِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «هَلْ حَدَّثَتْكُمْ قَطُّ أَنْفُسُكُمْ بِذَا» يَعْنِي: بأن ترجعوا إلى الكتاب والسُّنَّةِ، وتحكِّموا كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِه.

الذي يبدو من أفعالِهم أنهم لم تُحَدِّثْهم أنفسُهم يومًا من الدهر أنْ يرجعوا إلى الكتاب والسُّنَّة، ولهذا إذا رجعتَ إلى كلام المتكلِّمين في العقائِد لا تجدُ فيها

(قَالَ اللهُ)، ولا (قَالَ رسولُ الله)، كُلُّها تعليلاتٌ، ونظرياتٌ، وعقليَّاتٌ تخالفُ البدهيَّات، فضلًا عن العقول.

ولهذا يقول:

١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ ... وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ ... ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ

أمَّا كونُ الله عزَّ وجلَّ يشهدُ بأنَّ هؤلاءِ أعداءٌ لكُلِّ مَنْ يرجعُ إلى الكتاب والسُّنَّةِ فظاهرٌ، وكذلك جندُ الله تشهدُ بأنَّ هؤلاءِ أعداءٌ لكُلِّ مَنْ يُحَكِّمُ الكتابَ والسُّنَّةَ، لأنَّ هؤلاءِ المتكلِّمين أعداءٌ للسَّلف، والسَّلفُ يُحكِّمون الكتابَ والسُّنَّةَ.

لكنَّ رسولَ الله كيف يشهدُ وهو مَيِّتٌ؟

نقولُ: يشهدُ بما جاءت به سُنَّتُه، فكُلُّ إنسانٍ لا يُحَكِّمُ الكتابَ والسُّنَّةَ فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ أنه عدوٌّ لمن يُحَكِّمُ الكتابَ والسُّنَّة.

١٥٤٠- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ ... أَعْنِي: ابْنَ حَنْبَلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي؟

قَوْلُهُ: «كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ» هل كان خصمَهم؟ الجَوَابُ: نعم، كان خصمَهم، وَشَوْا به إلى المأمونُ، وآذاه المأمون وحبسه، وناظروا أحمدَ -رَحِمَهُ اللهُ-، وكتب في الرَّدِّ عليهم رسائِلَ، فكان خصمًا لهم.

١٥٤١- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمْ ... أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

كُلُّ مَنْ قال: (قَالَ اللهُ ورسولُه) فهو عدوٌّ لهؤلاء المتكلِّمين الذين يُثبتون العقائِدَ بالعقول التي يدَّعون أنها عقولٌ، وليست عقولًا.

١٥٤٢- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصْمَكُمْ شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِي؟

١٥٤٣- أَعْنِي: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْـ ـمُخْتَارِ قَامِعَ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ» أي: ابنَ تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-.

١٥٤٤- وَاللهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

وهل هذا ذنبٌ؟! قَالَ الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج:٨]، فشيخُ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- لا ذنبَ له، وهم يعادونه، حتَّى إنهم قالوا: (مَنْ قال: إنَّ ابنَ تيمية شيخُ الإسلام فهو كافرٌ مباحُ المال والدَّم)، وأعوذ بالله، إلى هذا الحدِّ، يَعْنِي: الذي يصفُ ابنَ تيميةَ بشيخ الإسلام كافرٌ مرتدٌّ، وشيخُ الإسلام يصيرُ أكفرَ، فإذا كان مَنْ يصفُه بشيخ الإسلام كافرًا عندهم، فابنُ تيميةَ عِنْدَهم أكفرُ.

١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنْ شِرْكٍ، كَذَا تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنْ بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنْ شِرْكٍ» فكتبُه كثيرةٌ جدًّا، وكلُّها مملوءةٌ بذلك في تقرير توحيد الألوهيَّة، والربوبيَّة، والأسماء والصفات،

وكذلك تجريده للوحي عن بهتان، و(**البُهْتان**) في الوحي، أمَّا بالنسبة للفظ فهذا لا يمكنُ، إذ لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يُغَيِّرَ شيئًا من القرآن (لفظًا)، وأما معنىً فما أكثرَ الذين حَرَّفوا القرآن بالمعنى! وشيخُ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- جَرَّد الوحيَ عن البهتانِ، والمُرَادُ بالبهتان هنا بهتانُ المعنى، لِأَنَّهُ لا يجرؤُ أحدٌ على أنْ يُغَيِّرَ لفظةً من كتابِ الله أبدًا.

١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْـمَقْصُودُ عَـنْ قَصْـدٍ لَـهُ فَلِـذَاكَ لَـمْ يُنْصِـتْ إِلَى إِنْسَـانِ

قَوْلُهُ: «فَتَجَرَّدَ الْـمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ» (المقصود) هو توحيدُ الله وكذلك توحيدُ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أمَّا توحيدُ الله فهو بالإخلاص له، وأمَّا توحيدُ الرسول ﷺ فهو متابعتُه، وعدمُ اتِّباع هديِ غيرِه.

قَوْلُهُ: «لَـمْ يُنْصِتْ»، وفي نسخة: (لَـمْ يُنْصِفْ)، وفي ثالثة: (لَـمْ يَنْضَفْ).

فأما على نسخة: «فَلِذَاكَ لَـمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانِ» هذه النسخةُ هي أصحُّ النُّسخِ، وأقربُها للصواب وللمعنى، يَعْنِي: أنَّ شيخَ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- ما أنصتَ إلى أحدٍ، ولم يمنعْه أحدٌ من نشر ما هو عليه من الحقِّ، ولم يَتْبَعْ أحدًا فيقلده تقليدَ الأعمى أبدًا.

وعلى نسخة (لَـمْ يُنْصِفْ إِلَى إِنْسَانِ) والإنصاف يأتي بمعنى الخشوع، يَعْنِي: لم يخشعْ ولم يخضعْ لإنسانٍ، وهذا أيضًا معنى صحيح.

وعلى نسخة (لم يَنْضَف) ولا أدري هل هذه النقطة زائِدة أو غير زائِدة؟ لكن إن كانت صحيحةً فهو من الإضافة، (لم ينضف إلى إنسان) يَعْنِي: لم يَتْبَعْ إنسانًا، كما تقول: (انضافَ هذا الشيءُ إلى هذا الشيء).

١٥٤٧- مَـا مِـنْهُمُ أَحَـدٌ دَعَـا لِـمَقَالَةٍ غَيْرِ الْـحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفُرْقَـانِ

قَوْلُهُ: «مِنْهُمُ» يَعْنِي: ابن حنبل، وأهل الحديث، وابن تيمية، رحمهم الله جميعًا.

١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَـمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْـهُدَى وَدَعَـوْتُمُ أَنْـتُمْ لِـرَأْيِ فُـلَانِ

١٥٤٩- شَـتَّانَ بَـيْنَ الـدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْـبُكُمْ يَـا قَـوْمُ مَـا بِكُـمُ مِـنَ الْـخِذْلَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَّانَ» بمعنى بَعُدَ، وصحيحٌ أنَّ ما بين الدعوتين متباعدٌ، ولهذا قال:

(فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمُ مَا بِكُمُ مِنَ الْـخُذْلَانِ).

١٥٥٠- قَــالُوا لَنَــا لَــمَّا دَعَوْنَــاهُمْ إِلَى هَــذَا مَقَالَــةَ ذِي هَــوًى مَــلْآنِ

لَـمَّا دَعَوْنَاهُم إلى الكتاب والسُّنَّةِ قالوا لنا مَقَالَةَ صاحبِ (هوًى مَلْآنِ) أي: ملآن مِن الهوى.

١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْـ ــعُلَمَاءِ بَــلْ عَــبَرَتْهُمُ الْعَيْنَــانِ

يعني: قالوا لنا: أنتم تَدْعُون إلى الكتابِ والسُّنَّة، وهذا استهانةٌ بالعلماء، ما للعلماءِ عندكم قدرٌ ولا حرمٌة، كيف تَقُولُونَ: اذهبوا إلى الكتاب والسُّنَّة، والشيخُ الفلانِيُّ يقول: كذا وكذا، ما له حرمة عندكم؟!

فنقولُ: حرمةُ الكتاب والسُّنَّةِ عندنا أعظمُ من حرمة هذا وأمثالِه وكُلِّ إنسانٍ، هذا جوابُنا.

١٥٥٢- وَتَــرَكْتُمُ أَقْوَالَــهُمْ هَــدَرًا وَمَــا أَصْــغَتْ إِلَيْهَــا مِــنْكُمْ أُذُنَــانِ

قَوْلُهُ: «وَتَرَكْتُمُ أَقْوَالَـهُمْ هَدَرًا...» قائل هذا هم هؤلاء المتكلِّمون الذين يرجعون إلى أقوالِ الشيوخ.

يقولون لنا: تركتم أقوالَهم هدرًا، وما أصغتْ إليها منكم أذنان، نَقُولُ: أبدًا، ما تركناها هدرًا، بل ننظرُ إليها، فَإِنْ وافقت الكتابَ والسُّنَّةَ فهي حَقٌّ وقبِلْنَاها، وإِنْ خَالَفَتْ فهي باطِلٌ، ولا نقبلُها.

١٥٥٣- لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُـرْمَتَهُمْ وَلَــمْ نَعْــدُ الَّــذِي قَــالُوهُ قَــدْرَ بَنَــانِ

يعني: نحنُ الذين عرفنا حَقَّ الشيوخ، وحُرْمَتَهم، ما نتعدَّى أقوالَهم ولو خالفتِ الكتابَ والسُّنَّةَ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ ردًّا عليهم:

١٥٥٤- يَا قَوْمُ وَاللهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمُ ... وَأَتَيْتُمُ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٥٥٥- وَنَسَبْتُمُ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي ... هُمْ مِنْهُ أَهْلُ بَرَاءَةٍ وَأَمَانِ

ابنُ القَيِّمِ يُكَذِّبُ هؤلاء، يَقُولُ: أنتم ما احترمتم العلماءَ، ولا رجعتم إلى أقوالهم.

١٥٥٦- وَاللهِ مَا أَوْصَوْكُمُ أَنْ تَتْرُكُوا ... قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ

وهذا صحيحٌ، ولن تجدَ من الأئمة مَنْ قال: (اتبعوني، ولا تتبعوا الكتابَ والسُّنَّةَ؟) أبدًا، فما أحدٌ منهم يقولُ بهذا.

١٥٥٧- كَلَّا وَلَا فِي كُتْبِهِمْ هَذَا، بَلَى ... بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

ما الذي أَوْصَى به الأئمةُ؟ أوصوا جميعًا أنه إذا كانت أقوالُهم تخالفُ أقوالَ الله ورسولِه فاضربوا بها عرْضَ الحائِط، فكُلُّهم متفقون على هذا المعنى، جزاهم الله خيرًا.

١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ ... لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ

فإذا كانوا غيرَ معصومين رجعنا إلى المعصومِ: كتابُ الله وسُنَّةُ رسولِه -صلى الله عليه وسلم-.

١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا ... قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، فليس كُلُّ واحدٍ من العلماء أحاط بكُلِّ حديثٍ قاله الرسولُ أو فعله أو أقرَّه.

١٥٦٠- فَلِذَاكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا ... أَقْوَالَهُمْ كَالنَّصِ فِي الْمِيزَانِ

١٥٦١- لَكِنْ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تُوَا ... فِقْهَا فَتِلْكَ صَحِيحَةُ الْأَوْزَانِ

١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمُ أَقْوَالَهُمْ ... أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٥٦٣- وَاللهِ لَا لِوَصِيَّةِ الْعُلَمَاءِ نَفْـ ... ـفَذْتُمُ وَلَا لِوَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَاللهِ لَا لِوَصِيَّةِ الْعُلَمَاءِ نَفَّذْتُمْ» ووصيتهم هي الرجوعُ إلى الكتابِ والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «وَلَا لِوَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ» وصيةُ الرحمن هي قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

١٥٦٤- وَرَكِبْتُمُ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُمُ النَّـ ... ـنَصَّيْنِ مَعْ ظُلْمٍ وَمَعْ عُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَرَكِبْتُمُ الْجَهْلَيْنِ» الجَهْلَيْنِ يَعْنِي: الجهلَ البسيطَ، والجهلَ المُرَكَّب.

قَوْلُهُ: «تَرَكْتُمُ النَّصَّيْنِ» النصَّانِ هما الكتابُ والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «مَعْ ظُلْمٍ وَمَعْ عُدْوَانِ» يَعْنِي: ليْتكُم تركتُم هذا وسَكَتُّم، لكن تعتَدون على مَنْ خالَفَكم، وتَقُولُونَ: أنتَ امتهنتَ العلماءَ، أنتَ احتقرتَ العلماء، أنتَ ضَلَلْتَ، وما أشبه ذلك.

* * *

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُم: أَمَا ... نَحْنُ الْأَئِمَّةُ فَاضِلُو الْأَزْمَانِ

١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا ... أَيْنَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

١٥٦٧- لَـمْ يُشْـبِهِ الْعُلَـمَاءَ إِلَّا أَنْـتُمُ ... أَشْـبَهْتُمُ الْعُلَـمَاءَ فِي الْأَذْقَـانِ

١٥٦٨- وَاللهِ لَا عِلْـمٌ وَلَا دِيـنٌ وَلَا ... عَقْـلٌ وَلَا بِمُـرُوءَةِ الْإِنْسَـانِ

١٥٦٩- عَـامَلْتُمُ الْعُلَـمَاءَ حِـينَ دَعَـوْكُمُ ... لِلْحَـقِّ بَـلْ بِـالْبَغْيِ وَالْعُـدْوَانِ

١٥٧٠- إِنْ أَنْـتُمُ إِلَّا الـذُّبَابُ إِذَا رَأَى ... طُعْـمًا فَيَـا لَمِسَـاقِطِ الـذُّبَّانِ

١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَزَعًـا تَطَـايَرَ قَلْبُـهُ ... مِثْـلَ الْبُغَـاثِ يُسَـاقُ بِالْعِقْبَـانِ

١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَـاكُمْ إِلَى الْبُرْهَـانِ كَـا ... نَ جَـوَابُكُمْ جَهْـلًا بِـلَا بُرْهَـانِ

١٥٧٣- نَحْـنُ الْـمُقَلِّدَةُ الْأُلَى أَلْفَـوْا كَـذَا ... آبَـاءَهُمْ فِي سَـالِفِ الْأَزْمَـانِ

١٥٧٤- قُلْنَا: فَكَيْـفَ تَكَفِّـرُونَ وَمَـا لَكُـمْ ... عِلْـمٌ بِتَكْفِـيرٍ وَلَا إِيـمَانٍ؟!

١٥٧٥- إِذْ أَجْمَـعَ الْعُلَـمَاءُ أَنَّ مُقَلِّـدًا ... لِلنَّـاسِ كَـالْأَعْمَى هُمَـا أَخَـوَانِ

١٥٧٦- وَالْعِلْـمُ مَعْرِفَـةُ الْـهُدَى بِدَلِيلِـهِ ... مَـا ذَاكَ وَالتَّقْلِيـدُ مُسْـتَوِيَانِ

١٥٧٧- حِرْنَـا بِكُـمْ وَاللهِ لَا أَنْـتُمْ مَـعَ الْـ ... ـعُلَمَاءِ تَنْقَـادُونَ لِلْبُرْهَـانِ

١٥٧٨- كَـلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُـونَ فَمَـنْ تُـرَى ... تُـدْعَونَ؟ نَحْسَـبُكُمْ مِـنَ الثِّـيرَانِ

١٥٧٩- لَكِنَّهَـا وَاللهِ أَنْفَـعُ مِـنْكُمُ ... لِـلْأَرْضِ فِي حَـرْثٍ وَفِي دَوَرَانِ

١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَـتْ مِـنْكُمُ الْـ ... ـمَعْهُودَ مِـنْ بَغْـيٍ وَمِـنْ عُـدْوَانِ

١٥٨١- فَمَنِ الَّـذِي خَـيْرٌ وَأَنْفَـعُ لِلْـوَرَى ... أَنْـتُمْ أَمِ الثِّـيرَانُ بِالْبُرْهَـانِ؟

الشــرحُ

يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُم: أَمَا نَحْنُ الْأَئِمَّةُ فَاضِلُو الْأَزْمَانِ

يعني: دعوناهم للعلْمِ، ولكنَّهم استكبروا، وقالوا: إننا نحن الأئمةُ فضلًا عن العلماء.

١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا أَيْنَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

قَالَ ابن القيم: «مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ؟» يَعْنِي: أين أنتم من العلماء؟! فكيف تَدَّعون أنكم أئمةٌ؟

قَوْلُهُ: «أَيْنَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!» والنجومُ من الثرى التحتاني بعيدٌ بعضُها من بعض.

١٥٦٧- لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمُ أَشْبَهْتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ

يعني: أنتم تُشبهون العلماءَ في اللحى فقط، لحيةٌ وهيكلُ عالمٍ، ولكن لستم علماءَ، ولا شكَّ أنَّ هذا من باب التَّهكُّم بهم.

١٥٦٨- وَاللهِ لَا عِلْمٌ وَلَا دِينٌ وَلَا عَقْلٌ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ

انتفت عنهم كُلُّ هذه الأربعة: العلمُ، والدينُ، والعَقْلُ، والمروءةُ.

١٥٦٩- عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْكُمُ لِلْحَقِّ بَلْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْكُمْ لِلْحَقِّ» هل عاملتموهم بالحسنى؟ الجَوَابُ: لا، ولهذا قال: «بَلْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ».

١٥٧٠- إِنْ أَنْتُمُ إِلَّا الذُّبَابُ إِذَا رَأَى ... طُعْمًا فَيَا لَمِسَاقِطِ الذُّبَّانِ

يعني: أنتم مثلُ الذُّبَّان، إذا رأى طعمًا: حلاوةً، أو لحمًا وجدتَه يتساقطُ، ولكن إذا نفختَ عليه نفخةً واحدةً يطيرُ، أو حَرَّكْتَ أدنى شَيْءٍ من الخُوصِ هَرَب، ولهذا قال:

١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَزَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ ... مِثْلَ الْبُغَاثِ يُسَاقُ بِالْعِقْبَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُغَاثِ» طائِرٌ معروفٌ لكنَّه جبانٌ.

قَوْلُهُ: «الْعُقْبَانِ» بالكسر، وهي جمع (عُقَاب) والعُقَابُ طائِرٌ معروفٌ.

فالبُغَاث إذا رأى العُقابَ طار قلبُه، وهرب، ثُمَّ يأتي العُقابُ وراءه، يضربُه ضربةً بمنقارِه وإذا هو بالأرض، فيُشَبِّههم أيضًا بأنهم مثل البُغَاث يسوقه العُقَابُ.

١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْبُرْهَانِ كَا ... نَ جَوَابُكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانِ

١٥٧٣- نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الْأُلَى أَلْفَوْا كَذَا ... آبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

يعني: نحن مقلِّدةٌ، نُقَلِّدُ فلانًا وفلانًا كما قَالَ الله تعالى: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

١٥٧٤- قُلْنَا: فَكَيْفَ تَكَفِّرُونَ وَمَا لَكُمْ ... عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانِ؟!

يعني: ما دُمْتُم مُقَلِّدَةً، فليس عندكم علمٌ، كيف تكفِّروننا وأنتم لا تعرفون التكفيرَ ولا الإيمانَ؟! هذا عدوانٌ وليس حقًّا، ولهذا قال: (فَكَيْفَ تُكَفِّرُونَ وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانِ)؟!.

١٥٧٥- إِذْ أَجْمَــعَ الْعُلَــمَاءُ أَنَّ مُقَلِّــدًا لِلنَّـاسِ كَـالْأَعْمَى هُمَـا أَخَـوَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ» هذا تعليلٌ لقَوْلِه: «وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانِ».

يقول: إنَّ العلماءَ أجمعوا بأنَّ المقلِّدَ كالأعمى، لا يهتدي للطريق، وإنما يُقَادُ، فهما أَخَوَانِ.

يقول بعض الشعراء[1]:

لَا فَــرْقَ بَــيْنَ مُقَلِّــدٍ وَبَهِيمَــةٍ تَنْقَــادُ بَــيْنَ جَنَــادِلٍ وَدَعَــاثِرِ

لا فرقَ بين المقلِّد والبهيمة، فالبهيمةُ إذا وضعتَ الرَّسَنَ فيها، وجررتها مع الدعاثر[2] والجنادل، تقطع رجليها وهي لا تدري، فالمقلِّدُ كذلك.

وقد أجمع العلماءُ على أنَّ المُقَلِّدَ لا يُعَدُّ من العلماء، ذكر هذا ابنُ عبد البرِّ وغيرُه[3]، قال: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْـمُقَلِّدَ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَفْتَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِ العِلْمِ»، وقد قَالَ الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل:٤٣] لكنْ عند الضرورةِ إذا لم يوجد عالـمٌ مجتهدٌ يأخذُ من الكتابِ والسُّنَّةِ فنسألُ المقلِّدَ.

ثُمَّ بَيَّنَ العلمَ الحقيقيَّ فقال:

١٥٧٦- وَالْعِلْــمُ مَعْرِفَــةُ الْــهُدَى بِدَلِيلِـهِ مَــا ذَاكَ وَالتَّقْلِيــدُ مُسْــتَوِيَانِ

---

(١) البيت لأبي عمر بن عبد البر، في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٥).

(٢) الدعاثر، والدعاثير: جمع (الدُّعْثُور)، بالضَّمّ، وهو حَوْضٌ لم يُتَنَوَّق في صَنْعَتِه، ولم يُوَسَّع، أَو هو المُتَهَدِّم المُتَثَلِّم، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١١/ ٢٩٧).

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٣٣).

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْـهَدَى بِدَلِيلِهِ» هذا العلمُ، أنْ تعرفَ الهدى -يَعْنِي: الحقَّ- بالدليل، وإلَّا فلستَ بعالـمٍ.

١٥٧٧- حِرْنَـا بِكُـمْ وَالله لَا أَنْـتُمْ مَـعَ الْـ ـــعُلَمَاءِ تَنْقَـادُونَ لِلْبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «حِرْنَا بِكُمْ» يَعْنِي: أنتم حيرَّتمونا، ما ندري ما أنتم؟!

قَوْلُهُ: «وَالله لَا أَنْتُمْ مَعَ الْعُلَمَاءِ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ»، لأنَّ العالمَ حقيقةً هو الذي ينقادُ إلى الحقِّ أين وَجَدَه.

١٥٧٨- كَـلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُـونَ فَمَـنْ تُـرَى تُـدْعَونَ؟ نَحْسَـبُكُمْ مِـنَ الثِّـيرَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ» أي: لا علماء ولا متعلِّمون.

قَوْلُهُ: «فَمَا تَرَى تُدْعَونَ» يَعْنِي: ماذا نسمِّيكم؟

قَالَ: «نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثِّيرَانِ» وهذا أحسنُ وصفٍ لكم، أنْ نقولَ: أنتم ثيرانٌ.

ثُمَّ قال:

١٥٧٩- لَكِنَّهَـا وَالله أَنْفَـعُ مِـنْكُمُ لِـلْأَرْضِ فِي حَـرْثٍ وَفِي دَوَرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا» يَعْنِي: الثيران.

قَوْلُهُ: «دَوَرَانِ» الدوران: كانوا يدْرُسُون الحَبَّ بالبقر، يضعون خشبةً قائمةً في وسط السُّنبُل، ثُمَّ يربطون بها البقرَ، ثُمَّ يسوقون البقرَ فتدور على هذه الخشبةِ، فتَدْرُسُ السُّنبُلَ حتَّى يكون حبًّا، فيقول: هي أحسنُ منكم في الحرث وفي الدوران.

١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَـتْ مِـنْكُمُ الْـ ـمَعْهُودَ مِـنْ بَغْـيٍ وَمِـنْ عُـدْوَانِ

قَوْلُهُ: «نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا» يَعْنِي: الأرض.

١٥٨١- فَمَنِ الَّـذِي خَـيْرٌ وَأَنْفَـعُ لِلْـوَرَى أَنْــتُمْ أَمِ الثِّــيرَانُ بِالْبُرْهَــانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنِ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى؟» الجَوَابُ: الثِّيرانُ.

* * *

فصل

١٥٨٢- هَــذَا وَثَــامِنَ عَشْــرَهَا: تَنْزِيهُــهُ ... سُــبْحَانَهُ عَــنْ مُوجِــبِ النُّقْصَــانِ

١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمْثِيلِ وَالتْـ ... ـتَشْبِيهِ، جَـلَّ اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ!

١٥٨٤- وَلِــذَاكَ نَــزَّهَ نَفْسَــهُ سُــبْحَانَهُ ... عَـنْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ شَرِيـكٌ ثَانِـي

١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ ظَهِـيرٌ فِي الْـوَرَى ... سُـبْحَانَهُ عَـنْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَـانِ!

١٥٨٦- أَوْ أَنْ يُوَالِــيَ خَلْقَــهُ سُــبْحَانَهُ ... مِــنْ حَاجَــةٍ أَوْ ذِلَّــةٍ وَهَــوَانِ

١٥٨٧- أَوْ أَنْ يَكُـونَ لَدَيْـهِ أَصْـلًا شَـافِعٌ ... إِلَّا بِــإِذْنِ الْوَاحِــدِ الْــمَنَّانِ

١٥٨٨- وَكَــذَاكَ نَــزَّهَ نَفْسَــهُ عَــنْ وَالِـدٍ ... وَكَــذَاكَ عَــنْ وَلَـدٍ هُمَـا نَسَـبَانِ

١٥٨٩- وَكَـذَاكَ نَـزَّهَ نَفْسَـهُ عَـنْ زَوْجَـةٍ ... وَكَذَاكَ عَنْ كُفْءٍ يَكُـونُ مُدَانِـي

١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَـى التَّنْزِيـهُ عَمَّا لَـمْ يَقُـمْ ... كَـيْ لَا يَـدُورَ بِخَـاطِرِ الْإِنْسَـانِ

١٥٩١- فَانْظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنْ طُعْـمٍ وَلَـمْ ... يَنْسُــبْ إِلَيْـهِ قَـطُّ مِـنْ إِنْسَـانِ

١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَـنْ مَـوْتٍ وَعَـنْ ... نَـوْمٍ وَعَـنْ سِـنَةٍ وَعَـنْ غَشَـيَانِ

١٥٩٣- وَكَــذَلِكَ التَّنْزِيــهُ عَــنْ نِسْــيَانِهِ ... وَالــرَّبُّ لَــمْ يُنْسَــبْ إِلَى نِسْـيَانِ

١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ ظُلْـمٍ وَفِي الْـ ... أَفْعَـالِ عَـنْ عَبَـثٍ وَعَـنْ بُطْـلَانِ

١٥٩٥- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَـنْ تَعَـبٍ وَعَـنْ ... عَجْــزٍ يُنَــافِي قُــدْرَةَ الــرَّحْمَنِ

١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكُفْرَانِ

١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْـ ـحَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ

١٥٩٨- وَكَذَاكَ أَضْحَى رَبُّنَا مُسْتَقْرِضًا أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!

١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالَةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالَةٌ مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ

١٦٠١- لَكِنْ مَقَالَةُ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى وَالعَرْشِ وَهْوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

١٦٠٣- فَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٠٤- عَنْ ذِي الْمَقَالَةِ مَعْ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ؟!

١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُبْدِي لَنَا إِثْبَاتَهَا وَيُعِيدُهُ بِأَدِلَّةِ التِّبْيَانِ

١٦٠٦- لَا سِيَّمَا تِلْكَ الْمَقَالَةُ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

١٦٠٧- أَوْ أَنَّهَا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلِّثٍ عَبَدَ الصَّلِيبَ الْمُشْرِكُ النَّصْرَانِي

١٦٠٨- إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا لَيْسَ الْإِلَهُ مُنَزِّلُ الْفُرْقَانِ

١٦٠٩- فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدَّيَّانِ

١٦١٠- لَكِنَّهُمْ عُبَّادُ أَوْثَانٍ لَدَى هَذَا الْمُعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

١٦١١- وَلِذَاكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعَطِّلُ كُفْرَهُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٦١٢- هَــذَا رَأَيْنَـاهُ بِكُتْــبِكُمُ وَلَــمْ ... نَكْذِبْ عَلَـيْكُمْ فِعْـلَ ذِي الْبُهْتَـانِ

١٦١٣- وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَـمْ يُحَـذِّرْ خَلْقَـهُ ... عَنْهَـا وَهَـذَا شَـأْنُهَا بِبَيَـانِ

١٦١٤- هَــذَا وَلَـيْسَ فَسَـادُهَا بِمُبَـيَّنٍ ... حَتَّـى يُحَـالَ لَنَـا عَـلَى الْأَذْهَـانِ

١٦١٥- وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَـهَا ... بِظُهُورِهَـا لِلْـوَهْمِ فِي الْإِنْسَـانِ

١٦١٦- وَخَفَاءِ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْـيٍ عَـلَى الْـ ... أَذْهَـانِ بَـلْ تَحْتَـاجُ لِلْبُرْهَـانِ

الشـــرحُ

في هذا الفصلِ الدليلُ الثامنَ عشرَ في الدلالة على عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ، ووجهُ ذلك باختصار: أَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- نَزَّه نفسَه عن كُلِّ نقصٍ وعيب، وذكر المؤلِّفُ على هذا أمثلةً.

والعلوُّ عند هؤلاءِ القومِ نقصٌ وعيبٌ، فلماذا لم يُنَزِّهْ نفسَه عنه في آيةٍ واحدةٍ من القرآن؟ مع أَنَّ الأشياءَ التي نَزَّه اللهُ نفسَه عنها انقسمت إلى ثلاثةِ أقسام: قسمٌ لم يَقُلْ به أحدٌ، وقسمٌ قَالَ به أفرادٌ، وقسمٌ قَالَ به طوائِفُ.

وكُلُّها نفاها اللهُ عن نفسِه، لكنَّ عُلُوَّ الله الذي قَالَ كُلُّ الْـخَلْقِ، ولم ينزِّه نفسَه عنه مرةً واحدة، فَدَلَّ هذا على أنَّ العُلُوَّ صِفَةُ كمالٍ لا صِفَةُ نقصٍ، وإلَّا لو كان صِفَةَ نقصٍ -كما يزعمُ هؤلاءِ- لبيَّنه اللهُ عزَّ وجلَّ ونفاه عن نفسِه.

وهذا استدلالٌ خفيٌّ يخفى على كثيرٍ من الناس.

كيف نَقُولُ: إِنَّ نفيَ النقائِصِ عن الله يدُلُّ على ثبوت علوِّه؟

والجَوَابُ: وجهُه لو كان العلوُّ نقصًا كما ذكرتم لنزَّه اللهُ نفسَه عنه.

يقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٥٨٢- هَـذَا وَثَـامِنَ عَشْـرَهَا: تَنْزِيهُـهُ سُـبْحَانَهُ عَـنْ مُوجِـبِ النُّقْصَـانِ

فهو مُنَزَّهٌ عن كُلِّ شيء يُوجِبُ النقصَ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق:٣٨] وهذه تحتاجُ إلى قدرةٍ وقوةٍ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، وهذا نفيٌ للنقص.

١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمْثِيلِ وَالتْـ ـتَشْبِيهِ، جَـلَّ اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ» قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الدَّجَّال: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١)، والعَوَرُ عَيْبٌ.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ والتَّشْبِيهِ» قَالَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، والمرادُ بالتشبيهُ هنا التمثيلُ لا مطلقُ التشبيه؛ كما مَرَّ بنا كثيرًا.

١٥٨٤- وَلِـذَاكَ نَـزَّهَ نَفْسَـهُ سُـبْحَانَهُ عَـنْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ شَرِيـكٌ ثَانِـي

قَالَ تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ ظَهِـيرٌ فِي الْـوَرَى سُـبْحَانَهُ عَـنْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَـانِ!

قَوْلُهُ: «أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى» قَالَ الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]، أي: من مُعِين.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٣٠٥٧)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٣).

١٥٨٦- أَوْ أنْ يُوَالِـيَ خَلْقَـهُ سُـبْحَانَهُ ... مِـنْ حَاجَـةٍ أَوْ ذِلَّـةٍ وَهَـوَانِ

يعني: أنه ليس له وليٌّ من الذُّلِّ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١]، أما وليٌّ من العزِّ والإكرامِ فله أولياء، قَالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

١٥٨٧- أَوْ أنْ يَكُـونَ لَدَيْـهِ أَصْـلًا شَـافِعٌ ... إلَّا بِـإِذْنِ الْوَاحِـدِ الْـمَنَّانِ

قَالَ الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وذلك لكمال سلطانه -جلَّ وعلا-، فلا أحدَ يتكلَّمُ، ولا بالشفاعة التي فيها نفعٌ للغير، إلَّا بإذنه.

١٥٨٨- وَكَـذَاكَ نَـزَّهَ نَفْسَـهُ عَـنْ وَالِـدٍ ... وَكَـذَاكَ عَـنْ وَلَـدٍ هُمَـا نَسَـبَانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣].

١٥٨٩- وَكَـذَاكَ نَـزَّهَ نَفْسَـهُ عَـنْ زَوْجَـةٍ ... وَكَذَاكَ عَنْ كُفْءٍ يَكُـونُ مُدَانِـي

قَوْلُهُ: «وَكَذَاكَ نَزَّهَ نَفْسَهَ عَنْ زَوْجَةٍ» كما قَالَ الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

قَوْلُهُ: «وَكَذَاكَ عَنْ كُفْءٍ» كما قَالَ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَـى التَّنْزِيـهُ عَـمَّا لَـمْ يَقُـمْ ... كَـيْ لَا يَـدُورَ بِخَـاطِرِ الْإِنْسَـانِ

قَوْلُهُ: «لَـمْ يُقَلْ» في نسخة (لَـمْ يَقُمْ)، والصواب: (لَـمْ يُقَلْ) باللام.

يعني: أتى التَّنزيهُ عن شَيْءٍ لم يُقَلْ، يَعْنِي: لم يَقُلْ به أحدٌ.

مثل ماذا؟ قال:

١٥٩١- فَانْظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنْ طُعْمٍ وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَانْظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنْ طُعْمٍ» قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ» يَعْنِي: ليس أحدٌ من الناس قال: إنَّ اللهَ يأكلُ، ومع هذا قال: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

وهذا هو القسمُ الأوَّلُ الذي ذكرنا قبل قليل.

١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ مَوْتٍ وَعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غَشَيَانِ

كُلُّ هذا مُنَزَّهٌ عنه عزَّ وجلَّ.

١٥٩٣- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ نِسْيَانِهِ وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ نِسْيَانِهِ» قَالَ تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢].

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانِ» يَعْنِي: لا أحدَ من الناس قال: إنه ينسى، ومع ذلك نَزَّه نفسَه عنه.

١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ ظُلْمٍ وَفِي الْـ أَفْعَالِ عَنْ عَبَثٍ وَعَنْ بُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ ظُلْمٍ» قَالَ تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

قَوْلُهُ: «وَفِي الْأَفْعَالِ عَنْ عَبَثٍ، وَعَنْ بُطْلَانِ» قَالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾ [ص:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨].

١٥٩٥- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنْ تَعَبٍ» قَالَ تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨].

قَوْلُهُ: «وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ» قَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤].

إِذَنْ نَفَى اللهُ -سبحانه وتعالى- عن نفسِه في هذه الأبيات ما قِيل وما لم يُقَل.

إِذَنْ هذان قسمان:

قسمٌ قيل، فنفاه اللهُ، مثل: الولد، قَالَ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، فنفاه اللهُ.

قسمٌ لـم يُقَل، مثل: الطُّعم، والموت، الظلم، والنسيان وما أشبهها، وهذا نفاه اللهُ عن نفسِه.

وقسمٌ قيل، لكن قاله أفرادٌ، قال:

١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «فِنْحَاصُ» فنحاص رجلٌ من اليهود، قال:

١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْـ ـحَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «ذُو الْوَجْدِ» أو (ذو الجِدِّ)، (الجِدِّ) يَعْنِي: الحظَّ، و(الوجد) يَعْنِي: الكثرةَ والْغِنَى.

وهذا في قولِهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

١٥٩٨- وَكَذَاكَ أَضْحَى رَبُّنَا مُسْتَقْرِضًا ... أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!

قالوا: إنَّ اللهَ فقيرٌ، لِأَنَّهُ طلب منَّا القرضَ، فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥] فهو فقيرٌ، ونحن الأغنياءُ، فهذا قيل، لكنَّ الذي قاله أفرادٌ.

ثُمَّ قَالَ المؤلف:

١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالَةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ ... أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

وهؤلاءِ هُم اليهود.

١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالَةٌ ... مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ

يعني: أنَّ هذا القولَ لم يَتبعْه أحدٌ، ما قاله إلَّا أفرادٌ من الناس، والعلوُّ قاله كُلُّ الناسِ، فكُلُّ الفِطَر تشهدُ به، فهو قولٌ منصورٌ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولهذا قال:

١٦٠١- لَكِنْ مَقَالَةُ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى ... والعَرْشِ وَهْوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا ... وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

١٦٠٣- فَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ... سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٠٤- عَنْ ذِي الْمَقَالَةِ مَعْ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا ... وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ؟!

فصارَ تقريرُ هذا الدليلِ أنْ يُقَالَ: إنَّ العُلُوَّ الذاتِيَّ عندكم صِفَةُ نقصٍ، وإذا كان صِفَةَ نقصٍ مع ظهورِه وانتشارِه، وأنه طَبَّقَ الأرضَ شرقًا وغربًا، فلماذا لم يُنَزِّه اللهُ نفسَه عنه مع أنه -سبحانه وتعالى- يُنَزِّهُ نفسَه عن العيب الذي قيل،

والعيبِ الذي قالتْه طوائِفُ، والعيبِ الذي لم يَقُلْه إِلَّا أفرادٌ، فكُلُّها نَزَّه اللهُ نفسَه عنها، فلماذا لم يُنَزِّه نفسَه عن العُلُوِّ؟!

١٦٠٥- بَـلْ دَائِـمًا يُبْـدِي لَنَـا إِثْبَاتَهَـا   وَيُعِيـدُهُ بِأَدِلَّـةِ التِّبْيَـانِ

يُبدي لنا إثباتَ العُلُوِّ، ويُعيدُه على وجوهٍ متنوعةٍ، قَالَ تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى:١٧].

والأَدِلَّةُ متنوعةٌ في القرآنِ والسُّنَّة، كيف يُبْدِي ويُعيدُ في إثبات هذه الصِّفَةِ وهي -على زعْمِكم- نقصٌ، مع أنَّ صفاتِ النقص ينفيها عن نفسِه حتَّى التي لم تُقَلْ، خوفًا من أنْ تدورَ في الذهن؟

١٦٠٦- لَا سِـيَّمَا تِلْـكَ الـمَقَالَةُ عِنْـدَكُمْ   مَقْرُونَـةٌ بِعِبَـادَةِ الْأَوْثَـانِ

يقولون: إنَّ الذي يُقِرُّ بعلوِّ الله يعبدُ الوثَنَ، لأنَّ الإقرارَ بالعُلُوِّ التزامٌ بأنَّ اللهَ جسمٌ، فأنتَ تعبدُ جسمًا كالذي يعبدُ اللاَّتَ والعُزَّى، فالذي يُقِرُّ بالعُلُوِّ مشركٌ -نعوذ بالله-، لِأَنَّهُ عَبَدَ جسمًا، ولهذا قال: «**لَا سِيَّما تِلْكَ المَقَالَةُ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ...**» يَعْنِي: لا سيَّما وأنَّ تلك المَقَالَةَ مقرونةٌ بعبادة الأوثان.

١٦٠٧- أَوْ أَنَّهَـا كَمَقَالَـةٍ لِـمُثَلِّثٍ   عَبَدَ الصَّلِيبَ الْمُشْـرِكُ النَّصْرَانِـي

قَوْلُهُ: «**أَوْ أَنَّهَا كَمَقَالَةٍ لِـمُثَلِّثٍ عَبْدَ الصَّلِيبَ**»، ويجوز (**عَبْدِ الصليبِ**). من هو؟ قال: (**الـمُشْرِك النصرانـي**).

المُشركُ النصرانيُّ -وعلى النَّصارى لعنةُ الله إلى يوم القيامة- يقولُ: إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ، ويقول: إنَّه موحِّدٌ، لأنَّ الثلاثةَ صاروا واحدًا.

سُبْحَانَ اللهِ! مَنْ قال: إنَّ الثلاثةَ يكونُونَ واحدًا؟! لا يمكنُ هذا، لكن لجهلهم، لِأَنَّهُم ضالُّون كما قَالَ اللهُ عنهم.

١٦٠٨- إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا ... لَيْسَ الْإِلَهُ مُنَزِّلُ الْفُرْقَانِ

١٦٠٩- فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ... بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدَّيَّانِ

١٦١٠- لَكِنَّهُمُ عُبَّادُ أَوْثَانٍ لَدَى ... هَذَا الْـمُعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا» أي: بالعُلُوِّ.

يعني: أنَّ كُلَّ موصوفٍ بالعُلُوِّ فهو جسمٌ على زعمهم، فإذا كان جسمًا فالذي يعبدُ هذا الجسمَ كالذي يعبدُ الوثنَ.

١٦١١- وَلِذَاكَ قَدْ جَعَلَ الْـمُعَطِّلُ كُفْرَهُمْ ... هُوَ مُقْتَضَى الْـمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

أعوذ بالله، يَعْنِي: المُعَطِّل الذي يُنْكِرُ عُلُوَّ الله يقول: إنَّ كُفْرَ المُقِرِّين بعلوِّه «هُوَ مُقْتَضَى الْـمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ»، يَعْنِي: دَلَّ عليه العَقْلُ والبرهانُ.

١٦١٢- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتْبِكُمُ وَلَمْ ... نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٦١٣- وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُحَذِّرْ خَلْقَهُ ... عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بِبَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُحَذِّرْ خَلْقَهُ عَنْهَا» أي: عن هذهِ المَقَالَةِ، وهي مَقَالَةُ العُلُوِّ.

قَوْلُهُ: «ذَا شَأْنُهَا بِبَيَانِ» يَعْنِي: أنَّ شأنَها -على زعمِكم- خطيرٌ جدًّا، لِأَنَّهَا هي الكفرُ.

١٦١٤- هَـــذَا وَلَــيْسَ فَسَــادُهَا بِمُبِــيَّنٍ حَتَّــى يُحَــالَ لَنَــا عَــلَى الْأَذْهَــانِ

يعني: أنَّ اللهَ تعالى لم يُبَين فسادَها -على زعمِهم-، بل أحالها على الأذهانِ، وجعلَها هي التي تحكمُ على أنها صِفَةُ نقصٍ أو صِفَةُ مدح.

١٦١٥- وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَــهَا بِظُهُورِهَــا لِلْــوَهْمِ فِي الْإِنْسَــانِ

١٦١٦- وَخَفَاءِ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْـيٍ عَـلَى الْـ أَذْهَــانِ بَــلْ تَحْتَــاجُ لِلْبُرْهَــانِ

يعني: أنَّ أفاضلَ هؤلاء قالوا: إنَّ دلالةَ الأدلة عَلَى العُلوِّ أظهرُ، وأبْينُ من الأدلة عَلَى عدم العُلُوِّ، بل نحن نقولُ: لا أدلةَ، بل ولا دليلٌ واحدٌ عَلَى نفي صِفة العلوِّ.

* * *

فصل

١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرِهَا: إِلْزَامُ ذِي التْـ ... تَعْطِيـلِ أَفْسَـدُ لَازِمٍ بِبَـيَانِ

١٦١٨- وَفَسَـادُ لَازِمِ قَوْلِـهِ هُـوَ مُقْـتَضٍ ... لِفَسَـادِ ذَاكَ الْقَـوْلِ بِالْبُرْهَـانِ

١٦١٩- فَسَلِ الْـمُعَطِّلَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَـائِلٍ ... تَقْضِـي عَـلَى التَّعْطِيـلِ بِـالْبُطْلَانِ

١٦٢٠- مَـاذَا تَقُـولُ: أَكَـانَ يَعْـرِفُ رَبَّـهُ ... هَـذَا الرَّسُـولُ حَقِيقَـةَ الْعِرْفَـانِ

١٦٢١- أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَـتْ نَصِـيحَتُهُ لَنَـا ... كُـلَّ النَّصِـيحَةِ لَـيْسَ بِالْـخَوَّانِ

١٦٢٢- أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَـةَ كُلَّهَـا؟ ... فَـاللَّفْظُ وَالْـمَعْنَى لَـهُ طَوْعَـانِ؟

١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَـةَ فِيـهِ كَـا ... مِلَـةً مُـبَرَّأَةً مِـنَ النُّقْصَـانِ

١٦٢٤- فَـلِأَيِّ شَيْءٍ عَـاشَ فِينَـا كَاتِـمًا ... لِلنَّفْـي وَالتَّعْطِيـلِ فِي الْأَزْمَـانِ

١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْـ ... إِفْصَاحِ مُوضَـحَةً بِكُـلِّ بَيَـانِ؟

١٦٢٦- وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَـمْ يُصَـرِّحْ بِالَّـذِي ... صَرَّحْـتُمُ فِي رَبِّنَـا الـرَّحْمَنِ؟

١٦٢٧- أَلِعَجْـزِهِ عَـنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِـيرِهِ ... فِي النُّصْحِ أَمْ لِـخَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟

١٦٢٨- حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التْـ ... تَعْطِيـلِ لَا الْـمَبْعُوثِ بِـالْقُرْآنِ

١٦٢٩- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَـانَ يَـذْكُرُ ضِـدَّ ذَا ... فِي كُـلِّ مُجْتَمَـعٍ وَكُـلِّ زَمَـانِ؟

١٦٣٠- أَتُرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِـه اسْـ ... ـتَوْلَى وَيَنْـزِلُ أَمْـرُهُ وَفُـلَانِ؟

١٦٣١- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْـ ـظِ الْـ«أَيْنَ» هَلْ هَذَا مِنَ التِّبْيَانِ؟

١٦٣٢- وَاللهِ مَا قَالَ الْأَئِمَّةُ كُلَّ مَا قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

١٦٣٣- لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

١٦٣٤- وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ أَتَى ضَوْءُ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيَرَانِ

١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ

١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمُ لَوِ اسْتَشْعَرْتُمُ يَا قَوْمِ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفِيرَانِ

١٦٣٧- أَنِسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ

١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعَطِّلٌ لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ

١٦٣٩- لَزِمَتْكُمُ شُنَعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَؤُوا أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ

١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُصْحِهِمْ أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ؟!

١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمُ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعَطَّلَ مِنْهُمَا وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ

١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النْـ ـنَظَّامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِي

١٦٤٥- وَكَذَاكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَقْعُ الْفَلَا صُمٌّ وَبُكْمٌ تَابِعُو الْعُمْيَانِ

١٦٤٦- وَكَذَاكَ أَفْرَاخُ الْقَرَامِطَةِ الْأُلَى قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

١٦٤٧- كَالْـــحَاكِمِيَّةِ وَالْأُلَى وَالُـــوهُمُ ... كَـــأَبِي سَـــعِيدٍ ثُـــمَّ آلِ سَـــنَانِ

١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْـ ... ـلِ الشِّرْكِ وَالتَّكْـذِيبِ وَالْكُفْـرَانِ

١٦٤٩- وَكَذَاكَ أَفْرَاخُ الْـمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ ... وَالصَّـــابِئِينَ وَكُـــلُّ ذِي بُهْتَـــانِ

١٦٥٠- إِخْـوَانُ إِبْلِـيسَ اللَّعِـينِ وَجُنْـدُهُ ... لَا مَرْحَبًـــا بِعَسَـــاكِرِ الشَّـــيْطَانِ

١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَالَتُـهُ عَـلَى التَّنْزِيـلِ وَالْـ ... ـــوَحْيِ الْـــمُبِينِ وَمُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ

١٦٥٢- كَمُحَـيَّرٍ أَضْـحَتْ حَوَالَتُـهُ عَـلَى ... أَمْثَالِـــهِ؟ أَمْ كَيْـــفَ يَسْـــتَوِيَانِ؟

١٦٥٣- أَمْ كَيْـفَ يَشْـعُرُ تَائِـهٌ بِمُصَـابِهِ؟ ... وَالْقَلْـبُ قَـدْ جُعِلَـتْ لَـهُ قُفْـلَانِ

١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْـجَهْلِ الْـمُرَكَّبِ فَوْقَـهُ ... قُفْلُ التَّعَصُّـبِ كَيْـفَ يَنْفَتِحَـانِ؟

١٦٥٥- وَمَفَاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَـهُ التْـ ... تَصْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّـانِ!

١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتْحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَـلَى الْـ ... أَسْـــنَانِ إِنَّ الْفَـــتْحَ بِالْأَسْـــنَانِ

الشـــرحُ

١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرِهَا: إِلْـزَامُ ذِي التْـ ... تَعْطِيـــلِ أَفْسَـــدُ لَازِمٍ بِبَـــيَانِ

قوله: «هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرَهَا»، ويجوزُ «وَتَاسِعَ عَشْرِهَا»، ويجوزُ «وَتَاسِعُ عَشْرِهَا».

قَوْلُهُ: «إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَدُ لَازِمٍ بِبَيَانٍ» يعني أن: يُحَاجَّ صاحبُ التعطيل الَّذِي أنكر علوَّ الله -سبحانه وتعالى- بالإلزام.

١٦١٨- وَفَسَادُ لَازِمِ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضٍ ... لِفَسَادِ ذَاكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ

فسادُ اللازم يدلُّ عَلَى فسادِ المَلزوم، وهذه قاعدةٌ مفيدةٌ؛ لأنَّ القاعدةَ المقرَّرةَ عند جميع العقلاءِ أنَّ فسادَ اللازمِ مقتضٍ لفسادِ الملزوم؛ ولهذا نقولُ لكُلِّ إنسانٍ: يلزمُ من قولك كذا، وهذا لازمٌ فاسدٌ، فيدلُّ عَلَى فساد قوله، وجه ذلك يقول:

١٦١٩- فَسَلِ الْـمُعَطِّلَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ ... تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ: أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ... هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ

١٦٢١- أَمْ لَا؟............................ ....

اسأل هَذَا المعطِّلَ، وقل: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- لـمَّا وصف ربَّه بالعُلُوِّ، هل كان يعرفُ رَبَّه؟ الجواب: إمَّا أن يقولَ: نعم، أو يقولَ: لا.

إن قال: (لا)، يعني: إذا قال: الرسولُ لا يعرفُ ربَّه، فقد آذن عَلَى نفسِه بالكفر، وإن قال: يعرفُه، يقول:

١٦٢١- .... وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا ... كُلَّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْـخَوَّانِ

١٦٢٢- أَمْ لَا؟............................ ....

اسأله مرة ثانية، وقل له: إذا كان يعرفُ رَبَّه -سبحانه وتعالى- فهل كان ناصحًا لأمته أو خائنًا؟ إن قال: خائنًا فقد كفر، وإن قال: ناصحًا، نقول:

١٦٢٢- .... وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا؟ ... فَاللَّفْظُ وَالْـمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟

يعني: أم لا؟ اسأله إذا قال: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- ناصحٌ، قل له: هل كان فصيحًا أم عييًّا يعني: أنه يريد معنًى لا يطاوعه فيه اللفظُ؟ اسأله؛

لأنَّ العييَّ هُوَ الَّذِي يريدُ المعنى، لكن لا يطاوعه اللفظُ، دائمًا الإنسانُ يكون في قلبه شيءٌ، لكن يعجزُ أن يُعَبِّرَ عنه، فسَلْه: هل النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- فصيحٌ أم لا؟ ما أظنُّه يقولُ: إنه عَيِيٌّ، سيقولُ: إنه فصيحٌ.

إِذَنْ اجتمع في كلامه: العِلمُ، والنُّصحُ، والبلاغةُ، وهذه ثلاثةُ أمورٍ إذا اجتمعت وجب العملُ بمقتضى قوله.

١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةَ فِيهِ كَا ... مِلَةً مُبَرَّأَةً مِنَ النُّقْصَانِ

١٦٢٤- فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا ... لِلنَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فإذا انتَهت» يعني: كَمُلَتْ فيه هَذِهِ الثلاثةُ.

إذا كانت هَذِهِ الثلاثةُ كُلُّها تامةً في حقِّه أعني: العلمَ، والنصحَ، والبيانَ، فلماذا يكتمُ ما كان يعرفُه عن الله عزَّ وجلَّ بل عَلَى الضدِّ مِن ذلك، كان يُفصِحُ بخلافه؛ ولهذا قال:

١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْـ ... إِفْصَاحِ مُوضِحَةً بِكُلِّ بَيَانِ؟

هل النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- قَالَ للناس يومًا من الدهر: إنَّ ربَّكم ليس فوقكم؟ بل كان بالعكس؛ ولذا قال: (بالضد) يعني: يُفْصِحُ، ويُبَيِّنُ في كُلِّ موضعٍ بأنه فوقَ كُلِّ شيء.

١٦٢٦- وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِالَّذِي ... صَرَّحْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ؟

قَوْلُهُ: «صَرَّحْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ» ما الَّذِي صرَّحوا به؟ الجواب: نفي العلوِّ، وما صَرَّحَ به يومًا من الدَّهر.

١٦٢٧- أَلِعَجْــزِهِ عَــنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِــيرِهِ فِي النُّصْحِ أَمْ لِخَفَـاءِ هَـذَا الشَّـانِ؟

كُلُّ هَذِهِ الثلاثة مُنْتَفِيَةٌ، فهو ليس بعاجزٍ عن الإفصاح به؛ لأنه أفصحُ الخَلق، وليس مُقَصِّرًا في النصح؛ لأنه أنصحُ الخلق، وليس خافيًا عليه هذا؛ لأنه أعلمُ الخلق.

١٦٢٨- حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التْـ ـتَعْطِيـلِ لَا الْـمَبْعُوثِ بِـالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذَا» المشارُ إليه يعودُ عَلَى هَذِهِ العيوب الثلاثة: العجز، أو التقصير، أو الخفاء، لكنَّ الغالبَ عَلَى أهل التعطيل هُوَ التقصيرُ، وعدمُ البحث والنظرِ بالعدل.

قَوْلُهُ: «لَا الْـمَبْعُوثِ» يعني: لا وصف المبعوث بالْقُرْآن.

١٦٢٩- وَلِأَيِّ شَيْءٍ كَـانَ يَـذْكُرُ ضِـدَّ ذَا فِي كُـلِّ مُجْتَمَـعٍ وَكُـلِّ زَمَـانِ؟

قَوْلُهُ: «ضِدَّ ذَا» أي: ضدَّ تعطيلِ عُلوِّه، فكان دائمًا يُفْصِحُ بضدِّه.

١٦٣٠- أَتُرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِـه اسْـ ـتَوْلَى وَيَنْـزِلُ أَمْـرُهُ وَفُـلَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَتُرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اسْتَوْلَى» أي: بدل: (اسْتَوَى)، فالذي يقول: (اسْتَوَى) يستطيعُ أن يقولَ: (استولى)، فليس عاجزًا عنه.

قَوْلُهُ: «وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانِ» وهذا في تحريفِهم لحديث النزول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»[1]، قالوا: إِنَّ الَّذِي ينزلُ: أمرُ الله، وبعضُهم قال: الَّذِي ينزلُ مَلَكٌ من الملائكة، وهذا معنى قوله: (فلان).

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

هل الرسولُ ﷺ لـمَّا قال: يَنْزِلُ رَبُّنا، هل هُوَ عاجزٌ عن أن يقولَ: (ينزل أمرُه)؟ أبدًا، ليس بعاجزٍ، هل هُوَ عاجز أن يقولَ: (**يَنْزِلُ مَلَكٌ مَنِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَقَولُ**؟) الجواب: لا، فلماذا لم يَقُل هذا؟ لماذا لم يقل: (أمره)؟ لماذا يأتي بكلمة مُوهِمةٍ للكُفر عَلَى زعمهم؟! هَذَا شيءٌ مستحيلٌ.

١٦٣١- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْـظِ الْـ«أَيْنَ» هَلْ هَذَا مِنَ التِّبْيَـانِ؟

قَوْلُهُ: «**وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟**» حيث قَالَ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**»[1]، «**يَعْنِي: (مَنْ) بِلَفْظِ الْـ(أَيْنَ)**» يعني: هُوَ يريدُ أن يقولَ للجارية: مَنِ اللهُ؟ فتقولُ: اللهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ مَثلًا، لكن قوله: أينَ اللهُ؟ يريدُ مَن اللهُ؟

وسبحان الله! أيُّهما أسهلُ (مَنْ) أو (أين)؟

الجَوَابُ: (مَنْ)؛ لأنها حرفان، (وأين) ثلاثُة حروف، (ومَنْ) أدلُّ عَلَى المقصود مِن (أين) إذا كان يريدُ أن يسألَ: مَن اللهُ.

١٦٣٢- وَاللهِ مَـا قَـالَ الْأَئِمَّـةُ كُـلَّ مَـا قَـدْ قَالَـهُ مِـنْ غَـيْرِ مَـا كِـتْمَانِ

وصدق -رحمه الله-، يعني: الأئمة ما قالوا كُلَّ ما قَالَ الرسولُ؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يخفاه كُلُّ ما قَالَ الرسولُ، ويا حَبَّذا (أمره) إذا كان يعرفُ أكثرَ ما قَالَ الرسولُ، أمَّا أن يعرفَ كُلَّ ما قَالَ الرسولُ، فهذا شيءٌ بعيدٌ.

١٦٣٣- لَكِـنْ لِأَنَّ عُقُـولَ أَهْـلِ زَمَـانِهِمْ ضَـاقَتْ بِحَمْـلِ دَقَـائِقِ الْإِيـمَانِ

وهذا صحيحٌ، فالأئمةُ جُوبِهُوا بمبتدعةٍ مُعَطِّلةٍ ممثِّلةٍ من كُلِّ عيب، فكانوا يُحدِّثون الناسَ بما يعرفونه ويوافقُ عقولَهم.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

١٦٣٤- وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ أَتَى ضَوْءُ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيَرَانِ

١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ

قَوْلُهُ: «وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ» الخُفَّاشُ طائرٌ لا يطيرُ إلَّا بالليل، فإذا جَاءَ النهارُ توقَّفَ.

١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمُ لَوِ اسْتَشْعَرْتُمُ يَا قَوْمِ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفِيرَانِ

١٦٣٧- أَنِسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ

الحشراتُ لا تخرجُ إلَّا بالليل في الغالب؛ لأنَّ النهارَ يُوحشُها، وتخافُ منه، فتندَسُّ في جحورها، فإذا جَاءَ الليلُ انتشرت.

والفئرانُ لا تخرجُ وهي تسمعُ صوتًا في المكان أبدًا، وإن اضطرت للخروج خرجت بسرعة، لكن إذا غاب الناسُ عن المطبخ وجدتَها تقرض الخبز، والكيك، وكلَّ شيء؛ لأنه ليس حولها أحدٌ، فهي لا تعيشُ إلَّا في الانفراد.

١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعَطِّلٌ لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ

١٦٣٩- لَزِمَتْكُمْ شُنَعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَؤُوا أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ

١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُصْحِهِمْ أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ؟!

يعني: لو كان الحقُّ فيما قَالَ هؤلاء المعطِّلةُ لَلَزِم أن يكونوا أعلمَ بالله من رسولِه؛ لأنَّ الرسولَ أَثبتَ، وهم نَفَوْا، والحقُّ معهم، يعني: عَلَى فرض أنه معهم، لزم أن يكونوا أعلمَ بالله من رسول الله، ولزم أن يكونوا أنصحَ لعباد الله من رسول الله.

ولزم أن يكونوا أفصحَ في التعبير من رسولِ الله، وحينئذٍ نقول: الحقُّ إمَّا فيما قُلْتُم أيها المعطِّلة، أو فيما قاله الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فإن كان فيما قاله الرسولُ، فأنتم عَلَى باطلٍ يجبُ أن تتركوه، وإنْ كان فيما قُلْتُم لزمتكم هَذِهِ اللوازمُ الثلاثة، وهي:

الأول: أن يكونوا أعلمَ بالله من رسول الله.

الثانية: أن يكونوا أنصحَ لعباد الله من رسول الله.

الثالثة: أن يكونوا أفصحَ وأبينَ في التعبير من رسول الله ﷺ.

وكُلُّ هَذَا لا أحدَ يقولُ به.

١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمُ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، فلو كان ما يقولون حقًّا لكان الوحيُ -يعني: الْقُرْآن والسُّنَّة- ضلالًا.

فمثلًا: في السُّنَّةِ حديثُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»[1]، وظاهر الحديثِ أنه نزولُ ذاتٍ، وهم يقولون: إِنَّ مَنْ أثبتَ لله نزولَ ذاتٍ فقد كفَر، إِذَنْ يكونُ مدلولُ السُّنَّةِ كُفرًا.

وفي الْقُرْآنِ قولُه تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] يعني: اسْتَوَى اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَى العرش بذاته استواءً يليقُ به -تبارك وتعالى-، هم يقولون: لو فسَّرنا (اسْتَوَى) بمعناها الظاهر مِن لَفْظِها لكان هَذَا كُفرًا، فعلى زعمهم يكونُ مدلولُ الْقُرْآنِ كفرًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

فانظر إِلَى هَذَا القولِ الخبيثِ الَّذِي يقتضي أن يكونَ مدلولُ كلامِ الله ورسوله كُفرًا؛ ولهذا قال:

١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

وهذا صحيحٌ.

١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعَطَّلَ مِنْهُمَا وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعَطَّلَ مِنْهُمَا» أي: من الكتاب والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ» يعني: عَلَى هَذَا نقولُ: الأَوْلَى بالناس ألا يأخذوا عقيدتَهم في ربِّهم من كتابِ الله وسُنَّة رسولِه، لكن من أين يأخذونها؟ قَالَ في الجواب عن ذلك:

١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النْـ ـنَظَامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِي

الجَوَابُ: إما عَلَى الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، أو عَلَى النَّظَّام، وذي المذهبِ اليونانِيِّ.

قَوْلُهُ: «ذي المذهب اليونان» وَهُوَ أرسطو أو ابن سينا، وغيرهما فكُلُّهم عَلَى المذهب اليونانِـيِّ.

١٦٤٥- وَكَذَاكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَقْعُ الْفَلَا صُمٌّ وَبُكْمٌ تَابِعُو الْعُمْيَانِ

قَوْلُهُ: «الْفَلَا»: جَمْعُ فلاة، و«الْفَقْعُ»: معروف، كمأةٌ ليِّنةٌ رقيقةٌ تُداسُ بالأرجل فتفسد، يُضْرَبُ به المثلُ لكُلِّ إنسانٍ لا يصبرُ ولا يقاومُ، يقال له: (أَنْتَ فَقْعُ فَلَاةٍ) يعني: كمأةً رقيقةً لا تتحمَّلُ، فهؤلاء فَقْعُ الفَلا.

قَوْلُهُ: «صُمٌّ وَبُكْمٌ» مَنْ يقودُهم؟ قال: «تَابِعُو الْعُمْيَانِ»، أصمُّ وأبكمُ يقودهما أعمى! والدلالة واضحة، فكُلٌّ ضائِعٌ، والعياذ بالله.

١٦٤٦- وَكَــذَاكَ أَفْـرَاخُ الْقَرَامِطَـةِ الْأُلَى قَـدْ جَـاهَرُوا بِعَـدَاوَةِ الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَفْرَاخُ» جمعُ فَرْخ، وَهُوَ ولدُ الطيرِ الصغير.

ومعلومٌ أنَّ الفرخَ يُضْرَبُ به المثلُ في الضعف والمهانة، هؤلاء أفراخُ القرامطة.

والقرامطةُ أصحابُ رجلٍ يُقَالَ له: (قِرْمِط)[1]، رجلٌ مذهبُه مذهبٌ باطِنيٌّ خبيثٌ، حصل مِنْهُ عدوانٌ كثيرٌ -والعياذ بالله- عَلَى المسلمين حتَّى إنه دخل مكةَ في أيام الحجِّ، وقتَّل النَّاسَ وهم يطوفون بالكعبة، وجَرَّهم، ووضعهم في بئر زمزم، فأفسد ماءَها، وأخذ الحجرَ الأسودَ، ونصبَه عَلَى بيتٍ له في الأحساء مِن أجل أن يَحُجَّ الناسُ إليه، ويدَعوا الكعبةَ، وبقي عنده هناك نحوَ ثنتين وعشرين سنةً، وَهُوَ مُسْتَولٍ عليه، حتَّى أنقذه اللهُ منه، فهؤلاء القرامطةُ من أشدِّ الناس عداوةً للمؤمنين.

١٦٤٧- كَالْـحَاكِمِيَّةِ وَالْأُلَى وَالُـوهُمُ كَـأَبِي سَـعِيدٍ ثُـمَّ آلِ سَـنَانِ

قَوْلُهُ: «كَالْـحَاكِمِيَّةِ» الحاكمية: أتباعُ الحاكمِ العُبَيْدِيِّ، الَّذِي حكم مصرَ، وادَّعى أنه من ذرِّيَّة الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- وقصتُه معروفةٌ، مذكورةُ في

(١) بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وفي آخرها الطاء، هذه النسبة إلى المذهب المذموم، والرأي الخبيث، وهم جماعة من أهل هجر والبحرين والأحساء، قيل لهم القرامطة، قتلوا حَاجَّ بيت الله في الحرم، وفي رمل زهير، نُسِبوا إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قِرْمِط، وقيل: حمدان بن قِرْمِط، وكان ممن قبل دعوتهم ثم صار رأسًا في الدعوة، وقد دمر الله تعالى عليه وألحقه بإخوته عاد وثمود. انظر: الأنساب للسمعاني (١٠/ ٣٨٧).

كتب التاريخ[١].

١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْـ ـلِ الشِّرْكِ وَالتَّكْـذِيبِ وَالْكُفْـرَانِ

١٦٤٩- وَكَذَاكَ أَفْرَاخُ الْـمَجُوسِ وَشِـبْهُهُمْ وَالصَّـابِئِينَ وَكُـلُّ ذِي بُهْتَـانِ

١٦٥٠- إِخْـوَانُ إِبْلِيـسَ اللَّعِيـنِ وَجُنْـدُهُ لَا مَرْحَبًـا بِعَسَـاكِرِ الشَّـيْطَانِ

ابنُ القيِّم -رحمه الله- شدَّد عَلَى هؤلاء الجماعة؛ لأنهم أساؤوا إِلَى الإسلام أعظمَ إساءة، ليس في الأعمال البدنيَّة، ولكن في الأمور العقديَّة، أفسدوا عقيدةَ الناس حتَّى إنَّ الَّذِي يعتقدُ ما قالوه، يُصْبِحُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ عنده عدمًا، ليس بشيء.

١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَالَتُـهُ عَـلَى التَّنْزِيـلِ وَالْـ ـوَحْيِ الْـمُبِينِ وَمُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ

١٦٥٢- كَمُحَـيَّرٍ أَضْـحَتْ حَوَالَتُـهُ عَـلَى أَمْثَالِـهِ؟ أَمْ كَيْـفَ يَسْـتَوِيَانِ؟

مُـحَيَّـرٌ حُوِّلَ عَلَى حائرٍ، كَيْفَ الهدايَةُ؟ ليس هناك هدايةٌ.

قَوْلُهُ: «أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ» لا شكَّ أنه لا يستوي مَنْ إحالتُه عَلَى الكتاب والسُّنَّة مِمَّن إحالته عَلَى متحيِّرٍ مثله.

وتحيُّرُ أهلِ الكلام معلومٌ من إقرار رؤسائهم، كما قَالَ الشهرستانِيُّ[٢] وَهُوَ

(١) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن المعز صاحب مصر العبيدي الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٧٣).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، قال ابن أرسلان في (تاريخ خوارزم): عالم كيِّس متفنن، ولولا مَيله إلى أهل الإلحاد وتخبطه في الاعتقاد، لكان هو الإمام، وكثيرًا ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له؟! نعوذ بالله من الخذلان، وليس ذلك إلا لإعراضه عن علم الشرع، واشتغاله بظلمات الفلسفة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨٦).

من رؤسائهم:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الـمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الـمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[1]

يقولُ: إنه طاف عَلَى جميع المعالم في علم الكلام، ووجدهم عَلَى قسمين: (وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ)، أو (قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ).

وقال الرازِيُّ وَهُوَ من رؤسائهم أيضًا[2]:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا

فبحثُهم طول عمرِهم جمعوا فيه: قيل: كذا، وقالوا: كذا، وقال الآخرون: كذا، وقال الثالث: كذا، وقال الرابع: كذا، وهَكَذَا.

على كُلِّ حالٍ هم حَيَارى، كما قَالَ ابنُ القيِّم هنا.

١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِهٌ بِمُصَابِهِ؟ ... وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ

نسألُ اللهَ العافيةَ، التائِهُ لا يعرفُ مُصابَه وَهُوَ التِّيه، وقد جُعِلَ عَلَى قلبه قفلان.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:١٧٨).

(٢) الأبيات قالها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٩٦)، وعيون الأنباء (٢/ ٢٨).

١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْـجَهْلِ الْـمُرَكَّبِ فَوْقَـهُ   قُفْلُ التَّعَصُّـبِ كَيْـفَ يَنْفَتِحَـانِ؟

أعوذ بالله، جهلٌ مُركَّبٌ وتَعَصُّبٌ، مَنْ يَقْوَى هذا؟ لو أتيتَ إِلَى عامِّي تُحَدِّثُه بحديث الرسول ﷺ وله شيخٌ متبوعٌ يُجِلُّه، ويُقَدِّرُه، يقولُ لك: أبدًا، أنت جاهلٌ، الشيخُ الفلانِيُّ يقولُ: كَذَا وكذا، فهذا جهلٌ مُرَكَّبٌ ومعه تعصُّبٌ، فإذا اجتمعَ الجهلُ المرَكَّبُ والتَّعَصُّبُ فإنه يَبعُد جدًّا أن يهتديَ مَنِ اتَّصف بهما.

١٦٥٥- وَمَفاتِحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَـهُ التْـ   تَصْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّـانِ!

نعم، وَهُوَ الله عزَّ وجلَّ فمفاتِحُ الأقفال بيده -سبحانه وتعالى-، فلا تتَّجِه لسواه، ولا تعتمد عَلَى نفسِك، ولا تقُل: أنا عَلَى بصيرةٍ، فلن يُضلَّني أحدٌ، فالرسولُ -عليه الصلاة والسلام- أمَر مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّال أن ينأى عنه، فإِنَّ الرجلَ يأتيه، فيرى أنه مؤمنٌ، ولكنَّه يزيغُ بما معه من الشبهات[1].

فلا تعتمدْ عَلَى قلبك، واسأل اللهَ دائمًا الثباتَ، اسأل اللهَ أن يهديَكَ؛ ولهذا قال:

١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتْحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَـلَى الْـ   أَسْـنَانِ إِنَّ الْفَـتْحَ بِالْأَسْـنَانِ

يعني: اسألَ اللهَ دائمًا أن يفتحَ قلبَك، وأن يعينَكَ عَلَى الأعمال الصالحة التي هي أسنانُ هَذَا القفل.

ولـمَّا قيل لبعضهم[2]: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مِفْتَاحُ الجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[3]، قال: نعم، صدق الرسولُ، لكنَّ المِفْتَاحَ يحتاجُ إِلَى أسنانٍ، إن كان فيه أسنانٌ فتح، وإِلَّا فلا يفتحُ، وهذا صحيحٌ، اللهُمَّ اهدنا فيمن هديت.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) هو وهب بن منبه، كما في تخريج الحديث بعده.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

فصل

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْـرِينَ وَجْـ ـهًا وَهْـوَ أَقْرَبُهَـا إِلَى الْأَذْهَـانِ

١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ طُـرُقَ الْأَدِلَّـةِ فِي أَتَـمِّ بَيَـانِ

١٦٥٩- وَالـنَّظْمُ يَمْنَعُنِـي مِـنَ اسْـتِيفَائِهَا وَسِـيَاقَةِ الْأَلْفَـاظِ بِالْـمِيزَانِ

١٦٦٠- فَأُشِـيرُ بَعْـضَ إِشَـارَةٍ لِـمَوَاضِعٍ مِنْهَا وَأَيْـنَ الْبَحْـرُ مِـنْ خُلْجَانِ؟

١٦٦١- فَـاذْكُرْ نُصُـوصَ الْإِسْـتِوَاءِ فَإِنَّهَـا فِي سَـبْعِ آيَـاتٍ مِـنَ الْقُـرْآنِ

١٦٦٢- وَاذْكُرْ نُصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَلَا ثٍ قَـدْ غَـدَتْ مَعْلُومَـةَ التِّبْيَـانِ

١٦٦٣- وَاذْكُـرْ نُصُـوصَ عُلُـوِّهِ فِي خَمْسَـةٍ مَعْلُومَـةٍ بَرِئَـتْ مِـنَ النُّقْصَـانِ

الشـرحُ

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْـرِينَ وَجْـ ـهًا وَهْـوَ أَقْرَبُهَـا إِلَى الْأَذْهَـانِ

١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ طُـرُقَ الْأَدِلَّـةِ فِي أَتَـمِّ بَيَـانِ

١٦٥٩- وَالـنَّظْمُ يَمْنَعُنِـي مِـنَ اسْـتِيفَائِهَا وَسِـيَاقَةِ الْأَلْفَـاظِ بِالْـمِيزَانِ

١٦٦٠- فَأُشِـيرُ بَعْـضَ إِشَـارَةٍ لِـمَوَاضِعٍ مِنْهَا وَأَيْـنَ الْبَحْـرُ مِـنْ خُلْجَانِ؟

فِي هَذَا الفصلِ يقولُ المؤلفُ -رحمه الله-: خاتمُ العشرين أن تُذْكَرَ النصوصُ الدالةُ عَلَى عُلُوِّ الله، وهي أنواعٌ متنوعةٌ، وليست نوعًا واحدًا، لكنَّ

المؤلفَ اعتذر عن سياقِها بلفظها؛ لأنَّ النَّظمَ يمنعُه، ولا يمكنُه أن يأتيَ بالآيات الكريمة عَلَى حسب ميزان النَّظم؛ لأن النَّظمَ كما قَالَ الحريريُّ -رحمه الله-[1]:

وَجَـائِزٌ فِي صَـنْعَةِ الشِّـعْرِ الصَّـلِفْ ... أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَـا لَا يَنْصَـرِفْ

فالشِّعْر صَلِفٌ، لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتحكَّمَ فيه، ولذا فإنَّه يشيرُ بعضَ إشارةٍ لمواضع منها.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلْجَانِ» أيهما أعظم؟

الجَوَابُ: البحرُ أعظمُ من الخليج لا شكَّ.

١٦٦١- فَـاذْكُرْ نُصُـوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَـا ... فِي سَـبْعِ آيَـاتٍ مِـنَ الْقُـرْآنِ

هذا نوعٌ من أنواع أدلة العلوِّ، وَهُوَ الِاسْتِوَاءُ، فإنَّ اللهَ قد صرَّحَ أنه -سبحانه- اسْتَوَى عَلَى عرشه في سبع آياتٍ من الْقُرْآن، وهي معلومةٌ، وقد سبق ذِكرُها.

١٦٦٢- وَاذْكُرْ نُصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَـلَا ... ثٍ قَـدْ غَـدَتْ مَعْلُومَـةَ التِّبْيَـانِ

هذا نوعٌ آخر، وَهُوَ التَّصريحُ بذكر الفوقيَّة في ثلاث آيات: في سورة الأنعام آيتان قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١]، وفي النحل قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

١٦٦٣- وَاذْكُـرْ نُصُـوصَ عُلُـوِّهِ فِي خَمْسَـةٍ ... مَعْلُومَـةٍ بَرِئَـتْ مِـنَ النُّقْصَـانِ

قَوْلُهُ: «وَاذْكُرْ نُصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةٍ» وهي قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَهُوَ

(١) انظر: ملحة الإعراب (ص:٧٢).

﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] من آية الكرسيِّ ومن سورة الشورى أيضًا [الشورى:٤].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣] وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩]، وقوله تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]، فهذه خمسةٌ.

***

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ ... تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْـ ... ـإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَوْنَ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ ... وَعُلُوَّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ ... زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

١٦٦٨- وَاذْكُرْ نُصُوصًا ضُمِّنَتْ رَفْعًا وَمِعْـ ... ـرَاجًا وَإِصْعَادًا إِلَى الدَّيَّانِ

١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْـ ... ـحُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ

١٦٧٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ الَّتِي ... تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النِّيرَانِ

١٦٧١- نَصَّانِ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ ... عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ

الشرح

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ ... تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْـ ... ـإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَـوْنَ الْكِتَـابِ كَلَامَـهُ سُـبْحَانَهُ وَعُلُـوَّهُ مِـنْ فَـوْقِ كُـلِّ مَكَـانِ

١٦٦٧- وَعِـدَادُهَا سَـبْعُونَ حِـينَ تُعَـدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْـحُسْبَانِ

هذه أيضًا ثلاثُة أنواعٍ، وقد سبق الِاسْتِوَاءُ، والفوقيَّةُ، والعُلُوّ.

الرابع: كونُ الْقُرْآن تنزيلًا من عند الله، وهذا في آياتٍ كثيرةٍ بلغت سبعينَ آيةً أو تزيدُ، أنَّ الْقُرْآنَ تنزيلٌ من عند الله، وهذا كما قَالَ المؤلفُ تضمَّنت أَصْلَيْنِ قام عليهما الإسلامُ والإيمانُ كالبنيانِ، وهما:

الأصلُ الأول: كونُ الكتابِ كلامَه سبحانه، فإنَّ الْقُرْآنَ نزل من عند الله، والْقُرْآنُ كلامٌ، والكلامُ صفةُ المتكلِّم، فإذا كان الكلامُ نزل مِن عنده وَهُوَ صفتُه لزم أن يكونَ اللهُ فوقًا؛ لأنه إذا كان صفتَه، وقد نزل من فوق لزم أن يكونَ الموصوفُ فوقًا.

الأصلُ الثاني: أنَّ الْقُرْآنَ كلامُه غيرُ مخلوق؛ لأنَّ الْقُرْآنَ صفةٌ، إذ هُوَ كلامٌ، والكلامُ لا يقومُ إِلَّا بمتكلِّم، فالْقُرْآنُ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنه صفةُ الله.

فتضمَّن ذكرُ تنزيلِ الْقُرْآن من عند الله أمرين:

الأمر الأول: علوُّ الله عزَّ وجلَّ لأنَّ النزولَ يكونُ من أعلى.

الأمر الثاني: أنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله، لا كلامَ غيره؛ لأنه نزل منه، وَهُوَ صفةٌ، فلزم أن يكونَ كلامَ الله.

ثُمَّ ذكر النوعَ الخامس فقَالَ:

١٦٦٨- وَاذْكُرْ نُصُوصًا ضُمِّنَتْ رَفْعًا وَمِعْـ ـرَاجًا وَإِصْـعَادًا إِلَى الـدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «ضُمِّنَتْ رَفْعًا» قَالَ الله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقال عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨].

قَوْلُهُ: «وَمِعْرَاجًا» كما في قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤].

قَوْلُهُ: «وَإِصْعَادًا» الإصعادُ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

١٦٦٩- هِـيَ خَمْسَـةٌ مَعْلُومَـةٌ بِالْعَـدِّ وَالْـ ـــحُسْبَانِ فَاطْلُبْهَـا مِـنَ الْقُـرْآنِ

إِذَنْ الصعودُ يستلزمُ أن يكونَ المصعودُ إليه عاليًا، والعروجُ كذلك، والرَّفْعُ كذلك، وهذا هُوَ النوعُ الخامسُ من الأدلة.

النوعُ السادس: أنَّ اللهَ في السَّماء، وهذا جَاءَ في سورة الملك، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦] ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك:١٧]؛ ولهذا قال:

١٦٧٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْـمُلْكِ الَّتِي تُنْجِـي لِقَارِئِهَـا مِـنَ النِّـيرَانِ

١٦٧١- نَصَّـانِ: أَنَّ اللهَ فَـوْقَ سَـمَائِهِ عِنْـدَ الْـمُحَرِّفِ مَـا هُمَـا نَصَّـانِ

قَوْلُهُ: «نَصَّانِ» النَّصُّ يعني: الدَّلِيلَ الواضح؛ ولهذا قيل: «فيه نصٌّ» مأخوذٌ من مِنَصَّة العروس التي تجلسُ عليها ليلة الزفاف، وهي منصوبةٌ رفيعةٌ، فالنَّصُّ معناه: المعنى الظاهر للفظ، لكن عند المحرِّف ما هما نصان؛ لأنه يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مُلْكُه، وليس هو، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سلطانه، وليس هو.

ولا شكَّ أنَّ هَذَا تحريفٌ؛ لأنَّ قولَه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ضميرُ الصلة يعودُ إِلَى الله لا إِلَى غيره، فإذا قلنا: (مَنْ في السَّماء مُلْكُه) فمعناه أنَّ الصلةَ عادت إِلَى غير موصولها، فالصلةُ تعودُ إِلَى الموصول، والموصولُ هُوَ الله ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

فـ(مَنْ) اسمٌ موصولٌ يعود عَلَى الله عزَّ وجلَّ، فالذي في السَّماء ليس مُلْكَه، بل هُوَ اللهُ نفسُه، أما مُلْكُه فلله مُلكُ السَّموات والأرض، فملكُه في السَّموات وفي الأرض، وسلطانُه في السَّموات وفي الأرض.

لكنَّ المحرِّفَ -والعياذ بالله- لـمَّا طبع اللهُ عَلَى قلبه صار لا يرى الحقَّ حقًّا، بل يرى الباطلَ حقًّا، وإِلَّا فإنَّ الأمرَ واضحٌ ولله الحمد، فتكونُ هَذِهِ الآيةُ نوعًا سادسًا في الدلالة عَلَى عُلوِّ الله.

* * *

١٦٧٢- وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي ... قُلْنَا بِسَبْعٍ بَلْ أَتَى بِثَمَانِ

١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْـ ... أَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي

١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وَانْظُرْ مَا الَّذِي ... لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَّانِ

١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ ... بَادِي الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَتْ ... نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بِبَيَانِ

١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعَطِّلٍ ... مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تِبْيَانِ

١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزَّمِّلٍ ... سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُه ذُو شَانِ

١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ ... عِلْمًا بِهِ فَهْوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي

١٦٨٠- لَـمْ يَسْمَحِ الْـمُتَأَخِّرُونَ بِنَقْلِهِ   جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ

١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْـمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْـ   إِسْلَامِ هُمْ أُمَرَاءُ هَذَا الشَّانِ

١٦٨٢- وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي   «تَفْسِيرِهِ» حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ

الشـرحُ

هذا أيضًا من الأدلة عَلَى عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ وَهُوَ أنه جاءت آياتٌ متعددة في إثبات (العنديَّة)، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩] ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل:١٢]، وأمثال ذلك.

فـ(العنديَّةُ) تدلُّ عَلَى العلوِّ؛ لأنه لو لم يكن عاليًا لكان كلُّ الخلق عنده، وحينئذٍ لا يتميَّزُ القريبُ من البعيد، فالنصوصُ التي فيها إثباتُ (العنديَّة) تدلُّ عَلَى أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- عالٍ فوق عرشه.

يقولُ المؤلفُ:

١٦٧٢- وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي   قُلْنَا بِسَبْعٍ بَلْ أَتَى بِثَمَانِ

أي: في ثماني آياتٍ أو ثمانية مواضع.

١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْـ   أَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «بِسُورَةِ الْأَعْرَافِ» في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

قَوْلُهُ: «ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي» وَهُوَ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩].

١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وَانْظُرْ مَا الَّذِي لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَّانِ

التعيينُ لمن عنده يدلُّ عَلَى أنَّ سوى هؤلاء ليسوا عنده، إِذَنْ فهو -سبحانه وتعالى- عالٍ، ولولا ذلك لكان النَّاسُ كُلُّهم عنده.

١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ بَادِي الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ» كما قالت امرأةُ فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَتْ نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بِبَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَدَيْهِ فِي مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَتْ نَفْسَ الْمُرَادِ» وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل:١٢].

١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعَطِّلٍ مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تِبْيَانِ

يعني: أنَّ (لدى)، (وعند) لا يتناقضان؛ لأنك تقول: (فلانٌ لَدَيَّ، وفلانٌ عندي)، وهما سواءٌ في اللغة العربية، فلا يتناقضان.

١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزَّمِّلٍ سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُه ذُو شَانِ

١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ الشُّورَى» يعني: قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى:٥].

قَوْلُهُ: «وَفِي مُزَّمِّلٍ» يعني: قوله تعالى في سورة المزَّمِّل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل:١٨].

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهِ فَهْوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي» يعني: مَنْ يُرِدْ علمًا بهذا الشأن العظيم في سورة الشورى، وفي سورة المزَّمِّل فهو قريبٌ، فقولُه -سبحانه وتعالى-: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ فقوله: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ يدلُّ عَلَى أنَّ اللهَ تعالى فوق، فمن عظمته تكادُ السَّموات تتفطَّرُ من فوق، ولم يقل: (من تحتهن) ممَّا يدلُّ عَلَى أنَّ الَّذِي تُعظِّمُه هَذِهِ السَّموات وتكاد تتفطَّرُ مِنْهُ فوقها.

١٦٨٠- لَـمْ يَسْمَحِ الْـمُتَأَخِّرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْـمُتَأَخِّرُونَ» يعني بهم: أهلَ الكلام؛ لأنَّ أهلَ الكلام يكرهون كُلَّ نصٍّ يخالفُ بدعتَهم وما هم عليه، حتَّى قَالَ بعضُهم: (أتمنى أن أتمكنَ مِن حَكِّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]؛ لأنه إذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فهذه صفةُ نفيٍ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] صفةُ إثباتٍ)، فيقولُ: أنا أتمنى أن أتمكنَ من حَكِّ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] لماذا؟ لأنها جاءت عَلَى خلافِ مرادِه.

١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْـمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْـ إِسْلَامِ هُمْ أُمَرَاءُ هَذَا الشَّانِ

١٦٨٢- وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» حُكِيَتْ بِهِ الْقَوْلَانِ

يعني: قالوا ما دَلَّ عليه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾.

* * *

فصـــل

١٦٨٣- هَـذَا وَحَادِيهَـا وَعِشْـرِينَ الَّـذِي ... قَـدْ جَـاءَ فِي الْأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

١٦٨٤- إِتْيَـانُ رَبِّ الْعَـرْشِ جِـلَّ جَلَالُـهُ ... وَمَجِيئُـهُ لِلْفَصْـلِ بِالْـمِيزَانِ

١٦٨٥- فَانْظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْـ ... ـقُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَـانِ

١٦٨٦- إِنَّ الْـمَجِيءَ لِذَاتِـهِ لَا أَمْـرِهِ ... كَـلَّا وَلَا مَلَـكٌ عَظِـيمُ الشَّـانِ

١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَـدْ ذُكِـرَا وَبَيْـ ... ـنَهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْغُفْـرَانِ

١٦٨٨- وَاللهِ مَا احْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوى مَجِي ... ءِ الـذَّاتِ بَعْـدَ تَبَـيُّنِ الْبُرْهَـانِ

١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُولِي الْـمَعْقُولِ إِنْ ... كُنْـتُمْ ذَوِي عَقْـلٍ مَـعَ الْعِرْفَـانِ

١٦٩٠- مِـنْ فَوْقِنَـا أَوْ تَحْتِنَـا أَوْ عَـنْ شَمَا ... ئِلِنَـا وَمِـنْ خَلْـفٍ وَعَـنْ أَيْمَانِ؟

١٦٩١- وَاللهِ لَا يَـأْتِيهِمُ مِـنْ تَحْـتِهِمْ ... أَبَـدًا، تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ

١٦٩٢- كَـلَّا وَلَا مِـنْ خَلْفِهِـمْ وَأَمَـامِهِمْ ... وَعَـنِ الشَّـمَائِلِ أَوْ عَـنِ الْأَيْـمَانِ

١٦٩٣- وَاللهِ لَا يَـأْتِيهِمُ إِلَّا مِـنَ الْـ ... ـعُلْوِ الَّذِي هُـوَ فَـوْقَ كُـلِّ مَكَـانِ

الشــرحُ

المؤلفُ -رحمه الله- ذكر هنا الدَّلِيلَ الحاديَ والعشرين من الأدلة الدالة عَلَى عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ وَهُوَ ما ثبت في الْقُرْآن والسُّنَّة من أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى-

يجيءُ للفصل بين عباده يومَ القيامة، فإذا ثبت هَذَا فمن أين يجيءُ؟ هل يجيءُ من تحت؟ لا يمكن، وهل يجيء من يمينٍ، أو شمالٍ، أو خلفٍ، أو أمامٍ؟ لا يمكنُ أيضًا؛ لأنه يقتضي أن يكونَ مساويًا للمخلوق، إذَنْ لا يمكنُ إلَّا من فوق.

قال المؤلف:

١٦٨٣- هَـذَا وَحَادِيهَـا وَعِشْـرِينَ الَّـذِي ... قَـدْ جَـاءَ فِي الْأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

١٦٨٤- إتْيَـانُ رَبِّ الْعَـرْشِ جِـلَّ جَلَالُـهُ ... وَمَجِيئُـهُ لِلْفَصْـلِ بِالْـمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «وَمَجِيئُهُ لِلْفَصْلِ بِالْـمِيزَانِ» وهذا يكونُ يومَ القيامة.

١٦٨٥- فَانْظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْـ ... ـقُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ

١٦٨٦- إِنَّ الْـمَجِيءَ لِذَاتِـهِ لَا أَمْـرِهِ ... كَـلَّا وَلَا مَلَـكٌ عَظِيمُ الشَّـانِ

١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْـرَانِ قَـدْ ذُكِـرَا وَبَيْـ ... ـنَهُمَا مَجِـيءُ الـرَّبِّ ذِي الْغُفْـرَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْـمَجِيءَ» ويجوز: «أنّ المجيء».

وهذا في قولِه تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١-٢٢] فهنا لا يستقيمُ أن يُقَالَ: (جاء أمرُ ربِّك)، ولا (جاء مَلَكٌ من الملائكة)؛ لأنَّ الملائكةَ قد ذُكِرتْ.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] وهذا تقسيمٌ وتنويعٌ واضحٌ أنَّ المرادَ إتيانُ الله -سبحانه وتعالى- بنفسِه، فإذا كان يأتي فيقول:

١٦٨٨- وَاللهِ مَا احْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوى مَجِي ... ءِ الـذَّاتِ بَعْـدَ تَبَـيُّنِ الْبُرْهَـانِ

ثُمَّ قَالَ -رحمه الله-:

١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُولِي الْـمَعْقُولِ إِنْ ... كُنْـتُمْ ذَوِي عَقْـلٍ مَـعَ الْعِرْفَـانِ

١٦٩٠- مِـنْ فَوْقِنِـا أَوْ تَحْتِنَـا أَوْ عَـنْ شَـمَا ... ئِلِنَـا وَمِـنْ خَلْـفٍ وَعَـنْ أَيْـمَانِ؟

١٦٩١- وَاللهِ لَا يَـأْتِيهِمُ مِـنْ تَحْـتِهِمْ ... أَبَـدًا، تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ

١٦٩٢- كَـلَّا وَلَا مِـنْ خَلْفِهِـمْ وَأَمَـامِهِمْ ... وَعَـنِ الشَّـمَائِلِ أَوْ عَـنِ الْأَيْـمَانِ

١٦٩٣- وَاللهِ لَا يَـأْتِيهِمُ إِلَّا مِـنَ الْـ ... ـعُلْوِ الَّذِي هُـوَ فَـوْقَ كُـلِّ مَكَـانِ

وهذا واضحٌ.

* * *

فصل

فِي الإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ

١٦٩٤- وَاذْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ ... كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا ... كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الإِحْسَانِ

١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضْعٌ عَلَى الْـ ... ـعَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الأَرْكَانِ

١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسبِقُ رَحْمَتِي ... غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي

١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ ... نَحْوَ السَّمَاءِ بِأُصْبُعٍ وَبَنَانِ

١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

١٧٠٠- أَتُرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا ... أَمْ لِلَّذِي هُوَ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ؟

١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقْيَةِ الْمَرْضَى عَنِ الْـ ... ـهَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تِبْيَانِ

١٧٠٢- نَصٌّ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ ... فَاسْمَعْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ الأُذُنَانِ

١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى خَبَرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْـ ... عَبَّاسُ صِنْوُ أَبِيهِ ذُو الإِحْسَانِ

١٧٠٤- أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِن فَوْقِهَا الْـ ... ـكُرْسِي عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ

١٧٠٥- وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ ... فَانْظُرْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ

١٧٠٦- وَاذْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الثْـ ... ـثِقَةِ الرِّضَى أَعْنِي: أَبَا عِمْرَانِ

١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي ... وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانِ

١٧٠٨- فَأَقَرَّهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ: ... أَنْتَ الْمُجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانِ

١٧٠٩- حَيَّزْتَ بَلْ جَهَّيْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَلْ ... جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ

١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا ... قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانِ

١٧١١- فَاللهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ ومِنْ ... أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

١٧١٢- وَاذْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبْـ ... ـبِي فِي السَّمَا بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ

١٧١٣- وَشَهَادَةِ العَدْلِ الْمُعَطِّلِ لِلَّذِي ... قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنَّنِي ... لأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِن أَتْبَاعِ جَهْمٍ صَاحِبِ ... التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

الشرحُ

هذه المقطوعةُ أشار المؤلفُ -رحمه الله- فيها إِلَى أحاديثَ متعددة فقال:

١٦٩٤- وَاذْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ ... كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا ... كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الإِحْسَانِ

١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضْعٌ عَلَى الْـ ... ـعَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الأَرْكَانِ

١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي ... غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي

قَوْلُهُ: «وَاذْكُرْ حَدِيثًا...» هَذَا حديثٌ أخبر به النَّبِيُّ ﷺ عن ربِّه تعالى أنه سبحانه وبحمده لـمَّا قَضَى الخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

غَضَبِي»[(١)]، فقوله: «عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ» يدلُّ عَلَى العلوِّ، وأنَّ اللهَ تعالى فوقَ كُلِّ شيءٍ، وإلَّا لكان هَذَا الكتابُ وغيرُه عَلَى حدٍّ سواء.

١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ ... نَحْوَ السَّمَاءِ بِأُصْبُعٍ وَبَنَانِ

١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

١٧٠٠- أَتُرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا ... أَمْ لِلَّذِي هُوَ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ؟

يشيرُ المؤلفُ -رحمه الله- بِهَذِهِ الأبيات إِلَى ما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ لَـهُمْ: «هَلْ بَلَّغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» يَرْفَعُ أَصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ[(٢)]، فهل النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- يستشهدُ السَّماءَ، أو يستشهدُ مَنْ فوقَ السَّماء؟

الجَوَابُ: الثاني بلا شكٍّ؛ ولهذا قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ولم يقل: «يَا سَمَاءُ اشْهَدِي» وهذا شيءٌ معلومٌ، عَلِمَهُ كُلُّ الصحابة الذين سمعوا خطبةَ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقْيَةِ المَرْضَى عَنِ الْـ ... ـهَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تِبْيَانِ

١٧٠٢- نَصٌّ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ ... فَاسْمَعْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ الأُذُنَانِ

وهذا في رقية المريض، حيث كان يقولُ ﷺ وَهُوَ يرقي المرضى: «رَبُّنَا اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٥)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩) واللفظ له.

الَّذي فِي السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ كَما رَحْمَتُكَ فِي السَّماءِ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا، وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ فَيَبْرَأ»[(١)].

الشاهد قوله: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّماءِ»، فإنه صريحٌ بِأَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- في السَّماء.

١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى خَبَرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْـ ... عَبَّاسُ صِنْوُ أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ

١٧٠٤- أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِن فَوْقِهَا الْـ ... ـكُرْسِي عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ

١٧٠٥- وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ ... فَانْظُرْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «خَبَرٌ» أي: حديث.

قَوْلُهُ: «فَانْظُرْهُ» يعني: انظر الحديثَ إن سمحت لك العينان.

وهذا حديثٌ رواه العبَّاسُ عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ السَّمواتِ السَّبْعِ بَيْنَهَا مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا» وَذَكَرَها، «وأَنَّ الكُرْسِيَّ فَوْقَ ذَلِكَ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الكُرْسِيِّ، وأَنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ العَرْشِ يَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ»[(٢)]، فهذا حديثٌ دَلَّ عَلَى العلوِّ.

١٧٠٦- وَاذْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الثِّـ ... ـقَةِ الرِّضى أَعْنِي: أَبَا عِمْرَانِ

١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي ... وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانِ

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الحاقة، رقم (٣٣٢٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

١٧٠٨- فَأَقَرَّهُ الْـهَادِي الْبَشِيرُ وَلَـمْ يَقُـلْ: أَنْـتَ الْـمُجَسِّمُ قَائِـلٌ بِمَكَـانِ

عمران بن حصين معروفٌ مشهورٌ، وأبوه «حُصَيْن» سأله النَّبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «كم إلـهًا تَعْبُدُ» قَالَ: أَعْبُدُ سَبْعَةَ آلِهَةٍ: وَاحِدًا في السَّماء، وَسِتَّةً فِي الأَرْضِ، قَالَ: «مَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ» قال: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَاعْبُدِ الذِي فِي السَّمَاءِ»[1] فأقرَّه عَلَى قوله: «فِي السَّماء».

وأمَّا أهلُ التعطيل الذين يُنكرونَ العلوَّ فيقولون: مَنْ قال: إنَّ اللهَ في السَّماء فهو مُجَسِّمٌ.

١٧٠٩- حَيَّزْتَ بَلْ جَهَّيْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَـلْ جَسَّـمْتَ لَسْـتَ بِعَـارِفِ الـرَّحْمَنِ

يعني: هم يقولون فيمن قال: إنَّ اللهَ تعالى في السَّماء: (حَيَّزت) أي: جعلتَ الله تعالى في حَيِّزٍ، وهذا نقصٌ في حقِّ الله؛ لأنَّ اللهَ وسِعَ كُرسيُّه السَّموات والأرض؛ فيقولون: هؤلاء محيِّزةٌ، أي: القائلون: إنَّ اللهَ في حَيِّزٍ تحوزه المخلوقاتُ.

نحن نقول لهم: كلمة (حَيِّز) لم تَرِدْ لا في الْقُرْآن ولا في السُّنَّة، لا نفيًا ولا إثباتًا، فأنتم لا تلزمونا لا بنفيها ولا بإثباتها، ومع ذلك نحن نتنزَّلُ معكم، ونقول: ماذا تريدون بالحيِّز الَّذِي شوَّهتم به سمعتنا؟ هل تريدون بالحيِّز أنَّ اللهَ منحازٌ عن المخلوقات بائِنٌ منها؟ فنحن نقول به، هل تريدون بالحيِّز أنَّ اللهَ تعالى منحازٌ في المخلوقات، يعني: أنها تحوزه وتُحيط به؟ فنحن لا نقولُ به.

وحينئذٍ نقول: لَنَا نظران في الحيِّز.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٤/ ٧٢١، رقم ١١٨٤).

أولًا: من جهة لفظه، فالواجبُ علينا أن لا نثبتَه ولا ننفيَه؛ لأنه لم يَرِدْ إثباتُه ولا نفيُه.

ثانيًا: من جهة معناه: فإن أردت أنَّ اللهَ في حيِّزٍ يحوزه، فهذا قولٌ منكر، ولا نقول به، وإن أردت أنَّ اللهَ منحازٌ عن المخلوقات بائِنٌ منها ليس حالًّا فيها، فهذا حقٌّ.

قَوْلُهُ: «**بَلْ جَهَّيْتَ**» يعني: قلتَ: إِنَّ اللهَ في جهة -ويا ويل مَنْ قال: إِنَّ اللهَ في جهة- مع أنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- قال: «**أَيْنَ اللهُ؟**» و(**أَيْنَ**) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان، لكن هم يقولون: أيُّ إنسانٍ يُثبتُ العلوَّ لله فهو مُثبتٌ للجهة.

نقول في الجهة كما قلنا في الحيِّز تمامًا، فبالنسبة للفظ لا ننفيه ولا نثبته، فلا نقولُ: اللهُ في جهةٍ ولا في غيرِ جهة، هَذَا لا تلزمونا به؛ لأنَّ اللهَ لم يثبتْه لنفسه، ولا نفاه عن نفسه، ونحن في غنًى عن الكلام فيه.

لكن تنزُّلًا معك نقولُ: إِن أردتَ جهةً تُحيطُ بالله فهذا مُنْكَرٌ ولا نقولُ به، وإن أردتَ أنَّ اللهَ في العلوِّ، فالعلوُّ عدمٌ، يعني: لا يوجدُ شيءٌ يحيطُ بالله، فليس فَوْقَ العالَمَ إِلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ، فإذا أردتَ أنَّ اللهَ في جهة، أي: في جهة العلوِّ الَّذِي لا يُحيط به شيءٌ من مخلوقاتِه فهذا حقيقةٌ نوافقُكَ عليها، وهذا باعتبار المعنى.

أمَّا في اللفظ فليس علينا، بل وليس لَنَا أن نثبتَه أو ننفيَه؛ لأنه لم يَرِدْ إثباتُه ولا نفيُه.

قَوْلُهُ: «**بَلْ شَبَّهْتَ**» شَبَّهت يعني: إذا قلتَ: إِنَّ اللهَ في العلوِّ فأنت مُشَبِّهٌ؛ لأنَّ العلوَّ الذاتيَّ لا يقومُ إِلَّا بجسمٍ، والأجسامُ متماثلةٌ.

هنا نقول: لا نوافقُكم عَلَى هذا، نحن لا ننفي التشبيهَ المطلقَ ولا نثبتُه؛ لأنَّ التشبيهَ المطلقَ لم يَقُل به أحدٌ من النَّاس أبدًا حتَّى الكُفَّار ما يقولون به، فالتشبيهُ

المطلقُ معناه: التساوي من كُلِّ وجه، وهذا لا أحدَ يقولُ به، يعني: لا أحدَ من الناس قال: إِنَّ الخالقَ مشابهٌ للمخلوق من كُلِّ وجه، حتَّى المجوس الثنويَّة الذين يقولون: (إنَّ للعالَمَ خالِقَيْن) لا يقولون بتساويهما، أي: بتساوي هَذَيْنِ الخالِقَيْن، ماذا يقول المجوس؟

يقولون: إِنَّ الخيرَ يخلقُه النَّور، والشَّرَّ تخلقُه الظلمةُ؛ لأَنَّ الشَّرَّ عدمٌ، والظلمةَ عدمُ نورٍ، والنَّور وجود، والخير وجود، لكن مع ذلك لا يقولون: إِنَّ الظلمةَ والنورَ سواء، يقول بعضهم: النورُ قديمٌ، والظلمةُ حادثةٌ، إِذَنْ لا تساوي، النور لا شكَّ أنه أمرٌ مرغوب والظلمةُ مكروهةٌ، إِذَنْ لا تساوي، النور يُنتجُ الخيرَ، والظلمةُ تُنتج الشَّرَّ، فلا يتساويان في آثارهما وتأثيرهما.

إِذَنْ لم يَقُل أحدٌ من الخَلق: إِنَّ الخالقَ والمخلوقَ متشابهان من كُلِّ وجهٍ تشابهًا مطلقًا.

وإن أردتم بالتشبيه الاشتراك في أصل المعنى فهذا حَقٌّ، فالخالق والمخلوق بينهما اشتراكٌ في أصل المعنى في الصِّفَات، فـ(الحَيَاة) في الأصل معنى مشترك، (السَّمع) في الأصل معنى مشترك، لكن فرقٌ بين حياة الخالق وحياة المخلوق، وفرقٌ بين سمع الخالق وسمع المخلوق، حينئذٍ رميُكم إِيَّانا بالمُشَبِّهَة غيرُ مقبولٍ، فهذه دعوى منكم.

قَوْلُهُ: «بَلْ جَسَّمْتَ» يعني: قلت: إِنَّ اللهَ جسمٌ، الَّذِي يثبتُ لله صفةً يقول: هُوَ مُجَسِّمٌ، فإذا قلتَ: (إِنَّ لله يدين) قالوا: هَذَا تجسيمٌ، (لله وجهٌ) قالوا: هَذَا مُجَسِّم هَذَا تجسيمٌ.

فنقول لهم: أَوَّلًا ليس لكم أن تلزمونا بالقول بالجسم أو بنفيه؛ لأنه لم يَرِدْ

نفيًا ولا إثباتًا، وليس علينا، بل ولا لَنَا أن نثبتَ أو ننفيَ، لكن في المعنى نقول: ماذا تريدون بالجسم الَّذِي شوَّهتمونا به؟ هل تريدون أن نقولَ: إنَّ اللهَ جسمٌ مشابهٌ للأجسام، أي: مُرَكَّبٌ من عظم، وعصب، ولحم، ودم؟ فهذا مُنْكَرٌ، ولا نقول به، أو تريدون بأنَّ اللهَ جسمٌ، تريدون به أنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالصِّفَات وقابلٌ للصفات فهذا حَقٌّ لا شَكَّ، فهو -سبحانه وتعالى- موصوفٌ بالصِّفَات: يستوي عَلَى العرش، وينزلُ، ويأخذ بيده عزَّ وجلَّ، ويضحكُ، وله وجهٌ، وله يدٌ، وله عينان، فهذا حَقٌّ، ونقولُ به، وما الَّذِي يضرنا من هذا؟!

فإذن هم -والعياذ بالله- يشوِّهون مذهبَ أهل السُّنَّة بمثل هَذِهِ الكلمات؛ لأنَّ اللهَ تعالى لـمَّا أرسل الرسلَ جعل أعداءَهم ينابذونهم بهَذِهِ الزخارف من القول، ففي سورة الأنعام يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرْقَان:٣١]، ولاحِظوا أنَّ عدوَّ الرسول عدوٌّ لأتباع الرسول، فالمشركون في عهد الرسول أعداءٌ له، وكذلك مَنْ خالفوا هديَه إِلَى يومنا هَذَا هم أعداءٌ لنا، يقولون مثل ما قَالَ الأوَّلون.

قَوْلُهُ: «لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ» إِذَنْ من العارف عَلَى زعمهم؟

الجَوَابُ: هم العارفون، هم الذين يعرفون اللهَ، وأنه لا يُوصَفُ بصفةِ كمالٍ، هَذَا معرفتُهم لربِّهم، يعني: لا يسمعُ، ولا يُبصرُ، ولا يتكلَّمُ، ولا يُحِبُّ، ولا يكرهُ، ولا يرضى، هل الَّذِي يصفُ اللهَ بهذا النَّفي عارفٌ لله؟! أبدًا والله، بل هُوَ أجهلُ الخَلق بالله.

١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا ... قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانِ

قَوْلُهُ: «أَبُو عِمْرَانِ» أي: حُصَين بن المنذر.

١٧١١- فَاللهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ ومِنْ ... أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَاللهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ» هَذَا يجوز أن يكون خبرًا، ويجوز أن يكون دعاءً من المؤلف، يعني: يسألُ اللهَ أن يأخذ حقَّه من هؤلاء، أو أنه يُخبرُ بأنَّ اللهَ سوف يأخذُ حقَّه منهم، والمعنيان متلازمان.

١٧١٢- وَاذْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبْـ ... ـبِي فِي السَّمَا بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ

ويعني بذلك: الجاريةَ التي سألها النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّماءِ، فقال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[1].

١٧١٣- وَشَهَادَةِ العَدْلِ الْمُعَطِّلِ لِلَّذِي ... قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

اللهُ المستعانُ، النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وعند المعطِّل الَّذِي يقول: إنَّ اللهَ في السَّماء، يقول: لا تعتقْه، فإنه كافرٌ.

فهؤلاء يشهدون بالكفر لمن أقرَّ بأنَّ اللهَ في السَّماء، والنَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- شَهِدَ بالإيمان لمن أقرَّ بأنَّ اللهَ في السَّماء.

١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنَّنِي ... لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ» يعني: هل تحكمُ عَلَى مَنْ قال: إنَّ اللهَ في السَّماء بالإيمان أو بالكفر؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

الجَوَابُ: بالإيمان كما حكم الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وَإِنَّنِي لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شِاهِدَ الْبُطْلَانِ» متى تقبله؟ قال:

١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِن أَتْبَاعِ جَهْمٍ صَاحِبِ ... التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

إِذَنْ سوف تَقْبَلُ مَنْ حكم عَلَى مَنْ قَالَ بأَنَّ اللهَ في السَّماء بالكفر إذا كنت من أتباع جَهْم، وبالإيمان إذا كنت من أتباع محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

* * *

١٧١٦- واذْكُرْ حديثًا لابنِ إسحاقَ الرِّضَى ... ذاكَ الصَّدُوقُ الحَافِظُ الرَّبَّانِي

١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهم يَسْتَشْفِعُو ... نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ المَنَّان

١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ المُخْتَارُ ذاكَ وقال: شَأْ ... نُ الله رَبِّ العَرشِ أَعْظَمُ شَان

١٧١٩- اللهُ فَوْقَ العَرْشِ فَوْقَ سَمائِه ... سُبْحانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطان!

١٧٢٠- وَلِعَرْشِه منهُ أَطِيطٌ مِثلَ مَا ... قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّاكِبِ العَجْلَان

١٧٢١- لله مَا لَقِيَ ابنُ إسحاقٍ مِنَ الـ ... ـجَهْمِيِّ إِذْ يَرْمِيهِ بِالعُدْوَان

١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدَحُهُ إذا كانَ الذي ... يَرْوِي يُوافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّان

١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمُ أَمْثَالَ ذا ... فالحُكْمُ لله العَلِيِّ الشَّان

١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لا التَّطْفِيفُ في ... ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَان

الشرحُ

١٧١٦- واذْكُرْ حديثًا لابنِ إسحاقَ الرِّضَى ... ذاكَ الصَّدُوقُ الحافظُ الرَّبَّانِي

١٧١٧- فِي قِصَّـة اسْتِسْـقَائِهِم يَسْتَشْـفِعُو نَ إِلَى الرَّسُـولِ بِرَبِّـهِ الـمَنَّان

١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ الـمُخْتَارُ ذاكَ وقال: شَأْ نُ الله رَبِّ العَـرشِ أَعْظَـمُ شَـان

١٧١٩- اللهُ فَـوْقَ العَـرْشِ فَـوْقَ سَـائِه سُبْحانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطان!

١٧٢٠- وَلِعَرْشِـه منـهُ أَطِـيطٌ مِثْـلَ مَـا قَـدْ أَطَّ رَحْـلُ الرَّاكِـبِ العَجْـلَان

أشار المؤلفُ أيضًا إِلَى حديثٍ رُوي من طريق ابنِ إسحاقَ، ووصف ابنُ القيِّمِ ابنَ إسحاقَ بأنه صدوقٌ حافظٌ رَبَّاني.

والمعروف أنَّ ابنَ إسحاقَ -رحمه الله- من المدلِّسين، وأنه إذا لم يُصَرِّحْ بالتحديث فحديثُه مُدَلَّسٌ ضعيفٌ، وإنْ صَرَّحَ بالتحديث فاختلف العلماء فيه: فمنهم مَنْ ضَعَّفَ الرجلَ، وقال: إنه لا يُحْتَجُّ به عَلَى أنهم يحتجُّون به في التاريخ والأخبار، ومنهم مَنْ قال: إنَّ حديثَه حسنٌ مُحْتَجٌّ به، ومنهم مَنْ قال: بل هُوَ ثقةٌ إذا صَرَّحَ بالتحديث.

فللعلماء فيه ثلاثةُ أقوالٍ فيما إذا صَرَّح بالتحديث: ثقةٌ مقبولٌ، حديثُه حسنٌ، الثالث: ضعيفٌ.

أمَّا إذا لم يُصَرِّح بالتحديث فإنه -رحمه الله- ممَّن عُرِف بالتدليس، والمدلِّسُ إذا عنعن يكون حديثُه غيرَ متصلٍ، يعني: ضعيفًا.

على كُلِّ حالٍ أشار المؤلفُ إِلَى حديث أنَّ رجلًا جَاءَ يَسْتَسْقِي بالنَّبِيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقولُ: «إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى الله، وَنَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ»[1].

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٦).

فذكر الأعرابيُّ جملتين: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى الله»، «وَنَسْتَشفِعُ بالله عَلَيْكَ»، الجملةُ الأولى صحيحةٌ، والجملةُ الثانيةُ خطأٌ عظيمٌ؛ ولهذا سَبَّح النَّبِيُّ ﷺ أي: جعل يُسَبِّحُ سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! حتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَـهَكَذَا»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ القُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ -أي: العَرْشِ- لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»[1].

الأطيط: الصَّرير، والرَّحْل: ما يُشَدُّ عَلَى البعير، فتجدُ البعيرَ إذا كان مُحَمَّلًا يكون للرَّحل صريرٌ يصرصرُ.

وهذا الحديثُ ضَعَّفه أكثرُ أهلِ العلم، لكن لَعَلَّ ابن القيِّم -رحمه الله- صحَّحَه لشواهده.

على كُلِّ حالٍ نقولُ: إنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يقولَ: «إني أستشفعُ بالله عليك» لماذا؟ لأنَّ الشافعَ منزلتُه دونَ المشفوع إليه؛ لأنه لو كانت منزلتُه أعلى لكان يأمرُ، ولا يشفعُ، فإذا قلت: «أستشفعُ بالله عليك» فقد جعلتَ مرتبةَ الله -جلَّ وعلا- دون مرتبة المشفوع عنده، وهذا شيءٌ عظيمٌ؛ ولهذا قَالَ الرسول: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» لكن إذا قلتَ: «أَسْتَشْفِعُ بك عَلَى الله»، وكان حيًّا يقدرُ أن يدعوَ لك، فهذا لا بأسَ به، قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[2] يعني: جَعَلَهم شفعاءَ.

---

(١) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٤٦، رقم ٧٩٦٦) قال الهيثمي (١٠/ ٣٩٨): فيه جعفر بن الزبير وهو متروك. والحاكم (٢/ ٤٠٢، رقم ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

وهذا ممَّا يدلُّ أيضًا عَلَى العلوِّ.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ» أي: استعظم كونهم يستشفعون بالله إِلَى الرسول.

ثُمَّ قال:

١٧٢١- لله مَا لَقِيَ ابنُ إسحاقٍ مِنَ الـ ... ـجَهْمِيِّ إِذْ يَرْمِيهِ بِالعُدْوَان

١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدَحُهُ إذا كانَ الذي ... يَرْوِي يُوافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّان

يقول: إِنَّ ابنَ إسحاقَ إذا روى ما يخالفُ مذهبَ المعطِّل رماه بالقدح والسَّبِّ والشَّتم، وإذا روى ما يوافِقُه قال: هَذَا هُوَ الرجلُ الثقةُ العدلُ الثَّبْتُ؛ لأنه يوافقُ هواه، فيقول ابنُ القيِّم:

١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمُ أَمْثَالَ ذا ... فالحُكْمُ لله العَلِيِّ الشَّان

١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لا التَّطْفِيفُ في ... ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَان

قال اللهُ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:١-٣].

فالذي لا يقبلُ الحقَّ إِلَّا إذا وافقَ هواه وَيَرُدُّه إذا خالفَ هواه، هَذَا مُطَفِّفٌ، هَذَا أعظمُ من تطفيف الكيل، والوزن، والذرع.

***

١٧٢٥- وَاذْكُرْ حَدِيثَ نُزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى ... فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي

١٧٢٦- فَنُزُولُ رَبٍّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ ... فِي العَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي القُرْآنِ

١٧٢٧- وَاذْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةٍ   فِي شَأْنِ جَارِيَةٍ لَدَى الغَشَيَانِ

١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ الله فَوْ   قَ الْمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ

١٧٢٩- وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ   سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْيِ ذِي البُهْتَانِ

١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «اسْتِيعَابِهِ»   هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلَا نُكْرَانِ

الشَّرحُ

هذان أيضًا حديثان ذكرهما المؤلفُ، الأوَّل: حديثُ النزول إِلَى السَّماء الدنيا في نصف الليل[1]، والنزول عقلًا لا يكون إِلَّا من أعلى؛ لأنه لا يمكنُ أن يُقَالَ: «نزل» إِلَّا إذا كان عاليًا.

يقول:

١٧٢٥- وَاذْكُرْ حَدِيثَ نُزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى   فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي

١٧٢٦- فَنُزُولُ رَبٍّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ   فِي العَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي القُرْآنِ

قَوْلُهُ: «نِصْفَ الدُّجَى» يعني: نصفَ الليل، لا يمكنُ أن ينزلَ إِلَّا من أعلى، ولكن يجبُ أن نعلمَ أنَّ نزولَ الله من السَّماء الدنيا لا يعني: أنه يزولُ وصفُه بالعُلُوِّ، فهو عزَّ وجلَّ نازلٌ عالٍ؛ لأنَّ اللهَ ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

ولكن هل يخلو مِنْهُ العرشُ؛ لأنَّ الِاسْتِوَاءَ ليس صفةً ذاتيَّة أو لا يخلو مِنْهُ العرشُ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

في هَذَا ثلاثةُ أقوالٍ لأهل العلم:

القول الأول: يخلو مِنْهُ العرشُ.

القول الثاني: لا يخلو مِنْهُ العرشُ.

القول الثالث: التوقف.

فلدينا مسألتان:

المسألة الأولى: هل إذا نزل ينتفي عنه العلوُّ؟ الجواب: لا، لا يمكنُ؛ لأنَّ العلوَّ صفةُ ذاتٍ، والصفةُ الذاتيَّةُ لازمةٌ، لا ينفكُّ اللهُ عنها.

المسألة الثانية: هل يخلو مِنْهُ العرشُ؛ لأنَّ الاِسْتِوَاءَ عَلَى العرش صفةُ فعلٍ يفعلُها متى شاء؟ نقول: في المسألة ثلاثةُ أقوال للعلماء: فمنهم مَنْ قال: نعم يخلو مِنْهُ العرشُ، ومنهم مَنْ قال: لا، وهذا الثاني اختيارُ شيخِ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه لا يخلو مِنْهُ العرش، والله عَلَى كُلِّ شيءٍ قدير، يكون نازلًا إِلَى السَّماء الدنيا وَهُوَ عَلَى عرشه؛ لأنَّ اللهَ لا يُشْبِهُه شيءٌ، ومنهم مَنْ قال: بل نتوقَّفُ أو نسكت.

والصوابُ عندي: أننا نسكتُ، ولا نتكلَّم بهذا إطلاقًا؛ لأنَّ هَذَا لو كان التفصيلُ فيه خيرٌ لكان الصحابةُ أوَّلَ مَنْ يسألُ الرسولَ ﷺ، فالصوابُ أن نسكتَ عن هذا، ونُعرِضَ عنه.

١٧٢٧- وَاذْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةٍ	فِي شَأْنِ جَارِيَةٍ لَدَى الغَشَيَانِ
١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ الله فَوْ	قَ الْمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
١٧٢٩- وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ	سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْيِ ذِي الْبُهْتَانِ

حديثُ ابن رواحةَ[١] هُوَ أنَّ عبدَ الله بن رواحة عنده جاريةٌ، فدخلت عليه امرأتُه، فأخذت السِّكِّينَ؛ لأنها غارت، كَيْفَ تجامعُ الجارية؟! فغارت منها فقال: عَلَى مهلك، أَتُحِبين أن أقرأ عليك؟ والمعروف أنَّ الجنبَ لا يقرأُ الْقُرْآنَ، قالت: نعم، اقرأ، فقال:

شَــهِدْتُ بِــأَنَّ وَعْــدَ الله حَــقٌّ ... وَأَنَّ النَّــارَ مَثْــوَى الكَافِرِينَــا

وَأَنَّ العَرْشَ فَـوْقَ الـسَّماءِ طَـافٍ ... وَفَـوْقَ العَـرْشِ رَبُّ العَالَــمِينَا

الشاهدُ قولُه: «**وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَـمِينَا**» لما قرأ عليها البيتين قالت: إِذَنْ، لا جماع؛ لأنَّ الجنبَ لا يقرأُ الْقُرْآنَ، فَظَنَّت أنَّ هذين البيتين قرآنٌ، فهدأ غضبُها، فأخبر عبدُ الله بنُ رواحةَ النَّبيَّ ﷺ بذلك فأقرَّه عَلَى قوله:

وَأَنَّ العَرْشَ فَـوْقَ الـسَّماءِ طَـافٍ ... وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَــمِينَا[٢]

١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْـدِ الـبَرِّ فِي «اسْـتِيعَابِهِ» ... هَــذَا وَصَــحَّحَهُ بِــلَا نُكْــرَانِ

قَوْلُهُ: «**ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي (اسْتِيعَابِهِ)**» أي: كتاب **(الاستيعاب فِي معرفة الأصحاب)** لابن عبد البَرِّ -رحمه الله- وَهُوَ يُشْبِهُ كتاب **(الإصابة فِي معرفة الصحابة)** لابن حجرٍ العسقلاني، وإن كان كُلٌّ منهما له ميزةٌ، لكنَّ ابنَ حجر متأخِّرٌ عن ابن عبد البَرِّ؛ ولذلك صار أجمعَ وأكثرَ بالنسبة لتراجم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

* * *

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ٢١٦، رقم ٤٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف، رقم (٢٣٩).

١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التِّبْيَانِ

١٧٣٢- وَإِلَى إِلَـهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلَانِ

١٧٣٣- وَاذْكُرْ بِقِصَّةِ خَنْدَقٍ حُكْمًا جَرَى لِقُرَيْظَةٍ مِنْ سَعْدٍ الرَّبَّانِي

١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَـهِنَا مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ وَفْقُهُ بِوِزَانِ

١٧٣٥- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لِلْبَرَاءِ رَوَاهُ أَصْـ ـحَابُ الْمَسَانِدِ مِنهمُ الشَّيْبَانِي

١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرِّضَى وَأَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي

١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أُولُو الْعُدْوَانِ

١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِنِ الْأَبْدَانِ

١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا أُخْرَى إِلَى خَلَّاقِهَا الرَّحْمَنِ

١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءٍ رَبُّهَا فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانِ

١٧٤١- وَاذْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحْـ ـذِيرٌ لِذَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هِجْرَانِ

١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبٍّ فِي السَّمَاءِ عَلَى الَّتِي هَجَرَتْ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانِ

الشرحُ

حديثُ معراجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الله من الأحاديث الدالة عَلَى عُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ، فهو من الأدلة النقليَّة الدالة عَلَى العلوِّ.

يقولُ ابنُ القيِّم -رحمه الله-:

١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التِّبْيَانِ

١٧٣٢- وَإِلَى إِلَـهِ الْعَـرْشِ كَـانَ عُرُوجُـهُ ... لَـمْ يَخْتَلِـفْ مِـنْ صَـحْبِهِ رَجُـلَانِ

حديثُ المعراج ثابتٌ بالصِّحاح، والمسانيد، وغيرها، وَهُوَ ثابتٌ بالْقُرْآنِ أيضًا، فاللهُ -سبحانه وتعالى- عرج بنبيِّه ﷺ والعروجُ يكونُ من أسفلَ إِلَى أعلى.

وقد ثبت الإسراءُ والمعراجُ في الْقُرْآن فالإسراءُ ثبت بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، والمعراجُ ثبت بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:١-٢] إِلَى آخر الآيات.

ومن الأدلة قولُه:

١٧٣٣- وَاذْكُرْ بِقِصَّةِ خَنْدَقٍ حُكْـمًا جَـرَى ... لِقُرَيْظَـةٍ مِـنْ سَـعْدٍ الرَّبَّانِـي

١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُـولُ بِـأَنَّ حُكْـمَ إِلَـهِنَا ... مِـنْ فَـوْقِ سَـبْعٍ وَفْقُـهُ بِـوِزَانِ

هذا الحديثُ يُشيرُ إِلَى حكمِ سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بني قريظَةَ؛ لأنَّ بني قريظَةَ كانوا حلفاءً للأوس، ولـمَّا حاصرهم النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- نحو خمسٍ وعشرين ليلةً نزلوا عَلَى حكم سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سَعْدٌ قد أُصِيبَ فِي أَكْحَلِهِ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، فَضَرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يُحِبُّهُ وَيُجِلُّهُ؛ لأَنَّهُ سَيِّدُ الأَوْسِ، وَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِه»[1]، فَشَهِد له بأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ مَنَادِيلُ فِي الجَنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب، رقم (٢٤٧٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٦٩).

لَـمَّا أُصيبَ فِي أَكْحَلِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ» حُلَفَائِهِ، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ.

نَزَلَتْ بَنُو قريظة عَلَى حُكْمِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ مِنْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَال النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلُوه من الحِمَارِ، وَجَلَسَ.

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ حَكَّمُوه فِيهِمْ، فَقَالَ: أَحُكْمِي نَافِذٌ فِيهِم؟ قَالَ بَنُو قُرَيْظَةَ: نَعَمْ، قَالَ: وعلى هؤلاء، ويشير إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ولكنه قد غَضَّ طَرْفَه احْتِرَامًا لِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «وَعَلَى هَؤلاءِ» قال: أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمُ، وتُسْبَى نِسَاؤهُم وَذُرِّيَّتُهُم، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُـهُمْ، فقال النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِم بِحُكْمِ الله مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

ثُمَّ فَعَلَ بِهِم مَا حَكَمَ بِه سَعْدٌ -رضي الله عنه وأرضاه-، وقَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سَبْعَمائة رَجُلٍ، ثُمَّ عَادَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ إِلَى خَيْمَتِهِ فِي المَسْجِدِ، فَانْبَعَثَ الدَّمُ مِنْ جُرْحِهِ، فَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] لما انقضت المهمةُ التي أُقِرَّت بها عينُه انتقلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رحمة الله.

المهمُّ أنَّ هَذَا يدلُّ عَلَى أنَّ اللهَ فوق؛ لقوله: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

١٧٣٥- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لِلْـبَرَاءِ رَوَاهُ أَصْـ ـحَابُ الْـمَسَانِدِ مِنهمُ الشَّيْبَانِـي

١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرِّضَى وَأَبُـو نُعَيْمِ الـحَافِظُ الرَّبَّانِـي

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٥٩٣)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم (١٧٦٨).

١٧٣٧- قَـدْ صَـحَّحُوهُ وَفِيـهِ نَـصٌّ ظَـاهِرٌ   مَـا لَـمْ يُحَرِّفْـهُ أُولُـو العُـدْوَانِ

١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا   وَفِرَاقِهَـا لِـمَسَاكِنِ الْأَبْـدَانِ

١٧٣٩- فَتَظَـلُّ تَصْـعَدُ فِي سَـمَاءٍ فَوْقَهَـا   أُخْـرَى إِلَى خَلَّاقِهَـا الـرَّحْمَنِ

١٧٤٠- حَتَّـى تَصِـيرَ إِلَى سَـمَاءٍ رَبُّهَـا   فِيهَـا وَهَـذَا نَصُّـهُ بِأَمَـانِ

قَوْلُهُ: «مِنهمُ الشَّيْبَانِي» يعني: الإمامَ أحمدَ -رحمه الله-.

قَوْلُهُ: «تَصِيرَ إِلَى سَمَاءٍ رَبُّهَا فِيهَا» أي: تصيرُ إِلَى سماءٍ فيها ربُّها، وهذا نصُّ الحديث.

يعني: أنَّ المؤمنَ إذا قُبِضَتْ رُوحُه صُعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الأُولَى، ثُمَّ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ الثَّالِثَةِ، ثُمَّ الرَّابِعَةِ، إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عزَّ وجلَّ.

أَمَّا الكَافِرُ فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بَلْ تُطْرَحُ فِي الأَرْضِ طَرْحًا -والعياذ بالله- ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][1].

١٧٤١- وَاذْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحْـ   ـذِيرٌ لِذَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هِجْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَفِيهِ تَحْذِيرٌ لِذَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هِجْرَانِ» يعني: للمرأة ذات الزَّوج، حذَّرها الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- مَنْ هَجْرِ زَوْجِهَا، لكن من أَيِّ شيءٍ حَذَّرَها؟ قال:

---

(١) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبٍّ فِي السَّمَاءِ عَلَى الَّتِي هَجَرَتْ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانِ

فإنَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلِيهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»[1].

فَقَالَ: «الَّذِي فِي السَّمَاءِ» وَهُوَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

* * *

١٧٤٣- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الإِيمَانِ

١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ

١٧٤٥- بَيْنَا هُمُ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعِ الغَشَيَانِ

١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الغُفْرَانِ

١٧٤٧- فَيُسَلِّمُ الجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهْوَ ذُو الإِحْسَانِ

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيْ يُ طَرِيقُهُ فِيهِ أَبُو اليَقْظَانِ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الجُمْعَةِ اليَوْمِ الَّذِي بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ الشَّانِ

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ: أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سُقْـ ـهُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِن عِرْفَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (١٤٣٦).

١٧٥٣- وَاللهِ مَا لِـمُعَطِّلٍ بِسَمَاعِهِ أَبَدًا قُوًى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ

١٧٥٤- فَأُصُولُ دِينِ نَبِيِّنَا فِيهِ أَتَتْ فِي غَايَةِ الإِيضَاحِ وَالتِّبْيَانِ

١٧٥٥- وَبِطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا فِي «سُنَّةٍ» وَالْحَافِظُ الطَّبَرَانِي

١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بِـ«تَارِيخٍ» لَهُ وَأَبُوهُ ذَاكَ زُهَيْرٌ الرَّبَّانِي

الشرحُ

هذه أيضًا أحاديثُ أشار إِلَيْهَا المؤلفُ -رحمه الله-، الأول: قال:

١٧٤٣- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الإِيمَانِ

١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ

١٧٤٥- بَيْنَا هُمُ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعِ الغَشَيَانِ

١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الغُفْرَانِ

١٧٤٧- فَيُسَلِّمُ الجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهْوَ ذُو الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ...» هَذَا حديثٌ رواه جابرٌ وَهُوَ «بَيْنَا أَهْلُ الجَنَّةَ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِم مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجَنةِ...»[1] فهذا دليلٌ عَلَى علوِّه -سبحانه وتعالى-؛ ولهذا قال: «لكنهم رفعوا إِلَيْهِ رؤوسهم» والرَّفْعُ لا يكونُ إِلَّا إِلَى أعلى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٤).

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيْ ... يُ طَرِيقُهُ فِيهِ أَبُو اليَقْظَانِ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الجُمْعَةِ اليَومِ الَّذِي ... بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

ومن ذلك أيضًا حديثٌ رواه الشافعيُّ في فضل يوم الجمعة الَّذِي هُوَ يومُ المزيد، وأنَّ أهلَ الجنةِ يزورون اللهَ عزَّ وجلَّ في ذلك اليوم، هَذَا اليومُ (يوم الجمعة) فيه استواءُ الله عَلَى العرش[1] كما قَالَ المؤلف:

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلالُهُ ... حَقًّا عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ الشَّانِ

ووجهُ ذلك أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وهذه الأيامُ أوَّلها الأحد والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، تَمَّتَ يوم الجمعة، ففي يوم الجمعة اسْتَوَى اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَى عرشه.

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ: أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ ... فَوْقَ السَّمَاءِ الوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

هَذَا قَالَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حِينَمَا قَسَّم ذُهَيْبَةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[2]. والذي في السَّماءِ هُوَ اللهُ.

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سُقْـ ... ـهُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِن عِرْفَانِ

١٧٥٣- وَاللهِ مَا لِـمُعَطِّلٍ بِسَمَاعِهِ ... أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ

---

(١) انظر: مسند الشافعي (ص:٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن، رقم (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

١٧٥٤- فَأُصُـولُ دِيـنِ نَبِيِّنَـا فِيـهِ أَتَـتْ ... فِي غَايَـةِ الإِيضَـاحِ وَالتِّبْيَـانِ

١٧٥٥- وَبِطُولِـهِ قَـدْ سَـاقَهُ ابْـنُ إِمَامِنَـا ... فِي «سُـنَّةٍ» وَالْـحَافِظُ الطَّبَرَانِـي

قَوْلُهُ: «فِي سُنَّةٍ» والسُّنَّة: لعبد الله بن الإمام أحمد -رحمه الله-.

١٧٥٦- وَكَـذَا أَبُـو بَكْـرٍ بِـ«تَـارِيخٍ» لَـهُ ... وَأَبُـوهُ ذَاكَ زُهَـيْرٌ الرَّبَّانِـي

فهؤلاء كُلُّهم ساقوا الحديثَ بتمامِه(١).

* * *

١٧٥٧- وَاذْكُـرْ كَـلَامَ مُجَاهِـدٍ فِي قَوْلِـهِ: ... أَقِـمِ الصَّـلَاةَ وتَلِـكَ فِي سُـبْحَانِ

١٧٥٨- فِي ذِكْـرِ تَفْسِـيرِ الْـمَقَامِ لِأَحْمَـدٍ ... مَـا قِيـلَ ذَا بِـالرَّأْيِ وَالْـحُسْبَانِ

١٧٥٩- إِنْ كَـانَ تَجْسِـيمًا فَـإِنَّ مُجَاهِـدًا ... هُوَ شَيْخُهُم بَلْ شَيْخُهُ الفَوْقَانِـي

١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الْـجُلُوسِ بِـهِ وَفِي ... أَثَـرٍ رَوَاه جَعْفَـرُ الرَّبَّانِـي

١٧٦١- أَعْنِـي ابْـنَ عَـمِّ نَبِيِّنَـا وَبِغَـيْرِهِ ... أَيْضًـا أَتَـى وَالْـحَقُّ ذُو التِّبْيَـانِ

١٧٦٢- وَالدَّارَقُطْنِـيُّ الإِمَـامُ يُثْبِـتُ الْـ ... آثَـارَ فِي ذَا البَـابِ غَـيْرَ جَبَـانِ

١٧٦٣- وَلَـهُ قَصِـيدٌ ضُـمِّنَتْ هَـذَا وَفِيـ ... ـهَا لَسْـتُ لِلْمَـرْوِيِّ ذَا نُكْـرَانِ

---

(١) وَهُوَ حديث أبي رزين العقيلي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا فَوْقَ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ العَرْشَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ».
أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه: كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٢)، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٢٤٥، رقم ٤٥٠)، والطبراني (١٩/ ٢٠٧، رقم ٤٦٨).

١٧٦٤- وَجَـرَتْ لِـذَلِك فِتْنَـةٌ فِي وَقْتِـهِ   مِـنْ فِرْقَـةِ التَّعْطِيـلِ وَالعُـدْوَانِ

١٧٦٥- وَاللهُ نَـاصِرُ دِينِـهِ وَكِتَابِـهِ   وَرَسُـولِه فِي سَـائِرِ الأَزْمَـانِ

١٧٦٦- لَكِـنْ بِمِحْنَـةِ حِزْبِـهِ مِـنْ حَرْبِـهِ   ذَا حُكْمُـهُ مُـذْ كانَـتِ الفِئَتَـانِ

١٧٦٧- وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِن كَثِيـ   ـرٍ فَائِـتٍ لِلْعَـدِّ والـحُسْبَانِ

١٧٦٨- مَا كُلُّ هَـذَا قَابِـلُ التَّأْوِيـلِ بِالتَّـ   ـحْرِيـفِ فَاسْـتَحْيُوا مِـنَ الـرَّحْمَنِ

الشـرحُ

١٧٥٧- وَاذْكُـرْ كَـلَامَ مُجَاهِـدٍ فِي قَولِـهِ:   أَقِـمِ الصَّـلَاةَ وتَلِـكَ فِي سُـبْحَانِ

١٧٥٨- فِي ذِكْـرِ تَفْسِـيرِ الْـمَقَامِ لِأَحْمَـدٍ   مَـا قِيـلَ ذَا بِـالرَّأْيِ وَالـحُسْبَانِ

١٧٥٩- إِنْ كَـانَ تَجْسِـيمًا فَـإِنَّ مُجَاهِـدًا   هُوَ شَيْخُهُم بَلْ شَيْخُهُ الفَوْقَانِـي

١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الـجُلُوسِ بِـهِ وَفِي   أَثَـرٍ رَوَاه جَعْفَـرُ الرَّبَّانِـي

١٧٦١- أَعْنِـي ابْـنَ عَـمِّ نَبِيِّنَـا وَبِغَـيْرِهِ   أَيْضًـا أَتَـى وَالْـحَقُّ ذُو التِّبْيَـانِ

١٧٦٢- وَالدَّارَقُطْنِـيُّ الإِمَـامُ يُثَبِّـتُ الْـ   آثَـارَ فِي ذَا البَـابِ غَـيْرَ جَبَـانِ

١٧٦٣- وَلَـهُ قَصِيدٌ ضُـمِّنَتْ هَـذَا وَفِيـ   ـهَا لَسْـتُ لِلْمَـرْوِيِّ ذَا نُكْـرَانِ

هذا أيضًا من الأدلة، وَهُوَ ما ذكره مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩] ذكر أنَّ

من المقام المحمود أنَّ الله -سبحانه وتعالى- يُجْلِسُ نبيَّه محمدًا ﷺ عَلَى عرشه[١]، وذكر فِي هَذَا أثرًا، والله أعلم بصحة هَذِهِ الآثار، لكن بعضُ العلماء حسَّنها لكثرة طرقها.

وذكر أنَّ الدارقطنِيَّ أثبت هَذِهِ الآثارَ، وأنَّ له قصيدةً ضُمِّنت هذا، وفيها: (لست للمروي ذَا نكران) والذي يقولُ هذا الدارقطنِيُّ.

١٧٦٤- وَجَـرَتْ لِـذَلِك فِتْنَـةٌ فِي وَقْتِـهِ مِـنْ فِرْقَـةِ التَّعْطِيـلِ وَالعُـدْوَانِ

وهذه الفتنةُ، يقولُ الشارحون للقصيدة: إنهم لم يعلموا عنها شيئًا.

ثُمَّ قَالَ المؤلفُ هَذِهِ الأبيات المفيدةَ المهمةَ، قال:

١٧٦٥- وَاللهُ نَـاصِرُ دِينِـهِ وَكِتَابِـهِ وَرَسُـولِهِ فِي سَـائِرِ الأَزْمَـانِ

لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١]، ولكن قال:

١٧٦٦- لَكِـنْ بِمِحْنَـةِ حِزْبِـهِ مِـنْ حَرْبِـهِ ذَا حُكْمُـهُ مُـذْ كانَـتِ الفِئَتَـانِ

قَوْلُهُ: «بِمِحْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ» يعني: لا بُدَّ أنَّ حربَه يمتحنون حزبَه بالعداوات، والبغضاء، والقتال، وغير ذلك.

(١) كما في حديث الأنصاري الذي سأل النبي ﷺ فقال: وَمَا ذَاكَ الْـمَقَامُ الْـمَحْمُودُ؟ قَالَ: «ذَاكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ: اكْسُوا خَلِيلِي، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ، فَلَيَلْبِسْهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي، فَأَلْبَسُهَا، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي، يَغْبِطُنِي بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ». أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨، رقم ٣٧٨٦).

قَوْلُهُ: «ذَا حُكْمُهُ مُذْ كَانَتِ الفِتَانِ» يعني أنَّ: هَذَا النزاعَ وهذه المحنَ حكمةٌ من الله مذ كانت الفئتان كما قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفُرْقَان:٣١] ثُمَّ قال:

١٧٦٧- وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِن كَثِيـ ـرٍ فَائِتٍ لِلَعَدِّ والحُسْبَانِ

١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتْـ ـحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

ابنُ القيِّم يقولُ: إني اقتصرتُ عَلَى يسيرٍ من كثيرٍ من الأدلة عَلَى عُلُوِّ الله -سبحانه وتعالى-.

* * *

فصل

فِي جِنَايَةِ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَالفَرْقُ بَيْنَ المَرْدُودِ مِنْهُ وَالمَقْبُولِ

١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الإِسْلَامِ مِنْ ... تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالبُطْلَانِ

١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ ... زَادَتْ ثَلاثًا قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ

١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الخَلِيفَةَ جَامِعَ الْـ ... ـقُرآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالإِحْسَانِ

١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الخَلِيفَةَ بَعْدَه ... أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الأَقْرَانِ

١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الحُسَيْنَ وأَهْلَهُ ... فَغَدَوْا عَلَيْهِ مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ

١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمُ أَبَا ... حَ حِمَى المَدِينَةِ مَعْقِلِ الإِيمَانِ

١٧٧٥- حَتَّى جَرَتْ تِلْكَ الدِّمَاءُ كَأَنَّهَا ... فِي يَوْمِ عِيدٍ سُنَّةُ القُرْبَانِ

١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقْـ ... ـتُلُ صَاحِبَ الإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ ... مِنْ عَسْكَرِ الحَجَّاجِ ذِي العُدْوَانِ

١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَا الخَوَارِجَ مِثْلَ إِنْـ ... ـشَاءِ الرَّوَافِضِ أَخْبَثِ الحَيَوَانِ

١٧٧٩- وَلِأَجْلِهِ شَتَمُوا خِيَارَ الخَلْقِ بَعْـ ... ـدَ الرُّسْلِ بِالْعُدْوَانِ وَالبُهْتَانِ

١٧٨٠- وَلِأَجْلِهِ سَلَّ البُغَاةُ سُيُوفَهُمْ ... ظَنًّا بِأَنَّهُمُ ذَوُو إِحْسَانِ

١٧٨١- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الإِعْتِزَا ... لِ مَقَالَةً هَدَّتْ قُوَى الإِيمَانِ

١٧٨٢- وَلِأَجْلِهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ سُبحَانَهُ خَلْقٌ مِنَ الأَكْوَانِ

١٧٨٣- وَلِأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ شِبْهَ الْمَجُوسِ العَابِدِي النِّيرَانِ

١٧٨٤- وَلِأَجْلِهِ قَدْ خَلَّدُوا أَهْلَ الكَبَا ئِرِ فِي الجَحِيمِ كَعَابِدِي الأَوْثَانِ

١٧٨٥- وَلِأَجْلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ ـمُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ

١٧٨٦- وَلِأَجْلِهِ ضُرِبَ الإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي

١٧٨٧- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ: لَيْسَ رَبْ بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ

١٧٨٨- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ العُلَى والعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَنِ

١٧٨٩- مَا فَوْقَهَا رَبٌّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ

١٧٩٠- وَلِأَجْلِهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ وَالْعَرْشُ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

١٧٩١- وَلِأَجْلِهِ أَفْنَى الجَحِيمَ وَجَنَّةَ الْـ ـمَأْوَى مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانِ

١٧٩٢- وَلِأَجْلِهِ قَالُوا: الإِلَهُ مُعَطَّلٌ أَزَلًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَزَمَانِ

١٧٩٣- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ

١٧٩٤- وَلِأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانِي

١٧٩٥- وَلِأَجْلِهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً عَنْ ذَلِكَ القُرْآنِ

١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى المَخْلُوقِ وَالْـ ـقُرْآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ

١٧٩٧- مَا ذَا كَلَامَ اللهِ قَطُّ حَقِيقَةً لكِنْ مَجَازٌ وَيْحَ ذَا البُهْتَانِ

١٧٩٨- وَلِأَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَصْرٍ أَحْمَدٌ ... ذَاكَ الخُزَاعِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ ... مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الأَكْوَانِ

١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالأُلَى ... قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الكُفْرَانِ

١٨٠١- فتَأَوَّلُوا خَلْقَ السَّمَوَاتِ العُلَى ... وَحُدُوثَها بِحَقِيقَةِ الإِمْكَانِ

١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الإِلَهِ وَقَوْلَهُ ... وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ والبُطْلَانِ

١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ ... رُسُلُ الإِلَهِ لِهَذِهِ الأَبْدَانِ

١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ ... حَتَّى تَعُودَ بَسِيطَةَ الأَرْكَانِ

١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ القَرَامِطَةَ الأُلَى ... يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الإِيمَانِ

١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا العَمَلِيَّ مِثْلَ تَأَوُّلِ الْـ ... ـعِلْمِيِّ عِنْدَكُمُ بِلَا فُرْقَانِ

١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ ... حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الكُفْرَانِ

١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ ... وَخُمَارُهَا فِينَا إِلَى ذَا الآنِ

الشرحُ

١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الإِسْلَامِ مِنْ ... تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالبُطْلَانِ

أصلُ بَليَّةِ الإسلام وما حصل فيه من مخالفاتٍ، ومعاصٍ، وبدعٍ، وقتلٍ، وسلبٍ، ونهبٍ، كُلُّه من التأويل، هَذَا فيمن ينتسبُ للإسلام.

أمَّا مَنْ لم ينتسبْ فأصلُ بَليَّة الإسلام مِنْهُ أنه عدوٌّ للإسلام، لكن المنتسب للإسلام ما جاءت البليَّة للإسلام إلَّا بسبب تأويلِه.

قَوْلُهُ: «ذِي التَّحْرِيفِ وَالبُطْلَانِ» أمَّا تأويل مَنْ ليس بمحرِّف -كما سيأتي إن شاء الله- فليس في الإسلام مِنْهُ بليَّة.

١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ ... زَادَتْ ثَلاثًا قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ

يعني: فَرَّق الأمَّةَ إِلَى ثلاثٍ وسبعين فِرْقَةً مع أنَّ الواجبَ أنَّ هَذِهِ الأمَّةَ الإسلاميةَ تكونُ فِرْقَةً واحدةً، لكن التأويل الَّذِي هُوَ تأويل أهل التَّحريف فرَّق الأمةَ إِلَى ثلاثٍ وسبعين فِرقة.

١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الخَلِيفَةَ جَامِعَ الْـ ... ـقُرآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الخَلِيفَةَ» يعني بذلك: عثمانَ بن عفَّان الَّذِي قتله التَّأويلُ؛ لأنَّ الذين ثاروا عليه وألَّبوا عليه شعبَه وأُمَّتَه كانوا مُتأوِّلين يَدَّعون أنه فَسَقَ -بزعمهم- أنه وَلَّى مَنْ لا يصلحُ للولاية مثل: عبد الله بن أبي سرح وغيره، فقالوا: إنَّ هَذَا الرجلَ فَسَقَ، وبعضُهم قال: إنه كَفَرَ، فجمعوا عليه الناسَ واقتحموا بيتَه، وقتلوه وَهُوَ يقرأُ كتابَ الله، رضي الله عنه وأرضاه.

قَوْلُهُ: «جَامِعَ الْقُرْآنِ» نعم، هُوَ الَّذِي جمع الْقُرْآنَ الجمعَ الثاني؛ لأنَّ الجمعَ الأوَّلَ كان في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكنَّه جمعه، وكان الناسُ يقرؤونه عَلَى سبعةِ أحرفٍ، ويختلفون في قراءته، فلمَّا خاف عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفتنة بذلك جمعهم عَلَى حرفٍ واحدٍ وَهُوَ حرفُ قريشٍ أي: لغة قريش، وأحرق ما سواه من المصاحف، وأوجب عَلَى الأمة أن يقتصروا عَلَى لغة قريش فقط، فكان في هَذَا جمعٌ للأمة، وائتلافٌ بينها يُشْكَرُ عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجزاه عن أمة محمدٍ خيرًا.

قَوْلُهُ: «ذَا النُّورَيْنِ» يعني: صاحبَ النورين؛ وذلك أنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- زوَّجه ابنتيه رُقَيَّة وأمَّ كلثوم؛ ولهذا قَالَ بعضُ أهلِ السُّنَّة:

إذا افتخر الرافضةُ بأنَّ عليَّ بن أبي طالب زوَّجه النَّبيُّ ﷺ ابنتَه فإنَّ عثمانَ يفتخرُ بأنه زوَّجه ابنتيه الثنتين.

قَوْلُهُ: «**وَالإِحْسَانِ**» نعم؛ لأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَهَّز جيشَ العُسْرَةِ[١]: مِئَةَ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا[٢] وَأَقْتَابِهَا[٣]، ولـمَّا قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ**»، فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤] بِحُرِّ مَالِهِ، فقد أحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الأمَّة الإسلامية بتجهيز الجيوش، واستعذاب الماء لهم.

١٧٧٢- وَهُوَ الَّـذِي قَتَـلَ الـخَلِيفَةَ بَعْـدَه ... أَعْنِـي عَلِيًّـا قَاتِـلَ الأَقْـرَانِ

عليُّ بن أبي طالب قتله الخوارجُ الذين خرجوا عليه، بعد أن كانوا معه في صَفِّه، لكنَّهم تَنكَّروا -والعياذ بالله- له، وخرجوا عليه، وقتلوه في الكوفة وَهُوَ خارجٌ إِلَى صلاة الصبح يدعو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الصلاة، فقتلوه، فَقُتِلَ شهيدًا وُدفِنَ في قصر الإمارة في الكوفة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم (٢٦٢٦).

(٢) جمع حِلْس، بالكسْرِ، وهو كُلُّ شيءٍ وَلِيَ ظهرَ البعيرِ والدَّابَّةِ تحتَ الرَّحْلِ والسَّرْجِ والقَتَبِ. انظر: تاج العروس، مادة: حلس.

(٣) جمع القِتْبُ والقَتَبُ، وهو إِكاف الْبَعِيرِ؛ وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قَدْرِ سَنام الْبَعِيرِ. انظر: لسان العرب، مادة: قتب.

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله، رقم (٣٧٠٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيًا، رقم (٣١٨٢).

ومن نعمة الله أنَّ قبرَه لم يكن معروفًا؛ لأنه دُفِنَ في قصر الإمارة؛ خوفًا عليه من أن يُخرجَه الخوارجُ من قبره في المقبرة ويمثِّلُوا به.

وَقَوْلُهُ: «**وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الـخَلِيفَةَ**» قتله بأيِّ شيء؟ الجواب: بالتأويل؛ لأنهم قالوا: إنك لما قبلت التحكيمَ مع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَفَرْتَ، وحَلَّ دَمُك، فقتلوه بهذا التأويل.

١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الـحُسَيْنَ وأَهْلَـهُ فَغَـدَوْا عَلَيْـهِ مُـمَزَّقِي اللُّحْـمَانِ

الحسينُ بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قصَّتُه معروفةٌ مع أهل العراق، غدروا به، وقتلوه حتَّى مَزَّقوه تمزيقًا -والعياذ بالله- وَمثَّلُوا به.

ولكنَّه ليس كما يزعم بعضُ الناس أنَّ رأسَهُ دُفِنَ في دمشق، وبعضهم قال: دُفِنَ في العراق، وبعضهم قال: دُفِنَ في مصر، فكان لهذا الرجل ثلاثةُ رؤوس: رأسٌ في الشام، ورأسٌ في العراق، ورأسٌ في مصر، فتبارك اللهُ أحسنَ الخالقين، هَذَا الرجلُ ليس له إِلَّا رأسٌ واحدة، ولم يُنْقَلْ رأسُهُ أبدًا إِلَى غير مكانه.

وكما هُوَ معلومٌ أنَّ المواصلات صعبةٌ في الزمن السَّابق، ثُمَّ إنه في ذلك الوقت بالذات فتنٌ عظيمةٌ، مَن الَّذِي يستطيع أن ينقلَ رأسَه إِلَى الشام أو إِلَى مصر؟!

١٧٧٤- وَهُـوَ الَّـذِي فِي يَـوْمِ حَـرْبِهِمُ أَبَـا حَ حِمَـى المَدِينَـةِ مَعْقِـلِ الإِيـمَانِ

١٧٧٥- حَتَّى جَـرَتْ تِلْـكَ الـدِّمَاءُ كَأَنَّـهَا فِي يَـوْمِ عِيـدٍ سُـنَّةُ الْقُرْبَـانِ

الله أكبر، هَذَا يوم الحرَّة، استُبِيحَت المدينةُ واستُحِلَّت ثلاثةَ أيامٍ، وقُتِلَ فيها عالَـمٌ كثيرٌ من الأنصار الذين آووا النَّبِيَّ ﷺ ونصروه، واستُبِيحَت مدينةُ

الرسولِ ﷺ، وانتُهِكَت الأعراضُ، كُلُّ ذلك بالتَّأويل، وأنه يجوزُ الخروجُ عَلَى يزيد، فحصل بذلك الشَّرُّ العظيمُ، والفتنةُ العظيمةُ، وكذلك يقولُ:

١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقْـ ـتُلُ صَاحِبَ الإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ مِنْ عَسْكَرِ الحَجَّاجِ ذِي العُدْوَانِ

أيضًا من التأويل ما جرى في مكةَ عَلَى يد الحجَّاج بن يوسف الثقفيِّ، فإنه قَاتَلَ أهلَ مكةَ وحاصرَهم، ونصبَ المنجنيقَ، ورمى به الكعبةَ، وانهدم بعضُ جدرانِها، ودخل مكةَ، وقَتَلَ مَنْ قَتَلَ فيها حتَّى قتل عبدَ الله بنَ الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَثَّلَ به، وعلَّقَه، كُلُّ هَذَا بسبب التَّأويل، ما هُوَ التَّأويل؟ هو أنهم فئةٌ خارجةٌ عن الإمام، والفئةُ الخارجةُ عن الإمام تُقْتَلُ.

١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَا الخَوَارِجَ مِثْلَ إِنْـ ـشَاءِ الرَّوَافِضِ أَخْبَثِ الحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُو» الضميرُ يعودُ عَلَى التَّأويل الَّذِي أنشأ الخوارجَ، والخوارجُ فرقةٌ ضالةٌ كَفَّرَت كثيرًا من الصحابة، واستباحت دماءَ المسلمين بغير حُجَّةٍ لكن بما معها -والعياذ بالله- من التَّسَرُّع، والاستكبار، والاعتداد بالنفس، حتَّى رَأَوْا أنَّ مَنْ سواهم فهو كافرٌ، وكَفَّروا بالفسق والكبائر، وقالوا: مَنْ شَرِبَ قطرةً من خمرٍ فهو كافرٌ مُخَلَّدٌ في النار، يجبُ قتالُه، ويَحِلُّ دمُه، والعياذ بالله.

هذه الفرقةُ الضالةُ من أشدِّ الناس خطرًا عَلَى الأمَّة الإسلامية.

كذلك «الرَّوَافِضِ» ووصفهم ابنُ القيِّم بأنهم أخبثُ الحيوان، فالروافضُ أيضًا فرقةٌ ضالةٌ، فرقةٌ مشركةٌ، والمرادُ بذلك الغلاةُ منهم، فِرقةٌ يدَّعونَ أنَّ لهم أئمةً يُدَبِّرون الكونَ، وأنه ما من ذرةٍ تكون في الكون إلَّا ويُدبِّرها الإمامُ المعصومُ

عندهم، وأنَّ مَنْ سوى أئمتهم فهم أئمةُ ضلالٍ، وكتبُهم معروفةٌ، وهم أكثرُ فرق أهل البدع في الأمة الإسلامية، حتَّى قَسَّمَ الناسُ الأمةَ الإسلاميةَ إِلَى قسمين: سُنَّة، وشيعة، والشيعةُ هم الروافض.

١٧٧٩- وَلِأَجْلِهِ شَتَمُوا خِيَارَ الْـخَلْقِ بَعْــ ـــدَ الرُّسْــلِ بِالْعُــدْوَانِ وَالبُهْتَــانِ

قَوْلُهُ: «لِأَجْلِهِ» أي: لأجل التأويل.

قَوْلُهُ: «شَتَمُوا» أي: الروافض.

قَوْلُهُ: «خِيَارَ الخَلْقِ بَعْدَ الرُّسْلِ» أي: الصحابة.

فالروافض يُكَفِّرون الصحابةَ إِلَّا نفرًا قليلًا وآلَ البيت، والبقيةُ كُلُّهم كُفَّارٌ، حتَّى إِنَّ بعضَهم يُصَرِّحُ بأنَّ أبا بكرٍ وعمرَ كافران وماتا عَلَى النفاق.

ولا شكَّ أنَّ هَذَا القولَ لازمُه من أبطل اللوازم؛ لأنه قدحٌ في الله، وقدحٌ في الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وقدحٌ في الشريعة، وقدحٌ في خيار الخلق.

هذا المذهبُ يلزمُ مِنْهُ هَذِهِ اللوازمُ الباطلةُ، قدحٌ في الله: حيث جعل أصحابَ رسولِهِ هؤلاء القومَ الفسقةَ الفجرةَ الخونةَ -والعياذ بالله- هَكَذَا اعتقادُهم.

قدحٌ في الرسول: حيث كان أخدانُه وأحبَّاؤه هؤلاء الفسقةَ، وكما هُوَ معلومٌ أنَّ المرءَ عَلَى دين خليله، وأنَّ الإنسانَ يُعْرَفُ بصاحبه، يُقَالُ: ماذا تقولُ في فلان؟ قال: والله فلانٌ يَصحبُ أناسًا أسافل، فهذا قدحٌ فيه، إِذَنْ القدح في الصحابة يستلزمُ القَدحَ في رسول الله ﷺ.

وهو قدحٌ في الشريعة؛ لأنَّ الوسيلةَ التي نَقلت إلينا الشريعةَ هم الصحابة، فإذا كانوا فجرةً فسقةً، أو كُفَّارًا، فكيف نَثِقُ بالشريعة؟! إِذَنْ لا ثقة لَنَا بها.

هو قدحٌ أيضًا في الصحابة الذين هم خير القرون بشهادة النَّبِيِّ ﷺ لهم[١].

وسبحان الله العظيم! أعمى اللهُ بصائرَهم، كَيْفَ تمرُّ بهم الآياتُ الْقُرْآنيةُ الواضحةُ في أنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم خيرُ الأمة، قَالَ الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]، والآياتُ في هَذَا كثيرةٌ.

والأحاديثُ كثيرةٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لـ«أُحُدٍ» لما اهتزَّ به ومعه أبو بكرٍ وعمر وعثمان: «اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[٢]. لكن -نسألُ اللهَ العافيةَ- الهوى يُعمِي ويُصِمُّ.

١٧٨٠- وَلِأَجْلِهِ سَلَّ الْبُغَاةُ سُيُوفَهُمْ ظَنًّا بِأَنَّهُمُ ذَوُو إِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «**الْبُغَاةُ**» أي: الخارجون عَلَى الأئمة سَلُّوا سيوفَهم ظنُّوا أنهم محسنون، فيأتي لإنسان، ويقول: هَذَا الخليفةُ يشربُ الخمَر، فيقول الثاني: الله أكبر إنه لكافرٌ، فيقول الثالث: جَهِّز السيفَ، ويقول الرابع: انفروا خفافًا وثقالًا، فيخرجون عَلَى الإمام بمثل هَذَا التأويل.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٥).

والإمامُ الَّذِي يشربُ الخمرَ، والذي يزني، والذي يُعاقِرُ النساءَ، هل يكونُ كافرًا؟ الجواب: أبدًا، لا يكون كافرًا، لكنَّه فاسقٌ لا شكَّ، ولكنَّه لا يجوز أن يُخْرَجَ عليه؛ لأنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ الله بُرْهَانٌ»(١).

فالشروط ثلاثةٌ: «تَرَوْنَ»، «كُفْرًا بَوَاحًا»، «عِنْدَكُم فِيهِ مِنَ الله بُرْهَانٌ».

فالظنُّ لا يكفي حتَّى ترى بعينك كفرًا بواحًا صريحًا، والذي فيه احتمالٌ أنه كفرٌ أو فسق لا يُبيحُ الخروجَ عليه.

وَقَوْلُهُ: «بَوَاحًا» هل ذلك بمقتضى ظَنِّك أو بمقتضى الدَّلِيل الشرعيِّ؟ الجواب: بمقتضى الدَّلِيل الشرعيِّ.

وَقَوْلُهُ: «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ الله بُرْهَانٌ» قَالَ العلماءُ: الْبُرْهَانُ هُوَ الدَّلِيلُ القاطعُ.

فالمسألةُ عظيمةُ جدًّا، ثُمَّ الخروج أيضًا مع تمام الشروط المجيزة له، لا بُدَّ فيه من شرطٍ رابعٍ: وَهُوَ أنه يزولُ هَذَا الشيءُ بالخروج، وإذا كان لا يزولُ بل يزيدُ حَرُمَ الخروجُ لا لعدم وجود المبيح له، ولكن لعدم الجدوى منه، فلو خرج عشرةٌ من الناس عَلَى دولة بعد أن رَأَوْا كفرًا بواحًا عندهم فيه من الله بُرْهَانٌ، واحد معه سكينٌ، والثاني: سيفٌ، والثالث: مخلبٌ، والرابع: عصا، والخامس: حجر، وهَكَذَا، وقالوا: نخرج عَلَى دولةٍ عندها دبَّاباتٌ وقنابلُ وصواريخُ ماذا يكونُ خروجُهم؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم (١٧٠٩).

الجَوَابُ: يكون خروجُهم جنونًا، ولا يَحِلُّ لهم لا بشرعٍ ولا بعقل، فلا بُدَّ من تهيئةٍ يكونُ بها زوالُ هَذَا المنكرِ الَّذِي رأينا أنه كفرٌ بواحٌ عندنا فيه من الله بُرْهَانٌ، أمَّا أن تخرجَ طائفةٌ ثُمَّ تُطْحَنُ ويُطْحَنُ مَنْ وراءها مِمَّن هُوَ خيرٌ فلا شَكَّ أنَّ هَذَا سفهٌ وضررٌ؛ ولهذا أنكر الإمامُ أبو حنيفة -رحمه الله- مثلَ هذا، فقيل: إنهم يخرجون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: نعم، ولكن ما يفعلونه أكبرُ مِـمَّا يخرجون من أجله.

فالحاصل أنَّ التأويلَ هُوَ كُلُّ بَلِيَّةٍ، فهو الَّذِي جعل البُغَاةَ يخرجونَ عَلَى الأئمةِ حتَّى حصلت الشرورُ والفتنُ.

قَوْلُهُ: «ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذَوُو إِحْسَانِ» ولكنَّهم والله ذوو إساءةٍ عَلَى أنفسهم وعلى غيرِهم.

١٧٨١- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِزَا ... لِ مَقَالَةً هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ

١٧٨٢- وَلِأَجْلِهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ ... سُبحَانَهُ خَلْقٌ مِنَ الأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ قَالَ أَهْلُ الإِعْتِزَالِ مَقَالَةً هَدَّتْ قُوَى الإِيمَانِ» ما الَّذِي قالوا؟ قالوا: إِنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا يتكلَّمُ، وإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ، ولا يرضى، فأنكروا المحبَّةَ، وأنكروا الكلامَ، وأنكروا كُلَّ الصِّفَات؛ لأنهم يَدَّعون أنَّ إثباتها يستلزمُ التمثيلَ، أو التَّجْسِيمَ، أو الإشراكَ، عَلَى خلافٍ بينهم.

١٧٨٣- وَلِأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ ... شِبْهَ الْـمَجُوسِ العَابِدِي النِّيرَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ» وهم القدرِيَّةُ كَذَّبُوا بقضاء الله، والقدرِيَّةُ طَائِفَةٌ من الأمَّة ينتسبون للأمة، يقولون: إِنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا عَلاقةَ له بفعل العبد، ولا يدري عن العبد إِلَّا إذا فعل العبدُ.

يقولون: إنَّ اللهَ لا يدري عن العبد إطلاقًا، وليس له تصرُّفٌ فيه، ولا يعلمُ عن فعله إلَّا إذا فَعَلَه، فأنكروا العلمَ، وأنكروا الكتابةَ، وأنكروا المشيئةَ، وأنكروا الخلقَ، وهذا رأيُ غلاتِهِم، فالغلاةُ قالوا: لا يعلمَ، ولا يشاءُ، ولا يخلقُ، فليس له دخلٌ بالعبد.

أمَّا المقتصدون منهم فقالوا: إنَّ اللهَ يعلمُ لكن لا يشاءُ، ولا يخلقُ، فهو يعلمُ أنَّ العبدَ يفعلُ كذا، لكن لا يقدرُ أن يُغَيِّرَ؛ لأنَّ فعلَ العبدِ بمشيئة العبد، وليس بمشيئة الله، فليس لله فيه عَلاقةٌ.

إِذَنْ أيهما خير: هؤلاء أم الغلاة؟ الجواب: كلاهما شَرٌّ في الحقيقة.

على كُلِّ حالٍ هؤلاء القدرِيَّةُ يقول المؤلفُ: إنهم شِبْهُ المجوس، كَيْفَ كانوا شِبْهَ المجوس؟ ما وجه المشابهة؟

المجوسُ يقولون: إنَّ الكونَ له خالقان اثنان، فكُلُّ ما يحدثُ فيه فهو إمَّا مِن خَلق النور وإمَّا مِن خَلق الظلمة، فكُلُّ ما يحدث في الكون فهو إمَّا من الظلمة وإمَّا من النور؟ إن كان خيرًا فهو من النور، وإن كان شرًّا فهو من الظلمة، فجعلوا للخلق خالِقَيْن.

وهؤلاء القدرِيَّةُ جعلوا للحوادث خالِقَيْن: حوادث من فعل الله كإنزال المطر، وإنبات الأرض، والإحياء والإماتة، وحوادث من فعل العبد، فالأولى تختصُّ بالله، والثانيةُ تختصُّ بالعبد، إِذَنْ للحوادثِ خالقان؛ ولهذا قال: «**شِبْهَ الْـمَجُوسِ العَابِدِي النِّيرَانِ**».

١٧٨٤- وَلِأَجْلِهِ قَدْ خَلَّدُوا أَهْلَ الكَبَا ... ئِرِ فِي الجَحِيمِ كَعَابِدِي الأَوْثَانِ

قَوْلُهُ: «**قَدْ خَلَّدُوا أَهْلَ الكَبَائِرِ فِي الجَحِيمِ**» خلَّدوا أي: المعتزلةُ والخوارجُ

كلاهما يُخَلِّدُ أهلَ الكبائر في الجحيم كما يُخَلَّدُ عابدو الأوثان، رجل زنى ولكن لم يتب من الزِّنى، وفي نفسه أنه لو حَصَّل امرأةً ثانية زنى بها، ومات قبل أن يتوبَ، ورجلٌ مشركٌ بالله منذ مَيَّز حتَّى مات، عند الخوارج والمعتزلة كلاهما مخلَّدٌ في النار كعابدي الأوثان.

١٧٨٥- وَلِأَجْلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ ... ـمُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ

هم يقولون: ليس لأهل الكبائر شفاعةٌ كما أنَّ أهلَ الإشراك ليس فيهم شفاعةٌ، بناءً عَلَى أنَّ أهلَ الكبائر مخلَّدون في النار، والمخلَّدُ في النار لا تنفعُ فيه الشفاعةُ، وهذا واضحُ.

١٧٨٦- وَلِأَجْلِهِ ضُرِبَ الإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ ... صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي

قَوْلُهُ: «**ضُرِبَ الإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ**» أي: الإمامُ أحمدُ ضُرِب بالسَّوط؛ لأنه أَصَرَّ عَلَى قول الحقِّ أنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، وهم يضربونه بالسِّياط حتَّى يُغشى عليه، يُجَرُّ بالبغلة في السوق ويُضْرَبُ حتَّى يُغمى عليه ليقول: إِنَّ الْقُرْآنَ مخلوقٌ، ولكنَّه أصرَّ فقال: الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، افعلوا ما شئتم، وهذا كما قَالَ السَّحرةُ لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢].

وهَكَذَا مقامُ أهلِ الحقِّ، لاسيَّما في هَذَا المقام الضَّنك؛ لأنَّ الإمامَ أحمدَ لو قال: (الْقُرْآنُ مخلوقٌ) ولو بالتأويل، انقلبت الأمةُ كُلُّها معتزلةً جهميةً، فمقامُه هنا ليس من باب مقام الإكراه.

يعني: لو قَالَ قائل: لماذا لم يتأوَّل، والمُكْرَه ليس عليه ذنبٌ؟ نقول: لا، هَذَا مقامُ جهادٍ، ففرقٌ بين شخصٍ يُكْرَهُ عَلَى أن يسجدَ لصنم ولكن لا يقتدي به الناسُ هَذَا له أن يفعل ما أُكْرِه عليه إذا كان قلبُه مطمئنًا بالإيمان، وبين شخصٍ

يكون إمامًا، هَذَا لا يجوزُ أن يفعلَ ما أُكْرِه عليه؛ لأنَّ هَذَا الإمامَ إذا فعل ما أُكْرِه عليه من الكفر سيتبعه النَّاسُ ويكفرون، فمقامُه مقامُ جهادٍ، لكن شخص عادي قيل له: اسجد للصنم، فسجد، ولا يهتمُّ به أحدٌ، بل الناسُ ينكرون عليه أنه سجد، هَذَا نقول: إذا سجد دفعًا للإكراه فإنه لا حرجَ عليه، ويكونُ معذورًا ما دام قلبُه مطمئنًا بالإيمان.

١٧٨٧- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ جَهْـمٌ: لَـيْسَ رَبْـ ... ـبُ الْعَرْشِ خَـارِجَ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ

١٧٨٨- كَـلَّا وَلَا فَـوْقَ السَّـمَوَاتِ العُـلَى ... والعَـرْشِ مِـنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَـنِ

١٧٨٩- مَـا فَوْقَهَـا رَبٌّ يُطَـاعُ جِبَاهُنَـا ... تَهْـوِي لَـهُ بِسُـجُودِ ذِي خُضْـعَانِ

جهمُ بنُ صفوانٍ إمامُ الجهميَّة يقولُ: إنَّ اللهَ ليس فَوْقَ العرش، وليس فوقَ السَّموات، وليس فوقَ السَّموات من رَبٍّ فأين اللهُ؟

انقسمت الجهميَّةُ إِلَى قسمين:

قسم **قالوا**: إِنَّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكان، في المسجد، في السُّوق، في البَرِّ، في كُلِّ مكان، لا تقل: فَوْقَ السَّموات.

قسمٌ آخر: قالوا: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ليس فوقُ ولا تحتُ، ولا يمينُ ولا شمالُ، ولا داخلًا ولا خارجًا، ولا متصلًا ولا منفصلًا، أين هُوَ إِذَنْ؟ الجواب: غير موجود.

فأولئك -والعياذ بالله- جعلوه في كُلِّ مكانٍ، وهؤلاء أَخْلَوْا مِنْهُ كُلَّ مكان.

لكن ما هُوَ تأويلُ الجهميَّةِ في ذلك؟ يقولون: لو قلنا: إنَّ اللهَ فوقُ لزم أن يكونَ في جهة، فيكون محدودًا، ويكونُ جسمًا، ويكون في حيِّزٍ، وما أشبه ذلك.

ونقولُ لهم -كما سبق- في الرَّدِّ عليهم بأنَّ كُلَّ هَذَا ليس بلازمٍ بالنسبة لعلوِّ الله إِلَّا ما كان لائقًا به عزَّ وجلَّ.

١٧٩٠- وَلِأَجْلِهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ ... وَالْعَرْشُ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

صفاتُ الكمال أُنْكِرَتْ بالتأويل، لماذا؟ قالوا: لأننا لو أثبتنا صفةً لزم أن يكونَ جسمًا، والأجسامُ متماثلةٌ.

وقال بعضُهم: لو أثبتنا صفةً قديمةً لزم تعدُّدُ القدماء، وهذا أعظمُ من شرك النصارى، فالنصارى جعلوا الآلهةَ ثلاثةً، وأنت إذا أثبتَّ لله صفةً قديمةً جعلتَه آلافًا، مثلًا إذا أثبت لله سمعًا قديمًا، وبصرًا قديمًا، وقُدرةً قديمةً، وحياةً قديمةً، وقوةً قديمةً، وعِزَّةً قديمةً، صار ستةً، وهَكَذَا كُلَّما زدتَ صفةً زدت ربًّا، فيقولون: هَذَا شركٌ، إِذَنْ يجبُ أن ننكرَ كُلَّ صفةٍ، فلأجل هَذَا التأويل أنكروا صفاتِ الكمال.

١٧٩١- وَلِأَجْلِهِ أَفْنَى الجَحِيمَ وَجَنَّةَ الْـ ... ـمَأْوَى مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانِ

١٧٩٢- وَلِأَجْلِهِ قَالُوا: الإِلَهُ مُعَطَّلٌ ... أَزَلًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَزَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِأَجْلِهِ أَفْنَى الجَحِيمَ وَجَنَّةَ المَأْوَى» أي: لأجل التأويل أفنى الجحيمَ وأفنى جنَّةَ المأوى.

فهؤلاء الجهميَّةُ يقولون: إنَّ أفعالَ الله ليس لها استمرارٌ أزليٌّ، ولا أبدِيٌّ فهم يقولون: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ليس له فعلٌ مستمرٌّ لا أزلًا ولا أبدًا، وعلى هذا، فالنَّارُ تفنى، والجنَّةُ تفنى، وقد سبق أنهم يقولون بفناء الجنَّة وفناء النار، وبعضُهم قال: تفنى الحركاتُ دون الذوات، حتَّى إِنَّ الإنسانَ إذا كان يريدُ أن

يأكلَ ثمرةً من الجَنَّة وأخذ الثمرةَ ليوصلَها إِلَى فمه، وجاء وقتُ الفناء بَقِيَ هَكَذَا، بقيت الثمرةُ في يده إِلَى أبد الآبدين، نسأل اللهَ العافيةَ، عقولٌ غريبةٌ.

على كُلِّ حالٍ هم يقولون بفناء الجَنَّة والنَّار تأويلًا باطلًا.

١٧٩٣- وَلِأَجْلِهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ

من مذهب جهم إنكارُ الحكمة أيضًا، يقولُ: إِنَّ أفعالَ الله غيرُ معلَّلةٍ، ليس لها حكمةٌ، يفعلُ هَكَذَا، ليس لها غايةٌ حميدةٌ؛ لأنك لو جعلتَ لأفعاله حكمةً صَيَّرته يفعلُ لغرضٍ، والذي يفعلُ لغرضٍ ناقصٌ؛ لأنه لا يَكْمُل إِلَّا بهذا الغرض؛ ولهذا من قواعدهم الفاسدة أنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الأعْرَاضِ والأَبْعَاضِ والأَغْرَاضِ.

وهي كلمةٌ مسجوعةٌ حلوةٌ في لفظها لكنَّها مُرَّةٌ في معناها، فـ (**مُنَزَّهٌ عن الأعْرَاض**) يعني: عن الصِّفَات.

«**والأبعاض**» يعني: عن اليدين، والوجه، والعين.

«**والأغراض**» يعني: عن الحكمة، فليس لفعله حكمةٌ.

فأهدروا جميعَ ما يدلُّ عليه اسمُ الحكيم، فهو حكيمٌ بلا حكمةٍ.

وأنكروا كُلَّ ما جعله اللهُ سببًا؛ لأنَّ الأسبابَ من العِلل، والْقُرْآنُ مملوءٌ بإثبات الحكمة لله، لكن هم يقولون: يفعلُ بغير حكمة، يفعلُ لمجرد المشيئة، نسألُ اللهَ العافيةَ.

١٧٩٤- وَلِأَجْلِهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «**وَلِأَجْلِهِ**» أي: لأجل التأويل كذَّبوا بنزول الله تعالى إِلَى السَّماء الدنيا

في النصف الثاني من الليل، فقالوا: إِنَّ معنى قولِه -عليه الصلاة والسلام-: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»[١] أي: يَنْزِلُ أمرُ ربِّنا، أو رحمةُ ربِّنا، أو مَلَكُ ربِّنا، وقد سبق الجواب عَلَى هَذَا التحريف.

١٧٩٥- وَلِأَجْلِهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً ... وَحِكَايَةً عَنْ ذَلِكَ الْقُرْآنِ

١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْـ ... ـقُرْآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ

لأجله زعموا أَنَّ الْقُرْآنَ عبارةٌ وحكايةٌ عن كلام الله، وهؤلاء هم الكُلَّابِيَّةُ والأشعريَّةُ، قالوا: إِنَّ كلامَ الله لا يُسْمَعُ، وليس بحروفٍ، لكنَّه هُوَ المعنى القائم بنفسِه، وأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- خَلَقَ أصواتًا تُسْمَعُ عبارة عن هَذَا الكلام، أو حكاية عن هَذَا الكلام؛ ولهذا قَالَ المؤلف:

١٧٩٧- مَا ذَا كَلَامَ الله قَطُّ حَقِيقَةً ... لكِنْ مَجَازٌ وَيْحَ ذَا الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَيْحَ» كلمةُ توجُّعٍ ووعيدٍ لهذا البهتان الَّذِي ذهب إليه هؤلاء، هم إذا جعلوا الكلامَ عبارةً عن المعنى القائم بالنفس فهل يُسَمَّى المعنى القائمُ بالنفس هل يُسَمَّى كلامًا؟ الجواب: أبدًا، وأمَّا قولُ القائلِ[٢]:

إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا

يقولون: إِنَّ القائلَ لهذا البيت هُوَ الأخطلُ النصرانِيُّ المشهورُ، وبعضُهم أنكر أن يكونَ قاله؛ لأنه لم يوجد في ديوانه، وأيًّا كان فإنه لا حُجَّةَ فيه؛ لأنَّ معنى

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/ ١٨٧).

قوله: «إِنَّ الكَلَامَ لَفِي الفُؤَادِ» يعني: أنَّ الكلامَ الرَّصِينَ الَّذِي يُعتبرُ ما كان خارجًا من القلب، وأمَّا الكلامُ الهذيان فهو الَّذِي يكون عَلَى اللِّسان، فالكلامُ الرَّصِينُ الحقيقيُّ المفيدُ هُوَ الَّذِي يخرجُ من القلب، فالإنسانُ يُقَدِّرُ أوَّلًا بقلبه، ثُمَّ ينطقُ بلسانه، لكن لا يمكنُ أن يُقالَ: إنه متكلِّمٌ حتَّى ينطقَ باللِّسان.

١٧٩٨- وَلِأَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَصْرٍ أَحْمَدٌ ... ذَاكَ الخُزَاعِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ ... مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «ابْنَ نَصْرٍ أَحْمَدٌ» هُوَ أحمدُ بنُ نصرٍ -رحمه الله[1]- وَهُوَ الرجلُ الثاني الَّذِي وقف أمامَ المحنة في عهد الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، فإنَّ هذين الرَّجُلَيْن أصرَّا عَلَى أن يقولا: إنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوق، فقُتِل أحمدُ بن نصرٍ -رحمه الله-، وأمَّا الإمام أحمد فنجى.

١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالأُلَى ... قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الكُفْرَانِ

١٨٠١- فتَأَوَّلُوا خَلْقَ السَّمَوَاتِ العُلَى ... وَحُدُوثَها بِحَقِيقَةِ الإِمْكَانِ

ابنُ سينا وشيعتُه من الفلاسفة قالوا: ليس هناك خالقٌ ومخلوقٌ، وأمَّا خلقُ السموات فمعناه إمكانُ حدوثِها، وأنها وُجِدَتْ، ووجودُها دليلٌ عَلَى الإمكان، أمَّا أن يكونَ هناك خالقٌ فلا، وتأوَّلوا الخلقَ بمعنى إمكان الحدوث.

١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الإِلَهِ وَقَوْلَهُ ... وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ والبُطْلَانِ

قالوا: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ليس له صفةٌ هي وجوديَّة، بل كُلُّ صفاتِه

(١) هو الإمام الكبير، الشهيد، أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، المروزي، ثم البغدادي، كان أمَّارًا بالمعروف، قوَّالًا بالحق. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦).

سلبيَّةٌ، حتَّى قالوا: لا يصحُّ أن تقولَ بأنَّ اللهَ موجود، فهذا غيرُ صحيحٍ؛ لأنه لا يجوزُ أن يُثْبَتَ لله صفةٌ وجوديَّةٌ، بل كُلُّ صفاتِه سلبيَّةٌ، ومع هَذَا أيضًا يقولون: إنه تخييلٌ لا حقيقةَ له، لكنَّ الرسلَ جاؤوا بهذا التخييل من أجل أن يستقيمَ النَّاسُ عَلَى ما أُرِيدَ منهم، وإلَّا فلا رَبَّ، ولا صفاتِ رَبٍّ، ولا جنةَ ولا نارَ، ولا يومَ آخرَ، وإنما الرسل صَوَّرت هَذَا تصويرًا قصصيًّا من أجل أن يستقيمَ الناسُ عَلَى ما طَلَبَتْ منهم الرسلُ.

١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الإِلَهِ لِهَذِهِ الأَبْدَانِ

١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بَسِيطَةَ الأَرْكَانِ

البعثُ الَّذِي هُوَ إخراجُ الناس من قبورهم لربِّ العالمين أحياءً بعد الموت، قالوا: ليس هَذَا المرادَ بالبعث، المرادُ بالبعثِ بعثُ الروح من عالَمِ المادة إِلَى عالَمِ الرُّوحِ، أي: أنها تخرجُ من عناصر المادة من البدن إِلَى عالم الأرواح.

والحقيقةُ أنَّ هَذَا تحريفٌ ليس بعده تحريفٌ؛ لأننا إذا قلنا: إِنَّ هَذَا هُوَ البعثُ فحقيقتُه أنَّ هَذَا هُوَ الموتُ، فالموت أن تفارقَ الرُّوحُ البدنَ، تفارقَ العنصرَ الماديَّ إِلَى عنصر الأرواح الغيبِيِّ، وهذا ليس ببعث، هَذَا حقيقتُه أنه الموت، لكن لتحريفهم زعموا أنَّ هَذَا هُوَ البعثُ، وأنكروا أن يكونَ هناك بعثٌ للأبدان، قالوا: الأبدانُ تفنى وتذهبُ، ولا يمكنُ أن تُبْعَثَ مرةً أخرى.

١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ القَرَامِطَةَ الأُلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الإِيمَانِ

القرامطةُ أصلُهم شيعةٌ روافض، لكن تطورت بدعتُهم -والعياذ بالله- حتَّى قالوا: إِنَّ للإسلام ظاهرًا وباطنًا، الظاهرُ ما نعرفه من الصلاة والزكاة

والصيام والحجِّ، وهذا لا يُؤْمَرُ به إِلَّا العامةُ، ولا يقومُ به إِلَّا العامةُ، فالأنبياءُ عوام، وتابعوهم عَلَى هَذَا الدين الظاهر عوام، والدينُ الحقيقِيُّ هُوَ الدين الباطِنِيُّ، ولهذا يُسمَّون الباطنيَّة، وهذا الدين الباطِنِيُّ لا يُؤْمَرُ به إِلَّا خواصُّ الناس وهم أولياؤهم ولهذا تأوَّلوا، حتَّى الشريعة العملية تأوَّلوها كما تأوَّل هؤلاء الشريعةَ العلميَّةَ في صفات الله وغيره، تأوَّلوها أي: حرَّفوها.

هؤلاء حَرَّفوا حتَّى الأمور العمليَّة، قالوا: الصلاةُ ليست هي ذات الركوع والسجود، بل الصلاةُ معرفةُ أسرارِ القوم.

والصيام: هل هُوَ الإمساك عن الطعام والشراب والمفطرات؟ لا، فهذا صوم العوام، أمَّا صومُ الخواصِّ فهو كتمانُ أسرارهم؛ ولهذا لا يَبُوحون بأسرار مذهبهم إِلَّا بعد أن يتربَّى الإنسانُ عَشْرَ مراتبٍ معروفة عندهم، يعني: يُرَحِّلونه مرحلةً مرحلةً حتَّى يصل إِلَى الغاية.

وأمَّا الحجُّ فقالوا: إنه زيارةُ أوليائِهم، أمَّا أن تزورَ الكعبةَ، فهذا حجُّ العوام، حجُّ الخواصِّ أن تذهبَ إِلَى الوليِّ الفلانيِّ حيًّا كان أو ميتًا وتقصده، هَذَا هُوَ الحجُّ.

الزكاةُ ليست بذلَ المال للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها... إلخ، ولكنَّها بذلُ المال في تنمية مذاهبهم، والبناء عَلَى قبور أوليائهم، وما أشبه ذلك.

١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا العَمَلِيَّ مِثْلَ تَأَوُّلِ الْـ ـعِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «العِلْمِيّ» هُوَ ما يتعلَّقُ بالعقائد.

قَوْلُهُ: «العَمَلِيّ» هُوَ ما يتعلَّق بأعمال الجوارح.

الباطنيَّةُ القرامطةُ تأوَّلوا الأمرَيْن جميعًا، هم في مذهبهم العلميِّ كمذهب الفلاسفة تمامًا، يقولون: كُلُّ اليوم الآخر، وأسماء الله، وصفات الله، بل والله عزَّ وجلَّ كُلُّه تخييلٌ.

هم زادوا عَلَى ذاك، وقالوا: العمليُّ أيضًا تخييلٌ للعوام فقط دون الخواصِّ.

١٨٠٧- وَهُوَ الَّـذِي جَـرَّ النَّصِـيرَ وَحِزْبَـهُ   حَتَّـى أَتَـوْا بِعَسَـاكِرِ الكُفْـرَانِ

قَوْلُهُ: «النَّصِير» هُوَ نَصيرُ الدين الطُّوسِيُّ -عليه من الله ما يستحقُّ- هَذَا الرجلُ رافضِيٌّ، استبطنه الخليفةُ، وجعله من بطانته، فخانه أعظمَ خيانة، وقاد التتارَ إِلَى دخول بغداد، فدخل التتارُ بغدادَ، وقتلوا الخليفةَ، وقتلوا أممًا لا يحصيهم إِلَّا اللهُ من العلماء، والعُبَّاد، والزُّهَّادِ، وغيرهم.

حتَّى إِنَّ ابنَ الأثير -رحمه الله- لما أراد أن يتكلَّمَ عَلَى محنتهم قال: «**لقد بقيت عدة سنين مُعرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لِذِكرها، فأنا أقدم إِلَيْهِ رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عَلَيْهِ أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عَلَيْهِ ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا**»[(١)].

وكان يقول: من محنتهم أنَّ العشرةَ منهم، أو الخمسةَ، أو الرجلَيْنِ أو الثلاثةَ يدخلون السوق، ويدُقُّون البيوتَ، ويُخرجونَ الرجالَ، ويأتون بحجر بل بحجرين، ويقولون للرجل: ضع رأسَك عَلَى هَذَا الحجر، ويقولون لأخيه: اضرب رأس أخيك بالحجر الثاني، ويفعل ذلك، لا يدافعون عن أنفسهم، يعني:

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٣٣).

أنزل اللهُ في قلوبهم الرعبَ، ويخرجون المرأةَ وهي حاملٌ فيبقرون بطنها، ويُخرجون ولدَها يتحرَّك أمامها، ثُمَّ يقتلونه -نسأل اللهَ العافيةَ- فإذا رأيت ما جرى تقولُ: سبحان الحليم الَّذِي لا يُؤاخِذُ عبادَه بما صنعوا!

يقول ابن القيم:

١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ ... وَخُمَارُهَا فِينَا إِلَى ذَا الآنِ

يعني: جرى عَلَى الإسلام محنةٌ عظيمةٌ سقطت به الدولةُ العباسيَّةُ.

قَوْلُهُ: «**وخُمَارُها فِينَا**» يعني: ما زالت هَذِهِ الفتنةُ إِلَى وقت ابن القيِّم في القرن الثامن، وهي كانت في سنة ستمئة وخمسين، يعني: قبل مائة سنة، وما زالت آثارُها.

إِذَنْ عرفنا الآن أنَّ أساسَ البلاء في الإسلام هُوَ التأويلُ سواء في الأمور العلميَّة، أو في الأمور العمليَّة حتَّى في مسائل الفقه الذين يخالفون الأقوالَ الصحيحةَ التي دلَّت عليها النصوصُ إنما خالفوها من أجل التأويل، يؤوِّلون النصوصَ، فيخالفون مرادَ الشَّارع.

* * *

١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِن بِدَعٍ وَأَحْـ ... ـدَاثٍ تُخَالِفُ مُوجَبَ القُرْآنِ

١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو البُطْلَانِ لَا ... تَأْوِيلُ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ

١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ المُرَادِ وَكَشْفُهُ ... وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إِلَى الأَذْهَانِ

١٨١٢- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ ... صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلَّ أَوَانِ

١٨١٣- يَتَـأَوَّلُ الْقُـرْآنَ عِنْـدَ رُكوعِـهِ وَسُـجُودِهِ تَأويـلَ ذِي بُرْهَـانِ

١٨١٤- هَـذَا الَّـذِي قالَتْـهُ أُمُّ المُؤْمِنِيـ ـنَ حِكَايَـةً عَنْـهُ لَـهَا بِلِسَـانِ

١٨١٥- فَـانْظُرْ إِلَى التَّأْوِيـلِ مَـا تَعْنِـي بِـهِ خَـيْرُ النِّسـاءِ وأَفْقَـهُ النِّسْـوَانِ؟

١٨١٦- أَتَظُنُّهـا تَعْنِـي بِـهِ صَرْفًـا عَـنِ الْـ ـمَعْنَى القَوِيِّ لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ

١٨١٧- وَانْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَلْـ ـلِّمْهُ لِعَبْـدِ اللهِ فِي القُـرْآنِ

١٨١٨- مَـاذَا أَرَادَ بِـهِ سِـوَى تَفْسِـيرِهِ وَظُهُـورِ مَعْنَـاهُ لَـهُ بِبَـيَانِ

١٨١٩- قَولُ ابـنِ عَبَّـاسٍ هُـوَ التَّأْوِيـلُ لَا تَأْوِيـلُ جَهْمِـيٍّ أَخِـي بُهْتَـانِ

١٨٢٠- وَحَقِيقَـةُ التَّأْوِيـلِ مَعْنَـاهُ الرُّجُـو عُ إِلَى الـحَقِيقَةِ لَا إِلَى الـبُطْلَانِ

١٨٢١- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ الـمَنَامِ حَقِيقَـةُ الْـ ـمَرْئِيِّ لَا التَّحْرِيـفُ بِالبُهْتَـانِ

١٨٢٢- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ الَّـذِي قَـدْ أَخْـبَرَتْ رُسُـلُ الإِلَـهِ بِـهِ مِـنَ الإِيـمَانِ

١٨٢٣- نَفْسُ الـحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُها لَـدَى يَـومِ المَعَـادِ بِرُؤْيَـةٍ وَعِيَـانِ

١٨٢٤- لا خُلْـفَ بَـيْنَ أَئِمَّـةِ التَّفْسِـيرِ فِي هَـذَا وَذَلِـكَ وَاضِـحُ البُرْهَـانِ

١٨٢٥- هَـذَا كَـلَامُ اللهِ ثُـمَّ رَسُـولِهِ وَأَئِمَّـةِ التَّفْسِـيرِ لِلْقُـرْآنِ

١٨٢٦- تَأْوِيلُـهُ هُـوَ عِنْـدَهُم تَفْسِـيرُهُ بِالظَّـاهِرِ الْـمَفْهُومِ لِلأَذْهَـانِ

١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَـخْصٌ وَاحِـدٌ: تَأْوِيلُـهُ صَرْفٌ عَـنِ الرُّجْحَـانِ

١٨٢٨- كَـلَّا وَلَا نَفْـيُ الـحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ اليَقِـينِ فَـذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الـمَرْدُودِ عِنْـ ـدَ أَئِمَّـةِ العِرْفَـانِ وَالإِيـمَانِ

١٨٣٠- وَهُـوَ الَّـذِي لَا شَـكَّ فِي بُطْلَانِـهِ وَاللهُ يَقْضِـي فيـهِ بِـالبُطْلَانِ

١٨٣١- فَجَعَلْـتُمْ لِلَّفْـظِ مَعْنًـى غَـيْرَ مَعْـ ـنَاهُ لَـدَيْهِمْ بِاصْـطِلَاحٍ ثَانِـي

١٨٣٢- وَحَمَلْتُمُ لَفْـظَ الْكِتَـابِ عَلَيْـهِ حَتْـ ـتَى جَـاءَكُمْ مِـنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ:

١٨٣٣- كَذِبٌ عَلَى الأَلْفَاظِ مَعْ كَذِبٍ عَـلَى مَـنْ قَالَـهَا، كَـذِبَانِ مَقْبُوحَـانِ

١٨٣٤- وَتَلَاهُمَـا أَمْـرَانِ أَقْـبَحُ مِـنْهُمَا جَحْـدُ الـهُدَى وَشَـهَادَةُ البُهْتَـانِ

١٨٣٥- إِذْ يَشْـهَدُونَ الـزُّورَ أَنَّ مُـرَادَهُ غَـيْرُ الْـحَقِيقَةِ وَهْـيَ ذُو بُطْـلَانِ

الشـرحُ

١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِن بِدَعٍ وَأَحْـ ـدَاثٍ تُخَـالِفُ مُوجَـبَ القُـرْآنِ

١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيـلُ ذُو الـبُطْلَانِ لَا تَأْوِيـلُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالإِيـمَانِ

ذكر المؤلفُ -رحمه الله- أنَّ أساسَ البلاءِ في الإسلام هُوَ التأويلُ الَّذِي أبطلَه، وَهُوَ الَّذِي حصلت به كُلُّ البدع والأحداث.

ثُمَّ ذكر أنَّ هناك تأويلًا صحيحًا، وَهُوَ التأويلُ الَّذِي قاله أهلُ العلم والإيمان.

١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِـيرُ الـمُرَادِ وَكَشْـفُهُ وَبَيَـانُ مَعْنَـاهُ إِلَى الأَذْهَـانِ

هذا التأويلُ -وَهُوَ تأويلُ أهلِ العلم والإيمان- بمعنى التفسير؛ لأنَّ التأويلَ الَّذِي ذكرنا أنه أصلُ البلاء هُوَ صرفُ اللفظ عن المعنى الراجح إِلَى المعنى المرجوح، وهذا هُوَ التأويل الَّذِي أبطله ابنُ القيِّم، وحقيقةُ أمرِه أنه تحريفٌ.

هناك تأويلٌ بمعنى التفسير، وَهُوَ كشفُ المعنى، وإيضاحُه، وبيانُه، وهذا التأويلُ صحيحٌ.

وهذا يستعملُه العلماءُ أهلُ العلمِ والإيمانِ، فمثلًا يقولُ ابنُ جريرٍ -وَهُوَ إمامُ المفسِّرين بالأثر- يقولُ عندما يتكلَّمُ عَلَى تفسير الآية: القولُ في تأويلِ قوله تعالى: كَذَا وكذا، «**القول فِي تأويل**» يعني: في تفسير.

وسُمِّيَ التفسيرُ تأويلًا؛ لأنه بيانٌ لما يؤولُ إليه اللفظُ، فإنَّ تفسيرَ اللفظ بمعناه بيانٌ لما يؤول إليه، وأصلُ التأويل مأخوذٌ من الأَوْل وَهُوَ الرجوع.

١٨١٢- قَـدْ كَـانَ أَعْلَـمَ خَلْقِـهِ بِكَلامِـهِ صَلَّـــى عَلَيْـــهِ اللهُ كُـــلَّ أَوَانِ

١٨١٣- يَتَـأَوَّلُ الْقُـــرْآنَ عِنْـــدَ رُكوعِـــهِ وَسُـــجُودِهِ تَأويـــلَ ذِي بُرْهَـــانِ

قَوْلُهُ: «**قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ**» فمحمدٌ رسولُ الله ﷺ هُوَ أعلمُ الخلقِ بكلام الله، لا شَكَّ في هذا.

قَوْلُهُ: «**يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**» فإنه -عليه الصلاة والسلام- لـمَّا نزل قولُ الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:١-٣] عرف -عليه الصلاة والسلام- أنَّ هَذَا دنوُّ أجلِه، وأنَّ اللهَ أمَره أن يختمَ عمرَه بهذا الدعاءِ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فكَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١).

وَقَوْلُهُ: «**تَأْوِيل ذِي بُرْهَانِ**» أي: ذِي علمٍ ودليلٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨١٤- هَـذَا الَّـذِي قالَتْـهُ أُمُّ المُؤْمِنِيـــ ـــنَ حِكَايَـةً عَنْـهُ لَـهَا بِلِسَـانِ

١٨١٥- فَـانْظُرْ إِلَى التَّأْوِيـلِ مَـا تَعْنِـي بِـهِ خَـيْرُ النِّسَـاءِ وأَفْقَـهُ النِّسْـوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَذَا الَّذِي قالَتْهُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ» ماذا قالت؟ لـمَّا قالت: كان يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ» قالت: «يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ»(١) ماذا تعني بالتأويل هنا؟ هل تعني: أنه يصرفُ الْقُرْآنَ عن ظاهره إِلَى معنى يخالف الظاهر؟ الجواب: لا، بل قولها: «يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ» أي: يعملُ به؛ لأنَّ حقيقةَ المأمورِ ومآلَه العملُ به.

فمثلًا إذا أمر اللهُ بشيءٍ فلنا فيه تأويلان: التأويلُ الأَوَّلُ: تفسير، والتأويلُ الثاني: فعلُه والعملُ به.

فقول عائشة: «يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ» ليس معناه يُفسِّره، لا يُفَسِّرُ معنى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ لكنَّ المعنى: يَعْمَلُ به، والعملُ بالمأمور به يُعتبر تأويلًا؛ لأنه إظهارٌ للمأمور به حتَّى يكونَ مُشَاهَدًا كما أَنَّ تأويلَ الخبر إذا وقع يُسَمَّى تأويلًا؛ لأنه ظهورٌ للمُخْبَرِ به أو للمْخَبرِ عنه حتَّى يُشَاهَدَ ويُرَى.

فالحاصلُ أنَّ التأويل يُرَادُ به التفسيرُ، ويُرادُ به عَيْنُ المؤوَّل، فإن كان مأمورًا به فتأويلُه فعلُ المأمور به، وإذا كان مُخْبرًا عنه فتأويلُه وقوعُ الْمُخْبَرِ عنه حتَّى يُشاهَدَ ويُرَى.

قَوْلُهُ: «خَيْرُ النِّساءِ وأَفْقَهُ النِّسْوَانِ» أما كونُ عائشةَ أفقهَ النسوان فهذا أمرٌ يعرفه مَنْ عرف حالَها، وأنَّها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعْتَبَرُ فقيهة النساء.

---

(١) هو جزء من الحديث السابق.

وأمَّا كونُها خيرَ النساء فهذا من الأمور المختلَف فيها عند أهل السُّنَّة، فمنهم مَنْ قال: إنَّ خيرَ النساء عائشةُ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يكَمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[1].

قالوا: فذكر أنه كَمُلَ من النساء فلانةٌ، وفلانةٌ، وفلانةٌ، وفلانة «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ» وهذا عام «كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وكأَنَّ ابنَ القيِّم في هَذَا الكلام يذهبُ هَذَا المذهبَ، ولكن تقدَّم في العقيدة أنَّ الصحيحَ أنَّ عائشةَ لها مَزِيَّةٌ، وخديجةَ لها مَزِيَّةٌ، وفاطمةَ لها مَزِيَّةٌ، ومريمَ لها مَزِيَّةٌ، كُلُّ واحدةٍ من الأخرى خيرٌ من الأخرى من وجهٍ آخر.

١٨١٦- أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرْفًا عَنِ الْـ ... ـمَعْنَى القَوِيِّ لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ

الجَوَابُ: لا، لا تريدُ بالتأويل صرفَ اللفظ عن المعنى القويِّ، يعني: الظاهر، للمعنى الَّذِي ليس براجح؛ ولهذا قال: «لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ».

١٨١٧- وَانْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَلْـ ... ـلِمْهُ لِعَبْدِ اللهِ فِي القُرْآنِ

١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ ... وَظُهُورِ مَعْنَاهُ لَهُ بِبَيَانِ

من القائل؟ الجواب: الرسولُ ﷺ حيث قَالَ لعبد الله بن عبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١]، رقم (٣٢٣٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٣٤١١).

فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[1]، يعني: التفسيرَ.

١٨١٩- قُولُ ابنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا   تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «قُولُ ابنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ» يعني: هُوَ التأويل حقيقةً، أي: التفسير.

قَوْلُهُ: «لَا تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ» الجهميُّ يعني بالتأويل التَّحريف، فمعناه عنده صرفُ اللفظ عن المعنى الراجح إِلَى المعنى المرجوح لدليلٍ يرى أنه صارفٌ، فيرى الجهميُّ وغيرُه من أهل التَّحريف أنَّ هَذَا الدَّلِيلَ صارفٌ، والدَّلِيلُ الصَّارفُ عندهم هُوَ العقلُ كما سبق.

١٨٢٠- وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرُّجُوعُ   إِلَى الحَقِيقَةِ لَا إِلَى البُطْلَانِ

أَمَّا الجهميُّ وغيرُه فحقيقةُ التأويل عنهم هُوَ الرجوعُ إِلَى المعنى الباطلِ الَّذِي يخالفُ ظاهرَ اللفظ.

١٨٢١- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ المَنَامِ حَقِيقَةُ الْـ   ـمَرْئِيِّ لَا التَّحْرِيفُ بِالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «تَأْوِيلُ المَنَامِ حَقِيقَةُ المَرْئِي» لـمَّا رفعُ يوسفُ -عليه السلام- أبويه عَلَى العرش وخرُّوا له سُجَّدًا، ماذا قال؟ قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف:١٠٠] معنى (هذا تأويلُها) أي: هَذَا وقوعُها، وقوع هَذِهِ الرؤيا؛ لأنَّ الرؤيا التي كانت كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] هَذِهِ الرؤيا تصويرُ فقط، لما وقع الأمر، ورفع أبويه عَلَى العرش، وخرُّوا له سُجَّدًا قال: هَذَا تأويل، أي: وقوع ما رآه في منامه مُشَاهَدًا.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٩، رقم ٢٤٢٢).

١٨٢٢- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ رُسُلُ الإِلَهِ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ

١٨٢٣- نَفْسُ الحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُها لَدَى يَومِ المَعَادِ بِرُؤْيَةٍ وَعِيَانِ

الرُّسُل -عليهم الصلاةُ والسلَام- أخبرت بما يكونُ يوم القيامة، فمتى تأويلُه الَّذِي هُوَ وقوعُ هَذَا المُخْبَرِ به؟ الجواب: يوم القيامة كما قَالَ الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣].

فقَوْلُهُ: ﴿نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني: تركوه، وليس النسيان الَّذِي هُوَ الذهول عن الشيء المعلوم، بل المراد تركوه.

١٨٢٤- لا خُلْفَ بَيْنَ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ البُرْهَانِ

١٨٢٥- هَذَا كَلَامُ الله ثُمَّ رَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ

١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِندَهُم تَفْسِيرُهُ بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ

١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ: تَأوِيلُهُ صَرْفٌ عَنِ الرُّجْحَانِ

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ اليَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ أَئِمَّةِ العِرْفَانِ وَالإِيمَانِ

مَن الَّذِي قال: إنَّ التأويلَ صرفٌ عن الرُّجْحان؟ الجواب: الجهميَّةُ وأهلَ البدع، أمَّا كلامُ الله وكلامُ رسولِه وكلامُ أئمةِ التفسير وكلامُ أئمة المسلمين فالتأويلُ عندهم له معنيان لا ثالثَ لهما، وهما: التفسيرُ، والحقيقةُ التي يؤولُ إِلَيْهَا

الكلام، إنْ كان خبرًا فبوقوع المُخْبَرِ به، مثالُه: قولُه -سبحانه وتعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣].

وإن كان طلبًا فبامتثاله والعمل به، مثالُه: قولُ عائشةَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...» يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ»[1].

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الحَقِيقَةِ لَا وَلَا ... عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ اليَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ المَرْدُودِ عِنْـ ... ـدَ أَئِمَّةِ العِرْفَانِ وَالإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «**كَلَّا وَلَا نَفْيُ الحَقِيقَةِ**» يعني: لم يَقُل شخصٌ منهم قطُّ: إنَّ التأويلَ نفيُ الحقيقة.

قَوْلُهُ: «**وَلَا عَزْلُ النُّصوصِ عَنِ اليَقِينِ**» أهلُ الباطلِ عزلوا النُّصوصَ عن اليقين، وقالوا: إنَّ دلالَتها عَلَى المعنى لا تفيدُ اليقينَ، وإذا لم تُفِد اليقينَ فلنا الحقُّ في تأويلِها وصرفِها عن ظاهرها.

وهذه مكابرةٌ؛ لأنَّ في النُّصوص ما يُفيدُ اليقينَ قطعًا، فاستواءُ الله عَلَى العرش أي: علوُّه عليه تدلُّ عليه النُّصوصُ يقينًا؛ لأنه ذُكِرَ في الْقُرْآن في سبعة مواضعٌ، وليس هناك موضعٌ واحدٌ أبدًا قَالَ الله فيه: «**إنه استولى عَلَى العرش**» بل في كُلِّ المواضع بلفظ «اسْتَوَى» قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨٣٠- وَهُــوَ الَّــذِي لَا شَــكَّ فِي بُطْلَانِــهِ وَاللهُ يَقْضِــي فيــهِ بِــالبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللهُ يَقْضِي فيهِ بِالبُطْلَانِ» الظاهرُ أنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- سأل اللهَ أن يقضيَ ببطلان هَذَا التأويل حتَّى لا يغترَّ الناسُ به، فالظاهرُ أنها جملةٌ دُعائيَّةٌ.

١٨٣١- فَجَعَلْـتُمُ لِلَّفْـظِ مَعْنًـى غَـيْرَ مَعْــ ـــنَاهُ لَـدَيْهِمْ بِاصْـطِلَاحٍ ثَانِـــي

قَوْلُهُ: «لَدَيْهِم» أي: لدى أئمة العرفان.

١٨٣٢- وَحَمَلْتُمُ لَفْـظَ الْكِتَـابِ عَلَيْـهِ حَتْــ ـتَـى جَـاءَكُمْ مِـنْ ذَاكَ مَحْـذُورَانِ:

١٨٣٣- كَذِبٌ عَلَى الأَلْفَاظِ مَعْ كَذِبٍ عَـلَى مَــنْ قَالَــهَا، كَـذِبَانِ مَقْبُوحَـانِ

قَوْلُهُ: «جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ» المحذور الأول: «كذبٌ عَلَى الألفاظ» حيث قالوا: إنها تدلُّ عَلَى كذا.

المحذور الثاني: «كَذِبٌ عَلَى مَنْ قَالَـهَا» حيث قالوا: إنَّ مرادَه كذا، فعندنا الآن في تأويل أهل التَّحريف محذوران:

الأول: الكذب عَلَى الألفاظ، مثلًا قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ظاهرُ اللفظ جَاءَ هُوَ بنفسِه، لكن هم كَذَبُوا عَلَى اللفظ، وقالوا: المراد به: «جاء أمر ربك».

الثاني: وكذبوا عَلَى من تكلَّم بهذا اللفظ وَهُوَ الله، فقالوا: إنَّ اللهَ أراد بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: «جاء أمر ربك»، فكذبوا عَلَى الله.

إِذَنْ هنا كذبان: الكذب الأول: عَلَى النصوص (اللفظ)، والثاني: عَلَى مَنْ قالها، فهذان كذبان مقبوحان.

١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا ... جَحْدُ الهُدَى وَشَهَادَةُ البُهْتَانِ

صحيح، ترتَّب عَلَى هَذَا أنهم جحدوا الحقَّ، وأشادوا بالباطل، فقالوا مثلًا: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] ليس معناها **(علا)**، فجحدوا الحقَّ، وأشادوا بالمعنى الباطل وَهُوَ **(استولى)**.

ونحن الآن نُبيِّنُ هَذِهِ المحاذير الأربعة:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ما ظاهرُ اللفظ؟ ظاهرُه أنه اسْتَوَى استواءً حقيقيًّا عَلَى العرش، هم قالوا: المراد بـ**(اسْتَوَى)** أي: **(استولى)**، فكذبوا عَلَى اللفظ.

الثاني: ثُمَّ إِنَّ اللهَ أراد بقوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ الاِسْتِوَاءَ الحقيقيَّ (العلوَّ عليه)، وهم قالوا: إنَّ اللهَ لم يُرِدْ ذلك، ولكن أرادَ الاستيلاءَ، فكذبوا عَلَى الله.

الثالث والرابع: الَّذِي تلا هذين الأمرين: كَذَّبوا بالحقِّ الَّذِي هُوَ الاِسْتِوَاء عَلَى العرش، وجحدوه، ثُمَّ أثبتوا معنًى باطلًا وَهُوَ الاستيلاء، فكذَّبوا بالحقِّ وأشادوا بالباطل، ولهذا قال: «**وتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان**» أي: شهدوا بأنه **(استولى)** ولم (يَسْتَوِ).

١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ ... غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهْيَ ذُو بُطْلَانِ

يعني: يَرَوْنَ أنَّ الحقيقةَ باطلةٌ، وأنَّ المرادَ سواها، نسألُ اللهَ السلامةَ والهدايةَ.

* * *

فصل

(فِيمَا يَلْزَمُ مُدَّعِي التَّأْوِيلِ لِتَصِحَّ دَعْوَاهُ)

١٨٣٦- وَعَلَيْكُمُ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ ... وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ

١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صارِفٌ لِلَّفْظِ عَنْ ... مَوْضُوعِهِ الأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ

١٨٣٨- إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الحَقِيقَةِ مُدَّعٍ ... لِلأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ

١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا ... هَيْهَاتَ طُولِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي

١٨٤٠- وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ... قُلْتُمْ هُوَ المَقْصُودُ بِالتِّبْيَانِ

١٨٤١- فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ طُولِبْتُمْ بِأَمْـ ... ـرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي

١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمُ: إِنَّ المُرَادَ كَذَا فَمَا ... ذَا دَلَّكُمْ أَتَخَرُّصُ الكُهَّانِ؟!

١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ المَوْضُوعَ لَـ ... ـكِنْ قَدْ يَكُونُ القَصْدُ مَعْنًى ثَانِي

١٨٤٤- غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُو ... نُ اللَّفْظُ مَقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِي

١٨٤٥- كَتَعَبُّدٍ وَتِلَاوَةٍ وَيَكُونُ ذَا ... كَ القَصْدُ أَنْفَعَ وَهْوَ ذُو إِمْكَانِ

١٨٤٦- مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسْمَى بِتَأْ ... وِيلٍ مَعَ الإِتْعَابِ لِلأَذْهَانِ

١٨٤٧- وَاللهِ مَا القَصْدَانِ فِي حَدٍّ سَوَا ... فِي حِكْمَةِ المُتَكَلِّمِ المَنَّانِ

١٨٤٨- بل حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبطِلُ قَصْدَهُ التْـ ... ـتَحْرِيفَ حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

١٨٤٩- وَكَـذَاكَ تُبْطِـلُ قَصْـدَهُ إِنْزَالَـــها ... مِـن غَـيرِ مَعْنًـى وَاضِـحِ التِّبْيَـانِ

١٨٥٠- وهُمَـا طَرِيقَـا فِـرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَـا ... عَـن مَقْصِـدِ القُـرآنِ مُنْحَرِفَـانِ

الشــرحُ

هذا الفصلُ فصلٌ عظيمٌ جدًّا، وذلك أنَّ كُلَّ مَن ادَّعى التَّأويلَ الَّذِي هُوَ صرفُ اللفظ عن ظاهره إِلَى معنى مرجوحٍ فلا بُدَّ أن يأتيَ بأمورٍ أربعة:

الأمر الأول قال:

١٨٣٦- وَعَلَـيْكُمُ فِي ذَا وَظَـائِفُ أَرْبَـعٌ ... وَاللهِ لَـيْسَ لَكُـمُ بِهِـنَّ يَـدَانِ

١٨٣٧- مِنْهَـا دَلِيـلٌ صـارفٌ لِلَّفْـظِ عَـنْ ... مَوْضُـوعِهِ الأَصْلِـيِّ بِالْبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «يَدَانِ» بمعنى قدرة.

قَوْلُهُ: «مِنْهَا» يعني: وَهُوَ الأَوَّل.

يعني: لا بُدَّ أن يأتيَ مَن ادَّعى التأويلَ بدليلٍ صارفٍ عن المعنى الأصليِّ، فلابدَّ أن يأتيَ بدليلٍ، هَذَا الدَّلِيلُ إمَّا من الْقُرْآن، أو السُّنَّة، أو الإجماع، أو العقل الصريح.

فإن قَالَ هَذَا الَّذِي طالبناه بالدَّلِيل الَّذِي صرف اللفظ عن ظاهره، وقلنا له: هاتِ الدَّلِيلَ عَلَى أنه مصروفٌ عن ظاهره، لو أنه قلب علينا ذلك، وقال: أنتم الذين تأتون بالدَّلِيل، فبماذا نُجيبُه؟ قَالَ المؤلفُ في الجواب عنه:

١٨٣٨- إِذْ مُـدَّعِي نَفْـسِ الـحَقِيقَةِ مُـدَّعٍ ... لِلأَصْـلِ لَـمْ يَحْـتَجْ إِلَى بُرْهَـانِ

نقول: نحن ما صرفناه عن ظاهِره حتَّى تطالبَنا بالدَّلِيل.

١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَليلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ طُولِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَليلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ» يعني: ما أبعده؟! ما أبعد أن تأتوا بدليلٍ بَيِّنٍ يدلُّ عَلَى صرف اللفظ عن ظاهره، لكن عَلَى فرض أن يستقيمَ لكم طولبتم بأمرٍ ثاني.

١٨٤٠- وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتِّبْيَانِ

لا بُدَّ أن يأتوا بدليل عَلَى أنَّ المعنى يحتملُ ما ذكروه، فإن كان لا يحتملُ لم يُقْبَلْ منهم.

فمثلًا: هل يمكن أن يحتملَ قولُ الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أن يحتملَ معنى (استولى)؟ الجواب: لا؛ لأنه يلزم عليه لوازمُ باطلةٌ تمنعُ أن يكونَ اللفظُ محتملًا لهذا المعنى.

فإذن إذا قالوا: عندنا دليلٌ يصرفُ اللفظَ عن ظاهره، قلنا: نريدُ دليلًا آخرَ، وَهُوَ احتمالُ اللفظ لهذا المعنى الَّذِي قُلْتُم؛ لأنكم قد تَدَّعون معنًى لا يحتملُه اللفظُ، فلا يُقْبَلُ منكم.

١٨٤١- فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ طُولِبْتُمْ بِأَمْـ ـرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَـذَا الثَّانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَاكَ» يعني: أتيتم به، طولبتم بأمرٍ ثالث من بعد هَذَا الثاني.

١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمُ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلَّكُمْ أَتَخَرُّصُ الكُهَّانِ؟!

إذا أَتَوْا بدليلٍ عَلَى أنَّ اللفظَ يحتملُ ما ذكروه، نقولُ: نريدُ منكم دليلًا آخرَ،

وَهُوَ هل يتعيَّنُ ما ذكرتموه معنًى لهذا اللفظ؟ قد لا يتعيَّنُ، فقد يكونُ اللفظُ محتملًا لمعنًى آخر غير الَّذِي عيَّنتموه، ما دمتم صرفتموه عن ظاهره وقُلْتُم: المرادُ كذا، نقولُ: هَذَا الَّذِي عيَّنتم يحتملُ أنَّ المرادَ غيرُه؛ ولهذا قَالَ -رحمه الله-: «**إذ قُلْتُم: إنَّ المراد كَذَا فماذا دلكم**»؟ يعني: ما الَّذِي دلَّكم أنَّ المرادَ ما قُلْتُم؟ «**أتخرص الكهان**»؟! وهذا الاستفهام للإنكار.

١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَـمْ يَقْصِدِ الـمَوْضُوعَ لَـ ... ـكِنْ قَدْ يَكُونُ القَصْدُ مَعْنًى ثَانِـي

١٨٤٤- غَـيْرَ الَّـذِي عَيَّنْتُمُـوهُ وَقَـدْ يَكُـو ... نُ اللَّفْظُ مَقْصُـودًا بِـدُونِ مَعَانِـي

قَوْلُهُ: «**المَوْضُوعَ**» يعني: الحقيقةَ.

إِذَنْ رَدَّ المؤلفُ عليهم إذا عيَّنوا المعنى بأنه يحتمل أن يكونَ المرادُ معنًى آخر، ويحتمل أن لا يُرَادَ معنًى لهذا اللفظ، لا المعنى الَّذِي قُلْتُم، ولا المعنى الآخر، إِذَنْ ما المراد باللفظ؟ يقول:

١٨٤٥- كَتَعَبُّـــدٍ وَتِـــلَاوَةٍ ويَكُـــونُ ذَا ... كَ القَصْـدُ أَنْفَـعَ وَهْـوَ ذُو إِمْكَـانِ

فصار -رحمه الله- يقول: إذا عيَّنوا معنًى طالبناهم بالدَّلِيل عَلَى تعيين هَذَا المعنى الَّذِي ذكروه؛ لاحتمال أن يكونَ المرادُ معنًى آخر، ولاحتمال أن يكونَ هَذَا اللفظُ لا يُرادُ به معنى، وإنما نزل لمجرد اللفظ.

فإذا قَالَ قائل: ما الفائدةُ من اللفظ؟ يقول: «**كَتَعَبُّدٍ وَتِلَاوَةٍ**»: وهذا في الْقُرْآن.

قَوْلُهُ: «**وَيَكُونُ ذَاكَ القَصْدُ أَنْفَعَ**» أي: أنفعَ ممَّا عيَّنوه من المعنى المخالف للظاهر.

١٨٤٦- مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفٍ لَـهَا يُسْـمَى بِتَـأْ وِيـلٍ مَـعَ الإِتْعَـابِ لِلأَذْهَـانِ

إِذَنْ كونُنا نقرأُ هَذِهِ الألفاظَ ولا نتعرَّضُ لمعناها خيرٌ من كونِنا نُحَرِّفُها عن ظاهرها مع إتعاب أذهانِنا والإتيان بالأدلة الدالة عَلَى التجوز إِلَى هَذَا المعنى، وما أشبه ذلك؛ لأنَّ كونَها مجردةً عن المعنى لمجرد التعبد بالتلاوة أولى من كونها محرَّفَة.

ثُمَّ قَالَ -رحمه الله-:

١٨٤٧- وَاللهِ مَـا القَصْـدَانِ فِي حَـدٍّ سَـوَا فِي حِكْمَـةِ الـمُتَكَلِّمِ الـمَنَّانِ

قَوْلُهُ: «**مَا القَصْدَانِ فِي حَدٍّ سَوَا**» ما المرادُ بالقصدين؟ المرادُ: التَّحريفُ الَّذِي هُوَ خلافُ الظاهر، أو كونها ليس لها معنى.

لكن أيُّهما أولى: أن يُنزِلَ اللهُ علينا كتابًا نتعبَّدُ بتلاوته دون أن نتعرَّضَ لمعناه أو كتابًا يريدُ منَّا أن نُحرِّفَه عن ظاهرِه وأن نُتعبَ أذهانَنا في تحريفه والمعنى الَّذِي نُعيِّنه؟

الجَوَابُ: الأوَّلُ لا شكَّ؛ لأنَّ الأوَّلَ ليس عند نافيه تعبٌ، وإنما نُسَلِّمُ الأمرَ إِلَى الله.

١٨٤٨- بل حِكْمةُ الرَّحْمَنِ تُبطِلُ قَصْدَهُ التْـ ـحْرِيـفَ حَاشَـى حِكْمَـةَ الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ**» يعني: تنزيهًا لها، وليس هَذَا من باب الاستثناء حتَّى نقولَ: إنها تُـجَرُّ، بل (**حكمةُ الرحمن**) هنا فاعل.

١٨٤٩- وَكَـذَاكَ تُبْطِـلُ قَصْـدَهُ إِنْزَالَـهـا مِـن غَـيرِ مَعْنًـى وَاضِـحِ التِّبْيَـانِ

يعني: أنَّ حكمةَ الله تأبى أن يُريدَ بكلامه خلافَ الظاهر كما زعمتم، وتأبى أن يكونَ كلامُه ليس له معنى كما قَدَّرنا.

إِذَنْ ابنُ القيِّم -رحمه الله- رَدَّ القولين جميعًا، وهما: أن يُقْصَدَ باللفظ مجرد اللفظ من أجل التعبد بالتلاوة فقط، أو أن يُقْصَدَ به معنًى يخالفُ الظاهرَ؛ لأنَّ اللهَ لم يُنْزِلْ علينا الْقُرْآنَ لمجرد أن نقرأَه فقط، بل أنزل علينا الْقُرْآنَ لفهم معناه وتدبُّره واعتقادِ موجَبه؛ ولهذا قال: (**بل حكمة الرحمن تبطل قصده التحريف**) ما هُوَ التحريف الَّذِي عنى؟ الجواب: تأويل هؤلاء للكلام عن ظاهره.

١٨٥٠- وهُمَـا طَرِيقَـا فِـرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَـا ... عَـن مَقْصِـدِ القُـرآنِ مُنْحَرِفَـانِ

قَوْلُهُ: «**وَهُمَا**» يعني: التَّحريفَ، وتفويضَ المعنى، أي: القول بأنَّ اللهَ أنزل هَذَا الْقُرْآنَ من غير معنى، هما طريقا فرقتين كلاهما منحرفٌ عن طريق الْقُرْآن.

إِذَنْ قولهُ: (**هما**) أي: المفوِّضة والمؤوِّلة.

وقد ادَّعى كثيرٌ من المتأخِّرين الذين لا يعرفون مذهبَ السَّلف حقيقةً ادَّعى أنَّ مذهبَ السَّلف هُوَ التفويض، أي: أننا نقرأُ ولا نتكلَّمُ عن المعنى، وقال: هَذَا هُوَ مذهبُ السَّلف، وقال: إنَّ مذهبَ أهلِ السُّنَّة ينقسمُ إِلَى قسمين: تفويضٌ، وتأويلٌ.

نقول: ولكنَّه أخطأ في ذلك، فمذهبُ أهلِ السُّنَّة لا هَذَا ولا هذا، فأهلُ السُّنَّة يُثبتون المعنى، ويقولون: حاشى لله أن يُنزِلَ علينا قرآنًا لمجرد التلاوة ليس له معنى؛ لأنَّ هَذَا شِبْهُ عبثٍ، ولكنَّه أنزل علينا الْقُرْآنَ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] فلا بُدَّ من فهم معناه، وإن خفي عَلَى بعض الناس فإنَّ الراسخين في العلم يعلمونه.

فهؤلاء الذين قَسَّموا مذهبَ أهل السُّنَّة إِلَى قسمين نقول: أخطأتم.

أولًا: في جعلكم المؤوِّلةَ من أهل السُّنَّة، فإنَّ المؤوِّلَةَ خالفوا السُّنَّةَ في تأويلِهم.

ثانيًا: جعلكم التفويضَ من مذهب أهل السُّنَّة، فإنَّ أهلَ السُّنَّة بريئون من ذلك حتَّى إنَّ شيخَ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قال: «**إنَّ قولَ أهل التَّفويض من شرِّ أقوالِ أهلِ البدعِ والإلحاد**»[1].

وقال: إنه هُوَ الَّذِي فتح البابَ للفلاسفة والمناطقة الذين أنكروا المعادَ وأنكروا اليومَ الآخر؛ لأنَّ هؤلاء الفلاسفةَ قالوا: إذا كنتم أنتم يا أهلَ السُّنَّة لا تعرفون معانيَ الْقُرْآن وإنما تقرؤونه تعبُّدًا بتلاوته، فأنتم بمنزلة العجائز والأمِّيين، ونحنُ أصحابُ الميدان الذين نعرفُ معانيَ ما أنزل اللهُ ولو بالتأويل؛ فلهذا فتح هؤلاء المفوِّضةُ البابَ لأهل التأويل حتَّى للفلاسفة وشبههم.

ومِن ثَمَّ نجدُ في كلام بعض العلماء المحقِّقين كالنوويِّ -رحمه الله- «**أنَّ طريقةَ السَّلفِ أسلمُ، وطريقةَ الخلفِ أعلمُ وأحكمُ**»، وهذه العبارةُ وصف شيخُ الإسلام مَنْ قالها بالغباوة، فقال -رحمه الله-: «**ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقَدِّر قَدْرَ السلف، بل وَلَا عرف الله ورسوله والمؤمنين بِهِ حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**»[2]، ولا شكَّ أنَّ هَذِهِ عبارةُ كذب، وفيها تناقض.

أمَّا كونُها متناقضةً: فلأنه إذا كانت طريقةُ السَّلفِ أسلمَ لزم أن تكونَ أعلمَ وأحكمَ؛ لأننا لا نعلمُ سلامةً إِلَّا بعلمٍ وحكمةٍ، بعلمٍ بمعرفة أسباب السلامة، وحكمةٍ في سلوك هَذِهِ الأسباب.

وثانيًا: كَيْفَ تكونُ طريقةُ الخلفِ أعلمَ وأحكمَ وهم الذين حرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعِه؟! وكيف تكونُ طريقةُ الخلفِ أعلمَ من طريق النَّبِيِّ ﷺ والصحابة

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).
(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص:١٨٥).

وخلفائه الراشدين؟! وكيف تكونُ أعلمَ وهذه أقوالُ السَّلف كُلُّها طافحةٌ متضافرةٌ ظاهرةٌ في إثبات المعنى؟!

من العبارات المشهورة عنهم أنهم قالوا في آيات الصِّفَات وأحاديثِها: «**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ**» فإنَّ هَذِهِ العبارةَ تدلُّ دلالةً ظاهرةً عَلَى أنهم يُثبتون المعنى؛ لأنَّ قولهم: «**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ**» يقتضي إبقاءَ دلالتها عَلَى ما هي عليه، ومعلومٌ أنها ألفاظٌ جاءت لمعنى، وليست ألفاظًا جوفاءَ لا معنى لها، وحاشى لله أن يصفَ نفسَه، ويسمِّيَ نفسَه بأسماء وصفات في كتابه وهي عندهم ألفاظٌ جوفاءُ ليس لها معنى، هي جاءت لإثبات المعنى، فإمرارُها كما جاءت أن تُثْبَتَ معانيها التي دلَّت عليها.

وأيضًا قولُهم: (**بلا كَيْفٍ**) يدلُّ عَلَى إثبات أصل المعنى؛ لأنَّ نفيَ التكييف يدلُّ عَلَى ثبوتِ أصل المعنى؛ لأنه لو لم يكن الأصلُ ثابتًا لكان ذِكْرُ نفي التكليف لغوًا لا فائدةَ منه.

إِذَنْ فطريقةُ السَّلفِ أسلمُ وأعلمُ وأحكمُ.

والمؤلف هنا ذكرَ ثلاثةَ أوجهٍ مع أنه في أوَّل الكلام يقول: «**وظائف أربع**» فأين الرابعُ؟ لم يذكر إلَّا ثلاثة.

رابعًا: أن يُثبتوا أنَّ اللفظَ يحتملُ المعنى الَّذِي عيَّنوه في السِّياق المعيَّن؛ لأنَّ احتمالَ اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يعني: أنه يحتملُه في كُلِّ سياق، فلا بُدَّ أن يُثبتوا دليلًا عَلَى أنَّ المعنى الَّذِي عيَّنوه صالحٌ في هَذَا السِّياق المعيَّن؛ لأنَّ احتمالَ اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يستلزمُ أن يحتملهَ في كُلِّ سياق، فقد يكون في السِّياق ما يمنع المعنى الَّذِي يحتملُه اللفظ في غير هَذَا السِّياق، وهذا كثيرٌ.

ففي الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ ألفاظٌ لها معانٍ لكنها لا تصلحُ للمعاني المطلقة في هَذَا السياق المعيَّن، فمثلًا: إذا قالوا: إنَّ (اسْتَوَى) يمكنُ أن تأتيَ بمعنى (استولى)، نقول: لكن نحتاجُ إِلَى دليلٍ يدلُّ عَلَى أنها تحتملُه في هَذَا السِّياق المُعَيَّن، دعنا من كونها تحتملُه عَلَى سبيل الإطلاق، هَذَا قد نُقِرُّ به، لكن لا بُدَّ أن تقيموا دليلًا عَلَى احتمالها لهذا المعنى في هَذَا السِّياق المُعَيَّن.

وأضربُ لكم مثلًا: **(القريةُ)** تُطْلَقُ عَلَى المساكن، وعلى السَّاكن، لكنَّها في موضعٍ لا تصلحُ للساكن، وفي موضعٍ لا تصلحُ للمساكن، ففي قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج:٤٥] هل تصلحُ (القريةُ) هنا للمساكن؟

الجَوَابُ: لا؛ لأنها لا تظلمُ ولا تُهْلَكُ، فالذي يُهْلَكُ أهلُها كما قَالَ تعالى في قومِ هود: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥].

أمَّا في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت:٣١] هل (القريةُ) هنا تصلحُ للسَّاكن؟ الجواب: لا، بل تتعيَّنُ للمساكن.

فقَوْلُهُ: ﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت:٣١] **(أهل)** مضاف لـ(القرية)، فلو قلنا: (القرية) هنا للسَّاكن صار المعنى: إنَّا مهلكو أهلِ أهل، فـ(أهل القرية) الآن **(أهل)** هم السَّاكن، **(والقرية)**: المساكن، فهنا القريةُ لا تصلحُ للسَّاكن.

إِذَنْ نقول لهؤلاء المؤوِّلين: الوظيفةُ الرابعةُ عليكم: أن تُثبتوا أنَّ اللفظَ صالحٌ للمعنى الَّذِي عيَّنتموه في هَذَا السِّياق المعيَّن، فصارت الوظائفُ التي يُطالَبون بها أربعًا.

* * *

فصــل

فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ المَلاحِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ

١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ ... أُخْرَى وَلَمْ يَأْنَفْ مِنَ الكُفْرَانِ

١٨٥٢- قَالَ: المُرَادُ حَقَائِقُ الأَلْفَاظِ تَخْـ ... ـيِيلًا وَتَقْرِيبًا إِلَى الأَذْهَانِ

١٨٥٣- عَجَزَتْ عَنِ الإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلْـ ... ـلَا فِي مِثَالِ الحِسِّ كَالصِّبْيَانِ

١٨٥٤- كَيْ يُبْرِزَ المَعْقُولَ فِي صُوَرٍ مِنَ الْـ ... ـمَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِذِي الأَذْهَانِ

١٨٥٥- فَتَسَلُّطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالٌ لِهَـ ... ـذَا القَصْدِ وَهْوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِي

١٨٥٦- هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفْيِهِ ... لِحَقَائِقِ الأَلْفَاظِ فِي الأَذْهَانِ

١٨٥٧- وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ ... مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الخُلْجَانِ

١٨٥٨- وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الحَقِيـ ... ـقَةَ مُنْتَفٍ مَضْمُونُهَا بِبَيَانِ

١٨٥٩- لَكِنْ قَدِ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ ... مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتِّبْيَانِ

١٨٦٠- لَكِنَّ عِنْدَهُمُ أُرِيدَ ثُبُوتُهَا ... فِي الذِّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الإِحْسَانِ

١٨٦١- إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ المُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ ... وَطَرِيقَةُ البُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِي

١٨٦٢- فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ ... جُنِيَتْ عَلَى القُرْآنِ وَالإِيمَانِ

١٨٦٣- جَعَلُوا النُّصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ ... قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الهَذَيَانِ

١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الأَوْغَادُ وَالأَوْقَاحُ وَالْـ   أَرْذَالُ بِـالتَّحْرِيفِ وَالبُهْتَـانِ

١٨٦٥- كُـلٌّ إِذَا قَابَلْتَـهُ بِـالنَّصِّ قَـا   بَلَـهُ بِتَأْوِيـلٍ بِـلَا بُرْهَـانِ

١٨٦٦- وَيَقُـولُ: تَأْوِيلِـي كَتَأْوِيـلِ الَّذِيـ   ـنَ تَـأَوَّلُوا فَوْقِيَّـةَ الـرَّحْمَنِ

١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُها فِي الوَحْيِ بِالنْـ   نَصَّـيْنِ مِثْـلُ الشَّـمْسِ فِي التِّبْيَـانِ

١٨٦٨- أَيَسُـوغُ تَأْوِيـلُ العُلُـوِّ لَكُـمْ وَلَا   تَتَـأَوَّلُوا البَـاقِي بِـلَا فُرْقَـانِ؟!

١٨٦٩- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ الصِّـفاتِ مَـعَ انَّهَـا   مِلْءُ الْـحَدِيثِ وَمِـلْءُ ذَا الْقُرْآنِ

١٨٧٠- وَاللهِ تَأْوِيـلُ العُلُـوِّ أَشَـدُّ مِـنْ   تَأْوِيلِنَـا لِقِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ

١٨٧١- وَأَشَـدُّ مِـنْ تَأْوِيلِنَـا لِـحَيَاتِهِ   وَلِعِلْمِـهِ وَمَشِـيئَةِ الأَكْـوَانِ

١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِـحُدُوثِ هَـ   ـذَا العَالَـمِ المَحْسُوسِ بالإِمْكَـانِ

١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْـضَ الشَّـرَا   ئِعِ عِندَ ذِي الإِنْصَافِ وَالـمِيزَانِ

١٨٧٤- وَأَشَـدُّ مِـنْ تَأْوِيلِنَـا لِكَلَامِـهِ   بِالْفَيْضِ مِـنْ فَعَّـالِ ذِي الأَكْـوَانِ

١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيل أَهْلِ الرَّفْضِ أَخْـ   ـبَارَ الفَضَائِلِ حَازَهَـا الشَّـيْخَانِ

١٨٧٦- وأَشَـدُّ مِـنْ تأويـلِ كُـلِّ مُـؤَوِّلٍ   نَصًّـا أَبَـانَ مُـرَادَهُ الوَحْيَـانِ

١٨٧٧- إِذْ صَرَّحَ الوَحْيَانِ مَعْ كُتُبِ الإِلَـ   ـهِ جَمِيعِهَـا بِـالْفَوْقِ للـرَّحْمَنِ

١٨٧٨- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْـنُ كُفَّـارٌ بِـذَا التَّـ   تَأْوِيـلِ بَـلْ أَنْـتُمْ عَـلَى الإِيـمَانِ؟!

١٨٧٩- إِنَّـا تَأَوَّلْنَـا وَأَنْـتُمْ قَـدْ تَـأَوْ   وَلْـتُمْ فَهَـاتُوا وَاضِـحَ الفُرْقَـانِ

١٨٨٠- أَلَكُمْ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْـ ـثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وِزْرَانِ؟!

١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتْبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِلَا عُدْوَانِ

١٨٨٢- رُدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَنَحْـ ـحُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الإِيمَانِ

١٨٨٣- لا تَحْطِمَنَّكُمُ جُنُودُهُمُ كَحَطْـ ـمِ السَّيْلِ مَا لَاقَى مِنَ الدِّيدَانِ

الشَّرحُ

قال المؤلفُ -رحمه الله-: «**فَصْلٌ فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ**» سبق لَنَا التَّأويلُ الَّذِي أَوَّلَه أهلُ البدع من الجهميَّة والمعتزلة وغيرهما في باب الصِّفَات، وكذلك أيضًا الذين أَوَّلوا نصوصَ المعاد، وقالوا: إِنَّ المعادَ لا حقيقةَ له، وأَوَّلوا الأعمالَ أيضًا، وقالوا: إِنَّ العباداتِ لا حقيقةَ لها، وأَنَّ الحقيقةَ هي ما هُوَ موجودٌ عندهم، وأَنَّ للإسلامِ ظاهرًا وباطنًا.

أَمَّا عن ابن سينا فقال:

١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْنَفْ مِنَ الكُفْرَانِ

ابن سينا من المتفلسفة الإسلاميين الَّذِي ينتمي إِلَى الإسلام، ويقول: إنه مسلمٌ، ولكنَّه -نسأَلُ اللهَ العافيةَ- عَلَى خلاف ذلك، وقد صَرَّح ابنُ القيِّمِ وشيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله- بأنه كافرٌ.

صحيحٌ أنه طبيبٌ، وله معرفةٌ في الطبِّ، ولكنَّه من جهة العقيدة فاسدُ العقيدة، ولهذا قال: «**أتى بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران**» يعني: أنه لم يترفَّعْ عن الكفر، بل وقع فيه.

١٨٥٢- قَالَ: الـمُرَادُ حَقَائِقُ الأَلْفَاظِ تَـخْـ ـيِيلًا وَتَقْرِيبًـا إِلَى الأَذْهَـانِ

يقول: إنَّ المرادَ بالألفاظ حقيقتُها، لكن من باب التَّخييل والتقريب للأذهان، وإلَّا فإنَّ الأمرَ شيءٌ وراء ذلك، فالصلاةُ مثلًا يُراد بها حقيقتُها، والزكاةُ، والصومُ، وكذلك آياتُ الصِّفَات وأحاديثُها، لكنَّه عَلَى سبيل التقريب إِلَى الأذهان فقط؛ لتدركَ الأذهانُ أنَّ لله سمعًا وبصرًا وقدرةً، لتدرك أنها تُصَلِّي وتصومُ وتُزكي وتحجُّ، لكن تقريبًا للأذهان فقط، وإلَّا فالأمرُ شيءٌ وراء ذلك.

١٨٥٣- عَجَزَتْ عَنِ الإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلْـ ـلَا فِي مِثَـالِ الـحِسِّ كَالصِّبْيَانِ

يعني: أنَّ النفوسَ أو الأفكارَ عجزت عن إدراك المعقول إلَّا إذا صُوِّر بصورة المحسوس، يعني: مثلًا: «اللهُ سميعٌ» يعني: أنه لا سمع، لكن ذُكِرَ هَذَا من باب التقريب.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] ليس هناك شيءٌ مكتوبٌ يُسمَّى صيامًا، لكن من باب التقريب أوجبَ اللهُ الصيامَ عَلَى النَّاس، وإلَّا فَإِنَّ الحقائقَ شيءٌ وراء ذلك، هَذَا معنى كلامِ ابن سينا.

١٨٥٤- كَيْ يُبْرِزَ المَعْقُولَ فِي صُوَرٍ مِنَ الْـ ـمَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِذِي الأَذْهَانِ

١٨٥٥- فَتَسَـلُّطُ التَّأْوِيـلِ إِبْطَـالٌ لِهَـ ـذَا القَصْدِ وَهْوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِـي

يعني: الَّذِي يقول: إنَّ هَذِهِ النُّصوصَ لا يُرادُ بها حقائِقُها، وإنَّما المرادُ بها خلافُ الظاهر، فيجبُ تأويلُها، يقول: هَذَا تسلُّطٌ من المؤوِّل، وجنايةٌ عَلَى النُّصوص، بل المرادُ حقائِقُها، لكنَّها رموزٌ لأشياءَ لا تُدْرَكُ من أجل تقريب الأمور للأذهان فقط، وحينئذٍ تبقى العباداتُ ليس منها فائدةٌ إلَّا مثل ما ترسم

للصبيِّ رسمًا، وتقول مثلًا: (هذه مثلًا سيارةٌ)، وهي ليست (سيارةً)، تقول: (هذا إنسانٌ)، (وهو ليس بإنسان)، لكن طبعًا رسمُ الإنسانِ ليس بجائزٍ إلَّا إذا كان عَلَى وجهٍ لا تبقى معه الحَيَاةُ.

١٨٥٦- هَـذَا الَّـذِي قَـدْ قَالَـهُ مَـعَ نَفْيِـهِ ... لِـحَقَائِقِ الأَلْفَـاظِ فِي الأَذْهَـانِ

إذا كان قَالَ هَذَا القولَ، ونفى أن يكونَ للألفاظِ حقيقةٌ يتصوَّرُها الذِّهنُ، فهذا في الواقع إبطالُ النُّصوص تمامًا، فما دمتَ تقول: إنها حقيقةٌ، ثُمَّ تقولُ: إنَّ الأمرَ شيءٌ وراءَ ذلك، إِذَنْ لا فائدةَ من النُّصوص، سواء قلنا: حقيقةٌ أو إنها مؤوَّلةٌ ومجازٌ.

١٨٥٧- وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًـا قَـدْ غَـدَتْ ... مُشْـتَقَّةً مِـنْ هَـذِهِ الـخُلْجَانِ

١٨٥٨- وَكِلَاهُمَـا اتَّفَقَـا عَـلَى أَنَّ الـحَقِيـ ... ـقَةَ مُنْتَـفٍ مَضْـمُونُها بِبَـيَانِ

طريقةُ التأويلِ السَّابق الَّذِي سلكه المبتدعةُ، وسلكه الفلاسفةُ مأخوذةٌ من كلام ابن سينا وأمثالِه أنَّ الألفاظَ لا حقائقَ لها، وإنما هي مجازاتٌ عن أمورٍ يُرْمَزُ لها بها.

١٨٥٩- لَكِـنْ قَـدِ اخْتَلَفَـا فَعِنْـدَ فَـرِيقِكُمْ ... مَـا إِنْ أُرِيـدَتْ قَـطُّ بِالتِّبْيَـانِ

١٨٦٠- لَكِـنَّ عِنْـدَهُمُ أُرِيـدَ ثُبُوتُهَـا ... فِي الذِّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الإِحْسَانِ

١٨٦١- إِذْ ذاكَ مَصْلَحَةُ الُمخَاطَبِ عِنْـدَهُمْ ... وَطَرِيقَـةُ البُرْهَـانِ أَمْـرٌ ثَانِـي

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ أُرِيدَتْ» «إِنْ» زائدة، يعني: ما أُرِيدَتْ.

إِذَنْ الفَرْقُ بين طريقة ابن سينا وبين طريقة هؤلاء: أنَّ هؤلاء يقولون: إنه لا يُرَادُ من النصوص حقيقتُها، إنما المرادُ معنًى آخر.

نضربُ لكم مثلًا بـ(اليد) يقولون: إِنَّ اللهَ لم يُرِدْ إثباتَ اليد، وإنما أرادَ القُدرة والقوة، هَذَا التأويل.

ابن سينا يقول: أراد حقيقةَ (اليد) لكن ليس له يدٌ إطلاقًا، ولا قُدرة، لكنَّه ذَكَر (اليدَ) من باب التقريب للأذهان أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- له يدٌ، له سمعٌ، له بصرٌ، لكن ليس له شيءٌ من ذلك إطلاقًا، لكن ذكره من أجل التقريب.

١٨٦٢- فَكِلاهُمَــا ارْتَكَبَــا أَشَــدَّ جِنَايَــةٍ   جُنِيَــتْ عَــلى القُــرْآنِ وَالإِيــمَانِ

١٨٦٣- جَعَلُوا النُّصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَـهُمْ   قَــدْ خَرَّقُــوهُ بِأَسْــهُمِ الــهَذَيَانِ

هؤلاء جعلوا النصوصَ غرضًا لهم؛ كما يرمي الرُّماةُ الغرضَ فيتخرقُ لأنَّهم لو أنكروا النصوصَ رأسًا لأعلنوا كفرَهم وقامت عليهم الأمةُ، لكنَّهم تحيَّلوا هَذِهِ الحيلَ بالتأويل سواء عَلَى طريقة ابن سينا، أو عَلَى طريقة الآخرين، لئلا ينفرَ الناسُ منهم، ولا يخرجوهم من الإسلام.

١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الأَوْغَــادُ وَالأَوْقَــاحُ وَالْــ   أَرْذَالُ بِـــالتَّحْرِيفِ وَالبُهْتَـــانِ

يعني: أنَّ هؤلاء تَسَلَّطوا بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أَصَّلوها، فابنُ سينا وأمثالُه يُنكرون حقيقةَ الذات حقيقةَ الله عزَّ وجلَّ، ويقولون: إِنَّ هَذِهِ الأسماءَ وهذه الصِّفَات وهذه الأحكام كُلَّها من باب التقريب للأذهان، وأولئك لا يُنكرون وجودَ الخالق، لكن ينكرونَ حقائقَ صفاته، ويقولون: إِنَّ المرادَ بهذا النَّصِ كَذَا وكذا ممَّا يخالفُ الظاهرَ.

١٨٦٥- كُــلٌّ إِذَا قَابَلْتَــهُ بِــالنَّصِّ قَــا   بَلَــهُ بِتَأْوِيــلٍ بِــلَا بُرْهَــانِ

ولو قابله بتأويلٍ عَلَى بُرْهَان لَقُبِلَ منه.

١٨٦٦- وَيَقُولُ: تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الَّذِيـ ـنَ تَأَوَّلُوا فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

الذين أنكروا العلوَّ أوَّلوا كُلَّ نصٍّ يدلُّ عَلَى العلوِّ، فقالوا في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨] المرادُ فوقيَّةُ النوع، كما تقول: مثلًا (الذهبُ فوق النُّحاس) أو (فوق الفضة) فهي فوقيَّةٌ معنويَّةٌ، وليست فوقيَّةً حسِّيَّةً، أمَّا العلوُّ فيقولون: إنه علوُّ المعاني، وليس علوَّ الذات، فتأوَّلوا.

فابنُ القيِّم -رحمه الله- يقول:

١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُها فِي الوَحْيِ بِالنْـ ـنَصَّيْنِ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي التِّبْيَانِ

١٨٦٨- أَيَسُوغُ تَأْوِيلُ العُلُوِّ لَكُمْ وَلَا تَتَأَوَّلُوا البَاقِي بِلَا فُرْقَانِ؟!

١٨٦٩- وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ الصِّفاتِ مَعَ انَّهَا مِلْءُ الْحَدِيثِ وَمِلْءُ ذَا الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذا» وفي بعض النسخ (ذي) وهذا لا يصح؛ لأنَّ «ذا» هنا اسمُ إشارةٍ.

يعني: يقول هؤلاء الملاحدة من ابن سينا وأمثاله: نحن أوَّلنَا، ولكنَّا أوَّلنَا نصوصًا ليست كالعلوِّ في كثرتِها وتنوُّعِها وظهورِها، وأنتم تأوَّلتم العلوَّ، فكيف تُنكرون علينا ولا تُنكرون عَلَى أنفسكم؟!

١٨٧٠- وَاللهِ تَأْوِيلُ العُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الأَبْدَانِ

القائلُ هم الفلاسفةُ الذين يقولون: إنَّ القيامةَ لا حقيقةَ لها، وإنما هي تخييلٌ، فهم يقولون: تأويلُ العلوِّ أشدُّ من تأويلنا لقيامة الأبدان.

١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الأَكْوَانِ

هذا يقوله الفلاسفةُ وغيرُهم مِمَّن يُنكرون حياةَ الله وعلمَه.

١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِـحُدُوثِ هَـ ـذَا العَالَـمِ المَحْسُوسِ بالإِمْكَانِ

وهم الفلاسفةُ الذين يقولون بِقِدَمِ العالَـم، وأنَّ العالَـمَ لا أوَّلَ له، فهو أَزَلِـيٌّ أَبَدِيٌّ.

١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَا ئِعِ عِنْدَ ذِي الإِنْصَافِ وَالـمِيزَانِ

يوجد أيضًا مَنْ أَوَّلَ الشَّرائعَ، قالوا: إنَّ المرادَ بالحجِّ زيارة شيوخهم والمرادُ بالصوم كتمانُ أسرارهم، والمرادُ بالصلاة معرفةُ أسرارهم، وهَكَذَا.

هم يجادلون، ويقولون: تأويلُ العلوِّ أشدُّ من تأويلِنا بعضَ الشرائعِ عند ذِي الإِنْصَاف والميزان.

١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَّالِ ذِي الأَكْوَانِ

هذا أيضًا قولُ الفلاسفة، يقولون: إنَّ الكلامَ لا حقيقةَ له، لكنَّه فيضٌ من العقل الفعَّال، فالعقلُ الفعَّالُ هُوَ الَّذِي خلق هَذِهِ الأشياءَ، جعل الطبيعةَ تتحرَّكُ ويتولَّد بعضُها من بعض، ويكون بعضُها سببًا لبعض، وهَكَذَا.

١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيل أَهْلِ الرَّفْضِ أَخْـ ـبَارَ الفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانِ

قَوْلُهُ: «الشَّيْخَان» يعني: أبا بكرٍ وعمرَ، فلَهُما من الأحاديث الكثيرة الدالة عَلَى الفضائل ما هُوَ معلومٌ، لكنَّ أهلَ الرَّفْضِ أوَّلوا هذه الأحاديث وحرَّفوها، ولهم فيها تحريفاتٌ غريبةٌ؛ لهذا يقولُ: إنَّ تأويلَ العُلوِّ أشدُّ من تأويل أهل الرفض أخبار الفضائل حازها الشيخان.

١٨٧٦- وأَشَدُّ مِنْ تأويلِ كُلِّ مُؤَوِّلٍ نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الوَحْيَانِ

١٨٧٧- إِذْ صَرَّحَ الوَحْيَانِ مَعْ كُتْبِ الإِلَـ ـهِ جَمِيعِهَا بِالْفَوْقِ للرَّحْمَنِ

إِذَنْ هم يقولون: إِنَّ تأويلَ العلوِّ أشدُّ من كُلِّ شيء، ولننظر.

١٨٧٨- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التْـ ـتَأْوِيلِ بَلْ أَنتُمْ عَلَى الإِيمَانِ؟!

قَوْلُهُ: «بَل» هنا بمعنى الواو، يعني: لأيِّ شيء نكونُ نحن كُفَّارًا وأنتم مؤمنون؟!

١٨٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوْ وَلْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الفُرْقَانِ

يعني: أنتم مؤوِّلون ونحن مؤوِّلون، فهاتوا واضحَ الْفُرْقَان أن يكونَ تأويلُكم جائزًا، وتأويلُنا غيرَ جائز.

١٨٨٠- أَلَكُمْ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْـ ـثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وِزْرَانِ؟!

الجَوَابُ: لا؛ لأنَّ هؤلاء المؤوِّلةَ يقولون: نحن اجتهدنا فأصبنا الحقَّ، وأنتم أخطأتم، فلنا أجران؛ لأننا تأوَّلنا وأصبنا الحقَّ، وأنتم عليكم وزران؛ لأنه عُرِضَ عليكم الحقُّ ولكن أنكرتموه.

١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتْبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِلَا عُدْوَانِ

ابنُ القيِّم -رحمه الله- يُحيلُ في هَذَا البيت عَلَى كتب الفلاسفة الذين أنكروا عَلَى المعطِّلة وخصوصًا مَنْ أنكروا علوَّ الله، يقولون: إنهم ألجموكم بلجامٍ لا تستطيعونَ معه فكَّ الحَنَك.

١٨٨٢- رُدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَنَحْـ ـحُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الإِيمَانِ

وهذا تحدٍّ، يقولُ ابنُ القيِّم: رُدُّوا عليهم، ويخاطِبُ الذين أَوَّلوا العلوَّ،

يقول: رُدُّوا عليهم ما قالوا لكم «**أو فنَحُّوا عن طريق عساكر الإيمان**» إذا نحَّينا عن طريق عساكر الإيمان ماذا يقولون؟ يقولون: نحن لا نؤوِّل لا في هَذَا ولا في هَذَا ونقولُ: الكُلُّ حقٌّ عَلَى حقيقتِه، فعلوُّ الله ثابتٌ، وأمرُ المعاد ثابتٌ، وما جاءت به النصوصُ من كُلِّ خبر فهو ثابتٌ.

١٨٨٣- لا تَحْطِمَنَّكُمُ جُنُودُهُمُ كَحَطْـ ... ـمِ السَّيْلِ مَا لَاقَى مِنَ الدِّيدَانِ

وهذا تشبيهٌ في غاية ما يكونُ من الدقة، عساكرُ الإيمانِ فيهم الحَيَاةُ، والسَّيلُ فيه الحَيَاةُ، والديدانُ فيها الضعفُ والعفونةُ والفسادُ، فكأنه بهذا شَبَّه عساكرَ الإيمان بالسَّيل، وهؤلاء بالديدان، ومعروفٌ أنَّ السَّيلَ إذا مَرَّ بالديدان حَطَّمها.

* * *

١٨٨٤- وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرٍ رَابِعٍ ... وَالله لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ

١٨٨٥- وهُوَ الجَوابُ عَنِ المُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدْ ... دَعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الأَرْكَانِ

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنُ المُحَالِ وَلَوْ يُسَا ... عِدُكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانِ

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الإِثْبَاتِ حَقًّا لَا يَقُو ... مُ لَهَا الجِبَالُ وَسَائِرُ الأَكْوَانِ

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وَوَحْيُهُ ... مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالبُرْهَانِ

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةُ هَذِهِ الْـ ... أَذْهَانِ بِالشُّبُهَاتِ وَالهَذَيَانِ؟

١٨٩٠- وَجَعَاجِعٍ وَفَرَاقِعٍ مَا تَحْتَهَا ... إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي العُلُومُ اللَّاءِ قَدْ ... ذُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِي الإِحْسَانِ

١٨٩٢- بَلْ عَنْ مَشَايِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وُفْـ ... ـقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ

١٨٩٣- وَاللهِ مَـا ذُخِـرَتْ لَكُـمْ لِفَضِـيلَةٍ لَكُمُ عَلَـيْهِمْ يَـا أُولِـي النُّقْصَـانِ

١٨٩٤- لَكِنْ عُقُولُ القَوْمِ كَانَـتْ فَـوْقَ ذَا قَــدْرًا وَشَــأْنُهُمُ فَـأَعْظَمُ شَـانِ

١٨٩٥- وَهُمُ أَجَلُّ وَعِلْمُهُـمْ أَعْـلَى وأَشْـ ـرَفُ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرُفِ الـهَذَيَانِ

١٨٩٦- فَلِـذَاكَ صَـانَهُمُ الإِلَـهُ عَـنِ الَّـذِي فِيـهِ وَقَعْـتُمْ صَـوْنَ ذِي إِحْسَـانِ

١٨٩٧- سَمَّيْتُمُ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَـذَا التْـ ـعْطِيــلَ تَنْزِيهًــا هُمَــا لَقَبَــانِ

١٨٩٨- وَأَضَــفْتُمُ أَمْــرًا إِلَى ذَا ثَالِثًــا شَرًّا وَأَقْــبَحَ مِنْــهُ ذَا بُهْتَــانِ

١٨٩٩- فَجَعَلْـتُمُ الإِثْبَـاتَ تَجْسِـيمًا وَتَشْـ ـبِيهًا وَذَا مِـنْ أَقْـبَحِ العُـدْوَانِ

١٩٠٠- فَقَلَبْـتُمْ تِلْـكَ الــحَقَائِقَ مِـثْلَمَا قُلِبَــتْ قُلُــوبُكُمْ عَــنِ الإِيــمَانِ

١٩٠١- وَجَعَلْتُمُ الـمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَـذَا بِالعَكْسِ حَتَّى اسْتُكْمِلَ اللَّبْسَـانِ

١٩٠٢- وأَرَدْتُــمُ أَنْ تُحْمَــدُوا بِالإِتِّبَــا عِ نَعَـمْ لِـمَنْ يـا فِرْقَـةَ البُهْتَـانِ؟

١٩٠٣- وبَغَيْــتُمُ أَنْ تَنسِــبُوا لِلإِبْتِــدَا عِ عَسَــاكِرَ الآثَــارِ وَالقُــرْآنِ

١٩٠٤- وَجَعَلْـتُمُ الـوَحْيَيْنِ غَـيْرَ مُفِيـدَةٍ لِلْعِلْــمِ وَالتَّحْقِيــقِ وَالبُرْهَــانِ

١٩٠٥- لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الـهُدَى لَــهُمَا تُفِيـدُ وَمَنْطِـقُ اليُونَـانِ

١٩٠٦- وَجَعَلْتُمُ الإِيـمَانَ كُفْـرًا وَالـهُدَى عَـيْنَ الضَّـلَالِ وَذَا مِـنَ الطُّغْيَـانِ

١٩٠٧- ثُـمَّ اسْـتَخَفَّيْتُمْ عُقُـولًا مَـا أَرَا دَ اللهُ أَنْ تَزْكُــو عَــلَى القُــرْآنِ

١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التْـ ـعْطِيـلِ قَـدْ هَرَبُـوا مِـنَ الإِيـمَانِ

١٩٠٩- يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا ... وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانِ

الشرحُ

فِي هَذِهِ الأبيات ذكر المؤلفُ -رحمه الله- أنه يلزمُ المتأوِّلين أمرٌ رابع، وَهُوَ الجوابُ عن المُعَارِض؛ لأنَّ الدعوى لا تتمُّ إِلَّا بأمرين: إثباتُ الحُجَّة، والجوابُ عن حُجَّة المُعَارِض، فلا يكفي إذا أردتَ أن تُرَجِّحَ قولًا عَلَى قولٍ أن تذكرَ حُجَّةَ قولِك، بل لا بُدَّ من أن تذكرَ حُجَّةَ قولك، والجواب عن حُجَّة المُعَارِض وإِلَّا بقيت حُجَّةُ المُعَارِض قائمةً.

فمثلًا: إذا قالوا المراد بـ(اليد): (القوة) نقولُ: لزم عليكم أمورٌ خمسةٌ:

الأول: وجودُ الصارف عن المعنى الحقيقيِّ.

الثاني: احتمالُ اللفظ لمعنى القوة.

الثالث: تعيُّن المعنى الَّذِي ذكرتموه، إذ يحتملُ ألا يكونَ به لا (اليد) الحقيقية ولا القوة، فيكون هناك معنى آخر غير الَّذِي عيَّنتم.

الرابع: احتمال اللفظ للمعنى فِي هَذَا السِّياق المعيَّن، وهذا لم يذكره المؤلف هنا، لكن ذكره في (مختصر الصواعق).

الخامس: الجواب عن المُعَارِض.

المُعَارِضُ يقول: المرادُ (اليدُ) الحقيقيَّة، هم يقولون: المرادُ بـ(اليد) القوةُ، لكن ما جوابُكم عن دليل المُعَارِض؟ قالوا: لأنَّ دليلَ المُعَارِض لو أخذنا به للزم من ذلك التَّجْسِيمُ أي: أن يكونَ اللهُ جسمًا، أو التبعيضُ أي: أن يكونَ اللهُ له بعضٌ وأعضاء.

نقولُ لهم: مَنْ قال: إنَّ هَذَا لازمٌ؟ إن كان لازمًا فهو حقٌّ، وإن لم يكن لازمًا فهو باطلٌ، ولا يلزمُنا أن نلتزمَ به، ونقولُ لهم: إنَّ البعضَ والجزءَ إنما يكون هَذَا بالنسبة للمخلوق، أمَّا الخالق فلا نقولُ هَكَذَا؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ البعضَ أو الجزءَ هُوَ ما يبقى الكُلُّ بعد فقدِه، وأمَّا الخالقُ فكُلُّ صفاتِه الذاتيَّة لا يمكنُ أن تنفكَّ عنه؛ لأنَّ الصِّفَاتِ الذاتيَّةَ لازمةٌ لا ينفكُّ عنها، لا أزلًا ولا أبدًا، فأين اللازمُ الباطلُ الَّذِي ذكرتم أنه يلزمُ لو أثبتنا النصوصَ عَلَى حقيقتها؟!

كُلُّ هَذِهِ الأمورِ الخمسةِ -والحمد لله- مُنْتَفِيَةٌ فيما ادَّعوْه من التأويل الَّذِي خالفوا به طريقَ السَّلف.

١٨٨٤- وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرٍ رَابِعٍ ... وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرٍ رَابِعٍ**» أي: نطالبُ أهلَ التأويل بأمرٍ رابع، وذكرنا في الشرح أنه يمكنُ أن نجعلَه أمرًا خامسًا؛ لأنَّ الأمورَ السابقةَ أربعةٌ: الدَّلِيلُ الصارفُ، احتمالُ اللفظ للمعنى الَّذِي ذكروه، احتمالُه في هَذَا السِّياق المعيَّن، تعيُّن أن يكونَ هُوَ المراد لاحتمال أن يكونَ المرادُ غيرَه، والخامسُ هُوَ هذا.

قَوْلُهُ: «**وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ**» كان المفروضُ أن يُقَالَ: (إمكانُ) يعني: ليس لكم بهذا (إمكانٌ) بالرفع، لكنَّه جعلها بالكسر لضرورة الشعر، أمَّا إذا قلنا: (**بذي إمكان**)، فالأمر واضح.

ذكر هَذَا الأمرَ الرابعَ فقال:

١٨٨٥- وهُوَ الجَوابُ عَنِ المُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدْ ... دَعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «**الجَوابُ عَنِ المُعَارِضِ**» مَنْ المُعَارِضُ للتأويل؟ الجواب: هم أهلُ السُّنَّة الذين جعلوا النصوصَ عَلَى ظاهرِها، ولم يؤوِّلوها.

فمثلًا إذا قالوا: المرادُ بـ«**اليد**» حقيقةُ اليد، نقول لهم: أجيبوا هؤلاء الذين عارضوكم بالتأويل حيث قُلْتُم أنتم: إِنَّ المرادَ بـ(**اليد**) القوة، نقول: أجيبوا عن معارضتهم إيَّاكم وقولهم: إِنَّ المرادَ بها حقيقةُ اليد؛ لأننا نقولُ: ما المانع مِن أن يُرَادَ بذلك حقيقةُ اليد؟ فإن أتوا بمانعٍ فحينئذٍ يُقْبَلُ منهم، ولكنَّهم لا يمكنُ أن يأتوا بمانعٍ يمنعُ من إرادة الحقيقة؛ ولهذا قال:

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنُ الـمُحَالِ وَلَوْ يُسَا عِدُكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانِ

قَوْلُهُ: «**لَكِنَّ ذَا عَيْنُ الـمُحَالِ**» ما هُوَ المحال؟ الجواب: أن يجيبوا عن دليل المُعَارِض.

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الإِثْبَاتِ حَقًّا لَا يَقُو مُ لَهَا الـجِبَالُ وَسَائِرُ الأَكْوَانِ

لأنها أدلةٌ من كتاب الله، وسُنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ومن العقل، والفطرة، وإجماع السَّلف، خمسة أنواع من الأدلة لا يمكنُ أن تقومَ لها الجبالُ الرَّاسيات.

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَـمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «**تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَـمِينَ**» أي: الْقُرْآن.

قَوْلُهُ: «**وَوَحْيُهُ**» أي: السُّنَّة، وهذا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ وحيٌ.

وقد تأمَّلتُ السُّنَّةَ، ووجدتُ أنَّ منها ما هُوَ وحيٌ، ومنها ما هُوَ إقرارٌ من الله لاجتهاد النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

قَوْلُهُ: «**مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ**» أي: الفطرة.

قَوْلُهُ: «والْبُرْهَان» يحتمل أن يُرادَ به دليلُ العقل، فيكون ابنُ القيِّم -رحمه الله- ذكر هنا أربعةَ أنواعٍ من الأدلة: الْقُرْآن، والسُّنَّة، والفطرة، والعقل، وبقي أمرٌ خامسٌ، وَهُوَ إجماعُ السَّلف عَلَى هذا.

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةُ هَذِهِ الْـ أَذْهَانِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَذَيَانِ؟

هذا الاستفهام للنفي، يعني: لا يمكنُ أن يُعارِضَ هَذِهِ الأدلةَ كُنَاسَةُ الأذهان بالشُّبهات.

١٨٩٠- وَجَعَاجِعٍ وَفَرَاقِعٍ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ

الجعجعة والفرقعة عبارة عن أصوات لا معنى لها، أي: كلام هذيان ليس فيه فائدةٌ؛ ولهذا قال: «**مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرابُ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ**» والسَّرابُ للوارد الظمآن لا يزيدُه إِلَّا عطشًا وهلاكًا؛ لأنه إذا رأى السَّرابَ وكأَنَّه الماءُ أقبل إليه مسرعًا، فإذا رآه السَّرابُ صار ذلك أشدَّ وقعًا عليه ممَّا لو لم يفرح ويُؤَمِّل النجاةَ من العطش.

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي العُلُومُ اللَّاءِ قَدْ ذُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِي الإِحْسَانِ

هذا من باب التَّهكُّم، واللام في قوله: (**فلتهنكم**) للدعاء، لكنَّه دعاءُ تهكُّمٍ، يعني: هنيئًا لكم هَذِهِ العلوم التي ذُخِرَتْ لكم عن تابعي الإحسان، يعني: عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، كَيْفَ ذُخِرَتْ لكم هَذِهِ العلوم وهُمْ لم يعلموها؟!

١٨٩٢- بَلْ عَنْ مَشَايِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وُفْـ فِقْتُمْ لَـهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ

لأنَّ هَذِهِ البدعَ لم تنتشرْ إِلَّا بعد مُضِيِّ القرونِ الثلاثة المفضَّلَةِ.

١٨٩٣- وَاللهِ مَا ذُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ لَكُمُ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي النُّقْصَانِ

فأنتم أصحابُ النقصِ، ولا يمكنُ أن تُدَّخَرَ لكم الفضيلةُ وتُحْجَبَ عن الصحابة والتابعين.

١٨٩٤- لَكِنْ عُقُولُ القَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا وَشَأْنُهُمُ فَأَعْظَمُ شَانِ

قَوْلُهُ: «عُقُولُ القَوْمِ» يُشيرُ إِلَى عقول الصحابة والتابعين.

قَوْلُهُ: «كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا» أي: فوق ما أنتم عليه من العقول التي هي في الحقيقة سفاهاتٌ.

قَوْلُهُ: «وَشَأْنُهُمْ» أي: قدرهم وفضلُهم ومرتبتهم فأعظمُ شان.

١٨٩٥- وَهُمُ أَجَلُّ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وأَشْـ ـرَفُ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرُفِ الهَذَيَانِ

وصدق -رحمه الله-، فعلومُ الأوَّلين أعمقُ، وكلامُهم أقلُّ، ليس فيه تعقيدٌ ولا هذيان ولا احتمالات، وإنما هُوَ كلامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السَّليقة والطبيعة، تجده سهلًا يخرجُ بدون تكلُّفٍ، ويُفْهَمُ بدون تكلُّفٍ مع العمق.

١٨٩٦- فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الإِلَهُ عَنِ الَّذِي فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ

الذي وقعوا فيه هَذِهِ الشُّبهات التي يدَّعونها معقولات.

١٨٩٧- سَمَّيْتُمُ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التْـ ـتَعْطِيلَ تَنْزِيهًا هُمَا لَقَبَانِ

التأويلُ بالنسبة للنصوص، والتعطيلُ بالنسبة لصفات الله المتَّصف بها، فمثلًا يقولون: المرادُ بـ(الِاسْتِوَاء) الاستيلاءُ، فهذا تحريفٌ، وهم يسمُّونه تأويلًا، ويقولون: إنَّ اللهَ لم يَسْتَوِ عَلَى العرش حقيقةً، يُنَزَّهُ أن يكونَ مستويًا عَلَى العرش حقيقةً، فعطَّلوا الصفةَ وهي صفة الِاسْتِوَاء، وسمَّوها تنزيهًا.

١٨٩٨- وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ

إِذَنْ عندنا جنايتُهم عَلَى النصوص، وعلى البارئ -جلَّ وعلا-، أمَّا عَلَى النصوص فحرَّفوها، وأمَّا عَلَى الله فعطَّلوه من صفاتِه.

وهناك أمرٌ ثالث جَنوه؛ ولذا قال:

١٨٩٩- فَجَعَلْتُمُ الإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْـ ـبِيهًا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ العُدْوَانِ

قالوا: إنَّ الَّذِي يُثبتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لله يكونُ مُجَسِّمًا مُشَبِّهًا، لله بالخَلق، فاعتدوا عدوانًا ثالثًا عَلَى مَنْ أثبتَ الصِّفَات، وسَمَّوه مُجَسِّمًا ومُشَبِّهًا.

فهذه ثلاثُ جناياتٍ: عَلَى النصوص وهي الخبر، وعلى المُخْبَرِ عنه وَهُوَ الله، وعلى قابل الخبر وهم الذين أخذوا بالنصوص عَلَى ظاهرِها، الأوَّل: بالتحريف، والثاني: بالتعطيل، والثالث: بالتَّجْسِيم والتشبيه، اعتدوا عليهم، وقالوا: أنتم مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ.

١٩٠٠- فَقَلَبْتُمُ تِلْكَ الحَقَائِقَ مِثْلَمَا قُلِبَتْ قُلُوبُكُمُ عَنِ الإِيمَانِ

نعوذ بالله، يعني: قلبتم الحقيقةَ فَسَمَّيتم التَّعطيلَ تنزيهًا وَهُوَ تعطيلٌ، والتَّحريفَ تأويلًا وَهُوَ تحريفٌ، وإثباتَ الصِّفَاتِ تجسيمًا وَهُوَ إثباتٌ للحقيقة، لكنَّكم قلبتم الحقائقَ مثلما قُلِبَتْ قلوبُكم عن الإيمان.

قَوْلُهُ: «مِثْلَمَا قُلِبَتْ قُلُوبُكُمُ عَنِ الإِيمَانِ» القلوب -والعياذ بالله- تُقَلَّبُ كما قَالَ الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠].

١٩٠١- وَجَعَلْتُمُ الـمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَـذَا ... بِالعَكْسِ حَتَّى اسْتُكْمِلَ اللَّبَسَـانِ

الممدوح جعلوه مذمومًا، ما هُوَ الممدوح في هَذَا الباب؟ الجواب: هُوَ إثباتُ الصِّفَاتِ والأخذُ بظاهرِ النصوص، فهذا جعلوه مذمومًا، وجعلوا المذمومَ وَهُوَ التَّحريف جعلوه ممدوحًا.

١٩٠٢- وأَرَدْتُـــمُ أَنْ تُحْمَـــدُوا بِالإِتِّبَـــا ... عِ نَعَـمْ لِــمَنْ يـا فِرْقَـةَ البُهْتَـانِ؟

أردتم أن يَحْمَدَكُم الناسُ بالاتباع، نعم تُحْمَدُون لكن لمن؟ الجواب: للشَّياطين، فأنتم تتَّبعون الشَّيطانَ وخطواتِ الشَّيطان.

قَوْلُهُ: «لِـمَنْ يا فِرْقَةَ البُهْتَانِ»؟ وجواب (لمن)؟ للشَّيطان، يعني: أردتم من الناس أن يَحمدوكم عَلَى أنكم المتَّبعون، ولكن للشَّيطان.

١٩٠٣- وبَغَيْـــتُمُ أَنْ تَنْسِـــبُوا لِلإِبْتَـــدَا ... عِ عَسَـــاكِرَ الآثَـــارِ وَالقُـــرْآنِ

وهذا لا شكَّ أنه قلبٌ للحقائق، قالوا لعساكر الآثارِ والْقُرْآنِ قالوا: هؤلاء مبتدعةٌ، والحقيقةُ أنَّ الابتداعَ فيهم، وليس في هؤلاء.

١٩٠٤- وَجَعَلْـتُمُ الـوَحْيَيْنِ غَـيْرَ مُفِيـدَةٍ ... لِلْعِلْـمِ وَالتَّحْقِيــقِ وَالبُرْهَـــانِ

قَوْلُهُ: «وَجَعَلْتُمُ الوَحْيَيْنِ» يعني: الكتابَ والسُّنَّةَ.

قَوْلُهُ: «غَيْرَ مُفِيدَةٍ للعلم والتَّحْقِيق والْبُرْهَان»؟ يقولون: إِنَّ السُّنَّةَ لا تُفيدُ العلمَ؛ لأنها خبرُ آحاد، والْقُرْآنُ لا يفيدُ العلمَ لا من حيث ثبوتِه، لكن من حيث دلالته، وجعلوا للألفاظِ معانيَ متعددة، وقالوا: هَذَا اللفظُ يحتمل كذا، ويحتملُ كذا، ويحتملُ كذا، إِذَنْ فدلالتُه غيرُ قطعيَّةٍ، ولا تفيدُ العلمَ.

١٩٠٥- لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الـهُدَى   لَـهُمَا تُفِيدُ وَمَنْطِقُ اليُونَانِ

قَوْلُهُ: «لَـهُمَا» يعني: للعلم والتَّحْقِيق.

قَوْلُهُ: «وَمَنْطِقُ اليُونَانِ» أي: هُوَ الَّذِي يفيدُ.

يقول: عقولُ هؤلاء الناكبين ومنطق اليونان هما اللذان يفيدان العلمَ والتَّحْقِيقَ.

١٩٠٦- وَجَعَلْتُمُ الإِيـمَانَ كُفْرًا وَالـهُدَى   عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ

الإيمانُ جعلوه كفرًا، يعني: قالوا: المثبتُ كافرٌ؛ لأنه مُجَسِّم جعل اللهَ جسمًا، فيكون إيمانهُ هَذَا كفرًا.

قَوْلُهُ: «وَالـهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ» يعني: أنَّ العلمَ جعلوه هُوَ الضلال والجهل، «وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ» ولا شكَّ.

١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا   دَ اللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى القُرْآنِ

قَوْلُهُ: «اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا» يعني: أنكم تهكَّمتم بها واسْتَخْفَفْتموها فهي كقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤].

قَوْلُهُ: «مَا أَرَادَ اللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى الْقُرْآن»؛ لأنَّ اللهَ لو أراد أن تزكوَ هَذِهِ العقولُ عَلَى الْقُرْآن ما أجابتكم ولا أطاعتكم، ولكن قال:

١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التْـ   ـتَعْطِيلِ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الإِيـمَانِ

أي: مسرعين لدعوة التعطيل، وهذا واضح أنَّ المرادَ استخفافُ عقولِ الناس، وما أكثرَ الذين اتَّبعوا أهلَ التحريف! وقالوا: إنَّ قولَهم هُوَ الحقُّ وَهُوَ التنزيهُ.

١٩٠٩- يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانِ

قَوْلُهُ: «يَا وَيْحَهُمْ» يعني: يا ويح هؤلاء الذين استُخِفُّوا وتابعوا.

قَوْلُهُ: «لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا» أي: بهؤلاء الذين دَعَوْهم وأنَّهم مُحرِّفَةٌ ومضلِّلَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَلِمَا دَعَا» لأيِّ شيءٍ دعا هؤلاء؟ الجواب: لتحريف النصوص وتعطيل الله -سبحانه وتعالى- عن صفاته التي أثبتها لنفسه، لو شعروا بهذا يقول: (قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانِ)، وأظنكم تعلمون أنَّ (قعود الجبان) لا قيامَ بعدَه؛ لأنَّ الجبانَ لا تُقِلُّه رجلاه، فإذا قعد لا يقومُ.

فهؤلاء لو شعروا بما يدعوا هؤلاء إليه، وشعروا بحالهم ما أجابوهم، ولا تبعوهم مُهْطِعين، بل قعدوا قعودَ جبان، وتبرَّؤوا منهم.

* * *

فصـــل

فِي شَبَهِ الْمُحَرِّفِينَ لِلنُّصُوصِ بِالْيَهُودِ، وَإِرْثِهِمُ التَّحْرِيفَ مِنْهُمْ، وَبَرَاءَةِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ مِمَّا رَمَوْهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الشُّبَهِ

١٩١٠- هَــذَا وَثَـمَّ بَلِيَّـةٌ مَسْـتُورَةٌ ... فِـيهِمْ سَـأُبْدِيهَا لَكُـمْ بِبَيَـانِ

١٩١١- وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أُولُو التَّـ ... ـتَحْرِيفِ والتَّبْـدِيلِ وَالْكِـتْمَانِ

١٩١٢- فَـأَرَادَ مِـيرَاثَ الثَّلَاثَـةِ مِـنْهُمُ ... فَعَصَـتْ عَلَيْـهِ غَايَـةَ العِصْـيَانِ

١٩١٣- إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظًا فَمَا التَّـ ... ـبْـدِيلُ والكِـتْمَانُ فِي الإِمْكَـانِ؟

١٩١٤- فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الـمَعَانِـي إِذْ هِـيَ الْـ ... ـمَقْصُودُ مِـنْ تَعْبِـيرِ كُـلِّ لِسَانِ

١٩١٥- فَأَتَى إِلَيْهَـا وَهْـيَ بَـارِزَةٌ مِـنَ الْـ ... أَلْفَـاظِ ظَـاهِرَةٌ بِـلَا كِـتْمَانِ

١٩١٦- فَنَفَـى حَقَائِقَهَـا وَأَعْطَـى لَفْظَهَـا ... مَعْنًى سِوَى مَوْضُوعِهِ الـحَقَّانِـي

١٩١٧- فَجَنَى عَلَى الـمَعْنَى جِنَايَةَ جَاحِـدٍ ... وَجَنَـى عَـلَى الأَلْفَـاظِ بِالعُـدْوَانِ

١٩١٨- وَأَتَى إِلَى حِزْبِ الـهُدَى أَعْطَـاهُمُ ... شَـبَهَ اليَهُـودِ وَذَا مِـنَ البُهْتَـانِ

١٩١٩- إِذْ قَـالَ: إِنَّهُـمُ مُشَـبِّهَةٌ وَأَنْـ ... ـتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنِ الَّـذِي يَلْحَانِـي

١٩٢٠- فِي هَتْكِ أَسْـتَارِ اليَهُـودِ وشِـبْهِهِمْ ... مِـنْ فِرْقَـةِ التَّحْرِيـفِ لِلْقُـرْآنِ؟

١٩٢١- يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُـمُ اسْـمَعُوا ... قَوْلِـي وَعُـوهُ وَعْـيَ ذِي عِرْفَـانِ

١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَـذَا الشِّـبْهِ بِالْبُرْهَـانِ؟

١٩٢٣- أَمَـرَ اليَهُـودَ بِـأَنْ يَقُولُـوا: حِطَّـةٌ فَـأَبَوْا وقَـالُوا: حِنْطَـةٌ لِـهَوَانِ

١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى فَـأَبَى وَزَادَ الـحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ

١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوْلَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ لُغَـةً وعَقْـلًا مَـا هُمَـا سِـيَّانِ

١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْـ ـتَوْلَى فَـلَا تَخْـرُجْ عَـنِ الْقُـرْآنِ

١٩٢٧- قَدْ أُفْـرِدَتْ بِمُصَـنَّفٍ هُـوَ عِنْـدَنَا تَصْـنِيفُ حَـبْرٍ عَالِـمٍ رَبَّانِـي

١٩٢٨- وَلَقَـدْ ذَكَرْنَـا أَرْبَعِـينَ طَرِيقَـةً قَـدْ أَبْطَلَـتْ هَـذَا بِحُسْـنِ بَيَـانِ

١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَهَا لَا تَخْتَفِـي إِلَّا عَـلَى العُمْيَـانِ

١٩٣٠- نُـونُ اليَهُـودِ ولَامُ جَهْمِـيٍّ هُمَـا فِي وَحْـيِ رَبِّ العَـرْشِ زَائِـدَتَانِ

١٩٣١- وَكَذَلِكَ الـجَهْمِيُّ عَطَّـلَ وَصْـفَهُ وَيَهُـودُ قَـدْ وَصَـفُوهُ بِالنُّقْصَـانِ

١٩٣٢- فَهُـمَا إِذَنْ فِي نَفْـيِهِمْ لِصِـفَاتِهِ الْـ ـعُلْيَا كَـمَا بَيَّنْتُـهُ أَخَـوَانِ

الشَّـرحُ

هذا الفصلُ بَيَّنَ المؤلفُ -رحمه الله- أَنَّ المحرِّفين يُشابهونَ اليهودَ والنصارى ويرثونهم التحريفَ، وأَنَّ أهلَ الإثبات بريئون مما وصمهم به هؤلاء المحرِّفون؛ لأنَّ هؤلاء المحرِّفين قالوا: إنَّ أهلَ الإثباتِ هم الذين يُشبهون اليهودَ؛ لأنَّ اليهودَ مُشبِّهَةٌ، وأهلَ الإثبات -عَلَى زعمهم- مُشَبِّهَةٌ.

قال المؤلف -رحمه الله-:

١٩١٠- هَــذَا وَثَــمَّ بَلِيَّــةٌ مَسْــتُورَةٌ   فِــيهِمْ سَــأُبْدِيهَا لَكُــمْ بِبَيَــانِ

قَوْلُهُ: «هذا» يعني: هَذَا المذكورُ السَّابقُ.

قَوْلُهُ: «وثَمَّ» أي: هناك.

قَوْلُهُ: «فِيهِم» الضميرُ يعودُ عَلَى أهل التأويل المحرِّفة.

١٩١١- وَرِثَ المُحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أُولُو التْـ   ـتَحْرِيفِ والتَّبْـدِيلِ وَالْكِـتْمَانِ

يعني: أنَّ المحرِّفَ وَرِثَ من اليهود، واليهودُ هم أولو التحريف والتبديل والكتمان، لا شكَّ أنَّ اليهودَ من أعظم الأمم تحريفًا لنصوص الكتاب، حَرَّفوا التوراةَ، وخرَّقوها، ومزَّقوا العملَ بها، وكفروا بها، فمن كان من هَذِهِ الأمة محرِّفًا فقد وَرِثَهم.

١٩١٢- فَــأَرَادَ مِــيرَاثَ الثَّلَاثَــةِ مِــنْهُمُ   فَعَصَــتْ عَلَيْــهِ غَايَــةَ العِصْــيَانِ

١٩١٣- إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظًا فَمَا التْــ   تَبْــدِيلُ والكِــتْمَانُ فِي الإِمْكَــانِ؟

١٩١٤- فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الــمَعَانِــي إِذْ هِــيَ الْــ   ـمَقْصُودُ مِــنْ تَعْبِــيرِ كُــلِّ لِسَــانِ

عندنا تحريفٌ وتبديلٌ وكتمانٌ، أراد أهلُ التأويل أن يَرِثُوا الثلاثةَ وهي التحريفُ، والتبديلُ، والكتمانُ.

أمَّا الكتمانُ فإنه لا يمكنُهم؛ لأنَّ هَذَا الْقُرْآنَ محفوظٌ.

وأمَّا التبديلُ فكذلك لا يمكنُهم؛ لأنَّ الْقُرْآنَ محفوظٌ، ولو بَدَّلوا كلمةً مِنْهُ لثارت عليهم الأمةُ، فلو أنهم قرؤوا قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]،

وبدَّلوا بـ (اسْتَوَى) (استولى) لثارت عليهم الأمةُ، ولو أنَّهم كتموا ومَحَوْا من المصحف ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وجميعَ آيات الإِسْتِوَاء ما أمكنهم ذلك أيضًا، إِذَنْ عمدوا إِلَى تحريف المعنى؛ لأنه يمكنُ أن يُلَبِّسوا عَلَى الناس، ويقولوا: (اسْتَوَى) بمعنى (استولى).

قَوْلُهُ: «**فَمَا التَّبْدِيلُ وَالكِتْمَانُ فِي الإِمْكَانِ؟**» إِذَنْ بقي التحريفُ؛ ولذا قال: «**فَأَرَادَ تَبْدِيلَ المَعَانِي**» وهي التحريف.

إِذَنْ بقي التحريف وهو: إبقاءُ اللفظ وتحريفُ المعنى؛ لأنهم لا يستطيعون كتمانَ اللفظ ولا تبديلَه، فسلكوا الطريقَ الثالثَ وَهُوَ التحريف، فأتوا إِلَى الألفاظ، وقالوا: تبقى الألفاظُ لكن ليس معناها ما دلَّت عليه، بل معناها شيءٌ آخر، ومشوا عَلَى هذا.

فيقول مثلًا في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] يقول: (**وجاءَ أمرُ ربِّك**)، فكأنه محى قولَ الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وأبدله (**وجاء أمر ربك**)، لكن لفظًا لا يستطيعُ، فعمد إِلَى المعنى، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: جَاءَ أمرُ رَبِّك؛ ولذلك يقول:

١٩١٥- فَأَتَى إِلَيْهَا وَهْيَ بَارِزَةٌ مِنَ الْـ ... أَلْفَاظِ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «**فَأَتَى إِلَيْهَا**» أي: إِلَى المعاني.

يعني: أتى إِلَيْهَا وهي واضحةٌ بيِّنةٌ يدلُّ عليها اللفظُ بلا كتمان.

١٩١٦- فنَفَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا ... مَعْنًى سِوَى مَوْضُوعِهِ الحَقَّانِي

قَوْلُهُ: «**نَفَى حَقَائِقَهَا**» ففي المثالِ الأخيرِ الَّذِي ذكرناه، وَهُوَ قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قال: ليس المرادُ جَاءَ هُوَ نفسُه، بل المرادُ: جَاءَ أمرُه.

إِذَنْ نفى الحقيقةَ، وأعطى لفظَها معنًى سوى موضوعه، ما موضوع ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾؟ أنه جَاءَ هُوَ نفسُه حقيقةً، هُوَ قال: لا، (جاء أمرُه)، فأعطى الحقيقةَ معنًى آخر سوى موضوعه الحقَّاني.

١٩١٧- فَجَنَى عَلَى الـمَعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الأَلْفَاظِ بِالعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «جَنَى عَلَى المَعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ»؛ لأنه إذا قَالَ معنى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: «جاء أمرُه»، فقد جحدَ المعنى الأصليَّ وَهُوَ مجيءُ الله -سبحانه وتعالى- نفسُه.

قَوْلُهُ: «وَجَنَى عَلَى الأَلْفَاظِ بالعُدْوَانِ» حيث حَرَّفها، وقال: إنَّ معناها كذا، فهذه جنايةٌ عليها؛ لأنه حمَّلها معنًى لم تحتملْه.

١٩١٨- وَأَتَى إِلَى حِزْبِ الـهُدَى أَعْطَاهُمُ شَبَهَ اليَهُودِ وَذَا مِنَ البُهْتَانِ

١٩١٩- إِذْ قَالَ: إِنَّهُمُ مُشَبِّهَةٌ وَأَنْـ ـتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنِ الَّذِي يَلْحَانِي

١٩٢٠- فِي هَتْكِ أَسْتَارِ اليَهُودِ وشِبْهِهِمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ؟

أتى إِلَى حزب الهدى وقال: أنتم الذين تُشْبِهون اليهودَ؛ لأنَّ اليهودَ مُجَسِّمَةٌ؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨١] وقالوا: إنَّ اللهَ بخيلٌ، وقالوا: إنَّ الله بكى وحزن، وقالوا: إنَّ اللهَ تعالى تَعِبَ، فجَسَّموا، وأنتم كذلك جَسَّمتم، فأنتم الذين أشبهتم اليهودَ، انظر كَيْفَ الطغيان والعياذ بالله؟!

وَقَوْلُهُ: «إِنَّهُمُ مُشَبِّهَةٌ» إنهم أي: اليهود.

وَقَوْلُهُ: «فَمَنِ الَّذِي يَلْحَانِي» أي: فَمَنْ يلومني إذا قلتُ: إِنَّكم مُشَبِّهَةٌ كاليهود.

١٩٢١- يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعْيَ ذِي عِرْفَانِ

ابنُ القيِّم -رحمه الله- لـمَّا قال: (**من الَّذِي يلحاني فِي هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن؟**) نادى المسلمين، فقال: (**يا مسلمون**)، فالمنادِي هُوَ ابنُ القيِّم.

قَوْلُهُ: «**اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ**»؛ لأنَّ السَّمعَ بدون وعيٍ لا فائدةَ منه، لا بُدَّ أن يسمعَ الإنسانُ ويعيَ قولَ مُخَاطِبِهِ، فإنْ سَمِعَ بلا وعيٍ فلا فائدةَ من سمعِه، والسَّمعُ في الأذن، والوعيُ في القلب.

١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَـذَا الشِّبْهِ بِالْبُرْهَانِ؟

ذكر المثال فَقَالَ:

١٩٢٣- أَمَرَ اليَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ فَأَبَوْا وقَالُوا: حِنْطَةٌ لِـهَوَانِ

قَوْلُهُ: «**أَمَرَ اليَهُودَ**» وذلك حين قيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [النساء:١٥٤] وقولوا: «**حطة**» يعني: بابَ القرية التي أُمِرُوا بقتال أهلها، وقولوا: (**حِطَّة**) ماذا فعلوا؟ «**دَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ**»، أي كُلُّ وَاحِدٍ يَزْحَفُ عَلَى اسْتِهِ، يعني: عَلَى دُبُره «**فَبَدَّلُوا وَقَالُوا حِنْطَةٌ حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ**»[1] بدَل حِطَّة، يعني: نريدُ حِنْطَةً، أمَّا حِطَّة الذنوبِ فلا نريدُها، نريدُ حِنْطَةً؛ لأنهم يريدون المالَ، ومَلءَ البطون، ولا يهمُّهم أن يحطَّ اللهُ ذنوبَهم أو لا يحطَّها، نسألُ اللهَ العافيةَ.

قَوْلُهُ: «**حِطَّة**» يعني: احططْ عنَّا ذنوبنا، ولكنهم قالوا: (**حِنْطَة**) يريدون الأكلَ.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة:٥٨]، رقم (١٠٩٢٢).

فإن قَالَ قائل: وهل اليهود يتكلَّمون باللغة العربية؟

الجَوَابُ: لا، وأمَّا كَيْفَ يقولون: حنطة؟ فالجواب: لقد حكى اللهُ عزَّ وجلَّ عن آدمَ إِلَى محمدٍ أي: عن الأنبياءِ كُلِّهم حكى بالعربية، وكُلُّ الأنبياءِ لغتُهم غيرُ عربية، فيحكى اللهُ عنهم، يقول: «**قال فرعون**»، «**قال موسى**» باللغة العربية، فهو يحكى كلامهم بالمعنى، فهم قالوا معنى لفظ حنطة.

١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى فَأَبَى وَزَادَ الحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ

الجهميُّ قيل له: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] قال: لا، بل معناه (**استولى عَلَى العرش**)، فزاد حرفًا كما زادت اليهودُ حرفًا، مَنْ المُشَابِه؟ الجواب: الجهميَّةُ، فهم المشابهون لليهود، فهؤلاء زادوا حرفًا وَهُوَ النون، وهؤلاء زادوا حرفًا وَهُوَ اللام.

وَقَوْلُهُ: «**زَادَ الحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ**» أي: زاد حرفًا فنقص المعنى، فصار العرشُ وغيرُه سواءً، فإذا كان ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى: (**استولى عليه**)، فهو أيضًا مُستولٍ عَلَى الأرض، وحينئذٍ لا فضلَ للعرش عَلَى الأرض، فزاد حرفًا ولكنَّه نقص في المعنى، فنقص قدرَ العرش.

١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوْلَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ لُغَةً وعَقْلًا مَا هُمَا سِيَّانِ

قَوْلُهُ: «**وَذَا مِنْ جَهْلِهِ**» صدق -رحمه الله- ففرقٌ بين ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وبين (**استولى عَلَى العرش**).

١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْـ ـتَوْلَى فَلَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ

اللَّهُمَّ ارزقْنا عدمَ الخروج عنه.

لو كان اللهُ يريد (استولى) ما الَّذِي يمنعُه أن يقولَ: (استولى)؟ لا أحدَ يمنعُه أبدًا، بل أراد (اسْتَوَى) غير (استولى)؛ ولهذا قال: (**لا تخرج عن الْقُرْآن**).

يقول: (**عِشْرُونَ وَجْهًا...**).

١٩٢٧- قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي

قَوْلُهُ: «**تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي**» هُوَ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وله كتابٌ أبطل فيه أنَّ (**اسْتَوَى**) بمعنى (**استولى**) من عشرين وجهًا، فرحمه الله وجزاه عن أمة محمدٍ خيرًا.

فهو عالِمٌ حَبْرٌ، و(الحبرُ) مُثَلَّث الحاء أي: (حِبْرٌ، حَبْرٌ، حُبْرٌ) ومعناه: العالِمُ الواسعُ العِلم، وَهُوَ مُشتقٌّ من البحر، لكنَّه اشتقاقٌ أكبر؛ لأنَّ الاشتقاقَ الأصغر ما تساوت فيه الحروفُ، وهنا مختلفةٌ.

١٩٢٨- وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً قَدْ أَبْطَلَتْ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ

١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَهَا لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى العُمْيَانِ

ذكر ابنُ القيِّم أيضًا أربعين طريقةً (**الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى غَزْوِ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعَطِّلَةِ**) فهذا -ما شاء الله- عنوانٌ قويٌّ، فإذا كان صواعقَ مرسلةً ما بقي لهم أثرٌ، والكتابُ -والحمد لله- الآن مطبوعٌ، وكان لا يوجدُ إِلَّا مختصرُه، وَهُوَ كتابٌ إذا قرأه الإنسانُ استفاد مِنْهُ فائدةً كبيرةً.

١٩٣٠- نُونُ اليَهُودِ ولَامُ جَهْمِيٍّ هُمَا فِي وَحْيِ رَبِّ العَرْشِ زَائِدَتَانِ

قَوْلُهُ: «**نُونُ اليَهُودِ**» أي: في حنطة، فالله عزَّ وجلَّ قال: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ [البقرة:٥٨] لكنهم قالوا: (**حِنطة**).

كذلك «لَامُ جَهْمِيٍّ» في (اسْتَوَى)، اللهُ عزَّ وجلَّ قال: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [البقرة:٢٩] وَهُوَ قال: (استولى)، فهما في وحي ربِّ العرش زائدتان.

ثُمَّ ذكر شَبَهًا آخرَ فقال:

١٩٣١- وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصْفَهُ ... وَيَهُودُ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنُّقْصَانِ

١٩٣٢- فَهُمَا إِذَنْ فِي نَفْيِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ ... ـعُلْيَا كَمَا بَيَّنْتُهُ أَخَوَانِ

اليهودُ وصفوا اللهَ بالنقصان، قالوا: يدُ الله مغلولةٌ، وقالوا: إنَّ اللهَ فقيرٌ، وقالوا: إنَّ اللهَ تَعِبَ يوم السبت، فاستراح -نعوذ بالله- ووصفوا الله بكُلِّ عيبٍ.

والجهميُّ سَلَبَ مِنْهُ وَصْفَه بالكمال، وإذا سَلَبَ وَصْفَهُ بالكمال لزم أن يكونَ متَّصفًا بالنقص، ووجهُ التلازم: أنَّك إذا نفيتَ صِفةَ الكمالِ عن الله لزم أن يكونَ متَّصفًا بالنقص؛ لأنه ما من موجودٍ إلَّا وله صفةٌ، فإذا انتفت عنه صفةُ الكمالِ لزم ثبوتُ صفةِ النقص، فاليهودُ وصفوه بالنقص، والجهميُّ وصفَه بالنقص، فمن أحقُّ أن يكونَ مشابهًا لليهود؟ الجواب: الجهميُّ المعطِّلُ، وليس المُثْبِت.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ بُهْتَانِهِمْ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ بِفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَقَالَةَ العُلُوِّ عَنْهُ أَخَذُوهَا، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ، وَهُمْ أَشْبَاهُهُ

١٩٣٣- وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَونُ مَذْ ... هَبُهُ العُلُوُّ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

١٩٣٤- وَلِذَاكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بِالصْ ... صَرْحِ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانِ

١٩٣٥- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتْبِهِمُ وَمِنْ ... أَفْوَاهِهِمْ سَمْعًا إِلَى الآذَانِ

١٩٣٦- فَاسْمَعْ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ ... عَوْنَ الْمُعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

١٩٣٧- وَانْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ ... حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

١٩٣٨- فَمِنَ المَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنِيَّكُمْ ... أَضْحَى يُكَفِّرُ صَاحِبَ الإِيمَانِ

١٩٣٩- وَيَقُولُ: ذَاكَ مُبَدِّلٌ لِلدِّينِ سَا ... عٍ بِالفَسَادِ وَذَا مِنَ البُهْتَانِ

١٩٤٠- إِنَّ المُوَرِّثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَونُ حِيـ ... ـنَ رَمَى بِهِ المَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ

١٩٤١- فَهُوَ الإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَتْـ ... ـبُوعٌ يَقُودُهُمُ إِلَى النِّيرَانِ

١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرَ الوَصْفَيْنِ وَصْفَ الفَوْقِ وَالتْـ ... ـتَكْلِيمَ إِنْكَارًا عَلَى البُهْتَانِ

١٩٤٣- إِذْ قَصْدُهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالتْـ ... ـتَعْطِيلُ مِرْقَاةٌ لِذَا النُّكْرَانِ

١٩٤٤- وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلَّمٍ وَبِآلَةٍ ... وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

١٩٤٥- وَأَتَـى بِـذَاكَ مُفَكِّـرًا وَمُقَـدِّرًا   وَرِثَ الوَلِيـدَ العَابِـدَ الأَوْثَـانِ

١٩٤٦- وَأَتَـى إِلَى التَّعْطِيـلِ مِـنْ أَبْوَابِـهِ   لَا مِـنْ ظُهُـورِ الـدَّارِ وَالـجُدْرَانِ

١٩٤٧- وَأَتَـى بِـهِ فِي قَالَـبِ التَّنْزِيـهِ وَالتْـ   ـتَعْظِيمِ تَلْبِيسًـا عَـلَى العُمْيَـانِ

١٩٤٨- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ العُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التْـ   ـتَجْسِيمُ لَـيسَ يَلِيـقُ بِـالرَّحْمَنِ

١٩٤٩- فَـاللَّفْظُ قَـدْ أَنْشَـاهُ مِـنْ تِلْقَائِـهِ   وَكَسَاهُ وَصْـفَ الوَاحِـدِ الـمَنَّانِ

١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ صَبِيُّ العَقْـلِ لَـمْ   يَبْلُـغْ وَلَـوْ كَـانُوا مِـنَ الشِّـيخَانِ

١٩٥١- إِلَّا أُنَاسًـا سَـلَّمُوا لِلْـوَحْيِ هُـمْ   أَهْـلُ البُلُـوغِ وَأَعْقَـلُ الإِنْسَـانِ

١٩٥٢- فَـأَتَى إِلَى الصِّـبْيَانِ فَانْقَـادُوا لَـهُ   كَالشَّـاءِ إِذْ تَنْقَـادُ لِلْجُوبَـانِ

١٩٥٣- فَـانْظُرْ إِلَى عَقْـلِ صَـغِيرٍ فِي يَـدَيْ   شَيْطَانِ مَـا يَلْقَـى مِـنَ الشَّـيْطَانِ؟

الشـرحُ

هذا أيضًا من المصائب، أنهم قالوا: إنَّ أهلَ السُّنَّةِ فِرْعَوْنِيَّة.

فمرة قالوا: يُشْبِهونَ اليهودَ، ومرة قالوا: يُشْبِهونَ فرعون.

لماذا يُشْبِهُون فرعونَ؟ قالوا: لأنَّ أهلَ السُّنَّةَ أثبتوا أنَّ اللهَ فوق كُلِّ شيءٍ، وفرعونَ أثبت العلوَّ لله، فشابهوا فرعونَ من هَذَا الوجه، وعَمُوا عن أنَّ موسى هُوَ الَّذِي قال: إنَّ اللهَ في السَّماء؛ ولهذا قَالَ فرعونُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] فهل فرعونُ أثبت العلوَّ أو أنكره؟

الجَوَابُ: أنكره، ولكنَّه أمرَ وزيرَه (هامان) أن يبنيَ هَذَا الصَّرحَ إيهامًا لقومه؛ لأنه سوف يصعدُ عَلَى هَذَا الصَّرح، ويقول: بحثتُ فلم أجد، فيكون قد مَوَّه عَلَى قومه، فالجهمُ موافقٌ تمامًا لفرعون، هَذَا هُوَ الحقُّ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٩٣٣- وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُـهُمْ: فِرْعَونُ مَـذْ هَبُــهُ العُلُــوُّ وَذَاكَ فِي الْقُــرْآنِ

قالوا: إنَّ فرعونَ مذهبُه إثباتُ العلوِّ لله، وذلك في الْقُرْآن، وهذه دعوى بدليلٍ لكنَّها باطلةٌ، والاستدلالُ بها باطلٌ.

١٩٣٤- وَلِذَاكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْـهِ بِـالصْ صَرْحِ الَّـذِي قَـدْ رَامَ مِـنْ هَامَـانِ

مَنْ الَّذِي طلب الصعودَ إليه؟ فرعونُ طلبَ الصعودَ إِلَى الله، وهذا يدلُّ -عَلَى زعمهم- أنه يُقِرُّ بأنَّ اللهَ في السَّماء.

١٩٣٥- هَــذَا رَأَيْنَــاهُ بِكُتْــبِهِمُ وَمِــنْ أَفْــوَاهِهِمْ سَــمْعًا إِلَى الآذَانِ

١٩٣٦- فَاسْمَعْ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِـرْ عَـوْنَ الْـمُعَطِّلِ جَاحِـدِ الـرَّحْمَنِ

أيُّهما أولى بفرعون هل هم أهل السُّنَّة المثبتون للعلوِّ أم هم هؤلاء المنكرون لعلوِّ الله؟!

١٩٣٧- وَانْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ: مُوسَى كَـاذِبٌ حِــينَ ادَّعَــى فَوْقِيَّــةَ الــرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مَنْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ» مَن الَّذِي قاله؟ الجواب: فرعون.

ففرعونُ قَالَ لموسى: إنه كاذبٌ أنَّ اللهَ في السَّماء؛ لأنَّ فرعونَ يُنكرُ وجودَ الله نهائيًّا، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨] لا فوق ولا في غير فوق.

فإذن هل أهلُ السُّنَّةِ أولى بفرعونَ أم هؤلاء المعطِّلة؟ الجواب: هؤلاء المعطِّلةُ، لكنَّهم يقلبون الحقائقَ تلبيسًا وترويجًا، نسألُ اللهَ العافيةَ.

١٩٣٨- فَمِــنَ المَصَــائِبِ أَنَّ فِرْعَــوْنِيَّكُمْ أَضْـحَى يُكَفِّـرُ صَـاحِبَ الإِيـمَانِ

يقول: مَنْ قال: إنَّ اللهَ في السَّماء فهو كافرٌ، هَذَا كلامُ أهلِ التعطيل.

١٩٣٩- وَيَقُـولُ: ذَاكَ مُبَـدِّلٌ لِلـدِّينِ سَـا عٍ بِالفَسَــادِ وَذَا مِــنَ البُهْتَــانِ

فرعونيُّهم يقولُ: إنَّ الَّذِي يقولُ: (إنَّ اللهَ فِي السَّماء) مُبَدِّلٌ للدين كما قَالَ فرعون: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:٢٦].

قَوْلُهُ: «سَاعٍ بِالفَسَادِ» كما قَالَ فرعون: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦] وفي قراءة (أَوْ أَنْ يَظْهَرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادُ)(١).

١٩٤٠- إِنَّ الـمُوَرِّثَ ذَا لَـهُمْ فِرْعَونُ حِيـ ـنَ رَمَى بِهِ الـمَوْلُودَ مِنْ عِمْـرَانِ

١٩٤١- فَهُوَ الإِمَـامُ لَـهُمْ وَهَـادِيهِمْ وَمَتْـ ـبُوعٌ يَقُــودُهُمُ إِلَى النِّــيرَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ المُوَرِّثَ ذَا» يعني: إنكارَ العلوِّ.

قَوْلُهُ: «إِنَّ المُوَرِّثَ ذَا لَـهُمْ فِرْعَوْن» يعني: الَّذِي ورَّثهم إنكارَ العلوِّ هُوَ فرعون.

١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرَ الوَصْفَيْنِ وَصْفَ الفَوْقِ وَالتْـ ـتَكْلِيمَ إِنْكَـارًا عَـلَى البُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ أَنْكَر... وَصْف الفَوْق» فأنكر وصفَ الله بالعُلُوِّ؛ لأنه إنما قَالَ

(١) يقرأ بأو، وبالواو، وبضم الياء وفتحها، وبنصب (الفساد) ورفعه. انظر: الحجة في القراءات السبع (ص:٣١٣).

هامان: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر:٣٦] من باب التهكُّم بموسى من وجه، ومن باب التضليل لقومه من وجهٍ آخر؛ لأنه سيقول: صعدتُ ولم أجد، فأنكر الفوقيَّةَ.

قَوْلُهُ: «والتَّكْلِيم» أي: وأنكر التَّكليمَ، كَيْفَ أنكر التَّكليمَ؟ لأنه أنكرَ رسالةَ موسى، ورسالةُ موسى ثبتت بالوحي، وَهُوَ تكليمُ الله.

ففرعونُ أنكر الفوقيَّةَ والتَّكليمَ، وهؤلاء المعطِّلةُ أنكروا الفوقيَّةَ والتَّكليمَ جميعًا.

١٩٤٣- إِذْ قَصْدُهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الـرَّبِّ فَالتَّـ ... ـتَعْطِيلُ مِرْقَـاةٌ لِـذَا النُّكْـرَانِ

قصدُ فرعونَ إنكارُ ذاتِ الرَّبِّ، والتعطيلُ من هؤلاء المعطِّلةِ مرقاةٌ لذا النكران؛ لأنَّ هؤلاء المعطِّلة إذا حقَّقت مذهبَهم صارت نتيجتُه أن لا رَبَّ موجود، نسألُ اللهَ العافيةَ.

١٩٤٤- وَسِـوَاهُ جَـاءَ بِسُـلَّمٍ وَبِآلَـةٍ ... وَأَتَـى بِقَـانُونٍ عَـلَى بُنْيَـانِ

١٩٤٥- وَأَتَـى بِـذَاكَ مُفَكِّـرًا وَمُقَـدِّرًا ... وَرِثَ الوَلِيـدَ العَابِـدَ الأَوْثَـانِ

قَوْلُهُ: «سِوَاه» يريد بذلك: أهلَ التعطيل، أتوا بِسُلَّمٍ، وآلةٍ، وقانونٍ، والمراد به: قانون الكلام، إذا كان كَذَا لزم مِنْهُ كذا، إذا كان اللهُ فوقُ لزم أن يكونَ جسمًا، إذا كان جسمًا لزم أن يكونَ مماثلًا للمخلوق، وهَكَذَا.

فأتوا بقانون، وفرعون ما أتى بهذا القانون، ماذا صنع؟ أنكر رأسًا، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] فهو أحسنُ سيرةً منهم؛ لأنه أصرحُ منهم، أمَّا هؤلاء فأتوا بِهَٰذِهِ القوانين يلعبون بها عَلَى الناس.

قَوْلُهُ: «وَرِثَ الوَلِيدَ العَابِدَ الأَوْثَانِ» مَنْ هُوَ الوليد؟ الوليد بن المغيرة الَّذِي

قَالَ الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ والنتيجةُ ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:١٨-٢٥].

هؤلاء المتكلِّمون المعطِّلون صاروا يُفكِّرون، ويُقَدِّرون، ويأتون بقوانين، ويأتون بحججٍ واهية يدَّعونها عقليات وهي وَهْمِياتٌ وليست بحقيقة، فهم وَرِثُوا فرعونَ صاحبَ موسى، ووَرِثُوا الوليدَ أحدَ زعماء الكفر في هَذِهِ الأمة.

١٩٤٦- وَأَتَـى إِلَى التَّعْطِيـلِ مِـنْ أَبْوَابِـهِ ... لَا مِـنْ ظُهُـورِ الـدَّارِ وَالـجُدْرَانِ

أتى إِلَى التعطيل من أبوابه من أجل أن يَلِجَ التَّعطيلَ ولوجًا محكمًا؛ لأنَّ الَّذِي يأتي الشيءَ من بابه يدخلُه دخولًا محكمًا، أمَّا الَّذِي يأتي من ظهور البيوت يتسلَّقها تسلُّقًا فقد يسقطُ ويموتُ ولا يصلُ إِلَى مراده، لكن هؤلاء أتوا إِلَى التعطيل من أبوابه بما كَسَوْهُ من هَذِهِ الحجج الواهية التي قَالَ واصفها:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُـهَا ... حَقًّـا وَكُـلٌّ كَـاسِرٌ مَكْسُـورُ[1]

١٩٤٧- وَأَتَـى بِـهِ فِي قَالَـبِ التَّنْزِيـهِ وَالتْـ ... ـتَعْظِيمِ تَلْبِيسًـا عَـلَى العُمْيَـانِ

قال مثلًا: حاشا وكلَّا أن يكونَ اللهُ تعالى فوقُ، لماذا؟ قال: لو أثبتنا أنه فوقُ أثبتنا أنه جسمٌ، وإذا أثبتنا أنه جسمٌ أثبتنا أنه مُماثِلٌ للمخلوق، فحاشا ربِّنا من مماثلة المخلوق؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، إذا سمعها العامي و أشباهُ العوام صدَّق، وقال: هَذَا هُوَ الحقُّ: إنَّ الله مُـنَـزَّهٌ؛

(١) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ٢٢٨).

ولهذا قال:

١٩٤٨- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ العُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التْـ ـــتَجْسِيمُ لَـيسَ يَلِيـقُ بِـالرَّحْمَنِ

١٩٤٩- فَـاللَّفْظُ قَـدْ أَنْشَـاهُ مِـنْ تِلْقَائِـهِ وَكَسَاهُ وَصْـفَ الوَاحِـدِ الـمَنَّانِ

اللفظ الَّذِي هُوَ التَّنزيهُ قد أنشاه من تلقائه، ويجوز أن يكونَ المرادُ باللفظ: (التَّجسيم) وأنه كساه وصف الواحد المنان من أجل أن يُرَتِّبَ عَلَى ذلك إنكارَ العلوِّ.

١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ صَبِيُّ العَقْلِ لَـمْ يَبْلُـغْ وَلَـوْ كـانُوا مِـنَ الشِّـيخَانِ

هذا الوصفُ للناس مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] فالناسُ كُلُّهم صبيُّ العقل وإن كان من الشيخان جمع (شيوخ)، حتَّى لو كانوا شيوخًا فعقولُهم عقولُ الصبيان.

١٩٥١- إِلَّا أُنَاسًـا سَـلَّمُوا لِلْـوَحْيِ هُـمْ أَهْـلُ البُلُـوغِ وَأَعْقَـلُ الإِنْسَـانِ

فالذين سَلَّموا للوحي هم العقلاءُ، وهم أهلُ البلوغ.

١٩٥٢- فَـأَتَى إِلَى الصِّـبْيَانِ فَانْقَـادُوا لَـهُ كَالشَّـاءِ إِذْ تَنْقَـادُ لِلْجُوبَـانِ

قَوْلُهُ: «أَتَى إِلَى الصِّبْيَانِ» أي: صبيان العقول فانقادوا له كالشاة إذ تنقاد للجوبان أي: للراعي، فالغنمُ تنقادُ للراعي وَهُوَ يقودُها إِلَى المَنْحر بل إِلَى المذبح، ولا تدري، وهؤلاء مثلُهم.

١٩٥٣- فَـانْظُرْ إِلَى عَقْـلٍ صَـغِيرٍ فِي يَـدَيْ شَيْطَانِ مَـا يَلْقَـى مِـنَ الشَّـيْطَانِ؟

عقلٌ صغيرٌ بين يدي شيطان ماذا يلقى؟ الجواب: يلقى كُلَّ شَرٍّ ولَا شَكَّ.

فصـــل

فِي بَيَانِ تَدْلِيسِهِمْ، وَتَلْبِيسِهِمُ الحَقَّ بِالبَاطِلِ

١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الـمُجَسِّمُ: رَبُّنَا ... حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ

١٩٥٥- فَسَلُوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنًى وَاسْتَوَى ... أَيْضًا لَهُ فِي الوَضْعِ خَمْسُ مَعَانِي؟

١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنًى لَـهَا أَيْضًا لَـدَى ... عَمْرٍو؟ فَذَاكَ إِمَامُ هَـذَا الشَّانِ

١٩٥٧- بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ الـمَعَانِيَ والَّذِي ... مِنْهَا أُرِيدَ بِوَاضِحِ التِّبْيَانِ

١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعَطِّلٌ هَذِي الـجَعَا ... جِعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الـهَذَيَانِ؟

١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجَعْجِعِ: وَيْحَكَ اعْقِلْ ذَا الَّذِي ... قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

١٩٦٠- العَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَالـلَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الأَذْهَانِ

١٩٦١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ ... نَقْلَ المَجَازِ وَلَا لَـهُ وَضْعَانِ

١٩٦٢- وَمُحَمَّدٌ وَالأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ ... شَهِدُوا بِهِ لِلْخَالِقِ الـرَّحْمَنِ

١٩٦٣- مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ ... رَبٍّ عَلَيْهِ قَدِ اسْتَوَى دَيَّانِ

١٩٦٤- لَمْ تَفْهَمِ الأَذْهَانُ مِنْهُ سَرِيرَ بِلْـ ... ـقِيسٍ وَلَا بَيْتًا عَلَى الأَرْكَانِ

١٩٦٥- كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ وَلَا ... عَرْشًا لِـجِبْرِيلٍ بِـلَا بُنْيَانِ

١٩٦٦- كَلَّا وَلَا العَرْشَ الَّذِي إِنْ ثُلَّ مِنْ ... عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي

١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الكُرُومِ وَهَـذِه الْـ ... أَعْنَـابِ فِي حَـرْثٍ وَفِي بُسْـتَانِ

١٩٦٨- لَكِنَّهَـا فَهِمَـتْ بِحَمْـدِ الله عَـرْ ... شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْـوَانِ

١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ العَالَـمِينَ قَـدِ اسْـتَوَى ... حَقًّـا كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي الْقُـرْآنِ

١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى المَوْصُولُ بِالحَرْفِ الَّذِي ... ظَهَـرَ الْـمُرَادُ بِـهِ ظُهُـورَ بَيَـانِ

١٩٧١- لَا فِيـهِ إِجْمَـالٌ وَلَا هُـوَ مُفْهِـمٌ ... لِلإِشْـتِرَاكِ وَلَا مَجَـازٍ ثَانِـي

١٩٧٢- تَرْكِيبُهُ مَعَ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ نَـصْ ... صٌ فِي العُلُـوِّ بِوَضْـعِ كُـلِّ لِسَـانِ

١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعْ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَـعْ ... مَعْنَـى العُلُـوِّ لِوَضْـعِهِ بِبَيَـانِ

١٩٧٤- وَإِلَى السَّـمَاءِ قَـدِ اسْـتَوَى فَمُقَيَّـدٌ ... بِـتَمَامِ صَـنْعَتِهَا مَـعَ الإِتْقَـانِ

١٩٧٥- لَكِنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَـقٌ ... مِـنْ بَعْـدِهَا قَـدْ تَـمَّ بِالأَرْكَـانِ

١٩٧٦- لَكِـنَّمَا الـجَهْمِيُّ يَقْصُـرُ فَهْمُـهُ ... عَـنْ ذَا فَتِلْـكَ مَوَاهِـبُ الـمَنَّانِ

١٩٧٧- فَإِذَا اقْتَضَى وَاوَ الـمَعِيَّةِ كَـانَ مَعْـ ... ـنَاهُ اسْـتَوَى مُتَقَـدِّمٌ والثَّانِـي

١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَـانَ مَعْـ ... ـنَاهُ الكَـمَالَ فَلَـيْسَ ذَا نُقْصَـانِ

١٩٧٩- لَا تَلْبِسُوا بِالبَاطِلِ الـحَقَّ الَّـذِي ... قَـدْ بَـيَّنَ الـرَّحْمَنُ فِي الفُرْقَـانِ

١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلاسْـتِعْلَاءِ فَهْـيَ حَقِيقَـةٌ ... فِيـهِ لَـدَى أَرْبَـابِ هَـذَا الشَّـانِ

١٩٨١- وَكَـذَلِكَ «الـرَّحْمَنُ» جَـلَّ جَلَالُـهُ ... لَـمْ يَحْتَمِلْ مَعْنًـى سِـوَى الـرَّحْمَنِ

١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بِعَمَاهُ لَـوْ وَجَـدَ اسْـمَهُ الـرْ ... رَحْمَـنَ مُحْـتَمِلًا لِـخَمْسِ مَعَانِـي

١٩٨٣- لَقَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ ... إِلَّا التِّلَاوَةُ عِنْدَنَا بِلِسَانِ

١٩٨٤- فَلِذَاكَ قَالَ أَئِمَّةُ الإِسْلَامِ فِي ... مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَكُمْ بِبَيَانِ

١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلْنَاكُمْ عَلَى كُتْبٍ لَهُمْ ... هِيَ عِنْدَنَا -وَاللهِ- بِالْكِيمَانِ

الشَّرحُ

ذكر المؤلفُ -رحمه الله تعالى- في هَذَا الفصل تلبيسَ أهلِ التعطيل في مسألة (الِاسْتِوَاء).

١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الـمُجَسِّمُ: رَبُّنَا ... حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ

من هُوَ المجُسِّمِ؟ الجواب: هُوَ الَّذِي يُثبتُ العلوَّ حقيقةً، بل هُوَ الَّذِي يُثبتُ الِاسْتِوَاءَ عَلَى العرش حقيقةً؛ ولهذا يُسَمُّون أهلَ السُّنَّة المُجَسِّمَة.

١٩٥٥- فَسَلُوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنًى وَاسْتَوَى ... أَيضًا لَهُ فِي الوَضْعِ خَمْسُ مَعَانِي؟

١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنًى لَهَا أَيضًا لَدَى ... عَمْرٍو؟ فَذَاكَ إِمَامُ هَذَا الشَّانِ

إذا قال: ربُّنَا حقًّا عَلَى العرش اسْتَوَى فسلوه عن هَذِهِ الأشياء، اسألوه عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] اسألوه كم لـ(لعرش) من معنى؟ اسألوه كم لـ(الِاسْتِوَاء) من معنى؟ اسألوه كم لـ(عَلَى) من معنى؟

والغرضُ من هَذَا السؤال أنه إذا ثبتت المعاني صار اللفظُ محتملًا، واللفظُ المحتملُ يَسقطُ الاستدلالُ به، والقاعدةُ المشهورةُ: (**إذا وُجِدَ الاحتمالُ بطلَ الاستدلالُ**).

قَوْلُهُ: «لَدَى عَمرٍو» وَهُوَ سيبويه.

فـ (على) لها معانٍ، و(اسْتَوَى) لها معانٍ، و(العرش) له معانٍ، فاسألوه: أيُّ المعاني يُرادُ؟

١٩٥٧- بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ المَعَانِيَ والَّذِي ... مِنْهَا أُرِيدَ بِوَاضِحِ التِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «بَيِّنْ لنَا تِلْكَ المَعَانِيَ...» يقول هَذَا تحدِّيًا، وليس استفهامًا واستخبارًا، لكن يريدون أن يَتَحدّوا هذا، يقول ابنُ القيِّم:

١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعَطِّلٌ هَذِي الجَعَا ... جِعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الهَذَيَانِ؟

قَوْلُهُ: «الجَعَاجِع» الأصواتُ غيرُ المعلومة.

قَوْلُهُ: «ما الَّذِي فِيهَا مِنَ الهَذَيَانِ؟» الهذيان: كلامُ الرجلِ المُخَرِّف الَّذِي ليس له ضابطٌ ولا معنى.

١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجَعْجِعِ: وَيْحَكَ اعْقِلْ ذَا الَّذِي ... قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ

وهذا تهكُّمٌ به، يعني: إن كنتَ صادقًا وتعرف فاعقلْ ما تقولُ.

١٩٦٠- العَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الأَذْهَانِ

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] كلٌّ يعرف أنَّ المرادَ بالعرشِ عرشُ الله، وَهُوَ العرشُ المجيدُ، هل فيه إجمالٌ؟

الجواب: أبدًا، ليس فيه إجمالٌ، ولا إيهامٌ، ولا اشتراكٌ، ولا مجازٌ، ولا شيءٌ أبدًا، فاللام يقول: (للمعهود فِي الأذهان).

١٩٦١- مَا فيه إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ ... نَقْلَ المَجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ

قَوْلُهُ: «مَا فيه إِجْمَالٌ» يعني: أنه واضحُ المعنى.

قَوْلُهُ: «وَلَا هُوَ مُوهِمٌ نَقْلَ الْمَجَازِ» يعني: ليس فيه مجازٌ؛ لأنه حقيقة.

قَوْلُهُ: «وَلَا لَهُ وَضْعَانِ» أي: مُشْتَرَك، يعني: أنه بإضافته إِلَى الله ليس مشتركًا يصلحُ لهذا وهذا.

١٩٦٢- وَمُحَمَّـدٌ وَالأَنْبِيَـاءُ جَمِـيعُهُمْ ... شَـهِدُوا بِـهِ لِلْخَـالِقِ الـرَّحْمَنِ

فكُلُّ الأنبياءِ جاؤوا بأنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى العرش، وقد سبق أنَّ عبدَ القادر الجيلانِيَّ -رحمه الله[1]- قال: إنه مذكورٌ في كُلِّ كتابٍ أنزله اللهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ.

١٩٦٣- مِـنْهُمْ عَرَفْنَـاهُ وَهُـمْ عَرَفُـوهُ مِـنْ ... رَبٍّ عَلَيْـهِ قَـدِ اسْـتَوى دَيَّـانِ

نحن عرفناه من الأنبياءِ، والأنبياءُ عرفوه من الله، وفي هَذَا إشارةٌ إِلَى أنَّ دلالةَ الِاسْتِوَاءِ دلالةٌ سمعيَّةٌ محضةٌ بخلاف العلوِّ فإنَّ دلالتَه سمعيَّةٌ عقليَّةٌ فطريَّةٌ، أمَّا الِاسْتِوَاءُ فدلالتُهُ سمعيَّةٌ، ما عرفناه إِلَّا عن الأنبياءُ، والأنبياء عرفوه عن الله عزَّ وجلَّ.

١٩٦٤- لَـمْ تَفْهَمِ الأَذْهَانُ مِنْـهُ سَرِيـرَ بِلْـ ... ـقِيسٍ وَلَا بَيْتًـا عَـلَى الأَرْكَـانِ

قَوْلُهُ: «لَـمْ تَفْهَمِ الأَذْهَانُ مِنْهُ سَرِيرَ بِلْقِيسٍ» المعطِّلُ يقولُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] يعني: عَلَى عرش بلقيس التي قَالَ الله عنه: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل:٢٣] هل أحدٌ يفهمُ هذا؟ الجواب: أبدًا.

قَوْلُهُ: «وَلَا بَيْتًا عَلَى الأَرْكَانِ» العرشُ يُطْلَقُ عَلَى السَّقفِ، عَلَى الأعمدة، هل يَفهمُ الناسُ من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أنه اسْتَوَى عَلَى سقفٍ، عَلَى أعمدة؟ الجواب: أبدًا، لا يفهمون ذلك.

---

(١) تقدمت ترجمته في التعليق على البيت رقم (١٣٠٩).

١٩٦٥- كَـلَّا وَلَا عَرْشًـا عَـلَى بَحْـرٍ وَلَا   عَرْشًـا لِـجِبْرِيلٍ بِـلَا بُنْيَـانِ

قَوْلُهُ: «**كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ**» العرشُ عَلَى البحر هَذَا عرشُ الشَّيطان، فالشَّيطانُ ينصبُ عرشَه عَلَى البحر، ويرسلُ جنودَه لإضلال الناس، فهل أحدٌ يفهمُ أنَّ المرادَ بالعرش الَّذِي اسْتَوَى عليه الرحمنُ هُوَ عرشُ الشَّيطان الَّذِي عَلَى البحر؟ الجواب: كلَّا.

قَوْلُهُ: «**وَلَا عَرْشًا لِجِبْرِيلٍ بِلَا بُنْيَانِ**» أيضًا لا يفهمون مِنْهُ عرش جبريل، وذلك أنَّ جبريلَ -عليه الصلاة والسلام- لـمَّا تأخَّر الوحيُ عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- أول ما نزل عليه، سَمِعَ صوتًا فرفع رأسَه فإذا هُوَ جبريلُ عَلَى كرسيٍّ بين السَّماء والأرض، هَذَا عرشُ جبريل.

١٩٦٦- كَلَّا وَلَا العَرْشَ الَّذِي إِنْ ثُـلَّ مِـنْ   عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِـي

قَوْلُهُ: «**ثُلَّ**» يعني: هُدِمَ.

قَوْلُهُ: «**مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي**» من هُوَ عرشُه هذا؟ الجواب: عرشُ السُّلطان، فالمَلِكُ له عرشٌ، لكن لو جَاءَ واحدٌ من تحته يجرُّه سقط.

هل يفهمُ الناسُ أنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أنه اسْتَوَى عَلَى عرش السُّلطان؟

١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الكُرُومِ وَهَـذِه الْـ   أَعْنَـابِ فِي حَـرْثٍ وَفِي بُسْـتَانِ

ما فهموا أنه اسْتَوَى عَلَى عرش الكروم (**الأعناب**) أبدًا.

إِذَنْ هَذِهِ الأسماء للعرش كُلُّها لا يمكنُ أن تُفْهَمَ من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] إِذَنْ ترديدُهم لهذا الكلام، وقولُهم: (**العرشُ**) يحتملُ معانيَ

كثيرةً باطلٌ؛ لأنَّ كُلَّ هَذِهِ المعاني التي يذكرونها لا تُفْهَمُ من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهِمَتْ بِحَمْدِ الله عَرْ شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ

١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ العَالَمِينَ قَدِ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا فَهِمَتْ بِحَمْدِ الله» هَذَا معطوف عَلَى قوله: «لَمْ تَفْهَمُ الأَذْهَانُ».

انتهينا الآن من العرش وتشكيكهم في معناه، وتَبَيَّن لَنَا أنَّ ما ذكروا من المعاني لا يَرِدُ عَلَى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وأشباهها؛ لأنَّ العرشَ هنا المرادُ به العرشُ المعهودُ، وَهُوَ عرشُ الله عزَّ وجلَّ.

بقي لنا: (اسْتَوَى)، فـ(اسْتَوَى) لها عدة معانٍ، فإذن تبقى مُجْمَلَةً، لا يُعْرَفُ المقصودُ منها، فيقول -رحمه الله-:

١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى المَوْصُولُ بِالحَرْفِ الَّذِي ظَهَرَ المُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] (اسْتَوَى) مقيَّدٌ بحرف يُعْرَفُ معناه به، فمعنى (اسْتَوَى عَلَى الشيء) يعني: علا عليه، وهذا واضحٌ، لا يحتملُ سواه؛ ولهذا قال:

١٩٧١- لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ لِلإِشْتِرَاكِ وَلَا مَجَازٍ ثَانِي

هذه الثلاثةُ نفاها بالأوَّل بالنسبة لـ(العرش)، ونفاها بالثاني بالنسبة لـ(اسْتَوَى) ليس فيه إجمالٌ حتىَّ يكون موهمًا، ولا فيه اشتراكٌ يعني: أنه موضوع لمعنيين عَلَى السَّواء، ولا فيه مجازٌ، بل هُوَ حقيقةٌ في سياقِه.

١٩٧٢- تَرْكِيبُهُ مَعَ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ نَـصْـ ... ـصٌ فِي العُلُـوِّ بِوَضْـعِ كُـلِّ لِسَـانِ

قَوْلُهُ: «تَرْكِيبه» يعني: (اسْتَوَى).

قَوْلُهُ: «مَعَ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ» وَهُوَ (على).

قَوْلُهُ: «نَصٌّ فِي العُلُوِّ بِوَضْعِ كُلِّ لِسَانِ» فإذا قيل: (اسْتَوَى عَلَى كذا) يعني: علا عليه، فلا أحدَ يُشْكِلُ عليه هَذَا الشيءُ.

بقي علينا أنه قد يتركَّبُ مع غير (على)، قَالَ -رحمه الله-:

١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعْ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَعْ ... مَعْنَـى العُلُـوِّ لِوَضْـعِهِ بِبَيَـانِ

إذا قيل: «اسْتَوَى إِلَى كذا» صار معناه: قصد إِلَى كذا، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١] معناه: قصد إِلَى السَّماء، لكن قَصَدَ بإرادةٍ كاملةٍ مع علوٍّ، ولا يمكنُ أن نقولَ: (اسْتَوَى) هنا بمعنى ارتفع؛ لأنَّ (إلى) للغاية، فإذا قلنا: (ارتفع إِلَى السَّماء) لزم أن يكونَ فِي الأوَّل سافلًا تحت السَّماء، وهذا غيرُ مرادٍ قطعًا؛ ولهذا فسَّرها ابنُ كثيرٍ بأنَّ المرادَ بها (قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ)، وليس المعنى (علا إِلَى السَّماء)؛ لأنَّ هناك فرقًا بين (اسْتَوَى عَلَى السَّماء) وبين (اسْتَوَى إِلَى السَّماء).

١٩٧٤- وَإِلَى السَّـمَاءِ قَـدِ اسْـتَوَى فَمُقَيَّـدٌ ... بِـتَمَامِ صَـنْعَتِهَا مَـعَ الإِتْقَـانِ

قَوْلُهُ: «وَإِلَى السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى» قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة:٢٩] وهذا واضحٌ بأنَّ المرادَ قصد إِلَيْهَا ليسويها ويُحسِّنَها، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت:١١] من أجل إتمامِها، لكن ما قال: (اسْتَوَى إِلَى العرش) ليتمَّه، فالعرشُ تامٌّ

من قبل، ثُمَّ اسْتَوَى عليه بعد تمامه، بخلاف استوائه إِلَى السَّماء، فإنه من أجل إتمامِها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩]؛ ولهذا قال:

١٩٧٥- لَكِنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالأَرْكَانِ

ففرقٌ بين (اسْتَوَى إِلَى السَّماء)، و(اسْتَوَى عَلَى العرش).

١٩٧٦- لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ عَنْ ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبُ المَنَّانِ

الجهميُّ يقصرُ فهمُه عن التفريق بين (على) وبين (إلى)، ومواهبُ المَنَّان عزَّ وجلَّ تختلفُ من شخصٍ لآخر، فمن الناسِ مَنْ يهبهُ اللهُ عزَّ وجلَّ فهمًا وعلمًا، ومن الناس من لا يهبُه فهمًا ولا علمًا، ومن الناس من يهبه علمًا بلا فهمٍ، ومن الناس من يهبُه فهمًا بلا علمٍ.

١٩٧٧- فَإِذَا اقْتَضَى وَاوَ المَعِيَّةِ كَانَ مَعْـ ـنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ والثَّانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا اقْتَضَى وَاوَ المَعِيَّةِ» يعني: إذا اقترنَ بها، كان معناه (اسْتَوَى متقدمٌ والثاني) كقولهم: (اسْتَوَى الماءُ والخشبةَ) يعني: أنَّ الماءَ حاذى الخشبةَ، فمعنى (الِاسْتِوَاء) هنا: التساوي؛ ولهذا قال: (كان معناه اسْتَوَى متقدمٌ والثاني).

ففي قولنا: (اسْتَوَى الماءُ والخشبةَ) أين المُتَقَدِّم؟ المُتَقَدِّمُ: الماءُ، معناه: أنه تساوى ما قبل (الواو) وما بعدها.

إِذَنْ إذا أتت (اسْتَوَى) مقرونة بـ(على) فمعناها العلوُّ، وإذا أتت مقرونة بـ(إلى) فمعناها القصدُ، وإذا أتت مقرونة بواو المعيَّة فالمعنى المحاذاة والمساواة.

الرابعُ: قَالَ -رحمه الله-:

١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعْـــنَاهُ الكَمَالَ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤] هَذَا لم يُقَيَّدْ بشيء، فمعناه (كَمُلَ).

فصارت (اسْتَوَى) تُسْتَعْمَلُ في اللغة العربية عَلَى أربعة وجوه:

مقرونة بـ(على)، و(إلى)، مقرونة بواو المعيَّة، مجردة لم تقترن بشيء، وكُلُّ واحدةٍ يُعْرَفُ معناها بما اقترن بها.

١٩٧٩- لَا تَلْبِسُوا بِالبَاطِلِ الحَقَّ الَّذِي قَدْ بَيَّنَ الرَّحْمَنُ فِي الفُرْقَانِ

انتهى الآن من الكلام عَلَى (العرش) وعلى (اسْتَوَى).

بقي عندنا (على) فقال -رحمه الله-:

١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلاسْتِعْلَاءِ فَهْيَ حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ

«على» الأصلُ فيها أنها للاستعلاء، كما قَالَ ابنُ مالكٍ في الألفيَّة: (عَلَى لِلاِسْتِعْلَاءِ) فهي دائمًا للاستعلاء.

فإذا قيل: (اسْتَوَى عَلَى كذا) يعني: علا عليه، و(اطَّلَع عَلَى كذا) يعني: علا عليه باطِّلاعه، و(ركب عَلَى كذا) يعني: علا عليه، فهي تدلُّ عَلَى العلوِّ، هَذَا هُوَ الأصلُ فيها.

قَوْلُهُ: «لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ» والأوَّل: الجهميُّ يقول: (عند عمروٍ) أي: عند سيبويه، كأنَّ ابنَ القيِّم يقولُ: أنت إذا نقلتَ عن عالم من علماء النحو، فأنا

أنقلُ عن جميع علماء النحو؛ ولهذا قال: (**لدى أرباب هَذَا الشان**) يعني: بالإجماع.

١٩٨١- وَكَـذَلِكَ «الـرَّحْمَنُ» جَـلَّ جَلَالُـهُ   لَـمْ يَحْتَمِلْ مَعْنًـى سِـوَى الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَلِكَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ**» وَهُوَ الرابعُ: (**الرحمن**) هل يحتملُ معنًى سوى الرَّبِّ عزَّ وجلَّ؟ ولهذا قال: (**لم يحتمل معنًى سوى الرحمن**) فأين الإجمالُ، وأين الاشتراك، وأين الإيهام في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾؟ [طه:٥] الجواب: لا يوجد شيءٌ لا في (**اسْتَوَى**) ولا في (**على**) ولا في (**العرش**) ولا في (**الرحمن**).

١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بِعَمَاهُ لَـوْ وَجَـدَ اسْـمَهُ الـرْ   رَحْمَـنَ مُحْـتَمِلًا لِـخَمْسِ مَعَانِـي

١٩٨٣- لَقَضَـى بِـأَنَّ اللَّفْـظَ لَا مَعْنَـى لَـهُ   إِلَّا الـتِّلَاوَةُ عِنْـدَنَا بِلِسَـانِ

لو قال: (الرحمن) -والله- يحتملُ خمسةَ معانٍ ماذا يصيرُ؟ يقول: (**يا ويحه**) يعني: يصيرُ مشركًا، فالرحمنُ لا يحتملُ إلَّا معنًى واحدًا، وَهُوَ ربُّ العزَّة -جلَّ وعلا-، ولذلك لا يُسَمَّى به غيرُه أبدًا، ولا يُوصَفُ به غيرُه، فلا يجوزُ أن تقولَ عن أيِّ شخصٍ: «إنه رحمنٌ» حتَّى النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- لا يصحُّ أن تقولَ: إنه بالمؤمنين رحمنٌ، بل قل: رحيمٌ؛ ولهذا نقولَ: (اللهُ) و(الرحمنُ) اسمان خاصَّان بالله لا يُسَمَّى بهما غيرُه أبدًا.

١٩٨٤- فَلِـذَاكَ قَـالَ أَئِمَّـةُ الإِسْـلَامِ فِي   مَعْنَـاهُ مَـا قَـدْ سَـاءَكُمْ بِبَـيَانِ

١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلْنَـاكُمْ عَـلَى كُتْـبٍ لَـهُـمْ   هِـيَ عِنْـدَنَا -وَالله- بِـالْكِيمَانِ

قَوْلُهُ: «**فَلِذَاكَ قَالَ أَئِمَّةُ الإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ**» أي: في معنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قالوا ما قد ساءكم.

قَوْلُهُ: «الكِيَمان» جمع (أكوام)، والأكوامُ جمعُ كومةٍ وهي الشيءُ المجتمعُ؛ ولهذا إذا أراد الناسُ أن يقولوا عن الشيء: إنه كثيرٌ، قالوا: عندنا كومةٌ من الإبل، كومةٌ من الغنم، كومةٌ من الطعام، فالكيمان هنا (فِعْلَان) جمعُ (أكوام)، وأكوامٌ جمعُ كومة.

* * *

فصـــل

فِي بَيَانِ سَبَبِ غَلَطِهِمْ فِي الأَلْفَاظِ، وَالحُكْمِ عَلَيْهَا بِاحْتِمَالِ عِدَّةِ مَعَانٍ؛ حَتَّى أَسْقَطُوا الاسْتِدْلالَ بِهَا

١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ ... فِي الإِعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي ... قَصَدَ المُخَاطِبُ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ

١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نِسْـ ... ـبَتُهُ إِلَى الأَفْهَامِ وَالأَذْهَانِ

١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْـ ... ـدَ سِوَاهُمُ هُوَ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ ... لَهُمُ المُرَادُ بِهِ اتِّضَاحَ بَيَانِ

١٩٩١- فَالأَوَّلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الخِطَا ... بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ

١٩٩٢- طَالَ المِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْـ ... ـتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَاكَ الشَّانِ

١٩٩٣- والعِلْمُ مِنْهُمْ بِالمُخَاطِبِ إِذْ هُمُ ... أَوْلَى بِهِ مِن سَائِرِ الإِنْسَانِ

١٩٩٤- وَلَهُمْ أَتَمُّ عِنَايَةٍ بِكَلَامِهِ ... وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ العِرْفَانِ

١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ ... فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التِّبْيَانِ

١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَاكَ لَمْ ... يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمُ عَلَى البُرْهَانِ

١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ ... فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الأَذْهَانِ

١٩٩٨- وَلإِلْفِهِ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ　　بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الأَزْمَانِ

١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ　　نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحُ التِّبْيَانِ

الشرحُ

يقول المؤلفُ -رحمه الله- في بيان سببِ غلطِ هؤلاء الذين يَدَّعونَ أنَّ للفظ الواحد احتمالاتٍ كثيرةً من أجل أن يُبْطِلوا دلالتهَ عَلَى المراد؛ لأنَّ من القواعِدِ المقرَّرةِ أنه عند الاحتمالِ يسقطُ الاستدلالُ، فإذا قالوا: هَذَا يحتملُ كذا، وهذا يحتملُ كَذَا وكذا وكذا، فأيُّ الوجوه تريدون؟ إذا قلت: نُريد كذا، قَالَ لك: من أين الدَّلِيلُ أنَّ المرادَ كَذَا دون الاحتمالات الأخرى؟ وحينئذٍ يسقطُ الاستدلالُ.

فالمؤلفُ -رحمه الله- يريدُ أن يُبيِّنَ السببَ، وأنه ليس كُلُّ لفظٍ يحتملُ معنًى في سياقٍ يكونُ محتملًا له في سياقٍ آخر، فاللفظُ قد يحتملُ معنًى في سياق من السِّياقات لكن لا يحتملُ هَذَا المعنى في سياقٍ آخر، بل يكونُ من القرائن الحاليَّة أو اللفظيَّة ما يمنعُ إرادةَ هَذَا المعنى بحسب القرينةِ الحاليَّة وسياقِ الكلام وتركيبِهِ؛ ولهذا قال:

١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ　　فِي الإِعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

يعني: قد يكونُ للفظ معنى عند انفرادِه ومعنى آخرُ عند اقترانهِ في سياقٍ آخر، ومن أبرز الأمثلة عَلَى ذلك: (**القرية**)، فأحيانًا يكونُ المرادُ بها أهلَ القرية، وأحيانًا يكونُ المرادُ بها نفسَ القرية.

فإذا سمعتَ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج:٤٥] فالمرادُ: أهلُ القرية، وإذا سمعتَ اللهَ يقول: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ

هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت:٣١] فالمرادُ: القريةُ نفسُها، وليس المرادُ هنا أهلَ القرية؛ لأنَّ (أهلَ) موجودةٌ مذكورةٌ، فالمرادُ نفسُ القرية، يعني: إنا مهلكو سَاكِنِي هَذِهِ القرية.

فتجد أنَّ الكلمةَ الواحدةَ صار لها معنًى قاطعٌ في سياقٍ، ومعنًى قاطعٌ في سياقٍ آخر.

١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّـذِي قَصَدَ الْـمُخَاطِبُ مِنْـهُ فِي التِّبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «**اللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ**» والنَّصُّ عندهم ما لا يحتملُ إلَّا معنًى واحدًا فهو بمعنى الصَّريح، ومنه قولهم: (**مِنَصَّةُ العروس**) وَهُوَ الكرسِيُّ الَّذِي تأتي وتجلسُ عليه، فلو سألتَ الجمعَ مَنْ هذه؟ لقالوا: هي العروس (**المرأة**) ما يحتملُ غيرَها، كذلك أيضًا النَّصُّ في الكلام هُوَ الَّذِي لا يحتملُ سوى معناه، فهو صريحٌ فيه.

قَوْلُهُ: «**نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطِبُ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ**» فالتركيبُ يجعلُه نصًّا، ومن هنا قَالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (إنه لا مجازَ في الْقُرْآن، ولا في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّياقَ يجعلُ اللفظَ صريحًا في المعنى ونصًّا في المعنى، ولا يحتملُ المجازَ، فقولُه تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤] غيرُ قولِ القائل: (**اكْسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ**)؛ لأنَّ الكُلَّ يعرفُ أنَّ (**اكْسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ**) المرادُ به الجناحُ الَّذِي يطيرُ به الطَّيرُ، وأمَّا ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ معناه: مرتفع الذل، يعني: أنك لا ترتفعُ عليهما، بل اخفض لهما، ذِلَّ لهما، كالجناح إذا خُفِضَ فإنَّ الطائرَ لا يطيرُ.

إِذَنْ الكلامُ نصٌّ في سياقه، وحينئذٍ نقولُ: لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّياقَ يُعَيِّنُ المعنى ويمنعُ المجازَ.

وهذه المسألةُ -أعني: مسألةَ المجاز- اختلف النَّاسُ فيها، فمنهم مَنْ أقرَّه في اللغة والْقُرْآن، ومنهم مَنْ قال: هُوَ مُنْكَرٌ في الْقُرْآن وغيرُ مُنْكَرٍ في اللغة، وهذا رأي الشيخ الشنقيطِيِّ(١) -رحمه الله- وعلَّل ذلك بقوله: إنَّ أكبرَ علاماتِ المجاز صحةُ نفيه، وليس في الْقُرْآن ما يَصِحُّ نفيُه، فإذا قلت: (**أَقْبَلَ أَسَدٌ يَحْمِلُ الحَقِيبَةَ**) فللمخاطَب أن يقولَ: ليس بأسدٍ، وإذا قال: ليس بأسدٍ، فصحيحٌ هُوَ ليس بأسدٍ.

لكن أردُّ عليه بسهولة، وأقول: لـمَّا قلنا: (**يحملُ حقيبتَه**) علمنا أنَّ معنى (أسدٍ) شجاعٌ، فصرنا لا نقصدُ لفظَه الدالَّ عَلَى جسده، لكن نقصدُ اللفظَ الدالَّ عَلَى المعنى، وَهُوَ الشجاعة، وهذا ليس فيه إشكالٌ، ولا يمكنُ لأحدٍ أن يتبادرَ إِلَى ذهنه إذا قلت: (**أقبلَ رجلٌ يحملُ الحقيبةَ**) أنه الأسدُ الضرغام.

لكن هل هَذَا الاختلافُ اختلافٌ لفظِيٌّ فقط؟

الجَوَابُ: ليس بصحيح؛ لأنه يترتَّبُ عَلَى هَذَا مسألةُ تحريف آيات الصِّفَات وأحاديثها، وكذلك أيضًا تحريف النصوص الدالة عَلَى الأحكام الفقهية، فقد يُحَرِّفُها ويقولُ: المرادُ من هَذَا المجازُ، كذلك أيضًا في الحِنث في اليمين مثلًا: إذا قال: والله لا أتكلَّمُ بكلامٍ مجازٍ، ثُمَّ تكلَّم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] عَلَى رأي مَنْ يقولُ: فيه مجازٌ، فإنه يحنثُ؛ لأنه تكلَّمَ بالمجاز، فيَحْنثُ، وتلزمه الكفارةُ، وعلى رأي مَنُ لا يرى ذلك لا يحنثُ؛ لأنَّ هَذَا الكلامَ حقيقةٌ في سياقه.

ولا يطمئنُ القلبُ إِلَّا إِلَى هَذَا أي: إِلَى القول بنفي المجاز في اللغة العربية، لكن الـحقيقة قد تُلْبَسُ ثوبًا جذابًا يـجذبُ من أجل صيغة اللـفظ، فمثلًا:

---

(١) انظر كلام الشيخ الشارح -رحمه الله- في شرح العقيدة السفارينية (ص:٢٥٧).

قول القائل:

وَإِذَا الـمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ[1]

وهذا يُعطِي المعنى قوةً وهيبةً، حيث شَبَّه المنيَّةَ بأسدٍ يُنْشِبُ أظفارَه، لا يمكنُ أن يفكَّه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤]، معلوم أنَّ الذُّلَّ ليس له جَناحٌ، لكن لـمَّا كان الذُّلُّ يُقابِلُ التَّعاليَ والعلوَّ والتَّرفُّعَ عَلَى والديه، قال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ بمعنى تَطَامَنْ لهما مع التَّذَلُّل.

وهذه المسألُة لها غورٌ، ولا شَكَّ أنَّ ما قاله شيخُ الإسلام -رحمه الله- هُوَ الحقُّ؛ أنه لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ الكلمات في حدِّ ذاتِها لا يُعَيِّن معناها تمامًا إِلَّا السِّياقُ، فإذا تَعيَّن معنى الكلمة في سياقها، حينئذٍ يكونُ احتمالُ إرادة الحقيقة الأصلية في الوضع غيرَ واردٍ، فيبقى الكلامُ حقيقةً في سياقه، نصًّا في معناه.

وَقَوْلُهُ: «وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ» وهذا واحد.

١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نِسْـ ... ـبَتُهُ إِلَى الأَفْهَامِ وَالأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ» الظاهرُ: هُوَ الَّذِي يحتملُ معنيين هُوَ في أحدهما أظهرُ، فمرتبتُه دون النَّصِّ، يكونُ ظاهرًا ولكنَّه ليس نصًّا، فهو أقلُّ دلالةً من النَّصِّ.

وهناك مُجْمَلٌ يكونُ فيه اللفظُ محتملًا لمعنيَيْن عَلَى السَّواء.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في الكامل للمبرد (٢/ ١٢٧).

إِذَنْ الكلامُ ثلاثُةُ أقسامٍ:

- ما لا يحتملُ إِلَّا معنًى واحدًا، فهذا نَصٌّ.
- ما يحتملُ معنَيَيْن هُوَ في أحدهما أظهرُ، فهذا ظاهرٌ، الأظهرُ هُوَ الظاهرُ.
- ما يحتمل معنَيَين عَلَى السَّواء، فهذا مُجْمَلٌ يحتاجُ إِلَى بيانٍ.

فالمؤلفُ بَيَّن هَذَا كُلَّه، فقال: **(أو ظاهرٌ فيه وذا من حيث نسبته إِلَى الأفهام والأذهان)** يعني: أنَّ الظهورَ والنَّصِّيَّةَ بحسب الأفهام والأذهان، ثُمَّ بَيَّن ذلك، فقال:

١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْـ ـدَ سِوَاهُمُ هُوَ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

يعني: يكونُ اللفظُ الواحدُ نصًّا عند طائفةٍ لا يحتملُ غيرَ معنى واحد، ويكونُ ظاهرًا عند طائفة أخرى، يعني: يحتملُ معنَيْين هُوَ في أحدهما أظهرُ، وهناك طائفةٌ ثالثةٌ يكونُ عندها مُجْمَلًا، وسيذكره؛ ولهذا تجد الآن المفتين: يُفْتيك رجلٌ، فيقول: الظاهرُ والله أنَّ هَذَا جائزٌ؛ لقوله تعالى: كَذَا وكذا، فيكون هَذَا الرجلُ فاهمًا للدليل فهمَ نصٍّ أو فهمَ ظاهر؟

الجَوَابُ: فَهْمٌ ظاهر.

ويأتيك مُفْتٍ آخر، فيقول: هَذَا حرامٌ؛ لقوله تعالى: كَذَا وكذا، فيكون هَذَا الرجلُ فاهمًا للدليل فهمَ نصٍّ، والله يُؤتي فضلَه مَنْ يشاءُ، فكثيرٌ من الناس تكون الأدلةُ عنده واضحةٌ كأنها نصوصٌ صريحةٌ، وعند بعض الناس تكون ظاهرةً، وبعضُ الناس تكونُ عنده مُشْتَبِهَةً، لا يستطيعُ أنْ يعطيَك حكمًا من أيِّ دليل؛ لأنَّ الأدلةَ عنده مُشْتَبِهَةٌ.

١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتِّضَاحَ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «**وَلَدَى سِوَاهُمْ**» يعني: لدى سوى الطائفتين الأوليَيْن.

فَقسَّم -رحمه الله- الناسَ باعتبار الدَّلِيل إِلَى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسم الأول: يكونُ له الدَّلِيلُ نصًّا ظاهرًا لا يحتملُ معنًى آخر.

القسمُ الثاني: يكونُ عندهم الدَّلِيلُ ظاهرًا مع احتمال معنًى مرجوحٍ.

القسم الثالث: يكونُ مُجْمَلًا لا يتضحُ به المرادُ.

ثُمَّ بَيَّن السببَ، لماذا كان هَذَا الدَّلِيلُ الواحدُ نصًّا عند قوم، وظاهرًا عند قوم ومُجْمَلًا عند آخرين؟ فقال:

١٩٩١- فَالأَوَّلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ

هؤلاء أَلِفوا خطابَ الله ورسولِه، وأَلِفُوا معناه، وصار المعنى الظاهرُ لغيرهم نصًّا عندهم، حتَّى إِنَّ بعضَهم يُمَيِّزُ صحةَ الحديث من ضعفه بمجرد أن يسمعَه وإن لم يرَ سندَه، لماذا؟ لأنهم أَلِفوا كلامَ الرسول -عليه الصلاة والسلام- واختلط بدمائِهم، حتَّى كانوا يعرفون أنَّ هَذَا كلامُ الرسولِ من كلام غيرِه، كما أننا نحن الآن إذا طالعنا كتبَ عالمٍ من العلماء ثُمَّ مَرَّت بنا عبارةٌ من عباراتِه وإن لم تُنْسَبْ إليه عرفنا أنها من كلامه.

وكثيرًا يمرُّ بنا شيءٌ من كلام شيخِ الإسلام نعرفُ أنه من كلامِه وإِنْ لم يكن منسوبًا إليه؛ لأننا طالعنا كلامَه كثيرًا وأَلِفْنَاه، وكذلك ابنُ القيِّم وغيرُه.

فالحاصلُ أنَّ هؤلاء الذين أَلِفُوا كلامَ الرسول -عليه الصلاة والسلام- وفهموه يكونُ المعنى عندهم نصًّا، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم.

١٩٩٢- طَالَ المِرَاسُ لَـهُمْ لِـمَعْنَاهُ كَمَا اشْـ ـــتَدَّتْ عِنَـايَتُهُمْ بِــذَاكَ الشَّــانِ

١٩٩٣- والعِلْمُ مِنْهُمْ بِالـمُخَاطِبِ إِذْ هُـمُ أَوْلَى بِـــه مِــن سَــائِرِ الإِنْسَــانِ

١٩٩٤- وَلَــــهُمْ أَتَــمُّ عِنَايَــةٍ بِكَلَامِــهِ وَقُصُــودِهِ مَــعَ صِــحَّةِ الْعِرْفَــانِ

١٩٩٥- فَخِطَابُــهُ نَــصٌّ لَــدَيْهِمْ قَــاطِعٌ فِــيمَا أُرِيــدَ بِــه مِــنَ التِّبْيَــانِ

ذكر -رحمه الله- أمورًا متعددةً:

أولًا: أنهم ألفوا خطابَ الرسول -عليه الصلاة والسلام- وألفوا معناه من كثرة ممارستهم له.

ثانيًا: أنَّ لهم عنايةً تامةً في معرفة كلام النَّبِيِّ ﷺ وتدبُّرِ معناه حتَّى يكونَ عندهم نصًّا قاطعًا.

ثالثًا: أنهم يعلمون بحالِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومرادِه ومقصدِه؛ لأنهم يعرفون الغاياتِ الحميدةَ من الشريعة الإسلامية، فتجدهم يعرفون مرادَ النَّبِيِّ ﷺ بخطابه نصًّا قاطعًا؛ لأنهم يعرفون مقاصدَ الشريعة.

فلأجل هَذِهِ الأمور الثلاثة كانوا يعلمون مرادَ النَّبِيِّ ﷺ بكلامه علمًا قاطعًا نصًّا.

١٩٩٦- لَكِنَّ مَـنْ هُـوَ دُونَـهُـمْ فِي ذَاكَ لَـمْ يَقْطَـعْ بِقَطْعِهِـمُ عَـلَى البُرْهَـانِ

الذين دون هؤلاء إمَّا في إِلْفِهِم لكلام الرسولِ وكونهم لا يمارسونه دائمًا، وكون أكثر ما يقرؤون كتبَ العلماء دون الأدلة، أو لأشياء أخرى تكون في نفوسِهم تمنعُهم من أن يكونَ الكلامُ نصًّا لديهم.

١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ»؛ لأنه لو كان قاطعًا لكان نصًّا، لكنَّه يقولُ: يظهر كذا.

قَوْلُهُ: «فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الأَذْهَانِ» لأنَّ هناك مَنْ يقولُ: إنه نصٌّ، بل وهناك من هُوَ دونه يقولُ: إنه مُجْمَلٌ؛ ولهذا قال: «لَا سَائِرِ الأَذْهَانِ».

١٩٩٨- وَلِإِلْفِهِ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الأَزْمَانِ

١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحُ التِّبْيَانِ

يقول: هَذَا الرجلُ الَّذي كان لا يفهمُ الأدلةَ؛ لأنه مُشْتَغِلٌ بكلام متبوعِه ومُقَلَّدِه، فتجده يفهمُ من خطاب مقلِّدِه نصَّ المُقَلَّد فهمًا قاطعًا (نصًّا) لكن كلام الرسول ﷺ لا يفهمُه هَذَا الفهمَ.

وما قاله ابنُ القيِّم -رحمه الله- واقعٌ، فإنَّ كثيرًا من الناس ولاسِّيما المكبُّون عَلَى الكتب المهتمون بالتقليد تجدهم إذا جاءتهم النُّصوصُ يقفون حيارى، لكن في كتب مُقلِّدِيهم عندهم علمٌ كاملٌ يفهمون النصوصَ منطوقًا ومفهومًا وإيماءً وإشارة بخلاف النصوص الشرعية.

والذي ينبغي لطالبِ العلمِ أن يُرَكِّزَ عَلَى فهم كتابِ الله وسُنَّة رسوله ﷺ قبل كُلِّ شيء، وأن يستعينَ عَلَى فهمهما بكتب أهل العلم، يعني: لا يطرحُ كتبَ أهلِ العلمِ جانبًا، ولا يعتمدُ عليها ويدع الكتابَ والسُّنَّة، بل يأخذُ من هَذَا وهذا ويجعل العمدةَ الكتابَ والسُّنَّة.

* * *

٢٠٠٠- وَالْفِتْنَةُ العُظْمَى مِنَ الـمُتَسَلِّقِ الْـ ... مَخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الهَـذَيَانِ

٢٠٠١- لَـمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيـهِ الكَـلَا ... مُ وَلَا لَـهُ إِلْـفٌ بِهَـذَا الشَّـانِ

٢٠٠٢- لَكِنَّـهُ مِنْـهُ غَرِيـبٌ لَـيْسَ مِـنْ ... سُـكَّانِهِ كَـلَّا وَلَا الـجِيرَانِ

٢٠٠٣- فَهُوَ الزَّنِيمُ دَعِيُّ قَـوْمٍ لَـمْ يَكُـنْ ... مِـنْهُمْ وَلَـمْ يَصْحَبْهُمُ بِمَكَـانِ

٢٠٠٤- وكَلَامُهُـمْ أَبَـدًا لَدَيْـهِ مُجْمَـلٌ ... وَبِمَعْـزِلٍ عَـنْ إِمْـرَةِ الإِيقَـانِ

٢٠٠٥- نَشَـدَ التِّجَـارَةَ بِـالزُّيُوفِ يَخَالُـهَا ... نَقْـدًا صَـحِيحًا وَهْـوَ ذُو بُطْـلَانِ

٢٠٠٦- حَتَّـى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْـهِ نَالَـهُ ... مِـنْ رَدِّهَـا خِـزْيٌ وسُـوءُ هَـوَانِ

٢٠٠٧- فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَـهَا إِذْ لَـمْ يَكُـنْ ... نَقْـدُ الزُّيُـوفِ يَـرُوجُ فِي الأَثْـمَانِ

٢٠٠٨- ورَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي ... بَـاقِي النُّقُـودِ فَجَـاءَ بِالعُـدْوَانِ

٢٠٠٩- وَاسْتَعْوَضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ ... وَبِظُلْمِـهِ يَبْغِيـهِ بِالْبُهْتَـانِ

٢٠١٠- عِوَجًـا لِيَسْـلَمَ نَقْـدُهُ بَـيْنَ الـوَرَى ... وَيَـرُوجُ فِـيهِمْ كَامِـلُ الأَوْزَانِ

٢٠١١- وَالنَّاسُ لَيْسُـوا أَهْـلَ نَقْـدٍ لِلَّـذِي ... قَـدْ قِيـلَ إِلَّا الفَـرْدَ فِي الأَزْمَـانِ

٢٠١٢- وَالزَّيْفُ بَيْـنَهُمُ هُـوَ النَّقْـدُ الَّـذِي ... قَـدْ رَاجَ فِي الأَسْـفَارِ وَالبُلْـدَانِ

٢٠١٣- إِذْ هُمْ قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَـوْا ... بِجَـوَازِهِ جَهْـرًا بِـلَا كِـتْمَانِ

٢٠١٤- فَـإِذَا أَتَـاهُمْ غَـيْرُهُ وَلَـوَ انَّـهُ ... ذَهَـبٌ مُصَـفًّى خَـالِصُ الْعِقْيَـانِ

٢٠١٥- رَدُّوهُ وَاعْتَـذَرُوا بِـأَنَّ نُقُـودَهُمْ ... مِـنْ غَـيْرِهِ بِمَرَاسِـمِ السُّـلْطَانِ

٢٠١٦- فَـإِذَا تَعَامَلْنَـا بِنَقْـدٍ غَـيْرِهِ قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوانِ

٢٠١٧- وَاللهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيْحَ ذِي البُهْتَانِ

٢٠١٨- يا مَنْ يُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ غَضَبِ الإِلَهِ وَمَوْقِدِ النِّيرَانِ

٢٠١٩- وَتُفِيدُهُ الأَرْبَاحَ بِالجَنَّاتِ وَالْـ ـحُورَ الحِسَانَ وَرُؤْيَةَ الرَّحْمَنِ

٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٢٠٢١- هَيِّئْ لَهَا ثَمنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ

٢٠٢٢- نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ضَرْبَ المَدِينَةِ أَشْرَفِ البُلْدَانِ

٢٠٢٣- أَظَنَنْتَ يَا مَغْرُورُ بَائِعَهَا الَّذِي يَرْضَى بِنَقْدٍ ضَرْبِ جِنْكِزْخَانِ؟

٢٠٢٤- مَنَّتْكَ -وَاللهِ- المُحَالَ النَّفْسُ إِنْ طَمِعَتْ بِذَا وخُدِعْتَ بِالشَّيْطَانِ

الشرحُ

٢٠٠٠- وَالْفِتْنَةُ العُظْمَى مِنَ المُتَسَلِّقِ الْـ مَخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الهَذَيَانِ

وهذا هُوَ القسم الثالث الَّذِي تكون الأدلةُ عنده من باب الْمُجْمَل؛ لأنه لا يعرف، فالفتنةُ العظمى من المتسلِّق المخدوع ذِي الدعوى أخي الهذيان.

٢٠٠١- لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الكَلَا مُ وَلَا لَهُ إِلْفٌ بِهَذَا الشَّانِ

وهذا هُوَ الصحيح، فالبلاءُ كُلُّ البلاءِ مِمَّنْ لا يعرفُ الدَّلِيلَ ولا يهتمُّ به، وَهُوَ عنده غيرُ قاطعِ الدلالة ولا ظاهر الدلالة أيضًا.

٢٠٠٢- لَكِنَّـهُ مِنْـهُ غَرِيـبٌ لَـيْسَ مِـنْ سُـكَّانِهِ كَـلَّا وَلَا الـجِيرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ مِنْهُ» أي: من الكلام الَّذِي هُوَ الكتابُ والسُّنَّة وَهُوَ الدَّلِيلُ.

قَوْلُهُ: «مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلَّا وَلَا الجِيرَانِ»، فهو غريبٌ، ليس من سكان هَذَا المحلِّ، ولا من جيرانه حتَّى يفهم.

٢٠٠٣- فَهُوَ الزَّنِيمُ دَعِيُّ قَـوْمٍ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْهُمْ وَلَـمْ يَصْـحَبْهُمُ بِمَكَـانِ

قَوْلُهُ: «فَهُوَ الزَّنِيمُ» والزَّنِيم هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى قومٍ وليس منهم، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣] فهو يَدَّعِي العلمَ، ولكنَّه ليس من العلماء.

٢٠٠٤- وكَلَامُهُـمْ أَبَـدًا لَدَيْـهِ مُجْمَـلٌ وَبِمَعْـزِلٍ عَـنْ إِمْـرَةِ الإِيقَـانِ

قَوْلُهُ: «كَلَامُهُمْ» الضميرُ يعودُ عَلَى كلام القومِ الَّذِي هُوَ الكتابُ والسُّنَّةُ لدى هَذَا الرجل، (مُجْمَل) لا يَبِينُ المرادُ به؛ ولهذا يقول: (بِمَعْزِلٍ عَنْ إِمْرَةِ الإِيقَانِ)؛ ولهذا يقولون: النصوصُ دلالتُها ظنيَّةٌ، والعقلُ دلالتُه قطعيَّةٌ، ولا معارضةَ بين الظَّنِّيِّ والقطعِيِّ؛ لأننا نُقَدِّمُ القطعِيَّ عَلَى الظَّنِّيِّ؛ ولهذا قدَّموا العقولَ وأنكروا المنقولَ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

فبعضُهم مثلًا يقولُ في الْقُرْآن: الْقُرْآنُ دلالتُه عَلَى المعنى ظَنِّيَّةٌ؛ لأنه لا يستطيعُ أن يطعنَ في سنده، والأحاديثُ إن كانت من قسم المتواتر الَّذِي لا يمكنُ ردُّه، يقول: دلالتُها ظَنِّيَّةٌ كالْقُرْآن، وإن كان مما يمكن ردُّه -وَهُوَ عندهم خبر الآحاد ولو صَحَّ- يقول: هُوَ ظَنِّيُّ الثبوت فلا يُعارِضُ القطعِيَّ؛ ولهذا ضلُّوا -والعياذ بالله- ضلالًا بعيدًا.

فالقاعدةُ عندهم أنَّ الأدلةَ الشرعيةَ لا تفيدُ اليقينَ؛ لأنها إمَّا ظنِّيَّة الثبوت، وإما ظنِّيَّة الدلالة، ما الَّذِي يفيدُ اليقينَ عندهم؟ الجواب: العقل، هَذَا العقلُ الَّذِي اضطربوا فيه أعظمَ اضطراب، لم يختلفوا في شيءٍ كما اختلفوا في مدلولات العقول، حتَّى إنَّ بعضَهم -كما قَالَ شيخ الإسلام- يقول: «**هذا واجبٌ عقلًا**»، ويأتي آخر يقول: «**هذا مستحيلٌ عقلًا**» وهذان طرفا نقيضٍ، بل إِنَّ بعضَهم في مؤلفاته القديمة والحديثة يرى امتناعَ ما رأى وجوبه من قبل.

فأين اليقينُ في دلالة العقل بين قومٍ يرى بعضُهم أنَّ هَذَا واجبٌ عقلًا، والثاني يرى أنه مستحيلٌ عقلًا؟! أو أنَّ الرجلَ الواحدَ نفسَه يقولُ في موضع: هَذَا مستحيلٌ، ويقولُ في موضعٍ آخر: هَذَا واجبٌ، فأين الدلالةُ القطعيَّةُ في الأمور العقليَّة، ولكن كلام الله وكلام رسوله حسب ما أَلِف الإنسانُ من كتاب الله وكلام الرسول -عليه الصلاة والسلام- يعرفُ أنَّ هَذَا نصٌّ قاطعٌ في دلالته، والآخر الَّذِي دونه يرى أنه ظاهرٌ، أما المُتَسَلِّق الَّذِي يدَّعِي المعرفةَ وليس بعارفٍ فهذا يرى أنه مُجْمَلٌ وليس فيه شيءٌ يقينيٌّ.

٢٠٠٥- نَشَدَ التِّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَخَالُهَا ... نَقْدًا صَحِيحًا وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ

إنسان صَلَّحوا له قِطَعًا من الحديد مموَّهة بفضة، مصوَّرة صورة الدرهم، وقالوا: هَذِهِ دراهم، وَهُوَ لا يعرفُ، ماذا يكونُ قبولُه لها؟ يقبلُها عَلَى أنها نقدٌ صحيح.

٢٠٠٦- حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ ... مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وسُوءُ هَوَانِ

إذا رُدَّت إليه هَذِهِ الزِّيوفُ قيل: أنت أعطيتنا دراهمَ مُزَيَّفَةً، حينئذٍ يبوءُ بالخزي والهوان.

٢٠٠٧- فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَـهَا إِذْ لَـمْ يَكُـنْ نَقْـدُ الزُّيُـوفِ يَـرُوجُ فِي الأَثْـمَانِ

٢٠٠٨- ورَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي بَـاقِي النُّقُـودِ فَجَـاءَ بِالعُـدْوَانِ

لـمَّا أراد أن يُصحِّحَ نقودَه الزائفةَ ماذا قال؟ قال: لماذا تقولُ: زائفةٌ؟ قال: لأنَّ التي بين يدي الناس تخالفُ نقودَك، قال: كُلُّ النقود التي في أيدي الناس كُلُّها زائفةٌ، وليست بصحيحةٍ، والصحيحُ عندي.

طَبِّق هَذَا عَلَى مذهب أهل التعطيل مع أهل السُّنَّة، يقول لأهل السُّنَّة: كُلُّ ما قُلْتُم خطأٌ، والصوابُ ما نحن عليه، فهذه تنطبقُ عَلَى هَذَا المثال الَّذِي ذكره المؤلفُ.

٢٠٠٩- وَاسْتَعْوَضَ الثَّمَنَ الصَّحَيحَ بِجَهْلِهِ وَبِظُلْمِـــهِ يَبْغِيـــهِ بِالْبُهْتَـــانِ

يعني: أنه يريدُ النقودَ الصحيحةَ السَّليمةَ، لماذا؟ قال:

٢٠١٠- عِوَجًـا لِيَسْـلَمَ نَقْـدُهُ بَـيْنَ الـوَرَى وَيَـرُوجُ فِـيهِمْ كَامِـلُ الأَوْزَانِ

وهذا يروجُ عَلَى الناس أو لا؟ الجواب: نعم، يروج؛ ولهذا قال:

٢٠١١- وَالنَّاسُ لَيْسُـوا أَهْـلَ نَقْـدٍ لِلَّـذِي قَـدْ قِيـلَ إِلَّا الفَـرْدَ فِي الأَزْمَـانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا الفَرْدَ» يجوز الوجهان (الفردَ)، و(الفردُ).

وصدق -رحمه الله-، يعني: أنَّ الناسَ يَقِلُّ فيهم مَنْ يعرفُ الصحيحَ من الزَّيف، فلا يوجدُ إِلَّا الفردُ في الأزمان.

٢٠١٢- وَالزَّيْفُ بَيْـنَهُمُ هُـوَ النَّقْـدُ الَّـذِي قَـدْ رَاجَ فِي الأَسْـفَارِ وَالبُلْـدَانِ

يعني: أكثرُ الناس وعامةُ الناس ليسوا أهلًا للنقد، فلا يُفرِّقون بين الزَّيف وَهُوَ

المعيبُ وبين الخالص النقيِّ إِلَّا الفرد، يعني: الواحد في المائة، أو الواحد في الألف.

فأكثرُ ما يروج عند الناس هُوَ الشيء المزيَّف.

٢٠١٣- إِذْ هُمْ قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ هُمْ» أي: الناس الذين اغترُّوا بالزَّيف، وأخذوا به.

قَوْلُهُ: «قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ» وكتبهم مملوءةٌ بهذا، تجدهم يقرِّرون التعطيلَ ونفيَ صفات الله عزَّ وجلَّ بِهَذِهِ التعليلات التي يرونها معقولاتٍ وهي مجهولاتٌ في الحقيقة.

٢٠١٤- فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوَ انَّهُ ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ الْعِقْيَانِ

٢٠١٥- رَدُّوهُ وَاعْتَذَرُوا بِأَنَّ نُقُودَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَاسِمِ السُّلْطَانِ

يردُّون النقدَ الصحيحَ الخالصَ بحُجَّة أنَّ نقودَهم من غير هَذَا النقد ولو كان النقد الَّذِي ردَّوه من الذهب الخالص؛ لأنَّ مراسمَ السُّلطان قرَّرت هَذَا النقدَ المزيَّف.

والمؤلفُ -رحمه الله- إنما ضرب مثلًا بالنقد، وإِلَّا فهو يريدُ كلامَ أهل الكلام الذين يتَّبعون علماءَهم وأئمتَهم، ويقولون: لا نخرجُ عمَّا قاله أئمتنا مهما كان، فهو المقبولُ عندهم، وسواه مردودٌ.

٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدٍ غَيْرِهِ قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوانِ

يعني: لو أننا تعاملنا بنقدٍ غير الَّذِي ضربه السُّلطان قُطِعَت الجوامك، و«الجوامك» هي عبارة عمَّا يُسَمَّى عندنا بالعوائد التي يُهديها السُّلطانُ للناس،

ويُسَمِّيها بعضُ الناس بـ (الشَّرْهَات)، وتختلف الأسماءُ لكن المعنى واحد، يعني: ما يُجعل في بيت المال للناس إِمَّا سنويًّا، أو شهريًّا، أو كُلَّ ستة أشهر، وما أشبه ذلك، فالجوامُك هي عبارة عمَّا يأخذه الإنسانُ من بيت المال.

يقولون: نحن لو قبلنا هَذَا النقدَ الصحيحَ السَّليمَ وتركنا نقدَ السُّلطان ماذا يصنع؟ الجواب: تُقْطَعُ الجوامكُ، ولا يأتينا رِزْقٌ من السُّلطان.

٢٠١٧- وَاللهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيْحَ ذِي البُهْتَانِ

المؤلفُ -رحمه الله- يُقْسِمُ من غير أن يُسْتَقْسَمَ؛ لأنَّ المقامَ مقامٌ تجب العنايةُ به، والقَسَمُ عند الحاجة إليه جائزٌ وإن لم يُطْلَبْ من الإنسانِ، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧] وإذا كان كذلك فلا حرجَ عَلَى الإنسان أن يُقْسِمَ بالله عزَّ وجلَّ عَلَى شيءٍ من الأشياء وإن لم يُسْتَقْسَمْ إذا كان المقامُ ذا أهميةٍ.

٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ غَضَبِ الإِلَهِ وَمَوْقِدِ النِّيرَانِ

٢٠١٩- وَتُفِيدُهُ الأَرْبَاحَ بِالجَنَّاتِ وَالْـ حُورَ الحِسَانَ وَرُؤْيَةَ الرَّحْمَنِ

٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٢٠٢١- هَيِّئْ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ

٢٠٢٢- نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ضَرْبَ المَدِينَةِ أَشْرَفِ البُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «من سلطان» يعني: من قدرة.

هذا أيضًا كما سبق من ضرب المثل، يعني: الَّذِي يُرِيدُ النَّجاةَ من النيران ودخولَ الجنات فليشترِ هَذِهِ الجنةَ بالثمن المُهَيَّأ لها، والنقدُ الَّذِي يكونُ ثمنًا لها هُوَ

النقدُ الَّذِي عليه السِّكَّةُ النبويَّةُ (ضرب المدينة)، وماذا يريدُ بهذا النقدِ الَّذِي عليه السِّكَّة؟ الجواب: الكتاب والسُّنَّة، فالذي يريدُ النجاةَ عليه بالكتاب والسُّنَّة وليدعْ علمَ الكلام وهذيان أهله.

٢٠٢٣- أَظَنَنْتَ يَا مَغْـرُورُ بَائِعَهَا الَّـذِي ... يَـرْضَى بِنَقْـدٍ ضَرْبِ جِنْكِزْخَـانِ؟

هذا أحد ملوك التتار له سِكَّةٌ مضروبٌ عليها اسمُه، هَذَا رضي بالنقد، وترك النقدَ السَّليمَ الصحيحَ، والمرادُ بذلك أيضًا كما سبق ما عند أهل الكلام من الكلام الفارغ الَّذِي رضيه هَذَا لنفسه وترك الكلامَ الصحيحَ السَّليم.

٢٠٢٤- مَنَّتْكَ -وَاللهِ- الـمُحَالَ النَّفْسُ إِنْ ... طَمِعَتْ بِذَا وخُـدِعْتَ بِالشَّيْطَانِ

صدق -رحمه الله-، فالعاجزُ مَنْ أتبعَ نفسَه هواها وتمنَّى عَلَى الله الأمانِيَّ، فالإنسانُ الَّذِي يغترُّ بظاهرِ الحال، ولا يلتفتُ إِلَى الكتاب والسُّنَّة ويزعمُ أنه هُوَ الموحِّد قد غَرَّته نفسُه وغرَّه الشَّيطانُ.

* * *

٢٠٢٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ سَبَبَ الضَّلَالِ وَمَنْشَـأَ ... التَّخْلِـيطِ إِذْ يَتَنَـاظَرُ الـخَصْمَانِ

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِـاللَّفْظِ الـمُرَكَّبِ عَـارِفٌ ... مَضْـمُونَهُ بِسِـيَاقِهِ لِبَـيَانِ

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالتَّرْكِيبِ مَحْـ ... ـفُوفٌ بِـهِ لِلْفَهْـمِ وَالتِّبْيَـانِ

٢٠٢٨- جُنْـدٌ يُنَـادِي بِالبَيَـانِ عَلَيْـهِ مِثْـ ... ـلَ نِـدَائِنَا بِإِقَامَـةٍ وأَذَانِ

٢٠٢٩- كَيْ يَحْصُلَ الإِعْلَامُ بِالمَقْصُودِ مِـنْ ... إِيـرَادِهِ وَيَصِـيرَ فِي الأَذْهَـانِ

٢٠٣٠- فَيَفُـكُّ تَرْكِيـبَ الكَـلَامِ مُعَانِـدٌ ... حَتَّـى يُقَلْقِلَـهُ مِـنَ الأَرْكَـانِ

٢٠٣١- وَيَـرُومَ مِنْـهُ لَفْظَـةً قَـدْ حُمِّلَـتْ مَعْنًـى سِـوَاهَا فِي كَـلَامٍ ثَانِـي

٢٠٣٢- فَيَكُـونُ دَبُّـوسَ الشِّـقَاقِ وعُـدَّةً لِلـدَّفْعِ فِعْـلَ الْـجَاهِلِ الفَتَّـانِ

٢٠٣٣- فَيَقُولُ: هَـذَا مُجْمَـلٌ وَاللَّفْـظُ مُحْـ ـتَمِلٌ، وَذَا مِـنْ أَعْظَـمِ البُهْتَـانِ

٢٠٣٤- وَبِذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْـمٍ فِي الـوَرَى وَالفَهْـمُ مِـنْ خَـبَرٍ وَمِـنْ قُـرْآنِ

٢٠٣٥- إِذْ أَكْثَرُ الأَلْفَـاظِ تَقْبَـلُ ذَاكَ فِي الْـ إِفْـرَادِ قَبْـلَ الْعَقْـدِ وَالتِّبْيَـانِ

٢٠٣٦- لَكِـنْ إِذَا مَـا رُكِّبَـتْ زَالَ الَّـذِي قَدْ كَانَ مُحْتَمِلًا لَـدَى الوَحْدَانِـي

٢٠٣٧- فَـإِذَا تَجَـرَّدَ كَـانَ مُحْـتَمِلًا لِغَيْـ ـرِ مُـرَادِهِ أَوْ فِي كَـلَامٍ ثَانِـي

٢٠٣٨- لَكِـنَّ ذَا التَّجْرِيـدَ مُـمْتَنِعٌ فَـإِنْ يُفْرَضْ يَكُنْ لَا شَـكَّ فِي الأَذْهَـانِ

٢٠٣٩- وَالـمُفْرَدَاتُ بِغَـيْرِ تَرْكِيـبٍ كَمِثْـ ـلِ الصَّوْتِ تَنْعِقُـهُ بِتِلْـكَ الضَّـانِ

٢٠٤٠- وَهُنَالِكَ الإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتْـ تَجْهِيـلُ والتَّحْرِيـفُ بِـالبُطْلَانِ

٢٠٤١- فَـإِذَا هُـمُ فَعَلُـوهُ رَامُـوا نَقْلَـهُ لِـمُرَكَّبٍ قَـدْ حُـفَّ بِالتِّبْيَـانِ

٢٠٤٢- وَقَضَوْا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالحُكْمِ الَّذِي حَكَمُـوا بِـهِ لِلْمُفْـرَدِ الوَحْدَانِـي

٢٠٤٣- جَهْـلًا وَتَجْهِـيلًا وَتَدْلِيسًـا وتَلْـ ـبِيسًا وَتَرْوِيجًـا عَـلَى العُمْيَـانِ

الشـرحُ

هذه الأبيات مفيدةٌ ومهمةٌ، خلاصتُها أنَّ اللفظَ وإن كان محتملًا من حيث هُوَ لفظ لمعانٍ متعددة، فإنَّه عند التركيب لا يحتملُ إلَّا المعنى الَّذِي دَلَّ عليه السِّياقُ.

فـ(العرشُ) -كما سبق- يحتملُ معانيَ كثيرة، لكن عند التركيبِ لا يحتملُ إِلَّا معنًى واحدًا، و(الِاسْتِوَاءُ) يحتملُ معانيَ متعددة، لكن عند التركيبِ لا يحتملُ إِلَّا معنًى واحدًا، وهَكَذَا.

يقول:

٢٠٢٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ سَبَبَ الضَّلَالِ وَمَنْشَأَ ... التَّخْلِيطِ إِذْ يَتَنَاظَرُ الخَصْمَانِ

ثُمَّ ذكر السَّببَ، فقال:

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ المُرَكَّبِ عَارِفٌ ... مَضْمُونَهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ

الإنسانُ الَّذِي يعرفُ مضمونَ الكلام إنما يَحتجُّ به حين يكونُ مركَّبًا، فأمَّا إذا وُزِّع ومُزِّق وأُتي بكُلِّ كلمة عَلَى وحدة فإنه لا يكونُ كلامًا في الواقع، فلو قلنا: (**جاء زيدٌ راكبًا**) وفصلنا هَذِهِ الكلماتِ الثلاث، قلنا: (**جاء**) وحدها، وجعلنا (**زيد**) وحدها، (وراكبًا) وحدها هل يفيدُ؟ الجواب: لا يفيدُ، فالكلماتُ في حدِّ ذاتِها لا تفيدُ إِلَّا بالتركيبُ، والتركيب يُعَيِّنُ المعنى، بحيث لا يجوزُ معنًى آخر سوى هَذَا الَّذِي دَلَّ عليه التركيبُ.

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالتَّرْكِيبِ مَحْـ ... ـفُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتِّبْيَانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يُنَادِي بِالبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْـ ... ـلَ نِدَائِنَا بِإِقَامَةٍ وأَذَانِ

قَوْلُهُ: «جُنْدٌ يُنَادِي بِالبَيَانِ» يعني: اللفظُ إذا سيق بالتركيب مركَّبًا، فإنه يحتفُّ به جندٌ ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا بإقامةٍ وأذان.

وهذا الجندُ هُوَ الكلماتُ التي حوله: واحتفَّت به تُنادِي عَلَى هَذَا اللفظ بالبيان بأنَّ المرادَ به كذا، قَالَ الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ

خَبِيرًا ﴾ [الفُرْقان:٥٩] كلمة (العرش) تصلحُ لكُلِّ عرشٍ لكن ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ هَذَا التركيبُ أو هَذِهِ الكلماتُ التي احتفَّت بالعرش تُعَيِّنُ أن يكونَ معناه عرشَ الرَّبِّ لا غير.

فالقرائنُ يعني: الكلمات التي تحتفُّ باللفظ، جُنْد ينادي عليه، يقولُ: هنا ما تريدُ، هنا ما تريدُ، لا يتعدَّاه إِلَى غيره.

٢٠٢٩- كَيْ يَحْصُلَ الإِعْلَامُ بِالمَقْصُودِ مِنْ إِيرَادِهِ وَيَصِيرَ فِي الأَذْهَانِ

وهذا صحيحٌ، تنادي هَذِهِ الكلماتُ المحتفَّةُ بالكلمة، تنادي بالبيان بأنَّ المرادَ كَذَا وكذا، حتَّى يصير معلومًا لا يتعدَّاه إِلَى معنًى آخر.

٢٠٣٠- فَيَفُكُّ تَرْكِيبَ الكَلَامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقَلْقِلَهُ مِنَ الأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «**فَيَفُكُّ تَرْكِيبَ الكَلَامِ مُعَانِدٌ**» مثل أهل التعطيل يفكِّكونه، يقولونُ: (**اسْتَوَى**) له عدَّةُ معانٍ، و(**العرش**) له عدَّةُ معانٍ، فأيُّ المعاني تريدون؟ فيشكِّكون.

نقول: هَذَا الكلامُ إنما يكونُ لو أُفرِدَت كُلُّ كلمةٍ، أمَّا مع ضمٍّ بعضها إِلَى بعض فإِنَّ المعنى يتعيَّن، لكن أنتم تفكِّكون الكلامَ، وتُجزِّئونه، وتمزِّقونه؛ تضليلًا للخلق.

٢٠٣١- وَيَرُومَ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ مَعْنًى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «**يَرُومُ**» يعني: يقصد.

قَوْلُهُ: «**لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ مَعْنًى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي**» يعني: هَذِهِ اللفظة التي يُشكِّكُنا فيها الآن تحتملُ هَذَا المعنى الَّذِي قَالَ لكن في كلامٍ آخر، أمَّا في هَذَا الكلام فلا تحتملُ المعنى الَّذِي رامه.

٢٠٣٢- فَيَكُـونُ دَبُّـوسَ الشِّـقَاقِ وعُـدَّةً لِلـدَّفْعِ فِعْـلَ الْـجَاهِلِ الفَتَّـانِ

قَوْلُهُ: «الدَّبُّوس» معروفٌ وَهُوَ ما يُنْقَرُ به مثل المسمار أو شبهه.

قَوْلُهُ: «فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشِّقَاقِ» يعني: هُوَ الَّذِي يضربُ الْمُجْتَمِع حتىَّ يُشقِّقَه.

وفي نسخة ثانية: «دبوس السِّلاق» يعني: العظام؛ لأنها إذا دُقَّت بالدبوس تفرَّقت؛ فيكون هَذَا القولُ الَّذِي أراد أن يُمَزِّقَ الأدلةَ به مثلَ دبوس السِّلاق أو الشقاق.

٢٠٣٣- فَيَقُولُ: هَـذَا مُجْمَـلٌ وَاللَّفْـظُ مُحْـتَمِلٌ، وَذَا مِـنْ أَعْظَـمِ البُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْتَمِلٌ» قَالَ ابنُ القيم: «وذا من أعظم البهتان»؛ لأنه بسياقه ليس مُجْمَلًا ولا محتملًا.

٢٠٣٤- وَبِذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْـمٍ فِي الـوَرَى وَالفَهْـمُ مِـنْ خَـبَرٍ وَمِـنْ قُـرْآنِ

يعني: بهذا الطريق الَّذِي سلكها هَذَا المبتدع يفسدُ كُلُّ لفظٍ في الورى؛ لأنَّ كُلَّ لفظٍ إذا أردنا أن نُمزِّقَه ونمزِّق كلماتِه كلمةً كلمةً، ونقولُ: هَذِهِ الكلمةُ تحتملُ كَذَا وكذا، تبقى كُلُّ الألفاظ لا يمكنُ أن يُسْتَدَلَّ بها لشيء؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ يستطيعُ أن يُجَزِّئَ الكلامَ، ويقولُ: هَذِهِ الكلمةُ تحتملُ كذا.

فنقول: نعم، هي تحتملُه في غير هَذَا السِّياق، أمَّا في هَذَا السِّياق فإنه جملةٌ واحدةٌ لا يمكنُ أن يُفَكَّكَ، ولو أننا سلكنا ما تذهبُ إليه لكان كُلُّ إنسانٍ يتكلَّمُ يفسدُ كلامُه، حتىَّ لو قَالَ الرجلُ لزوجته: (أنت طالقٌ)، لقلنا: فُكَّ تركيب الكلام: (أنتِ) مبتدأ، والخبر ليس (طالق)؛ بل مثلًا: (أنت جميلةٌ)، وأمَّا (طالق) فيحتملُ: طالقًا مِن قَيد، طالقًا من نكاحٍ، طالقًا من الغمِّ، هل يكونُ لهذه الجملة

(أنتِ طالقٌ) فائدة الآن؟ الجواب: لا يكونُ، فلو أردنا أن نُجَزِّئ كلامَ الناس جزءًا جزءًا لفسد الكلامُ كُلُّه، وفسد الفهمُ، ولم يبقَ للناس فهمٌ صادقٌ.

٢٠٣٥- إِذْ أَكْثَرُ الأَلْفَاظِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْـ إِفْـرَادِ قَبْـلَ الْعَقْـدِ وَالتِّبْيَـانِ

أكثرُ الأفرادِ تقبلُ ذاك، أي: تقبلُ التعددَ والاحتمالَ.

قَوْلُهُ: «قَبْلَ الْعَقْدِ» يعني: قبل أن يُعْقَدَ بينها وَيُبَيَّن، كُلُّ الكلماتِ غالبُها يحتملُ معنيَيْن لكن السِّياقُ يُعَيِّن.

٢٠٣٦- لَكِـنْ إِذَا مَـا رُكِّبَـتْ زَالَ الَّـذِي قَدْ كَانَ مُحْتَمِلًا لَـدَى الوَحْدَانِـي

إذا رُكِّبت الكلماتُ بعضُها مع بعض، فإنَّ الاحتمالَ الَّذِي يكونُ فيما لو أُفرِدَت يزولُ ولا يبقى.

٢٠٣٧- فَـإِذَا تَجَـرَّدَ كَـانَ مُحْـتَمِلًا لِغَيْـ ـرِ مُـرَادِهِ أَوْ فِي كَـلَامٍ ثَانِـي

قَوْلُهُ: «إِذَا تَجَرَّدَ» يعني: فُصِلَ بعضُه عن بعض، كان محتملًا لغير المراد، أو محتملًا لكلامٍ ثانٍ مُعَيَّن.

٢٠٣٨- لَكِـنَّ ذَا التَّجْرِيـدَ مُـمْتَنِعٌ فَـإِنْ يُفْرَضْ يَكُنْ لَا شَـكَّ فِي الأَذْهَـانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدَ مُمْتَنِعٌ» «التجريد» يعني: أَنَّ تجريدَ الكلماتِ بعضها من بعض ممتنعٌ، كُلُّ كلامِ العرب تجده لا بُدَّ أن يكونَ مركَّبًا حقيقةً أو حُكمًا، يعني: لا تجدُ أبدًا في كلام العرب كلمةَ (زيد) فقط، لا تجدُ فيه أبدًا (قام) فقط، لا بُدَّ في كلام العرب من أن يكون مركَّبًا، ولهذا فإن علماءُ النحو يقولون: الكلامُ هُوَ اللفظ المركَّب، وليس في كلام العرب شيءٌ غيرُ مركَّبٍ، بل إذا وُجِدَ غير مركَّب قيل: هَذَا ليس بكلامٍ ولا عبرةَ به.

قَوْلُهُ: «**فَإِنْ يُفْرَضْ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الأَذْهَانِ**» يعني: إن فُرِضَ كلامٌ مفردٌ فهو فرضٌ ذهنيٌّ.

قَوْلُهُ: «**فَإِنْ يُفْرَضْ**» يعني: يُفْرَضُ التجريدُ يكن -لا شكَّ- في الأذهان.

وَقَوْلُهُ: «**لَا شَكَّ**» جملة معترضة.

يعني: إن فُرِضَ تجريدُ الكلام بعضه من بعض فهذا في الأذهان، يعني: أنَّ الذهنَ يُقَدِّرُ أنَّ الكلامَ متمزِّقٌ متفرِّقٌ، لكن في الواقع لا يمكنُ.

٢٠٣٩- وَالـمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيبٍ كَمِثْـ ـلِ الصَّوْتِ تَنْعِقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ

وهذا صحيحٌ، فالمفرداتُ بغير تركيب مثل الصوت لِلَّذِي يَنْعِق بالضأن، فالضأن تفهمُ صوتَه وتأتي، أو حسب تعليمه لها، هل هَذِهِ كلماتٌ مفيدة؟ الجواب: أبدًا، فهي تفيدُ الضأنَ، لكن لا تفيدُ الإنسانَ.

فإذا قدَّرنا كلمةً موجودةً بلا تركيبٍ فهي كصوت الناعق بالبهيمة، لا فائدةَ منها، وليست واردةً.

٢٠٤٠- وَهُنَالِكَ الإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتْـ ـتَجْهِيلُ والتَّحْرِيفُ بِالبُطْلَانِ

يعني: أننا لو فرضنا إفرادَ الكلماتِ بعضها من بعض وتمزيق الكلام حينئذٍ يأتي التشكيكُ.

٢٠٤١- فَإِذَا هُمُ فَعَلُوهُ رَامُوا نَقْلَهُ لِـمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «**فَإِذَا هُمُ**» الضميرُ يعودُ عَلَى أهل التعطيل، يعني: إذا فعلوا ذلك وجَرَّدوا الكلماتِ من معناها عند تمزيقها وتفريدها نقلوا ذلك إِلَى المركَّب؛ ولهذا

قال: (نقلوه لمركبٍ قد حف بالتبيان)، فجعلوا المعنى الَّذِي يُحتملُ عند الإفراد هُوَ المعنى الَّذِي يُحتمل عند التركيب، فضلَّلوا الناسَ بِهَذِهِ الطريقة.

٢٠٤٢- وَقَضَوْا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الوَحْدَانِي

٢٠٤٣- جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيسًا وتَلْـ ـبِيسًا وَتَرْوِيجًا عَلَى العُمْيَانِ

قَوْلُهُ: «جَهْلًا» أي: منهم.

قَوْلُهُ: «وَتَجْهِيلًا» أي: لغيرهم، وتدليسًا وتلبيسًا وترويجًا عَلَى العميان؛ لأنهم إذا جاؤوا بِهَذِهِ الطريق لَبَّسوا عَلَى الأعمى، يقولُ مثلًا: أليس العرشُ اسمًا لعرش المَلِك؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش الكروم والعنب؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش بلقيس؟ سنقول: بلى، اسمًا للسَّقف عَلَى الأعمدة؟ سنقولُ: بلى، إِذَنْ ما المرادُ بـ(العرش) الَّذِي اسْتَوَى عليه الله؟ ماذا نقولُ له؟

نقول: الاحتمالاتُ التي ذكرناها إنما هُوَ في (العرش) عند الإفراد، أمَّا إذا جَاءَ في سياق مركَّبٍ فإنَّ هَذَا السِّياقَ يُعَيِّنُ المرادَ، فقولُه تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] (العرشُ) هنا لا يحتملُ هَذِهِ المعانيَ التي ذُكِرَتْ، إنَّما يدلُّ عَلَى عرشٍ خاصٍ بالله عزَّ وجلَّ فقط، لا عرش بلقيس، ولا عرش الكروم، ولا سقف البيت، بل هُوَ عرشُ الله عزَّ وجلَّ والذي عيَّنه هُوَ السِّياقُ، لكن هم يأتون للعامة وأشباهِهم فيقولُون: (العرشُ) له عدَّةُ معانٍ فأيَّ معنًى تريدُ؟ نقولُ: هَذَا الاحتمالُ إنما هُوَ عند الإفراد، أمَّا عند الضمِّ، فإنَّ الكلماتِ إذا ضُمَّ بعضُها مع بعض تَعَيَّنَ المرادُ بالسِّياق.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ شُبَهِ غَلَطِهِمْ فِي تَجْرِيدِ الأَلْفَاظِ بِغَلَطِ الفَلَاسِفَةِ فِي تَجْرِيدِ المَعَانِي

٢٠٤٤- هَـذَا هَـدَاكَ اللهُ مِـنْ إِضْلَالِـهِمْ ... وَضَلَالِـهِمْ فِي مَنْطِـقِ الإِنْسَـانِ

٢٠٤٥- كَمُجَرَّدَاتٍ فِي الـخَيَالِ وَقَـدْ بَنَـى ... قَـوْمٌ عَلَيْهَـا أَوْهَـنَ البُنْيَـانِ

٢٠٤٦- ظَنُّـوا بِـأَنَّ لَـهَا وُجُـودًا خَارِجًـا ... وَوُجُودُهـا لَـوْ صَـحَّ فِي الأَذْهَـانِ

٢٠٤٧- أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَـاتٌ حُصِّـلَتْ ... فِي صُـورَةٍ جُزْئِيَّـةٍ بِعِيَـانِ؟!

٢٠٤٨- لَكِنَّهَـا كُلِّيَّـةٌ إِنْ طَابَقَـتْ ... أَفْرَادَهَـا كَـاللَّفْظِ فِي الـمِيزَانِ

٢٠٤٩- يَدْعُونَـهُ الكُلِّـيَّ وهْـوَ مُعَـيَّنٌ ... فَـرْدٌ كَـذَا الـمَعْنَى هُمَـا سِيَّانِ

٢٠٥٠- مُتَجَـرِّدًا فِي الـذِّهْنِ أَوْ فِي خَـارِجٍ ... عَـنْ كُـلِّ قَيْـدٍ لَـيْسَ فِي الإِمْكَـانِ

٢٠٥١- لَا الـذِّهْنُ يَعْقِلُـهُ وَلَا هُـوَ خَـارِجٌ ... هُـوَ كَالـخَيَالِ لِطَيْفِـهِ سُـكْرَانِ

٢٠٥٢- لَكِـنْ تَجَرُّدُهَـا الـمُقَيَّدُ ثَابِـتٌ ... وَسِـوَاهُ مُـمْتَنِعٌ بِـلَا إِمْكَـانِ

٢٠٥٣- فَتَجَرُّدُ الأَعْيَانِ عَنْ وَصْـفٍ وَعَـنْ ... وَضْعٍ وَعَـنْ وَقْـتٍ لَـهَا وَمَكَـانِ

٢٠٥٤- فَرْضٌ مِنَ الأَذْهَـانِ يَفْرِضُـهُ كَفَـرْ ... ضِ الـمُسْتَحِيلِ هُمَا لَـهَا فَرْضَـانِ

٢٠٥٥- اللهُ أَكْـبَرُ كَـمْ دَهَـى مِـنْ فَاضِـلٍ ... هَـذَا التَّجَـرُّدُ مِـنْ قَـدِيمِ زَمَـانِ!

٢٠٥٦- تَجْرِيدُ ذِي الأَلْفَـاظِ عَـنْ تَرْكِيبِهَـا ... وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ الـمَعَانِـي الثَّانِـي

٢٠٥٧- وَالحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذِّهْنِ مَفْـ ... ـرُوضٌ فَلَا تَحْكُمْ عَلَيْهِ فِي الأَذْهَانِ

٢٠٥٨- فَيَقُودَكَ الخَصْمُ المُعَانِدُ بالَّذِي ... سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الأَعْيَانِ

٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا ... أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتِّبْيَانِ

الشرحُ

يقولُ المؤلفُ في هَذَا الفصل: إِنَّ هؤلاء الذين جرَّدوا الألفاظَ عن معانيها، ولم يُعَيِّنوا المعنى بالسِّياق يُشْبِهونَ مَنْ جَرَّدُوا الأعيانَ عن أوصافها وهم الفلاسفة؛ لأنَّ الفلاسفةَ -كما هُوَ معلومٌ- قالوا: إِنَّ اللهَ تعالى لا يُوصَفُ بصفاتٍ ثبوتيَّة ولا صفاتٍ سلبيَّة، يعني: لا تصفه بوجودٍ ولا عدم، وعِلَّةُ ذلك عندهم أنك لو وصفتَه بالإثبات شبَّهته بالموجودات، ولو وصفتَه بالنفي شبَّهته بالمعدومات، إِذَنْ فلا تصفه بنفيٍ ولا إثبات.

فقيل لهم: لا يمكنُ أن تُوجَدَ عينٌ لا تُوصَفُ بإثبات ولا نفي إِلَّا ما يتخيَّلُه الذهنُ فرضًا أمَّا في الخارج، يعني: بأن تُوجدَ عَيْنٌ مستقلَّةٌ مُجَسَّدةٌ، فإنه لا يمكنُ أن تُوجدَ عينٌ إِلَّا موصوفة إِمَّا بنفيٍ وإِمَّا بإثبات.

والفروضُ الذهنيَّةُ لا تدلُّ عَلَى حقيقة المفروض، فالإنسان قد يفرض الجمعَ بين الضدِّين، ولكن هل الجمعُ بين الضدِّين ممكنٌ؟ الجواب: لا.

يقول المؤلفُ -رحمه الله-: إِنَّ غلطَ هؤلاء في تجريد الكلمات عن المعنى كغلط هؤلاء في تجريد الأعيان عن الأَوْصَاف.

يقول -رحمه الله-:

٢٠٤٤- هَذَا هَدَاكَ اللهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ ... وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الإِنْسَانِ» أي: في النطق؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ الإنسانَ إذا تكلَّم فإنما يعني ما يتكلَّمُ به بحسب السِّياق، ولا يعني غيرَه، ويكون السِّياقُ معيِّنًا للمعنى المراد من المتكلِّم.

وَقَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الإِنْسَانِ»، وفي نسخة «في المَنطِق اليُوناني» فيشير إِلَى مذهب الفلاسفة الذين قالوا بتجريد الأعيان عن أوصافها، هؤلاء جرَّدوا الكلماتِ عن معانيها، وأولئك جرَّدوا الأعيانَ عن أوصافها.

٢٠٤٥- كَمُجَرَّدَاتٍ فِي الخَيَالِ وَقَدْ بَنَى ... قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْهَنَ البُنْيَانِ

يُشيرُ إِلَى الفلاسفة الذين أنكروا أن يكونَ اللهُ موصوفًا بالإثبات أو موصوفًا بالنفي.

٢٠٤٦- ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا ... وَوُجُودُهَا لَوْ صَحَّ فِي الأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «ظَنُّوا» أي: هؤلاء القوم.

قَوْلُهُ: «بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا» يعني: ظنُّوا أنه تُوجَدُ ذاتٌ لا تُوصَفُ بإثباتٍ ولا نفي.

فيقول ابنُ القيِّم: «وَوُجُودُها لَوْ صَحَّ» في أيِّ شيءٍ؟

الجواب: في الأذهان، يعني: أنَّ الذهنَ هُوَ الَّذِي يفرضُ ذاتًا ليس لها صفاتٌ، أمَّا في الخارج فإنه لا يمكنُ أن تُوجَدَ ذاتٌ بلا صفات، لو لم يكن من صفاتها إِلَّا الوجود لكان كافيًا، مثلًا أمامنا عصا قائمة، هل يمكنُ أن نقولَ: هَذِهِ العصا ليست موجودةً ولا معدومةً؟ الجواب: لا يمكنُ، لكنَّ الذهنَ قد يفرضُ أشياءَ مستحيلةً.

٢٠٤٧- أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ في صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بِعِيَانِ؟!

يعني: كَيْفَ يمكنُ أن ننفيَ وجودَ صفةٍ في الأعيان أو وجودَ معنى في الكلمات وهي قد شُخِّصت في صورةٍ جزئيَّة، والمُشَخَّص في صورة جزئيَّة لا بُدَّ أن تكونَ له صفةٌ، المُشَخَّص في سياق مُعَيَّن لا بُدَّ أن يكونَ له معنى لا يحتملُ غيرَه، فهذا مثلُ هذا.

٢٠٤٨- لَكِنَّهَا كُلِّيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي المِيزَانِ

المعاني كُلِّيَّةٌ إذا طابقت أفرادَها، لكن الفرد منها المعيَّن هَذَا جزئِيٌّ لا بُدَّ أن يكونَ موصوفًا بصفة، مثال ذلك: كلمة **(الإنسان)** نحن نعلمُ أنَّ جميعَ البشر يشتركون في معنى كُلِّيٍّ وَهُوَ الإنسانيَّة، هل الإنسانيَّةُ شيءٌ مُشَخَّصٌ يُرَى ويُشَاهدُ؟ الجواب: لا، لكنَّه معنى كُلِّيٌّ عام تتساوى فيه الأفرادُ.

(الحيوان) مثلًا: اسم لكُلِّ ذِي روح من الإنسان وغير الإنسان، فهل الحيوانيَّة هَذَا المعنى الكُلِّيُّ، هل هُوَ شيءٌ مُشَخَّص يُرَى بالعين؟

الجواب: لا، لكن أفراده مُشَخَّصة تُرَى بالعين، كذلك المعاني الكُلِّيَّة، الَّذِي قالوا مثلًا: **(العرش)** له معنى كَذَا وكذا وكذا، نقول: هَذَا معنى كُلِّيٌّ، ولا يتعيَّنُ المعنى إِلَّا بالسِّياق.

٢٠٤٩- يَدْعُونَهُ الكُلِّيَّ وهُوَ مُعَيَّنٌ فَرْدٌ كَذَا المَعْنَى هُمَا سِيَّانِ

يعني: أَنَّ المعانيَ الكُلِّيَّةَ كُلِّيَّةٌ في الأذهان لا في الخارج، فعندما تكونُ في الخارج تكونُ معيَّنةً مُشَخَّصَةً فرديةً، كذلك يكونُ اللفظُ له معنى كُلِّيٌّ عام لكن عندما تضعُه في مكانه يكونُ له معنى خاص يعيِّنه السِّياقُ.

٢٠٥٠- مُتَجَــرِّدًا فِي الــذِّهْنِ أَوْ فِي خَــارِجٍ عَــنْ كُــلِّ قَيْــدٍ لَـيْسَ فِي الإِمْكَــانِ

يعني: أنه مستحيلٌ، فمستحيلٌ أن تُجَرِّدَ اللفظَ عن المعنى في حال السِّياق، مستحيلٌ أن تجرِّدَ الأعيانَ عن المعنى الكُلِّيِّ إذا كانت في الخارج.

فخلاصةُ كلام المؤلف: أنَّ هؤلاء غلطوا في اللفظ كما غلط الفلاسفةُ في الأعيان، فجعلوا اللفظَ لا معنى له، وجعلوه محتملًا لكُلِّ معنى وإنْ قُيِّد بالسِّياق كما أنَّ هؤلاء جعلوا المعنى الكُلِّيَّ ثابتًا في كل جزء وفي كل فرد، فقالوا: يمكنُ أن يكونَ الخالقُ غيرَ موصوفٍ لا بإثبات ولا بنفي، فنقول: هَذَا شيءٌ غيرُ ممكنٌ.

٢٠٥١- لَا الــذِّهْنُ يَعْقِلُــهُ وَلَا هُــوَ خَــارِجٌ هُــوَ كَالــخَيَالِ لِطَيْفِهِ سُــكْرَانِ

قَوْلُهُ: «لِطَيْفِهِ» بالهاء، وهي ليست بواضحةٍ تمامًا، ومِمَّا لا شكَّ أنَّ الطَّيْفَ هُوَ ما يمرُّ بخيال الإنسان وَهُوَ لا حقيقةَ له، قد تمرُّ بتفكير الإنسان أشياءُ ليست بحقيقة، فهؤلاء الذين فرضوا كلماتٍ ليس لها معنى، أو لها معانٍ متعددة لا تتعيَّن كالذين فرضوا أعيانًا ليس لها صفاتٌ، وهذا إنما يقدِّرُه الذهنُ، ولا حقيقةَ له في الخارج.

٢٠٥٢- لَكِــنْ تَجَرُّدُهَــا الــمُقَيَّدُ ثَابِــتٌ وَسِــوَاهُ مُــمْتَنِعٌ بِــلَا إِمْكَــانِ

قَوْلُهُ: «تَجَرُّدُهَا المُقَيَّدُ» بماذا؟ الجواب: بالمعنى بالنسبة للكلام، وبالصفة بالنسبة للأعيان، فتجرُّدُهَا المقيَّدُ ثابتٌ.

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ» يعني: سوى التجرُّد المقيَّد ممتنعٌ، لا يوجدُ أبدًا إلَّا في الذهن كما مَرَّ.

٢٠٥٣- فَتَجَرُّدُ الأَعْيَانِ عَنْ وَصْــفٍ وَعَــنْ وَضْعٍ وَعَــنْ وَقْــتٍ لَــهَا وَمَكَــانِ

٢٠٥٤- فَرْضٌ مِنَ الأَذْهَانِ يَفْرِضُهُ كَفَرْ ... ضِ الـمُسْتَحِيلِ هُمَا لَـهَا فَرْضَانِ

وهذا صحيحٌ، يعني: أن تُوجَدَ عينٌ مجرَّدةٌ عن الوصف، مجرَّدةٌ عن الوضع، لا يشغلُها مكانٌ ولا زمانٌ، هَذَا شيءٌ مفروضٌ فرضًا، إذ ما من عينٍ إلَّا ولها وصفٌ، ما من عينٍ إلَّا وهي مشغولةٌ بزمانٍ أو مكانٍ، وأمَّا ما يفرضه الذهنُ أنه تُوجَدُ عينٌ لا وصفَ لها ولا مكان ولا زمان فهذا لا حقيقةَ له.

٢٠٥٥- اللهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ ... هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ!

صحيحٌ، وَهُوَ أنهم يحكمون بالمفروضات الذهنية عَلَى الموجودات العينيَّة، ويقولون: إنَّ الإنسانَ يمكنُ أن يتصوَّرَ ذاتًا ليس لها صفاتٌ، وأن يتصوَّرَ كلمةً ليس لها معنًى محدَّدٌ، وكُلُّ هَذِهِ من الفروض التي -كما قَالَ المؤلف- أصابت الفضلاءَ بالدَّواهي.

٢٠٥٦- تَجْرِيدُ ذِي الأَلْفَاظِ عَنْ تَرْكِيبِهَا ... وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ الـمَعَانِي الثَّانِي

قَوْلُهُ: «**تَجْرِيدُ ذِي الأَلفاظِ عَنْ تَرْكِيبِهَا**» يعني: أنَّ تجريدَ الكلمات عن تركيبها، مستحيلٌ، فلا تُوجَدُ كلمةٌ مُجَرَّدةٌ عن تركيب إلَّا فيمن يَنْعِقُ للحيوان والشَّاءِ والبعران.

قَوْلُهُ: «**وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ المَعَانِي الثَّانِي**» كذلك لا تُوجَدُ عينٌ مجرَّدةٌ من المعاني.

إِذَنْ لا بُدَّ لكُلِّ عينٍ من معنى ووصفٍ، ووجودُ عينٍ بلا معنى ولا وصفٍ مستحيلٌ.

٢٠٥٧- وَالـحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الـذِّهْنِ مَفْـ ... ـرُوضٌ فَلَا تَحْكُمْ عَلَيْهِ فِي الأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «**الـحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذِّهْنِ**» الإشارةُ إِلَى الألفاظ المجرَّدة عن

التركيب، وإلى الأعيان المجرَّدة عن الأَوْصَاف، كلاهما في الذهن مفروضٌ فلا تحكم عليه في الأذهان.

قَوْلُهُ: «**فِي الأَذْهَانِ**» يجبُ أن تكونَ متعلِّقةً بقوله: (**مفروض**)، لا بقوله: (**تحكم**) يعني: الحقُّ أنَّ كليهما في الذِّهنِ مفروضٌ في الأذهان.

وفي نسخة: «**فلا تحكم عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الأذهان**» وهي في المعنى أوضح، لا شكَّ، لكن يَنْكَسِرُ البيتُ، وفي الثاني يكون فيها تكرار؛ لأننا نقول: (**الحق أن كليهما فِي الذهن مفروضٌ فِي الأذهان**) فيه تكرار، إلَّا أن يُقال: إنه يريدُ بذلك التوكيدَ.

على كُلِّ حالٍ المعنى: أنَّ تجريدَ الكلمات من التركيب مستحيلٌ، وتجريدَ الأعيان من الصِّفَات مستحيلٌ، وأنَّ دعوى تجريدِ الكلمات كدعوى تجريدِ الأعيان من الأَوْصَاف.

٢٠٥٨- فَيَقُودَكَ الخَصْمُ المُعَانِدُ بالَّذِي ... سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «**فلا تحكم عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الأذهان فيقودك الخصم المعاند...**» يعني: أنَّ المخَاصِمَ كالفلاسفة مثلًا يقولُ لهؤلاء: كما أنتم تصوَّرتم وجودَ كلماتٍ مجرَّدة عن التركيب فلتتصوَّروا أعيانًا مجرَّدةً عن الأَوْصَاف؛ ولهذا يقول:

٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا ... أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتِّبْيَانِ

ولهذا ما أكثرَ الغلط في الإطلاقات، وما أكثرَ الغلط في الإجمالات، ودائمًا يكونُ التفصيلُ هُوَ الَّذِي يُبَيِّن الحقَّ، ويأتي بالتحصيل؛ ولهذا يُقَالُ: (**بالتفصيل التحصيلُ**).

* * *

فصل

فِي بَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ وعجزِهِمْ عَنِ الفرْقِ بيْنَ مَا يجِبُ تَأْوِيلُه ومَا لا يَجِبُ

٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الـمَنْقُولِ عَنْ ... أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَسُّكِ العُمْيَانِ

٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النْـ ... ـنَصَّيْنِ، وَاعَجَبًا مِنَ الـخُذْلَانِ!

٢٠٦٢- قَوْلُ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ ... إِذْ قَصْدُهُمْ لِلشَّرْحِ وَالتِّبْيَانِ

٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِم كَانَ إِبْـ ... ـطَالًا لِـمَا رَامُوا بِلَا بُرْهَانِ

٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ ... وَعَلَى الْـحَقِيقَةِ حَمْلُهَا لِبَيَانِ

٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرَوْا نُصُوصَ الوَحْيِ ذَا الـ ... ـمَجْرَى مِنَ الآثَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ ... لَفْظِيَّةٌ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ

٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْـحَقِّ الَّذِي ... يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى البُرْهَانِ

٢٠٦٨- وسَطَوْا عَلَى الوَحْيَيْنِ بِالتَّحْرِيفِ إِذْ ... سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعٍ ثَانِي

٢٠٦٩- فَانْظُرْ إِلَى الأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسُفٍ ... وَالْكَهْفِ وَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانٍ فَهِمْـ ... ـتَ القَصْدَ فَهْمَ مُوَفَّقٍ رَبَّانِي

٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْـ ... ـيِينُ الْـحَقِيقَةِ لَا الـمَجَازِ الثَّانِي

٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النُّفَاةِ مُخَالِفًا ... لِـجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنْشَوْا لَهُ مَعْنًى بِذَا ... كَ الإِصْطِلَاحِ وَذَاكَ أَمْرٌ دَانِي

٢٠٧٤- وَأَتَوْا إِلَى الإِلْحَادِ فِي الأَسْمَاءِ وَالتْـ ... ـتَحْرِيفِ لِلأَلْفَاظِ بِالبُهْتَانِ

٢٠٧٥- فَكَسَوْهُ هَذَا اللَّفْظَ تَلْبِيسًا وَتَدْ ... لِيسًا عَلَى العُمْيَانِ وَالعُورَانِ

٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُكَذِّبٍ ... مِنْ بَاطِنِيٍّ قِرْمِطِيٍّ جَانِي

٢٠٧٧- فِي ذَا بِسُنَّتِهِم وَسَمَّى جَحْدَهُ ... لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ

٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلٍ كَتَأْوِيلَاتِهِمْ ... شِبْرًا بِشِبْرٍ صَارِخًا بِأَذَانِ

٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوَّلْتُمُ ... فَأْتُوا نُحَاكِمْكُمْ إِلَى الوَزَّانِ

٢٠٨٠- فِي الكِفَّتَيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا ... وَكَذَاكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ

٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمُ أَنَّا بِأَيْـ ... ـدِينَا صَرِيحُ العَدْلِ وَالمِيزَانِ

٢٠٨٢- وَغَدَوْتُمُ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا ... أَوَلَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ اليُونَانِ؟

٢٠٨٣- مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ شُيُوخُكُمْ ... لَا تَجْحَدُونَا مِنَّةَ الإِحْسَانِ

٢٠٨٤- فَسَلُوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفَهُّمٍ ... وَسَلُوا القَوَاعِدَ رَبَّةَ الأَرْكَانِ

٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ ... وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أُولِي النُّكْرَانِ

٢٠٨٦- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْـ ... ـتُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

٢٠٨٧- أَنَّ النُّصُوصَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ ... لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيقَانِ؟!

٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكَّمْنَا العُقُولَ وَأَنْتُمُ ... أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

٢٠٨٩- فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا ... حَرْبَ الحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالأَخَوَانِ

٢٠٩٠- الأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الوَحْيِ مَعْـ ... ـزُولٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمُ صِنْوَانِ

٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمُ ... أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فَإِنَّ وَرَاءَنَا ... ذَاكَ العَدُوَّ الثِّقْلَ ذَا الأَضْغَانِ

٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمُ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا ... فَجَمِيعُنَا فِي حَرْبِهِمْ سِيَّانِ

٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الأُلَى قَالُوا بِأَنْ ... نَ اللهَ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ

٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا ... وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الإِيمَانِ

٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً ... وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مُصْعَدَ الأَبْدَانِ

٢٠٩٧- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْ ... قَ العَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ

٢٠٩٨- وَكَذَاكَ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَا هُنَا جِهَتَانِ:

٢٠٩٩- لِلْإِبْتِدَاءِ وَالِانْتِهَاءِ وَذَانِ لِلْـ ... أَجْسَامِ أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَانِ؟!

٢١٠٠- وَكَذَاكَ قَالُوا: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ ... قَامَ الكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِي

٢١٠١- أَيَكُونُ ذاكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا ... صَوْتٍ؟! فَهَذَا لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

٢١٠٢- وَكَذَاكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمُ ... مِنْ قَبْلُ قَوْلَ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ

٢١٠٣- فَذَرُوا الحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُلُّنَا ... جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ الفُرْسَانِ

٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمُ بِأَجْمَعِنَا إِلَى ... وَسَطِ العَرِينِ مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ

الشَّرحُ

يريدُ المؤلفُ -رحمه الله- في هَذَا الفصل بيانَ تناقضِ هؤلاء الذين يُنكرون صفاتِ الله، ويثبتون بعضًا منها وينكرون بعضًا، وكذلك تناقضِ مَنْ يثبتون الأسماءَ دون الصِّفَات، فهم أيضًا متناقضون بلا شكٍّ، فيقول المؤلفُ -رحمه الله-:

٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ المَنْقُولِ عَنْ أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَسُّكِ العُمْيَانِ

المنقولُ عن أشياخِهم يتمسَّكون به تمسُّكًا قويًّا جدًّا كتمسُّك الأعمى الَّذِي لا يُبْصِرُ، والأعمى الَّذِي لا يُبْصِرُ يتمسَّكُ بالشيء وإن كان لا يراه ولا يعرفُه، أمَّا ظواهرُ النصوص فلم يتمسَّكوا بها؛ ولهذا قال:

٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّـ ـصَّيْنِ، وَاعَجَبَا مِنَ الخُذْلَانِ!

والله هَذَا الخذلان، أنَّ أقوالَ شيوخِهم يتمسَّكون بظواهِرها، ولا يخرجونها عن ظاهرها، ويَرَوْنَ أنها دالَّةٌ دلالةً يقينيَّة عَلَى المراد بها، وأمَّا الْقُرْآنُ والسُّنَّةُ وهما النصَّان فإنهم لا يتمسَّكون بالظواهر، ويحُرِّفونها.

٢٠٦٢- قَوْلُ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ إِذْ قَصْدُهُمْ لِلشَّرْحِ وَالتِّبْيَانِ

سبحان الله! يقول: إنَّ قولَ الشيوخ عندهم محرَّمٌ تأويلُه؛ لأنهم يأتون بالكلام يريدون به البيانَ، وإذا أتى الإنسانُ بالكلام وَهُوَ يريدُ خلافَ ظاهرِه كان ذلك خلافَ البيان، فشيوخُنا يريدون البيانَ، فإذا كانوا يريدون البيانَ فالواجبُ أن نحملَ كلامَهم عَلَى ظاهرِه؛ لأنَّ مَنْ أراد البيانَ لا يمكنُ أن يريدَ خلافَ الظاهر.

والْقُرْآنُ والسُّنَّةُ عندهم يُراد بهما خلاف الظاهر، إِذَنْ فهي ليست بيانًا، البيانُ قولُ شيوخِهم، والكتابُ والسُّنَّة ليسا ببيان.

٢٠٦٣- فَـإِذَا تَأَوَّلْنَـا عَلَـيْهِم كَـانَ إِبْــ ـــطَالًا لِـمَا رَامُـوا بِـلَا بُرْهَـانِ

يقولون: لو تأوَّلنا كلامَ الشيوخ كان إبطالًا لما قصدوا بلا بُرْهَان، أمَّا الكتابُ والسُّنَّةُ فواجبٌ أن نؤوِّلَها بلا بُرْهَان أيضًا.

٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَـا تَـمُرُّ نُصُوصُـهُمْ وَعَـلَى الْـحَقِيقَةِ حَمْلُهَـا لِبَيَـانِ

يقولون: إنَّ الواجبَ في كلامِ شيوخِنا إمرارُها عَلَى ظاهِرِها، ولا نتعرَّضُ لها بتأويل، وعلى الحقيقة نحملُها.

٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرَوْا نُصُوصَ الوَحْيِ ذَا الْـمَجْرَى مِـنَ الآثَـارِ وَالْقُـرْآنِ

يقول: ليتهم أَجْرَوْا نصوصَ الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ هَذَا الْمُجْرَى وأَجْرَوْهَا عَلَى ظاهِرِها.

السَّلف كانوا يُجْرون نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ عَلَى ظاهِرِها، ومن عباراتهم الشهيرةِ العميمةِ قولُـهم: (**أَمِرُّوها كَمَا جاءَتْ بِلَا كَيْفٍ**).

٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّــةٌ عُزِلَــتْ عَــنِ الإِيقَــانِ

قَوْلُهُ: «**تِلْكَ**» المشارُ إليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «**تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ**» يعني: لا تدلُّ عَلَى اليقينِ بوجهٍ من الوجوه، بل دلالتُها لفظيَّةٌ قابلةٌ للتأويل.

٢٠٦٧- لَـمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْـحَقِّ الَّذِي يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَـى البُرْهَـانِ

وهذا كلامُهم، ولا يبعدُ أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- طبع عَلَى قلوبِهم؛ لأنهم لم يريدوا الحقَّ، وقد قَالَ الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]

فالإنسانُ الَّذِي لا يريدُ الحقَّ لا يمكنُ أن يهتديَ بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وكيف يصطلي بالنار مَنْ يرى أنها ليست بنار؟! لا يمكنُ، فلا يمكنُ أن ينتفعَ إنسانٌ بالكتاب والسُّنَّة إِلَّا مَنْ عَلَمَ أنهما حقٌّ، وأنهما يدلاَّن عَلَى ما يَقْتَضِيهِ ظاهرُهما.

٢٠٦٨- وسَطَوْا عَلَى الوَحْيَيْنِ بِالتَّحْرِيفِ إِذْ ... سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعٍ ثَانِي

سبحان الله! سَطَوْا عَلَى الوحيَيْن بالتحريف، والتحريفُ يعني: صرفُ اللفظ عن ظاهرِه إِلَى معنًى يخالفُ الظاهر، ولكنهم سَمَّوْه تأويلًا، لكن بأيِّ وضع؟ هل هُوَ بالوضع اللغويِّ أو بالوضع الشَّرعيِّ؟ قال: «بوضعٍ ثاني» أي: من عندهم.

فالتحريفُ الَّذِي سَمَّوْه تأويلًا هُوَ في الحقيقة تحريفٌ، لكنَّهم لَبَّسوا عَلَى العامة وعلى صغار العلم، وقالوا: إنه تأويلٌ، وَهُوَ في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنَّ التأويلَ في الْقُرْآن والسُّنَّة لا يتعدَّى معنَيين: إِمَّا التفسيرُ، وإِمَّا الحقيقةُ التي يؤول إِلَيْهَا الأمرُ؛ ولهذا قَالَ المؤلفُ:

٢٠٦٩- فَانْظُرْ إِلَى الأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسُفٍ ... وَالْكَهْفِ وَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «**فَانْظُرْ إِلَى الأَعْرَافِ**» قَالَ الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] ما المرادُ بالتأويل هنا؟

الجواب: الحقيقةُ التي أُخْبِرُوا عنها، وليس المرادُ بالتأويل هنا التفسيرَ، وعلى هَذَا فقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ بمعنى ما ينتظرون، فـ(**هل**) استفهام بمعنى النفي، (**وينظرون**) بمعنى ينتظرون، أي: ما ينتظرُ هؤلاء إِلَّا وقوعَ ما أُخْبِرُوا به من البعث والجزاء، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ يعني: عاقبته ومآله، وقولُه

تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:٥٣] أي: تركوا العملَ له ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] هَذَا في سورة الأعراف.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ لِيُوسُفٍ» يعني: ثُمَّ انظر لسورة يوسف، ففيها ذِكْرُ التأويل، وَهُوَ قولُ يوسفَ لأبيه وإخوته ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠] فـ(تأويل) هنا معناه: وقوعُ الرؤية؛ لأنه قالها بعد أن سجدوا له، هُوَ رأى في المنام أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين له، ولما قدم مصرَ أبوه وأمُّه وإخوتُه رفع أبويه عَلَى العرش وخَرُّوا له جميعًا سُجَّدًا فقال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠] يعني: وقوع ما رأيته في المنام.

قَوْلُهُ: «وَالكَهْف» أيضًا، فيها ذِكْرُ التأويل، قَالَ الخَضِرُ لموسى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨] سأنبئك بتأويله يعني: بوقوعه إذا وقع؛ ولهذا قَالَ في آخر القصة ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢] أي: وقوعه، حين رأيتَه بعينِك.

إِذَنْ التأويل في المواضع الثلاثة بمعنى وقوع الشيء ومآل الشيء، وهذا المعنى كثيرٌ في الْقُرْآن، ومنه قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] أي: عاقبة.

٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانٍ فَهِمْـــ ـــتَ القَصْدَ فَهْمَ مُوَفَّقٍ رَبَّانِي

يعني: بعد هَذَا ننظر إِلَى آل عمران، و(آلُ عمران) هي مُعْتَرَكُ الأقوالِ والخلاف، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] أمُّ الكتاب يعني: أصلَه الَّذِي يرجع إليه الكتابُ.

قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] أي: تشتبهُ عَلَى الناس، وليست مُحْكَمَةً، فالمُحكَمةُ أي: الواضحةُ التي يعرفها الكُلُّ.

فقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ ينقسمُ الناسُ في هَذِهِ المتشابهات إِلَى قسمين: زائغ القلب، وراسخ العلم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧] أي: لا يأخذون بالمُحْكَمِ ويحملون المتشابهَ عليه، بل يأتون بالمتشابه من الْقُرْآن من أجل أن يفتنوا الناسَ، فيأتون بالآيات التي ظاهرُها التعارض، ويقولون: انظر هَذَا الْقُرْآنُ متناقضٌ، فيقولون ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، أي: تحريفه عمَّا أراد اللهُ به، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] أي: تأويلَ المتشابه.

ما المراد (بتأويله)؟ الجواب: فيه قولان مبنيَّان عَلَى الوقف في الآية، فمَنْ وقف عَلَى قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهذا وقفُ أكثرِ السَّلفِ، قال: المراد بالتأويل: العاقبة والمآل، يعني: لا يعلمُ مآلَ هَذَا المتشابه وعاقبَته إِلَّا اللهُ.

وأمَّا الراسخون في العلم فلا يعلمون، لكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فنؤمنُ بالمستقبلِ كما نؤمنُ بالحاضر، فكُلُّه من عند الله، وكُلُّه يجبُ الإيمانُ به.

القراءةُ الثانية للسَّلف: الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:٧] وعلى هَذَا الوجه في القراءة يكونُ المرادُ بالتأويل: التفسيرَ، يعني: لا يعلمُ تفسيرَ هَذَا المتشابهِ إِلَّا اللهُ والراسخون في العلم يعلمونه، وهذا أحدُ القولين في المسألة.

قال ابنُ عباس عن نفسه: «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ الَّذينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ»[1]، يعني: تفسيرَه.

---

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (٣/ ١٨٣).

فصار التأويلُ في آية (آل عمران) محتملًا للمآل والعاقبة التي لا يعلمُها إِلَّا اللهُ، وللتفسير الَّذِي يعلمه اللهُ والراسخون في العلم.

ننتقل الآن إِلَى إعراب الآية، يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران:٧] ما هُوَ محلُّ قولِه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ إذا لم نقف؟ الجواب: الواو حرف عطف، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ معطوف عَلَى لفظ الجلالة وجملة: ﴿يَقُولُونَ﴾ تكون حاليَّةً، يعني: وما يعلم تأويلَه إِلا اللهُ والراسخون في العلم يقولون، يعني: حال كونهم قائلين: آمنا به.

وعلى قراءة الوقف تكون (الواوُ) استئنافيةً، **(والراسخون)** مبتدأً، وجملةُ **(يقولون)** خبرًا.

ذكر ابنُ القيِّم -رحمه الله- أنَّ التأويلُ في المواضع الثلاثة: في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، بمعنى العاقبة والمآل.

وأمَّا التأويل في (آل عمران) يقول: امرر عليه ويتبيَّن لك الأمرُ، إن وقفنا عَلَى ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فالتأويلُ فيها كالتأويل في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، وإن وصلنا فالتأويلُ بمعنى التفسير.

٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْـ ... ـيِينُ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «المَجَازِ الثَّانِي» أهل التحريف يقولون: إِنَّ التأويلَ صرفُ اللفظ عن ظاهره إِلَى المعنى المخالف للظاهر، وبه نعرفُ أنَّ أقسامَ التأويل ثلاثة:

الأول: تأويلٌ بمعنى التفسير.

الثاني: تأويلٌ بمعنى الحقيقة والمآل.

الثالث: تأويلٌ بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إِلَى المعنى المخالف للظاهر، هَذَا المعنى هُوَ المجاز الثاني الَّذِي ذكره المؤلف، لكنَّه اصطلاحُ المتأخِّرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[1]: هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ (المجاز) أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عَنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

وما قاله -رحمه الله- صحيحٌ فإنَّ معنى التأويل المشهور عند كثيرٍ من المتأخِّرين معنى حادثٌ لم يكن معروفًا من قبل.

٢٠٧٢- وَرَأَيْـتَ تَأْوِيـلَ النُّفَـاةِ مُخَالِفًـا ... لِـجَمِيعِ هَـذَا لَـيْسَ يَجْتَمِعَـانِ

لأنَّ تأويلَ النفاةِ معناه تحريفُ الحقيقة، فهو صرفُ اللفظ عن ظاهِرِه إِلَى معنى يخالفُ الظاهرَ لدليلٍ، والدَّلِيلُ عندهم هُوَ العقلُ.

٢٠٧٣- اللَّفْـظُ هُـمْ أَنْشَـوْا لَـهُ مَعْنًـى بِـذَا ... كَ الإِصْـطِلَاحِ وَذَاكَ أَمْـرٌ دَانِـي

قَوْلُهُ: «**اللَّفْظُ**» يعني: التأويل، هم الذين أنشأوا معناه بهذا الاصطلاح، وَهُوَ صرفُ اللفظ عن ظاهِرِه إِلَى المعنى المخالف للظاهر، ولكنَّه كما قال: «**أمرٌ داني**» أي: أمرٌ متأخِّرٌ، لا يُعْرَفُ في عهد الصحابة والتابعين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٨٨).

٢٠٧٤- وَأَتَوْا إِلَى الإِلْحَادِ فِي الأَسْمَاءِ وَالتْـ تَحْرِيفِ لِلأَلْفَاظِ بِالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوْا إِلَى الإِلْحَادِ فِي الأَسْمَاءِ» كَيْفَ ألحدوا فيها؟ قالوا: إنها لا تدلُّ عَلَى المعنى، فـ(الرحمنُ) لا يدلُّ عَلَى الرحمة، بل يدلُّ عَلَى الإحسانِ أو إرادة الإحسان، أما عَلَى رحمةٍ يكونُ بها الإحسانُ وإرادةُ الإحسان فلا، وهَكَذَا بقيَّةُ الأسماءِ التي لا يُثبتون منها الصِّفَات، أتوا إِلَيْهَا بالإلحاد.

قَوْلُهُ: «التَّحْرِيف لِلأَلْفَاظِ» يعني: حرَّفوا معناها إِلَى معنى يخالفُ ظاهرَها.

٢٠٧٥- فَكَسَوْهُ هَـذَا اللَّفْظَ تَلْبِيسًا وَتَـدْ لِيسًا عَلَى العُمْيَانِ وَالعُورَانِ

فقَوْلُهُ: «هَذَا اللَّفْظَ» يعني: التأويلَ، سَمَّوْا هَذَا التحريفَ والإلحادَ سَمَّوه تأويلًا وتلبيسًا وتدليسًا عَلَى العميان والعُوران.

الخلاصة أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- يردُّ عَلَى الأشاعرة الذين أنكروا ظواهرَ النصوص، وحرَّفوها إِلَى معنى يخالفُ الظاهرَ، وأحدثوا للتأويل معنًى جديدًا لم يكن معروفًا من قبل، وَهُوَ في الحقيقة عندنا -معشر أهل السُّنَّة- تحريفٌ وليس تأويلًا؛ لأنَّ التأويلَ بهذا المعنى لم يَرِدْ في الكتاب ولا في السُّنَّة ولا في كلام السَّلف.

٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِيٍّ قِرْمِطِيٍّ جَانِي

٢٠٧٧- فِي ذَا بِسُنَّتِهِم وَسَمَّى جَحْدَهُ لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ

٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلٍ كَتَأْوِيلَاتِهِمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ صَارِخًا بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «استَنَّ» بمعنى اتَّبَع، أي: اتَّبع هَذَا الطريقَ -وَهُوَ التحريف- كُلُّ منافقٍ ومكذِّبٍ من باطِنيٍّ قِرمِطيٍّ جَانِي.

الباطِنِيَّةُ تَقَدَّم لَنَا مذهبُهم، وَهُوَ أنهم يقولون: كُلُّ ما جاءت به الرُّسلُ فهو عَلَى الظاهر، أمَّا باطنُ الأمر فليس كذلك، فباطنُ الأمر ليس كما جاءت به الرُّسلُ؛ ولهذا دينُهم بَاطِنِيٌّ، لا يعرفه أحدٌ، يقولون: لا توجد جَنَّةٌ -نسألُ اللهَ العافيةَ- ولا نار، ولا ربٌّ ولا يومٌ آخِر، لا يوجد شيء، حتَّى قَالَ بعضهم: ولا عبادات: لا صلاة، ولا صيام، ولا حج،...إلخ.

نقول لهم: إنَّ الرُّسلَ جاؤوا بهذا، قالوا: الرُّسل جاؤوا يخاطبون العامةَ، ويذكرون هَذِهِ الأشياءَ من أجل أنَّ العامةَ تستقيمُ عَلَى ما جاءت به الرُّسل، والرُّسل أيضًا ليس لهم مُرْسِلٌ، لكنَّهم قومٌ عباقرةٌ أذكياء، رأوا أنَّ الناسَ لا يصلحهم إِلَّا هَذَا الطريقُ فَسَنُّوا هَذِهِ الطريقَ، وأهالوها بهالةٍ من الترغيب والترهيب من أجل أن يستقيمَ الناس.

فالصَبِيُّ إذا أراد أن يذهبَ معك إِلَى السوق، فقلت له: هناك ذئب، فإنه يعدلُ عن الطريق.

وإذا أراد أن ينكُصَ عَلَى عقبيه من طريق، وأنت تُحِبُّ أن يذهبَ معك، فقلت له: هناك إنسانٌ يُوزِّع تفاحًا، فإنه يذهبُ معك.

فهم يقولون: لا توجد جنَّةٌ ولا نارٌ، لكن الرُّسلُ عباقرةٌ أذكياء، قالوا للناس: توجد جنَّةٌ، وتوجد نارٌ، الَّذِي يطيعُنا يدخلُ الجنَّةَ، والذي يعصينا يدخلُ النَّارَ، هَذَا مذهب القرامطةِ والباطِنِيَّة، حتَّى الصلاة لا يُقِرُّون بها، يقولون: هَذِهِ الصلاةُ عبارةٌ عن رياضاتٍ بدنِيَّة يُؤْمَرُ بها العامَّة دون الخاصة، فالحجُّ إِلَى مكةَ يُؤْمَرُ به العوامُ دون الخواصِّ، والصومُ: الإمساكُ عن الأكل والشرب والشهوات يُؤْمَرُ به العوامُ دون الخواصِّ.

لكن ما هُوَ حجُّ الخواصِّ وصيامهم وصلاتهم؟ قالوا: حجُّ الخواصِّ السفرُ إِلَى زيارة الأولياء، أي: أوليائهم أولياء الطاغوت، والصلاة: معرفة الأسرار؛ لأنَّ الصلاةَ من الصلة يتَّصلُ الإنسان بالأولياء، ويعرفُ أسرارَهم.

الصيام: كتمانُ الأسرار؛ لأنَّ الصومَ بمعنى الإمساك يعني: يمسك الإنسان، فلا يُخبر عن مذهبه، ولهذا هم باطِنِيَّةٌ، ولا يسمحون لأحدٍ أن يدخلَ في المذهب إِلَّا بعد أن يُمَرِّنوه.

وقد ذكر السَّفَّارِينِيُّ في شرح (**العقيدة السَّفَّارينيَّة**) أنَّ لهم عشرَ مراتب يصعدُها الإنسانُ، بل الحقيقةُ نقول: ما يصعدُها، بل ينزلُ بها مرتبةً مرتبةً حتَّى يصلَ إِلَى الحضيض، وَهُوَ عندهم يصلُ إِلَى القمة، وحينئذٍ يدخل.

هؤلاء القرامطةُ الباطِنِيَّةُ الملحدون بأيِّ طريقٍ توصَّلوا إِلَى هذا؟ الجواب: بالتأويل، قالوا: كُلُّ ما جاءت به الرُّسلُ فهو مجازٌ، والحقيقةُ كَذَا وكذا.

هؤلاء الأشاعرةُ وغيرُهم من الذين أنكروا الصِّفَاتِ قالوا: ما جاءت به الرُّسلُ من الصِّفَات فهو مجازٌ، والحقيقةُ كَذَا وكذا، خلاف ما جاءت به الرُّسلُ.

٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوَّلْتُمُ فَأْتُوا نُحَاكِمْكُمْ إِلَى الوَزَّانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوَّلْتُمُ» القائلُ هنا الباطِنِيَّةُ حيث يخاطبون الأشاعرةَ ومَنْ عَلَى شاكلتِهم، يقولون: إنا تأوَّلنا كما أوَّلتم فأتوا نحاكمْكم إِلَى الوزَّان.

٢٠٨٠- فِي الكِفَّتَيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا وَكَذَاكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ

وطلبُ المحاكمةِ عَلَى هَذَا الوجه حقٌّ؛ لأنَّ هؤلاء أَوَّلوا في الصِّفَات، وهؤلاء أَوَّلوا فيما جاءت به الرُّسلُ كُلِّهم.

ويقولُ شيخُ الإسلام -رحمه الله-: إِنَّ تأويلَ هؤلاء في الصِّفَات أعظمُ بكثير من تأويل أولئك في المعاد، في الجنة والنار، يقول: لأنَّ إقرارَ النفوس بما لله تعالى من صفات الكمال أقوى بإقرارِها من المعاد، وأيضًا نصوصُ الكتاب والسُّنَّة في إثبات الصِّفَات وتقريرِها أكثر من نصوص الكتاب والسُّنَّة في تقرير المعاد؛ فلهذا كان هؤلاء أشدَّ من أولئك المؤوِّلين، وإن كان أولئك أعظمَ من وجه.

٢٠٨١- هَـذَا وَقَـدْ أَقْـرَرْتُمُ أَنَّـا بِأَيْـ ... ـدِينَا صَرِيحُ العَـدْلِ وَالـمِيزَانِ

٢٠٨٢- وَغَـدَوْتُمُ فِيـهِ تَلَامِيـذًا لَنَـا ... أَوَلَـيْسَ ذَلِـكَ مَنْطِـقَ اليُونَـانِ؟

مَنْ الَّذِي أقرَّ بذلك؟ الجواب: الأشاعرة؛ لأنَّ الأشاعرةَ بَنَوْا عقيدتَهم عَلَى علم الكلام، وأصلُ علم الكلام علمُ المنطق، وعلمُ المنطق متلقًّى من الفلاسفة الذين منهم هؤلاء الباطِنِيَّة، فلذلك يُعتبر الأشاعرةُ والمعتزلةُ ومَنْ عَلَى شاكلتهم يعتبرون تلاميذًا للفلاسفة.

٢٠٨٣- مِنَّـا تَعَلَّمْـتُمْ وَنَحْـنُ شُـيُوخُكُمْ ... لَا تَجْحَـدُونَا مِنَّـةَ الإِحْسَـانِ

قَوْلُهُ: «مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ» الَّذِي يقولُ ذلك هم القرامطةُ والباطِنِيَّة الذين بُنِي مذهبُهم عَلَى الفلسفة.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَجْحَدُونَا مِنَّةَ الإِحْسَانِ» يعني: لا تجحدون ما مَنَنَّا به عليكم وأحسنَّا به إليكم، وتعادوننا.

وإنما قَالَ ابنُ القَيِّم هذا؛ لأنَّ الظاهرَ الآن أنَّك لو أتيتَ إِلَى الأشاعرة أو المعتزلة لوجدتَهم يُكَفِّرون هؤلاء الباطِنِيَّة وينكرون عليهم إنكارًا عظيمًا، لكن في الحقيقة أصولُهم متشابهةٌ أو متقاربةٌ كما سيبيِّنه المؤلف.

٢٠٨٤- فَسَلُوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفَهُّمٍ وَسَلُوا القَوَاعِدَ رَبَّةَ الأَرْكَانِ

٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أُولِي النُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ» الجواب: من عند الفلاسفة؛ لأنَّ علمَ الكلامِ مَبْنِيٌّ عَلَى علم المنطق، فهي جاءت منهم.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أُولِي النُّكْرَانِ؟» تأخذون مِنَّا الأصولَ والقواعدَ وتبنون عليها عقيدتَكم في الله، ثُمَّ بعد ذلك تُكَفِّروننا، وتقولون: أنتم كُفَّارٌ.

٢٠٨٦- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْـ ـتُمْ مُؤمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

٢٠٨٧- أَنَّ النُّصُوصَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيقَانِ؟!

هذا تناقضٌ، ولا شكَّ أنَّ هَذِهِ حُجَّةٌ للفلاسفة ومَنْ عَلَى شاكلتهم عَلَى الأشاعرة. لكن الحقيقة أنَّ الأشاعرةَ أجابوهم بجوابٍ حَقٍّ قالوا: نحن نعلمُ بأَنَّ الرُّسلَ جاؤوا بإثبات الإله وإثبات المعاد وإثبات الجنة والنار، وقد علمنا أنَّ الشُّبهةَ المانعةَ مِنْهُ باطلةٌ، فثبت بالدَّلِيل السالم عن المعارِض، وإذا ثبت بالدَّلِيل السالم عن المعارِض فوجب القولُ به.

هذه حُجَّةٌ يدفع بها الأشاعرةُ والمعتزلةُ وشِبْهُهم مذهبَ القرامطة والباطِنِيَّة وأشباهِهم.

يقولون: أنتم أنكرتم البعثَ والجنةَ والنارَ والرَّبَّ والرُّسلَ، وقُلْتُم: هؤلاء عباقرةٌ، جاؤوا لإصلاح الناس عَلَى زعمهم، ولكنَّ هَذَا ليس بصحيح؛ لأننا علمنا أنَّ هَذَا جاءت به الرُّسلُ وثبت به الحُجَّةُ، وقد علمنا الشُّبهةَ المانعةَ منه، إذ

لا توجدُ شبهةٌ تمنعُ، فالذي خلق الخلقَ هُوَ الله، والذي يعيدُه هُوَ الله، فإذا ثبت بالدَّلِيل وانتفى المعارِض وجب القولُ به.

أهل السُّنَّة والجماعة قالوا: هَذَا دليلٌ جَيِّدٌ، ونحن نوافقُكم عَلَى هَذَا الدَّلِيل ونردُّ به قولَ الفلاسفة، لكننا نحتجُّ به عليكم؛ لأنَّ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ قد ثبتت بالدَّلِيل السالم عن المعارِض الصحيح؛ لأنه لا معارِضَ لأدلة الصِّفَات إِلَّا ما زعمتم أنه أدلةٌ عقليَّةٌ وهي وهميَّةٌ، فوجب القولُ بثبوتها.

فاحتجَّ أهلُ السُّنَّة عَلَى الأشاعرة والمعتزلة بما احتجَّ به الأشاعرةُ والمعتزلةُ عَلَى الفلاسفة والقرامطة، وهذا هُوَ الحقُّ.

٢٠٨٨- فَلِـذَاكَ حَكَّمْنَـا العُقُـولَ وَأَنْـتُمُ ... أَيْضًـا كَـذَاكَ فَـنَحْنُ مُصْـطَلِحَانِ

سبحان الله! القرامطةُ والباطِنِيَّةُ يقولون: نحن نُحَكِّمُ العقلَ، والمعتزلةُ والأشاعرةُ يقولون: نحن أيضًا نُحَكِّمُ العقلَ، فيقول: ما دمنا نحن وأنتم نرجعُ إِلَى العقل، ونقول: إِنَّ الْقُرْآنَ والسُّنَّة أدلةٌ لفظيَّةٌ غيرُ قابلةٍ للإيقان، فلماذا تعادوننا؟ نحن إخوان، ومصطلحان.

٢٠٨٩- فَـلِأَيِّ شَيْءٍ قَـدْ رَمَيْـتُمْ بَيْنَنَـا ... حَرْبَ الحُرُوبِ وَنَحْنُ كَـالأَخَوَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الحُرُوبِ» أو البَسُوس، وهي حربٌ معروفةٌ في الجاهلية، ونحن كالأَخَوَانِ.

٢٠٩٠- الأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الوَحْيِ مَعْـ ... ـزُولٌ وَنَحْـنُ وَأَنْـتُمُ صِـنْوَانِ

٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُـولُ نَحْـنُ وَأَنْـتُمُ ... أَيْضًـا كَـذَاكَ فَـنَحْنُ مُصْـطَلِحَانِ

قَوْلُهُ: «الأَصْلُ مَعْقُولٌ» الأصلُ المشتركُ بيننا وبينكم هُوَ العقلُ، يعني: هُوَ المعقول.

قَوْلُهُ: «وَلَفْظُ الوَحْيِ مَعْزُولٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمُ صِنْوَانِ» سبحان الله! لفظُ الوحي معزولٌ عن اليقين؛ لأنَّ النصوصَ في الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ عندهم ظواهرُ لفظيَّةٌ لا تفيدُ اليقينَ، والعقلُ هُوَ الَّذِي يفيدُ اليقينَ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ صِنْوَانِ» الصنوان: هما الغصنان في أصلٍ واحد.

٢٠٩٢- فَــذَرُوا عَــدَاوَتَنَا فَــإِنَّ وَرَاءَنَــا ... ذَاكَ العَــدُوَّ الثِّقْــلَ ذَا الأَضْــغَانِ

يعني: لَنَا عدوٌّ ثالثٌ، فدعونا -جميعًا- يُقَوِّي بعضُنا بعضًا عليه من أجل أن نقضيَ عليه.

٢٠٩٣- فَهُــمْ عَــدُوُّكُمْ وَهُــمْ أَعْــدَاؤُنَا ... فَجَمِيعُنَــا فِي حَــرْبِهِمْ سِــيَّانِ

مَنْ هَذَا العدوُّ؟ الجوابُ: هم أهلُ السُّنَّة؛ ولذا قال: (**تلك المجسمة...**).

لـمَّا ذكر ابنُ القيِّم -رحمه الله- المصارعةَ والمجادلةَ بين المتأوِّلين في صفات الله والمتأوِّلين في نصوص المعاد، وأنَّ كُلَّ واحدةٍ من الطائفتَيْن دعت الأخرى إِلَى المصالحة ولاسَّيما الذين تأوَّلوا في المعاد؛ لأنَّ الذين تأوَّلوا في الصِّفَات شَنُّوا عليهم الغارةَ، وقالوا: إنكم كُفَّارٌ.

فدعاهم هؤلاء إِلَى المسالمة، وقالوا: إنَّنا أخوان، وإنَّنا مصطلحان، فلنكن عَلَى عدوِّنا المشترك وهم المُجسِّمَة، فقال:

٢٠٩٤- تِلْكَ الْــمُجَسِّمَةُ الأُلَى قَـالُوا بِـأَنْ ... نَ اللهَ فَــوْقَ جَمِيــعِ ذِي الأَكْــوَانِ

الذين يُعطِّلون اللهَ من صفاتِه يُسَمُّون كُلَّ مَنْ أثبتَ صفةً يسمُّونه مُجَسِّمًا؛ وهذا من أجل أن يشوِّهوا طريقَهم عند العامة حتَّى لا يسلكوا طريقَهم؛ لأنهم إذا قالوا: (مُجَسِّمَة)، قالوا: إِذَنْ هم يعبدون جسمًا، والذي يعبدُ جسمًا يعبدُ صنمًا،

لا فرق بين معبودِه وبين اللَّات والعُزَّى.

فيشوِّهون سُمعتَهم بِهَذِهِ الألقاب السَّيِّئة، وسَمَّوْهم حَشْوِيَّة من حاشية المتاع، يعني: ليسوا بشيء، وسَمَّوْهم نَوَابِت، والنوابتُ هي التي تكونُ في الزرع، لا تنفعُ، وتفسدُ الزرعَ.

وهذه الألقابُ السَّيِّئةُ قد وَرِثُوها من أئمتهم أعداءِ الرُّسل الذين قالوا للرُّسل: إنهم سحرةٌ مجانين، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]. هؤلاء يُسَمُّون أهلَ السُّنَّة الذين يُثبتون الصِّفَات بالمُجَسِّمَة.

قَوْلُهُ: «فَالأُلَى قَالُوا» «الأُلَى» يعني: الذين قالوا، كما قَالَ ابنُ مالك -رحمه الله-[1]:

جَمْعُ الَّذِي (الأُلَى).............. ....

فـ(الأُلَى) بمعنى الذين، ومنه قولُ الشاعر[2]:

وتُبْلِي الأُلَى يَسْتَلْئِمُونَ عَلَى الأُلَى　　　تَرَاهُنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كَالحِدَأ القُبْلِ

فقَوْلُهُ: «فالأُلَى يَسْتَلْئِمُونَ» يعني: الذين يستلئمون، ومعنى **«يَسْتَلْئِمُونَ» أي** يلبسون لأَمةَ الحرب.

وَقَوْلُهُ: (عَلَى الأُلَى تَرَاهُنَّ) (الأُلَى) الثانية بمعنى اللائي، يعني: عَلَى الخيل اللائي تَراهُنَّ يومَ الحرب كالحِدَأ القُبْل، والحِدَأ جمعُ حِدَأَة، **(القُبْل)** يعني: التي تنظر من جانبٍ واحدٍ فتنقضُّ عَلَى الفريسة.

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ١٤١).

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في خزانة الأدب (١١/ ٢٤٩).

٢٠٩٥- وَإِلَيْـــهِ يَصْـــعَدُ قَوْلُنَـــا وَفِعَالُنَـــا وَإِلَيْـــهِ تَرْقَـــى رُوحُ ذِي الإِيـــمَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ» و«ترقى» ولا يكونُ مثل هَذَا التعبير إِلَّا فيما هُوَ فوق.

٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَـدْ عَـرَجَ الرَّسُـولُ حَقِيقَـةً وَكَذَا ابْـنُ مَـرْيَمَ مُصْـعَدَ الأَبْـدَانِ

عرج الرسولُ حقيقةً إِلَى الله ببدنه؛ ولهذا قال: (**مصعد الأبدان**).

وعرج ابنُ مريمَ إِلَى الله حقيقةً ببدنه، وليس بروحه كما ادَّعاه بعضُ المتأخِّرين، وقالوا: إِنَّ عيسى لم يُرْفَعْ ببدنه، وإنه لا ينزلُ إِلَى الدنيا في آخر الزمان، ولكنَّ هَذَا قولٌ باطلٌ مخالفٌ للقرآنِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلفِ، بل إِنَّ ابنَ مريمَ رفعه اللهُ إليه ببدنه لا بروحه؛ لأنَّ الأرواحَ لا يختصُّ بها ابنُ مريم، فكُلُّ مؤمنٍ فإِنَّ روحَه تُرْفَعُ إِلَى الله.

والنَّبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كذلك عرج إِلَى الله ببدنه، عرج فوق سبع سموات حتَّى وصل إِلَى مكانٍ سَمِعَ فيه صريفَ الأقلام: أقلام القضاء، فوصل إِلَى سدرة المنتهى، وصعد هَذِهِ السمواتِ العظيمةَ الواسعةَ البعيدةَ في ليلة واحدة، صعدها ورجع إِلَيْهَا، وحصل مِنْهُ صلاةٌ بالأنبياء وسلامٌ عَلَى الأنبياء، وكذلك أيضًا حصل مراجعةٌ بينه وبين رَبِّه عزَّ وجلَّ في فرض الصلوات الخمس، كُلُّ هَذَا في ليلة.

وجاء إِلَى مكَة من بيت المقدس في ليلته، واستيقظ من يومه، وصار يُحدِّثُ الناسَ بما رأى، فكذَّبه المكذِّبون، وأنكروا، وقالوا: نحن نذهبُ إِلَى الشام مسيرةَ شهرٍ، ونرجعُ من الشام مسيرةَ شهرٍ، ومحمدٌ يَدَّعِي أَنَّه وصلَ الشامَ ووصل إِلَى العرش في ليلة، هَذَا كَذِبٌ، فاجتمعوا عنده وكذَّبوه، وذهبوا إِلَى أبي بكر، وقالوا: إِنَّ صاحبَك يقول: كَذَا وكذا، فانظر ماذا أَفِكَ؟ فقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ

ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» فمن ذلك اليوم سُمِّي الصِّدِّيق[١].

فالحاصل أنَّ الرسولَ ﷺ عُرِجَ ببدنه، وأمَّا قولُ مَنْ قال: إنه عُرِجَ بروحه فهو قولٌ باطلٌ؛ لأنَّ اللهَ يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١] فقال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ ولم يقل: (بروح عبده)، وقال في المعراج في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٧-١٨] رأى بنفسه، ولو كان قد عُرِج بروحه لم تكن قريشٌ لتكذِّبه؛ لأنَّ قريشًا لا تُكَذِّبُ بالرُّؤيا، فكُلُّ إنسانٍ يرى ما لا يمكنُ في ليلة ولا في شهر، ويراه في منامه في ساعة، فلو كان منامًا ما كذَّبته قريشٌ.

المهم أنَّ هؤلاء المعطِّلةَ الذين عطَّلوا اللهَ عن صفاتِهِ، والذين عطَّلوا نصوصَ المعاد عن معانيها، سوَّوْا هجومًا عَلَى ما يقول أهل السُّنَّة (**المُجسِّمَة**).

٢٠٩٧- وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْ ... قَ العَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَاكَ قَالُوا**»: الضميرُ يعودُ عَلَى أهل السُّنَّة الذين سمَّاهم هؤلاء مُجَسِّمَة.

قَوْلُهُ: «**إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْقَ العَرْشِ**» هُوَ -سبحانه وتعالى- فوقَ العرشِ بذاته، وإنما قالوا: (**فوق العرش بذاته**) رَدًّا لمن قالوا: إنه لم يكن فوق العرش بذاته، ولكنَّه فوق العرش بنوعه، كما يُقَالُ: (**الذهبُ فَوْقَ الفضةِ**)، لكن قالوا: (**بذاته**) رَدًّا عليهم، وإلَّا فلا حاجة أن يُقَالَ: (**بذاته**)؛ لأنَّ كُلَّ فعلٍ أضافه اللهُ إِلَى نفسِه فهو إليه ذاته، فقوله تعالى: ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤] لا حاجة إلى أن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥، رقم ٤٤٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

نقولَ: (بذاته)، فهو خلقها نفسه، وهَكَذَا جميع ما أُضِيفَ إِلَى الله فهو يُضَافُ إليه نفسه.

قَوْلُهُ: «قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ» هم قالوا: (اسْتَوَى عَلَى العرش) أي: ملَك العرشَ وقهره، فقال ابنُ القيِّم: قدرتُه لا تختصُّ بالعرش، بل قدرتُه في كُلِّ مكان، وليست عَلَى العرش فقط.

٢٠٩٨- وَكَــذَاكَ يَنْــزِلُ كُــلَّ آخِــرِ لَيْلَــةٍ ... نَحْـوَ السَّمَاءِ فَهَـا هُنَـا جِهَتَـانِ:

٢٠٩٩- لِلْإِبْتِــدَاءِ وَالِانْتِهَــاءِ وَذَانِ لِلْـــ ... أَجْسَـامِ أَيْـنَ اللهُ مِـنْ هَــذَانِ؟!

يعني: قالوا: إنَّ هؤلاء المُجَسِّمَةَ يقولون: إنَّ اللهَ ينزلُ كُلَّ ليلة إِلَى السَّماء، ينزلُ حين يبقى ثلثُ الليل الآخر حتَّى يطلعَ الفجرُ.

قَوْلُهُ: «فَهَا هُنَا جِهَتَانِ»: جهة للابتداء من نصف الليل، وجهة للانتهاء إِلَى طلوع الفجر.

قَوْلُهُ: «وَذَانِ لِلأَجْسَامِ» يعني: لا يمكنُ أن يكونَ نزولٌ وطلوعٌ مؤقتٌ بوقتٍ إِلَّا للأجسام.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَانِ؟!» قائلُ ذلك هم المعطِّلةُ، يقولون: أين اللهُ أن يكون جسمًا؟ أن يكون له ابتداءٌ بنزوله وابتداءٌ في انتهاء النزول؟

٢١٠٠- وَكَــذَاكَ قَــالُوا: إِنَّــهُ مُــتَكَلِّمٌ ... قَـامَ الكَـلَامُ بِـهِ فَيَـا إِخْوَانِـي

٢١٠١- أَيَكُـونُ ذاكَ بِغَـيْرِ حَـرْفٍ أَمْ بِـلَا ... صَوْتٍ؟! فَهَذَا لَـيْسَ فِي الإِمْكَـانِ

هذا أيضًا ممَّا شَنَّعوا به عَلَى أهل السُّنَّة قالوا: إنَّ اللهَ يتكلَّمُ بكلامٍ قام بذاته، فهل يمكنُ كلامٌ بلا حرفٍ ولا صوت؟!

الجواب: لا، إِذَنْ تقومُ به الحروفُ والأصواتُ، فيكون حادثًا؛ لأنَّ الحوادثَ لا تقومُ إِلَّا بحادثٍ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

٢١٠٢- وَكَذَاكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمُ ... مِنْ قَبْلُ قَوْلَ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ

يعني: قالوا أيضًا سوى هَذَا من كُلِّ ما يدلُّ عَلَى التشبيه، وهذا لا شكَّ أَنَّه رَمْيٌ بالبهتان لأهل السُّنَّة والجماعة.

٢١٠٣- فَذَرُوا الحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُلُّنَا ... جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ الفُرْسَانِ

٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمُ بِأَجْمَعِنَا إِلَى ... وَسَطِ العَرِينِ مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ

قَوْلُهُ: «نَسُوقُهُمْ» أي: نسوقُ أهلَ السُّنَّة.

«إِلَى وَسَطِ العَرِينِ» أي: مَقَرِّ الأسد.

قَوْلُهُ: «مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ» يعني: أنَّ الأسودَ تأكلُهم وتُمَزِّقُهم، ولكن هل يحصل لهم هذا؟ الجواب: لا، ما يحصل؛ ولهذا هم أقرُّوا، فقالوا: (ولقد كَوَوْنا بالنصوص... إلخ).

يعني: أعاننا اللهُ عليهم، يقول: اجعلونا جميعًا، ونشنُّ عليهم الغارةَ جميعًا من أجل أن نقضيَ عليهم.

ولكننا نقول: والله لن يقضوا عَلَى الحقِّ بباطلهم؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الانبياء:١٨].

* * *

٢١٠٥- فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالنُّصُوصِ وَمَا لَنَا بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

٢١٠٦- كَمْ ذَا بِقَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقٍ لَنَا وَبَنَانِ!

٢١٠٧- إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ آرِسْطُو الْمُعَلْـ ـلِمُ أَوَّلًا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي

٢١٠٨- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التِّبْيَانِ

٢١٠٩- قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْـ ـقُرْآنِ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟

٢١١٠- وَكَذَاكَ أَنْتُمْ مِنْهُمُ أَيْضًا بِهَـ ـذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَيَانِ

٢١١١- إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالعُقُولِ أَتَوْكُمُ بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

٢١١٢- فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُلَّنَا حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمُ سِلْمَانِ

٢١١٣- فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُمُ فَخِلَافُنَا سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ أَخَوَانِ

٢١١٤- فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانِ

٢١١٥- مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى العَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الأَعْيَانِ وَالأَذْهَانِ

٢١١٦- مَا اللهُ مَوْجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الْـ ـعَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ

٢١١٧- وَاللهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِ

٢١١٨- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ العِرْفَانِ

٢١١٩- وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّـ ـوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ

٢١٢٠- لَيْسَتْ كَلَامَ اللهِ بَلْ فَيْضٌ مِنَ الْـ ـفَعَّالِ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الأَكْوَانِ

٢١٢١- فَـالأَرْضُ مَـا فِيهَـا لَـهُ قَـوْلٌ وَلَا   فَـوْقَ السَّـمَا لِلْخَلْـقِ مِـنْ دَيَّـانِ

٢١٢٢- بَشَـرٌ أَتَـى بِـالْوَحْيِ وَهْـوَ كَلَامُـهُ   فِي ذاكَ نَحْـــنُ وَأَنْـــتُمْ مِـــثْلَانِ

الشـــرحُ

٢١٠٥- فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالنُّصُـوصِ وَمَـا لَنَـا   بِلِقَائِهَـــا أَبَـــدَ الزَّمَـــانِ يَـــدَانِ

قَوْلُهُ: «**كَوَوْنَا**» يعني: أذاقونا حرَّ النصوص، فلم نستطع أن نتخلَّصَ.

قَوْلُهُ: «**وَمَا لَنَا... يَدَانِ**» يعني: مالنا فيها قوةٌ؛ لأنَّ الكُلَّ يقبلُ النصوصَ، حتَّى العامة يقبلونها، فإذا قيل لهم: قَالَ اللهَ وقال رسولُه توقَّفوا، وأخذوا بها.

٢١٠٦- كَـــمْ ذَا بِقَـــالَ اللهُ قَـــالَ رَسُـــولُهُ   مِـــنْ فَـــوْقِ أَعْنَـــاقٍ لَنَـــا وَبَنَـــانِ!

يعني: ما أكثر ما يُقَالُ: قَالَ اللهُ وقال رسولُه من فوق أعناقنا وبناننا، وإنما قال: «**مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقٍ لَنَا وَبَنَانِ**» تشبيهًا بقول الله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [لأنفال:١٢] يعني: أنَّ هَذَا القولَ منَّا بمنزلة ما فعلت الملائكةُ بالكُفَّار يوم بدر.

٢١٠٧- إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ آرِسْطُو الْـمُعَلْـ   ـــلِمُ أَوَّلًا أَوْ قَـــالَ ذَاكَ الثَّانِـــي

يعني: إننا نحتجُّ عليهم بأنَّ هَذَا قولُ (أرسطو)، ويسمُّونه المعلِّمَ الأوَّلَ، لكنَّه معلِّمُ الشرِّ والفساد، والعياذ بالله، ومَنْ دعا إِلَى ضلالةٍ فعليه وزرُها ووزرُ مَنْ عَمِلَ بها إِلَى يوم القيامة.

أمَّا المعلِّمُ الثاني فهو (الفارابِيُّ)، فـ(الفارابِيُّ) أيضًا من أساطين الفلاسفة، فقوله: (**الثاني**) أي: (الفارابِيُّ).

٢١٠٨- وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التِّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا» «ابنُ سينا» يُسَمَّى الرئيس عندهم، وقد صرَّح شيخُ الإسلام ابنُ تيمية وابنُ القيِّم بأنَّ الرجلَ كافرٌ، وَهُوَ عند المتأخِّرين القوميين مؤمنٌ، ولكنَّه عند ابن تيمية وابن القيِّم مؤمنٌ بالطاغوت كافرٌ بالله؛ ولهذا لا يجوزُ أن يُبَجَّلَ أو يعظَّمَ أو تُنْسَبَ المدارسُ إليه أو ما أشبه ذلك، ولا يفعلُ هَذَا إِلَّا رجلٌ جاهلٌ.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التِّبْيَانِ» أيضًا «الرازِيُّ»[1] من أساطينهم، وَهُوَ معروفٌ، رجلٌ طبيبٌ، ولا أظنُّه (الرازِيَّ) الَّذِي له التفسيرُ المشهور الَّذِي يُلَقَّبُ (فخر الدين)، لا أظنُّه هذا.

٢١٠٩- قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْـ ـقُرْآنِ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟

قال: **إذا قلنا**: قَالَ أرسطو، الفارابِيُّ، ابنُ سينا، قالوا لنا: قَالَ الرسولُ، وقال فِي الْقُرْآن، الله أكبر، ما الفرق بين القولين؟ عظيمٌ؛ ولهذا قال: (**كيف الدفع للقرآن**)؟ إذا قالوا: قَالَ اللهُ وقال الرسولُ، كَيْفَ ندفعُ هذا؟

٢١١٠- وَكَذَاكَ أَنْتُمْ مِنْهُمُ أَيْضًا بِهَـ ـذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ» يخاطبون الأشاعرةَ وأشباهَهم ممَّن نفوا الصِّفَات، يقولون: إنَّكم إذا قُلْتُم: دَلَّ العقلُ عَلَى كذا، قالوا: دَلَّ الْقُرْآنُ والسُّنَّةُ عَلَى كذا، فهذا معتركٌ ضنكٌ.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحرمة، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مُكِبًّا على الاشتغال، مليح التأليف، توفي ببغداد، سنة إحدى عشرة وثلاثمئة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٤).

٢١١١- إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالعُقُولِ أَتَوْكُمُ   بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

ونحن أيضًا إذا جئناهم بكلام أرسطو، والفارابيِّ، وابن سينا، أتونا بالْقُرْآن.

إِذَنْ أنتم تستدلُّون بالعقل فيدمغونكم بالْقُرْآن والسُّنَّة، نحن نستدلُّ بأرسطو وأشباهِه، ويأتوننا بالكتابِ والسُّنَّة، فصاروا عدوًّا لَنَا جميعًا.

انظر صاروا عدوًّا لهؤلاء وهؤلاء.

٢١١٢- فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُلَّنَا   حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمُ سِلْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُلَّنَا حَرْبٌ» أي: لِنُجْرِ حِلْفًا بيننا وبينكم أنَّنا حربٌ عليهم، وأنَّنا فيما بيننا سِلْمَان.

٢١١٣- فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُمُ فَخِلَافُنَا   سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ أَخَوَانِ

يعني: دعونا نقضي عليهم جميعًا، وإذا انتهينا فالخلافُ بيننا وبينكم سهلٌ.

٢١١٤- فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ   مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانِ

لأنَّ المعتزلةَ والأشاعرةَ وأشباهَهم يُنكرون استواءَ الله عَلَى العرش، ويقولون: أبدًا، ليس اللهُ فوق العرش، ما فوق العرشِ أحدٌ، والفلاسفةُ كذلك؛ لأنَّ الفلاسفةَ يُنكرون اللهَ رأسًا.

٢١١٥- مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى العَدَمِ الَّذِي   لَا شَيْءَ فِي الأَعْيَانِ وَالأَذْهَانِ

٢١١٦- مَا اللهُ مَوْجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الْـ   ـعَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ

٢١١٧- وَاللهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً   بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِ

قَوْلُهُ: «عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِ» الدَّيْصَان: أُمَّةٌ ضالةٌ شَبَّهوا بهم أهلَ السُّنَّة.

أهلُ السُّنَّةِ يقولون: نحن نقولُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ موجودٌ فوق العرش، وهم يقولون: ليس موجودًا فوق العرش، ما فوقه أحدٌ؛ لأنَّ الأشاعرةَ والمعتزلةَ ينكرون استواءَ الله عَلَى العرش، والفلاسفة ينكرون وجودَ الله أصلًا.

إِذَنْ ليس فوق العرشِ أحدٌ عَلَى رأي هؤلاء وعلى رأي هؤلاء.

٢١١٨- هَـذَا هُـوَ التَّوْحِيـدُ عِنْـدَ فَرِيقِنَـا ... وَفَـرِيقِكُمْ وَحَقِيقَـةُ العِرْفَـانِ

فإذن نحن وأنتم سواءٌ.

٢١١٩- وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التْـ ... ـتَوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ وَالفُرْقَـانِ

٢١٢٠- لَيْسَتْ كَلَامَ الله بَلْ فَيْضٌ مِـنَ الْـ ... ـفَعَّالِ أَوْ خَلْـقٌ مِـنَ الأَكْـوَانِ

يعني: ونحن أيضًا متفقون معكم عَلَى أنَّ التوراةَ التي أنزلها اللهُ عَلَى موسى، والإنجيلَ عَلَى عيسى، والْفُرْقَانَ عَلَى محمدٍ -عليهم الصلاة والسلام- ليست كلامَ الله.

المعتزلةُ يقولون: الْقُرْآنُ ليس كلامَ الله بالمعنى الَّذِي يريدُه أهلُ السُّنَّة.

الأشاعرة يقولون: هَذَا الْقُرْآنُ ليس كلامَ الله.

الفلاسفة أيضًا يقولون: ليس كلامَ الله؛ لأنه لا إله، لكن يوجدُ عقلٌ فعَّالٌ يُدَبِّرُ الكونَ وليس هُوَ الله، وهذا الكلامُ كلامُهم؛ ولهذا يقولُ: **(ليست كلام الله بل فيضٌ من الفعَّال)**، (هذا مذهب الفلاسفة)، **(أو خلقٌ من الأكوان)** وهذا مذهبُ المعتزلةِ والأشاعرة.

الفلاسفة يقولون: هَذَا الكلامُ فَيْضٌ من العقل الفعَّال يُفيضه هَذَا العقلُ عَلَى بشرٍ قابلٍ له فيتكيَّف بكيفية هَذَا النور الَّذِي ألقاه عليه العقلُ الفعَّالُ ثُمَّ ينطقُ بالكلام.

الأشاعرةُ والمعتزلةُ يقولون: هَذَا الكلامُ المسموعُ المكتوبُ ليس كلامَ الله، لماذا؟ المعتزلة يقولون: هُوَ خَلْقٌ خَلَقه اللهُ مثلما يخلقُ السَّماءَ والأرضَ، لكن أضافه إِلَى نفسِه من باب التشريف.

والأشاعرةُ يقولون: كلامُ الله هُوَ المعنى القائمُ بنفسه، وخلق أصواتًا تدلُّ عليه وتُعَبِّرُ عنه.

فإذن هَذَا الْقُرْآنُ -عَلَى كلا القولين- مخلوقٌ؛ ولهذا يقولُ: **(أو خلقٌ من الأكوان)**.

٢١٢١- فَـالأَرْضُ مَـا فِيهَـا لَـهُ قَـوْلٌ وَلَا ... فَـوْقَ السَّـمَا لِلْخَلْـقِ مِـنْ دَيَّـانِ

٢١٢٢- بَشَـرٌ أَتَـى بِـالْوَحْيِ وَهْـوَ كَلَامُـهُ ... فِي ذاكَ نَحْـنُ وَأَنْـتُمُ مِـثْلَانِ

قَوْلُهُ: «**الأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ**» لأنَّه ما فيها إِلَّا شيءٌ مخلوقٌ.

* * *

٢١٢٣- وَلِـذَاكَ قُلْنَـا: إِنَّ رُؤْيَتَنَـا لَـهُ ... عَيْنُ الـمُحَالِ وَلَـيْسَ فِي الإِمْكَـانِ

٢١٢٤- وَزَعَمْـتُمُ أَنَّـا نَـرَاهُ رُؤْيَـةَ الْـ ... ـمَعْدُومِ لَا الـمَوْجُودِ فِي الأَعْيَـانِ

٢١٢٥- إِذْ كُـلُّ مَرْئِـيٍّ يَقُـومُ بِنَفْسِـهِ ... أَوْ غَـيْرِهِ، لَا بُـدَّ فِي البُرْهَـانِ

٢١٢٦- مِـنْ أَنْ يُقَابِـلَ مَـنْ يَـرَاهُ حَقِيقَـةً ... مِـنْ غَـيْرِ بُعْـدٍ مُفْـرِطٍ وَتَدَانِـي

٢١٢٧- وَلَقَـدْ تَسَـاعَدْنَا عَـلَى إِبْطَـالِ ذَا ... أَنْـتُمْ ونَحْـنُ فَـمَا هُنَـا قَـوْلَانِ

٢١٢٨- أَمَّـا الْبَلِيَّـةُ فَهْـيَ قَـوْلُ مُجَسِّـمٍ ... قَـالَ: الْقُـرَانُ بَـدَا مِـنَ الـرَّحْمَنِ

٢١٢٩- هُـوَ قَوْلُـهُ وَكَلَامُـهُ مِنْـهُ بَـدَا ... لَفْظًـا وَمَعْنًـى لَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ

٢١٣٠- سَـمِعَ الأَمِـينُ كَلَامَـهُ مِنْـهُ وَأَدْ دَاهُ إِلَى الْـمُخْتَارِ مِـنْ إِنْسَـانِ

٢١٣١- فَلَـهُ الأَدَاءُ كَـمَا الأَدَا لِرَسُـولِهِ وَالقَـوْلُ قَـوْلُ الله ذِي السُّـلْطَانِ

٢١٣٢- هَـذَا الَّـذِي قُلْنَـا وَأَنْـتُمْ: إِنَّـهُ عَـيْنُ الْـمُحَالِ وَذَاكَ ذُو بُطْـلَانِ

٢١٣٣- فَـإِذَا تَسَـاعَدْنَا جَمِيعًـا أَنَّـهُ مَـا بَيْنَنَـا الله مِـنْ قُـرْآنِ

٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْـتِ الله تِلْـكَ إِضَـافَةُ الْـ مَخْلُـوقِ لَا الأَوْصَـافِ لِلـدَّيَّانِ

٢١٣٥- فَعَـلَامَ هَـذَا الـحَرْبُ فِيمَا بَيْنَنَـا مَعْ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟

٢١٣٦- فَـإِذَا أَبَيْـتُمْ سِـلْمَنَا فَتَحَيَّـزُوا لِـمَقَالَةِ التَّجْسِـيمِ بِالإِذْعَـانِ

٢١٣٧- عُودُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُـوا: دِينُنَـا الْـ إِثْبَـاتُ دِيـنِ مُشَـبِّهِ الـدَّيَّانِ

٢١٣٨- أَوْ لَا فَـلَا مِنَّـا وَلَا مِـنْهُمْ وَذَا شَـأْنُ الْـمُنَافِقِ إِذْ لَـهُ وَجْهَـانِ

٢١٣٩- هَـذَا يَقُـولُ مُجَسِّـمٌ وَخُصُـومُهُ تَرْمِيـهِ بِالتَّعْطِيـلِ وَالكُفْـرَانِ

٢١٤٠- هُـوَ قَـائِمٌ هُـوَ قَاعِـدٌ هُـوَ جَاحِـدٌ هُـوَ مُثْبِـتٌ تَلْقَـاهُ ذَا أَلْـوَانِ

٢١٤١- يَوْمًـا بِتَأْوِيـلٍ يَقُـولُ وَتَـارَةً يَسْـطُو عَـلَى التَّأْوِيـلِ بِـالنُّكْرَانِ

الشـرحُ

قال ابنُ القيِّم -رحمه الله تعالى- في بيان الخصومة الواقعة بين أهل التعطيل وبين الفلاسفة، وأنَّهم يتفقون في أصول متعددة، منها، قال:

٢١٢٣- وَلِـذَاكَ قُلْنَـا: إِنَّ رُؤْيَتَنَـا لَـهُ عَيْنُ الـمُحَالِ وَلَـيْسَ فِي الإِمْكَـانِ

قال الفلاسفةُ وقال أهلُ التعطيل أيضًا من الأشاعرة وغيرهم: إِنَّ رؤيتَنا لله عينُ المحال، يعني: أنه من المستحيل أن نرى اللهَ عزَّ وجلَّ.

وقد سبق لَنَا أنَّ رؤيةَ الله قد دلَّ عليها الكتابُ والسُّنَّةُ وإجماعُ السَّلف، وأنها رؤيةٌ حقيقيةٌ بالعين.

٢١٢٤- وَزَعَمْـتُمُ أَنَّـا نَـرَاهُ رُؤْيَـةَ الْـــ ـمَعْدُومِ لَا الـمَوْجُودِ فِي الأَعْيَـانِ

يعني: أنَّ الرؤيةَ التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة يُرَادُ بها رؤيةُ المعدوم، ورؤيةُ المعدوم الَّذِي لا يُرَى بالعين يعني: العلمَ به؛ ولهذا يُفسِّرون الرؤيةَ بأنها تمامُ اليقين، فيقولون: إنهم يَرَوْنَ اللهَ أي: يتيقَّنونه حقًّا كما يتيقَّنُ الرائِيُّ مَنْ رآه حقًّا، لكن لماذا لا يَرَوْنَهُ رؤيةَ الموجود؟

قال:

٢١٢٥- إِذْ كُـلُّ مَرْئِـيٍّ يَقُـومُ بِنَفْسِـهِ أَوْ غَيْرِهِ، ....

يعني: كُلُّ مَرْئِيٍّ فلا بُدَّ أن يكونَ قائمًا بنفسه أو قائمًا بغيره، فالجسم مثلًا إذا رأيناه رأينا قائمًا بنفسه، واللون في الجسم إذا رأيناه رأينا قائمًا بغيرٍه، فلا بُدَّ في الْبُرْهَان.

٢١٢٥- ....، لَا بُـدَّ فِي البُرْهَـانِ

٢١٢٦- مِـنْ أَنْ يُقَابِـلَ مَـنْ يَـرَاهُ حَقِيقَـةً مِـنْ غَـيْرِ بُعْـدٍ مُفْـرِطٍ وَتَدَانِـي

يعني: لا بُدَّ أيضًا من نسبةٍ بين الرائِيِّ والمرئِيِّ وهي المقابلة، لا بُدَّ من ذلك، أمَّا بغير المقابلة فلا تمكنُ الرؤية.

٢١٢٧- وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا ... أَنْتُمْ ونَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ

إِذَنْ الأشاعرةُ يُنكرونَ أنَّ اللهَ يُرَى -نسألُ اللهَ العافيةَ- مع أنَّ شيخَ الإسلام -رحمه الله- قال: إنَّ هَذِهِ البدعةَ بدعةٌ مُكَفِّرةٌ، حتَّى إنه نقل في بعض مواضعَ من كلامه اتفاقَ السَّلف عَلَى تكفير مَنْ أنكر رؤيةَ الله، قال: لأنها جاءت في الكتاب والسُّنَّة وأجمع عليها السَّلفُ، والنَّبِيُّ ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»[1]، وهل أبلغُ من هَذَا الكلام في أنَّ الرؤيةَ رؤيةُ عين؟ الجواب: أبدًا، فلا أبلغ من هَذَا الكلام، ولا أوضح من هَذَا الكلام، فمن أنكره فقد أنكر ما مدلولُه أمرٌ قَطْعِيٌّ لا شَكَّ فيه.

٢١٢٨- أَمَّا الْبَلِيَّةُ فَهْيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ ... قَالَ: الْقُرَانُ بَدَا مِنَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مُجَسِّم» المُجَسِّمُ أي: المُثْبِتُ لصفات الله، فكُلُّ مَنْ أثبتَ صفاتٍ لله فهو عندهم مُجَسِّمٌ.

٢١٢٩- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَا ... لَفْظًا وَمَعْنًى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

وهذا قد تقدَّم الكلامُ عليه أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة يَرَوْنَ أنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله لفظه ومعناه، وأنه مِنْهُ بدأ وَإِلَيْهِ يعود.

٢١٣٠- سَمِعَ الأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَدْ ... دَاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ» «الأمين» هُوَ جبريلُ -عليه السلام- ائتمنه اللهُ عَلَى وحيه، وجعله سفيرًا بينه وبين رسلِه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

قَوْلُهُ: «وَأَدَّاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ» وَهُوَ محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

٢١٣١- فَلَـــهُ الأَدَاءُ كَـــمَا الأَدَا لِرَسُـــولِهِ وَالقَـــوْلُ قَـــوْلُ الله ذِي السُّـــلْطَانِ

قَوْلُهُ: «لَهُ» أي: لجبريلَ الأمين.

قَوْلُهُ: «الأَدَاء» أي: يؤدِّيه إِلَى محمدٍ ﷺ.

قَوْلُهُ: «كَمَا الأَدَا لِرَسُولِهِ» يؤدِّيه إِلَى الأمة.

قَوْلُهُ: «وَالقَوْلُ قَوْلُ الله ذِي السُّلْطَانِ»، فها هنا ثلاثةٌ: اللهُ عزَّ وجلَّ فالْقُرْآنُ قولُه، مِنْهُ ابتدأ، وجبريلُ مُبلِّغٌ إِلَى الرسول محمدٌ ﷺ، ومحمد ﷺ مبلِّغ إِلَى الأمة؛ ولهذا أضاف اللهُ الْقُرْآنَ إِلَى جبريلَ، وإلى محمدٍ، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤٠-٤١] المراد بالرسول هنا (محمد)، لأنه قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠] هَذَا جبريلُ، ومحالٌ أن يكونَ القولُ من قائِلَيْن.

إِذَنْ فنسبةُ القولِ إِلَيْهما نسبةُ أداءٍ وتبليغ، أمَّا الأصلُ الَّذِي قاله أصلًا وابتدأه فهو اللهُ عزَّ وجلَّ، قَالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

٢١٣٢- هَـــذَا الَّـــذِي قُلْنَـــا وَأَنْـــتُمْ: إِنَّـــهُ عَـــيْنُ الْـــمُحَالِ وَذَاكَ ذُو بُطْـــلَانِ

هم يقولون: مستحيلٌ أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- يتكلَّمُ بكلامٍ يُسْمَعُ، يسمعُه جبريلُ فيؤدِّيه إِلَى محمد، هَذَا شيءٌ مستحيلٌ، كَيْفَ ذلك؟ لأنَّ الفلاسفةَ يقولون: إِنَّ الْقُرْآنَ فَيْضٌ من العقلِ الفعَّال، وليس كلامَ ذِي الجلال والإكرام، والأشاعرةُ

يقولون: إنَّ الكلامَ هُوَ المعنى القائمُ بنفس الله، وأمَّا هَذِهِ الحروفُ والأصواتُ التي سمعها جبريلُ فهي مخلوقةٌ؛ ولهذا اتفقوا عَلَى أنه من المستحيل أن يكونَ الْقُرْآنُ كلامَ الله.

٢١٣٣- فَــإِذَا تَسَــاعَدْنَا جَمِيعًــا أَنَّــهُ مَــا بَيْنَنَــا لله مِــنْ قُــرْآنِ

٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْــتِ الله تِلْــكَ إِضَــافَةُ الْــ مَخْلُــوقِ لَا الأَوْصَــافِ لِلــدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا كَبَيْتِ الله تِلْكَ إِضَافَةُ» يعني: بيتُ الله مخلوقٌ، وليس صفةً من صفاته، أضافه اللهُ إليه عَلَى سبيل التشريف والتعظيم.

٢١٣٥- فَعَــلَامَ هَــذَا الــحَرْبُ فِــيمَا بَيْنَنَــا مَعْ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟

٢١٣٦- فَــإِذَا أَبَيْــتُمْ سِــلْمَنَا فَتَحَيَّــزُوا لِــمَقَالَةِ التَّجْسِــيمِ بِالإِذْعَــانِ

يعني: إن أبيتم سِلْمَنَا، وقُلْتُم: أنتم حربٌ علينا، ولا نكونُ معكم ولا في صفِّكم، فتحيَّزوا لمقالة التَّجْسِيم بالإذعان، وهي مقالةُ السَّلفِ وأهلِ السُّنَّة والجماعة.

٢١٣٧- عُودُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُــوا: دِينُنَــا الْــ إِثْبَــاتُ دِيــنِ مُشَــبِّهِ الــدَّيَّانِ

عودوا مُجَسِّمَة، وقولوا: دينُنا الإثبات، فمن كان مُثْبِتًا فهو عندهم مُجَسِّمٌ مُشَبِّهٌ؛ ولهذا قال: «دين مُشَبِّه الدَّيَّانِ».

٢١٣٨- أَوْ لَا فَــلَا مِنَّــا وَلَا مِــنْهُمْ وَذَا شَــأْنُ الْــمُنَافِقِ إِذْ لَــهُ وَجْهَــانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يعني: أو لا تتحيزَّوا إِلَى أهل التَّجْسِيم أو مقالة التَّجْسِيم.

قَوْلُهُ: «فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ» أي: مذبذبين بين ذلك، لا إِلَى هؤلاء ولا إِلَى هؤلاء.

قَوْلُهُ: «وَذَا شَأْنُ الْـمُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ» المنافقُ له وجهان: يلقى المؤمنين بوجهٍ ويقولُ: نحن معكم آمنَّا بالله، ويلقى الكافرين بوجهٍ فيقول: إنَّا معكم إنما نحن مستهزئون، فله وجهان -والعياذ بالله- نسألُ اللهَ أن يحمينا وإيَّاكم من ذلك.

٢١٣٩- هَــذَا يَقُــولُ مُجَسِّــمٌ وَخُصُــومُهُ   تَرْمِيــهِ بِالتَّعْطِيــلِ وَالكُفْــرَانِ

فهو تارةً يقول هَكَذَا، وتارةً يقول هَكَذَا.

٢١٤٠- هُــوَ قَــائِمٌ هُــوَ قَاعِــدٌ هُــوَ جَاحِــدٌ   هُــوَ مُثْبِــتٌ تَلْقَــاهُ ذَا أَلْــوَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ» قائمٌ مع القائمين، وقاعدٌ مع القاعدين.

قَوْلُهُ: «هُوَ جَاحِدٌ هُوَ مُثْبِتٌ» جاحدٌ مع الجاحدين، مُثْبِتٌ مع المثبتين، ليس له قاعدةٌ يستقيمُ عليها.

٢١٤١- يَوْمًــا بِتَأْوِيــلٍ يَقُــولُ وَتَــارَةً   يَسْــطُو عَــلَى التَّأْوِيــلِ بِــالنُّكْرَانِ

أحيانًا يُؤوِّلُ ويُحرِّفُ، وأحيانًا لا يؤوِّلُ ولا يحرِّفُ بل ينكرُ التأويلَ، وهَكَذَا هؤلاء مذبذبون؛ ولذلك لا تكادُ تجدُ أحدًا من أهل الكلام يثبتُ عَلَى قدمٍ راسخة، بل إنه ينقدُ نفسَه بنفسِه، فتجده في موضع من كلامه يقولُ: هَذَا واجبٌ لله، وفي موضعٍ آخر يقولُ: هَذَا ممتنعٌ عَلَى الله، وفي موضعٍ ثالثٍ يقولُ: هَذَا جائزٌ، هَذَا وَهُوَ واحد منهم بقطع النظر عن مجموعهم، لو نظرنا إِلَى مجموعهم لوجدنا بعضَهم يُكَذِّبُ بعضًا.

* * *

فصل

فِي المُطَالَبَةِ بِالفَرْقِ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لا يُتَأَوَّلُ

٢١٤٢- فَنَقُولُ: فَرْقٌ بَيْنَ مَا أَوَّلْتَهُ ... وَمَنَعْتَهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانِ

٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ ... وَلْنَاهُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

٢١٤٤- كَالإِسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا ... لَفْظُ النُّزُولِ كَذَاكَ لَفْظُ يَدَانِ

٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحْدَثٍ ... لَا يَنْبَغِي لِلْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

٢١٤٦- فَنَقُولُ: أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا ... يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحِدْثَانِ

٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالإِبْصَارِ مَعْ ... نَفْسِ الحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الأَكْوَانِ

٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ ... وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ وَهْوَ مَعَانِي

٢١٤٩- أَوْ وَاحِدٌ وَالجِسْمُ حَامِلُ هَذِهِ الْـ ... أَوْصَافِ حَقًّا فَأْتِ بِالْفُرْقَانِ

٢١٥٠- بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ ... لَا يَقْتَضِيهِ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

٢١٥١- وَاللهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكَ كُلُّهُمْ ... لَمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى الْفُرْقَانِ

الشرحُ

هَذَا الفصلُ يتحدَّى فيه هؤلاء الذين يُحرِّفون أو يؤوِّلون بعضَ النصوص ويتركون بعضًا، فيقول لهم: فَرِّقوا لَنَا بين ما يؤوَّلُ وبين ما لا يؤوَّلُ، أَمَّا أن تتحكَّموا فتقولوا: هَذَا يُؤوَّلُ وهذا لا يؤوَّلُ، فهذا غيرُ مُسَلَّمٍ لكم.

٢١٤٢- فَنَقُولُ: فَرْقٌ بَيْنَ مَا أَوَّلْتَهُ وَمَنَعْتَهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانِ

٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ وَلْنَاهُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ» أي: في الجواب.

«ما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيم أولناه» يعني: وما لا يُفْضِي لا نُؤَوِّلُه.

قَوْلُهُ: «مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ» أي: من خبرٍ عن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

«وَمِنْ قُرْآنِ» أي: من كلامِ الله -سبحانه وتعالى-.

٢١٤٤- كَالِاسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا لَفْظُ النُّزُولِ كَذَاكَ لَفْظُ يَدَانِ

قَوْلُهُ: «كَالِاسْتِوَاء» هَذَا مثالٌ لما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيم، «كالِاسْتِوَاء»، مع «التكلم» هَكَذَا لفظ «النزول»، كذلك لفظ «يدان» هَذِهِ أربعةُ أمثلة.

يقول: إذا أثبتنا (الِاسْتِوَاء) بمعناه الحقيقي كان ذلك مُفْضِيًا إِلَى التَّجْسِيم؛ لأنك إذا قلتَ: «اسْتَوَى كَذَا عَلَى كذا» لزم أن يكونَ الأوَّلُ جسمًا كما أنَّ الثاني جسمٌ، وهذا يُفضي إِلَى التَّجْسِيم.

كذلك (الكلام)، لو أثبتنا الكلامَ بحرفٍ وصوت لزم من ذلك التَّجْسِيمُ؛ لأنَّ الكلامَ بحرفٍ وصوت يحتاجُ إِلَى آلة: لسان، وشفتين، ومخارج حروف، وما أشبه ذلك، وهذا يقتضي أن يكونَ اللهُ جسمًا.

كذلك أيضًا (النزول)، يقولون: لا يكونُ النزولُ من شيء إِلَى شيء إِلَّا إذا كان هَذَا النازلُ جسمًا، فإذا أثبتَ نزولَ الله إِلَى السَّماء الدنيا مثلًا لزم أن تكونَ مُجَسِّمًا.

وكذلك **(اليدان)**، أثبتَ اللهُ لنفسه يَدَيْن، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤] وقال يخاطبُ إبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥] فيقولون: محالٌ أن يُثْبَتَ لله يدان حقيقيَّتان؛ لأنَّ ذلك يقتضي التَّجْسِيمَ.

وكُلُّ هَذِهِ مؤوَّلةٌ عندهم، فـ**(الِاسْتِوَاء)** يعني: الاستيلاء، و**(الكلام)** يعني: الكلامَ النفسيَّ أو كلامَ مخلوق عَلَى رأي المعتزلة، و**(النزول)** أي: نزولُ الأمر، فـ«يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، يعني: ينزلُ أمرُه إِلَى السَّماء الدنيا، أو تنزل رحمتُه، أو ينزلُ مَلَكٌ من ملائكته.

وسبحان الله العظيم! كَيْفَ يتجرَّؤون أن يقولوا هَذَا الكلامَ مع أنَّ الَّذِي نطق به محمدٌ رسولُ الله ﷺ، حيث قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِيْنَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**»[1] هل يمكنُ للأمر أن يقولَ: مَنْ يَدْعُوني فأستجيبَ له؟ فالذي يتصوَّر أنَّ الأمرَ يقولُ هَذَا الكلامَ وَهُوَ أمر، لا شكَّ أنَّ عقلَه ليس معه.

هل يمكنُ أن يقول المَلَكُ من ملائكة الله مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ من يستغفرُني فأغفرَ له؟ لو أنَّ مَلَكًا من الملائكة قَالَ هَذَا لادَّعى لنفسه أنه إلهٌ، وهذا مستحيلٌ أن تقولَ الملائكةُ وهم عبادُ الله المكرَمون ما يقتضي أن يكونوا آلهةً، لكن -والعياذ بالله- إذا صار للإنسان الهوى ضلَّ عن الهدى.

كذلك **(اليدان)**: يقولُ: المرادُ باليد: **(القوة)**، تقولُ العربُ: **(مَا لِـي بذلك يَدَان)** أي: ما لي به من قوة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

ولكن كَيْفَ نقولُ هَذَا واللهُ يقولُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] بيدَيَّ؟ لو كانت (اليدُ) هي القوة لم يكن هناك فرقٌ بين آدمَ وإبليسَ، فإنَّ إبليسَ خُلِقَ بقوة الله، ثُمَّ القوة لا يمكنُ أن تُثَنَّى، قوةُ الله وصفٌ عظيمٌ يُقَدَّرُ بالكَيْف لا بالكمِّ و(اليدان) مُقَدَّرةٌ بالكَمِّ، هل اللهُ عزَّ وجلَّ له قوتان؟! له قوةٌ مقدَّرةٌ بالكيفية لا يقهرُها شيءٌ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥].

وإبطالُ كلامِهم مَرَّ علينا كثيرًا، وواضحٌ جدًّا، لكن هم يقولون: هَذِهِ يمكنُ تأويلُها فنؤوِّلها.

٢١٤٥- إِذْ هَـذِهِ أَوْصَـافُ جِسْـمٍ مُحْـدَثٍ ... لَا يَنْبَغِـي لِلْوَاحِـدِ الْـمَنَّانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحْدَثٍ» يشيرُ إِلَى (الِاسْتِوَاء)، وإلى (الكلام)، وإلى (النزول)، وإلى (اليد).

قَوْلُهُ: «لَا يَنْبَغِي» أي: الجسمُ، للواحد المنان «لَا يَنْبَغِي» هنا بمعنى: لا يمكنُ، يعني: يستحيلُ، فنقولُ له مناقضين لكلامه: أنت وصفتَه أيضًا بما **يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْـحِدْثَانِ**؛ ولذا قال:

٢١٤٦- فَنَقُـولُ: أَنْـتَ وَصَـفْتَهُ أَيْضًـا بِـمَا ... يُفْضِـي إِلَى التَّجْسِـيمِ وَالْـحِدْثَانِ

٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالإِبْصَـارِ مَـعْ ... نَفْسِ الْـحَيَاةِ وَعِلْـمِ ذِي الأَكْـوَانِ

٢١٤٨- وَوَصَـفْتَهُ بِمَشِـيئَةٍ مَـعَ قُـدْرَةٍ ... وَكَلَامِـهِ النَّفْسِـيِّ وَهْـوَ مَعَانِـي

يعني: أنت وصفتَه بالسَّمع، والإبصار، والحَيَاة، والعلم، والمشيئة، والقدرة، وكلامِه النفسيِّ، فهذه سبعُ صفات.

وهذه هي الصِّفَاتُ التي يثبتُها الأشاعرةُ مُدَّعين أنَّ العقلَ دَلَّ عليها، لكن كَيْفَ دَلَّ عليها؟ يقولون: إنَّ التخصيصَ دلَّ عَلَى الإرادة، لكن كَيْفَ التخصيص دلَّ عَلَى الإرادة؟

يقولون: تخصيصُ المخلوقاتِ بحقائقها وذواتها وأعيانها وأوصافها دَلَّ عَلَى الإرادة، السَّماءُ لماذا كانت سماءً، الأرضُ لماذا كانت أرضًا؟ الَّذِي اقتضت ذلك هي الإرادة، أراد اللهُ أن تكونَ السَّماءُ سماءً فكانت، وأراد أن تكونَ الأرضُ أرضًا فكانت، وهلمَّ جرًّا.

«**الإحكام**» يعني: كون هَذِهِ المخلوقات مُحْكَمَةً متقنةً يدلُّ عَلَى العلم؛ لأنَّ الجاهلَ لا يأتي بالشيء مُحْكمًا، لو أراد إنسانٌ أن يصلحَ (مذياعًا) مثلًا، وَهُوَ لا يعرفُ الصنعةَ، فهل يمكنُ أن يصنع لَنَا (مذياعًا) محكمًا لا يمكن، إِذَنْ الإحكامُ دَلَّ عَلَى العلم.

الإيجاد: إيجادُ المخلوقاتِ دليلٌ عَلَى القدرة؛ لأنَّ العاجزَ لا يوجد.

هذه الصِّفَاتُ الثلاث يقولون: محالٌ أن تقومَ إِلَّا بحيٍّ، فحياةُ الله عزَّ وجلَّ استدلُّوا عليها بالملازمة، أنه من لازم اتصافه بِهَذِهِ الصِّفَات الثلاث أن يكون حيًّا.

أثبتنا الآن أربعَ صفات.

والحيُّ إِمَّا أن يكونَ سميعًا بصيرًا متكلمًا أو أصمَّ أعمى أخرس، والأَوْصَافُ الثلاثةُ الأخيرة نقصٌ، والله مُنَزَّهٌ عن النقص، فوجب له ثبوتُ السَّمع والبصر والكلام، ومع ذلك يقولُ ابنُ القيِّم -رحمه الله-: (**كلامه النفسي وهو معاني أو واحد**» يعني: الأشاعرة أيضًا ليتهم يُثبتون الكلامَ عَلَى ما يُثبتُه أهلُ السُّنَّة، يقولون: إنَّ كلامَ الله هُوَ المعنى القائم بالنفس وَهُوَ أَزَلِـيٌّ، وَهُوَ واحدٌ أو متعدد؟

فبعضهم يقول: إنه واحدٌ، فيجعلون قولَه تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة:٧٢] هي ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٣٣].

يقولون: قولُه تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام:٧٢] هي ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣] شيءٌ واحد، الإنجيلُ والتوراةُ والْقُرْآنُ شيءٌ واحد.

وبعضهمُ يقولُ: لا، ليس شيئًا واحدًا، بل هُوَ متعددٌ: خبرٌ، واستخبارٌ، وأمرٌ، ونهيٌ، أربعةُ أشياء.

وهؤلاء أهونُ من الأوَّلين، وأقربُ إِلَى المعقول، وكُلُّهم مخالفون للمعقول، فكلامُ الله ليس هُوَ المعنى النفسيَّ، بل هُوَ ما سمعه جبريلُ -عليه السلام- وأدَّاه إِلَى محمد ﷺ وما يتكلَّم اللهُ به في الأمور الكونيَّة التي لا منتهى لها.

٢١٤٩- أَوْ وَاحِدٌ وَالـجِسْمُ حَامِلُ هَذِهِ الْـ أَوْصَـافِ حَقًّـا فَـأْتِ بِالْفُرْقَـانِ

٢١٥٠- بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

يقولون: السَّمعُ لا نعقلُه إِلَّا في الأجسام، والبصرُ لا نعقلُه إِلَّا في الأجسام، الإرادةُ والقدرةُ كُلُّها في الأجسام، فأنت الآن أثبتَّ أوصافًا لا تقومُ إِلَّا بأجسام، وقلتَ: إِنَّ هَذِهِ الأَوْصَافَ حقيقةٌ، وأما (الإِسْتِوَاءُ) و(النزولُ) و(الكلامُ) و(اليدُ) فهي غيرُ حقيقة؛ لأنَّ هَذِهِ الأربعةَ لا تقومُ إِلَّا بجسمٍ، وأثبتَّ سبعةَ أوصافٍ لا تقومُ إِلَّا بجسمٍ، فهذا لا شكَّ أنه تناقضٌ؛ ولهذا قال: (فأتِ بِالْفُرْقَانِ بين الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أو لا يَقْتَضِيهِ).

ثُمَّ أَقْسَمَ -رحمه الله- فقال:

٢١٥١- وَاللهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكَ كُلُّهُمْ لَـمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى الْفُرْقَانِ

وحينئذٍ يكونون متناقضين متحكِّمين، هَذِهِ صفةٌ لا تقتضي التَّجْسِيمَ فنثبتُها، وهَذِهِ صفةٌ تقتضي التَّجْسِيمَ فلا نثبتُها.

ثُمَّ يجبُ أن نعلمَ أنَّ كلمة (الجسم) لها في اللغة العربية معانٍ متعددة، ولم يَرِدْ وصفُ الله بها لا نفيًا ولا إثباتًا، فليس في الْقُرْآن ولا في السُّنَّةِ أنَّ اللهَ قَالَ عن نفسه: إنه جسمٌ، ولا نفى عن نفسِه أنه جسمٌ، فما الَّذِي يلزمُنا؟

الجَوَابُ: يلزمُنا أن نتوقَّفَ بالنسبة للفظ، فلا نقولُ: إنَّ اللهَ جسمٌ، ولا إنَّ اللهَ ليس بجسمٍ، نحن في عافيةٍ من هذا، لكن مِن حيث المعنى نحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- له ذاتٌ متصفةٌ بالصِّفَات، هَذِهِ الصفةُ موصوفةٌ بالوجه، بالعين، باليد، بالقدم، بالسَّاق، بالنزول، بالِاسْتِوَاء، بالمجيء، بالإتيان، نؤمنُ بهذا، لكن لا نطلقُ جسمًا من باب التأدُّب مع الكتاب والسُّنَّة؛ لأنه لم يأتِ في الكتاب والسُّنَّة أنَّ اللهَ جسمٌ، فمن باب التأدُّب مع الله ألا نقولَ: جسمٌ، لكننا نُثبتُ صفاتٍ ثابتةً لله حقيقةً قائمةً به، ونُثبتُ أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- شيءٌ مُتَّحِدٌ بنفسه، مستقلٌ بنفسِه، بائنٌ مِن خلقِه كما قَالَ السَّلفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* * *

فصـــل

فِي ذِكْرِ فَرْقٍ لَهُمْ آخَرَ، وَبَيَانِ بُطْلَانِهِ

٢١٥٢- فَلِـذَاكَ قَـالَ زَعِـيمُهُمْ فِي نَفْسِـهِ ... فَرْقًـا سِـوَى هَـذَا الَّـذِي تَرَيَـانِ:

٢١٥٣- هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّـتْ عَـلَى ... إِثْبَاتِهَـا مَـعَ ظَـاهِرِ الْقُـرْآنِ

٢١٥٤- فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَـنِ التَّأْوِيـلِ فَاعْـ ... ـجَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

٢١٥٥- كَيْفَ اعْتِرَافُ القَوْمِ أَنَّ عُقُولَـهُمْ ... دَلَّـتْ عَـلَى التَّجْسِـيمِ بِالْبُرْهَـانِ؟

٢١٥٦- فَيُقَالُ: هَلْ فِي العَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمِ الْـ ... ـمَعْقُولُ يَنْفِيـهِ كَـذَا النُّقْصَـانِ؟

٢١٥٧- إِنْ قُلْـتُمُ: نَنْفِيـهِ فَـانْفُوا هَـذِهِ الْـ ... أَوْصَـافَ وَانْسَـلِخُوا مِـنَ الْقُـرْآنِ

٢١٥٨- أَوْ قُلْـتُمُ: نَقْضِـي بِإِثْبَـاتٍ لَـهُ ... فَفِـرَارُكُمْ مِنْهَـا لِأَيِّ مَعَانِـي؟

٢١٥٩- أَوْ قُلْـتُمُ: نَنْفِيـهِ فِي وَصْـفٍ وَلَا ... نَنْفِيـهِ فِي وَصْـفٍ بِـلَا بُرْهَـانِ

٢١٦٠- فَيُقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْـنَهُمَا وَمَـا الْـ ... ـبُرْهَانُ؟ فَـأْتُوا الآنَ بِالْفُرْقَـانِ

الشـــرحُ

هذا الفصلُ عقده المؤلفُ -رحمه الله- لبيان شُبهةٍ أخرى للمعطِّلة، لكن ما هَذِهِ الشُّبهةُ؟ يقول:

٢١٥٢- فَلِـذَاكَ قَـالَ زَعِـيمُهُمْ فِي نَفْسِـهِ ... فَرْقًـا سِـوَى هَـذَا الَّـذِي تَرَيَـانِ:

في الفصلِ السَّابق زعموا أنَّ بعضَ الصِّفَات يستلزمُ التَّجْسِيمَ فنفوه، وبعضَها لا يستلزمُ التَّجْسِيمَ فأثبتوه.

هذا الفصلُ جاؤوا بدليلٍ آخر، فقالوا: ما أثبتناه دَلَّ عليه العقلُ، وما نفيناه لم يدلَّ عليه العقلُ، فجعلوا عمدتَهم في إثبات الصِّفَات أو نفيها عن الله العقلَ.

قَوْلُهُ: «تَرَيَان» يتخيَّلُ المؤلفُ في مثل هَذِهِ العبارة أنه يخاطبُ خَلِيلَيْن له كما تجدون في القصائد الجاهلية، يقول الشاعر: (خَلِيلَـيَّ)[1] ويخاطبُ خَلِيلَيْه.

٢١٥٣- هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّـتْ عَـلَى ... إِثْبَاتِهَـا مَـعَ ظَـاهِرِ الْقُـرْآنِ

يعني: فاجتمع في الدلالة عليها العقلُ والسَّمعُ.

٢١٥٤- فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ ....

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ» يعني: لـمَّا كانت العقولُ تدلُّ عليها وظاهرُ الْقُرْآنِ يدلُّ عليها، صُنَّاها عن التأويل، مع أنها عَلَى طريقتهم الأولى تقتضي التَّجْسِيمَ، وهذا عَلَى المعنى الأول في الفصل السَّابق، وهذا قَالَ المؤلف:

٢١٥٤- .... فَاعْـ ... ـجَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

٢١٥٥- كَيْفَ اعْتِرَافُ الْقَوْمِ أَنَّ عُقُولَـهُمْ ... دَلَّـتْ عَـلَى التَّجْسِـيمِ بِالْبُرْهَـانِ؟

وهذا صحيحٌ، محلُّ عجب، أنتم تقولون: إننا نمنعُ الصِّفَات؛ لأنها تقتضي التَّجْسِيمَ، ثُمَّ الآن تقولون: نُثبِتُ الصِّفَات التي دلَّ عليها العقلُ وإن اقتضت التَّجْسِيمَ.

---

(١) يعني قول امرئ القيس:

خليليّ مَا فى اليوم مَصْحًى لشارب ... وَلَا فِي غد إِذْ كان مَا كان مشرب

٢١٥٦- فيُقَالُ: هَلْ فِي العَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمِ الْـ ـمَعْقُولُ يَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ؟

٢١٥٧- إِنْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فَانْفُوا هَذِهِ الْـ أَوْصَافَ وَانْسَلِخُوا مِنَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ قُلْتُمُ نَنْفِيهِ» يعني: إن قُلْتم: ننفي النقصانَ وننفي التَّجْسِيمَ.

«فَانْفُوا هَذِهِ الأَوْصَاف» يعني: الأَوْصَاف التي أثبتوها، وزعموا أَنَّ العقلَ دَلَّ عليها مع ظاهرِ الْقُرْآن.

وَقَوْلُهُ: «فَانْفُوا هَذِهِ الأَوْصَافَ وَانْسَلِخُوا مِنَ الْقُرْآنِ» هَذَا هُوَ الاحتمالُ الأَوَّلُ.

٢١٥٨- أَوْ قُلْتُمُ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ فَفِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانِي؟

قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتُمُ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ» هَذَا الاحتمال الثاني.

يعني: قُلْتُم: نقضي بإثبات التَّجْسِيم ففراركم من هَذِهِ الصِّفَات التي نفيتموها لأيِّ معنى نفيتموها ما دمتم قضيتم بالتَّجْسِيم؟

٢١٥٩- أَوْ قُلْتُمُ: نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ وَلَا نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِلَا بُرْهَانِ

وهذا هُوَ الثالث، وهذا هُوَ الَّذِي يقولون، يقولون: ننفي التَّجْسِيمَ في وصفٍ، ولا ننفيه في وصف، ففي الصِّفَاتِ التي نُثبتُها وإن كانت تقتضي التَّجْسِيمَ فإننا نثبتُها، وفي الصِّفَات التي ننفيها فإننا ننفي التَّجْسِيمَ.

فصارت الآن الاحتمالاتُ ثلاثةً:

- إمَّا أن يثبتوا التَّجْسِيمَ في الصِّفَات كُلِّها، ويلتزموا بإثبات الصِّفَات.
- وإما أن ينفوا التَّجْسِيمَ، ويلتزموا بنفي الصِّفَات كُلِّها.

- وإما أن يقولوا: ننفي التَّجْسِيمَ في صفاتٍ ولا ننفيه في صفات، ففي الصِّفَات التي أثبتناها لا ننفي التَّجْسِيمَ، وفي الصِّفَات التي نفيناها ننفي التَّجْسِيمَ.

فيقول المؤلف -رحمه الله-:

٢١٦٠- فَيُقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا الْـ ـــبُرْهَانُ؟ فَأْتُوا الآنَ بِالْفُرْقَانِ

والجَوَابُ: أنهم لن يأتوا بِالْفُرْقَانِ بين ما أثبتوه وما نفوه، فما الَّذِي يُفَرِّقُ بينهما؟ لا فرق، فإمَّا أن يُثبتوا التَّجْسِيمَ بناءً عَلَى ثبوت الصِّفَات التي أثبتوها ويطَّردوا ذلك في جميع الصِّفَات، وإمَّا أن ينفوا التَّجْسِيمَ ويطردوه أيضًا في جميع الصِّفَات، فينفوا ما أثبتوه.

ولكن مع الأسف أنهم يتناقضون، فيقولون: هَذِهِ الصفةُ تقتضي التَّجْسِيمَ فيجبُ نفيُها، وهذه الصفةُ لا تقتضي التَّجْسِيمَ فيجبُ إثباتُها.

* * *

٢١٦١- وَيُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ

٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وتَابِعِي الْقُرْآنِ

٢١٦٣- وَلِذَاكَ خُصُّوا بِالْكَرَامَةِ دُونَ أَعْـ ـــدَاءِ الإِلَهِ وَشِيعَةِ الكُفْرَانِ

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْـ ـضٍ مِنْهُ مَعْ مَقْتٍ لِذِي الْعِصْيَانِ

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ مَعْ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ

٢١٦٦- وَيُقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ العَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهْيَ فِي الْفُرْقَانِ

٢١٦٧- أَفَنَفْيُ آحَادِ الدَّلِيل يَكُونُ لِلْـ ـمَدْلُولِ نَفْيًا يَا أُولِي العِرْفَانِ؟!

٢١٦٨- أَوْ نَفْيُ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَا الْـ ـمَدْلُولِ فِي عَقْلٍ وَفِي قُرْآنِ

٢١٦٩- أَفَبَعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيُحَكِّمُ سِوَى مَحْضِ العِنَادِ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ؟

٢١٧٠- وَتَحَيُّزٍ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْـ ـقُرْآنِ وَالآثَارِ وَالإِيمَانِ

الشرحُ

٢١٦١- وَيُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ

٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وتَابِعِي الْقُرْآنِ

٢١٦٣- وَلِذَاكَ خُصُّوا بِالْكَرَامَةِ دُونَ أَعْـ ـدَاءِ الإِلَهِ وَشِيعَةِ الكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «يُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ» بأنه أي: بأنَّ اللهَ ذو حكمةٍ، فأراد أن يُثبتَ حكمةَ الله بالدَّليل العقليِّ.

نحن نَشهدُ ما في المخلوقات من الحِكَمِ العظيمة والغايات الحميدة، ونشهدُ كذلك ما في المشروعات التي شرعها اللهُ من الحِكَمِ العظيمة والغايات الحميدة، وهذا يدلُّنا عَلَى ثبوت الحكمة لله مع أنهم يُنكرون الحكمةَ.

كذلك أيضًا شهد العيان بأنه ذو عنايةٍ وحنان، أي: ذو عنايةٍ بخلقه، وحنانٍ عليهم، وذلك بما يجلبُ لهم من الخير والمنفعة، ويدفعُ عنهم من الشرِّ والمضرَّة، وهذا يدلُّ عَلَى عنايتِه -سبحانه وتعالى- وحنانِه.

قَوْلُهُ: «مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ» الشَّاهدُ يدلُّنا عَلَى رأفة الله، وذلك بما نشاهدُه من ألطافه في مواضعِ الشدة، فإنَّ هَذَا يدلُّ عَلَى رأفتِهِ -سبحانه وتعالى-.

قَوْلُهُ: «وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ» من أين نعرف أنه يحبُّ العبادَ أهلَ الوفاء؟ الجواب: بإثابتهم، وتيسيرِ أمورِهم، ونصرِهم عَلَى أعدائهم، وغيرِ ذلك.

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْـ ـضٍ مِنْهُ مَعْ مَقْتٍ لِذِي الْعِصْيَانِ

يعني: أيضًا نستدلُّ عَلَى غضبِ الإله، وبغضِه، ومَقْتِهِ بعقوبة أهل العصيان، فإنَّ العقوبةَ دليلٌ عَلَى الغضب وعلى بُغْضِ العملِ الَّذِي أوجبَ العقوبةَ والانتقامَ.

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ مَعْ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ» يشيرُ إِلَى ما ذكره من الحكمة، والعناية، والرأفة، والمحبَّة، والغضب، والبغض، والمقت وَهُوَ أشدُّ البغض.

قَوْلُهُ: «الصِّفَات السَّبْع» أي: الصِّفَات السَّبع التي أثبتها الأشاعرةُ، وهي: الحَيَاة، والعلم، والقدرة والسَّمع، والبصر، والإرادة، والكلام، وهذه لا شكَّ أنها ثابتةٌ لله، فقد جَاءَ بها السَّمعُ، وكذلك الحكمةُ، والمحبَّةُ، والرأفةُ، والغضبُ كُلُّها جَاءَ بها السَّمعُ أيضًا.

٢١٦٦- وَيُقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ العَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهْيَ فِي الْفُرْقَانِ

يعني: لو سَلَّمْنَا أنَّ العقلَ لا يدلُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَات فهي في الْفُرْقَان، يعني: في الْقُرْآن، يعني: فقد دَلَّ عليها الْقُرْآنُ.

٢١٦٧- أَفَنَفْيُ آحَادِ الدَّلِيل يَكُونُ لِلْـ ـمَدْلُولِ نَفْيًا يَا أُولِي العِرْفَانِ؟!

يستفهمُ استفهامَ إنكارٍ، يقولُ: هل إذا انتفى الدَّلِيلُ أو الواحد من الأدلة هل يقتضي أن ينتفيَ المدلولُ؟ الجواب: لا، إذا انتفى دليلٌ واحدٌ، فإنه يجوزُ أن يَثْبُتَ المدلولُ بدليلٍ آخرَ، فانتفاءُ الدَّلِيلِ المعيَّنِ لا يقتضي انتفاءَ المدلول.

قَوْلُهُ: «يَا أُولِـي العِرْفَانِ» هَذَا من باب التهكُّم بهم، يعني: أين معرفتُكم؟ فإنَّ انتفاءَ الدَّلِيلِ الواحدِ لا يدلُّ عَلَى انتفاءِ المدلول.

٢١٦٨- أَوْ نَفْيُ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَـلَى انْتِفَـا الْـ ـــمَدْلُولِ فِي عَقْـلٍ وَفِي قُـرْآنِ

يعني أيضًا انتفاء مطلقِ الدَّلِيل لا يدلُّ عَلَى أنَّ المدلولَ لا يَثْبُتُ، فقد يثبتُ بغير دليلٍ معلومٍ لنا؛ فلهذا متى وُجِدَ الشيءُ وثَبَتَ فإنَّنا لا نحتاجُ إِلَى طلب دليلِهِ ما دام واقعًا.

٢١٦٩- أَفَبَعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيْحَكُمُ سِـوَى مَحْضِ العِنَـادِ وَنَخْـوَةِ الشَّـيْطَانِ؟

يعني: ليس بعد هَذَا الإِنْصَافِ معكم إِلَّا العنادُ، أي: أنهم يعاندون، ويَنْتَخُون بِنَخْوَة الشَّيطان، ويعتزُّون به.

٢١٧٠- وَتَـحَيُّزٍ مِـنْكُمْ إِلَـيْهِمْ لَا إِلَى الْـ ـــقُرْآنِ وَالآثَـارِ وَالإِيـمَانِ

يعني: يتحيَّزون إِلَى شيوخِهم، ويَدَعُون الْقُرْآنَ والآثارَ والإيمانَ.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ مُخَالَفَةِ طَرِيقِهِمْ لِطَرِيقِ أَهْلِ الاسْتِقَامَةِ عَقْلاً وَنَقْلاً

٢١٧١- وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيـ ... ـقِ الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٢١٧٢- جَعَلُوا كَلَامَ شُيُوخِهِمْ نَصًّا لَهُ الْـ ... إِحْكَامُ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ

٢١٧٣- وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ ... مُتَشَابِهًا مُتَحَمِّلًا لِمَعَانِ

٢١٧٤- فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ أَوْ ... لَادٌ أَتَتْ لِلْغَيِّ وَالْبُهْتَانِ

٢١٧٥- إِذْ مِنْ سِفَاحٍ لَا نِكَاحٍ كَوْنُهَا ... بِئْسَ الْوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الْأَبَوَانِ

٢١٧٦- عَرَضُوا النُّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شُيُوخِهِمْ ... فَكَأَنَّهَا جَيْشٌ لِذِي سُلْطَانِ

٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّـ ... ـلْطَانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ

٢١٧٨- وَكَذَاكَ أَقْوَالُ الشُّيُوخِ فَإِنَّهَا الْـ ... ـمِيزَانُ دُونَ النَّصِّ وَالْقُرْآنِ

٢١٧٩- إِنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيُوخِ فَمَرْحَبًا ... أَوْ خَالَفَتْ فَالدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ

٢١٨٠- إِمَّا بِتَأْوِيلٍ فَإِنْ أَعْيَا فَتَفْـ ... ـوِيضٌ وَنَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانِ

٢١٨١- إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ ... فَظَوَاهِرُ الْمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَانِ

٢١٨٢- وَالنَّصُّ فَهْوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونَنَا ... وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةُ الْعُمْيَانِ

٢١٨٣- إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ ... حَتَّى يَقُودَهُمُ كَذِي الْأَرْسَانِ

٢١٨٤- فَاعْجَبْ لِعُمْيَانِ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا ... كَوْنَ الْـمُقَلِّدِ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ

٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا ... هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرٍ وَلَا بُرْهَانِ

٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا ... مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْـحِرْمَانِ!

٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أَتَمُّ تِبْيَانًا مِنَ الْـ ... ـوَحْيَيْنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

٢١٨٨- النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ ... ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ ... يَكُ قَوْلَ مَعْصُومٍ وَذِي تِبْيَانِ

٢١٩٠- أَفَيَسْتَوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النُّهَى؟! ... وَاللهِ لَا يَتَمَاثَلُ النَّقْلَانِ

٢١٩١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا ... فِي اللهِ، نَحْنُ لِأَجْلِهِ خَصْمَانِ

٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ ... لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجَبَ الْقُرْآنِ

٢١٩٣- وَلَنَا سُلُوكٌ ضِدَّ مَسْلَكِهِمْ فَمَا ... رَجُلَانِ مِنَّا قَطُّ يَلْتَقِيَانِ

٢١٩٤- إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ ... دَانُوا مِنَ الْآرَاءِ وَالْبُهْتَانِ

٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا ... يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ

٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا ... هُ اللهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ

٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا ... هُ اللهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ

٢١٩٨- مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ ... بُ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْـحِرْمَانِ

٢١٩٩- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هَدَا ... هُ اللهُ سُبْلَ الْـحَقِّ وَالْإِيمَانِ

٢٢٠٠- إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعْ ... تِلْكَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةِ الْحَيَوَانِ

٢٢٠١- أَوْسَاخِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ أَنْتَانِهِ، ... جِيَفِ الْوُجُودِ، وَأَخْبَثِ الْأَنْتَانِ

٢٢٠٢- الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْـ ... ـكُفْرَانِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

٢٢٠٣- الشَّاتِمِي أَهْلِ الْحَدِيثِ عَدَاوَةً ... لِلسُّنَّةِ الْعُلْيَا مَعَ الْقُرْآنِ

٢٢٠٤- جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ، ... فَاللهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الْأَذْقَانِ

٢٢٠٥- كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا ... وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ

٢٢٠٦- لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ ... كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ

٢٢٠٧- لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ ... عَنْ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

٢٢٠٨- مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَّرُوا ... بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِلَا إِحْسَانِ

٢٢٠٩- وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا، ... فَأُتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ

٢٢١٠- وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرُونَا بِالَّذِي ... هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

الشرحُ

٢١٧١- وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيـ ... ـقِ الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

٢١٧٢- جَعَلُوا كَلَامَ شُيُوخِهِمْ نَصًّا لَهُ الْـ ... إِحْكَامُ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ

٢١٧٣- وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ ... مُتَشَابِهًا مُتَحَمِّلًا لِمَعَانِ

٢١٧٤- فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ أَوْ ... لَادٌ أَتَتْ لِلْغَيِّ وَالْبُهْتَانِ

٢١٧٥- إِذْ مِـنْ سِـفَاحٍ لَا نِكَـاحٍ كَوْنُهَـا بِـئْسَ الْوَلِيـدُ وَبِئْسَـتِ الْأَبَـوَانِ

٢١٧٦- عَرَضُوا النُّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شُيُوخِهِمْ فَكَأَنَّهَـا جَـيْشٌ لِـذِي سُـلْطَانِ

٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّـ ـلْطَانِ دُونَ رَعِيَّـةِ السُّـلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ»؛ المراد بالسلطان هنا هو كلامُ الشيوخ.

قَوْلُهُ: «دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ» وهي نصوصُ الكِتابِ والسُّنَّة.

٢١٧٨- وَكَذَاكَ أَقْـوَالُ الشُّـيُوخِ فَإِنَّهَـا الْـ ـمِيزَانُ دُونَ الـنَّصِّ وَالْقُـرْآنِ

هذا وجهُ الشَّبَه.

٢١٧٩- إِنْ وَافَقَـا قَـوْلَ الشُّـيُوخِ فَمَرْحَبًـا أَوْ خَالَفَـتْ فَالـدَّفْعُ بِالْإِحْسَـانِ

إن وافقتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ قولَ الشيوخ فمرحبًا بها، فمثلًا الكتابُ والسُّنَّةُ دَلَّا على وصفِ الله بالسَّمع، فماذا قال هؤلاء؟ قالوا: مرحبًا، لله سمعٌ؛ لأنه وافقَ كلامَ الشيوخ.

لكن لما دلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ على أنَّ لله تعالى رحمةً، قالوا: لا مرحبًا؛ لأنَّ كلامَ الشيوخِ يقولُ: ليس لله رحمةٌ، والرحمةُ هي الإحسانُ أو إرادةُ الإحسان، وأمَّا رحمةٌ سوى ذلك فلا.

قَوْلُهُ: «أَوْ خَالَفَتْ فَالدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ» الدفعُ ينقسم عندهم إلى قسمين: «إِمَّا بِتَأْوِيلٍ»، فَإِنْ أعيا «فَتَفْوِيضٌ»؛ ولذا قال -رحمه الله-:

٢١٨٠- إِمَّـا بِتَأْوِيـلٍ فَـإِنْ أَعْيَـا فَتَفْـ ـوِيضٌ وَنَتْرُكُهَـا لِقَـوْلِ فُـلَانِ

إِذَنْ دفعُهم للنصوص إِمَّا بتأويلٍ، فإن عجزوا فتفويضٌ، ولكنَّ ابنَ القيِّم - رحمه الله- اقتصر على بعض الطُّرُق.

فالطرق عندهم:

أَوَّلًا: رَدُّ النصوصِ؛ وهذا قبلَ كُلِّ شيء؛ لأنهم إذا رَدُّوها ما بَقِيَ كلامٌ في معناها؛ ولهذا قالوا: إنه لا يُحْتَجُّ بالآحادِ في مسائل العقيدة، فإذا لم يمكنْ رَدُّها بأن تكونَ من القرآن أو من السُّنَّةِ المتواترة لجؤُوا إلى التأويل، فإذا لم يمكنْ رجعوا إلى التفويض، وقالوا: اللهُ أعلمُ بمراده بها.

٢١٨١- إِذْ قَوْلُــهُ نَــصٌّ لَــدَيْنَا مُحْكَــمٌ فَظَــوَاهِرُ الْــمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَــانِ

هذا هو السَّببُ في أنهم يَرجِعون إلى قول شيوخِهم؛ لأنه نصٌّ لديهم، أمَّا المنقولُ -وهو الكتابُ والسُّنَّةُ- فظواهرُ تحتملُ معانيَ متعددةً.

٢١٨٢- وَالــنَّصُّ فَهْــوُ بِــهِ عَلِــيمٌ دُونَنَــا وَبِحَالِــهِ مَــا حِيلَــةُ الْعُمْيَــانِ

٢١٨٣- إِلَّا تَمَسُّــكُهُمْ بِأَيْــدِي مُبْصِــرٍ حَتَّــى يَقُــودَهُمُ كَــذِي الْأَرْسَــانِ

يقولون: إِنَّ الشيخَ أعلمُ بالنَّصِّ منَّا وأعلمُ بحاله، وما حيلتُنا ونحن بالنسبة للشيوخ عُميان؟

قَوْلُهُ: «**مَا حِيلَةُ الْعُمْيَانِ إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمُ**» وهذا صحيحٌ، فالأعمى ليس له حيلةٌ إِلَّا أن يمسكَ يدَ مُبْصرٍ حتَّى يقودَه كذي الأرسان.

قَوْلُهُ: «**كَذِي الْأَرْسَانِ**» ذو الأرسان هو: البعير، والخيل، والحمير، والبغال، فكُلُّها تُقَادُ بالأرسان، فيقولون: نحن مقلِّدةٌ، ما لنا حيلةٌ إِلَّا التمسُّك بأقوال شيوخِنا.

شبَّههم ابنُ القيِّم بذوات الأرسان، والأرسان جمع (رَسَن)، وهو مِقْوَدُ البهيمة[١].

٢١٨٤- فَاعْجَبْ لِعُمْيَانِ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا كَوْنَ الْـمُقَلَّدِ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ

٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرٍ وَلَا بُرْهَانِ

صحيح، اعجب! كيف عرفوا أنَّ مقلَّدَهم هو صاحبُ البرهان، ولم يعرفوا أنَّ محمدًا ﷺ هو صاحبُ البرهان؟!

فإذا جاءهم حديثٌ عن رسول الله ﷺ فليس برهانًا؛ لأنه يَحْتَمِلُ، وإذا جاءت أقوالُ شيوخِهم فهي البرهان!!

٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْحِرْمَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَمُوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا» وهذا من عقوبة الله -سبحانه وتعالى- لمن تعصَّب لهواه، وتركَ الكتابَ والسُّنَّة؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]؛ ولهذا يجبُ عليك الحذرُ إذا مَرَّ بك الدليل ألَّا تحاولَ معارضَته، بل قل: سمعنا وأطعنا؛ لأنك لو حاولتَ معارضَته فإنه ربُّما تُحْرَم الهدايةَ في المستقبل.

٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أَتَمُّ تِبْيَانًا مِنَ الْـ ـوَحْيَيْنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ الشُّيُوخِ أَتَمُّ تِبْيَانًا مِنَ الْوَحْيَيْنِ» وذلك عند هؤلاء، قال ابنُ القيِّم: «لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ» يعني: ليست أقوالُ الشيوخِ أتمَّ بيانًا من الوحيَيْن.

---

(١) الرَّسَنُ: الحبل والرَّسَنُ ما كان من الأَزِمَّة على الأَنف والجمع أَرْسانٌ وأَرْسُنٌ. انظر: لسان العرب (١٣/ ١٨٠)

٢١٨٨- النَّقْـلُ نَقْـلٌ صَـادِقٌ وَالْقَـوْلُ مِـنْ ذِي عِصْــمَةٍ فِي غَايَــةِ التِّبْيَــانِ

قَوْلُهُ: «النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ» يعني: عن رسولِ الله -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ» يعني: مِن الرسول ﷺ المعصوم، بخلافِ شيوخِهم.

٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّـا كَـاذِبٌ أَوْ صَـحَّ لَـمْ يَـكُ قَـوْلَ مَعْصُـومٍ وَذِي تِبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ» أي: سوى قولِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- إمَّا كاذبٌ، يعني: أنَّه منقولٌ عن القائل كذبًا، وإمَّا صحيحٌ لكنَّه ليس قولَ معصوم، فليس معصومًا من الخطأ.

٢١٩٠- أَفَيَسْتَوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النُّهَى؟! وَاللهِ لَا يَتَمَاثَــــلُ الـــنَّقْلَانِ

٢١٩١- هَــذَا الَّـذِي أَلْقَـى الْعَـدَاوَةَ بَيْنَنَـا فِي اللهِ، نَحْـنُ لِأَجْلِـهِ خَصْـمَانِ

وفي هذا دليلٌ على أنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- يَدِينُ اللهَ عزَّ وجلَّ بعداوةِ أهل البدع، وهو حقٌّ، فيجبُ على الإنسان أن يُبْغِضَ أهلَ البدع ويعاديَهم بحسب ما معهم من البدعة، خلافًا لمن قال: إنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ أمةٌ واحدةٌ، فيجبُ أن يكونَ بينها مودةٌ ومحبَّةٌ؛ حتَّى مع البِدَع المكفِّرة تجبُ المحبَّة.

ولكن هذا خطأٌ، بل يجبُ علينا أن نُبْغِضَ المبتدِعَ على بدعته، ولكن إذا كان فيه خيرٌ -يعني: بدعةً وسُنَّةً، وهدًى وضلالةً- فالعدلُ أن نحبَّه على ما معه من الـهُدى والسُّنَّة، ونبغضَه على ما معه من البدعة والضلالة.

٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِـمْ لَكِـنْ نَصَــرْنَا مُوجَـبَ الْقُـرْآنِ

٢١٩٣- وَلَنَا سُلُوكٌ ضِدَّ مَسْلَكِهِمْ فَمَا رَجُلَانِ مِنَّا قَطُّ يَلْتَقِيَانِ

وكُلُّ هذا واضحٌ.

٢١٩٤- إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ دَانُوا مِنَ الْآرَاءِ وَالْبُهْتَانِ

يعني: أَبَيْنَا أن نَدِينَ لله ونعملَ له ونعبدَه بما دانوا به من الآراء والبهتان.

٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «**إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا**» يعني: عزلنا الآراءَ التي دانوا بها، ولم نعبأ بها، بل «**يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ**».

٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا هُ اللهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ

بدأ -رحمه الله- يدعو عليه، قال: «**مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ، فَلَا كَفَاهُ اللهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ**» يعني: بل أصابه بها.

٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا هُ اللهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ

الذي لا يشفيه القرآنُ والسُّنَّة فاللهُ لا يشفي قلبَه ولا بدنَه.

ولكنَّا قد لا نوافقُ ابنَ القيِّم -رحمه الله تعالى- على هذا، قد نقولُ: مَن لم يَشْفِهِ هذان إذا عانَد، وإلا فإننا نسألُ اللهَ أن يشفيَه من عِلَّته، لا سيَّما شفاءُ القلب فهو المهِمُّ، أمَّا شفاءُ المرض فأمرُه سهلٌ، يعني: هل لنا إذا رأينا شخصًا مبتَدِعًا عرضنا عليه الكتابَ والسُّنَّةَ، ولكنَّه أبى إلَّا أن يبقى على بدعَتِه، هل نقولُ له: لا شفاكَ الله من مرضِ قلبك؟ ابنُ القيِّم -رحمه الله- يقول: لا شفاه اللهُ، ولكنِّي أرى أن نقولَ: نسألُ اللهَ لك الهدايةَ.

ولكنَّ ابنَ القيِّم نظرًا لما حصل منهم مِن أذيَّةٍ على أهل السُّنَّة رأى أنهم ظالمون، وأنه يجوزُ للمظلوم أن يدعوَ على ظالمه.

٢١٩٨- مَنْ لَـمْ يَكُنْ يُغْنِيـهِ ذَانِ رَمَـاهُ رَبْ ... بُ الْعَرْشِ بِالْإِعْـدَامِ وَالْـحِرْمَانِ

إذا كان لا يُغنيه الكتابُ والسُّنَّةُ، فإنَّ اللهَ يرميه بالإعدام والحرمان.

٢١٩٩- مَنْ لَـمْ يَكُنْ يَهْدِيـهِ ذَانِ فَـلَا هَـدَا ... هُ اللهُ سُـــبْلَ الْـــحَقِّ وَالْإِيـــمَانِ

فكُلُّ شيء أتى -رحمه الله- بضدِّه.

٢٢٠٠- إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَـارِ وَلَـيْسَ مَـعْ ... تِلْـكَ الْأَرَاذِلِ سِـفْلَةِ الْـــحَيَوَانِ

الكلامُ مع الكبارِ العقلاءِ الذين يطلبون الحقَّ بصدقٍ، أمَّا هؤلاء فهم أراذلُ، وسِفْلَةُ الحيوان.

٢٢٠١- أَوْسَاخِ هَـذَا الْـخَلْقِ بَـلْ أَنْتَانِـهِ، ... جِيَفِ الْوُجُـودِ، وَأَخْبَـثِ الْأَنْتَـانِ

وهنا شدَّد -رحمه الله- عليهم جدًّا؛ لأنهم أيضًا أشدَّاءُ على أهل السُّنَّة.

٢٢٠٢- الطَّـالِبِينَ دِمَـاءَ أَهْـلِ الْعِلْـمِ بِالْــ ... ـــكُفْرَانِ وَالْعُـــدْوَانِ وَالْبُهْتَـــانِ

قَوْلُهُ: «الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ» أي: بالقتل، والحبس، والضرب، وغير ذلك؛ فلهذا كان ابنُ القيِّم شديدًا عليهم؛ لأنهم أيضًا أشدَّاءُ على أهل السُّنَّة.

٢٢٠٣- الشَّاتِـمِي أَهْلِ الْـحَدِيثِ عَـدَاوَةً ... لِلسُّـــنَّةِ الْعُلْيَـــا مَـــعَ الْقُـــرْآنِ

يشتمون أهلَ الحديث لمعاداتهم للسُّنَّة، لا لشخصياتهم؛ ولهذا لو كان هذا الشخصُ منهم لكان من أوليائِهم، لا من أعدائِهم، لكن يُعادُونَه؛ لأنه متمسِّكٌ بالسُّنَّة.

٢٢٠٤- جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ، فَاللهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الْأَذْقَانِ

يعني: جعلوا مسبَّةَ أهلِ السُّنَّةِ طعامَ حُلُوقهم، يعني: يتمتَّعون بالكلام عن أهل السُّنَّة، ويتَلَذَّذونَ به.

قَوْلُهُ: «فَاللهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الْأَذْقَانِ»، وإذا قطعَها مِنَ الأذقان لا يَبْقَى شيءٌ.

٢٢٠٥- كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ

يعني: أنَّ لديهم كِبرًا وإعجابًا وتِيهًا بأنفسهم، كأنهم هم الملائكةُ والناس هم الحيوان.

قَوْلُهُ: «وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ» أي: إلى مراتب الربوبيَّة أو الملائكة، فهم يَرَوْنَ أنَّهم فوقَ البشر.

٢٢٠٦- لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ

٢٢٠٧- لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ عَنْ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

يعني: لو أن هذا كان «**من وراء كفاية**» لكُنَّا «**حملنا رايةَ الشكران**»، و«**لكنَّه من خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ**»، يعني أنَّ هذا القولَ ليسَ عن كفايةٍ وجدارة، ولو كانَ عن كفايةٍ وجدارة لكُنَّا نشكرُهم، لكنَّه ليس كذلِكَ، بل عن عنادٍ وإعجابٍ وكِبرٍ؛ ولهذا قال:

٢٢٠٨- مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَّرُوا بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِلَا إِحْسَانِ

يعني أنَّ هؤلاء أشدُّ من الخوارج؛ لأنَّ الخوارجَ كفَّروا المسلمين (بالذنب) بالكبيرة (تأويلًا بلا إحسانٍ)؛ لأنهم لو أوَّلوا بالإحسانِ لعَلِمُوا أنَّ فاعلَ الكبيرةِ

لا يُكفَّر، لكنْ هم تأوَّلوا نُصوصَ التكفيرِ، وغفلوا عن النصوص الأخرى المقابلة، فكفَّروا المسلمين بالذَّنْب.

٢٢٠٩- وَلَـهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا، فَـأُتُوا مِـنَ التَّقْصِـيرِ فِي الْعِرْفَـانِ

قَوْلُهُ: «**وَلَـهُمْ نُصُوصٌ**» أي: للخوارجِ نصوصٌ قَصَّروا في فَهْمِها، «**فَأُتُوا من التقصيرِ فِي العِرفان**».

٢٢١٠- وَخُصُـومُنَا قَـدْ كَفَّرُونَـا بِالَّـذِي هُـوَ غَايَـةُ التَّوْحِيـدِ وَالْإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «**وَخُصُومُنَا**» أي: هؤلاءِ المعطِّلةُ، قد كفَّرونا بالذي هو غايةُ التوحيدِ والإيمانِ، فهُمُ الآن أشدُّ من الخوارج؛ لأنَّ الخوارجَ كفَّروا المسلمين بذُنُوبٍ ومعاصٍ، وهؤلاء كَفَّروهم بالتزامِهم بالكتابِ والسُّنَّة، ففرقٌ عظيم، فصارَ هؤلاءِ المبتدِعةُ الذين كفَّروا أهلَ السُّنَّة، ووَشَوْا إلى السُّلطان بهم أشدَّ على المسلمينَ مِن الخوارِجِ.

* * *

فصــــل

فِي بَيَانِ كَذِبِهِم ورَمْيِهِمْ أَهْلَ الحَقِّ بِأَنَّهُمْ أَشْبَاهُ الخَوَارِجِ، وبَيَانِ شَبَهِهِمُ المُحَقَّقِ بالخَوَارِجِ

٢٢١١- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ ... قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ:

٢٢١٢- أَنْتُمْ بِذَا مِثْلُ الْخَوَارِجِ، إِنَّهُمْ ... أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ

٢٢١٣- فَانْظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصْفُهُمْ ... نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ

٢٢١٤- سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ ... سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَيْفَ لِسَانِ

٢٢١٥- خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا خَرَجَ الْأُلَى ... مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

٢٢١٦- وَاللهِ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا ... وَهُمُ الْبُغَاةُ أَئِمَّةُ الطُّغْيَانِ

٢٢١٧- كَفَّرْتُمُ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ ... فُسَّاقُ مِلَّتِهِ، فَمَنْ يَلْحَانِي

٢٢١٨- إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمُ ... وَاللهِ مَا الْفِئَتَانِ مُسْتَوِيَانِ

٢٢١٩- شَتَّانَ بَيْنَ مُكَفِّرٍ بِالسُّنَّةِ الْـ ... ـعُلْيَا، وَبَيْنَ مُكَفِّرِ الْعِصْيَانِ

٢٢٢٠- قُلْتُمْ: تَأَوَّلْنَا، كَذَاكَ تَأَوَّلُوا ... وَكِلَاكُمَا فِئَتَانِ بَاغِيَتَانِ

٢٢٢١- وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتْـ ... ـتَحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْبُهْتَانِ

٢٢٢٢- وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الْإِثْبَاتِ وَالتْـ ... ـتَصْدِيقِ مَعْ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٢٢٣- أَلَكُــمْ عَــلَى تَــأْوِيلِكُمْ أَجْــرَانِ إِذْ ... لَـــهُمُ عَــلَى تَــأْوِيلِهِمْ وِزْرَانِ؟!

٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ ... أَنْــتُمْ وَهُــمْ فِي حُكْمِــهِ سِــيَّانِ

٢٢٢٥- وَكِلَاكُــمَا لِلــنَّصِّ فَهْــوَ مُخَــالِفٌ ... هَــذَا وَبَيْــنَكُمَا مِــنَ الْفُرْقَــانِ

٢٢٢٦- هُــمْ خَــالَفُوا نَصًّــا لِــنَصٍّ مِثْلِــهِ ... لَــمْ يَفْهَمُــوا التَّوْفِيــقَ بِالْإِحْسَــانِ

٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْـمَنْصُوصَ لِلشْـ ... ـــشُبَهِ الَّتِـي هِـيَ فِكْـرَةُ الْأَذْهَـانِ

٢٢٢٨- فَــلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْــتُمْ خَــيْرٌ وَأَقْــ ... ــرَبُ مِــنْهُمُ لِلْحَــقِّ وَالْإِيـمَانِ؟!

٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْـظِ الْكِتَـا ... بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمُوجِـبِ التِّبْيَـانِ

٢٢٣٠- لَكِــنَّكُمْ قَــدَّمْتُمْ رَأْيَ الرِّجَــا ... لِ عَلَــيْهِمَا، أَفَــأَنْتُمَا عِــدْلَانِ؟

٢٢٣١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَقْـرَبُ مِـنْكُمُ ... لَاحَ الصَّــبَاحُ لِــمَنْ لَــهُ عَيْنَــانِ

٢٢٣٢- وَاللهُ يَحْكُــمُ بَيْــنَكُمْ يَــوْمَ الْــجَزَا ... بِالْعَــدْلِ وَالْإِنْصَــافِ وَالْــمِيزَانِ

٢٢٣٣- هَــذَا وَنَحْــنُ فَمِــنْهُمُ بَــلْ مِــنْكُمُ ... بُــرَآءُ إِلَّا مِــنْ هُــدًى وَبَيَــانِ

٢٢٣٤- فَاسْمَعْ إِذَنْ قَوْلَ الْـخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْ ... لَ خُصُومِنَا، وَاحْكُـمْ بِـلَا مَـيَلَانِ

٢٢٣٥- مَــنْ ذَا الَّــذِي مِنَّــا إِذَنْ أَشْــبَاهُهُمْ ... إِنْ كُنْــتَ ذَا عِلْــمٍ وَذَا عِرْفَــانِ؟

٢٢٣٦- قَالَ الْخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اعْدِلْ فَلَـمْ ... تَعْــدِلْ، وَمَــا ذِي قِسْــمَةَ الــدَّيَّانِ

٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْــجَهْمِيُّ قَــالَ نَظِـيرَ ذَا ... لَكِنَّــــهُ قَــــدْ زَادَ فِي الطُّغْيَــــانِ

٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوْلَى»، فَلِمْ ... قُلْتَ: «اسْتَوَى» وَعَدَلْتَ عَنْ تِبْيَانِ

٢٢٣٩- وَكَـــذَاكَ يَنْـــزِلُ أَمْــرُهُ سُــبْحَانَهُ   لِـمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَـاحِبُ الْغُفْـرَانِ؟

٢٢٤٠- مَا ذَا بِعَـدْلٍ فِي الْعِبَـارَةِ وَهْـيَ مُـو   هِمَــةُ التَّحَــرُّكِ وَانْتِقَــالِ مَكَــانِ

٢٢٤١- وَكَذَاكَ قُلْتَ بِـأَنَّ رَبَّـكَ فِي السَّـمَا   أَوْهَمْــتَ حَيِّــزَ خَــالِقِ الْأَكْــوَانِ

٢٢٤٢- كَـانَ الصَّـوَابُ بِـأَنْ يُقَـالَ بِأَنَّــهُ   فَوْقَ السَّمَا سُـلْطَانُ ذِي السُّـلْطَانِ

٢٢٤٣- وَكَذَاكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يَعْرُجُ وَالصَّـوَا   بُ إِلَى كَرَامَــةِ رَبِّنَــا الْـــمَنَّانِ

٢٢٤٤- وَكَذَاكَ قُلْـتَ بِـأَنَّ مِنْـهُ يُنَـزَّلُ الْـ   ــقُرْآنُ تَنْــزِيلًا مِــنَ الــرَّحْمَنِ

٢٢٤٥- كَانَ الصَّـوَابُ بِـأَنْ يُقَـالَ: نُزُولُـهُ   مِــنْ لَوْحِــهِ أَوْ مِــنْ مَحَــلٍّ ثَــانِ

٢٢٤٦- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ ذَاكَ الْـ«أَيْنُ» مُمْـ   ــتَنِعٌ عَلَيْـهِ، وَلَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ

٢٢٤٧- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابَ كَمَا تَرَى   فِي الْقَـبْرِ يَسْـأَلُ ذَلِـكَ الْــمَلَكَانِ

٢٢٤٨- وَتَقُولُ: أَللَّهُـمَّ أَنْـتَ الشَّـاهِدُ الْـ   أَعْــلَى تُشِــيرُ بِأُصْــبعٍ وَبَنَــانِ

٢٢٤٩- نَحْـوَ السَّـمَاءِ وَمَـا إِشَـارَتُنَا لَـهُ   حِسِّــيَّةً، بَــلْ تِلْـكَ فِي الْأَذْهَــانِ

٢٢٥٠- وَاللهِ مَـا نَـدْرِي الَّـذِي نُبْدِيــهِ فِي   هَــذَا مِــنَ التَّأْوِيــلِ لِلْإِخْــوَانِ

٢٢٥١- قُلْنَا لَـهُمْ: إِنَّ السَّمَا هِيَ قِبْلَـةُ الـدْ   دَاعِــي كَبَيْــتِ اللهِ ذِي الْأَرْكَــانِ

٢٢٥٢- قَــالُوا لَنَــا: هَــذَا دَلِيــلٌ أَنَّــهُ   فَــوْقَ السَّـمَاءِ بِأَوْضَــحِ الْبُرْهَــانِ

٢٢٥٣- فَالنَّــاسُ طُــرًّا إِنَّــمَا يَدْعُونَــهُ   مِــنْ فَــوْقُ، هَــذِي فِطْـرَةُ الـرَّحْمَنِ

٢٢٥٤- لَا يَسْــأَلُونَ الْقِبْلَــةَ الْعُلْيَــا وَلَــ   ــكِنْ يَسْأَلُونَ الـرَّبَّ ذَا الْإِحْسَـانِ

٢٢٥٥- قَـالُوا: وَمَـا كَانَـتْ إِشَـارَتُهُ إِلَى غَـيْرِ الشَّـهِيدِ مُنَـزِّلِ الْفُرْقَـانِ

٢٢٥٦- أَتُـرَاهُ أَمْسَـى لِلسَّـمَا مُسْتَشْـهِدًا؟! حَاشَـاهُ مِـنْ تَحْرِيـفِ ذِي الْبُهْتَـانِ

الشَّــرحُ

٢٢١١- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُـمْ قَـالُوا لِـمَنْ قَــدْ دَانَ بِالْآثَــارِ وَالْقُــرْآنِ:

٢٢١٢- أَنْـتُمْ بِـذَا مِثْـلُ الْـخَوَارِجِ، إِنَّهُـمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِـمَعَانِ

هذا الفصلُ عقده المؤلفُ لأنهم قالوا: أنتم يا أهلَ السُّنَّةِ أشبهتم الخوارجَ في التمسُّكِ بالظاهر؛ لأنَّ أهلَ السُّنَّةِ فيما يتعلَّقُ بالأسماء والصفات يتمسَّكون بالظاهر، فقالوا: أنتم أشبهتم الخوارجَ؛ لأنَّ الخوارجَ أخذوا بظواهر النصوص التي تُفيدُ الكفرَ في بعض الكبائر، فابنُ القيِّم -رحمه الله- يقول: أنتم الذين أشبهتموهم.

٢٢١٣- فَانْظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصْـفُهُمْ نَسَــبُوا إِلَيْــهِ شِــيعَةَ الْإِيــمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُهْت»: الكذب.

٢٢١٤- سَلُّوا عَلَى سُـنَنِ الرَّسُـولِ وَحِزْبِـهِ سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَـيْفَ لِسَـانِ

قَوْلُهُ: «سَيْفَ يَدٍ» وذلك بالضَّرْب، وربَّما بالقتل.

قَوْلُهُ: «وَسَيْفَ لِسَانِ» بالكلام، بالسَّبِّ، بالقدح، فيقولون لهم: أنتم حَشْوِيَّةٌ، أنتم نَوَابِت، أنتم غُثَاء، أنتم مُمَثِّلَةٌ، وما أشبهَ ذلك.

٢٢١٥- خَرَجُوا عَلَـيْهِمْ مِـثْلَمَا خَـرَجَ الْأُلَى مِــنْ قَــبْلِهِمْ بِــالْبَغْيِ وَالْعُــدْوَانِ

قَوْلُهُ: «خَرَجُوا» الضميرُ يعودُ على أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمْ» أي: على حزب الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «مِثْلَمَا خَرَجَ الْأُلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ» وهم الذين خرجوا على عليِّ بنِ أبي طالبٍ وغيره من الصحابة وقاتلوهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٢١٦- وَاللهِ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا ... وَهُمُ الْبُغَاةُ أَئِمَّةُ الطُّغْيَانِ

هنا أقسمَ ابنُ القيِّم -رحمه الله- أنَّ الخوارجَ أهونُ من هؤلاء، وما كانوا هكذا.

قَوْلُهُ: «وَهُمْ» الضميرُ يعودُ على الخوارج.

لكن ما وجهُ أنَّهم أقلُّ من هؤلاء؟ قال:

٢٢١٧- كَفَّرْتُمُ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ ... فُسَّاقُ مِلَّتِهِ، ....

يعني: أنتم كَفَّرتم أصحابَ السُّنَّة، كيف ذلك؟ قالوا: إنهم مُجَسِّمَةٌ، وإنَّ التجسيمَ كُفْرٌ، فكفَّروهم بإثبات السُّنَّة، وأمَّا الخوارجُ فكفَّروا فُسَّاقَ المِلَّةِ، وعلى ذلك فالخوارجُ أهون؛ لأنَّ الخوارجَ إنما كَفَّروا أصحابَ الكبائر، وهؤلاء كَفَّروا أصحابَ السُّنَّة.

٢٢١٧- .... فَمَنْ يَلْحَانِي

٢٢١٨- إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمُ ... وَاللهِ مَا الْفِئَتَانِ مُسْتَوِيَانِ

٢٢١٩- شَتَّانَ بَيْنَ مُكَفِّرٍ بِالسُّنَّةِ الْـ ... ـعُلْيَا، وَبَيْنَ مُكَفِّرِ الْعِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يَلْحَانِي» أي: مَن يلومُنِي.

قَوْلُهُ: «شَتَّان» بمعنى بَعُدَ، يعني: فرقٌ بعيدٌ بين مَن كَفَّر بالسُّنَّة ومَنْ كَفَّر

بالعصيانِ، فالأعظمُ؟ هو من كَفَّر بالسُّنَّة، يعني: الذي يُكَفِّرُ الناسَ لاتباعهم السُّنَّةَ أَشَدُّ من الذي يُكَفِّرُهُم بقيامهم بالمعصية.

٢٢٢٠- قُلْتُمْ: تَأَوَّلْنَا، كَذَاكَ تَأَوَّلُوا ... وَكِلَاكُمَا فِئَتَانِ بَاغِيَتَانِ

قَوْلُهُ: «**قُلْتُمْ: تَأَوَّلْنَا كَذَاكَ تَأَوَّلُوا**» يعني: قلتم مدافعين عن أنفسِكم: إنَّنا ذَهَبْنا هذا المذهبَ متأوِّلين، فنقول لهم: «**كَذَاكَ تَأَوَّلُوا**»؛ هم أيضًا -هؤلاء الخوارج- تأوَّلوا، وأخذوا بالنُّصوص التي ظاهرُها الوعيدُ.

ثم قال ابنُ القيِّم: «**وَكِلَاكُمَا فِئَتَانِ بَاغِيَتَانِ**»، ولكنْ تأوُّلُكم أنتم أشدُّ.

٢٢٢١- وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتْـ ... ـتَحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «**وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ**» لكم عليهم ميزةٌ، وهي التعطيلُ، أي: تعطيل صفات الله عزَّ وجلَّ، والتحريف للنصوص، والتبديل، والبُهتان.

٢٢٢٢- وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الْإِثْبَاتِ وَالتْـ ... ـتَصْدِيقِ مَعْ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

وهذا فرقٌ، فالخوارجُ لهم شدةُ تمسُّك بالظواهر، ويُثبِتون الصفات ويُصدِّقون بها، وعندهم مِن خوف الله ما ليس عند هؤلاء؛ ولهذا تجدُ الخوارجَ سُرُجَ الليالي، يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا، يصومون، يتلون الكتابَ، لا يوجدُ أحدٌ مثلهم في الظاهر، لكنَّ إيمانَهم -والعياذ بالله- لا يتجاوزُ حناجرَهم كما قال النَّبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[١]. نسألُ اللهَ العافيةَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم: كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

٢٢٢٣- أَلَكُـمْ عَـلَى تَـأْوِيلِكُمْ أَجْـرَانِ إِذْ لَـهُمُ عَـلَى تَـأْوِيلِهِمْ وِزْرَانِ؟!

هذا الاستفهامُ للإنكار، يعني: أنتم تؤوِّلون، وتقولون: إنَّنا مُؤَوِّلون مُصيبون فلنا أجران، أما هم فهم غيرُ مؤوِّلين، بل معانِدون، فلهم وِزرانِ.

٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ أَنْـتُمْ وَهُـمْ فِي حُكْمِـهِ سِـيَّانِ

٢٢٢٥- وَكِلَاكُـمَا لِلـنَّصِّ فَهْـوَ مُخَـالِفٌ هَـذَا وَبَيْـنَكُمَا مِـنَ الْفُرْقَـانِ

٢٢٢٦- هُـمْ خَـالَفُوا نَصًّـا لِـنَصٍّ مِثْلِـهِ لَـمْ يَفْهَمُـوا التَّوْفِيـقَ بِالْإِحْسَـانِ

٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْـمَنْصُوصَ لِلشْـ ـشُبَهِ الَّتِـي هِـيَ فِكْـرَةُ الْأَذْهَـانِ

أيُّهما أعظمُ مخالفةً؟ الخوارجُ خالفوا النصوصَ الدالَّةَ على أنَّ المؤمنَ لا يَكْفُر بالمعاصي والكبائر، لكنَّهم خالفوها لنصوصٍ أخرى اشتبهتْ عليهم، دَلَّت على كفر بعض فاعلي الكبائر.

فإذن هم خالفوا النصوصَ لنصوصٍ أخرى، ولكنَّهم لم يُوَفَّقوا للتوفيق بينها، أمَّا أنتم فخالفتم النصوصَ للآراء والأفكار، وما زعمتموه عقولًا؛ ولهذا قال:

٢٢٢٨- فَـلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْـتُمُ خَـيْرٌ وَأَقْـ ـرَبُ مِـنْهُمُ لِلْحَـقِّ وَالْإِيـمَانِ؟!

هذا الاستفهام للإنكار، يعني: لا يمكنُ أن تكونوا أقربَ منهم للحقِّ والإيمان.

٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْـظِ الْكِتَـا بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمُوجِـبِ التِّبْيَـانِ

الخوارجُ يعتنون بالقرآن، ولكنَّهم لا يأخذونَ بالحديث، كما قال ابنُ القيِّم

هنا، ولعلَّ هذا قولٌ لطائفةٍ منهم، وأنَّ بعضَهم يأخذُ بالحديث إذا صَحَّ سندُه، لكنَّهم يتشدَّدون في الأحاديث.

٢٢٣٠- لَكِـــنَّكُمْ قَـــدَّمْتُمْ رَأْيَ الرِّجَـــا لِ عَلَـــيْهِمَا، أَفَـــأَنْتُمَا عِـــدْلَانِ؟

قَوْلُهُ: «لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرِّجَالِ عَلَيْهِمَا» يعني: على الكتاب وعلى الحديث.

قَوْلُهُ: «أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟» الجواب: لا، لستما عِدْلَيْن؛ لأنَّه على تقدير أنَّهم أخذوا بالقرآن دون الحديث فأنتم لا أخذتم لا بهذا ولا بهذا.

٢٢٣١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْـلَامِ أَقْـرَبُ مِـنْكُمُ لَاحَ الصَّـــبَاحُ لِـــمَنْ لَـــهُ عَيْنَـــانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ هُمْ» بمعنى: بَلْ هم، فـ(أم) هنا للإضراب.

قَوْلُهُ: «لَاحَ الصَّبَاحُ» (لاح) بمعنى: اتَّضَحَ وبَانَ.

٢٢٣٢- وَاللهُ يَحْكُـمُ بَيْـنَكُمْ يَـوْمَ الْـــجَزَا بِالْعَـدْلِ وَالْإِنْصَـافِ وَالْـــمِيزَانِ

يحكمُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة بين الخلائق بالعدل والميزان؛ لأنَّ الخلائقَ يوم القيامة يختصمون، أي: يختصمُ أهلُ الحقِّ وأهلُ الباطل، فمثلًا الآن في عصرنا يوجدُ أهلُ باطلٍ، نقولُ لهم: هذا باطلٌ، فيقولون: لا، يوم القيامة هم خُصُومنا، نخاصمُهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١] فالمؤمنُ يخاصمُ الكافرَ يوم القيامة؛ لأجل أن يُقيمَ الحُجَّةَ عليه في يومٍ لا يستطيع أن يتهرَّبَ؛ ولهذا تجدون في آيات كثيرة: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨] فلا بُدَّ من المخاصمة.

وهذه تُفرِحُ الإنسانَ، فالمؤمنُ الذي لا يُؤخذُ قولُه في الدنيا يفرحُ بأنَّ هناك

موقفًا آخرَ، سوف يكون قولُه هو المتَّبَع وهو العالي، وربَّما يعلو في الدنيا، فربما يُعَجِّلُ اللهُ النصرَ للإنسان في الدنيا كما ينصرُه في الآخرة، أمَّا في الآخرة فالنصرُ مضمونٌ للمؤمنين، سيكونُ تخاصمٌ، ويحكمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بينهم بالعدل.

٢٢٣٣- هَـذَا وَنَحْـنُ فَمِـنْهُمُ بَـلْ مِـنْكُمُ   بُـرَآءُ إِلَّا مِـنْ هُـدًى وَبَيَـانِ

جزاه الله خيرًا، يقول: نحن بُرَاءُ منك، وبُرَاءُ منهم، أي: من الخوارج؛ لأنَّهم كُلَّهم ليسوا على حقٍّ.

قَوْلُهُ: «إِلَّا مِنْ هُدًى وَبَيَانِ» وهذا أيضًا من إنصاف ابنِ القيِّم، يعني: نتبرَّأ منكم، إلَّا ما كان منكم من هدًى وبيان فإننا نقبَلُه؛ ولهذا لا يجوزُ للإنسان أنْ يحملَه بُغْضُ الشخص على ردِّ قولِه مطلقًا كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

فالواجبُ أن يقبلَ الإنسانُ الحقَّ من أيِّ إنسانٍ جاء به، ويَرُدَّ الباطلَ من أيِّ إنسانٍ جاء به، أمَّا أن يَزِنَ الحقَّ بالرجال، ويقول: كُلُّ ما جاء به هذا الشخصُ فهو حقٌّ، فهذا غلطٌ؛ ولهذا قال: (هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمُ بَلْ مِنْكُمُ) يعني: ومنكم أيضًا، (بُرَآءُ إِلَّا مِنْ هُدًى وَبَيَانِ).

٢٢٣٤- فَاسْمَعْ إِذَنْ قَوْلَ الْـخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْ   لَ خُصُومِنَا، وَاحْكُـمْ بِـلَا مَـيَلَانِ

٢٢٣٥- مَـنْ ذَا الَّـذِي مِنَّـا إِذَنْ أَشْـبَاهُهُمْ   إِنْ كُنْـتَ ذَا عِلْـمٍ وَذَا عِرْفَـانِ؟

٢٢٣٦- قَالَ الخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اعْدِلْ فَلَـمْ   تَعْـدِلْ، وَمَـا ذِي قِسْـمَةَ الـدَّيَّانِ

بدأ المؤلفُ بالمقارنة بين الخوارج، وبين أهل التعطيل، فهل هم أولى أن يكونوا مشابهين بالخوارج أو نحن؟

يقول: أنتم الذي أشبهتموهم، ثُمَّ رَكَّزَ على نقطة واحدة، وهي قولُ الخارجيِّ للرسول -عليه الصلاة والسلام-: «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ»[1]، يعني: كان الصوابَ أنْ تقسمَها على غير هذه القسمة، فقوله: «اعدِل» يعني: إِذَنْ قَسْمُكَ خطأٌ، والصوابُ أنْ تقسمَها على غير هذا الوجه، وهذه خَصلةٌ من خصال الخوارج.

قال: أنتم -الآن- قلتم في النصوص الدالة على الصفات: إنه لا يُرادُ بها كذا، وإنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- لم يَعْدِلْ حين عبَّر بما يفيدُ الصفات، والصوابُ أن يُعَبِّر بكذا وكذا.

ثُمَّ ذكر -رحمه الله- أمثلةً، فقال:

٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْـجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا   لَكِنَّهُ قَدْ زَادَ فِي الطُّغْيَانِ

٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوْلَى»، فَلِمْ   قُلْتَ: «اسْتَوَى» وَعَدَلْتَ عَنْ تِبْيَانِ

يعني: كأنه يخاطبُ الرسولَ فيقول: إنَّ الصوابَ في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الصواب: (استولى) لماذا قلتَ يا محمد: (استوى) والصوابُ: (استولى)؟

إِذَنْ الخوارج قالوا: هذه القسمةُ خطأٌ، والصوابُ القسمةُ التي يُريدون، وهذا قال: (استوى) خطأٌ، والصوابُ (استولى).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣/ ١٢٣، رقم ١٤٨٢٠).

٢٢٣٩- وَكَــذَاكَ يَنْــزِلُ أَمْــرُهُ سُــبْحَانَهُ ... لِـمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَـاحِبُ الْغُفْـرَانِ؟

يُخَاطِبُ النَّبِيَّ، يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»[1] الصواب: ينزلُ أمرُه، لكنَّك أنت يا محمد عَدَلْتَ عن الصواب وقلت: (يَنْزِلُ صَاحِبُ الغُفْرَانِ)، فأنت يا محمد لم تَعْدِلْ في اللفظ، بل أتيت بلفظٍ آخرَ مخالف للعدل.

٢٢٤٠- مَا ذَا بِعَـدْلٍ فِي الْعِبَـارَةِ وَهْـيَ مُـو ... هِمَـةُ التَّحَـرُّكِ وَانْتِقَـالِ مَكَـانِ

يقول: إنَّك لم تَعْدِلْ في العبارة، بل أتيتَ بعبارةٍ تُوهمُ الانتقالَ والتحرُّك، فقلت: إنَّ اللهَ ينزلُ، وهذا يُوهم أنه انتقلَ من العرش إلى السَّماء، وأنه تحرَّكَ، وهذا ليس بعدلٍ.

ما الذي ينزل على رأي الجهمِيِّ؟ الجواب: ينزلُ أمرُه، لماذا لَـمْ تقل يا محمد: (يَنْزِلُ أمرُه) حتَّى تَعْدِلَ في العبارة، وتصيبَ الصوابَ؟

٢٢٤١- وَكَذَاكَ قُلْتَ بِـأَنَّ رَبَّـكَ فِي السَّـمَا ... أَوْهَمْـتَ حَيِّـزَ خَـالِقِ الْأَكْـوَانِ

الآن يخاطبُ الرسولَ، لَـمَّا قال: إنَّ اللهَ في السَّماءِ، يقول: هذا غلطٌ، لكن ما الصوابُ؟ قال:

٢٢٤٢- كَـانَ الصَّـوَابُ بِـأَنْ يُقَـالَ بِأَنَّـهُ ... فَوْقَ السَّمَا سُـلْطَانُ ذِي السُّـلْطَانِ

يقول: الذي في السَّماء هو سلطانُه، أما هو فلا، فلا تقلْ: إنَّ اللهَ في السَّماء، بل قُلْ: سلطانُه في السَّماء؛ لأنك إذا قلتَ: إنَّ اللهَ في السَّماء فقد جُرْتَ في التعبير، وما أتيتَ بالعدل، وهذه مشابهةٌ تمامًا للخوارج.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

٢٢٤٣- وَكَذَاكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يَعْرُجُ وَالصَّوَا ... بُ إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا الْمَنَّانِ

يعني: قلت: رُوحُ المؤمن يُعْرَجُ بها إلى الله عزَّ وجلَّ إذا قُبِضَتْ، والصوابُ أنها لا تَعْرُجُ إليه، وإنما تَعْرُجُ إلى كرامته، لكنَّك لم تَعْدِلْ، وأتيتَ بلفظٍ مُوهِمٍ.

٢٢٤٤- وَكَذَاكَ قُلْتَ بِأَنَّ مِنْهُ يُنَزَّلُ الْـ ... ـقُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٢٤٥- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنْ يُقَالَ: نُزُولُهُ ... مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلٍّ ثَانِ

نسألُ اللهَ العافيةَ، يقول: أنت يا محمد قلتَ: إنَّ القرآنَ ينزلُ من الله، وهذا جَوْرٌ في العبارة، والصوابُ أنه ينزلُ من اللَّوح المحفوظ، ولا ينزلُ من الله، فهو ينزلُ من لوحه، أو من محلٍّ ثانٍ، يُقَدِّرُه الجهميُّ.

٢٢٤٦- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ ذَاكَ الْـ«أَيْنُ» مُمْـ ... ـتَنِعٌ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٢٤٧- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابَ كَمَا تَرَى ... فِي الْقَبْرِ يَسْأَلُ ذَلِكَ الْمَلَكَانِ

يقول: الرسولُ محمدٌ ﷺ لَـمَّا قال للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»[1] أخطأ ولم يَعْدِلْ، بل كان الواجبُ عليه أن يقولَ: (مَن الله؟) كما يقول الملَكَان في القبر للميت: «مَنْ رَبُّك؟»[2] ولا يقولان: (أين رَبُّك؟)، فمحمدٌ جَارَ، وعَدَلَ عن الصواب.

٢٢٤٨- وَتَقُولُ: أَللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الْـ ... أَعْلَى تُشِيرُ بِأُصْبَعٍ وَبَنَانِ

٢٢٤٩- نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ ... حِسِّيَّةً، بَلْ تِلْكَ فِي الْأَذْهَانِ

متى قال هذا؟ قاله في حَجَّة الوداع، لَـمَّا قرَّر -صلواتُ الله وسلامه عليه-

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).
(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

ما قرَّر من الأصول العظيمة، قال: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَرْفَعُ أُصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ[1]. ثلاث مرات وهو يُشْهِدُ اللهَ عزَّ وجلَّ على الصحابة أنَّهم أقرُّوا بالبلاغ.

أين يرفعُ أصبعَه؟ الجواب: للسَّماء، قال: هذا لا يجوزُ، هذا خطأٌ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُشَارُ إليه إشارةً حِسِّيَّةً، وإنما يُشارُ إليه إشارةً معنويَّةً بالقلب؛ ولهذا قال بعضُهم: لو أنَّ أحدًا من الناس أشار إليه بأصبعه لقطعتُ أصبعَه -أعوذ بالله- لأنَّ هذا عندهم كفرٌ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

قال ابنُ القيِّم:

٢٢٥٠- وَاللهِ مَا نَدْرِي الَّذِي نُبْدِيهِ فِي   هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لِلْإِخْوَانِ

يعني أنَّ الرسولَ لـمَّا أشارَ إلى السَّماء يُشْهِدُ اللهَ عزَّ وجلَّ كان هذا نصًّا قاطعًا في أنَّ اللهَ تعالى في السماء، كذلك الدَّاعِي إذا دعا يرفعُ يديه إلى السماء، وهذا نصٌّ قاطعٌ؛ لأنه فطرةٌ.

٢٢٥١- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَا هِيَ قِبْلَةُ الدْ   دَاعِي كَبَيْتِ اللهِ ذِي الأَرْكَانِ

يقول: إنَّ الدَّاعيَ إذا رفع يديه إلى السَّماء إنما يرفعُ يديه إلى قبلة الدعاء، لا إلى الله، كما أنَّ المصلِّيَ إذا صلَّى يتَّجهُ إلى الكعبة التي هي قبلة المصلِّي، فإذا قلنا: (**يا الله**) ليس معناه أنَّنا نرفعُ أيديَنا إلى الله، إنما نرفعُ أيديَنا إلى قبلة الدَّاعي كما يتَّجه المصلِّي إلى الكعبة التي هي قبلة المصلِّي.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

٢٢٥٢- قَـالُوا لَنَـا: هَـذَا دَلِيـلٌ أَنَّـهُ فَـوْقَ السَّـمَاءِ بِأَوْضَـحِ الْبُرْهَـانِ

٢٢٥٣- فَالنَّـاسُ طُـرًّا إِنَّـمَا يَدْعُونَـهُ مِـنْ فَـوْقُ، هَـذِي فِطْـرَةُ الـرَّحْمَنِ

٢٢٥٤- لَا يَسْـأَلُونَ الْقِبْلَـةَ الْعُلْيَـا وَلَـ ـكِنْ يَسْأَلُونَ الـرَّبَّ ذَا الإِحْسَـانِ

صحيح، لو أنّك سألتَ عجوزًا ما قرأتِ العقيدةَ، ولا قرأت أيَّ كتابٍ وهي ترفعُ يديها تسألُ اللهَ: إلى أيِّ شيءٍ رَفَعْتِ يديك؟ فلن تقول: إلى السَّماء قبلة الدَّاعي، ولا تعرفُ هذا، بل تقولُ: رفعتُها إلى الله.

كيف تقولون أنتم: إنَّ رفعَ اليدين إلى السَّماء لأنها قبلةَ الدَّاعي؟ مَن قال لكم هذا؟! إنما يرفعُ الدُّعاةُ أيديَهم إلى السَّماء لأنهم يعلمون أنَّ ربَّهم في السَّماء.

٢٢٥٥- قَـالُوا: وَمَـا كَانَـتْ إِشَـارَتُهُ إِلَى غَـيْرِ الشَّـهِيدِ مُنَـزِّلِ الْفُرْقَـانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ» الذين يقولون هذا أهلُ السُّنَّة والجماعة ردًّا على القائلين بأنهم إنما يرفعون أيديَهم إلى السَّماء التي هي قبلة الدَّاعي على زعمهم.

قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ» وهو الله -سبحانه وتعالى- مُنَزِّل الفرقان.

٢٢٥٦- أَتَـرَاهُ أَمْسَـى لِلسَّـمَا مُسْتَشْـهِدًا؟! حَاشَـاهُ مِـنْ تَحْرِيـفِ ذِي الْبُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا؟!» يعني: أتظُنُّ الرسولَ ﷺ.

* * *

٢٢٥٧- وَكَـذَاكَ قُلْـتَ بِأَنَّـهُ مُـتَكَلِّمٌ وَكَلَامُـهُ الْـمَسْمُوعُ بِـالآذَانِ

٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِـيمَ بِنَفْسِـهِ وَكَـذَاكَ قَـدْ سَـمِعَ النِّـدَا فِي الْـجَنَّةِ الأَبَـوَانِ

٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْـخَلْقَ يَوْمَ مَعَـادِهِمْ ... بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَـوْتَهُ الـثَّقَلَانِ:

٢٢٦٠- إِنِّـي أَنَـا الـدَّيَّانُ آخُـذُ حَـقَّ مَظْـ ... ـلُومٍ مِنَ الْعَبْدِ الظَّلُـومِ الْـجَانِـي

٢٢٦١- وَتَقُـــولُ: إِنَّ اللهَ قَـــالَ وَقَائِـــلٌ ... وَكَذَا يَقُـولُ، وَلَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ

٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَـوْتٍ يُـرَى ... مِـنْ غَـيْرِ مَـا شَـفَةٍ وَغَـيْرِ لِسَـانِ

٢٢٦٣- أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَـنْ ... لَـمْ يَنْفِ مَا قَـدْ قُلْـتَ فِي الـرَّحْمَنِ

٢٢٦٤- لَوْ لَـمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَـمْ تُشِرْ ... بِإِشَــــارَةٍ حِسِّـــــيَّةٍ بِبَنَـــــانِ

٢٢٦٥- وَسَكَتَّ عَنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ... قَـدْ صَرَّحَـتْ بِـالْفَوْقِ لِلـدَّيَّانِ

٢٢٦٦- وَذَكَـرْتَ أَنَّ اللهَ لَـيْسَ بِـدَاخِلٍ ... فِينَـا وَلَا هُـوَ خَـارِجَ الْأَكْـوَانِ

٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَـلْ ... كَـانُوا لَنَـا أَسْرَى عَبِيـدَ هَـوَانِ

٢٢٦٨- لَكِـنْ مَنَحْـتَهُمْ سِـلَاحًا كُلَّـمَا ... شَـاءُوا لَنَـا مِـنْهُمْ أَشَـدَّ طِعَـانِ

٢٢٦٩- وَغَدَوْا بِأَسْـهُمِكَ الَّتِـي أَعْطَيْـتَهُمْ ... يَرْمُونَنَـا غَرَضًـا بِكُـلِّ مَكَـانِ

٢٢٧٠- لَـوْ كُنْـتَ تَعْـدِلُ فِي الْعِبَـارَةِ بَيْنَنَـا ... مَـا كَـانَ يُوجَـدُ بَيْنَنَـا رجفَـانِ

٢٢٧١- هَذَا لِسَانُ الْـحَالِ مِـنْهُمْ وَهْـوَ فِي ... ذَاتِ الصُّـدُورِ يُغَـلُّ بِـالْكِتْمَانِ

٢٢٧٢- يَبْـدُو عَـلَى فَلَتَـاتِ أَلْسُـنِهِمْ وَفِي ... صَـفَحَاتِ أَوْجُهِهِـمْ يُـرَى بِعِيَـانِ

٢٢٧٣- سِيَمَا إِذَا قُـرِئَ الْـحَدِيثُ عَلَـيْهِمُ ... وَتَلَـوْتَ شَـاهِدَهُ مِـنَ الْقُـرْآنِ

٢٢٧٤- فَهُنَـاكَ بَـيْنَ النَّازِعَـاتِ وَكُـوِّرَتْ ... تِلْـكَ الْوُجُـوهُ كَثِـيرَةُ الْأَلْـوَانِ

٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصَرِّحُ لَوْ يَرَى ... مِنْ قَابِلٍ فَتَرَاهُ ذَا كِتْمَانِ

٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهَدْنَا رُءُوسَكُمُ عَلَى ... هَذَا وَلَمْ نَشْهَدْهُ مِنْ إِنْسَانِ

٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشْوُ فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى ... سُنَنِ الرَّسُولِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتْبِهِمْ لَكِنْ بِلُطْـ ... ـفِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ

٢٢٧٩- وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلَّفْظِ وَالْـ ... ـمَعْنَى فنسبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

٢٢٨٠- يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّنَا حِفْنَا عَلَيْـ ... ـهِمْ كُتْبُهُمْ تُنْبِيكَ عَنْ ذَا الشَّانِ

٢٢٨١- فَانْظُرْ تَرَى لَكِنْ نَرَى لَكَ تَرْكَهَا ... حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ

٢٢٨٢- فَشِبَاكُهَا وَالله لَمْ يَعْلَقْ بِهَا ... مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيَرَانِ

٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفَصِ الرَّدَى ... يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ

٢٢٨٤- وَيَظَلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِخَلَاصِهِ ... فَيَضِيقُ عَنْهُ فُرْجَةُ الْعِيدَانِ

٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَّى أَطْيَبَ الثْـ ... ـثَمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الأَفْنَانِ

٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَزَابِلِ يَبْتَغِي الْـ ... ـفَضَلَاتِ كَالْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ

الشرحُ

سبق أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- ذكر أنَّ الجهميَّةَ، بل المعطِّلة عمومًا، هم الذين يُشْبِهونَ الخوارجَ، حيث قالوا: إنَّ الرسولَ ﷺ لم يَعْدِلْ فيما وصفَ اللهُ به نفسَه، حتَّى قالوا: إنَّ قوله: «أَيْنَ اللهُ؟» ليس بِعَدْلٍ، والصواب أن يقولَ: مَن اللهُ؟ أمَّا «أَيْنَ اللهُ؟» فلا.

هذا القولُ على لسان الجهميِّ المعطِّل، ويخاطبُ النَّبِيَّ ﷺ فيقول:

٢٢٥٧- وَكَـذَاكَ قُلْـتَ بِأَنَّـهُ مُـتَكَلِّمٌ ... وَكَلَامُـهُ الْـمَسْمُوعُ بِـالْآذَانِ

٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَاكَ قَدْ ... سَمِعَ النِّدَا فِي الْـجَنَّةِ الْأَبَـوَانِ

قَوْلُهُ: «نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ» «نادى» أي: اللهُ عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «الكَلِيمَ» موسى -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وَكَذَاكَ قَدْ سَمِعَ النِّدَا فِي الْـجَنَّةِ الْأَبَوَانِ» «الأبوان» أي: آدمُ وحواء، قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٢-٢٣].

٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْـخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الـثَّقَلَانِ:

٢٢٦٠- إِنِّـي أَنَـا الـدَّيَّانُ آخُـذُ حَـقَّ مَظْـ ... ـلُومٍ مِنَ الْعَبْدِ الظَّلُّـومِ الْـجَانِـي

وذلك كما جاء في الحديث الصحيح أنه يُنَادِي بِصَوْتٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»[1].

٢٢٦١- وَتَقُـولُ: إِنَّ اللهَ قَـالَ وَقَائِـلٌ ... وَكَذَا يَقُـولُ، وَلَـيْسَ فِي الْإِمْكَـانِ

٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَـوْتٍ يُـرَى ... مِـنْ غَـيْرِ مَـا شَـفَةٍ وَغَـيْرِ لِسَـانِ

كُلُّ هذا كلامُ أهل التعطيل يُخَاطِبون الرسولَ -عليه الصلاة والسلام-

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

ويَرَوْنَ أنَّ هذا القولَ ليس بِعَدْلٍ، وأنَّ العدلَ أن يأتيَ بما يدَّعونَ أنه التَّنزيه، وهو نفيُ الصفات.

٢٢٦٣- أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ   لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**أَوْقَعْتَ**» أي: الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «**فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ**» (**مَنْ**) مفعول (**أوقعت**).

قَوْلُهُ: «**لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ**» ويعنون به أهلَ السُّنَّة الذين أثبتوا الصفات.

فهذا الرجلُ المعطِّلُ يقول للرسول ﷺ: إنك أوقعتَ مَنْ لم ينفِ ما قلت في التشبيه والتجسيم.

٢٢٦٤- لَوْ لَمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ   بِإِشَارَةٍ حِسِّيَّةٍ بِبَنَانِ

٢٢٦٥- وَسَكَتَّ عَنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي   قَدْ صَرَّحَتْ بِالْفَوْقِ لِلدَّيَّانِ

٢٢٦٦- وَذَكَرْتَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ   فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجَ الْأَكْوَانِ

٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ   كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانِ

قَوْلُهُ: «**لو لَمْ تَقُلْ**» كُلُّ الكلامِ الآن يحكيه ابنُ القيِّم على لسان أهل التعطيل يخاطبون الرسولَ ﷺ.

قَوْلُهُ: «**فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ بِإِشَارَةٍ حِسِّيَّةٍ بِبَنَانِ**» كما أشار في حال خُطبة حجَّةِ الوداع.

فهو يقول: لو فعلت هذا (**كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ**).

يعني: يقول: لو أنَّك ما قلتَ هذا الكلامَ، ولا وصفتَ اللهَ بها وصفتَ لكنَّا انتصفنا من أولي التجسيم، يعني: أننا أخذنا بالنَّصَفِ منهم فغلبناهم وكانت الحُجةُ لنا، لكنَّك قلتَ ذلك فصار الانتصافُ لأهل التجسيم على زعمهم، ويعني بهم: الذين يثبتون الصفات.

٢٢٦٨- لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ سِلَاحًا كُلَّمَا ... شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ

٢٢٦٩- وَغَدَوْا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَهُمْ ... يَرْمُونَنَا غَرَضًا بِكُلِّ مَكَانِ

قَوْلُهُ: «**لَكِنْ مَنَحْتَهُم**» الخطاب للنَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

والمعنى أنَّه كُلَّما أرادوا أن يطعنونا بهذا السِّلاح وجدنا منهم أشدَّ شيء.

٢٢٧٠- لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا ... مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رجفَانِ

أعوذ بالله، يقولون للرسول: لو كنتَ عادلًا ما كان بيننا هذا الرَّجَفَان وهذا الخوف من أن يسطوَ علينا أهلُ الإثبات.

٢٢٧١- هَذَا لِسَانُ الْـحَالِ مِنْهُمْ وَهْوُ فِي ... ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «**هَذَا لِسَانُ الْـحَالِ مِنْهُم**» ابنُ القيِّم -رحمه الله- احترز لـمَّا ذكر أنَّهم يقولون كذا، ويقولون كذا، قال: (**هَذَا لِسَانُ الْـحَالِ**) يعني أنهم لم يقولوا ذلك بألسنتهم، لكن هذا لسانُ حالهم.

والفرقُ بين لسان الحال ولسان المقال: أنَّ لسانَ المقالِ هو النطقُ باللسان، ولسانَ الحالِ هو شواهدُ القرائن؛ ولهذا قال: (**هَذَا لِسَانُ الْـحَالِ مِنْهُمْ وَهْوُ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ**) ذات الصدور هي القلوب.

قَوْلُهُ: «**يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ**» يعني: يُحْبَسُ ويُمْنَع بالكتمان، فلا يُصَرِّحون به.

٢٢٧٢- يَبْـدُو عَـلَى فَلَتَـاتِ أَلْسُـنِهِمْ وَفِي صَـفَحَاتِ أَوْجُهِهِـمْ يُـرَى بِعِيَـانِ

يعني: هذا القولُ الذي قلناه عنهم بناءً على لسان الحال يبدو على فلتات ألسنهم، أي أنَّهم أحيانًا يطلقونه فلتةً.

قَوْلُهُ: «وَفِي صَفَحَاتِ أَوْجُهِهِمْ يُرَى بِعِيَانِ» وهذا صحيحٌ، فالإنسانُ قد تشعرُ بأنه رَدَّ قولَك من صفحات وجهه، أنت إذا قلتَ قولًا يُناسُبه تجد وجهَه يستنيرُ وينتشرُ وينبسطُ، وإذا قلتَ قولًا يكرهه تجده بالعكس، وهذا لا يشعرُ به إلَّا مَن أعطاه اللهُ فراسةً وفطنةً.

٢٢٧٣- سِيَما إِذَا قُـرِئَ الْـحَدِيثُ عَلَـيْهِمُ وَتَلَـوْتَ شَـاهِدَهُ مِـنَ الْقُـرْآنِ

يعني: إذا قرأتَ الحديثَ، وأيَّدتَه بشاهدٍ من القرآن، فانظر ماذا يكونُ على وجوهِهم من الانقباض والكراهة.

٢٢٧٤- فَهُنَـاكَ بَـيْنَ النَّازِعَـاتِ وَكُـوِّرَتْ تِلْـكَ الْوُجُـوهُ كَثِـيرَةُ الْأَلْـوَانِ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُوِّرَتْ» (النازعات) و(وكورت) بينهما سورة (عَبَسَ).

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ» أي: تجد العبوسَ، وتجد قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس:٤١] يعني: إذا تلوتَ عليهم الحديثَ، وأتيتَ بشاهدٍ له من القرآن، فإنَّك تجد عُبُوسًا وغَبَرَةً وقَتَرَةً. نسألُ اللهَ العافيةَ.

٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَـائِلُهُمْ يُصَـرِّحُ لَـوْ يَـرَى مِـنْ قَابِـلٍ فَـتَرَاهُ ذَا كِـتْمَانِ

يُصَرِّحُ بكراهته لِـمَا سمِع لو رأى قابلًا، ولكنَّه لا يرى أحدًا يَقْبَلُ قولَه وحينئذٍ يكتم.

٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهَدْنَا رُءُوسَكُمُ عَلَى ... هَذَا وَلَمْ نَشْهَدْهُ مِنْ إِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «يا قوم» يجوز (يا قومُ) ويجوز (يا قومِ)، فعلى لفظ (قومِ) يكون على اعتبار أنَّ الياء حُذِفَتْ وبقيت الكسرةُ دليلًا عليها، وعلى لفظ (يا قومُ) على اعتبار أنه مقطوعٌ عن الإضافة ويكونُ نكرةً مقصودة، والنكرةُ المقصودةُ يُبْنَى فيها المنادَى على الضم.

قَوْلُهُ: «شَاهَدْنَا رُءُوسَكُمُ» ليس المرادُ رأسَ الجسد، المرادُ رءوسُكم في العلم، يعني: رؤساءَكم شاهدناهم على هذا، إذا تُلِي عليهم الحديثُ وأُيِّد بشاهدٍ من القرآن تجد وجوهًا عابسةً عليها غبرةٌ، ترهقُها قترةٌ، والعياذ بالله.

٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشْوُ فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى ... سُنَنِ الرَّسُولِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

يعني: لم يُشَاهَدْ هذا الشيءُ من إنسان إلَّا وحَشْوُ فؤادِه غِلٌّ على سنن الرسول.

قَوْلُهُ: «حَشْوُ» أي: مِلْء، يعني أنَّ قلبَه مملوءٌ من الغِلِّ على سنن الرسول وشِيعة القرآن.

٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتْبِهِمْ لَكِنْ بِلُطْـ ... ـفِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي فِي كُتْبِهِمْ» أي: في كتب الرؤوس.

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِلُطْفِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ» يعني: أنهم لا يُصَرِّحون، ولكنَّهم يأتون بعباراتٍ لا يفهمُها إلَّا الحُذَّاقُ؛ ولهذا قال بعضُ العلماء في تفسير الزَّمَخْشَرِيّ الذي إذا قرأتَه قلتَ: هذا التفسيرُ في القمَّة، يقول: إنَّك تستخرجُ منه الاعتزالَ بالمناقيش. يعني أنه خَفِيٌّ، ما تستخرجه بالأصبع، فالشَّوكةُ إذا كانت ضعيفةً تستخرجُها بالمِنقاش لا بالإصبع، أمَّا لو كان مِسمارًا بَيِّنًا فستخرجه بالإصبع.

الحاصلُ أنَّ هذه الكتبَ يأتون بها بعبارات موهِمَةٍ مُزَخْرَفةٍ، يَحْسَبُها الجاهلُ حقًّا وهي باطلٌ؛ ولهذا قال -رحمه الله تعالى-: (**لَكِنْ بِلُطْفِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ**).

٢٢٧٩- وَأَخُو الْـجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلَّفْـظِ وَالْـ ـمَعْنَى فنسبُ الْعَالِـمِ الرَّبَّانِـي

قَوْلُهُ: «**وَأَخُو الْـجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلَّفْظِ**» يعني أنَّ الجاهلَ يَغْتَرُّ بالألفاظ، وينخدِعُ بها.

قَوْلُهُ: «**وَالْـمَعْنَى فنسبُ الْعَالِـمِ الرَّبَّانِـي**» يعني: أنَّ العالمَ هو الذي ينظرُ للمعنى ولا يغترُّ باللفظ، والجاهلُ يغترُّ باللفظ والظاهر، فهو صاحبُ اللفظ، أمَّا العالِـمُ فهو صاحبُ المعاني.

٢٢٨٠- يَـا مَـنْ يَظُـنُّ بِأَنَّنَـا حِفْنَـا عَلَيْـ ـهِمْ كُتْبُهُمْ تُنْبِيـكَ عَـنْ ذَا الشَّـانِ

وهذا إنصافٌ من المؤلف، يقول: الذي يظنُّ أنَّنا حِفْنَا عليهم فلينظر إلى كتبهم تُنْبِيكَ عن ذا الشان.

٢٢٨١- فَانْظُرْ تَرَى لَكِنْ نَرَى لَـكَ تَرْكَهَـا حَـذَرًا عَلَيْـكَ مَصَـايِدَ الشَّـيْطَانِ

يعني: انظر كتبَهم ترى أنَّ ما قلناه حَقٌّ، ولكنَّه -رحمه الله- لنصحه قال: نرى ألا تقرأَها، لماذا؟ خوفًا عليك من مصائد الشَّيطان؛ لأنَّ الإنسانَ إذا قرأ في كتب أهل الزَّيْغِ، سواءً في العقيدة، أو في الأخلاق، أو في السلوك، أو في أيِّ شيء، إذا قرأ فيها، وليس عنده حصيلةٌ مِن العلم الصحيح، فإنه يغترُّ؛ ولهذا يجبُ أن يحذرَ الشبابُ، وأن نحذِّرَهم أيضًا من الكتب التي فيها الضلالُ، حتَّى لو قالوا: إنَّنا نعرِفُ الحقَّ ولن ننخدعَ، فإنهم على خطر؛ ولهذا حَذَّر النبيُّ ﷺ مَن سَمِعَ

الدَّجَّالَ بأَنْ يَنْأَى عنه، يعني: يَبْعُد عنه، فقال: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»[1]، والعياذُ بالله؛ فلهذا يجبُ على الإنسان أن يبتعدَ عن الشرِّ، ولكنه إذا ابتُلي فليصبر، قال النبي ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، واسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[2].

٢٢٨٢- فَشِبَاكُهَا وَاللهِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا ... مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيَرَانِ

شِبَاكُ هذه الكتبِ لم يَعْلَقْ بها من ذي جناحٍ قاصر الطيران، مَنْ هو صاحبُ الجناحِ القاصر الطيران؟ الجواب: هو المبتدئ الذي لم يكن عنده حصيلةٌ مِن العِلم يدفعُ بها ما يجدُ في هذه الكتب.

٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفَصِ الرَّدَى ... يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ

قَوْلُهُ: «قَفَص الرَّدَى» القفصُ معروفٌ، وهو الذي يُجْعَلُ فيه الطيرُ، فهل يكونُ الطيرُ في القفص طليقًا؟! لكنه ينوح على الأغصان؛ يبكي على الأغصان التي في الأشجار، فهو في البداية كان على الأغصان طليقًا، ثُمَّ دخل في هذا القفص فبدأ يَنُوحُ على الأغصان؛ ولهذا قال: (لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ).

٢٢٨٤- وَيَظَلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِخَلَاصِهِ ... فَيَضِيقُ عَنْهُ فُرْجَةُ الْعِيدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَظَلُّ» يعني: يستمر يخبطُ بجناحه يريد أن يطيرَ، لكن كُلَّما أرادَ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، رقم (٢٨٠٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٩٠٢).

أن يخرجَ ضاقتْ عليه فُرْجةُ العِيدان، أي: عيدان القفص، فالفتحاتُ ضيِّقةٌ لا يستطيعُ أن يخرجَ منها.

٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَّى أَطْيَبَ الثْـ ... ـثَمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الأَفْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ» يعني: نقولُ لهذا الطير الذي وقع في القفص: الذَّنْبُ ذَنْبُك.

قَوْلُهُ: «خَلَّى أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الأَفْنَانِ» الأفنان: أي: الأغصان، الذَّنْبُ ذَنْبُكَ أيُّها الطيرُ، لماذا تترك الثمراتِ في أعلى الأغصان وتأتي إلى هذا القفص؟!

٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْـمَزَابِلِ يَبْتَغِي الْـ ... ـفَضَلَاتِ كَالْـحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ

يعني: وخَلَّى الثمراتِ على الأغصان العالية.

* * *

٢٢٨٧- يَا قَوْمِ وَاللهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةً ... مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ

٢٢٨٨- جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي ... تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيَرَانِ

٢٢٨٩- حَتَّى أَتَاحَ لِيَ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ ... مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي

٢٢٩٠- حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا ... أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانِ

٢٢٩١- فَاللهُ يَجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ... مِنْ جَنَّةِ الْـمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

٢٢٩٢- أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرِمْ ... حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعَ الإِيمَانِ

٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ

٢٢٩٤- وَرَأَيْتُ آثَارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمْيَانِ

٢٢٩٥- وَوَرَدْتُ رَأْسَ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا حَصْبَاؤُهُ كَاللَّآلِئِ التِّيجَانِ

٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَازًا هُنَاكَ كَثِيرَةً مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ

٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي لَا زَالَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:

٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ وَهُمَا مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنِيَانِ

٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْـ آلافِ أَفْرَادٌ ذَوُو إِيمَانِ

٢٣٠٠- وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلٍ أَكْرِمْ بِهَا وَوَرَدْتُمُ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ

٢٣٠١- فَبِحَقٍّ مَنْ أَعْطَاكُمُ ذَا الْعَدْلَ وَالْـ إِنْصَافَ وَالتَّخْصِيصَ بِالْعِرْفَانِ

٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا أَنْتُمْ أَمِ الْحَشْوِيُّ؟ مَا تَرَيَانِ

٢٣٠٣- وَاللهِ مَا أَنْتُمْ لَدَى الْحَشْوِيِّ أَهْـ ـلًا أَنْ يُقَدِّمَكُمْ عَلَى عُثْمَانِ

٢٣٠٤- فَضْلًا عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْـ ـلًا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَالْقُرْآنِ

٢٣٠٥- وَاللهِ لَوْ أَبْصَرْتُمُ لَرَأَيْتُمُ الْـ ـحَشْوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيمَانِ

٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ

٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ يُقْضَى لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيقَانِ

٢٣٠٨- وَيَرَى الْوِلَايَةَ لِابْنِ سِينَا أَوْ أَبِي نَصْرٍ أَوِ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ

٢٣٠٩- أَوْ مَـنْ يُتَـابِعُهُمْ عَـلَى كُفْـرَانِهِمْ   أَوْ مَـنْ يُقَلِّـدُهُمْ مِـنَ الْعُمْيَـانِ

٢٣١٠- يَـا قَوْمَنَـا بِـالله قُومُـوا وَانْظُـرُوا   وَتَفَكَّـرُوا فِي السِّـرِّ وَالإِعْـلَانِ

٢٣١١- نَظَـرًا وَإِنْ شِـئْتُمْ مُنَـاظَرَةً فَمِـنْ   مَثْنَـى عَـلَى هَـذَا وَمِـنْ وُحْـدَانِ

٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِـفِ بَعْـدَ ذَا أَدْنَـى إِلَى   قَـوْلِ الرَّسُـولِ وَمُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ؟

٢٣١٣- فَـإِذَا تَبَـيَّنَ ذَا فَإِمَّـا تَتْبَعُـوا   أَوْ تُعْـذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُـوا بِطِعَـانِ

الشــرحُ

٢٢٨٧- يَـا قَـوْمِ وَالله الْعَظِـيمِ نَصِـيحَةً   مِـنْ مُشْـفِقٍ وَأَخٍ لَكُـمْ مِعْـوَانِ

جزاه الله خيرًا، أقسم بأنه سَيُهْدِي إلينا نصيحةً من مشفِقٍ خائفٍ **(وأخٍ مِعوان)** أي: مُعين على الحقِّ.

٢٢٨٨- جَرَّبْـتُ هَـذَا كُلَّـهُ وَوَقَعْـتُ فِي   تِلْـكَ الشِّـبَاكِ وَكُنْـتُ ذَا طَـيَرَانِ

ابنُ القيِّم -رحمه الله- كان في أول أمرِه صُوفيًّا مبتدعًا، وقع في شباك المبتدعة، لكن مَن أَرَادَ اللهُ هدايتَه يَسَّر له الهدايةَ، حتى كان يَعْمَدُ إلى الخَلَوَات بعيدًا عن الناس، ويتعبَّدُ بعباداتٍ طبعًا ليست من عبادات أهل التصوف، فكانت هذه حاله -رحمه الله-، ولكنَّه يقولُ:

٢٢٨٩- حَتَّـى أَتَـاحَ لِـيَ الْإِلَـهُ بِفَضْـلِهِ   مَـنْ لَـيْسَ تَجْزِيـهِ يَـدِي وَلِسَانِـي

هيَّأ اللهُ له مَن لا تجزيه يدُه ولا لسانُه، يعني: لو أعطيتُه مِن يدي ما أعطيتُه، وأثنيتُ عليه بلساني ما أثنيتُ عليه، فلن أكافِئَه على معروفه عليه، فمن هو؟

قال -رحمه الله-:

٢٢٩٠- حَـبْرٌ أَتَـى مِـنْ أَرْضِ حَـرَّانٍ فَيَـا   أَهْـلًا بِمَـنْ قَـدْ جَـاءَ مِـنْ حَـرَّانِ

قَوْلُهُ: «حَبْرٌ أَتَى» وهو شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّاني -رحمه اللهُ-، يَسَّره اللهُ لابن القيِّم فاهتدى على يديه.

قَوْلُهُ: «أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ» (مَن) هذه من صيغ العموم، لكنه عامٌّ أُريد به الخاص، أُريدَ به شيخُ الإسلام، وليس كل مَنْ جاء من حرَّان، فحرَّان فيها الصابئةُ وفيها الفُسَّاقُ، لكن يريدُ بذلك شيخَ الإسلام فقط.

٢٢٩١- فَـاللهُ يَجْزِيـهِ الَّـذِي هُـوَ أَهْلُـهُ   مِنْ جَنَّةِ الْـمَأْوَى مَـعَ الرِّضْـوَانِ

وهذا من بعض حقوق الشيوخ على تلاميذهم، أن يدعوَ اللهَ لهم، فهو دعا لشيخه، ونِعْمَ الشيخُ، ونحن نسألُ اللهَ تعالى أن يجزيَ الجميعَ ما هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان.

٢٢٩٢- أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَـمْ يَـرِمِ   حَتَّـى أَرَانِـي مَطْلَـعَ الإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي» يعني: أمسك بيدي.

٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْـلَامَ الْـمَدِينَةِ حَوْلَـهَا   نَـزَلَ الْـهُدَى وَعَسَـاكِرُ الْقُـرْآنِ

قَوْلُهُ: «أعلامَ المدينةِ» يعني المدينةَ النبويَّةَ، مدينة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، حولَها نُزُلُ الـهُدَى وعساكرُ القرآن.

٢٢٩٤- وَرَأَيْـتُ آثَـارًا عَظِـيمًا شَـأْنُهَا   مَحْجُوبَـةً عَـنْ زُمْـرَةِ الْعُمْيَـانِ

كان -رحمه الله- في أوَّل أمرِه يَتَّبعُ كلامَ الشيوخ، لكن لَـمَّا وفَّقه اللهُ لشيخ

الإسلام صار مُنهمكًا بالآثار.

٢٢٩٥- وَوَرَدْتُ رَأْسَ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا ... حَصْبَاؤُهُ كَلَآلِئِ التِّيجَانِ

٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَازًا هُنَاكَ كَثِيرَةً ... مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ

٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي ... لَا زَالَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:

قَوْلُهُ: «يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ» ذكرهما بقوله:

٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ ... وَهُمَا مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنِيَانِ

يعني أنَّه -رحمه الله- أخذ بيده حتَّى أورده هذا الماءَ الصافيَ الذي يَصُبُّ فيه ميزابان: الأوَّلُ: كتابُ الله، والثاني: سُنَّةُ رسولِ الله ﷺ.

٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْـ ... آلافِ أَفْرَادٌ ذَوُو إِيمَانِ

يعني: لا يَرِدُ هذا الحوضَ الذي يصبُّ فيه هذان الميزابان إلَّا أفرادٌ ذوو إيمانٍ.

٢٣٠٠- وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلٍ أَكْرِمْ بِهَا ... وَوَرَدْتُمُ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ

قَوْلُهُ: «عِذَابَ»، و«عَذَابَ» بينهما جِناسٌ تامّ، أو غيرُ تامٍّ؟

نقول: إذا اتَّفقَ اللفظان في الحركات والحروف فهو تام، وإنِ اختلفا فهو ناقص، وهنا اختلفا: (عِذَاب وعَذَاب).

٢٣٠١- فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمُ ذَا الْعَدْلَ وَالْـ ... إِنْصَافَ وَالتَّخْصِيصَ بِالْعِرْفَانِ

٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا ... أَنْتُمْ أَمِ الْحَشْوِيُّ؟ مَا تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمُ ذَا الْعَدْلَ» يعني: أنه ناشدهم بحقِّ الله عزَّ وجلَّ.

وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلَ وَالإِنْصَافَ وَالتَّخْصِيصَ بِالْعِرْفَانِ» هذا نوعٌ من التهكُّم، لكن مع ذلك أنتم تَدَّعون أنَّكم أهلُ العدل وأهلُ التخصيص والتحقيق.

فمَن الذي على دين الخوارج أنتم أم الحَشْوِيُّ؟ والحَشْوِيّة هم أهل الإثبات، فكلُّ أهلِ الإثبات يُسَمَّوْنَ حَشْوِيَّةً عندهم.

٢٣٠٣- وَاللهِ مَا أَنْتُمْ لَدَى الْـحَشْوِيِّ أَهْـ ... ـلًا أَنْ يُقَدِّمَكُمْ عَلَى عُثْمَانِ

يخاطبُ هؤلاء الذين يتَّبعونَ شيوخَهم ورؤساءَهم، يقول: ما أنتم أهلًا بأن نقدمكم على عثمانَ.

٢٣٠٤- فَضْلًا عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْـ ... ـلًا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فضلًا عن الفارُوقِ» أي: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «عثمان» و«الفاروق» و«الصِّدِّيق» هؤلاء ثلاثةٌ من الخلفاء: عثمان وعمر وأبو بكر، ولا يمكنُ أن نُقَدِّمَكم عليهم، فضلًا عن كلامِ اللهِ وكلامِ رسول -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٠٥- وَاللهِ لَوْ أَبْصَرْتُمُ لَرَأَيْتُمُ الْـ ... ـحَشْوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الإِيمَانِ

٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ ... فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ

٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ ... يُقْضَى لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيقَانِ

وطريقُ أهل النفي والتعطيل أنَّ القرآنَ والسُّنَّةَ مُحَرَّفان عن مواضعهما، فيقولون: (استوى) يعني (استولى)، و(يد) يعني (قوة)، وهكذا.

وأيضًا يقولون: هي معزولة عن الإيقان؛ أي: لا تفيدُ إلَّا الظنَّ فقط.

٢٣٠٨- وَيَرَى الْوِلايَةَ لِابْنِ سِينَا أَوْ أَبِي ... نَصْرٍ أَوِ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ

٢٣٠٩- أَوْ مَنْ يُتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ ... أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ الْعُمْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَرَى الْوِلايَةَ لِابْنِ سِينَا» يعني: يتولَّى ابنَ سينا[1] وأتباعَه، ويتركُ وَلايةَ الله ورسوله.

قَوْلُهُ: «أو أبي نَصْرٍ» أي: أبي نصرٍ الفَارَابِيّ[2].

قَوْلُهُ: «أَوِ المَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ» أي: الجَهْم بن صَفْوان.

٢٣١٠- يَا قَوْمَنَا بِاللهِ قُومُوا وَانْظُرُوا ... وَتَفَكَّرُوا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ

٢٣١١- نَظَرًا وَإِنْ شِئْتُمْ مُنَاظَرَةً فَمِنْ ... مَثْنَى عَلَى هَذَا وَمِنْ وُحْدَانِ

يقول -رحمه الله-: قوموا وانظروا، فكِّروا أيُّنا أولى بالخوارج، هل هو الحَشْوِيُّ -على زعمهم- أو هؤلاء الرؤساءُ؟

إن شئتم أن تنظروا بأنفسِكم فانظروا، وإنْ شئتم مناظرةً ومنازلةً، فنحن مستعِدون لمناظرتِكم ومنازلتِكم.

٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِفِ بَعْدَ ذَا أَدْنَى إِلَى ... قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ؟

---

(١) ابن سِينَا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطِّبِّ وغيره، كان مِن أهل دعوة الحاكم العُبَيْدِي، معروفًا بالإلحاد، وُلِد في إحدى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠هـ)، وتوفي في سَفَرِه إلى هَمَذَانَ (سنة ٤٢٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١).

(٢) الفارابي: هو محمد بن طرخان، تركي الأصل، سمي بذلك لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وُلد في فاراب على نهر جيحون سنة (٢٦٠هـ)، كان فيلسوفًا، وتوفي بدمشق سنة (٣٣٩هـ). انظر ترجمته في: مرآة الجنان (٢/ ٢٤٦).

٢٣١٣- فَـــإِذَا تَبَـــيَّنَ ذَا فَإِمَّـــا تَتْبَعُـــوا أَوْ تُعْـــذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُـــوا بِطِعَـــانِ

يعني: إذا تَبيَّن فإمَّا أن تَتْبَعُوا وهذا هو الخير، (أو تُعْذِروا) وهذا وَقْفٌ سِلْمِيٌّ، تعذروننا ولا تتكلَّمون فينا، (أَوْ تُـؤْذِنُوا بِطِـعَانِ) يعني: ونتكلَّم وتتكلَّمون.

والواقع أنهم لا اتَّبعوا ولا عذروا، بل كانوا يَسبُّون أهلَ الإثبات، ويقولون: هم حَشْوِيَّةٌ، هم نَوَابِت، هم غُثاء، هم عامة وليس عندهم علم، وهكذا، وحينئذٍ يكونون قد آذنوا بِطِعَان، وإذا آذنوا بِطِعَان، فلا تلوموننا، إذا قلنا فيهم ما يستحقُّونه مِن أوصافٍ ذميمة.

* * *

فصل

فِي تَلْقِيبِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالحَشْوِيَّةِ، وَبَيَانِ مَنْ أَوْلَى بِالوَصْفِ المَذْمُومِ مِنْ هَذَا اللَّقَبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَذِكْرِ أَوَّلِ مَنْ لَقَّبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ

٢٣١٤- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدَى ... بِالْوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ:

٢٣١٥- حَشْوِيَّةٌ، يَعْنُونَ حَشْوًا فِي الْوُجُو ... دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الإِنْسَانِ

٢٣١٦- وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوْا ... رَبَّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الأَكْوَانِ

٢٣١٧- إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَا ... ءِ الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

٢٣١٨- ظَنَّ الحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ، وَالرْ ... رَحْمَنُ مَحْوِيٌّ بِظَرْفِ مَكَانِ

٢٣١٩- وَاللهِ لَمْ يُسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ ... قَالَتْهُ فِي زَمَنٍ مِنَ الأَزْمَانِ

٢٣٢٠- لا تَبْهَتُوا أَهْلَ الحَدِيثِ بِهِ فَمَا ... ذَا قَوْلُهُمْ تَبًّا لِذِي الْبُهْتَانِ

٢٣٢١- بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الأَكْوَانِ

٢٣٢٢- حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَفِّ مُمْـ ... ـسِكِهَا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ

٢٣٢٣- أَتَرَوْنَهُ الْمَحْصُورَ بَعْدُ أَمِ السَّمَا؟ ... يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدْوَانِ

٢٣٢٤- كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ وَكَمْ حَشْوِيَّةٌ ... فَالْبُهْتُ لا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ

٢٣٢٥- يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْـ ... ـمُخْتَارِ حَشْوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ

٢٣٢٦- أَنَّـــا بِحَمْـــدِ إِلَـــهِنَا حَشْـــوِيَّةٌ   صِرْفٌ بِـــلَا جَحْـــدٍ وَلا كِـــتْمَانِ

٢٣٢٧- تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شُـيُوخُكُمُ بِهَـ   ذَا الإِسْمِ فِي المَاضِي مِـنَ الأَزْمَـانِ

٢٣٢٨- سَـمَّى بِـهِ ابْـنُ عُبَيْـدٍ عَبْـدَ الله ذَا   كَ ابْنُ الـــخَلِيفَةِ طَـارِدُ الشَّـيْطَانِ

٢٣٢٩- فَـوَرِثْتُمُ عَمْـرًا كَـمَا وَرِثُـوا لِعَبْـ   ـــدِ الله أَنَّـى يَسْـتَوِي الإِرْثَـانِ؟

٢٣٣٠- تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْـمِ وَهْـ   ـــوَ مُنَاسِـــبٌ أَحْوَالَـــهُ بِـــوِزَانِ؟

٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الأَوْرَاقَ وَالأَذْهَانَ مِـنْ   بِـــدَعٍ تُخَـــالِفُ مُوجَـــبَ الْقُـــرْآنِ

٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الحَشْـوِيُّ لا أَهْـلُ الحَدِيـ   ـــثِ أَئِمَّـــةُ الإِسْـــلامِ وَالإِيـــمَانِ

٢٣٣٣- وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّـنَنِ الَّتِـي   لَيْسَـــتْ زُبَالَـــةَ هَـــذِهِ الأَذْهَـــانِ

٢٣٣٤- وَوَرَدْتُمُ الْقَلُّوطَ مَجْرَى كُلِّ ذِي الْـ   أَوْسَـــاخِ وَالأَقْـــذَارِ وَالأَنْتَـــانِ

٢٣٣٥- وَكَسِلْتُمُ أَنْ تَصْـعَدُوا لِلْـوِرْدِ مِـنْ   رَأْسِ الشَّـــرِيعَةِ خَيْبَـــةَ الكَسْـــلانِ

الشـــرحُ

ذكر المؤلفُ -رحمه الله- في هذا الفصل أنَّ أهلَ البدع لقَّبوا أهلَ الحديث -وهم السَّلفُ- بلقبٍ سيِّءٍ، حيث سمَّوْهم حَشْوِيَّةً، والحشو: معناه الشيءُ الزائدُ الذي لا خيرَ فيه، فهم يقولون: هؤلاء حَشْوِيَّةٌ، يعني أنهم من أطراف الناس، وليسوا من رؤسائهم، ولا من أهل العلم منهم، وإنَّما هم فَضْلَةٌ، فيقولُ -رحمه الله-: لننظرْ مَن هو أَوْلَى باللَّقَب منَّا أو منكم؟ فيقول -رحمه الله-:

٢٣١٤- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُـهُمْ لِـمَنِ اقْتَدَى   بِـالْوَحْيِ مِـنْ أَثَـرٍ وَمِـنْ قُـرْآنِ:

٢٣١٥- حَشْوِيَّةٌ، يَعْنُونَ حَشْوًا فِي الْوُجُو دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «حَشْوِيّة» يعني: هم حَشْوِيَّةٌ.

إِذَنْ أهلُ الحديث عندهم جُهَّالٌ، من أطراف الناس، لا يُؤبَهُ لهم، ولا يُرَدُّ لقولهم، ومع هذا يقول:

٢٣١٦- وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوْا رَبَّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الأَكْوَانِ

يظنُّ بعضُ مَن يسمعُ تلقيبَ هؤلاء لأهل السُّنَّة بأنَّهم حَشْوِيَّةٌ بأنَّهم يُريدون أنهم حَشَوُا الإلهَ في السَّماء بداخل الأكوان، يعني: جعلوا السَّماءَ حَشْوًا له، أي: محيطةً به.

٢٣١٧- إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَا ءِ الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

أهلُ الحديث يقولون: إنَّ اللهَ في السَّماء، فظنَّ هؤلاء الجُهَّالُ أنَّ المتكلِّمين الذي سَمَّوْا أهلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً أنَّهم سَمَّوْهم حَشْوِيَّةً لأنهم قالوا: إنَّ اللهَ حَشْوٌ في السَّماء، يعني أنَّ السَّماءَ تُحيطُ به.

٢٣١٨- ظَنَّ الحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ، وَالرْ رَحْمَنُ مَحْوِيٌّ بِظَرْفِ مَكَانِ

قَوْلُهُ: «ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ» وصفهم بأنَّهم حميرٌ، ولا غرابةَ أن يُوصَفَ مَن لم يفهم النصَّ بأنه حمارٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾ [الجمعة:٥] وقال النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤٥٨، رقم ٥٣٠٥)، وأحمد (١/ ٢٣٠، رقم ٢٠٣٣)، والطبراني (١٢/ ٩٠، رقم ١٢٥٦٣)، وشطره الأخير لفظه: «والذي يقول له أنصت لا جمعة له».

فلا غَرابةَ أن يُسَمِّيَ ابنُ القيِّم -رحمه الله- هؤلاء حميرًا؛ لأنهم لم يفهموا قولَ الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] لم يفهموه على حقيقتِه، بل حرَّفوه، ثُمَّ أنكروا أن يكونَ اللهُ في السَّماء.

فصار هؤلاء الذين لَقَّبوا أهلَ الحديثِ بالحَشْوِيَّة لهم طريقان:

الطريق الأول: أنَّهم فَضْلَةٌ من حَشْوِ الناس، وليسوا من اللُّبِّ، وليسوا من الأصل.

الطريق الثاني: أنَّهم حَشْوِيَّةٌ؛ لأنهم حَشَوُا اللهَ في السَّماء، يعني: جعلوا السَّماءَ محيطةً بالله عزَّ وجلَّ.

٢٣١٩- وَاللهِ لَـمْ يُسْمَعْ بِـذَا مِـنْ فِرْقَـةٍ قَالَتْـهُ فِي زَمَـنٍ مِـنَ الأَزْمَـانِ

يعني: ما سمِعنا أبدًا أنَّ فِرقةً من أهل الحديث قالوا بأنَّ السَّماءَ تحيطُ بالله.

٢٣٢٠- لا تَبْهَتُوا أَهْلَ الـحَدِيثِ بِـهِ فَـمَا ذَا قَوْلُـهُمْ تَبًّـا لِـذِي الْبُهْتَـانِ

هل أهلُ الحديث يقولون: إنَّ اللهَ في السَّماء أي: في جوف السَّماء؟ الجواب: أبدًا، بل يقولون: إنَّ اللهَ في السَّماءِ يعني: في العلوِّ، أو إنَّ اللهَ في السَّماء يعني: على السَّماء، ولم يقل أحدٌ منهم: إنَّ اللهَ في السَّماءِ أي: تُحيط به كما تُحيط الحجرةُ بمن فيها.

أنت لو قلت: إن فلانًا في الحجرة عرفنا أنه حشوُها، وأنه داخلها، وأنها محيطةٌ به، لكن ليس هذا كما إذا قلت: (**إنَّ اللهَ فِي السَّماء**) فبينهما فرقٌ عظيمٌ.

و(في) يختلف معناها باختلاف متعلَّقِها، فأنت تقول مثلًا: (**الماء فِي الكأس**)، (**الرجل فِي الحجرة**)، هذا واضح، أنَّ الماءَ كان حَشْوًا في الكأس، والرجلَ كان حشوًا في الحجرة.

أمَّا لو قلتَ: (الوجه فِي المرآة) فيختلف هذا عن هذا، (الكتابة فِي الورق) تختلف، (الروح فِي الجسد) تختلف، فتختلف معاني مدخول (في) باختلاف المتعلَّق، أي: ما تعلَّقت به.

٢٣٢١- بَلْ قَوْلُـهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... فِي كَـفِّ خَـالِقِ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ

٢٣٢٢- حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَـفِّ مُـمْـ ... ـسِكِهَا تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَوْلُـهُمْ» أي: قول أهل الحديث.

السموات السبع والأَرَضُون كُلُّها في كَفِّ الله -سبحانه وتعالى- مثل الخَرْدَلَة في كَفِّ أحدنا، وهذا أيضًا على سبيل التقريب، وإلَّا فالأمرُ أعظمُ من هذا.

الخردلةُ حَبَّةٌ صغيرةٌ جدًّا يُضْرَبُ بها المَثَلُ في الصِّغر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبياء:٤٧] ومع ذلك هي في كَفِّ الرحمن كخردلة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ أي: كُلُّها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال تعالى: ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] مثلما يطوي صاحبُ السجل الكتابَ إذا أنهاه، وكان في الزمن الماضي ليس عندهم ظروفٌ، إذا انتهَوْا من الكتاب طَوَوْه بقدر ما يمكنُ من الطيِّ ثم أغلقوه.

فهل يُعقلُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يقولون: إنَّ السَّماءَ تُحيطُ بالله، وإنَّ اللهَ حَشْوُها؟ الجواب: أبدًا، ولا قاله أحدٌ، لكن هؤلاء يبهتون أهلَ السُّنَّة.

٢٣٢٣- أَتَرَوْنَهُ الْـمَحْصُورَ بَعْدُ أَمِ السَّـمَا؟ يَا قَوْمَنَـا ارْتَـدِعُوا عَـنِ الْعُـدْوَانِ

أيُّها المحصورُ؟ الجواب: السَّماء، فالسَّماءُ يُحيط اللهُ بها من كل جانب، والأرضُ كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦].

٢٣٢٤- كَـمْ ذَا مُشَـبِّهَةٌ وَكَـمْ حَشْـوِيَّةٌ فَالْبُهْـتُ لا يَخْفَـى عَـلَى الـرَّحْمَنِ

يعني: كم من مرة تقولون عن أهل الحديث: إنَّهم مُشَبِّهَةٌ، وتقولون: إنَّهم حَشْوِيَّةٌ، مُجَسِّمَةٌ، نوابتُ، غُثاءٌ، وهلمَّ جرًّا من ألقاب السوء، وكُلُّها لا تخفى على الله عزَّ وجلَّ.

٢٣٢٥- يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُـنَّةُ الْـ ـمُخْتَارِ حَشْـوًا فَاشْـهَدُوا بِبَيَـانِ

٢٣٢٦- أَنَّـا بِحَمْـدِ إِلَـهِنَا حَشْـوِيَّةٌ صِرْفٌ بِـلَا جَحْـدٍ وَلا كِـتْمَانِ

يقول: إن كان ما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ حَشْوًا فنحن -بحمد الله- حَشْوِيَّةٌ، اشهدوا على ذلك أنَّنا حَشْوِيَّةٌ. قال الشَّافِعيُّ -رحمه اللهُ-[1]:

إِنْ كَـانَ رَفْضًـا حُـبُّ آلِ مُحَمَّـدٍ فَلْيَشْـهَدِ الـثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِـي

المهم أنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- يقولُ: إن كان حَشْوًا القولُ بما دَلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّة فإنَّنا بحمد الله حَشْوِيَّةٌ.

٢٣٢٧- تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شُـيُوخُكُمُ بِهَـ ذَا الإِسْمِ فِي المَاضِي مِـنَ الأَزْمَـانِ

٢٣٢٨- سَـمَّى بِـهِ ابْـنُ عُبَيْـدٍ عَبْـدَ الله ذَا كَ ابْنُ الـخَلِيفَةِ طَـارِدُ الشَّـيْطَانِ

قَوْلُهُ: «ابنُ عُبَيْد» هو عمرو بن عبيد إمامُ أهلِ الاعتزال.

---

(١) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (ص:٣٦٣).

قَوْلُهُ: «سَمَّى به» أي: سمَّى عبدَ الله بنَ الخليفة، أيُّ خليفة؟ قال: (طارِدُ الشيطان) وهو عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يعني أنَّ عمرَو بنَ عُبيدٍ سَمَّى عبدَ الله بنَ عمر حَشْوًا.

فإذن هذا اللَّقبُ من هؤلاء المتكلِّمين المعطِّلة كان قديمًا من عهد الصحابة.

٢٣٢٩- فَـوَرِثْتُمُ عَمْـرًا كَـمَا وَرِثُـوا لِعَبْـ ـدِ الله أَنَّـى يَسْـتَوِي الإِرْثَـانِ؟

قَوْلُهُ: «فَوَرِثْتُمُ عَمْرًا» فقلتم: إنَّ أهلَ الحديث حَشْوِيَّةٌ (كَمَا وَرِثُوا لِعَبْدِ الله) ورثوا لعبد الله فالتزموا بالكتاب والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «أَنَّى يَسْتَوِي الإِرْثَانِ؟» الاستفهامُ هنا للنفي والإنكار، لا يستوي الإرثان، فلا يستوي مَن وَرِثَ عبدَ الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ومَنْ وَرِثَ عمرو بن عُبيد المعتزلِـيَّ.

٢٣٣٠- تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ وَهْـ ـوَ مُنَاسِـبٌ أَحْوَالَـهُ بِـوِزَانِ؟

قَوْلُهُ: «تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ» يقول: الأَوْلَى به هو (مَن قد حشا الأوراق والأذهان من بِدَعٍ....»؛ ولذا قال:

٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الأَوْرَاقَ وَالأَذْهَانَ مِـنْ بِـدَعٍ تُخَـالِفُ مُوجَـبَ الْقُـرْآنِ

صحيح، والله هذا هو الحَشْوِيُّ، حشوِيُّ الأوراق والأذهان من البدع والكلام الفارغ، تقرأ كلامًا طويلًا ولا تحصل على فائدة، هؤلاء هم الحَشْوِيَّة حقًّا؛ ولذا قال:

٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الحَشْـوِيُّ لا أَهْـلُ الحَدِيـ ـثِ أَئِمَّـةُ الإِسْـلامِ وَالإِيـمَانِ

٢٣٣٣- وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّـنَنِ الَّتِـي لَيْسَـتْ زُبَالَـةَ هَـذِهِ الأَذْهَـانِ

قَوْلُهُ: «وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّنَنِ» ونِعْمَ المورد، مناهل السُّنن، وليست زبالة هذه الأذهان، أمَّا المعطِّلة وأهل الكلام فقال عنهم:

٢٣٣٤- وَوَرَدْتُمُ الْقَلُّوطَ مَجْرَى كُلِّ ذِي الْـ أَوْسَاخِ وَالأَقْذَارِ وَالأَنْتَانِ

القَلُّوط سبق الكلامُ عليه، وهو المجاري، مجاري في الشام معروفةٌ تُسَمَّى القَلُّوط، كُلُّ الأوساخ من الأبوال والعَذِرَات كُلُّها تدبُّ فيه وتمشي.

فإِذَنْ أهلُ السُّنَّة وردوا المناهلَ العذبةَ: كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِه ﷺ، أمَّا هؤلاء فوردوا القَلُّوط مجرى كُلِّ ذي الأوساخ والأقذار والأنتان.

٢٣٣٥- وَكَسِلْتُمُ أَنْ تَصْعَدُوا لِلْوِرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ خَيْبَةَ الكَسْلانِ

قَوْلُهُ: «خَيْبَةَ الكَسْلانِ» يعني: يا خيبةَ الكسلان.

وصدق -رحمه الله-، هذا هو الواقع، فإذن مَنْ أَحَقُّ بالوصف؟ هم أحقُّ بلا شكٍّ، حَشَوُا الأوراقَ والأذهانَ من الكلام الفارغ، أمَّا نحن -والحمد لله- فلم نقل إلَّا بما دَلَّ عليه كتابُ الله وسُنَّةُ رسولِه ﷺ.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ عُدْوَانِهِمْ فِي تَلْقِيبِ أَهْلِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ بِالمُجَسِّمَةِ، وَبَيَانِ أَنَّهُمْ أَوْلَى بِكُلِّ لَقَبٍ خَبِيثٍ

٢٣٣٦- كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا ... بِتَةٌ مَسَبَّةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ

٢٣٣٧- أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الحَدِيـ ... ـثِ وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالإِيمَانِ

٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمُ وَشُيُوخُكُمْ ... بُهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ

٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لِتُنَفِّرُوا ... عَنْهُمْ كَفِعْلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ

٢٣٤٠- مَا ذَنْبُهُمْ وَاللهِ إِلَّا أَنَّهُمْ ... أَخَذُوا بِوَحْيِ اللهِ وَالْفُرْقَانِ

٢٣٤١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَحَيَّزُوا لِمَقَالَةٍ ... غَيْرِ الحَدِيثِ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ

٢٣٤٢- وَأَبَوْا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ ... مِنْ هَذِهِ الآرَاءِ وَالهَذَيَانِ

٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالأَوْصَافِ فِي النَّصَّيْنِ مِنْ ... خَبَرٍ صَحِيحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ

٢٣٤٤- إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمَ عِنْدَكُمُ فَيَا ... أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

٢٣٤٥- إِنَّا مُجَسِّمَةٌ بِحَمْدِ اللهِ لَمْ ... نَجْحَدْ صِفَاتِ الخَالِقِ الرَّحْمَنِ

٢٣٤٦- وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِنَّا بِأَنْ ... نَ اللهَ جِسْمٌ يَا أُولِي الْبُهْتَانِ

٢٣٤٧- وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا فِي وَصْفِهِ ... لَمْ نَعْدُ مَا قَدْ قَالَ فِي القُرْآنِ

٢٣٤٨- أَوْ قَالَــهُ أَيْضًــا رَسُــولُ الله فَهْـــ ـوَ الصَّادِقُ الـمَصْدُوقُ بِالْبُرْهَـانِ

٢٣٤٩- أَوْ قَالَــهُ أَصْــحَابُهُ مِــنْ بَعْــدِهِ فَهُــمُ النُّجُــومُ مَطَــالِعُ الإِيــمَانِ

٢٣٥٠- سَــمَّوْهُ تَجْسِــيمًا وَتَشْــبِيهًا فَلَسْـــ ـــنَا جَاحِدِيــهِ لِــذَلِكَ الــهَذَيَانِ

٢٣٥١- بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيــفٌ بَــلْ هُــوَ الْـ ـفَرْقُ الْعَظِــيمُ لِــمَنْ لَــهُ عَيْنَــانِ

٢٣٥٢- إِنَّ الـــحَقِيقَةَ عِنْــدَنَا مَقْصُــودَةٌ بِــالنَّصِّ وَهْــيَ مُــرَادَةُ التِّبْيَــانِ

٢٣٥٣- لَكِــنْ لَــدَيْكُمْ فَهْــيَ غَــيْرُ مُــرَادَةٍ أَنَّــى يُــرَادُ مُحَقَّــقُ الــبُطْلانِ؟!

٢٣٥٤- فَكَلامُــهُ فِــيمَا لَــدَيْكُمْ لا حَقِيـــ ـــقَةَ تَحْتَــهُ تَبْــدُو إِلَى الأَذْهَــانِ

٢٣٥٥- فِي ذِكْـرِ آيَـاتِ الْعُلُـوِّ وَسَـائِرِ الْـ أَوْصَــافِ وَهْــيَ الْقَلْــبُ لِلْقُــرْآنِ

٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَـيْسَ حَقِيقَـةً فِــيمَا لَــدَيْكُمْ يَــا أُولِــي الْعِرْفَــانِ

٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْــتُمْ ذَا مَجَــازًا صَــحَّ أَنْ يُنْفَــى عَــلَى الإِطْــلاقِ وَالإِمْكَــانِ

٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الأَلْفَـاظِ بِالْعَقْـلِ انْتَفَـتْ فِــيمَا زَعَمْــتُمْ فَاسْــتَوَى النَّفْيَــانِ:

٢٣٥٩- نَفْيُ الـحَقِيقَةِ، وَانْتِفَـاءُ اللَّفْـظِ إِنْ دَلَّــتْ عَلَيْــهِ فَحَظُّكُــمْ نَفْيَــانِ

٢٣٦٠- وَنَصِــيبُنَا إِثْبَــاتُ ذَاكَ جَمِيعِــهِ لَفْظًـــا وَمَعْنًـــى ذَاكَ إِثْبَاتَـــانِ

٢٣٦١- فَمَنِ الْمُعَطِّلُ فِي الحَقِيقَةِ غَـيْرُكُمْ؟! لَقَــبٌ بِــلا كَــذِبٍ وَلا عُــدْوَانِ

٢٣٦٢- وَإِذَا سَــبَبْتُمْ بِالـــمُحَالِ فَسَــبُّنَا بِأَدِلَّـــةٍ وَحِجَـــاجِ ذِي بُرْهَـــانِ

٢٣٦٣- تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِـتْرَكُمْ وَتُبِــينُ جَهْلَكُــمُ مَــعَ العُــدْوَانِ

٢٣٦٤- يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السِّبَابِ بِذَاكُمُ وَسِبَابِكُمْ بِالْكِذْبِ وَالطُّغْيَانِ

٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ وَالظُّلْمُ سَبُّ العَبْدِ بِالبُهْتَانِ

٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنْ يَكُ عِنْدَكُمْ وَصْفُ الإِلَهِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ

٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلانِ

٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانِ

٢٣٦٩- أَنَّا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ الله وَلْـ ـيَشْهَدْ بِذَلِكَ مَعْكُمُ الثَّقَلانِ

٢٣٧٠- اللهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْـ ـحَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالأَقْرَانِ

٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ وَانْقَسَمَ الْوَرَى قِسْمَيْنِ وَاتَّضَحَتْ لَنَا الْقِسْمَانِ

الشرحُ

٢٣٣٦- كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا بِتَةٌ مَسَبَّةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ

قَوْلُهُ: «كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ» يعني: كم ذا يقولون لأهل السُّنَّة والجماعة: إنَّهم مُشَبِّهَةٌ ومُجَسِّمَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَنَوَابِت» النَّوابِتُ: قال العلماء: إنها هي الزرع الذي يَنْبُتُ في وسط الزرع المقصود، وهو الزرعُ الذي لا قيمةَ له، والذي يضرُّ الزرعَ المقصودَ، وليس فيه فائدةٌ.

قَوْلُهُ: «مَسَبَّةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ» المسبَّة يعني: القدح والعيب.

٢٣٣٧- أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الحَدِيـ ـثِ وَنَاصِرِي القُرْآنِ وَالإِيمَانِ

حيث ذكر أنَّهم سمَّوهم مُشَبِّهَةً، مُجَسِّمَةً، نوابتَ.

٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمُ وَشُيُوخُكُمْ بُهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ

يعني: أنكم سَمَّيتم أهلَ السُّنَّة بهذه الألقابِ كذِبًا وبهتانًا عليهم.

٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لِتُنَفِّرُوا عَنْهُمْ كَفِعْلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ

أي: وصفتموهم بهذه الأوصاف المنفِّرَةِ مِن أَجْلِ أن ينفرَ الناسُ عنهم.

قَوْلُهُ: «**كفِعْلِ الساحِرِ**» أي: الذي يَسْحَرُ الناسَ فيصرفهم؛ لأنَّ السحرَ أنواعٌ، منه الصَّرف، ومنه العطف، الصَّرف: أن يَصْرِفَ الشَّخصَ عمَّن يحبُّه كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] والمحبَّةُ من أشدِّ العلاقات بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، فهم يأتون بهذه الكلمات لتنفِّرَ الناسَ عن أهل السُّنَّة والجماعة ويُبغضوهم.

٢٣٤٠- مَا ذَنْبُهُمْ وَاللهِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَخَذُوا بِوَحْيِ اللهِ وَالفُرْقَانِ

ما ذنبُهم إِلَّا أنَّهم أخذوا بوحي الله والقرآن، وهذا ذمٌّ أو مدحٌ؟ الجواب: هذا مدحٌ، ومثل هذه الصيغة تُسَمَّى عند أهل البلاغة: تأكيدُ المدحِ بما يُشْبِهُ الذمَّ؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨] وكقول الشاعر(١):

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

(١) البيت للنابغة، كما في الكامل للمبرد (١/ ٤٦).

وهذا مدحٌ للشجاعة والإقدام.

وقولُ ابنِ القيِّم هذا كفعل مَن سبقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨].

٢٣٤١- وَأَبَـوْا بِـأَنْ يَتَحَيَّـزُوا لِـمَقَالَةٍ ... غَيْرِ الحَدِيثِ وَمُقْتَضَـى القُـرْآنِ

قَوْلُهُ: «أبوا» أي: أهلُ السُّنَّة، فأبوا أن يتحيَّزوا لكُلِّ مقالةٍ إلَّا ما جاء به الحديثُ ومقتضى القرآن.

٢٣٤٢- وَأَبَـوْا يَـدِينُوا بِالَّـذِي دِنْـتُمْ بِـهِ ... مِـنْ هَـذِهِ الآرَاءِ وَالـهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «أَبَوْا يَدِينُوا» يدينوا: منصوبة بـ(أن) محذوفةً مِن أَجْلِ الرَّوِيِّ، والأصل: وأَبَوْا أَنْ يدينوا بالذي دنتم به من هذه الآراءِ والهذيان.

٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالأَوْصَافِ فِي النَّصَّيْنِ مِنْ ... خَـبَرٍ صَـحِيحٍ ثُـمَّ مِـنْ قُـرْآنِ

يعني أنَّ أهلَ الحديث وصفوا اللهَ عزَّ وجلَّ بالأوصاف الواردة في النَّصَّيْن من الأخبار الصحيحة والقرآن الكريم.

٢٣٤٤- إِنْ كَـانَ ذَا التَّجْسِـيمَ عِنْـدَكُمُ فَيَـا ... أَهْـلًا بِـهِ مَـا فِيـهِ مِـنْ نُكْـرَانِ

قَوْلُهُ: «إنْ كان ذا» الإشارةُ تعودُ إلى وصفِ الله تعالى بما جاء في القرآن والسُّنَّة.

إن كان هذا هو التجسيمَ فيا أهلًا به ما فيه من نُكران، بل إنَّ الواجبَ قَبُولُه وعدمُ إنكاره.

٢٣٤٥- إِنَّـا مُجَسِّـمَةٌ بِحَمْـدِ الله لَـمْ ... نَجْحَدْ صِفَاتِ الـخَالِقِ الـرَّحْمَنِ

يقول: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ على حدِّ قولِ هؤلاء، فإذا كانوا يقولون: كُلُّ مَنْ أثبتَ لله

صفةً فهو مُجَسِّمٌ، فنقول: نحن مُجَسِّمَةٌ.

٢٣٤٦- وَاللهِ مَـا قَـالَ امْـرُؤٌ مِنَّـا بِـأَنْ ... نَ اللهَ جِسْـمٌ يَـا أُولِـي الْبُهْتَـانِ

كيف يقولُ: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ، ثُمَّ يقولُ: والله ما قال امرؤٌ منَّا بأنَّ اللهَ جسمٌ؟ يقول: قال بأنَّا مُجَسِّمَةٌ على حدِّ تعبيرهم، حيثَ قالوا: كُلُّ مَنْ أثبت لله صفةً فهو مُجَسِّمٌ، فنحن نُثبتُ لله كُلَّ صفةٍ وصفَ اللهُ بها نفسَه، ونحن -على قاعدتهم- مُجَسِّمَةٌ، أما أنَّنا قلنا بأنَّ اللهَ جسمٌ فما من أحدٍ من أهل السُّنَّة قال: إنَّ اللهَ جسمٌ أبدًا، ولا قال: إنَّ اللهَ ليس بجسم أيضًا، بل هم يتوقَّفون في هذا اللفظ.

فلو قال لهم قائل: أتقولون: إنَّ اللهَ جسمٌ؟ قالوا: لا نقولُ، أتقولُون: إنَّ اللهَ ليس بجسمٍ؟ قالوا: لا نقولُ؛ لأنَّ اللهَ ما قال عن نفسه: إنه جسمٌ، ولا قال عن نفسه: إنه ليس بجسمٍ، لكنَّنا نقولُ إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- بائِنٌ من خلقه، موصوفٌ بصفاتِه.

٢٣٤٧- وَاللهُ يَعْلَـمُ أَنَّنَـا فِي وَصْـفِهِ ... لَـمْ نَعْـدُ مَـا قَـدْ قَـالَ فِي القُـرْآنِ

٢٣٤٨- أَوْ قَالَـهُ أَيْضًـا رَسُـولُ اللهِ فَهْـ ... ـوَ الصَّادِقُ الـمَصْدُوقُ بِالْبُرْهَـانِ

يعني: لم نتجاوز ما قاله اللهُ في القرآن، أو قاله الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، (فهو الصادِقُ) فيما أَخْبَرَ به، (المصدوقُ) فيما أُخْبِرَ به، أمَّا الكُهَّان فكاذبون مَكْذُوبون، كاذبون فيما أَخْبروا به، مَكْذوبون فيما أُخْبِروا به، إن أخبرتهم الشَّياطينُ فبالكذب، فالرسولُ -عليه الصلاة والسلام- صادقٌ مصدوقٌ.

٢٣٤٩- أَوْ قَالَـهُ أَصْـحَابُهُ مِـنْ بَعْـدِهِ ... فَهُـمُ النُّجُـومُ مَطَـالِعُ الإِيـمَانِ

إِذَنْ عُمْدَتُنا فيما نُثْبِتُه لله: كلامُ الله، وكلامُ رسوله، وكلامُ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

٢٣٥٠- سَـمَّوْهُ تَجْسِـيمًا وَتَشْـبِيهًا فَلَسْـ ـنَا جَاحِدِيـهِ لِـذَلِكَ الـهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «سمَّوه»: يخاطبُ هؤلاء المعتدين.

الحمدُ لله، هذا من تثبيت الله لنا، أنَّ هؤلاء الذين يرموننا بهذه الألقاب السِّيِّئة يُريدون منَّا أن نتحولَ عن رأينا، ولكنَّنا لن نتحولَ، ولن نخضعَ لهذا الهذيان.

٢٣٥١- بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيفٌ بَلْ هُوَ الْـ ـفَرْقُ الْعَظِيمُ لِـمَنْ لَـهُ عَيْنَانِ

يعني: بيننا وبينكم (فرقٌ لطيف) لكنَّه عظيمٌ، ما هو؟ قال:

٢٣٥٢- إِنَّ الـحَقِيقَةَ عِنْـدَنَا مَقْصُـودَةٌ بِـالنَّصِّ وَهْـيَ مُـرَادَةُ التِّبْيَـانِ

نحن نقولُ: إنَّ الحقيقةَ مقصودةٌ بالنَّصِّ، ومرادةٌ بالنَّصِّ أيضًا، أمَّا أنتم فقال:

٢٣٥٣- لَكِـنْ لَـدَيْكُمْ فَهْـيَ غَـيْرُ مُـرَادَةٍ أَنَّـى يُـرَادُ مُحَقَّـقُ الـبُطْلانِ؟!

هذا الفرقُ لطيفٌ، لكنَّه عظيمٌ جدًّا، فمثلًا قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] عندنا مرادٌ بها حقيقتها، وهي مجيئُه حقًّا، وعندكم هذا غيرُ مرادٍ، ولا يمكنُ أن يُرادَ؛ لأنه عندكم محقَّقُ البطلان، وما كان محقَّقَ البطلان فإنه لا يمكنُ أن يُرادَ بكلام الله وكلام الرسول، فهذا هو الفرقُ بيننا وبينكم أنَّنا نُجري النصوصَ على حقيقتها وأنتم لا تُجرونها.

٢٣٥٤- فَكَلامُـهُ فِـيهَا لَـدَيْكُمْ لا حَقِيـ ـقَةَ تَحْتَـهُ تَبْـدُو إِلَى الأَذْهَـانِ

كلامُ الله عندكم ليس فيه حقيقةٌ تبدو لأحدٍ.

٢٣٥٥- فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الْـ أَوْصَافِ وَهْيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ

نسألُ اللهَ العافيةَ، يعني: هؤلاء عمدوا إلى قلب القرآن النابض كما يقولون، وهو ما تحدَّث اللهُ به عن نفسِه من العلوِّ وغيره من الصفات، وقالوا: إنَّ هذه لا يُرَادُ بها حقيقتُها، وليست حقيقةً، فكُلُّها مجازٌ؛ ولهذا سَمَّى ابنُ القيِّم -رحمه الله- المجازَ بالطاغوت؛ لأنَّهم طَغَوْا به، وتجاوزوا به الحدَّ، وسلَّطوه على آيات الصفات وأحاديثِها، وقالوا: إنَّه لا يُرادُ بها حقيقتُها لا في العلوِّ ولا في غيره.

٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً فِيهَا لَدَيْكُمْ يَا أُولِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ» يعني القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ حَقِيقَةً»؛ لأنَّ الجهميَّة يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ بائِنٌ من الله، والأشاعرةُ يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وكلامُ الله هو المعنى القائمُ بنفسه.

فالجميعُ اتَّفقوا على أنَّ ما بين دفتي القرآن مخلوقٌ، لكنَّ الجهميَّةَ قالوا: هو كلامُ الله، والأشاعرةُ قالوا: هو عبارةٌ عن كلامِ الله.

٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الإِطْلاقِ وَالإِمْكَانِ

إذا جعلتم هذا مجازًا فإنَّ من علاماتِ المجاز صحةَ نفيه، فالمجازُ له علاماتٌ كثيرةٌ، ومِن أبرزِها شيئان:

الأوَّل: تبادرُ غيره لولا القرينة، وهذه هي الحُجَّةُ التي يحتجُّ بها شيخُ الإسلام ويقولُ: لا مجازَ في اللغة؛ لأنه بالاتفاق أنَّ المجازَ لا بدَّ له مِن قَرِينةٍ، هذه القَرِينةُ تجعلُ الكلمةَ في هذا الموضع حقيقةً في مدلولها.

الثاني: صحةُ نفيه.

فإذا قلتَ: (**رأيتُ أسدًا**) ما الذي يتبادرُ إلى ذهنك؟ الجواب: الأسدُ الحقيقيُّ المفترسُ، فإذا قلت: (**رأيتُ أسدًا يحملُ كتابَه**)، أو (**يقرأُ كتابَه**) فالمرادُ بالأسد هنا الرجلُ الشجاعُ، وهذا بالقرينة.

هل يصحُّ أن أقولَ: (**هذا ليس بأسد؟**) نعم، يصحُّ أن ننفيَه، فالمجاز يصحُّ نفيُه؛ ولهذا -عندهم وعلى القاعدة المتفق عليها- يَصِحُّ أن يقولَ القائلُ: (**ما جاء ربُّك**)؛ لأنَّ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] عندهم مجازٌ عن مجيء أمرِه، وبناءً عليه يَصِحُّ أن أقولَ: (**ما جاء ربُّك**).

و﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] عندهم مجازٌ عن الاستيلاء، فيصحُّ -على زعمهم- أن يُنْفَى، فيقال: (**إِنَّ اللهَ لم يَسْتَوِ على العرش**).

وهذا هو الذي جعل بعض العلماء يقولُ: إنَّ المجازَ موجودٌ في اللغة، ممنوعٌ في القرآن، قال: لأنَّ القرآنَ لا يمكنُ أن يصحَّ نفيُ شيءٍ منه أبدًا بخلاف اللغة، فكلامُ امرئ القيس وغيره من أئمة اللغة يصحُّ أن ننفيَه، لكن كلامُ الله لا يصحُّ.

على كُلِّ حالٍ يقولُ ابنُ القيِّم -رحمه الله-: «**وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الإِطْلَاقِ وَالإِمْكَانِ**» يعني: صَحَّ أن نقولَ: (**لم يستوِ على العرش**)، ليس له يدٌ، لا يجيءُ، لا يأتي، لا يعجبُ، وما أشبه ذلك.

٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ ... فِيمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ:

قَوْلُهُ: «وَحَقَائِقُ الأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ»؛ لأنهم يدَّعون أنَّ العقلَ ينفي حقائقَ اللفظ، كيف ذلك؟ هم يعتمدون في إثباتِ الصفات ونفيِها على العقل، فيقولون: انتفت حقيقةُ (**المجيء**) بدلالة العقل، انتفت حقيقةُ (**الاستواء**) بدلالة العقل، انتفت حقيقةُ (**اليد**) بدلالة العقل.

قَوْلُهُ: «بالعَقْلِ انْتَفَتْ»، (بالعقل): جارّ ومجرور متعلِّق بـ(انتفت)، يعني: انتفت بالعقل عندكم فيما زعمتم.

قَوْلُهُ: «فاسْتَوَى النَّفيانِ» ما النفيان؟ الجواب: نفيُ الحقيقة باعتبار الصفة، ونفيُ أن يكونَ القرآنُ كلامَ الله عزَّ وجلَّ.

٢٣٥٩- نَفْيُ الحَقِيقَةِ، وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنْ   دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ

قَوْلُهُ: «نَفْيُ الحَقِيقَةِ» يعني أنَّهم يقولون: كُلُّ ما ورد من آياتِ الصفات مجازٌ لا حقيقةَ له.

قَوْلُهُ: «وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ» حيث قالوا: إنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله.

فصار عندهم نفيان: النفيُ الأول: أنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، والنفيُ الثاني: أنَّ ما فيه من الصفات ليس حقيقةً.

٢٣٦٠- وَنَصِيبُنَا إِثْبَاتُ ذَاكَ جَمِيعِهِ   لَفْظًا وَمَعْنًى ذَاكَ إِثْبَاتَانِ

نصيبُنا نحن -والحمد لله- نُثبتُ اللفظَ والمعنى، ونقولُ: كُلُّه كلامُ الله.

٢٣٦١- فَمَنِ المُعَطِّلُ فِي الحَقِيقَةِ غَيْرُكُمْ؟!   لَقَبٌ بِلَا كَذِبٍ وَلا عُدْوَانِ

وصدق -رحمه الله- فهم المعطِّلةُ، لا نقولُ ذلك كذبًا ولا اعتداءً عليهم، وإنَّما نقولُ ذلك بدلالة حالهم التي تشهدُ لهم بذلك.

٢٣٦٢- وَإِذَا سَبَبْتُمْ بِالمُحَالِ فَسَبُّنَا   بِأَدِلَّةٍ وَحِجَاجِ ذِي بُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «إِذَا سَبَبْتُمْ بِالمُحَالِ فَسَبُّنَا بِأَدِلَّةٍ» يعني: إذا سببتمونا بأنَّ هذا محالٌ وأنَّ إثباتَه تجسيمٌ فنحن نسبُّكم بأدلةٍ؛ لأنكم لم تثبتوا ما أثبتَ اللهُ لنفسه، وفرقٌ بين الإثباتَيْن.

٢٣٦٣- تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِتْرَكُمْ وَتُبِينُ جَهْلَكُمُ مَعَ العُدْوَانِ

٢٣٦٤- يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السِّبَابِ بِذَاكُمُ وَسِبَابِكُمْ بِالْكِذْبِ وَالطُّغْيَانِ

٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ وَالظُّلْمُ سَبُّ العَبْدِ بِالبُهْتَانِ

هذا البيت الأخير ينبغي أن يكونَ قاعدةً، وهو مَن سَبَّ بالبرهان فليس بظالمٍ؛ لأنَّ لديه برهانًا، ولكنَّ الظلمَ سَبُّ العبد بالبُهتان.

وصدق -رحمه الله-، فمَن سَبَّ غيرَه بدليلٍ فليس بظالم، ومَن سَبَّ غيرَه بلا دليلٍ فهو ظالـمٌ.

٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنْ يَكُ عِنْدَكُمْ وَصْفُ الإِلَهِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ

٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلانِ

قَوْلُهُ: «**حقيقةُ التَّجْسِيم**» إن كان هناك حقيقةٌ فهي وصفُ الإله الخالق الدَّيَّانِ، لكن بماذا؟ قال: (**بِصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلانِ**).

فالتجسيمُ إِذَنْ عند هؤلاء هو وصفُ الإله بما جاء في الكتابِ والسُّنَّةِ، لكنَّهم يُلَبِّسون ويُقولون: مُجَسِّمَةٌ، وجَسَّموا اللهَ، وجعلوه جسمًا مِن أَجْلِ التنفير.

٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانِ

٢٣٦٩- أَنَّا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللهِ وَلْـ ـيَشْهَدْ بِذَلِكَ مَعْكُمُ الثَّقَلانِ

قَوْلُهُ: «**أَنَّا مُجَسِّمَةٌ**» وذلك بناءً على كلامِهم، أمَّا نحن فحقيقةُ الأمرِ أنه لم يقل أحدٌ من أهل السُّنَّةِ: إنَّ اللهَ جسمٌ أبدًا، لكن على زعمِهم أنَّ إثباتَ الصفاتِ تجسيمٌ، فنحن نُثبتُ الصفاتِ وليكن ذلك تجسيمًا.

٢٣٧٠- اللهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْـ ـحَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالأَقْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا» يعني: أبانته، وفسرت عنه حتى بان.

قَوْلُهُ: «الْـحَرْبُ العَوَانُ» أي: الشديدة المستمرة بيننا وبينكم.

٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ وَانْقَسَمَ الْوَرَى قِسْمَيْنِ وَاتَّضَحَتْ لَنَا الْقِسْمَانِ

إِذَنْ فالانقسامُ واضحٌ، إثباتٌ ونفيٌ، ولا شيءَ أوضحُ من الفرق بين الإثبات والنفي، وأيضًا فرقٌ بَيِّنٌ بين رميٍ بِسَبٍّ ببرهان، ورمي بسبٍّ بعدوان، فهم رَمَوْنا بالسَّبِّ بالعدوان، ونحن رميناهم بالسَّبِّ بالبرهان، وفرق بين هذا وهذا.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ مَوْرِدِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وأَنَّهُمْ تَعَوَّضُوا بِالقَلُّوطِ عَنْ مَوْرِدِ السَّلْسَبِيلِ

٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقَلُّوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى ... مَاذَا عَلَى شَفَتَيْكَ وَالأَسْنَانِ؟

٢٣٧٣- أَوَمَا تَرَى آثَارَهَا فِي القَلْبِ وَالنْـ ... ـنِيَّاتِ وَالأَعْمَالِ وَالأَرْكَانِ؟

٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا ... أَنَّى تَطِيبُ مَوَارِدُ الأَنْتَانِ؟

٢٣٧٥- يَا وَارِدَ القَلُّوطِ طَهِّرْ فَاكَ مِنْ ... خَبَثٍ بِهِ وَاغْسِلْهُ مِنْ أَنْتَانِ

٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الحَشْوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ وَالْـ ... ـقُرْآنِ وَالآثَارِ وَالإِيمَانِ

٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الهُدَى وَسِوَاهُمُ ... حَشْوُ الضَّلالِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْيَقِينِ وَغَيْرُهُمْ ... حَشْوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنْوَانِ

٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ المَسَاجِدِ وَالسِّوَى ... حَشْوُ الكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلانِ

٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الجِنَانِ وَغَيْرُهُمْ ... حَشْوُ الجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الحَشْوَانِ؟!

٢٣٨١- يَا وَارِدَ القَلُّوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى الْـ ... ـحَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلَ الْفُرْقَانِ

٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا ... مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ ... وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رَيْحَانِ

٢٣٨٤- لَعَذَرْتَهُ إِنْ بَالَ فِي القَلُّوطِ لَمْ ... يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمْلَةِ الْعُمْيَانِ

٢٣٨٥- يَـا وَارِدَ القَلُّـوطِ لا تَكْسَـلْ فَـرَأْ ... سُ الـسَّمَاءِ فَاقْصِـدْهُ قَرِيـبٌ دَانِ

٢٣٨٦- هُـوَ مَنْهَـلٌ سَـهْلٌ قَرِيـبٌ وَاسِـعٌ ... كَـافٍ إِذَا نَزَلَـتْ بِـهِ الـثَّقَلانِ

٢٣٨٧- وَاللهِ لَيْسَ بِأَصْـعَبِ الـوِرْدَيْنِ بَـلْ ... هُـوَ أَسْـهَلُ الْـوِرْدَيْنِ لِلظَّمْـآنِ

الشـرحُ

في هذا الفصل بَيَّن -رحمه الله- مورِدَ أهل التعطيل، وأنهم تَعَوَّضُوا بالقَلُّوط عن السلسبيل، والقَلُّوط سبق أنه مجاري المياه والأنتان، والأبوال والعَذِرَة، وهو يجري في دِمَشق كالنهر.

٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقَلُّـوطِ وَيْحَـكَ لَـوْ تَـرَى ... مَـاذَا عَـلَى شَـفَتَيْكَ وَالأَسْـنَانِ؟

قَوْلُهُ: «مَاذَا عَلَى شَفَتَيْكَ وَالأَسْنَانِ؟» لو رآه لرأى أنتانًا وأوساخًا؛ لأنه من العادة أنَّ الأنتانَ والأوساخَ تطفو على سطح الماء، فإذا شَرِبَ منه لصِقت بشفاهه.

٢٣٧٣- أَوَمَا تَرَى آثَارَهَا فِي القَلْـبِ وَالنْـ ... ـنِـيَّاتِ وَالأَعْـمَالِ وَالأَرْكَـانِ؟

وهذا صحيحٌ، فآثارُ البدع تظهرُ على القلب، وعلى النيات، يعني: الإرادات، وعلى الأعمال، والأركان يعني: الجوارح، فالبدعةُ لها آثارٌ سيِّئةٌ عظيمةٌ على القلب، واللسان، والجوارح، والأعمال، وآثارٌ سيِّئةٌ على المجتمع كُلِّه؛ لأنه ينقلبُ من اتِّباع الرسول ﷺ إلى الابتداع في دين الله.

٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الوِرْدُ طَابَـتْ كُلُّهَـا ... أَنَّـى تَطِيـبُ مَـوَارِدُ الأَنْتَـانِ؟

٢٣٧٥- يَـا وَارِدَ القَلُّـوطِ طَهِّـرْ فَـاكَ مِـنْ ... خَبَـثٍ بِـهِ وَاغْسِـلْهُ مِـنْ أَنْتَـانِ

قَوْلُهُ: «لَوْ طَابَ مِنْكَ الوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا» يعني: الآثار التي هي على القلب

والنيات والأعمال والأركان لو طاب منك الوِرْدُ طابت كُلُّها.

قَوْلُهُ: «**أَنَّى تَطِيبُ مَوَارِدُ الأَنْتَانِ؟**» الاستفهام هنا للنفي، يعني: لا يمكنُ أن تطيبَ مواردُ الأنتان.

٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الحَشْوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ وَالْـ ـــقُرْآنِ وَالآثَـــارِ وَالإِيـــمَانِ

قَوْلُهُ: «**ثُمَّ اشْتُمِ الحَشْوِيَّ...إلخ**»؛ لأنَّ هذا هو دأْبُه -والعياذ بالله- أن يشتُمَ أهلَ العلمِ والإيمان.

٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الـهُدَى وَسِـوَاهُمُ حَشْـوُ الضَّـلالِ فَـمَا هُمَـا سِـيَّانِ

قَوْلُهُ: «**أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الـهُدَى**» ويجوز (حشوُ) بالضم، فعلى قراءة الضم يكون (حشو) خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هم حَشْوُ، وعلى الفتح يكونُ حالًا من الضمير في قوله: «**أَهْلًا بِهِمْ**» يعني: حالَ كَوْنِهم حَشْوَ الهدى.

٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشْـوَ الْيَقِـينِ وَغَـيْرُهُمْ حَشْوُ الشُّـكُوكِ فَـمَا هُمَـا صِـنْوَانِ

فرقٌ بين مَن مَنَّ اللهُ عليه باليقين في قلبه والثبات ومَن مَنَّ اللهُ عليه بالشَّكِّ والحَيرة؛ ولهذا قال العلماءُ: أكثرُ الناس شكًّا وحيرةً عند الموت أهلُ الكلام، والعياذ بالله! ذكر ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في (الفتوى الحَمَوِيَّة).

وهذا صحيحٌ؛ ولهذا مَن وُفِّق منهم أَقَرَّ عند موته بأنه على دين العجائز اللائي لا يعرفن شيئًا؛ لأنَّ دينَ العجائز دينُ فِطرة، لم يعرفن ما قاله هؤلاء المتكلِّمون من الأخذ والجدل، لكن هؤلاء المتكلِّمون أخذوا يقولون، ولكنَّهم لم يستفيدوا من القول إلَّا أن جمعوا قيل وقالوا، وآلَ أمرُهُم إلى الحيرة والشَّكِّ، والعياذ بالله.

٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ المَسَاجِدِ وَالسِّوَى   حَشْوُ الكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلانِ

الذين يملئون المساجدَ والذين يملئون الكُنُفَ، واضحٌ أنَّ بينهما فرقًا.

٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الجِنَانِ وَغَيْرُهُمْ   حَشْوُ الجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الحَشْوَانِ؟!

قَوْلُهُ: «أَيَسْتَوِي الحَشْوَانِ؟!» لا والله، لا يستويان، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

٢٣٨١- يَا وَارِدَ القَلُّوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى الْـ   ـحَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلَ الْفُرْقَانِ

٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا   مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ» يعني: من كفِّ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ   وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رَيْحَانِ

قَوْلُهُ: «وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ» يعني: يَفيضُ عِلمُه على الناس.

قَوْلُهُ: «وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رَيْحَانِ» ونِعْمَ الختام.

٢٣٨٤- لَعَذَرْتَهُ إِنْ بَالَ فِي القَلُّوطِ لَمْ   يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمْلَةِ الْعُمْيَانِ

قَوْلُهُ: «لَعَذَرْتَهُ» هذا جوابُ (لو) في قوله: (لو ترى الحَشْوِيَّ وارِدَ مَنْهَلَ القرآنِ)، الجواب: (لعذرتَه إنْ بال في القَلُّوط).

فَفَرْقٌ بين الحَشْوِيِّ الذي يشربُ من هذا الموردِ العذبِ من يدِ النَّبِيِّ ﷺ، ويأتي إلى القَلُّوط فيبول فيه، وبين الإنسان الذي يشربُ من القَلُّوط، فبينهما فرقٌ عظيمٌ.

٢٣٨٥- يَـا وَارِدَ القَلُّـوطِ لا تَكْسَـلْ فَـرَأْ   سُ الـمَاءِ فَاقْصِـدْهُ قَرِيـبٌ دَانِ

يعني أنَّ رأسَ الماءِ قريبٌ دانٍ، وهو الكتابُ والسُّنَّةُ، فهو أقربُ من كتب هؤلاء المتبوعين.

٢٣٨٦- هُـوَ مَنْهَـلٌ سَـهْلٌ قَرِيـبٌ وَاسِـعٌ   كَـافٍ إِذَا نَزَلَـتْ بِـهِ الـثَّقَلانِ

٢٣٨٧- وَاللهِ لَيْسَ بِأَصْـعَبِ الـوِرْدَيْنِ بَـلْ   هُـوَ أَسْـهَلُ الْـوِرْدَيْنِ لِلظَّمْـآنِ

وهذا واضحٌ، فإذا جئتَ للقرآن وقرأتَه وجدتَه سهلًا قريبَ المأخَذِ، وإذا رجعتَ إلى كتب هؤلاء المتكلِّمين وجدتَها من أصعب ما يكون.

وكذلك أيضًا إذا قرأتَ القرآنَ انتفعتَ به، وازددتَ يقينًا، وإذا قرأتَ كلامَ المتكلِّمين ازددتَ شكًّا وحَيرة، نسألُ اللهَ العافيةَ.

* * *

فصــل

فِي بَيَانِ هَدْمِهِمْ لِقَوَاعِدِ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ بِعَزْلِهِمْ نُصُوصَ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ

٢٣٨٨- يَـا قَـوْمُ بِـالله انْظُـرُوا وَتَفَكَّـرُوا   فِي هَـــذِهِ الأَخْبَـــارِ وَالْقُـــرْآنِ

٢٣٨٩- مِثْـلَ التَّـدَبُّرِ وَالتَّفَكُّـرِ لِلَّـذِي   قَـدْ قَالَـهُ ذُو الـرَّأْيِ وَالـحُسْبَانِ

٢٣٩٠- فَأَقَـلُّ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَـا عِنْـدَكُمْ   حَـدًّا سَـوَاءً يَـا أُولِـي الْعُـدْوَانِ

٢٣٩١- وَالله مَـا اسْـتَوَيَا لَـدَى زُعَمَائِكُـمْ   فِي الْعِلْـمِ وَالتَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِـالْعَزْلِ عَـنْ   نَيْـلِ اليَقِـينِ وَرُتْبَـةِ البُرْهَـانِ

٢٣٩٣- قَـالُوا: وَتِلْـكَ أَدِلَّـةٌ لَفْظِيَّـةٌ   لَسْـنَا نُحَكِّمُهَـا عَـلَى الإِيقَـانِ

٢٣٩٤- مَا أُنْزِلَتْ لِيُنَـالَ مِنْهَـا الْعِلْـمُ بِالْـ   إِثْبَـاتِ لِلأَوْصَـافِ لِلـرَّحْمَنِ

٢٣٩٥- بَـلْ بِـالْعُقُولِ يُنَـالُ ذَاكَ وَهَـذِهِ   عَنْـهُ بِمَعْـزِلِ غَـيْرِ ذِي السُّـلْطَانِ

٢٣٩٦- فَبِجُهْـدِنَا تَأْوِيلُهَـا وَالـدَّفْعُ فِي   أَكْتَافِهَـا دَفْعًـا لِـذِي الصَّـوَلانِ

٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَـاءَ يَشْـهَدُ عِنْـدَ ذِي   حُكْـمٍ يُرِيـدُ دِفَاعَـهُ بِلَيَـانِ

٢٣٩٨- فَيَقُـولُ: قَـدْرُكَ فَـوْقَ ذَا وَشَـهَادَةٌ   لِسِـوَاكَ تَصْـلُحُ فَـاذْهَبَنْ بِأَمَـانِ

٢٣٩٩- وَبِـوُدِّهِ لَـوْ كَـانَ شَيْءٌ غَـيْرُ ذَا   لَكِـنْ مَخَافَـةَ صَـاحِبِ السُّـلْطَانِ

٢٤٠٠- فَلَقَـدْ أَتَانَـا عَـنْ كَبِـيرٍ فِـيهِمُ   وَهُـوَ الـحَقِيرُ مَقَالَـةُ الكُفْـرَانِ

٢٤٠١- لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي وَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ … لَحَكَكْتُ مِنْ ذَا الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِي

٢٤٠٢- ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَـ … ـكِنْ ذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الإِنْسَانِ

٢٤٠٣- وَاللهِ لَوْلا هَيْبَةُ الإِسْلامِ وَالْـ … ـقُرْآنِ وَالأُمَرَاءِ وَالسُّلْطَانِ

٢٤٠٤- لَأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكْدَكُوا الْـ … إِسْلامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الأَرْكَانِ

الشــرحُ

في هذه الأبيات يقولُ المؤلفُ -رحمه الله- مُناديًا لهؤلاء القوم الذين قَدَّموا نُصوصَ أئمتِهم وشيوخِهم على الكتابِ والسُّنَّة، يقولُ:

٢٣٨٨- يَا قَوْمُ بِاللهِ انْظُرُوا وَتَفَكَّرُوا … فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٣٨٩- مِثْلَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ لِلَّذِي … قَدْ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ

يعني: أَقلُّ ما نطلبُ منكم العدلُ بأن تنظروا في نصوص الكتاب والسُّنَّة كما تنظرون في مقالات شيوخِكم.

والمؤلفُ -رحمه الله- في عدة مواضع يذكرُ السُّنَّةَ قبل القرآن مِن أَجْلِ مناسبة الرَّويِّ **(القافية)**، كما أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- قَدَّم ذِكْرَ هارون على موسى مِن أَجْلِ تناسب رءوس الآيات في سورة طه، حيث قال السَّحَرَةُ: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:٧٠] فقدَّم هارونَ مِن أَجْلِ أن تتناسبَ رءوسُ الآيات.

٢٣٩٠- فَأَقَلُّ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَا عِنْدَكُمْ … حَدًّا سَوَاءً يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «فأَقَلّ شيءٍ» يعني: أقل شيءٍ نطالبكم به أن يكون عندكم حدٌّ سواء يا أولي العدوان، وما هو أعلى شيء؟

الجواب: تقديمُ الكتابِ والسُّنَّة أعلى شيء، أقلُ شيء أن يكونَ الكتابُ والسُّنَّةُ عندكم مِثْلَ كلامِ شيوخِكم.

٢٣٩١- وَاللهِ مَـا اسْـتَوَيَا لَـدَى زُعَمَائِكُـمْ ... في الْعِلْـمِ وَالتَّحْقِيـقِ وَالْعِرْفَـانِ

قَوْلُهُ: «**ما اسْتَوَيَا**» يعني: نصوصُ الكتاب والسُّنَّة وكلامُ الشيوخ.

قَوْلُهُ: «**مَا اسْتَوَيَا لَدَى زُعَمَائِكُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ**» لأنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّة عندهم لا تفيدُ العلمَ ولا العرفانَ والتحقيقَ؛ لأنهم يقولون: إن كان النَّصُّ من كتاب الله فالدلالةُ لفظيَّةٌ، ودلالةُ اللفظ ظَنِّيَّةٌ وليست قطعِيَّةً، وإن كانت من السُّنَّة فإن كانت أخبارَ آحاد فأخبارُ الآحاد لا تفيدُ اليقينَ والقطع، بل تفيدُ الظنَّ، وإن كانت متواترةً فهي لفظيَّةٌ، والدلالةُ اللفظيَّةُ لا تفيدُ اليقينَ.

وأمَّا الذي يفيدُ اليقينَ فكلامُ شيوخِهم؛ ولهذا قال:

٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِـالْعَزْلِ عَـنْ ... نَيْـلِ اليَقِـينِ وَرُتْبَـةِ البُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «**عَزَلُوهُمَا**» الضميرُ يعودُ على الكتابِ والسُّنَّة.

٢٣٩٣- قَـالُوا: وَتِلْـكَ أَدِلَّـةٌ لَفْظِيَّـةٌ ... لَسْـنَا نُحَكِّمُهَـا عَـلَى الإِيقَـانِ

قَوْلُهُ: «**تلك**» المُشَارُ إليه نصوصُ الكتاب والسُّنَّة، فهي أدلةٌ لفظيَّةٌ لا تفيدُ اليقينَ، ولا يصلُ الحكمُ بها إلى اليقين.

٢٣٩٤- مَا أُنْزِلَتْ لِيُنَـالَ مِنْهَـا الْعِلْـمُ بِالْـ ... إِثْبَـاتِ لِلأَوْصَـافِ لِلـرَّحْمَنِ

يعني: ما أنزلها اللهُ لِنَنَالَ بها عِلمَ أوصاف ربِّنا عزَّ وجلَّ، إِذَنْ لماذا نزلت؟

قالت فرقةٌ منهم: للتعبُّد بلفظها، وتسليمِ معناها لله.

وقالت فرقةٌ أخرى: نزلت للتعبُّد بلفظها، ونيلِ الأجور بحمل معانيها على مجازها؛ لأنَّ حملَ اللفظ على مجازه يحتاجُ إلى شواهدَ وأدلةٍ وتعب بخلاف الظاهر، قالوا: فتُحْمَلُ على المجازات، وعلى المعاني الغريبة، وكونُ الإنسانِ يتعبُ في تخريجها على هذه المجازات ينالُ بذلك أجرًا؛ لقول النَّبيِّ ﷺ لعائشةَ في عمرتها بَعْدَ حجِّها: «أَجْرُكِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ»[1].

فصار الذي يُرادُ بالكتاب والسُّنَّة عندهم: إمَّا التعبُّدُ باللفظ وتسليمُ المعنى لله، وهؤلاء هم المفوِّضةُ، أو التعبُّدُ باللفظ ونيلُ الأجر بالتعب في تخريج الكلام على مجازاته وشواذ اللغة العربية، أمَّا أن يُرادَ بذلك العلمُ فلا، فلا يُرادُ بهذا العلمُ بإثبات أوصاف الله عزَّ وجلَّ.

٢٣٩٥- بَلْ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ وَهَذِهِ عَنْهُ بِمَعْزِلِ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ» يُنَالُ: نائب الفاعل يعودُ على **(العلم)**، يُنَالُ العلمُ بدلالة العقل.

قَوْلُهُ: «وهذه» يعني نصوصَ الكتابِ والسُّنَّة.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ» يعني: ليس لها سلطانٌ وقدرةٌ وقوةٌ تُوصِلُ إلى العلم.

يعني أنَّ نصوصَ الكتاب والسُّنَّة بمَعْزِلٍ عن الاستدلال وعن الدلالة، وليس لها سلطانٌ حتَّى نستدلَّ بها على إثبات الشيء أو على نفيه؛ لأنَّ السلطانَ للعقل.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب أجرة العمرة على قدر النصب، رقم (١٧٨٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، رقم (١٢١١).

٢٣٩٦- فَبِجُهْـدِنَا تَأْوِيلُهَـا وَالـدَّفْعُ في أَكْتَافِهَـا دَفْعًـا لِـذِي الصَّـوَلانِ

يعني أنَّنا نبذلُ الجهدَ في تأويلِها ونتعبُ؛ لأجل أن ننالَ الأجرَ.

لـمَّا قيل لهم: إذا كان ليس المرادُ الظاهرَ لماذا لم يأتِ اللهُ بالمراد وأتى بظاهرِ خلاف المراد؟ قالوا: لأجل أن نتعبَ في حمل هذا الظاهر على مجازه وتَتَبُّعِ شواذِّ اللغة حتَّى ننالَ بذلك أجرًا.

ثُمَّ ذكر مثالًا فقال:

٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي حُكْـمٍ يُرِيـدُ دِفَاعَـهُ بِلَيَـانِ

٢٣٩٨- فَيَقُـولُ: قَـدْرُكَ فَـوْقَ ذَا وَشَـهَادَةٌ لِسِـوَاكَ تَصْـلُحُ فَـاذْهَبَنْ بِأَمَـانِ

قَوْلُهُ: «فيقولُ» أي: الحاكم.

هذا رجلٌ كبير شيخٌ جاء يشهدُ عند القاضي، والقاضي أراد عدم قَبولِ شهادتِه، فقال له: يا سيدي، قَدْرُكَ عندي أكبرُ من أن تأتيَ تشهد، فالشهادةُ لغيرك، فأنت شيخٌ كبيرٌ مُوقَّرٌ محترمٌ لا تأتي تشهدُ عندي، فالشهادةُ لغيرك، فاذهب، هؤلاء نزَّلوا نصوصَ الكتابِ والسُّنَّة كذلك، فقالوا: القرآنُ عندنا محترمٌ وعظيمٌ، والسُّنَّةُ كذلك، لكن الشهادة لغيرها، فهي للعقول.

وهذا مَثَلٌ غريبٌ قَلَّ أن يتفطَّنَ الإنسانُ لِمِثْلِ هذا المَثَلِ.

أحيانًا يأتي الإنسانُ بمثالٍ يكون أبعدَ ما يكونُ عن الذهن في تَصَوُّرِه، ومن ذلك قولُ الشاعر:

بَلِيتُ بِلَى الأَطْـلَالِ إِنْ لَـمْ أَقِـفْ بِهَـا وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُـهْ

قَوْلُهُ: (**الأطلال**) يعني المساكنَ المُهَدَّمَةَ لمعشوقته.

قَوْلُهُ: (**شحيح**) أي: بخيلٍ. ضاع خاتمه في التراب.

فهذا الشَّحيحُ لا يذهبُ أبدًا عن مكانه، فلو وصل إلى الأرض السابعة لا يذهبُ، فهو يبحثُ عن الخاتم.

على كُلِّ حالٍ أقولُ: بعضُ الناس يكونُ عنده خيالٌ واسعٌ، فمَن يتخيَّلُ أنَّ هؤلاء جعلوا نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ بمنزلة هذا الشيخِ الكبيرِ المعظَّمِ عند الحاكم الذي جاء يشهدُ، فقال له: والله يا سيدي أنت رجلٌ كبيرٌ عندنا، وعظيمٌ، ومحترمٌ، وأنت أكبرُ من أن تشهدَ عندنا، ولكن اذهب بأمان، والشهادةُ عند غيرك.

٢٣٩٩- وَبِــوُدِّهِ لَــوْ كَــانَ شَيْءٌ غَــيْرُ ذَا لَكِــنْ مَخَافَــةَ صَــاحِبِ السُّــلْطَانِ

يعني: بوُدِّه أنَّ الأمرَ كان فوق ذلك.

ويَحتمِل أن يكون قوله: (**بِوُدِّهِ**) يعني الحاكم الذي طرد هذا الشيخ، أو بودِّ هذا المحرِّف الذي حَرَّف نصوصَ الكتاب والسُّنَّة، فبودِّه لو كان شيءٌ غيرُ ذا.

٢٤٠٠- فَلَقَــدْ أَتَانَــا عَــنْ كَبِــيرٍ فِــيهِمُ وَهُــوَ الــحَقِيرُ مَقَالَــةُ الكُفْــرَانِ

٢٤٠١- لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي وَلَـيْسَ بِمُمْكِـنٍ لَـحَكَكْتُ مِنْ ذَا المُصْحَفِ الْعُثْمَانِي

٢٤٠٢- ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَـ ـكِنْ ذَاكَ مُمْتَنِـعٌ عَـلَى الإِنْسَـانِ

هذا رجلٌ مِن المعطِّلة الذين ينكرون الصفاتِ، يقولُ: لو كان يمكنني أن أَحُكَّ قولَ الله تعالى في القرآن: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩] لفعلتُ؛ لأنه لا يريدُ أن يسمعَ أحدًا يقولُ: (**إنَّ اللهَ استوى على العرشِ**)، ولكن هل يمكنُ هذا

والمسلمون يقرؤونه في كُلِّ يومٍ وليلة؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال: (لَكِنْ ذاك مُمْتَنِعٌ على الإنسانِ).

٢٤٠٣- وَاللهِ لَـوْلا هَيْبَـةُ الإِسْـلامِ وَالْـ ـــقُرْآنِ وَالأُمَـرَاءِ وَالسُّـلْطَانِ

٢٤٠٤- لأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكْدَكُوا الْـ إِسْـلامَ فَـوْقَ قَوَاعِـدِ الأَرْكَـانِ

المؤلفُ -رحمه الله- يعرفُ هذا منهم؛ لأنه ابتُلِي في زمنه وفي عهد شيخِه ابن تيميَّة -رحمه الله-، ابتُلِي بهم، وابتُلِي الناسُ من قبل، ماذا فعل هؤلاء المعطِّلةُ بالأئمة؟ وَشَوْا بهم إلى الحكَّام حتَّى حبسوهم وضربوهم وقتلوهم، هؤلاء لو تمكَّنوا من أن يهدموا الإسلامَ كُلَّه لفعلوا، لكنَّهم يخافون هيبةَ الأمراء، والسُّلطانِ، والإسلام عند العامة، وإلَّا لفعلوا.

* * *

٢٤٠٥- فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَئِمَّةِ الْـ إِسْـلامِ مِـنْ مِحَـنٍ عَـلَى الأَزْمَـانِ

٢٤٠٦- لا سِـيما لَـمَّا اسْـتَمَالُوا جَـاهِلًا ذَا قُـدْرَةٍ فِي النَّـاسِ مَـعْ سُـلْطَانِ

٢٤٠٧- وَسَـعَوْا إِلَيْـهِ بِكُـلِّ إِفْـكٍ بَـيِّنٍ بَـلْ قَاسَـمُوهُ بِـأَغْلَظِ الأَيْـمَانِ

٢٤٠٨- أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشْ شَـيْطَانِ حِـينَ خَـلَا بِـهِ الأَبَـوَانِ

٢٤٠٩- فَـيَرَى عَمَائِـمَ ذَاتَ أَذْنَـابٍ عَـلَى تِلْـكَ الْقُشُـورِ طَوِيلَـةِ الأَرْدَانِ

٢٤١٠- وَيَرَى هَيُولَـى لا تَهُـولُ لِـمُبْصِرٍ وَتَهُـولُ أَعْمَـى فِي ثِيَـابِ جَبَـانِ

٢٤١١- فَـإِذَا أَصَـاخَ بِسَـمْعِهِ مَلَـئُوهُ مِـنْ كَـذِبٍ وَتَلْبِـيسٍ وَمِـنْ بُهْتَـانِ

٢٤١٢- فَيَرَى وَيَسْمَعُ فَشْرَهُمْ وَفشَارَهُمْ يَـا مِحْنَـةَ العَيْنَـيْنِ وَالأُذُنَـانِ

٢٤١٣- فَتَحُوا جِرَابَ الجَهْلِ مَعْ كَذِبٍ فَخُذْ ... وَاحْمِلْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

٢٤١٤- وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ المُطَاعِ فَفَتَّشُوا ... عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانِ

٢٤١٥- فَإِذَا بَدَا غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ ... مِنْهُ إِلَيْهِ كَحِيلَةِ الشَّيْطَانِ

٢٤١٦- فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ ... ظَفِرُوا وَقَالُوا: وَيْحَ آلِ فُلَانِ

٢٤١٧- هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْـ ... ـمَقْصُودِ وَهْوَ عَدُوُّ هَذَا الشَّانِ

٢٤١٨- فَإِذَا هُمُ غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ وَاظَبُوا ... سَقْيَ الْغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي الْبُسْتَانِ

٢٤١٩- حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ ... وَقْتُ الجُذَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانِ

٢٤٢٠- رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ ... وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

٢٤٢١- فَهُنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللهِ مِنْ ... جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

٢٤٢٢- ضَرْبًا وَحَبْسًا ثُمَّ تَكْفِيرًا وَتَبْـ ... ـدِيعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ

٢٤٢٣- فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمُ ... أَمْرًا تَهُدُّ لَهُ قُوَى الإِيمَانِ

٢٤٢٤- مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الحَدِيثِ وَدِينُهُمْ ... أَخْذُ الحَدِيثِ وَتَرْكُ قَوْلِ فُلَانِ

الشرحُ

في هذه الأبيات يقول المؤلفُ -رحمه الله- مُبيِّنًا ما جرى لأئمة الإسلام مِن مِحَنٍ مِن هؤلاء المعطِّلة، يقول:

٢٤٠٥- فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَئِمَّةِ الْـ ... إِسْلَامِ مِنْ مِحَنٍ عَلَى الأَزْمَانِ

ولا سيما إمامُ أهلِ السُّنَّة الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ -رحمه الله-.

٢٤٠٦- لا سيما لَـمَّا اسْتَمَالُوا جَاهِلًا ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعْ سُلْطَانِ

يعني بذلك الخلفاءَ الجُهَّالَ الذين لهم قدرةٌ وسلطانٌ على الناس، استمالهم هؤلاء المعتزلةُ أو المعطِّلةُ.

٢٤٠٧- وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيِّنٍ بَلْ قَاسَمُوهُ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ

قَوْلُهُ: «قَاسَمُوهُ» يعني: حلفوا له، كما قال الله تعالى عن الشَّيطان: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] على أي شيء قاسموه؟

قال:

٢٤٠٨- أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشَّـ ـيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الأَبَوَانِ

قَوْلُهُ: «أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ» يعني: يأتون للخليفة يقولون: الأمرُ كذا وكذا وكذا، والله ما قصدنا إلَّا النصيحةَ.

قَوْلُهُ: «كَنَصِيحَةِ الشَّيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الأَبَوَانِ» ماذا قال لهما؟ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١].

والخليفةُ الجاهلُ الذي له السُّلطانُ يغترُّ.

٢٤٠٩- فَيَرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أَذْنَابٍ عَلَى تِلْكَ الْقُشُورِ طَوِيلَةِ الأَرْدَانِ

صَوَّر هؤلاء الشيوخَ بأنَّهم جاءوا وعليهم عمائمُ طويلةُ الأردان، يعني: لها رُدْنٌ طويلٌ يصل إلى الفَخِذَيْن، هي طويلة الأردان لكنَّها على قشورٍ من الناس، لكنَّ الخليفةَ الجاهلَ يظنُّ أنَّ هؤلاء شيوخٌ كبارٌ فيأخذ بقولِهم.

٢٤١٠- وَيَرَى هَيُولَـى لا تَهُولُ لِـمُبْصِرٍ وَتَهُولُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ

الهيولى يعني: الهيئة، يرى هيئةً عظيمةً، شيوخًا كبارًا، جاءوا بهذه الأُبَّهةِ لكنَّها لا تَهولُ لُمْبِصرٍ؛ لأنه يعرفُ أنه ليس تحت الثياب إلَّا الخراب، وإنما تَهولُ الأعمى الجبان.

٢٤١١- فَإِذَا أَصَاخَ بِسَمْعِهِ مَلَئُوهُ مِنْ كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «أصاخَ بِسَمْعِه» يعني: اسْتَمَعَ إليهم وأَنْصَتَ.

٢٤١٢- فَيَرَى وَيَسْمَعُ فَشْرَهُمْ وَفشَارَهُمْ يَا مِحْنَةَ العَيْنَيْنِ وَالأُذُنَانِ

الفشرُ والفُشارُ[1] هو الحديثُ الطويلُ الُمنَمَّقُ، ولكنَّه ليس تحته فائدةٌ، إذا سَمِعَه الإنسانُ ظنَّه حسنًا صوابًا، ولكنَّه بالعكس.

٢٤١٣- فَتَحُوا جِرَابَ الجَهْلِ مَعْ كَذِبٍ فَخُذْ وَاحْمِلْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

قَوْلُهُ: «فخُذْ واحْمِلْ» أي: واحمل جهلًا وكذبًا.

وَقَوْلُهُ: «بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ» يعني: من كثرة الكذب والبهتان والجهل.

٢٤١٤- وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الـمُطَاعِ فَفَتَّشُوا عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الـمُطَاعِ» مَن المطاعُ؟ الجوابُ: الخليفةُ.

أتوا إلى قلبه ففتَّشوا عمَّا هناك ليدخلوا بأمان.

---

(١) الفُشَارُ، كغُرابٍ: الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان، وكذا التَّفْشِيرُ ليس من كلام العرب، وإنما هو من استعمال العامة. انظر: تاج العروس، مادة: فشر.

٢٤١٥- فَإِذَا بَدَا غَـرَضٌ لَـهُمْ دَخَلُـوا بِـهِ مِنْـهُ إِلَيْـهِ كَحِيلَـةِ الشَّـيْطَانِ

يعني: أنهم ينتهزون الفرصةَ كُلَّما بدا غرضٌ، والغرضُ فيما يظهر لي أنه الذي يُرْمَى إليه، وليس الغرض الحاجة، بل الغرض الذي يُرمى إليه بالسِّهام، كُلَّما بدا غرض دخلوا به منه إليه.

ويَحتملُ أنَّ المرادَ بالغرض هنا الحاجة، يعني: كُلَّما بَدَتْ لهم حاجة دخلوا منها إلى هذا الخليفة.

٢٤١٦- فَـإِذَا رَأَوْهُ هَـشَّ نَحْـوَ حَـدِيثِهِمْ ظَفِـرُوا وَقَـالُوا: وَيْـحَ آلِ فُـلانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ» يعني: إذا رَأَوْه قد هَشَّ نحو حديثِهم وأصاخ إليه «ظَفِرُوا وَقَالُوا: وَيْحَ آلِ فُلانِ» يعني: ظَفِروا بمطلوبهم، وقالوا فيما بينهم: ويح آل فلان، ويعنون بآل فلان: أهلَ الحديث، يعني: ويحهم؛ لأنَّ الخليفةَ هَشَّ لقولهم.

٢٤١٧- هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلانَا عَنِ الْـ ـمَقْصُودِ وَهْوَ عَـدُوُّ هَـذَا الشَّـانِ

يقول أيضًا هؤلاء الجماعةُ: هذا يعوق أمرَك، ويُؤَلِّبُ الناسَ عليك، ويفعل ويفعل ويفعل.

٢٤١٨- فَإِذَا هُمُ غَرَسُـوا الْعَـدَاوَةَ وَاظَبُـوا سَقْيَ الْغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي الْبُسْـتَانِ

إذا غرسوا العداوةَ من السُّلطان على أهل الحديث لم يتركوه بل يتابعونه كما يتابعُ الرجلُ شجرتَه إذا غرسها.

٢٤١٩- حَتَّـى إِذَا مَـا أَثْمَـرَتْ وَدَنَـا لَـهُمْ وَقْتُ الـجُذَاذِ وَصَـارَ ذَا إِمْكَـانِ

٢٤٢٠- رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ» يعني الخيلَ الجردَ، ويجوز (عَلَى حَرْدٍ) يعني: على حَنَق.

٢٤٢١- فَهُنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ الله مِنْ جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

لماذا؟ لأنَّ السُّلطانَ صار معهم، وآذى أهلَ الحديث.

٢٤٢٢- ضَرْبًا وَحَبْسًا ثُمَّ تَكْفِيرًا وَتَبْـ ـدِيعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ

يعني: يأتون بكُلِّ مَسَبَّةٍ لأهلِ الحديث إلى أن يقولوا: هم كُفَّارٌ، والعياذ بالله.

٢٤٢٣- فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمُ أَمْرًا تَهُدُّ لَهُ قُوَى الإِيمَانِ

٢٤٢٤- مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الحَدِيثِ وَدِينُهُمْ أَخْذُ الحَدِيثِ وَتَرْكُ قَوْلِ فُلانِ

قَوْلُهُ: «ودينُهم» أي: دينُ أهلِ الحديث.

والمعنى أنَّهم يسبُّون أهلَ الحديث؛ لأنَّ دينَهم أخذُ الحديث وتركُ رأي فلانٍ وفلان، ومع ذلك يسبُّونهم.

فابنُ القيمِّ -رحمه الله- كما سبق كثيرًا يظهرُ من كلامه أنَّ في قلبه عليهم من الحنق والعداوة ما هم السَّببُ فيه؛ لأنهم آذَوْا أهلَ الحديث، آذَوْا أهلَ السُّنَّة، صاحوا بهم ظاهرًا وباطنًا وفي كُلِّ مكان، وهذا الذي جعل بعضَ التعطيلِ منتشرًا في العالَم الإسلامِيِّ أنَّهم كانوا -والعياذ بالله- يُضَيِّقون الخِنَاقَ على أهل الحديث وأهل السُّنَّة، نسألُ اللهَ السلامةَ.

فهؤلاء آذَوْا أهلَ السُّنَّةِ، ولا بُدَّ من صراعٍ بين الحقِّ والباطل، وأهلُ الحقِّ قد يُؤْذَوْنَ من هؤلاء لكن لحكمةٍ يريدُها اللهُ عزَّ وجلَّ مِن أَجْلِ أن ينالوا درجةَ الصابرين؛ لأنَّ الصبرَ درجةٌ عاليةٌ، ولا تُنَالُ درجتُه إلَّا بشيءٍ يُصْبَرُ عليه كما قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ ... لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

* * *

٢٤٢٥- يَا أُمَّةً غَضِبَ الإِلَهُ عَلَيْهِمُ ... أَلِأَجْلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهَوَانِ؟!

٢٤٢٦- تَبًّا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْـ ... إِسْلَامِ حِزْبَ اللهِ وَالْقُرْآنِ

٢٤٢٧- وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفْأَهُمْ ... فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ

٢٤٢٨- هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ ... فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الأَوْثَانِ

٢٤٢٩- حَذَرَ الْمُقَابَلَةِ القَبِيحَةِ مِنْهُمُ ... بِمَسَبَّةِ القُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ

٢٤٣٠- وَكَذَاكَ أَصْحَابُ الحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ... ضُرِبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ

٢٤٣١- سَبُّوكُمْ جُهَّالُهُمْ فَسَبَبْتُمُ ... سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الإِيمَانِ

٢٤٣٢- وَصَدَدْتُمُ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ ... قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ

٢٤٣٣- وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشْـ ... ـيَاخٌ لَكُمْ بِالخَرْصِ وَالحُسْبَانِ

٢٤٣٤- فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّزُوا ... إِلَّا إِلَى الآثَارِ وَالقُرْآنِ

٢٤٣٥- وَإِلَى أُولِي العِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيـ ... ـثِ خُلَاصَةِ الإِنْسَانِ وَالأَكْوَانِ

٢٤٣٦- قَـوْمٌ أَقَـامَهُمُ الإِلَـهُ لِـحِفْظِ هَـ ... ـذَا الدِّينِ مِـنْ ذِي بِدْعَـةٍ شَـيْطَانِ

٢٤٣٧- وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّـ ... ـحْرِيـفِ وَالتَّتْمِـيمِ وَالنُّقْصَـانِ

٢٤٣٨- يَزَكٌ عَلَى الإِسْلامِ بَـلْ حِصْـنٌ لَـهُ ... يَـأْوِي إِلَيْـهِ عَسَـاكِرُ الفُرْقَـانِ

٢٤٣٩- فَهُمُ الـمِحَكُّ فَمَنْ يُـرَى مُتَنَقِّصًـا ... لَـهُمُ فَزِنْـدِيقٌ خَبِيـثُ جَنَـانِ

٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهِمْـهُ فَقَبْلَـكَ السَّـلَفُ الأُلَى ... كَـانُوا عَـلَى الإِيـمَانِ وَالإِحْسَـانِ

٢٤٤١- أَيْضًا قَدِ اتَّهَمُوا الخَبِيثَ عَلَى الهُدَى ... وَالْعِلْـمِ وَالآثَـارِ وَالْقُـرْآنِ

٢٤٤٢- وَهُوَ الـحَقِيقُ بِذَاكَ إِذْ عَـادَى رُوَا ... ةَ الـدِّينِ وَهْـيَ عَـدَاوَةُ الـدَّيَّانِ

٢٤٤٣- فَـإِذَا ذَكَـرْتَ النَّاصِـحِينَ لِـرَبِّهِمْ ... وَكِتَابِـهِ وَرَسُـولِهِ بِلِسَـانِ

٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيْلَكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيـلِ وَالتْـ ... ـتَكْـذِيبِ وَالْكُفْـرَانِ وَالْبُهْتَـانِ

الشـرح

٢٤٢٥- يَـا أُمَّـةً غَضِـبَ الإِلَـهُ عَلَـيْهِمُ ... أَلِأَجْـلِ هَـذَا تَشْـتُمُوا بِهَـوَانِ؟!

قَوْلُهُ: «يا أُمَّةً» يخاطبُ أهلَ التعطيل الذين عطَّلوا صفاتِ الله عزَّ وجلَّ ومنعوا كمالَ الله -سبحانه وتعالى-.

قَوْلُهُ: «غَضِبَ الإِلَهُ عَلَيْهِم» بسبب مجانبتهم لِـهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابه وأهلِ الحديثِ مِن بعدهم.

قَوْلُهُ: «أَلِأَجْلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهَوَانِ؟!» يعني: أَلِأَجْلِ أن خالفتم أهلَ السُّنَّةِ تشتمونهم؟!

٢٤٢٦- تَبًّا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْـ إِسْلَامِ حِزْبَ الله وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «زَوَامِل» جمع (زاملة)، وهي الناقةُ التي تَحْمِلُ المتاعَ أو الجملُ الذي يحملُ المتاعَ، والمراد أنَّ هؤلاء أهلَ الحديث هم الذين يحملونَ السُّنَّةَ كما تحملُ الإبلُ الزواملُ أمتعةَ المسافرين.

٢٤٢٧- وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفْأَهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفْأَهُمْ» يعني: لستم مكافِئين لهم، بل أنتم أحقرُ منهم، وأدنى، وأذلُّ، ومع ذلك تَسُبُّونهم، ولكنَّ العقلَاء منهم أعرضوا عن سَبِّكم؛ ولهذا قال: «فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ» يعني أنهم لم يتنزَّلوا ويَنْزِلُوا بأنفسهم حتى يسبُّوكم، بل جانَبُوكُم وتركوكم.

٢٤٢٨- هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الأَوْثَانِ

٢٤٢٩- حَذَرَ الْمُقَابَلَةِ القَبِيحَةِ مِنْهُمُ بِمَسَبَّةِ القُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ

يعني: تركوا سبَّكم؛ لأنهم لو سبُّوكم لسببتم القرآنَ والحديثَ، كما أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- نهى عن سَبِّ الآلهة التي تُعْبَدُ من دونه؛ خوفًا من أن يُسَبَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] أمَّا أنتم إذا سببتم الذين يدعون من دون الله فإنكم تسبُّونهم بحقٍّ وبعلم، لكن هم إذا سَبُّوا اللهَ فإنما يسبُّون الله عَدْوًا بغير علم.

٢٤٣٠- وَكَذَاكَ أَصْحَابُ الحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضُرِبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ

قَوْلُهُ: «بِذَا» أي: بالنهي عن سَبِّ آلهة المشركين؛ لئلا يَسبُّوا اللهَ، فكذلك أهلُ السُّنَّةِ (أهل الحديث) تركوا مسبَّتهم لئلا تَسبُّوا مِنهاجهم وتسبُّوا أدلَّتَهم من

كتاب الله وسُنَّةِ رسولِه.

٢٤٣١- سَــبُّوكُمْ جُهَّالُــهُمْ فَسَــبَبْتُمُ   سُــنَنَ الرَّسُــولِ وَعَسْــكَرَ الإِيــمَانِ

يعني أنَّ الـجُهَّالَ من أهل السُّنَّة صاروا يسبُّون أئمةَ أهل البدعة سبًّا قبيحًا، فإلى أيِّ شيء أدى ذلك؟ قال: (فَسَبَبْتُمُ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الإِيمَانِ) أي: سببتم السُّننَ وأصحابَ السُّنن.

٢٤٣٢- وَصَدَدْتُمُ سُفَهَاءَكُمْ عَــنْهُمْ وَعَــنْ   قَــوْلِ الرَّسُــولِ وَذَا مِــنَ الطُّغْيَــانِ

يعني: صددتم سفهاءكم عنهم، أي: عن أهل الحديث وعن قول الرسول، وذا من الطغيان وتجاوز الحدِّ بلا شكٍّ.

٢٤٣٣- وَدَعَوْتُمُــوهُمْ لِلَّــذِي قَالَتْــهُ أَشْــ   ــيَاخُ لَكُمْ بِالــخَرْصِ وَالــحُسْبَانِ

٢٤٣٤- فَــأَبَوْا إِجَــابَتَكُمْ وَلَــمْ يَتَحَيَّــزُوا   إِلَّا إِلَى الآثَــــارِ وَالقُــــرْآنِ

٢٤٣٥- وَإِلَى أُولِي العِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيــ   ــثِ خُلاصَــةِ الإِنْسَــانِ وَالأَكْــوَانِ

قَوْلُهُ: «دَعَوْتُمُوهُم» يعني: دعوتم سفهاءَكم، وصددتموهم عن الحقِّ، ودعوتموهم للباطل، وهو قول الشيوخ (فأَبَوْا إجابتكم).

ويَحْتَمِلُ أنَّ قولَ المؤلفِ: (وَدَعَوْتُمُوهُمْ) أي: دعوتم جُهَّالَ أهلِ السُّنَّة إلى ما أنتم عليه، وهذا الاحتمالُ الذي ذكرتُه هو الظاهر؛ لأنَّ قوله: (فَأَبَوْا إِجَابَتَكُم) لا يعني به سفاءَهم؛ إذ إنَّ سفهاءَهم قد أجابوهم.

٢٤٣٦- قَــوْمٌ أَقَــامَهُمُ الإِلَــهُ لِــحِفْظِ هَــ   ــذَا الدِّينِ مِــنْ ذِي بِدْعَــةٍ شَــيْطَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْمٌ» يعني أهلَ الحديثِ.

قَوْلُهُ: «أَقَامَهُمُ الإِلهُ» أي: مَنَّ عليهم حتَّى قاموا بحفظ هذا الدين، مِن كلِّ ذي بدعةٍ شيطان. اللَّهُمَّ اجعلنا منهم.

٢٤٣٧- وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتْـ ... تَحْرِيـفِ وَالتَّتْمِـيمِ وَالنُّقْصَـانِ

قوله: «حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّحْرِيفِ» التحريفُ تغييرُ المعنى، والتبديلُ: تغييرُ اللفظ، وإذا أُفرِدَ التحريفُ صار شاملًا لتحريف اللفظ وتحريف المعنى.

كذلك أيضًا «وَالتَّتْمِيمِ وَالنُّقْصَانِ» التتميمُ يعني الزيادةَ، والنقصانُ يعني النَّقصَ (الحذفَ).

ومن المعلوم أنَّ القرآنَ لا يحتاجُ إلى تتميمٍ، لكن على قاعدة هؤلاء أنَّ فيه مجازًا فإنه يحتاجُ إلى تتميمٍ، مثلًا قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] يحتاجُ عندهم إلى أن يُقَالَ: (جاء أمرُ رَبِّك) فالكلامُ لم يتمَّ.

وقولُ الرسولِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ»[1] هذا عندهم يحتاجُ إلى تتميمٍ، فيُقَالُ: (ينزل أمرُ رَبِّنا).

لكن أهل الحديث وقاهم اللهُ الشَّرَّ، أهلُ الحديث هم الذين أقامهم اللهُ لحفظِ هذا الدين، ودفعِ شُبَه الضالِّين، سواءً كان ذلك عن طريق التتميم أو النقصان.

٢٤٣٨- يَزَكٌ عَلَى الإِسْلامِ بَـلْ حِصْـنٌ لَـهُ ... يَـأْوِي إِلَيْـهِ عَسَـاكِرُ الفُرْقَـانِ

ظَنَّ الهرَّاسُ -رحمه الله- أنَّ اليَزَكَ يعني النَّيَازِك التي يُرْمَى بها، ولكن ليس هذا هو الظاهر؛ لأنَّ النَّيَازِك اسمٌ حادثٌ، لكن الظاهر أنَّ اليَزَك أي: السِّهام، أو

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

اليَزَك: هو المشي الضعيف، يعني أنَّهم بالنسبة للإسلام لا يَعْدُونَ عليه عَدْوًا، أمَّا على المعنى الأول (أنهم يزكٌ عليه) فبمعنى أنهم يَزَكٌ له، أي: سهامٌ للإسلام.

٢٤٣٩- فَهُمُ المِحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَـهُمُ فَزِنْـدِيقٌ خَبِيثُ جَنَانِ

قَوْلُهُ: «**فَهُمُ المِحَكُّ**» أي: أهلُ الحديثِ هم المِحَكُّ.

معنى (**المحك**): الذين يُختبَرُ بهم الإنسان، مَن أحبَّهم فهو مِن أهل السُّنَّة، ومَنْ أبغضهم أو تنقَّصهم فهو من أهل البدعة؛ ولهذا يُقَالُ مثلًا: إذا رأيت الإنسانَ يُحِبُّ الإمامَ أحمد فهو سُنِّيٌّ، وإذا رأيتَه يُبْغِضُه فهو بِدْعِيٌّ.

قَوْلُهُ: «**فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَـهُمُ فَزِنْدِيقٌ خَبِيثُ جَنَانِ**» وهذا حقيقةٌ، فلا يُبْغِضُ أولياءَ الله إلَّا أعداءُ الله، لا شكَّ في هذا، فأولياءُ الله وأعداءُ الله الحربُ بينهما عَوَانٌ دائمًا وأبدًا، قال الله تعالى في الحديث القدسيِّ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»(١).

فأهلُ الحديثِ هم المَحَكُّ، مَن تَنَقَّصَهم فهو زِنْدِيقٌ.

قَوْلُهُ: «**خَبيثُ جَنَانِ**» أي: خبيثُ قلبٍ.

٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهِمْـهُ فَقَبْلَـكَ السَّـلَفُ الأُلَى كَـانُوا عَـلَى الإِيـمَانِ وَالإِحْسَـانِ

٢٤٤١- أَيْضًا قَدِ اتَّهَمُوا الخَبِيثَ عَلَى الهُدَى وَالْعِلْـمِ وَالآثَـارِ وَالْقُـرْآنِ

قَوْلُهُ: «**إِنْ تَتَّهِمْهُ**» يعني: تتهم البِدعِيَّ في زمنك، فإنَّ قبلَك مَن اتَّهم جنسَه؛ ولهذا قال: فإن فقبلك السلف الأُلَى أيضًا قد اتهموا الخبيث على الهدى. مثل اتهامِ ابن عُمَرَ للقَدَرِيَّة، واتهامِ التابعين الذين أدركوا الجهمَ بنَ صَفْوَان لجهمٍ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦١٣٧).

فالمهم أنَّ الرجلَ إذا اتَّهم الرجلَ بكراهة أهل السُّنَّة لأنه بدعِيٌّ، فإِنَّ هذا حقٌّ؛ لأنَّ السَّلَفَ الصالحَ اتَّهموا مَن كان على شاكلتِه بذلك.

٢٤٤٢- وَهُوَ الـحَقِيقُ بِذَاكَ إِذْ عَـادَى رُوَا ةَ الـدِّينِ وَهْـيَ عَـدَاوَةُ الـدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «الـحَقِيقُ بِذَاكَ» أي: بالخبث، فهو حقيقٌ بأن يكونَ خبيثًا؛ لأنه عادى رواةَ الدين، ومعاداةُ رواةِ دين الله معاداةٌ لله عزَّ وجلَّ.

٢٤٤٣- فَـإِذَا ذَكَـرْتَ النَّاصِـحِينَ لِـرَبِّهِمْ وَكِتَابِـهِ وَرَسُـولِهِ بِلِسَـانِ

٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيْلَكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيـلِ وَالتْ تَكْـذِيبِ وَالْكُفْـرَانِ وَالْبُهْتَـانِ

يعني: إذا ذكرتَ الناصحين لله وكتابِه ورسولِه بلسانك فاغسِلْ لسانَك من دم التعطيل والتكذيب، أي: سِرْ على منواهم؛ لتغسلَ لسانَكَ من هذه الأوصافِ القبيحةِ، وهي التعطيل، والتكذيب، والكفران، والبهتان.

وهنا إيرادٌ واردٌ؛ إذ كيف يقولُ -رحمه الله- بأنَّهم جُهَّالٌ، وسَبُّوا أهلَ السُّنَّة، وهو نفسُه يَسُبُّهم، ووصفهم فيما سبق بأنَّهم حميرٌ، وأنهم يَلِجُونَ القَلُّوطَ ويشربون منه، وتظهرُ على شفاههم وأسنانهم الأخباثُ والأنتانُ؟

الجواب عن هذا أن يُقَالَ: السَّبُّ المواجِهُ هو الذي تَحْصُلُ به الفتنةُ، أمَّا السَّبُّ غيرُ المواجِه مِن أَجْلِ التحذير منهم فلا بأس به؛ ولهذا لَـمَّا استأذنَ رجلٌ على النَّبِيِّ ﷺ وقالوا: فلانٌ، قال: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ»[1] فَسَبَّه، ولـمَّا دخل أعطاه سماحةً في الوجه، فَفَرْقٌ بين المقابلة وبين المدابرة، بمعنى أنك تَسُبُّ الرجلَ تحذيرًا من طريقته، لكن أمامَه إذا سببتَه ربَّما تُثير حفيظتَه فيسُبُّ ما أنت عليه من الدين.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا»، رقم (٥٦٨٥)، ومسلم: كتاب البر والآداب والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه، رقم (٢٥٩١).

٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدْوًا وَلَسْتَ بِكُفْئِهِمْ؟! فَاللهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي

٢٤٤٦- قَوْمٌ هُمُ بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلإِيمَانِ

٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الأَذْهَانِ

٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَاؤُهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ

٢٤٤٩- لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقُلَتْ رَءُوسُهُمْ عَنِ القُرْآنِ

٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعُبَ الصِّبْيَانِ

٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الإِيمَانِ

٢٤٥٢- وَأَتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطْلَعِ الْقُرْآنِ

٢٤٥٣- قَوْمٌ إِذَا مَا نَاجِذُ النَّصِّ بَدَا طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوُحْدَانِ

٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الهُدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسَابُقِ الفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ

٢٤٥٥- وَإِذَا هُمُ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعٍ هَذَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانِ

٢٤٥٦- وَرِثُوا رَسُولَ اللهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدْ رَاحَ بِالنُّقْصَانِ وَالحِرْمَانِ

٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمُ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا مِنَ الخُسْرَانِ

٢٤٥٨- عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمُ بِمُهَانِ

٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فُلَانِ

٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي المَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةِ السُّلْطَانِ

٢٤٦١- ذَكَــرُوهُ فَــوْقَ مَنَـابِرٍ وَبِسِــكَّةٍ رَقَمُـوا اسْـمَهُ فِي ظَـاهِرِ الأَثْـمَانِ

٢٤٦٢- وَالأَمْـرُ وَالنَّهْـيُ الـمُطَاعُ لِغَـيْرِهِ وَلِـمُهْتَدٍ ضُرِبَـتْ بِـذَا مَـثَلانِ

٢٤٦٣- يَا لَلْعُقُولِ أَيَسْتَوِي مَنْ قَـالَ بِالْـ ـقُرْآنِ وَالآثَـارِ وَالْبُرْهَـانِ

٢٤٦٤- وَمُخَـالِفٌ هَـذَا وَفِطْـرَةَ رَبِّـهِ؟ اللهُ أَكْـبَرُ كَيْـفَ يَسْـتَوِيَانِ؟

الشــرحُ

هذه الأبيات يقولُ فيها المؤلفُ -رحمه الله-:

٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدْوًا وَلَسْتَ بِكُفْـئِهِمْ؟! فَـاللهُ يَفْـدِي حِزْبَـهُ بِالْـجَانِـي

تَسُبُّ أهلَ الحديث عَدْوًا، يعني اعتداءً وطغيانًا عليهم، (وَلَسْتَ بِكُفْئِهِم)؛ لأنهم خيرٌ منك.

قَوْلُهُ: «فَاللهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْـجَانِي» يعني: سأل اللهَ أن يجعلَ الجانِيَ فِداءً لحزب الله، وهذا لا بأسَ به.

وفداءُ الجاني لحزب الله إِمَّا أن يكونَ فِداءً حِسِّيًّا بأن يُهْلِكَه اللهُ على يده، أو فداءً معنويًّا بأن يُظْهِرَ أهلَ الحديث على هؤلاء الجُناة.

٢٤٤٦- قَـوْمٌ هُـمُ بِـاللهِ ثُـمَّ رَسُـولِهِ أَوْلَى وَأَقْـرَبُ مِنْـكَ لِلإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «قومٌ» يعني أهلَ الحديث.

قَوْلُهُ: «هُمُ بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلإِيمَانِ» يعني: هم أَوْلَى بالله ورسولِهِ منك، وأقربُ للإيمان منك.

٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الأَذْهَانِ

٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَاؤُهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَّانَ» أي: بَعُدَ ما بين هؤلاء وهؤلاء.

شَتَّان بين هؤلاء وبين هؤلاء، أي: بين التاركين نصوصَه وبين الآخذين بنصوصِه، وهم أهلُ الحديث، بين الذين تركوا لأجلها آراءَ مَن آراؤهم ضَرْبٌ من الهَذَيَان وبين مَن أخذوا بهذه الآراء.

٢٤٤٩- لَـمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقُلَتْ رُءُوسُهُمْ عَنِ القُرْآنِ

٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعُبَ الصِّبْيَانِ

هذان البيتان مأخوذان من قول النَّبيِّ ﷺ حين قيل له: إنَّ فلانًا نام عن صلاة الصُّبحِ، قال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»[1] فانسدَّتْ ببول الشَّيطان عن سَماع الأذان.

هؤلاء أيضًا تَلطَّف بهم ابنُ القيِّم، فجعل بدلَ البول فَسْوًا.

٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الإِيمَانِ

٢٤٥٢- وَأَتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطْلَعِ الْقُرْآنِ

وفرقٌ بين هؤلاء وهؤلاء، هؤلاء قصدوا المدينةَ لأجل الإيمان، ومكةَ لأجل القرآن.

واختلف التعبيران في كلام المؤلف؛ لأنَّ مكةَ بها ابتداءُ نزولِ القرآن، وأكثرُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب إذا نام ولم يصلِّ بال الشيطان في أذنه، رقم (١٠٩٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم (٧٧٤).

ما نزل من السور في مكة.

وأمَّا المدينة فهي مَقَرُّ الإيمانِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩] يعني الأنصارَ الذين في المدينة، فجعل المؤلفُ المدينةَ مَطْلَعَ الإيمان، ومكةَ مطلعَ القرآن.

٢٤٥٣- قَـوْمٌ إِذَا مَـا نَاجِـذُ الـنَّصِّ بَـدَا طَـارُوا لَـهُ بِالـجَمْعِ وَالْوُحْـدَانِ

إذا بدا ناجذُ النَّصِّ طاروا له جُمُوعًا ومنفرِدين.

٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الـهُدَى اسْـتَبَقُوا لَـهُ كَتَسَـابُقِ الفُرْسَـانِ يَـوْمَ رِهَـانِ

وهؤلاء هم الذين لهم الفخرُ في الحقيقة.

٢٤٥٥- وَإِذَا هُـمُ سَـمِعُوا بِمُبْتَـدِعٍ هَـذَى صَـاحُوا بِـهِ طُـرًّا بِكُـلِّ مَكَـانِ

صاحوا به يُبَيِّنون بدعتَه ويُحذِّرون منها.

٢٤٥٦- وَرِثُـوا رَسُـولَ الله لَكِـنْ غَـيْرُهُمْ قَـدْ رَاحَ بِالنُّقْصَـانِ وَالـحِرْمَانِ

قَوْلُهُ: «ورِثوا رسولَ الله» يعني أهلَ الحديث.

قَوْلُهُ: «لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدْ رَاحَ بِالنُّقْصَانِ وَالحِرْمَانِ» يعني بذلك أهلَ التعطيل.

٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمُ بِـالنَّصِّ لَـمْ يَرْفَـعْ بِـهِ رَأْسًـا مِـنَ الـخُسْرَانِ

٢٤٥٨- عَضُّـوا عَلَيْـهِ بِالنَّوَاجِـذِ رَغْبَـةً فِيـهِ وَلَـيْسَ لَـدَيْهِمُ بِمُهَـانِ

أهلُ الحديث إذا استهانَ سواهم بالنَّصِّ، ولم يرفعْ به رأسًا، تلقَّوْه هم بالقَبول وعَضُّوا عليه بالنواجذ، وقالوا: نحن -بحمد الله- أهلُه، وهذا يدلُّ على أنهم ليسوا إِمَّعَةً يتبعون الناسَ على كُلِّ شيء، ولكن يأخذون بالحقِّ أينما كان.

٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً ... وَتِلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فُلَانِ

يعني: ليس أهلُ الحديث كَمَنْ نَبَذ الكتابَ حقيقةً وتلاوةً.

قَوْلُهُ: «حقيقةً» يعني: لم يأخذوا بمعانيه، وما دَلَّ عليه.

قَوْلُهُ: «وتلاوةً» يعني: اشتغلوا بغيره حتى عن تلاوة القرآن، فاشتغلوا بكتب هؤلاء المتبوعين والأشياخ، وتركوا القرآنَ حقيقةً وتلاوةً.

٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي الـمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ ... كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةِ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عَزَلُوه فِي المعنَى» فنصبوه إمامًا في اللفظ، وَوَلَّوْا غيرَه القيادةَ.

هؤلاء مثلًا قالوا: القرآنُ أشرفُ الأشياءِ، وكلامُ الله -إن كانوا يقولون بأنه كلامُ الله- لكنَّهم لا يَتَّبِعُونه، فهذا عَزْلٌ له في المعنى.

قَوْلُهُ: «كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةِ السُّلْطَانِ» أبو الربيع يبدو أنه خليفةٌ لسلطانٍ سابقٍ تولَّى الخلافةَ، لكنَّه تولَّى الخلافةَ اسمًا، والتدبيرُ لغيرِه، فهذا لو سُمِّي خليفةً وسلطانًا، هل له سلطانٌ؟ الجواب: لا، لكن له شيءٌ خاصٌّ به؛ ولذا قال:

٢٤٦١- ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسِكَّةٍ ... رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الأَثْمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِر» قالوا مثلًا: اللَّهُمَّ أَيِّد سلطانَنا فلانَ بنَ فلانٍ، اللَّهُمَّ أَيِّد خليفتَنا فلانَ بنَ فلانٍ، وهو في الحقيقة ليس بسلطانٍ ولا خليفة لهم، فالأمرُ لغيرِه.

قَوْلُهُ: «وبِسِكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الأَثْمَانِ» كان الخلفاءُ فيما سبق وإلى الآن يكتبون أسماءَهم على الدنانير والدراهم تعظيمًا لهم، فأبو الربيع هذا كُتِبَ اسمُه على الدنانير والدراهم، ويُدْعَى له فوق المنابر، ولكن لا سلطةَ له، بل السلطةُ لغيرِه.

المهم أنَّ ابنَ القيم -رحمه الله- ضرب مثلًا للقرآن عند هؤلاء بخليفةٍ ليس له أمرٌ ولا نهيٌ، إنما يُذْكَرُ اسمُه فوق المنابر، ويُدْعَى له، ويُكْتَبُ اسمُه على السِّكك، يعني: على النقود: الذهب والفضة.

٢٤٦٢- وَالأَمْـرُ وَالنَّهْـيُ الـمُطَاعُ لِغَـيْرِهِ ... وَلِـمُهْتَدٍ ضُرِبَـتْ بِـذَا مَـثَلانِ

قَوْلُهُ: «وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ المُطَاعُ لِغَيْرِهِ» أي: لغير هذا الحاكم.

قَوْلُهُ: «وَلِـمُهْتَدٍ ضُرِبَتْ بِذَا مَثَلانِ» أي: مَثَلُنَا ومَثَلُكُمْ بالنسبة للقرآن كمثل خليفةٍ ليس له أمرٌ ولا نهيٌ عند أهل التعطيل، لكن عند أهل الحديث الأمرُ والنهيُ كُلُّه للقرآن والسُّنَّة.

٢٤٦٣- يَا لَلْعُقُولِ أَيَسْتَوِي مَـنْ قَـالَ بِالْـ ... ـقُرْآنِ وَالآثَـارِ وَالْبُرْهَـانِ

٢٤٦٤- وَمُخَـالِفٌ هَـذَا وَفِطْـرَةَ رَبِّـهِ؟ ... اللهُ أَكْـبَرُ كَيْـفَ يَسْـتَوِيَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَيَسْتَوِي مَنْ قَالَ بالقُرآنِ... وَمُخالِفٌ هَذَا؟» الجَوابُ: لا يستويان.

قَوْلُهُ: «كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟» يعني: لا يستويان، وصدق -رحمه الله-.

* * *

٢٤٦٥- بَـلْ فِطْـرَةُ اللهِ الَّتِـي فُطِـرُوا عَـلَى ... مَضْـمُونِهَا وَالْعَقْـلُ مَقْبُـولانِ

٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَـدِّقًا لَـهُمَا فَـلَا ... تُلْـقِ الْعَـدَاوَةَ مَـا هُمَـا حَرْبَـانِ

٢٤٦٧- سِـلْمَانِ عِنْـدَ مُوَفَّـقٍ وَمُصَـدِّقٍ ... وَاللهُ يَشْـهَدُ أَنْ هُمَـا سِـلْمَانِ

٢٤٦٨- فَـإِذَا تَعَـارَضَ نَـصُّ لَفْـظٍ وَارِدٍ ... وَالْعَقْـلُ حَتَّـى لَـيْسَ يَلْتَقِيَـانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْـلُ إِمَّـا فَاسِـدٌ وَيَظُنُّـهُ الـرْ ... رَائِـي صَـحِيحًا وَهْـوَ ذُو بُطْـلَانِ

٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ   مَا قَالَهُ المَعْصُومُ بِالبُرْهَانِ

٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا   بَعْضًا فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ

٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا   مِنْ آفَةِ الأَفْهَامِ وَالأَذْهَانِ

٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ البَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ   مَا قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

الشَّرحُ

يقول المؤلف -رحمه الله-:

إنَّ الفِطرةَ التي فُطِرَ الناسُ عليها والعقلَ لا يمكنُ أنْ يَتَعَارَضَا؛ ولذا قال:

٢٤٦٥- بَلْ فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَى   مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولانِ

٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لَهُمَا فَلَا   تُلْقِ الْعَدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ

عندنا ثلاثةُ أشياء: الفِطرةُ، والعقلُ الصريحُ، والنقلُ الصحيحُ، هذه الأشياءُ الثلاثةُ لا يمكنُ أن تتعارضَ إلَّا لآفةٍ.

فالفطرةُ رُبَّما تُعارِضُ العقلَ الصريحَ، لأنها فسدت؛ كما قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1].

فأمَّا فِطرةٌ سليمةٌ فإنها لا يمكنُ أن تُعارِضَ العقلَ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

العقلُ هل يعارِضُ النقلَ؟

الجَوَابُ: لا، لا يمكنُ أبدًا، فالعقلُ الصريحُ -يعني السَّالِـم من الشُّبهات والشهوات- لا يمكنُ أبدًا أن يُعارِضَ النقلَ الصحيحَ.

ولشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة كتابٌ سمَّاه: (**دَرْءُ تَعَارُضِ العقلِ والنقل**) واشتهر بين العلماء باسم (**العقل والنقل**)، وقد سبق ثَناءُ ابن القيِّمِ عليه، حتَّى قال فيه:

وَلَهُ كِتَابُ العَقْلِ وَالنَّقْـلِ الَّـذِي ... مَـا فِي الوُجُـودِ لَـهُ نَظِـيرٌ ثَـانِ

إِذَنْ لا يمكنُ أن يَتعارَضَ العقلُ والنقلُ، ولكن كيف نعملُ إذا تعارضا؟ يقول المؤلفُ -رحمه الله-:

٢٤٦٧- سِـلْمَانِ عِنْـدَ مُوَفَّـقٍ وَمُصَـدِّقٍ ... وَاللهُ يَشْـهَدُ أَنْ هُمَـا سِـلْمَانِ

قَوْلُهُ: «**سِلْمَانِ**» لكن هما سِلمان عند مَن؟ الجواب: عند الموفَّق المصدِّق، أمَّا المنكِر فهو يَدَّعِي أنَّ العقلَ يُعارِضُ النقلَ، والذي لم يوفَّق للجمع بينهما يظنُّ أيضًا تعارُضَ العقلِ والنقلِ.

٢٤٦٨- فَـإِذَا تَعَـارَضَ نَـصُّ لَفْـظٍ وَارِدٍ ... وَالْعَقْـلُ حَتَّـى لَـيْسَ يَلْتَقِيَـانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْـلُ إِمَّـا فَاسِـدٌ وَيَظُنُّـهُ الـرْ ... رَائِـي صَـحِيحًا وَهْـوَ ذُو بُطْـلَانِ

٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَاكَ الـنَّصَّ لَـيْسَ بِثَابِـتٍ ... مَـا قَالَـهُ الـمَعْصُومُ بِالبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «**فَـإِذَا تَعَـارَضَ نَـصُّ لَـفْظٍ وَارِدٍ وَالْـعَقْلُ**» يعني: تعـارض النَّـصُّ والعقل.

يقول: إذا تعارضَ عقلٌ ونقلٌ في نظر الرَّائِي فلا يخلو من حالين:

الحال الأولى: إمَّا أنَّ العقلَ فاسدٌ أفسدتْه الشُّبهةُ أو الشَّهوةُ، ولستُ أريدُ بالشهوة هنا شهوةَ الجنس (**الجماع**)، بل الشَّهوة هنا تعني سوءَ القصد.

الحال الثانية: أو أنَّ النصَّ ليس بثابتٍ عن المعصوم.

فأمَّا أن يكونَ النَّصُّ ثابتًا والعقلُ صحيحًا فإنَّ التعارضَ لا يمكنُ أبدًا.

إِذَنْ إذا وجدتَ من نفسِك أنَّ النَّصَّ معارِضٌ للعقل فاتَّهِمْ عقلَك أو النَّصَّ.

واتِّهامُ النَّصِّ ليس معناه اتِّهامه أنه صدقٌ أو كذبٌ، إنما تتهم هل هو ثابتٌ أو غيرُ ثابتٍ؟ فإذا ثبت عن المعصوم فإنه لن يعارضَ العقلَ أبدًا.

ثُمَّ انتقل المؤلفُ -رحمه الله تعالى- إلى تعارض النصوص بعضِها مع بعضٍ، فقال:

٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ

أيضًا النصوصُ لا يمكنُ أن تتعارضَ أبدًا، ولاحظوا أنَّ المرادَ بالتعارض هنا ليس التعارضَ بين النصوص في العموم والخصوص فإنَّ هذا واردٌ، لكن التعارض أن تتقابلَ من كُلِّ وجه بحيث لا يمكنُ أن يجتمعَ بعضُها مع بعضٍ.

فالتعارضُ الذي هو التقابلُ من كُلٍّ لا يمكن أن يوجدَ في النصوص أبدًا.

فإن **قال قائل**: أليس قد ثبتَ النسخُ فعارضَ الناسخُ المنسوخَ؟ فالجواب: بلى، لكن إذا ثبت النسخُ فلا تعارضَ؛ لأنَّ المنسوخَ غيرُ قائم، فالمنسوخُ نُسِخَ وذهب، لكن كلامُنا على النصوص التي ليست بمنسوخةٍ لا يمكنُ أن تتعارضَ أبدًا.

٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا ... مِنْ آفَةِ الأَفْهَامِ وَالأَذْهَانِ

٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ البَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ ... مَا قَالَهُ الـمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

إذا رأيتَ تعارضًا بين نصَّيْن، سواء كان ذلك من نصوص القرآن أو من السُّنَّة فاعلم أنَّ ذلك من قُصُور فَهْمِكَ وذهنك، وإلَّا فلا يمكنُ أن تتعارضَ، أو أنَّ النصَّ ليس بثابتٍ، وهذا لا يكونُ إلَّا في تعارض السُّنَّةِ بعضها مع بعض التي تُنْسَبُ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

* * *

٢٤٧٤- لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالـجَهْمِ فِي ... قَلْبِ الـمُوَحِّدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ ... فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَتِلانِ

٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلاثٍ: حِزْبُهُ ... أَوْ حَرْبُهُ أَوْ فَارِغٌ مُتَوَانِ

٢٤٧٧- فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟ فَلَا ... وَاللهِ لَسْتَ بِرَابِعِ الأَعْيَانِ

٢٤٧٨- مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكَذِّبٌ ... بِجَمِيعِ رُسْلِ اللهِ وَالْفُرْقَانِ

٢٤٧٩- إِنَّ الـمُعَطِّلَ لا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْـ ... ـمَنْحُوتِ بِالأَفْكَارِ فِي الأَذْهَانِ

٢٤٨٠- وَكَذَا إِلَهُ الـمُشْرِكِينَ نَحِيتَةُ الْـ ... أَيْدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سِيَّانِ

٢٤٨١- لَكِنْ إِلَهُ الـمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي ... فَوْقَ السَّمَاءِ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ

٢٤٨٢- تَاللهِ قَدْ نَسَبَ الـمُعَطِّلُ كُلَّ مَنْ ... بِالْبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الكِتْمَانِ

٢٤٨٣- وَاللهِ مَا فِي الـمُرْسَلِينَ مُعَطِّلٌ ... نَافِي صِفَاتِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

٢٤٨٤- كَــلَّا وَلَا فِي الــمُرْسَلِينَ مُشَــبِّهٌ ... حَاشَــاهُمُ مِــنْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَــانِ

٢٤٨٥- فَخُذِ الــهُدَى مِـنْ عَبْـدِهِ وَكِتَابِـهِ ... فَهُـمَا إِلَى سُـبُلِ الــهُدَى سَـبَبَانِ

الشــرحُ

لـمَّا ذكر المؤلفُ -رحمه الله- أنَّ العقلَ والفطرةَ، والشَّرعَ لا يتناقضان أبدًا ولا يتعارضان؛ ذكر أنَّ الذي يتعارضُ مع قول الرسول ﷺ هو عقلُ جهمٍ وأتباعِه؛ ولهذا قال:

٢٤٧٤- لَكِــنَّ قَــوْلَ مُحَمَّــدٍ وَالــجَهْمِ فِي ... قَلْـبِ الــمُوَحِّدِ لَـيْسَ يَجْتَمِعَـانِ

٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْــرُدُ كُــلُّ قَــوْلٍ ضِــدَّهُ ... فَــإِذَا هُمَــا اجْتَمَعَـا فَمُقْتَــتِلانِ

قَوْلُهُ: «قولَ محمدٍ» يعني رسولَ الله ﷺ.

٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْـدُ عَـلَى ثَـلاثٍ: حِزْبُـهُ ... أَوْ حَرْبُـــهُ أَوْ فَـــارِغٌ مُتَـــوَانِ

قَوْلُهُ: «والناسُ بَعْدُ» يعني: الناس بعد هذا التقسيم على ثلاث طوائف: حزبٍ، وحربٍ، وفارغٍ متوانٍ.

فحزبُ الله هم أتباعُ رسلِه، وحربُ الله هم أعداءُ رسله، والثالثُ: فارغٌ لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؛ لأنه لا ينظرُ إلى الحياة بجِدٍّ، وإنما ينظرُ إلى الحياة وكأنه بهيمةٌ.

٢٤٧٧- فَاخترْ لِنَفْسِكَ أَيْـنَ تَجْعَلُهَـا؟ فَـلَا ... وَاللهِ لَسْــتَ بِرَابِــعِ الأَعْيَــانِ

قَوْلُهُ: «فَاخترْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟» من الحزبِ، أو من الحربِ، أو من الفارغِ المُتواني.

قَوْلُهُ: «وَاللهِ لَسْتَ بِرَابِعِ الأَعْيَانِ» فليس هناك قسمٌ رابعٌ، فالناسُ ثلاثُ طوائفَ.

٢٤٧٨- مَنْ قَـالَ بِالتَّعْطِيـلِ فَهْـوَ مُكَـذِّبٌ   بِجَمِيـعِ رُسْـلِ اللهِ وَالْفُرْقَـانِ

الذي يقولُ بالتعطيل مُكَذِّبٌ لجميع الرُّسل؛ لأنَّ جميعَ الرُّسلِ يُثْبِتُون لله تعالى ما أثبته لنفسِه من صفات الكمال، وكذلك أتباعُهم، فلا تجدُ في كلامِ الرُّسلِ نفيًا لأيِّ صفةٍ كمالٍ من صفات الله.

٢٤٧٩- إِنَّ الـمُعَطِّلَ لا إِلَهَ لَـهُ سِـوَى الْـ   ـمَنْحُوتِ بِالأَفْكَـارِ فِي الأَذْهَـانِ

أراد -رحمه الله- أن يجعلَ المعطِّلَةَ كالمشركين، فالمشركون نحتوا أصنامًا يعبدونها من دون الله، والمعطِّلُ نحت شيئًا يعبدُه من دون الله؛ لأنَّ حقيقةَ قولِ المعطِّلِ أنه لا إله، لا سيما الذين يعطِّلون الأسماءَ والصفات.

يوجد أناسٌ يقولون: لا تقل: **(إِنَّ اللهَ موجودٌ)**، ولا تقل: **(إِنَّ اللهَ غيرُ موجودٍ)**؛ لأنك إِنْ قلتَ: **(إِنَّ اللهَ موجودٌ)** شَبَّهْتَه بالموجودات، وإن قلتَ: **(إِنَّ اللهَ غيرُ موجودٍ)** شبَّهْتَه بالمعدومات.

نقول لهم: سبحان الله! أنتم إذا قلتم: لا موجودٌ ولا معدومٌ شَبَّهتموه بالممتنِعات المستحيلات؛ لأنه لا يمكنُ أبدًا أن يكونَ شيءٌ لا موجودًا ولا معدومًا.

فهم نحتوا إلـهًا وقالوا: هذا الإلهُ، نحتوه بالأفكار والأذهانِ الفاسدةِ الباطلة.

والمشركون نحتوا أيضًا؛ ولذا قال:

٢٤٨٠- وَكَذَا إِلَـهُ الـمُشْرِكِينَ نَحِيتَـةُ الْـ   أَيْـدِي هُمَـا فِي نَحْـتِهِمْ سِـيَّانِ

هؤلاء إلـهُهُم نَحِيتَةُ الأفكار، وهؤلاء إلـهُهم نَحِيتَةُ الأيدي، فهما في نحتهم سِيَّانِ.

٢٤٨١- لَكِنْ إِلَـهُ الـمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي فَـوْقَ السَّـمَاءِ مُكَـوِّنُ الأَكْـوَانِ

إلهُ المرسلين -سبحانه وتعالى- هو الذي فوق السَّماء مكوِّنُ الأكوان، نسألُ اللهَ أن يجعلَنا من أتباعِهم.

٢٤٨٢- تَاللهِ قَدْ نَسَبَ الـمُعَطِّلُ كُلَّ مَنْ بِالْبَيِّنَـاتِ أَتَـى إِلَى الكِتْمَانِ

المعطِّلُ يقولُ: الحقُّ عندي، نقولُ له: إذا كان الحقُّ عندك فهل أتت به الرُّسلُ الذين جاءوا بالبينات؟ ماذا يقول؟ يقول: لا، إِذَنْ كتموا الحقَّ وأَتَوْا بالباطل.

فكُلُّ إنسانٍ يُعطِّل صفاتِ الله فقد اتَّهم الرُّسلَ كُلَّهم بالكتمان.

٢٤٨٣- وَاللهِ مَا فِي الـمُرْسَلِينَ مُعَطِّلٌ نَافِـي صِـفَاتِ الْوَاحِـدِ الـرَّحْمَنِ

٢٤٨٤- كَـلَّا وَلَا فِي الـمُرْسَلِينَ مُشَـبِّهٌ حَاشَـاهُمُ مِـنْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَـانِ

وكذلك -ولله الحمد- أتباعُ المرسلين ليس فيهم معطِّلٌ وليس فيهم مُشَبِّهٌ، بل يقولون: آمنَّا بالله كما أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ؛ ولهذا قال الرَّازِيُّ -وهو من زعماء المعطِّلة-: «**لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْـمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تُرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، اقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ:** ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، **وأقرأ في النفي** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، **ومَن جَرَّب مثل تَجرِبتي عرَف مثلَ معرفتي**»[1].

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:١٧٨).

وهذا الكلامُ حقٌّ، فكُلُّ كلامِ أهل الكلام والفلسفة هُراء، لم يستفيدوا من بحثهم طُولَ أعمارِهم إلَّا قِيل وقال.

٢٤٨٥- فَخُذِ الـهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ ... فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الـهُدَى سَبَبَانِ

قَوْلُهُ: «خُذ الـهُدَى» يعني: العلمَ والحقَّ.

قَوْلُهُ: «مِن عَبْدِهِ» وهو محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

قَوْلُهُ: «وَكِتَابِهِ» أي: القرآن العظيم.

* * *

فصل

فِي بُطْلَانِ قَوْلِ الْمُلْحِدِينَ: إِنَّ الاسْتِدْلَالَ بِكَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ لا يُفِيدُ العِلْمَ وَاليَقِينَ

٢٤٨٦- وَاحْذَرْ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا ... شِيَعًا وَكَانُوا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ

٢٤٨٧- وَاسْأَلْ خَبِيرًا عَنْهُمْ يُنْبِيكَ عَنْ ... أَسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانِ

٢٤٨٨- قَالُوا: الهُدَى لا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةٍ ... كَلَّا وَلا أَثَرٍ وَلا قُرْآنِ

٢٤٨٩- إِذْ كُلُّ ذَاكَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ ... لَمْ تُبْدِ عَنْ عِلْمٍ وَلا إِيقَانِ

٢٤٩٠- فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إِجْمَالٌ يُرَى ... وَتَجَوُّزٌ بِالزَّيْدِ وَالنُّقْصَانِ

٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْـ ... ـحَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبْدِ عَنْ تِبْيَانِ

٢٤٩٢- وَالنَّقْلُ آحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى ... صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانِ

٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا ... وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهْوَ ذُو إِمْكَانِ

٢٤٩٤- وَتَوَاتُرٌ وَهْوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ ... جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟

٢٤٩٥- هَذَا وَيَحْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدُ مِنْ ... ذَاكَ الْمُعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ

٢٤٩٦- وَهْوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْرَفُ صِدْقُهُ ... وَالنَّفْيُ مَظْنُونٌ لَدَى الإِنْسَانِ

٢٤٩٧- فَلِأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلْـ ... ـلَيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ

الشــرحُ

هذه الأبياتُ يُبيِّنُ فيها المؤلفُ -رحمه الله- طريقةَ هؤلاء المعطِّلةِ، وخلاصةُ كلامهم: أنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ لا تفيدُ اليقينَ، وأنَّ العقلَ هو الذي يفيدُ اليقينَ، والقاعدةُ المتفقُ عليها بين جميع الفرق أنه إذا تعارضَ اليقينُ والظنُّ قُدِّم اليقينُ، فإذا تعارضت دلالةُ الكتاب والسُّنَّة، ودلالةُ العقل، وَجَبَ أن نُقَدِّمَ دلالةَ العقل. لكن ما هو السَّببُ؟ يقول:

٢٤٨٦- وَاحْـذَرْ مَقَـالَاتِ الَّـذِينَ تَفَرَّقُـوا ... شِـيَعًا وَكَـانُوا شِـيعَةَ الشَّـيْطَانِ

احذر هذه المقالات؛ لأنَّ الذين تفرَّقوا شِيَعًا ليسوا على حقٍّ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] وإذا كان النَّبيُّ ﷺ ليس منهم في شيءٍ، فهم ليسوا على حقٍّ.

٢٤٨٧- وَاسْأَلْ خَبِـيرًا عَـنْهُمْ يُنْبِيـكَ عَـنْ ... أَسْرَارِهِـمْ بِنَصِـيحَةٍ وَبَيَـانِ

قَوْلُهُ: «اسأَلْ خَبيرًا» يريدُ بذلك نفسَه؛ لأنه -رحمه الله- يعرفُ مِن أقوالِهم الشيءَ الكثيرَ.

٢٤٨٨- قَـالُوا: الـهُدَى لا يُسْـتَفَادُ بِسُـنَّةٍ ... كَـلَّا وَلا أَثَـرٍ وَلا قُـرْآنِ

الهدى لا يُستفادُ لا بالسُّنَّةِ، ولا بالأثرِ عن الصحابة، ولا بالقرآن، لماذا؟ قال:

٢٤٨٩- إِذْ كُـلُّ ذَاكَ أَدِلَّـةٌ لَفْظِيَّـةٌ ... لَـمْ تُبْـدِ عَـنْ عِلْـمٍ وَلا إِيقَـانِ

قَوْلُهُ: «أدلةٌ لفظيةٌ» أي: لا تفيدُ العلمَ واليقينَ، لماذا؟ قال -رحمه الله-:

٢٤٩٠- فِيهَـا اشْـتِرَاكٌ ثُـمَّ إِجْمَـالٌ يُـرَى ... وَتَجَـوُّزٌ بِالزَّيْـدِ وَالنُّقْصَـانِ

٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيـقُ وَالْـ ـحَذْفُ الَّذِي لَـمْ يُبْـدِ عَـنْ تِبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «فِيهَا اشتراكٌ» أي: ألفاظٌ مشتركةٌ بين معنيين فأكثر، واللفظُ المشتركُ عند العلماء هو اللفظُ الصالحُ لِمَعْنَيَيْنِ فأكثر، مثل كلمة: (**عين**) فهي لفظٌ مشتركٌ بين الشَّمس، والذهب، وعين الماء الجارية.

فإذن في القرآن والسُنَّة ألفاظٌ مشتركةٌ، واللفظُ المشتَرَكُ محتمِلٌ لكُلِّ معانيه، إِذَنْ فلا يفيدُ اليقينَ.

قَوْلُهُ: «**إجمالٌ**» أي: فيها أيضًا إجمالٌ، والإجمالُ يقتضي الإبهامَ؛ لأنَّ المُجْمَلَ ضدُّ المُبيَّن.

قَوْلُهُ: «**وَتَجَوُّزٌ**» أي: فيها أيضًا تَجَوُّزٌ، يعني: مجازًا.

قَوْلُهُ: «**بالزَّيد والنُّقْصَانِ**» يعني: تارَةً يكونُ هناك مجازٌ بالحذف، وهو النَّقصُ، وتارةً يكونُ مجازٌ بالزيادة.

فمثلًا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] قالوا: الكافُ زائدةٌ، هذا مجازٌ بالزيادة، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] قالوا: التقدير: (**جاء أمرُ ربِّك**) فهذا مجازٌ بالنَّقص.

قَوْلُهُ: «**كذلكَ الإِضْمَارُ**» أي: فيها إضمارٌ يقتضي الإبهامَ، أحيانًا يَحتملُ عَوْدَ الضمير إلى كذا، وأحيانًا يَحتملُ عودَه إلى كذا.

قَوْلُهُ: «**التَّحْقِيق**» وفي نسخة (**التخصيص**)، ولعلَّ النسخةَ الثانية: (**التخصيص**) أصحُّ.

يعني: فيها التخصيص، بمعنى أنَّ اللفظَ العامَّ يدخلُه التخصيصُ، ومعلوم أنَّ اللفظَ العامَّ إذا دخله التخصيصُ انتفت دلالُته على العموم، وهذا نقصٌ فيها.

قَوْلُهُ: «الحَذْفُ الَّذِي لَـمْ يُبْدِ عَنْ تِبْيَانِ» أي: فيها حذفٌ، ولا يُعْرَفُ ما هو المحذوف ولم يتبيَّنْ.

كُلُّ هذه يَرَوْنَ أنها عيوبٌ تمنعُ من العلم والإيقان.

كذلك أيضًا عيوبٌ أخرى من نوع ثانٍ، قال:

٢٤٩٢- وَالنَّقْـلُ آحَـادٌ فَمَوْقُـوفٌ عَـلَى ... صِـدْقِ الـرُّوَاةِ وَلَـيْسَ ذَا بُرْهَـانِ

النقل إمَّا آحادٌ وإما متواتِر، نقلُ الآحاد موقوفٌ على صدق الرواة، وليس ذا برهان، وصدق الرواة ليس متيقَّنًا؛ إذ كُلُّ أحدٍ يمكنُ أن يكذبَ، كُلُّ أحدٍ يمكنُ أن ينسى، كُلُّ أحدٍ يمكنُ أن يتوهمَ؛ ولهذا قال:

٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْـدَحُ دَائِـمًا ... وَالْقَـدْحُ فِـيهِمْ فَهْـوَ ذُو إِمْكَـانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا» فإذا طالعنا كُتبَ الرجال وجدنا أنَّ الرُّواةَ يُقَالُ فيهم: هذا ضعيفُ الحفظِ، هذا سيِّئُ الحفظ، هذا فيه بدعةٌ، هذا فيه كذا، فيقدحُ بعضُهم بعضًا.

قَوْلُهُ: «وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهْوَ ذُو إِمْكَانِ» يعني أنَّ القدحَ في الرواة ليس ممتنِعًا عقلًا، بل هو ممكنٌ.

٢٤٩٤- وَتَـوَاتُرٌ وَهْـوَ الْقَلِيـلُ وَنَـادِرٌ ... جِـدًّا فَـأَيْنَ الْقَطْـعُ بِالْبُرْهَـانِ؟

قَوْلُهُ: «وتواترٌ وَهْوَ القليلُ» يعني: النقلُ آحاد، و(تواتر) معطوفة على (آحاد) يعني: والنقلُ أيضًا تواترٌ.

قَوْلُهُ: «وَهْوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟» فهنا عابوا النصوصَ أيضًا مِن وجهٍ آخر، وهو السَّندُ، قالوا: إنها تأتي عن طريقِ الآحاد، وطريقُ الآحاد

غيرُ مقطوعٍ بصدقه؛ لأنَّ الرواةَ يحصل فيهم الوهمُ والنسيانُ والكَذِبُ، وما أشبه ذلك.

أيضًا العلةُ الثالثةُ من نوعٍ ثالثٍ، قال:

٢٤٩٥- هَـذَا وَيَحْتَـاجُ السَّـلَامَةَ بَعْـدُ مِـنْ ... ذَاكَ المُعَارِضِ صَـاحِبِ السُّـلْطَانِ

٢٤٩٦- وَهْوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْـرَفُ صِـدْقُهُ ... وَالنَّفْـيُ مَظْنُـونٌ لَـدَى الإِنْسَـانِ

٢٤٩٧- فَلِأَجْـلِ هَـذَا قَـدْ عَزَلْنَاهَـا وَوَلْـ ... لَيْنَـا الْعُقُـولَ وَمَنْطِـقَ الْيُونَـانِ

قَوْلُهُ: «يُعْرَفُ» في نسخة (يُفْرَضُ) وفي نسخة ثالثة (يَعْرِضُ) وأقربُها -والله أعلم-: (يُعْرَفُ).

يوجدُ أيضًا النوعُ الثالثُ، فيقول: هذه النقولُ تحتاجُ إلى أن تكونَ سالمةً من المعارِضِ الذي له السُّلطةُ، وهو العقلُ؛ لأنَّهم يَرَوْنَ أنَّ العقلَ مُقَدَّمٌ على النقلِ، فإذا عارضها العقلُ وجبَ الرجوعُ إليه.

ولكن سيأتي ردُّ المؤلف -رحمه الله- على هذه الشُّبَه على وجه التفصيل.

* * *

٢٤٩٨- فَـانْظُرْ إِلَى الإِسْـلَامِ كَيْـفَ بَقَـاؤُهُ ... مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْـبُطْلَانِ؟

٢٤٩٩- وَانْظُـرْ إِلَى الْقُـرْآنِ مَعْـزُولًا لَدَيْـ ... ـهِمْ عَـنْ نُفُـوذِ وِلَايَـةِ الإِيقَـانِ

٢٥٠٠- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْـ ... ـزُولًا لَـدَيْهِمْ لَـيْسَ ذَا سُـلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللهِ مَـا عَزَلُـوهُ تَعْظِـيمًا لَـهُ ... أَيَظُـنُّ ذَلِـكَ قَـطُّ ذُو عِرْفَـانِ؟!

٢٥٠٢- يَـا لَيْـتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُـونَ بِعَزْلِـهِ ... لَـمْ يَرْفَعُـوا رَايَـاتِ جَنْكِزْخَـانِ

٢٥٠٣- يَا وَيْلَهُمْ وَلَّوْا نَتَائِجَ فِكْرِهِمْ ... وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ

٢٥٠٤- وَرُذَالُهُمْ وَلَّوْا إِشَارَاتِ ابْنِ سِيـ ... ـنَا حِينَ وَلَّوْا مَنْطِقَ الْيُونَانِ

٢٥٠٥- وَانْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا ... وَسْطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللُّحْمَانِ

٢٥٠٦- بِالطَّعْنِ بِالإِجْمَالِ وَالإِضْمَارِ وَالتْـ ... ـتَخْصِيصِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ

٢٥٠٧- وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا ... شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ

٢٥٠٨- وَانْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ ... بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانِ

٢٥٠٩- وَانْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ ... فِي العِلْمِ بِالأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

٢٥١٠- لَكِنَّمَا المَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا ... أَحْكَامُهُ لا يَسْتَوِي الحُكْمَانِ

٢٥١١- يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ ... بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الأَجْفَانِ

٢٥١٢- عَهِدُوهُ قِدْمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ ... وَسِوَاهُ مَعْزُولٌ عَنِ السُّلْطَانِ

٢٥١٣- إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُو ... لِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ

٢٥١٤- فَأَتَاهُمُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ ... فِي حُكْمِ جَنْكِزْخَانِ ذِي الطُّغْيَانِ

٢٥١٥- بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنَ الْـ ... مَنْغُولِ ثُمَّ اللاصِ وَالْعَلَّانِ

٢٥١٦- فَعَلُوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا ... فَعَلُوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ

٢٥١٧- وَاللهِ مَا انْقَادُوا لِجِنْكِزْخَانِ حَتْـ ... ـتَى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

٢٥١٨- وَاللهِ مَا وَلَّوْهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْ ... لِ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ وَهْوَ الْيَقِيـ ـنُ الـمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ

٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتْـ ـتَى تَمَّمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ

٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضَهُوهُ أَنْـ ـوَاعًا مُعَدَّدَةً مِنَ النُّقْصَانِ

٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءُ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَنِ

٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلْقٌ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَا أَوْ جِبْرَئِيلَ أَوِ الرَّسُولِ الثَّانِي

٢٥٢٤- مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لَيْسَ الْكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْرَانِ

٢٥٢٥- تَبًّا لَهُمْ سَلَبُوهُ أَكْمَلَ وَصْفِهِ عَضَهُوهُ عَضْهَ الرَّيْبِ وَالْكُفْرَانِ

٢٥٢٦- هَلْ يَسْتَوِي -بِالله- نِسْبَتُهُ إِلَى بَشَرٍ وَنِسْبَتُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ؟

٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِهِ؟ اللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا بَيْنَ الإِلَهِ وَهَذِهِ الأَكْوَانِ

الشـرحُ

تقدَّم أنَّ أهلَ التعطيل والإلحاد عزلوا القرآنَ عن إفادة العلم واليقين، وجعلوا الذي يفيدُ العلمَ واليقينَ هو العقل، وتعلَّلوا بتعاليلَ كُلُّها عليلةٌ، وكُلُّها إن صدقوا في دعواها، فإنما لُبِّسَت عليهم؛ لأنَّ قلوبَهم مغمورةٌ بمعاصيهم وسوء قصودِهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:١٥] وكما قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

فالذي لا يعرفُ للقرآنِ حُرْمَتَه ولا للسُّنَّةِ حرمَتَها فالبلاءُ في قلبه.

يقول -رحمه الله-:

٢٤٩٨- فَـانْظُرْ إِلَى الإِسْـلَامِ كَيْـفَ بَقَـاؤُهُ   مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْـبُطْلَانِ؟

وصدق، كيف يبقى الإسلامُ ونحن نقولُ: إنَّ الأصلَيْن العظيمَيْن اللذَيْن ترتكز عليهما أحكامُه لا يُفيدان العِلمَ واليقينَ، بل لا يفيدان شيئًا على زعمهم؟! إذا قالوا: إنها تَحتملُ كذا وتحتملُ كذا، وهي مُجْمَلَةٌ وتحتاجُ إلى بيانٍ وما أشبَهَ ذلك، معناه أنَّ الدلالةَ رُفِعَتْ فيهما إطلاقًا، فأين يبقى الإسلامُ؟ الجواب: لا يبقى شيءٌ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

٢٤٩٩- وَانْظُـرْ إِلَى الْقُـرْآنِ مَعْـزُولًا لَدَيْـ   ـهِمْ عَـنْ نُفُـوذِ وِلَايَـةِ الإِيقَـانِ

فهو -عندهم- معزولٌ عن اليقين، لا يمكنُ أن يدلَّ على اليقين أبدًا.

٢٥٠٠- وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْـ   ـزُولًا لَـدَيْهِمْ لَـيْسَ ذَا سُـلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللهِ مَـا عَزَلُـوهُ تَعْظِـيمًا لَـهُ   أَيَظُـنُّ ذَلِـكَ قَـطُّ ذُو عِرْفَـانِ؟!

ما عزلوا القرآنَ والسُّنَّةَ تعظيمًا لهما عن دلالة اليقين، ولكن استهانةً بهما؛ لأنهم لو عظَّموا القرآنَ والسُّنَّةَ حقَّ التعظيم؛ لأخذوا بما دلَّا عليه، وعَلِمُوا أنَّ فيهما من اليقين والعلوم ما ليس في عقولهم.

٢٥٠٢- يَـا لَيْـتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُـونَ بِعَزْلِـهِ   لَـمْ يَرْفَعُـوا رَايَـاتِ جَنْكِزْخَـانِ

يعني أنهم جمعوا -والعياذ بالله- بين التفريط والتنقيص للكتاب والسُّنَّة وبين رفعِ راية الكفر والطغيان، فصاروا ينادون بما قاله جنكيز خان وغيرُه من أئمة الملاحدة، ويَدَعُونَ ما جاء به الكتابُ والسُّنَّة.

٢٥٠٣- يَا وَيْلَهُمْ وَلَّوْا نِتَائِجَ فِكْرِهِمْ وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ

يعني: أنَّهم رجعوا إلى الأفكار وتركوا القرآنَ وجعلوها هي الحاكمة عليه.

٢٥٠٤- وَرُذَالُهُمْ وَلَّوْا إِشَارَاتِ ابْنِ سِيـ ـنَا حِينَ وَلَّوْا مَنْطِقَ الْيُونَانِ

الأراذلُ منهم صاروا مقلِّدين لابن سينا في إشاراته وتابعين للمنطق اليونانيِّ، وإنما نسبه إلى اليونان؛ لأنَّ هذا البلاءَ الذي أصاب الأُمَّةَ الإسلاميةَ إنما جاء حين عُرِّبَت الكتبُ اليونانية والرومانيَّةُ كما قال ذلك شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ -رحمه الله-.

٢٥٠٥- وَانْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا وَسْطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللُّحْمَانِ

قَوْلُهُ: «مجدَّلًا» في نسخة: «مجندلًا» بالنون، وكلاهما لغةٌ، فيصحُّ.

يعني أنَّ القرآنَ مُجَدَّلٌ كما تُجدَّلُ المَيْتاتُ عند عَرين الأسد ممزَّقة اللُّحْمان، أي أنهم لم يرفعوا به رأسًا، ولم يبالوا به، ولم يرجعوا إليه.

٢٥٠٦- بِالطَّعْنِ بِالإِجْمَالِ وَالإِضْمَارِ وَالتْـ ـتَخْصِيصِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ

٢٥٠٧- وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ

كُلُّ هذه عيوبٌ في الكلام يرمون بها القرآنَ والسُّنَّةَ، مرةً يقولُ: مُجْمَلٌ، ومرةً يقولُ: يحتاجُ إلى إضمار، ومرةً يقولُ: هذا خاصٌّ أو عامٌّ مخصوصٌ، مرةً يقولُ بالتأويل، وليس بتأويل حَقٍّ، بل هو تأويلُ بهتانٍ وكذبٍ، ومرةً يقول: هذا مشتَرَكٌ يَحتملُ معنيين، ومرةً يقولُ: هذا مجازٌ لا يُرادُ به الحقيقة، وهكذا.

٢٥٠٨- وَانْظُـرْ إِلَيْـهِ لَـيْسَ يَنْفُـذُ حُكْمُـهُ   بَيْنَ الْـخُصُومِ وَمَـا لَـهُ مِـنْ شَـانِ

قَوْلُهُ: «وانظُرْ إليه» يعني: إلى القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ بين الخُصُومِ»؛ لأنَّ الحكمَ عندهم للعقل، فالقرآنُ ليس بحاكمٍ، بل معزولٌ عن الحكم.

٢٥٠٩- وَانْظُـرْ إِلَيْـهِ لَـيْسَ يُقْبَـلُ قَوْلُـهُ   فِي العِلْـمِ بِالأَوْصَـافِ لِلـرَّحْمَنِ

يعني: لا يُقْبَلُ ما جاء به القرآنُ من أوصاف الله عزَّ وجلَّ.

٢٥١٠- لَكِنَّـمَا الـمَقْبُولُ حُكْـمُ الْعَقْـلِ لَا   أَحْكَامُـهُ لا يَسْـتَوِي الـحُكْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا المَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا أَحْكَامُه» يعني: لا أحكام القرآن.

قَوْلُهُ: «لا يَسْتَوِي الحُكْمَانِ» وفي نسخة: «الحَكَمان» وكلاهما صحيحٌ؛ لأنَّ الحَكَمَ حَاكمٌ، وإذا كان حَكَمان صار الحُكْمُ حُكْمَيْن.

٢٥١١- يَبْكِـي عَلَيْـهِ أَهْلُـهُ وَجُنُـودُهُ   بِـدِمَائِهِمْ وَمَـدَامِعِ الأَجْفَـانِ

قَوْلُهُ: «يَبكِي عليه» يعني: على القرآنِ أو الإسلامِ الذي مصدرُه القرآنُ.

٢٥١٢- عَهِـدُوهُ قِـدْمًا لَـيْسَ يَحْكُـمُ غَـيْرُهُ   وَسِـوَاهُ مَعْـزُولٌ عَـنِ السُّـلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عهِدُوه» الضميرُ يعودُ على القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَحْكُمُ غيرُه» وكان هذا في زمن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ لأنَّ الكتبَ الروميَّةَ واليونانيَّةَ إنما عُرِّبَت بعد انقضاء تابعي التابعين، وكان الناسُ في الزمن الأول على النهج المستقيم لا يرجعون إلَّا إلى القرآن والسُّنَّة.

٢٥١٣- إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُو   لِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ

قَوْلُهُ: «إِنْ غابَ» يعني القرآنَ.

قَوْلُهُ: «نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ» يعني: إذا لم يجدوا في كتاب الله رجعوا إلى سُنَّةِ رسولِ الله -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥١٤- فَأَتَاهُمُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ   فِي حُكْمِ جَنْكِزْخَانِ ذِي الطُّغْيَانِ

أتاهم ما لم يكن في ظنِّهم وحُسْبَانهم مع جنود جنكيز خان وأحكامِه.

٢٥١٥- بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنَ الْـ   مَنْغُولِ ثُمَّ اللاصِ وَالْعَلَّانِ

المنغولُ هم المغولُ الذين خرجوا على الأمة الإسلامية، وهم التَّتَر، وحصل منهم شرٌّ عظيمٌ، تحدَّث عنه ابنُ الأثير -رحمه الله- في كتابه: **(الكامل فِي علم التاريخ)** ويُسَمَّى **(النهاية)** وذكر أشياءَ مُوجِعةً جدًّا.

٢٥١٦- فَعَلُوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا   فَعَلُوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ

يعني أنَّ هؤلاء الطوائف الثلاث: المنغول، واللاص، والعلان، فعلوا بملة الرسول ﷺ وسنَّته كما فعلوا بأُمَّته من العُدوان.

٢٥١٧- وَالله مَا انْقَادُوا لِجِنْكِزْخَانِ حَتْـ   ـتَى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وصدق -رحمه الله تعالى-، فما انقاد هؤلاء لمتابعة جنكيز خان إِلَّا بعد أن أعرضوا عن القرآن؛ وذلك لأنَّ قلوبَهم لو كانت مشغولةً بالقرآن ما انشغلتْ بغيرِه، لكن إذا كان القلبُ فارغًا -والعياذ بالله- صارت الأهواءُ تتقاذفُه حتى يضلَّ.

٢٥١٨- وَاللهِ مَـا وَلَّـوْهُ إِلَّا بَعْـدَ عَـزْ ... لِ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

يعني: ما جعلوا الولايةَ له والاتِّباعَ له إلَّا بعد عزل الوحي عن علمٍ وعن إيقان.

٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ وَهْوَ الْيَقِيـ ... ـنُ الْمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «**عَزَلُوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ**» أي: عزلوا الوحي.

٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتْـ ... ـتَى تَمَّمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ

يعني: أنَّهم نَفَوْا أن يكونَ القرآنُ حَكَمًا في باب الصفات، وجعلوا الحَكَم هو العقل، وعلَّلوا ذلك بأنَّ النصوصَ لا يُستفاد منها اليقينُ -كما سبق- لثلاثة احتمالات؛ لأنَّ الدلالةَ تختلف، ولأنَّ الإسنادَ قد يكون ضعيفًا، ولأنه قد يُعَارَض بالعقل.

هنا يقولُ: إنَّهم تمَّموا الكفرانَ بالبهتان.

٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضَهُوهُ أَنْـ ... ـوَاعًا مُعَدَّدَةً مِنَ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «**جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضَهُوهُ**» يعني: جعلوه أعضاءً.

٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءُ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا ... لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَنِ

٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلْقٌ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَا ... أَوْ جِبْرَئِيلَ أَوِ الرَّسُولِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «**منها**»: أي: من هذه الأنواع.

إذا قالوا: إنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، إنما هو مأخوذٌ من اللوح المحفوظ، أو إنَّ جبريلَ تكلَّم به، أو إنَّ محمدًا تكلَّم به فهذا بلا شكٍّ تنقُّصٌ للقرآن، وجهُهُ:

ذكره المؤلفُ بقوله:

٢٥٢٤- مَـا قَالَـهُ رَبُّ السَّـمَوَاتِ الْعُـلَى ... لَيْسَ الْكَلامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْـرَانِ

٢٥٢٥- تَبًّـا لَـهُمْ سَـلَبُوهُ أَكْمَـلَ وَصْـفِهِ ... عَضَهُوهُ عَضْهَ الرَّيْـبِ وَالْكُفْـرَانِ

٢٥٢٦- هَـلْ يَسْـتَوِي -بِـالله- نِسْـبَتُهُ إِلَى ... بَشَـــرٍ وَنِسْـــبَتُهُ إِلَى الـــرَّحْمَنِ؟

الجَوَابُ: لا، إذا قالوا: القرآنُ كلامُ جبريل، القرآنُ كلامُ الرسولِ الثاني وهو محمد -عليه الصلاة والسلام-، القرآنُ أُخِذَ من اللوح المحفوظ وليس كلامَ الله، لا شكَّ أَنَّ هذا تنقُّصٌ له، فلا يستوي كلامُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ وكلامُ الخلق مهما كانوا.

لـمَّا بَيَّن المؤلف -رحمه الله- أنَّ الذين ينسُبون القرآنَ إلى كلام البشر أو الملَك أنَّ هذا تنقُّصٌ للقرآن؛ لأنه لا يستوي أن يُنْسَبَ القرآنُ لله، وأن يُنْسَب للبشر، فإنَّه إذا نُسِبَ للبشر -وهو من الله- فهذا تنقُّصٌ لله، لـمَّا بَيَّن ذلك قال:

٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَـيْنُ صِـفَاتِهِ؟ ... اللهُ أَكْـــبَرُ لَـــيْسَ يَسْـــتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِهِ؟» يعني: كيف ينالُ المخلوقُ عينَ صفة الخالق، وهو هنا كلامُه.

وَقَوْلُهُ: «عَيْن صِفاته» وفي نسخة: «عِزّ صِفَاته» أي: عزُّ صفاتِ الله وعظمةُ صفاتِ الله لا يمكنُ أن تكون لكلام المخلوق.

قَوْلُهُ: «اللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ»؛ ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى- لِلَّذِي قال: إنه قولُ البشر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر:٢٨] نعوذُ بالله.

٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا بَيْنَ الإِلَهِ وَهَذِهِ الأَكْوَانِ

يعني: بينَ صفاتِ البشر وصفات الخالق كما بينَ الخالقِ والمخلوق؛ ولهذا كان من القواعد المقرَّرةِ عند أهل السُّنَّة أنَّ الصفات يُحذَى بها حذو الذات، يعني أنَّ صفاتِ الخالقِ تليقُ به وتختصُّ به، وصفات المخلوقِ تليقُ به وتختصُّ به.

خلاصةُ هذا البحثِ كُلِّه: أَنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله تعالى- بيَّنَ أنَّ هؤلاء عزلوا دلالةَ الكتاب والسُّنَّة عن اليقين، وقالوا: اليقينُ ما دلَّ عليه العقلُ، هذه واحدة.

أيضًا نفَوْا أن يكونَ القرآنُ كلامَ الله، وقالوا: إنما أخذه جبريلُ من اللوح المحفوظ، أو إنَّ جبريل تكلَّم به تعبيرًا عن كلامِ الله، أو إنَّ محمدًا تكلَّم به؛ لأنَّ اللهَ يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠] وهو جبريل، ويقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤٠-٤١] فالرسول الكريم هنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-.

* * *

٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَهُوهُ أَنَّ نُصُوصَهُ مَعْزُولَةٌ عَنْ إِمْرَةِ الإِيقَانِ

٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بِبَيَانِ

٢٥٣١- لَكِنْ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوِزَانِ

٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أُوِّلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوِ النُّقْصَانِ

٢٥٣٣- أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْـ ـبِيهٍ وَأَنْوَاعِ المَجَازِ الثَّانِي

٢٥٣٤- فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مَنْـ ـفِيٌّ كَذَلِكَ فَانْتَفَى الأَمْرَانِ

٢٥٣٥- فَلِمَ الْمَلامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلْـ لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الأَذْهَانِ؟!

٢٥٣٦- فَاللهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الآثَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٥٣٧- مَاتَتْ لَدَى الأَقْوَامِ لا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلا تُحْيِيهُمُ لِهَوَانِ

الشرحُ

٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَهُوهُ أَنَّ نُصُوصَهُ مَعْزُولَةٌ عَنْ إِمْرَةِ الإِيقَانِ

كُلُّ هذا في الحقيقة كرَّره المؤلفُ لأهميته، أي: أنَّها لا تدلُّ على اليقين.

٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بِبَيَانِ

يعني: هي دلالتُها ظنيَّةٌ، ومع ذلك ليتها تكونُ مطابقةً.

٢٥٣١- لَكِنْ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوِزَانِ

فمثلًا يقولون: قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] ظاهرُه أنَّ اللهَ هو الذي يجيءُ، وهذا ليس بمرادٍ، بل المرادُ (**جاء أمرُ ربِّك**) هذا هو الحقيقة.

٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أُوِّلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوِ النُّقْصَانِ

٢٥٣٣- أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْـ ـبِيهٍ وَأَنْوَاعِ المَجَازِ الثَّانِي

هنا ذكر المؤلفُ -رحمه الله- أنواعَ المجاز.

قَوْلُهُ: «**فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوِ النُّقْصَانِ**» أي: أنَّ المجازَ يكونُ بالزيادة أحيانًا، ويكونُ بالنقص أحيانًا.

فقولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] -على زعمهم- فيه مجازٌ بالنقص، وقولُه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] فيه مجازٌ بالزيادة، وهي **الكاف**، قالوا: والتقدير: (**ليس مثلَه**).

قَوْلُهُ: «**أو بالكِنَايَةِ**» يعني: كنايةً عن كذا، فـ(**اليدُ**) عندهم كنايةٌ عن القدرة أو النعمة.

قَوْلُهُ: «**أوِ اسْتِعَارَات**» وهذا أيضًا نوعٌ من أنواع المجاز، والاستعارةُ أن يُجْعَلَ المُشَبَّهُ عينَ المُشَبَّهِ به، فتقولُ مثلًا: (**رأيتُ بحرًا لا تنقضي نقودُه**) يعني كريمًا، هذا يسمُّونه استعارة.

قَوْلُهُ: «**أوِ التَّشْبِيه**» يعني: وليس على سبيل الحقيقة.

قَوْلُهُ: «**وأنواع المَجَازِ الثَّانِي**» هل هناك مجازٌ أوَّلٌ وثانٍ؟

الجواب: لا، لكن المجاز هو الثاني بالنسبة للحقيقة، فـ (**الثاني**) في قوله: (**المجاز الثاني**) صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ المجازَ في المرتبة الثانية في الدلالة.

٢٥٣٤- فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مَنْـ ـفِيٌّ كَذَلِكَ فَانْتَفَى الأَمْرَانِ

إِذَنْ القطعُ ليس يفيدُه، والظنُّ ليس يفيدُه أيضًا، فإذا كانت الدلالةُ الآن ليست قطعيَّةً ولا ظنِّيَّةً لم تَثْبُتْ إطلاقًا، وليس فيه دلالةٌ على أيِّ شيء.

٢٥٣٥- فَلِمَ الْمَلامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلْـ ـلَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الأَذْهَانِ؟!

يعني: إذا كانت لا تدلُّ على شيءٍ فلماذا تلوموننا إذا قلنا: إذا كانت النصوصُ لا تدلُّ على شيءٍ، فالواجبُ الرجوعُ إلى العقل؟!

٢٥٣٦- فَاللهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَـا أُمَّـةَ الآثَـارِ وَالْقُـرْآنِ

٢٥٣٧- مَاتَـتْ لَـدَى الأَقْـوَامِ لا يُحْيُونَهَـا أَبَـدًا وَلا تُحْيِـيهُمُ لِـهَوَانِ

يُعَزِّي أُمَّةَ القرآن والآثار، ويقولُ لها: اللهُ يُعْظِمُ أجرَكم؛ لأنَّ النصوصَ ماتت؛ لأنه إذا كان لا يُسْتَدَلُّ بها على شيءٍ وهي لا تدلُّ على شيءٍ في نفس الواقع فهذا موتُها.

قَوْلُهُ: «لا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلا تُحْيِيهُمُ لِـهَوَانِ» هم لا يحيونها ولا يرفعونها، وهي أيضًا لا تُحييهم، بل تُهينُهم؛ لأنَّ مَن لم يرفعْ رأسًا بالقرآن لم يرفعْه اللهُ.

***

٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُـهُمْ خِلَافُ الْـحِسِّ وَالْـ ـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ وَالبُرْهَـانِ

٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلافَ الْفِطْرَةِ الْـ أُولَى وَسُـنَّةِ رَبِّنَـا الـرَّحْمَنِ

٢٥٤٠- فَـاللهُ قَـدْ فَطَـرَ الْعِبَـادَ عَـلَى التَّفَـا هُم بِالـخِطَابِ لِـمَقْصَدِ التِّبْيَـانِ

٢٥٤١- كُـلٌّ يَـدُلُّ عَـلَى الَّـذِي فِي نَفْسِـهِ بِكَلامِـهِ مِـنْ أَهْـلِ كُـلِّ لِسَـانِ

٢٥٤٢- فَتَرَى الـمُخَاطَبَ قَاطِعًـا بِمُـرَادِهِ هَـذَا مَـعَ التَّقْصِـيرِ فِي الإِنْسَـانِ

٢٥٤٣- إِذْ كُـلُّ لَفْـظٍ غَـيْرِ لَفْـظِ نَبِيِّنَـا هُـوَ دُونَـهُ فِي ذَا بِـلَا نُكْـرَانِ

٢٥٤٤- حَاشَـا كَـلامَ اللهِ فَهْـوَ الْغَايَـةُ الْـ ـقُصْوَى لَـهُ أَعْـلَى ذُرَى التِّبْيَـانِ

٢٥٤٥- لَـمْ يَفْهَمِ الـثَّقَلَانِ مِـنْ لَفْـظٍ كَـمَا فَهِمُـوا مِـنَ الأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

٢٥٤٦- فَهْوَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى التِّبْيَانِ كَاسْـ ـتِيلائِهِ حَقًّـا عَـلَى الإِحْسَـانِ

٢٥٤٧- مَـا بَعْـدَ تِبْيَـانِ الرَّسُـولِ لِنَـاظِرٍ إلا الْعَمَـى وَالْعَيْـبُ فِي الْعُمْيَـانِ
٢٥٤٨- فَـانْظُرْ إِلَى قَـوْلِ الرَّسُـولِ لِسَـائِلٍ مِـنْ صَـحْبِهِ عَـنْ رُؤْيَـةِ الـرَّحْمَنِ:
٢٥٤٩- حَقًّـا تَـرَوْنَ إِلَـهَكُمْ يَـوْمَ اللِّقَـا رُؤْيَـا الْعِيَـانِ كَـمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ
٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْـلَ تَـمَامِهِ وَالشَّـمْسِ فِي نَحْـرِ الظَّهِـيرَةِ مَـا هُمَـا مِـثْلانِ
٢٥٥١- بَـلْ قَصْـدُهُ تَحْقِيـقُ رُؤْيَتِنَـا لَـهُ فَـأَتَى بِـأَظْهَرِ مَـا يُـرَى بِعِيَـانِ
٢٥٥٢- وَنَفَـى السَّـحَابَ وَذَاكَ أَمْـرٌ مَـانِعٌ مِـنْ رُؤْيَـةِ الْقَمَـرَيْنِ فِي ذَا الآنِ
٢٥٥٣- فَأَتَى إِذَنْ بِالْمُقْتَضِي وَنَفَى الْمَوَا نِـعَ خَشْـيَةَ التَّقْصِـيرِ فِي التِّبْيَـانِ
٢٥٥٤- صَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ، مَـا هَـذَا الَّـذِي يَـأْتِي بِـهِ مِـنْ بَعْـدِ ذَا بِبَـيَانِ؟
٢٥٥٥- مَـاذَا يَقُـولُ الْقَاصِـدُ التِّبْيَـانِ يَـا أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ؟
٢٥٥٦- فَبِـأَيِّ لَفْـظٍ جَـاءَكُمْ قُلْـتُمْ لَـهُ: ذَا اللَّفْـظُ مَعْـزُولٌ عَـنِ الإِيقَـانِ
٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمُ فِي وَجْهِهِ بِعَسَـاكِرِ التْـ تَأْوِيـلِ دَفْعًـا مِـنْكُمُ بِلِيَـانِ
٢٥٥٨- لَـوْ أَنَّكُـمْ وَاللهِ عَـامَلْتُمْ بِـذَا أَهْـلَ الْعُلُـومِ وَكُتْـبَهُمْ بِـوِزَانِ
٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَـا وَغَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَـوَانِ
٢٥٦٠- هَـذَا وَلَيْسُـوا فِي بَيَـانِ عُلُـومِهِمْ مِثْلَ الرَّسُـولِ وَمُنْـزِلِ الْقُـرْآنِ

الشـرحُ

٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحِسِّ وَالْـ ـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ وَالبُرْهَـانِ

٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلافَ الْفِطْرَةِ الْـ ... أُولَى وَسُنَّةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُهُم» يعني أنَّ أدلةَ الكتابِ والسُّنَّةِ ظنِّيَّةٌ، وهي أيضًا ظواهرُ لا تفيدُ اليقينَ، يقولُ: إنَّ قولَهم هذا خلافُ العقلِ، والنقلِ، والفِطرةِ.

٢٥٤٠- فَاللهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَا ... هُمِ بِالخِطَابِ لِمَقْصَدِ التِّبْيَانِ

الناس مفطورون على التفاهم ليُعبِّروا عمَّا في نفوسهم بطريق التفاهم، أي: بالخطاب.

٢٥٤١- كُلٌّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ ... بِكَلامِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانِ

فأنت لا تعلمُ ما في نفسي إلَّا بما أُعَبِّرُ به، وأنا لا أعلمُ ما في نفسِك إلَّا بما تُعَبِّرُ به، فالمُعَبِّرُ يريدُ أن يَدُلَّ الناسَ على ما في قلبه.

٢٥٤٢- فَتَرَى الـمُخَاطَبَ قَاطِعًا بِمُرَادِهِ ... هَذَا مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الإِنْسَانِ

المخاطَبُ (المتكلِّم) حينما يتكلَّمُ فهو قاطعٌ بمراده، يعني: يعلمُ ما أراد ويقطعُ به، وليس عنده شكٌّ في ذلك.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ: فترى المخاطَبَ قاطعًا بمراد المتكلِّم، هذا مع التقصير في الإنسان.

والمعنيان كلاهما صحيحٌ: فالمتكلِّمُ يقطعُ بمراده، ويريدُ المعنى الذي يقوله إذا كان عاقلًا، والمخاطَبُ كذلك يقطعُ -أحيانًا- بمراد المتكلِّم، مع أنَّ الإنسانَ قاصرٌ في الفهم، هذا إذا قلنا: (**المخاطَب**)، وإذا قلنا: (**المخاطِب**) فالمتكلِّمُ قاصرٌ في التعبير، قد لا يستطيعُ أن يُعَبِّرَ عمَّا في نفسه، والمخاطَبُ قاصرٌ في الفهم، قد لا يستطيعُ فهمَ كلام المتكلِّم، ومع ذلك يقطعُ المخاطِبُ والمخاطَبُ بمراد المتكلِّم.

٢٥٤٣- إِذْ كُـلُّ لَفْـظٍ غَـيْرِ لَفْـظِ نَبِيِّنَـا هُـوَ دُونَـهُ فِي ذَا بِـلَا نُكْـرَانِ

وصدق -رحمه الله-، فجميعُ كلامِ الوَرَى دون كلامِ رسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أفصحُ الخلقِ بلا منازعٍ، ثُمَّ استثنى فقال:

٢٥٤٤- حَاشَـا كَـلامَ الله فَهْـوَ الْغَايَـةُ الْـ ـقُصْوَى لَـهُ أَعْـلَى ذُرَى التِّبْيَـانِ

صدق، يعني: إلَّا كلامَ الله، فإنه أَبْيَنُ من كلام الرسول ﷺ؛ لأنَّ كلامَ الله أَبْيَنُ الكلام، وأفصحُ الكلام، وأوضحُ الكلام، لكنَّ أفهامَنا قاصرةٌ ضعيفةٌ، لا نفهمُ هذا الكلامَ العظيمَ حَقَّ الفهم؛ ولذلك قد يظنُّ بعضُ الناس أنَّ كلامَ الله عزَّ وجلَّ ليس أَبْيَنَ الكلام.

وهذا لاشكَّ أنه قد يكونُ صادقًا، وذلك من قصوره أو تقصيره، أمَّا حقيقةُ الأمر فوالله إنَّ كلامَ الله أَبْيَنُ الكلام، بل إنَّ اللهَ تعالى قال في كتابه مُخْبِرًا مُلْتَزِمًا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] أي: فادَّكروا؛ فإنَّ القرآنَ مُيَسَّرٌ، لكن مع الأسف فإنَّنا -ولا سيما في هذا العصر- إنما يتلو القرآنَ أكثرُنا للتبرُّكِ به، ونيلِ الثواب بقراءته، لا للتدبُّر، وتَفَهُّم المعنى؛ ولذلك حُجِبَ عنَّا معناه العظيمُ، وصار صعبًا علينا.

٢٥٤٥- لَـمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِـنْ لَفْـظٍ كَمَا فَهِمُـوا مِـنَ الأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

وهذا صحيحٌ، يعني: لم يفهم الثقلان: (الجنُّ والإنس) كما فهِموا من القرآنِ والأخبارِ، وذلك فيمَنْ فَهْمُه صحيحٌ، ولغتُه صحيحةٌ، أمَّا العامِّيُّ فإنه يأتيه عامِّيٌّ متعجرِفٌ ويفهمُ من كلامه أكثرَ ممَّا يفهمُ من كلامِ الله ورسولِهِ؛ لأنه عامِّيٌّ لا يعرفُ، لكن مراده بالناس: الذين أعطاهم الله تعالى صحةَ الفهم ومعرفةَ اللغة.

٢٥٤٦- فَهْوَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى التِّبْيَانِ كَاسْـ ـتِيلائِهِ حَقًّا عَلَى الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «اسْتَوْلَى عَلَى التِّبْيَانِ» أي: التوضيح.

قَوْلُهُ: «كَاسْتِيلائِهِ حَقًّا عَلَى الإِحْسَانِ» أي: الفصاحة والكمال، فالقرآنُ كاملٌ في تِبيانه، وفي فصاحتِهِ وبلاغتِهِ.

٢٥٤٧- مَا بَعْدَ تِبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاظِرٍ إلا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمْيَانِ

وهذا صحيحُ، فهل بعد بيان الرسول بيانٌ؟ الجواب: أبدًا، لكن الأعمى لا يُحِسُّ به.

قَوْلُهُ: «وَالْعَيْبُ فِي الْعُمْيَانِ» يعني: عميان البصائر، لا عميان البصر.

٢٥٤٨- فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ:

٢٥٤٩- حَقًّا تَرَوْنَ إِلَـهَكُمْ يَوْمَ اللِّقَا رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

قَوْلُهُ: «انظُر» يعني: انظر أيُّها الإنسانُ نظرَ تأمُّلٍ.

انظر إلى قول الرسول لمن؟ قال: **(لسائلٍ من صَحْبِه)** يعني: من الصحابة.

قَوْلُهُ: «عَنْ رُؤْيَة» متعلِّق بسائل.

رَجُلٌ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله: هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»[1]، وهل هناك شيءٌ أبينُ من هذا؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَـمَامِهِ وَالشَّـمْسِ فِي ... نَحْـرِ الظَّهِـيرَةِ مَـا هُمَـا مِـثْلانِ

قَوْلُهُ: «وَالشَّمْسِ» يعني: وكالشَّمسِ.

قَوْلُهُ: «فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلانِ»؟ قوله: «ما هما»، أي: المرئيَّان، يعني: إنَّكم سَتَرَوْنَ رَبَّكم كالقمرِ والشَّمسِ، لا على أنَّ اللهَ مثلُ الشَّمس أو مثلُ القمر؛ ولذا قال:

٢٥٥١- بَـلْ قَصْـدُهُ تَحْقِيـقُ رُؤْيَتِنَـا لَـهُ ... فَـأَتَى بِـأَظْهَرِ مَـا يُـرَى بِعِيَـانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَتِنَا لَهُ» أي: قصدُ النَّبِيِّ ﷺ حين قال: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ»، تحقيقُ الرؤية؛ ولهذا دخلت الكاف على المصدر المؤوَّل من الفعل: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ» أي: كرؤيتكم، ولم تدخل على المُشَبَّه به، يعني: لم يقل: إنكم ترون ربَّكم كالقمر، بل قال: «كَمَا تَرَوْنَ»، فالتشبيهُ إِذَنْ للرؤيةِ بالرؤيةِ، لا للمرئِيِّ بالمرئيِّ.

٢٥٥٢- وَنَفَـى السَّـحَابَ وَذَاكَ أَمْـرٌ مَـانِعٌ ... مِـنْ رُؤْيَـةِ الْقَمَـرَيْنِ فِي ذَا الآنِ

قَوْلُهُ: «نَفَى السَّحَابَ» أي: في قوله: «صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ».

قَوْلُهُ: «فِي ذَا الآن» أي في حال وجود السَّحاب، فإنَّ السَّحابَ يمنعُ من رؤية الشَّمس ومن رؤية القمر.

٢٥٥٣- فَأَتَى إِذَنْ بِالـمُقْتَضِي وَنَفَى الـمَوَا ... نِـعَ خَشْـيَةَ التَّقْصِـيرِ فِي التِّبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «أَتَى إِذَنْ بِالـمُقْتَضِي» أي: أتى بالمقتضِي للرؤية، وهو الصَّحْو.

قَوْلُهُ: «وَنَفَى الـمَوَانِعَ» وهو قوله: «لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ».

ومعلومٌ أنه إذا وُجِدَ المقتضِي وانتفى المانعُ ثَبَتَ الحُكْمُ.

قَوْلُهُ: «خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التِّبْيَانِ» يعني: لئلا يكونَ هناك تقصيرٌ في البيان.

٢٥٥٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بِبَيَانِ؟

قَوْلُهُ: «مِنْ بَعْدِ ذَا بِبيَانِ» وفي نسخة: (مِن بعدِ ذَا التِّبيانِ).

يعني: هل يمكنُ لأحدٍ أن يأتيَ ببيانٍ أحسنَ من هذا البيان؟ الجواب: لا.

٢٥٥٥- مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التِّبْيَانِ يَا أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ؟

ماذا يقولُ؟ الجوابُ: لا يقولُ شيئًا، فليس هناك أَبْيَنُ من هذا.

٢٥٥٦- فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءَكُمْ قُلْتُمْ لَهُ: ذَا اللَّفْظُ مَعْزُولٌ عَنِ الإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «جاءَكُم» يعني محمدًا -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «قُلْتُم له: ذَا اللَّفْظُ مَعْزُولٌ عَنِ الإِيقَانِ» حتى لو قاله النَّبِيُّ ﷺ مباشرةً وجهًا لوجهٍ، قالوا: هذا الكلامُ معزولٌ عن اليقين، هذا يفيدُ الظنَّ ولا يفيدُ اليقينَ.

٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمُ فِي وَجْهِهِ بِعَسَاكِرِ التْـ ـتَأْوِيلِ دَفْعًا مِنْكُمُ بِلِيَانِ

قَوْلُهُ: «دَفْعًا مِنْكُمُ بِلِيَانِ» يعني: تسهيلًا للأمر؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا: لا، بل هم يقولون: نعم، لكن المرادُ كذا.

فمثلًا في قول النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»[1]، أو «كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»[2]، لا يستطيعون أن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

يقولوا: لا نرى رَبَّنا، بل يقولون: نعم نرى ربَّنا، لكن رؤية بصيرة لا رؤية بصر، وإنما ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ هذا المَثَلَ مِن أَجْلِ تحقيق رؤيةِ البصيرة، لا رؤية البصر.

ولا شكَّ أنَّ هذا قلبٌ للحقائق؛ ولهذا يدفعونها بالتأويل تليينًا للرَّدِّ؛ لأنَّهم لو كَذَّبوا ما قُبِلَتْ أقوالُهم، ولكفَّرهم الناسُ، لكن يأتون بالتأويلات المستكرَهةِ مِن أَجْلِ لِينِ الرَّدِّ؛ ولهذا قال: (دَفْعًا مِنْكُمْ بِلِيَانِ).

٢٥٥٨- لَـوْ أَنَّكُـمْ وَاللهِ عَـامَلْتُمْ بِـذَا أَهْـلَ الْعُلُـومِ وَكُتْـبَهُمْ بِـوِزَانِ

٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَـا وَغَدَتْ عُلُومُ النَّـاسِ ذَاتَ هَـوَانِ

يعني: لو أنَّكم قلتم في جميع كلام الناس: هذا لا يفيدُ اليقينَ، هذا ليس على ظاهرِهِ، هذا مُؤوَّل، لو قلتم ذلك فسدت الكتبُ، وصار كُلُّ كتابٍ لا يمكنُ أن تأخذَ منه الكلامَ واليقين.

٢٥٦٠- هَـذَا وَلَيْسُـوا فِي بَيَـانِ عُلُـومِهِمْ مِثْـلَ الرَّسُـولِ وَمُنْـزِلِ الْقُـرْآنِ

ليسوا مثلَ كلامِ الرسول ولا كلام الله، ومع ذلك يحترمون كلامَ شيوخِهم، ويأخذون بظاهره، ولا يأخذون بظاهرِ القرآنِ والسُّنَّة.

* * *

٢٥٦١- وَاللهِ لَـوْ صَـحَّ الَّـذِي قَـدْ قُلْـتُمُ قُطِعَـتْ سَـبِيلُ الْعِلْـمِ وَالإِيـمَانِ

٢٥٦٢- فَالْعَقْـلُ لا يَهْـدِي إِلَى تَفْصِـيلِهَا لَكِـنَّ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ الْوَحْيَـانِ

٢٥٦٣- فَإِذَا غَـدَا التَّفْصِـيلُ لَفْظِيًّـا وَمَعْـ ـزُولًا عَـنِ الإِيقَـانِ وَالرُّجْحَـانِ

٢٥٦٤- فَهُنَـاكَ لا عِلْـمًا أَفَـادَتْ لَا وَلَا ظَنًّـا وَهَـذَا غَايَـةُ الْـحِرْمَانِ

٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَمْ يَحْصُلْ لَنَا ... قَطْعٌ بِقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ

٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وَفَسَادُهُ ... أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الإِنْسَانِ

٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْصُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ ... وَوَصِيَّةٍ كَلَّا وَلا أَيْمَانِ

٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الإِقْرَارُ يُصْبِحُ فَاسِدًا ... إِذْ كَانَ مُحْتَمِلًا لِسَبْعِ مَعَانِ

٢٥٦٩- وَكَذَا عُقُودُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا ... بِاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَبُ الرَّجُلانِ

٢٥٧٠- أَيَسُوغُ لِلشُّهَدَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا ... مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمُ بِبَيَانِ؟!

٢٥٧١- إِذْ تِلْكُمُ الأَلْفَاظُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ ... لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرُّجْحَانِ

٢٥٧٢- بَلْ لا يَسُوغُ لِشَاهِدٍ أَبَدًا شَهَا ... دَتُهُ عَلَى مَدْلُولِ نُطْقِ لِسَانِ

٢٥٧٣- بَلْ لا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ ... مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ

٢٥٧٤- بَلْ لا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالإِذْنِ الَّذِي ... هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ

٢٥٧٥- أَيَسُوغُ لِلشُّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ ... رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانِ؟

٢٥٧٦- هَذَا وَجُمْلَةُ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ ... فِي ذَا فَسَادُ الْعَقْلِ وَالأَدْيَانِ

الشرحُ

٢٥٦١- وَاللهِ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُ ... قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ

ما الذي قالوا؟ قالوا: إنَّ ألفاظَ الكتابِ والسُّنَّةِ ظنِّيَّةٌ لا تفيدُ اليقينَ، لو صَحَّ هذا يقول -رحمه الله-: «قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ».

٢٥٦٢- فَالْعَقْـلُ لا يَهْـدِي إِلَى تَفْصِـيلِهَا   لَكِـنَّ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ الْوَحْيَـانِ

العقلُ لا يهدي إلى تفصيل صفاتِ الله عزَّ وجلَّ وأسمائِهِ، وإنما الذي يهدي إلى ذلك ما جاءت به الوحيانِ.

فإذا قلنا: إنَّ العقلَ لا يهدي إلى تفصيلها وإنَّ ما جاء به الوحيان ظنِّيٌّ، إِذَنْ أين العقيدةُ؟! كيف نبني عقيدتَنا على ظنٍّ ووهمٍ؛ ولهذا قال: يفسُدُ كُلُّ شيء.

٢٥٦٣- فَإِذَا غَـدَا التَّفْصِـيلُ لَفْظِيًّـا وَمَعْـ   ـزُولًا عَـنِ الإِيقَـانِ وَالرُّجْحَـانِ

٢٥٦٤- فَهُنَـاكَ لا عِلْـمًا أَفَـادَتْ لَا وَلَا   ظَنًّـا وَهَـذَا غَايَـةُ الْـحِرْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا غَدَا التَّفْصِيلُ لَفْظِيًّا» (التفصيل): يعني: في أسماءِ الله وصفاتِهِ؛ لأنَّ العقلَ لا يهدي إلى التفصيل، إنما يَعْرِفُ الإجمالَ، والتفصيلُ جاء في الكتاب والسُّنَّة، فإذا غدا لفظيًّا معزولًا عن الإيقان، فهناك لا نستفيدُ لا عِلمًا ولا ظنًّا.

إِذَنْ إذا قلنا بما قال هؤلاء: العقلُ لا يهدي إلى التفصيل، والقرآنُ والسُّنَّةُ لا يدلَّان على اليقين، إِذَنْ ليس عندنا علمٌ، بل ولا ظنٌّ؛ لأنَّ ما كان على خلاف الظاهرِ مرجوحٌ، والمرجوحُ لا يُظَنُّ، فضلًا عن أن يُعتَقَدَ ويقال: إنه هو اليقين.

٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَـمْ يَحْصُلْ لَنَـا   قَطْـعٌ بِقَـوْلٍ قَـطُّ مِـنْ إِنْسَـانِ

٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُـبُ فَاسِـدًا وَفَسَـادُهُ   أَصْـلُ الْفَسَـادِ لِنَـوْعِ ذَا الإِنْسَـانِ

قَوْلُهُ: «لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ» ما المرادُ بهذا القول؟ الجواب أنَّ دلالةَ الألفاظ ظنِّيَّةٌ لا تفيدُ اليقينَ.

قَوْلُهُ: «وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا» أي: التخاطبُ بين الناس؛ لأنهم يقولون: دلالةُ الألفاظِ ظنِّيَّةٌ، فيبقى التخاطبُ بين الناس ظنِّيًّا، فيكون فاسدًا.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ» أي: فسادُ التخاطب.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الإِنْسَانِ» إذا كان التخاطبُ بين الناس فاسدًا، ولا يفيدُ اليقينَ ولا العلمَ، فكيف يَثِقُ الناسُ بعضُهم ببعض؟ كيف يتعاملون؟ وكيف تُعْقَدُ البيوعُ، والإقراراتُ، والشَّهاداتُ، والأنكحةُ، والوُقُوف وغيرها؟ والمسألةُ كُلُّها مبنيَّةٌ على الظنِّ؛ ولهذا قال:

٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْصُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ ... وَوَصِيَّةٍ كَلَّا وَلا أَيْمَانِ

قَوْلُهُ: «مَا كَانَ يَحْصُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ» إذا شهد الشاهدان نقول: والله شهادتُهما ظنِّيَّةٌ، ما نعلمُ، فيها احتمالٌ، بل فيها ألفُ احتمالٍ.

قَوْلُهُ: «وَوَصِيَّةٍ» كذلك الوصية، فهذا إنسانٌ أوصى، نقولُ: كلامُه ظنِّيٌّ، لا يفيدُ اليقينَ، فيه احتمالٌ، يَحْتَمِلُ أنه أراد أن يُوصِيَ بالثلث، أو ثلث الثلث... وهكذا، ما يبقى هناك ثقةٌ بأيِّ كلام.

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا أَيمانِ» حتى الأيمان (الحلفُ بالله) فيه احتمالات، إذا قال: (والله لا أتغدَّى إلَّا على وتد) سبحان الله! هل هو عصفورٌ يقفُ على الوتد ويأكل؟! يقول: إنَّ الجبالَ جعلها اللهُ أوتادًا.

على كُلِّ حال لو أننا جعلنا دلالات اللفظ ظنِّيَّةً، وقلنا: هذا يحتملُ، ما بقي أن نَثِقَ بشيءٍ إطلاقًا.

٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الإِقْرَارُ يُصْبِحُ فَاسِدًا ... إِذْ كَانَ مُحْتَمِلًا لِسَبْعِ مَعَانِ

قَوْلُهُ: «وكَذَلِك الإقرارُ» (أَقَرَّ) له عدة معانٍ، يعني: نطق بالإقرار، أَقَرَّ الشيءَ: أبقاه مستقرًّا، وهكذا سبعةُ معانٍ للإقرار.

إِذَنْ لا نحكمُ بأنَّ الرجلَ إذا قال: (أقررتُ بكذا وكذا) فإنه مُقِرٌّ؛ لأنَّ اللفظَ محتملٌ.

٢٥٦٩- وَكَـذَا عُقُـودُ الْعَالَـمِينَ بِأَسْرِهَـا   بِـاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَـبُ الـرَّجُلانِ

كُلُّ العقودِ مبنيةٌ على أنَّ الدلالةَ ظنِّيَّةٌ على كلامهم، إِذَنْ لا نَثِقُ بأيِّ عقلٍ كان؛ لأنَّ دلالتَه ظنِّيَّةٌ.

٢٥٧٠- أَيَسُـوغُ لِلشُّـهَدَا شَـهَادَتُهُمْ بِهَـا   مِـنْ غَـيْرِ عِلْـمٍ مِـنْهُمُ بِبَـيَانِ؟!

الجَوَابُ: لا، ومع ذلك إذا شَهِدَ الشاهدان على الرجلين بأنَّهما تبايعا نحكمُ بالشهادة، مع أنَّ الشهادةَ لا تكون إلَّا عن علمٍ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] ويُذْكَرُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «تَرَى الشَّمْسَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»(١).

إِذَنْ الشهادةُ مبنيةٌ على علم، وأنتم تقولون: إنَّ الألفاظَ دلالتُها ظنِّيَّةٌ، كيف يمكنُ أن نشهدَ على ظنٍّ إذا تعاقد الرجلان عقدَ بيعٍ، أو عقدَ إجارةٍ، أو عقدَ رهنٍ.

٢٥٧١- إِذْ تِلْكُـمُ الأَلْفَـاظُ غَـيْرُ مُفِيـدَةٍ   لِلْعِلْـمِ بَـلْ لِلظَّـنِّ ذِي الرُّجْحَـانِ

٢٥٧٢- بَـلْ لا يَسُـوغُ لِشَـاهِدٍ أَبَـدًا شَـهَا   دَتُـهُ عَـلَى مَـدْلُولِ نُطْـقِ لِسَـانِ

لماذا؟ لأنَّ الشهادةَ لا بُدَّ أن تكونَ عن عِلمٍ ويقينٍ، فإذا جعلنا الألفاظَ ظنِّيَّةً صار كُلُّ ما يَثْبُتُ بالنطق ظنِّيًّا لا تجوزُ الشهادةُ عليه.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١١٠، رقم ٧٠٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٥٥، رقم ١٠٩٧٤).

٢٥٧٣- بَلْ لا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ

يعني: على زعمكم أنَّ دلالةَ الألفاظِ ظنِّيَّةٌ، لو أنَّ رجلًا نطق بكلمة الكفر فإنَّه لا يجوزُ أن نُريقَ دمَه؛ لأنَّ دمَ المسلمِ حرامٌ، لا تجوزُ استباحتُه إلَّا بعلمٍ، ونحن الآن نقولُ: إنَّ دلالةَ الألفاظِ ظنِّيَّةٌ، فكيف نستبيحُ دمَه بلفظٍ دلالتُه ظنِّيَّةٌ؟

على هذا نقول: هنيئًا للمرتدين؛ لأنَّ كلامَهم ظَنِّيٌّ؛ إذ لا يجوزُ أن نُريقَ دماءَهم به بناءً على كلام هؤلاء أنَّ الألفاظَ دلالتُها ظَنِّيَّةٌ.

٢٥٧٤- بَلْ لا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالإِذْنِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ

وهذه مشكلة، رجل تَمَّ له العقدُ على امرأة بشهادة الشهود على إِذْنِ المرأة وعلى العقد، هل يجوزُ أن نستبيحَ الفرجَ بأمرٍ ظَنِّيٍّ؟ الجواب: لا يجوزُ.

هم يقولون: دلالةُ الألفاظِ ظنِّيَّةٌ، إذَنْ إِذْنُ المرأة لوليِّها بالعقد دلالتُه ظنِّيَّةٌ، وقولُ الوليِّ للزوج: (زوَّجتُك بنتي) فيقول: (قبلتُ) ظَنِّيٌّ أيضًا، كيف نستبيحُ به الفرجَ الذي تحريمُه قطعيٌّ بأمرٍ دلالتُه ظَنِّيَّةٌ؛ لأنَّ من المعروف أنَّ القطعِيَّ لا يُزيلُه إلَّا ما كان قطعيًّا.

فانظر إلى هذا القول -والعياذ بالله- الذي يترتَّبُ عليه فسادُ الدين والدنيا.

٢٥٧٥- أَيَسُوغُ لِلشُّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانِ؟

٢٥٧٦- هَذَا وَجُمْلَةُ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ فِي ذَا فَسَادُ الْعَقْلِ وَالأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَيَسُوغُ لِلشُّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ... إلخ؟» الجَوَابُ: لا؛ لأنه يحتمل أنه لما قيل: أَتَرْضَيْنَ أن نزوِّجَكِ فلانًا؟ فقالت: نعم أرضى، يعني: أرضى بسواه، على تقدير شيءٍ محذوفٍ، فهناك احتمالٌ.

إذا جعلنا الاحتمالاتِ العقليَّةَ داخلةً في الدلالات اللفظيَّة ما بقي كلامٌ يُوثَقُ به إطلاقًا.

***

٢٥٧٧- هَـــذَا وَمِـــنْ بُهْتَـــانِهِمْ أَنَّ اللُّغَـــا ... تِ أَتَـتْ بِنَقْـلِ الْفَـرْدِ وَالْوُحْـدَانِ

٢٥٧٨- فَـانْظُرْ إِلَى الأَلْفَـاظِ فِي جَرَيَانِهَـا ... فِي هَـــذِهِ الأَخْبَـــارِ وَالْقُـــرْآنِ

٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَـــا تَحْتَـــاجُ نَقْـــلًا مُسْـــنَدًا ... مُتَــوَاتِرًا أَوْ نَقْــلَ ذِي وُحْــدَانِ؟

٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لا ... تَحْتَـاجُ نَقْـلًا وَهْـيَ ذَاتُ بَيَـانِ

٢٥٨١- إِلَّا الْأَقَـلَّ فَإِنَّـهُ يَحْتَـاجُ لِلنَّـــ ... ـقْـلِ الصَّـحِيحِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَـانِ؟

٢٥٨٢- وَمِنَ الْـمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِـأَنْ ... نَ «اللهُ» أَظْهَــرُ لَفْظَــةٍ بِلِسَـــانِ

٢٥٨٣- وَخِلَافُهُـــمْ فِيـــهِ كَثِـيرٌ ظَـــاهِرٌ ... عَرَبِــيٌّ وَضْـعِ ذَاكَ أَمْ سُرْيَانِــي؟

٢٥٨٤- وَكَـذَا اخْـتِلافُهُمْ أَمُشْـتَقًّا يُـرَى ... أَمْ جَامِــدًا؟ قَــوْلانِ مَشْــهُورَانِ

٢٥٨٥- وَالأَصْلُ مَاذَا؟ فِيـهِ خُلْـفٌ ثَابِـتٌ ... عِنْــدَ النُّحَـــاةِ وَذَاكَ ذُو أَلْـــوَانِ

٢٥٨٦- هَـذَا وَلَفْـظُ «اللهُ» أَظْهَـرُ لَفْظَـةٍ ... نَطَقَ اللِّسَـانُ بِهَـا مَـدَى الأَزْمَـانِ

٢٥٨٧- فَـانْظُرْ بِحَـقِّ اللهِ مَـاذَا فِي الَّـذِي ... قَـالُوهُ مِـنْ لَـبْسٍ وَمِـنْ بُهْتَـانِ؟

٢٥٨٨- هَـلْ خَـالَفَ الْعُقَـلاءُ أَنَّ اللهَ رَبْـ ... ـبُ الْعَالَـــمِينَ مُـدَبِّرُ الأَكْـوَانِ؟

٢٥٨٩- مَـا فِيـهِ إِجْمَـالٌ وَلا هُـوَ مُـوهِمٌ ... نَقْـلَ الـمَجَازِ وَلا لَـهُ وَضْـعَانِ

٢٥٩٠- وَالـخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَاكَ اللَّفْظِ لا ... فِي وَضْـعِهِ لـم يَخْتَلِـفْ رَجُـلانِ

٢٥٩١- وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «مَكَّةٍ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلانِ مَعْرُوفَانِ

٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمُ الإِلَهِ وَقِبْلَةُ البُلْدَانِ؟

٢٥٩٣- وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدٍ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلانِ مَذْكُورَانِ

٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ الله ذُو الْبُرْهَانِ؟

٢٥٩٥- وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً يَا قَوْمُ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْهَذَيَانِ قَدْ عُزِلَتْ نُصُو صُ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

٢٥٩٧- فَالْحَمْدُ لله الْمُعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلاكُمْ يَا ذَوِي العِرْفَانِ

٢٥٩٨- فِلأَجْلِ ذَا نَبَذُوا الكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَضَوْا عَلَى آثَارِ كُلِّ مُهَانِ

٢٥٩٩- وَلِأَجْلِ ذَاكَ غَدَوْا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وَأَهْلِيهَا ذَوِي أَضْغَانِ

٢٦٠٠- يَرْمُونَهُمْ كِذْبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمُ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

الشَّرحُ

٢٥٧٧- هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللُّغَا تِ أَتَتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ» أي: مِنْ كَذِب هؤلاء القومِ الذين قالوا: إنَّ دلالةَ القرآنِ والسُّنَّةِ دلالةٌ لفظيَّةٌ في سَنَدِها؛ لأنَّها آحاد، وفي مدلولها؛ لأنَّها ظواهرُ.

قَوْلُهُ: «أن اللُّغاتِ أَتَتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ» يعني أنَّ اللغات نُقِلَت إلينا عن طريق الأفراد، وهذا من أكبرِ البُهتانِ بلا شكٍّ، هل اللغاتُ نُقِلَت إلينا بالأفرادِ؟ الجواب: لا، فاللغات نُقِلَتْ بالتواتر الذي ليس بعده تواترٌ.

اللغةُ الآن بين الأمة العربية منذ نشأت إلى اليوم، والناس ينقُلونها أُمةً أُمةً، وليس فردًا ينقلُها إلى فرد، بل أمة تنقلُها إلى أمة، لكن هذا مِن بُهتانهم أنَّ اللغاتِ تُنْقَلُ عن طريق الآحاد، فهذا من البهتان العظيم.

٢٥٧٨- فَـانْظُرْ إِلَى الأَلْفَـاظِ فِي جَرَيَانِهَـا ... فِي هَــذِهِ الأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَـا تَحْتَـاجُ نَقْـلًا مُسْـنَدًا ... مُتَـوَاتِرًا أَوْ نَقْـلَ ذِي وُحْـدَانِ؟

الجَوَابُ: لا، الألفاظُ في جَرَيَانها بين الأمم، سواءً أكان في خبر أم في القرآن المنقول بالمتواتر كُلُّها لا تحتاجُ نقلًا مسندًا.

لو قال مثلًا: معنى (أكل): تناولَ الطعامَ فأدخلَه في فمه، هل نحتاجُ أن نقولَ: مَنِ الذي نَقَلَ (أَكَلَ) إلى معناها هذا في اللغة؟ الجواب: لا نحتاجُ ذلك؛ لأنَّها معروفةٌ، فهي من الضروريات؛ ولهذا قال في البيت الثالث:

٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لا ... تَحْتَـاجُ نَقْـلًا وَهْـيَ ذَاتُ بَيَـانِ

لا نحتاجُ أن نقولَ: إنَّ اللغاتِ المنقولة بخبر الآحاد تحتاجُ إلى إسناد، ثم يُنْظَرُ في السَّند هل هم ثقاتٌ أو غيرُ ثقاتٍ؟ لا، هذا شيءٌ يجري في الألفاظ جريانَ الهواء والريح، ولا يحتاجُ إلى نقلٍ، فهي جاريةٌ مجرى الضروريات.

ثُمَّ قال:

٢٥٨١- إِلَّا الأَقَـلَّ فَإِنَّـهُ يَحْتَـاجُ لِلنْـ ... ـنَقْـلِ الصَّـحِيحِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَـانِ؟

يعني: صحيح أنه توجدُ كلماتٌ غريبةٌ في اللغة العربية، غريبةٌ لا تُسْتَعْمَلُ إلَّا نادرًا، هذه الكلماتُ الغريبةُ تحتاجُ إلى نقلٍ بحيثُ ينقُلُها إمامٌ من أئمة العربية كـ(سيبويه) أو غيره، ويقولُ: هذه نطق بها العربُ، أمَّا عامةُ اللغة العربية فإنَّها

لا تحتاجُ إلى سندٍ؛ لأنها جرت بين الناس مجرى الأمور الضرورية، تنقُلها الأمةُ بكاملها، أمةً عن أمةٍ، قرنًا عن قرن.

٢٥٨٢- وَمِنَ الْـمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِـأَنْ ... نَ «اللهُ» أَظْهَـرُ لَفْظَـةٍ بِلِسَـانِ

٢٥٨٣- وَخِلَافُهُـمْ فِيـهِ كَثِـيرٌ ظَـاهِرٌ ... عَرَبِـيٌّ وَضْـعِ ذَاكَ أَمْ سُرْيَانِـي؟

قوله: «الله» يعني لفظ (الله)، أي: كلمة (الله).

يقول: أظهرُ لفظةٍ في القرآن تدلُّ على مدلولها هي كلمة (الله)، فكلٌّ يعرِفُ أنَّ المرادَ بها رَبُّ العالمين، هم يحتجُّون علينا فيقولون: أظهرُ لفظةٍ هي (الله)، ومع ذلك فيها خِلافٌ، فإذا كان أظهرُ لفظةٍ في القرآن وهي (الله) فيها خلافٌ، فما بالُك بالكلمات الأخرى التي لا توازنها في الظهور؟!

وقصدُهم بذلك أنَّ جميعَ القرآن مشكوكٌ في دلالته، نسألُ اللهَ العافيةَ.

قَوْلُهُ: «وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ» يعني أنَّ الناسَ مختلِفون في كلمة (الله)، كيف الاختلاف؟ قال: (**عربي وضع ذاك أم سُرْيَاني؟**)، يعني: هل هذا اللفظ (الله) عربِيٌّ أم سُرْيَانِيٌّ، أي: باللغة السُّريانيَّة لغة الإنجيل؟

٢٥٨٤- وَكَـذَا اخْـتِلافُهُمْ أَمُشْـتَقًّا يُـرَى ... أَمْ جَامِـدًا؟ قَـوْلانِ مَشْـهُورَانِ

إِذَنْ عندنا اختلافان:

الأول: هل هو عربِيٌّ أو سُرْيَانِيٌّ؟

الثاني: إذا قلنا: إنه عربِيٌّ، هل هو مشتقٌّ أو جامد؟

مع أنَّ كلمةَ (الله) أظهرُ لفظةٍ في القرآن، ومع ذلك الخلافُ فيها موجودٌ، فما بالُكَ بما دونها في الظهور؟! يكونُ الخلافُ فيه من باب أَولى.

النتيجةُ بعد هذا أنَّ مدلولاتِ ألفاظ القرآن غيرُ معلومةٍ ولا متيقَّنة؛ لأنَّ الخلافَ فيها كثيرٌ.

وكلامهم هذا يُشَكِّك الواحد.

إذا جاءنا إنسانٌ عِفْرِيتٌ في المناظرة، وقام يتكلَّم بمثل هذا الكلام، نقول: والله صحيحٌ، كلمةُ (الله) التي هي أوضحُ شيءٍ في القرآن يختلفُ فيها الناسُ، هل هي عربيَّةٌ أو سُرْيَانِيَّةٌ؟ ثُمَّ إذا كانت عربيةً هل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ إِذَنْ ما سواها من الكلمات من باب أَولى، فيبقى القرآنُ كُلُّه غيرَ معتمَدٍ على دلالته، نسألُ اللهَ العافيةَ.

وهذا إجرامٌ، والعياذ بالله، فإذا كان القرآنُ غيرَ معتمَدٍ على دلالته فالأحاديثُ من باب أَولى؛ لأنَّ الأحاديثَ فيها آفةٌ أخرى، فلعلَّ الرواة نقلوها بالمعنى فأخطئوا، بخلاف القرآن فإنه متواترٌ، ولا يمكنُ وجودُ خطأٍ في النقل فيه.

فالحاصل أنَّ هؤلاء -والعياذ بالله- شياطين الإنس يأتون بمثل هذا الكلام ليُلبِّسوا على الناس دينَهم، ولولا أنَّ اللهَ حفِظ دينَه بما قيَّض من العلماء الربَّانِيِّين لَضاع الدينُ وضاعَ كُلُّ شيء.

٢٥٨٥- وَالأَصْلُ مَاذَا؟ فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ عِنْدَ النُّحَاةِ وَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «**الأصلُ ماذا**»؟ يعني: ما أصلُ الله، هل هو الإلهُ، أو كلمةٌ مرتجَلةٌ، أو ماذا؟ هذا أيضًا فيه خِلاف: بعضُهم يقول: (**اللهُ**) أصلُها (**الإله**) فَحُذِفَتِ الهمزةُ لكثرة الاستعمال، كما حُذِفَت الهمزةُ من (**الناس**)، وأصلها (**أُناس**)، وحُذِفَت من (شر) و(خير)؛ تقولُ: (**هذا خيرٌ من هذا**)، و(**هذا شرٌّ من هذا**)، والأصلُ: أخيرُ وأشرُّ، فهذا فيه أيضًا خلافٌ.

٢٥٨٦- هَــذَا وَلَفْــظُ «اللهُ» أَظْهَــرُ لَفْظَــةٍ   نَطَقَ اللِّسَـانُ بِهَـا مَـدَى الأَزْمَـانِ

وصدق -رحمه اللهُ-، فأظهرُ لفظةٍ في الوجود لفظةُ (الله)، فما من إنسانٍ تقولُ أمامَه: (الله) إلَّا وينصرفُ ذِهنُه إلى ربِّ العالمين عزَّ وجلَّ، لا ينصرفُ يمينًا ولا شِمالًا، لا إلى صنمٍ، ولا إلى مَلَكٍ، ولا إلى رسولٍ، ولا إلى ولِيٍّ، إنما ينصرفُ إلى الله؛ ولهذا كان اسم (الله) من الأشياء الخاصة بالله عزَّ وجلَّ.

٢٥٨٧- فَــانْظُرْ بِحَــقِّ الله مَــاذَا فِي الَّــذِي   قَــالُوهُ مِــنْ لَــبْسٍ وَمِــنْ بُهْتَــانِ؟

قَوْلُهُ: «فانْظُرْ» انظُرْ نَظَرَ تعجُّبٍ وإنكار!

قَوْلُهُ: «مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ؟» لكن ما هو اللبس الذي قالوه؟

قالوا: كلمةُ (الله) الآن مختلَفٌ في مدلولها، لا ندري هل هي عربيَّةٌ أو سُرْيَانِيَّةٌ؟ وهل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ وهل هي مرتجَلةٌ أو منقولةٌ؟ ما ندري.

ومعنى (مرتجَل) أي: الذي وُضِعَ ابتداءً، والمنقول هو الذي نُقِلَ عن غيره.

٢٥٨٨- هَــلْ خَــالَفَ الْعُقَــلاءُ أَنَّ اللهَ رَبْ   بُ الْعَالَــمِينَ مُــدَبِّرُ الأَكْــوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ خَالَفَ الْعُقَلاءُ أَنَّ اللهَ ربُّ الْعَالَـمِينَ؟» يعني أنَّ لفظةَ (الله) يُرادُ بها رَبُّ العالمين، يعني: مع اختلافهم في الكلمة هل اختلفوا في المراد؟

هؤلاء جعلوا اختلافَ الكلمة سببًا لاختلاف المراد، لكن يقولُ -رحمه الله-: هل خالف العقلاءُ أنَّ (الله) رَبُّ العالمين؟ المراد بـ(الله) هنا هل هو مدلولُ الكلمة أو اللفظ؟ الجواب: اللفظ، يعني أنَّ لفظَ (الله) هو ربُّ العالمين.

٢٥٨٩- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلا هُوَ مُوهِمٌ   نَقْلَ المَجَازِ وَلا لَهُ وَضْعَانِ

وهذا مُتَّفَقٌ عليه، فأنتم حين تُلَبِّسُون على العامة وتقولون: (الله) مختلَفٌ فيه: عربيٌّ أو سُرْيَانِيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو منقولٌ أو مرتَجَلٌ؟ إنما تريدون بهذا التمويهَ، أمَّا المرادُ منه فإنَّ العقلاءَ متَّفِقون على أنَّ المرادَ رَبُّ العالمين.

٢٥٩٠- وَالخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَاكَ اللَّفْظِ لا   فِي وَضْعِهِ لم يَخْتَلِفْ رَجُلانِ

الخُلْفُ الذي قالوا يعودُ إلى أحوال اللفظ هل هو سُرْيَانِيٌّ عربِيٌّ؟ أمَّا لِمَنْ وُضِعَ فليس فيه اختلافٌ؛ ولهذا قال: «لا فِي وَضْعِهِ لم يَخْتَلِفْ رَجُلانِ».

٢٥٩١- وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظِةِ «مَكَّةٍ»   فِيهِ لَهُمْ قَوْلانِ مَعْرُوفَانِ

٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ   حَرَمُ الإِلَهِ وَقِبْلَةُ البُلْدَانِ؟

يعني: الناسُ اختلفوا أيضًا في لفظ (مكَّة)، لماذا سُمِّيت (مكة)؟ وأحيانًا تُسَمَّى (بَكَّة)، وقد سمَّاها اللهُ في القرآن بالاسمين: (بَكَّة) و(مكَّة)، ولكن هذا الخلاف الذي وقع هل اختلف الناسُ في المراد به؟ الجواب: لا.

٢٥٩٣- وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدٍ»   فِيهِ لَهُمْ قَوْلانِ مَذْكُورَانِ

٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ   مِنْهُ رَسُولُ الله ذُو الْبُرْهَانِ؟

فهم اختلفوا في لفظ (أحمد) لماذا سُمِّي (أحمد)؟ هل لأنه أحمدُ الناسِ لله؟ أو لأنه أحقُّ الناسِ أن يُحْمَدَ؟ فهم اختلفوا في هذا، لكن هل الذين اختلفوا في هذا هل هو أحمدُ الناسِ لله؟ أو هو أحقُّ الناس أن يُحْمَدَ؟ هؤلاء الذين اختلفوا هل اختلفوا في أنَّ المرادَ به رسولُ الله؟ الجواب: لا، إِذَنْ الاختلاف في اللفظ لا فيما وُضِعَ له.

فهذه ثلاثةُ أمثلةٍ جيِّدة يختلفُ الناسُ فيها في اللفظ ولا يختلفون في المراد: (الله)، (مكة)، (أحمد) يعني الرسولَ -عليه الصلاة والسلام-، يختلفون في اللفظ ولا يختلفون في المراد.

٢٥٩٥- وَنَظِيرُ هَـذَا لَـيْسَ يُـحْصَرُ كَثْـرَةً ... يَـا قَـوْمُ فَاسْـتَحْيُوا مِـنَ الـرَّحْمَنِ

يعني: نظير هذا يختلفون في اللفظ واشتقاقِه، لكن لا يختلفون في المراد منه، وهذا كثيرٌ، لكن أحيانًا أيضًا يتفقون على اللفظ ويختلفون في المراد، مثل: (قُرُوء) جمع (قُرْء)، هل المرادُ بها الحيضُ أو الطُّهْرُ؟ خِلاف، مع أنَّهم متفقون على اللفظ.

٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْـهَذَيَانِ قَدْ عُزِلَتْ نُصُو ... صُ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَـنْ إِيقَـانِ

الجَوابُ: لا والله لا تُعْزَلُ، وهذا هَذَيَان، وكونُهم يُلَبِّسون على الناس ويقولون: (اللهُ) هل هو عربِيٌّ أو سُرْيَانِيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو مُرْتجَلٌ أو منقولٌ؟ هذا لا يؤثر؛ لأنَّ المدلولَ متفَقٌ عليه.

٢٥٩٧- فَالْـحَمْدُ لله الْـمُعَافِي عَبْـدَهُ ... مِـمَّا بَلاكُـمْ يَـا ذَوِي العِرْفَـانِ

إي والله، الحمدُ لله الذي عافنا ممَّا ابتلاهم به.

وفي قوله: «يَا ذَوِي العِرْفَانِ» تهكُّمٌ واضحٌ؛ لأنهم أبعدُ الناسِ عن المعرفةِ وعن العرفان.

٢٥٩٨- فِلأَجْلِ ذَا نَبَذُوا الكِتَابَ وَرَاءَهُـمْ ... وَمَضَـوْا عَـلَى آثَـارِ كُـلِّ مُهَـانِ

نعم، نبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورِهم، ولكنَّهم ساروا على آثار كُلِّ مُهَانٍ، يعني: من شيوخهم الذين يُعظِّمونهم ويُقدِّمون أقوالَهم على قولِ الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥٩٩- وَلِأَجْلِ ذَاكَ غَدَوْا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَـاءَتْ وَأَهْلِيهَـا ذَوِي أَضْـغَانِ

قَوْلُهُ: «غَدَوْا... ذَوِي أَضْغَانِ» (غدوا) تعملُ عملَ (كان)، والواو اسمُها، و(ذوي أضغان) خبرُها.

يعني: صاروا ذوي أضغان على السُّنن وعلى أهل السُّنن.

٢٦٠٠- يَرْمُـونَهُمْ كِـذْبًا بِكُـلِّ عَظِيمَـةٍ حَاشَـاهُمُ مِـنْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَـانِ

هؤلاء يرمون أهلَ الحديث كذبًا بكُلِّ عظيمة، وقالوا عنهم: مُجَسِّمَةٌ، مُشَبِّهَةٌ، حَشْوِيَّةٌ، نوابتُ، غُثاءٌ، عامةٌ... وهكذا.

إِذَنْ هذا الفصلُ كُلُّه للرَّدِّ عليهم في قولهم: إنَّ دلالةَ الكتابِ والسُّنة ظنِّيَّةٌ غيرُ يقينيةٍ؛ لأنَّ كُلَّ لفظٍ -على كلامهم- يَحتملُ معانيَ، فيُلبِّسون، ويأتونَ بالألفاظِ التي اختُلِف فيها في أصلها لأجل أن يلبسوا على الناس، ولفظُ (الله) أظهرُ لفظ.

* * *

فصل

فِي تَنْزِيهِ أَهْلِ الحَدِيثِ وَالشَّرِيعَةِ عَنِ الأَلْقَابِ القَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ

٢٦٠١- فَرَمَوْهُمْ بَغْيًا بِمَا الرَّامِي بِهِ ... أَوْلَى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الجَانِي

٢٦٠٢- يَرْمِي البَرِيءَ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا ... وَلِذَاكَ عِنْدَ الْغِرِّ يَشْتَبِهَانِ

٢٦٠٣- سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا ... وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ

٢٦٠٤- وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ ... وَهُمُ الرَّوَافِضُ أَخْبَثُ الحَيَوَانِ

٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمْـ ... ـمَوْا بِالنَّوَاصِبِ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ

٢٦٠٦- وَكَذَا المُعَطِّلُ شَبَّهَ الرَّحْمَنَ بِالْـ ... ـمَعْدُومِ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوَصْفَانِ

٢٦٠٧- وَكَذَاكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلامِنَا ... حَتَّى نَفَاهُ وَذَانِ تَشْبِيهَانِ

٢٦٠٨- وَكَذَاكَ شَبَّهَ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا ... حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ

٢٦٠٩- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ ... سَمَّاهُ تَشْبِيهًا، فَيَا إِخْوَانِي

٢٦١٠- بِاللهِ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ مِنْ ... هَذَا الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِي؟

٢٦١١- إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ ... سُبْحَانَهُ فَبِأَكْمَلِ[1] ذِي شَانِ

٢٦١٢- لَكِنَّ نَفْيَ صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ ... بِالجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ

---

(١) في نسخة برلين والتيمورية والظاهرية والإفتاء والسفارينية ونسخة ابن سحمان: «فبكامل»، وأشار شيخنا -رحمه الله- في شرحه إلى نسخة ثالثة: «أكمل به ذي شان».

٢٦١٣- بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهْوَ مَعْـ ـدُومٌ وَإِنْ يُفْـرَضْ فَفِـي الأَذْهَـانِ

٢٦١٤- فَمَـنِ الـمُشَبِّهُ بِالْـحَقِيقَةِ أَنْـتُمُ أَمْ مُثْبِـتُ الأَوْصَـافِ لِلـرَّحْمَنِ؟

الشَّـرحُ

٢٦٠١- فَرَمَـوْهُمْ بَغْيًـا بِـمَا الرَّامِـي بِـهِ أَوْلَـى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْـلَ الـجَانِـي

قَوْلُهُ: «رَمَوْهُم» يعني أنَّ هؤلاء المعطِّلةَ رَمَوْا أهلَ الحديث بما هم أَوْلَى به من الألفاظ القبيحة الشَّنيعة، كما رمَى المنافقون رسولَ الله ﷺ وأصحابَه بما هم أَوْلَى به، قال المنافقون: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، ولَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»[1]. ويعنون بذلك الرسولَ ﷺ وأصحابَه.

وفي الحقيقة أنَّ هذه الأوصافَ تنطبقُ عليهم، فما رأينا أكذبَ ألسنًا من المنافقين؛ ولهذا من علامات المنافق: الكذب.

ولا رأينا أجبنَ منهم حتَّى في غير اللقاء، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤] لو صاح أحدٌ من الناس لأولاده، أو طفل في السوق ظنُّوا أنه يصيحُ عليهم.

قوله: «ولا أرغبَ بُطُونًا» (أرغب) يعني: أوسع؛ لكثرة الأكل وأنه ليس لهم هَمٌّ إلَّا ملء هذه البطون، ونحن نعلمُ أنَّ الذين ليس لهم همٌّ إلَّا ملء البطون هم المنافقون، ما نافقوا إلَّا ليبقوا حتَّى لا يقتلهم المؤمنون.

إِذَنْ هؤلاء المعطِّلةُ رَمَوْا أهلَ السُّنَّة بما هم أَوْلَى به.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩، رقم ١٠٠٤٤)، والطبري (١٤/ ٣٣٣).

قَوْلُهُ: «لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الجَانِي» يعني: ليدفع عن نفسِه السوءَ برميِ غيره، ومن أمثال العوامّ: «ضرَبني وبَكَى وسَبَقَنِي واشتكَى».

٢٦٠٢- يَرْمِـي الـبَرِيءَ بِـمَا جَنَـاهُ مُبَاهِتًـا وَلِـذَاكَ عِنْـدَ الْغِـرِّ يَشْـتَبِهَانِ

يعني: أنه يرمى البُرَآءَ بما جناه هو بنفسه، فالغِرُّ الذي لا يدري يَشتبهُ عليه الأمرُ، ويقولُ: لعلَّ الصوابَ مع أهل التعطيل.

٢٦٠٣- سَـمَّوْهُمْ حَشْـوِيَّةً وَنَوَابِتًـا وَمُجَسِّـمِينَ وَعَابِـدِي أَوْثَـانِ

أعوذ بالله، يعني: سَمَّوْا أهلَ الحديث بهذه الألقاب:

- «حَشْوِيَّة»، وقد تقدَّم معنى الحَشْوِيَّة.
- «نوابتًا» أي: نوابت الزروع، وهي نوابت تنبتُ في الزرع ليس لها فائدةٌ.
- «مجسِّمِينَ» يعني: يقولون: إنَّ اللهَ جسمٌ، وقد سبق في هذه القصيدة أنه لم يقل أحدٌ من أهل الحديث: إنَّ اللهَ جسمٌ.
- كذلك أيضًا «عَابِدِي أَوْثَان» قالوا: أنتم تقولون: إنَّ اللهَ موصوفٌ بهذه الصفات، وهذا يقتضي أن يكونَ جسمًا، وحينئذٍ تكونون عابدي أوثان، جعلتم اللهَ وَثَنًا.

٢٦٠٤- وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ وَهُمُ الرَّوَافِضُ أَخْبَثُ الـحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ» هم الروافض.

قَوْلُهُ: «أَخْبَثُ الحَيَوَانِ» هذا كقول القحطانِيِّ -رحمه الله- في نُونِيَّتِه:

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الـحَصَى مِـن كُـلِّ إِنسٍ نـاطِقٍ أو جَـانِ

والذي يطأُ الحصى كُلُّ شيء من بني آدم، والحيوانات، وغيرُها، فهم شرٌّ من وَطِئَ الحصى، وهنا يقولُ: (**همُ الروافضُ أخبَثُ الحَيوانِ**).

٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمْـ ـمَـوْا بِالنَّوَاصِـبِ شِـيعَةَ الـرَّحْمَنِ

الله المستعان، نصبوا العداوةَ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأنهم يُكَفِّرون الصحابةَ إلَّا آلَ البيتِ ونفرًا قليلًا من غيرهم، يُكَفِّرون أبا بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ، وبقيةَ الصحابةِ، إلَّا آلَ البيت ونفرًا قليلًا من غيرهم، كسَلمان الفارسيّ وما أشبهَه.

ويُسمُّون أهلَ الحديث الذين هم شِيعة الرحمن نواصِبَ، لماذا؟ قالوا: لأنكم تحبُّون هؤلاء الصحابةَ، ومن القواعدِ المقرَّرةِ عندهم: (**كُلُّ مَنْ أحبَّ أبا بكرٍ وعمرَ فقد أبغض عليًّا**).

وكَذَبوا وَربِّ العرش، بل إنَّنا نُحبُّ عليًّا وأبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ، ولا ينافي هذا هذا، لكن هم يقولون: مَن أَحَبَّ الصحابةَ فقد نَصَبَ العداوةَ لآل البيت.

٢٦٠٦- وَكَذَا الـمُعَطِّلُ شَبَّهَ الـرَّحْمَنَ بِالْـ ـمَعْدُومِ فَاجْتَمَعَتْ لَـهُ الْوَصْـفَانِ

قَوْلُهُ: «**الوصفانِ**»: شَبَّه الخالقَ بالمعدوم؛ ولهذا عطَّله عن صفاته، فاجتمع له الوصفان؛ أي: وصفُ العدوان، ووصفُ التشبيه، فقد اعتدى على أهل الحديث ووَصَفَهم بهذه الأوصاف الشَّنيعة، وشَبَّه.

٢٦٠٧- وَكَـذَاكَ شَـبَّهَ قَوْلَـهُ بِكَلامِنَـا حَتَّـى نَفَـاهُ وَذَانِ تَشْـبِيهَانِ

قَوْلُهُ: «**شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلامِنَا**» يعني: قال: لـو أثبتنا الله كلامًا لَـزِمَ أن يكونَ مُشَابِهًا للمخلوقِ، فنفى الكلامَ، فصار عنده تشبيهان: تشبيهُ كلامِ الله بكلامنا، ثُمَّ تشبيهُ الله بالأخرس الذي لا يتكلَّمُ.

٢٦٠٨- وَكَــذَاكَ شَــبَّهَ وَصْــفَهُ بِصِــفَاتِنَا حَتَّــى نَفَاهَــا عَنْــهُ بِالْبُهْتَــانِ

أتدرون لماذا أنكر هؤلاء المعطِّلةُ لصفاتِ الله؟ الجواب: لأنَّهم تصوَّروا أنَّ إثباتها يَسْتَلْزِمُ التشبيهَ، فلما تصوَّروا هذا قالوا: إِذَنْ يجب أن ننفيَها لئلا نقعَ في التشبيه، فشبَّهوا أوَّلًا وعطَّلوا ثانيًا؛ ولهذا قال شيخُ الإسلام -رحمه الله- في الفتوى الحَمَوِيَّة[1]: «**كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل**».

وصدق -رحمه الله-، فالمعطِّلُ ممثِّلٌ؛ لأنه إنَّما عَطَّلَ لاعتقاده أنَّ إثبات الصفات يَسْتَلْزِمُ التمثيلَ، فَمَثَّل أوَّلًا في تصوُّره، ثم عطَّلَ ثانيًا، ثم نقول: هو أيضًا في تعطيله مُمَثِّلٌ؛ لأنه إذا أنكر الصفاتِ شبَّه اللهَ بالمعدومات، فَمَثَّل بالمعدوم.

وكُلُّ مُمَثِّلٍ معطِّلٌ؛ لأنَّ الممثِّلَ عَطَّلَ كُلَّ نصٍّ يدلُّ على نفي المماثلة، فالممثِّلُ عطَّلَ قولَه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، والمُمثِّلُ عَطَّلَ اللهَ من كماله الواجب؛ لأنَّ تمثيلَ الخالق بالمخلوق يجعلُه ناقصًا، فيكون في هذه الحال معطِّلًا لكمال صفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

فالحاصل أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- يقول: إنَّ هؤلاء الذين شبَّهوا وصفه بصفاتِنا حتَّى نَفَوْهَا، نفوا ذلك بالبهتان، وهم في الحقيقة لم يَسْلَمُوا من التمثيل.

٢٦٠٩- وَأَتَــى إِلَى وَصْــفِ الرَّسُــولِ لِرَبِّــهِ سَــمَّاهُ تَشْــبِيهًا، فَيَــا إِخْوَانِــي

سبحان الله! أتى إلى وصف الرسول لربِّه فقال: إنَّ الرسولَ ﷺ مُشَبِّهٌ لله بخَلقه، وهذا قد يقولهُ بعضُهم وقد لا يقولُه، لكن يكونُ هذا من لازمِ قولهم.

---

(١) انظر: الفتوى الحموية (٢٧٦).

٢٦١٠- بِـالله مَـنْ أَوْلَى بِهَـذَا الإِسْـمِ مِـنْ هَذَا الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِـي؟

الجَوَابُ: هم أَولى بذلك من أهل الحديث.

٢٦١١- إِنْ كَـانَ تَشْـبِيهًا ثُبُـوتُ صِـفَاتِهِ سُـبْحَانَهُ فَبِأَكْمَـلِ ذِي شَـانِ

قَوْلُهُ: «فبِأَكْمَلِ ذِي شَانِ» في نسخة «أَكْمِلْ بِهِ ذِي شَانِ» والمعنى: إذا كان ثبوتُ صفاتِ الله تشبيهًا فإنَّ ذلك تشبيهٌ بالأكمل، يعني إنما تُثْبَتُ على أنَّ لله المثَلَ الأعلى.

معنًى آخر تَبيَّن لي: إن كان إثباتُ الصفات تشبيهًا فقد مَثَّلناه بالأكمل؛ لأنَّ المتصفَ بصفات الكمال أَوْلَى مِمَّن لم يتصفْ بها.

فهو يقولُ: إنْ كان هذا تشبيهًا فإنَّما شبَّهناه بمَنْ يتصفُ بالصفات، وأنتم شبَّهتموه بمَنْ لا يتصفُ، مثلًا إذا قلنا: لله سمعٌ، أثبتنا له السَّمع، شبَّهناه -على زعمهم- بالكامل، لكن هم يقولون: لا سمعَ له، فشبَّهوه بالناقص.

فعلى كلام هؤلاء المعطِّلةِ أنَّ اللهَ تعالى لا يسمعُ بسمعٍ، ولا يعلمُ بعِلمٍ، ولا يُبْصِرُ ببصرٍ.

فنقولُ: هذا كلامٌ غيرُ معقولٍ، وإنما هو في الحقيقة مُصانَعة ومُداهَنة، وإلَّا فحقيقةُ قولِكم أنه لا يسمعُ، لكن تخشَوْن من ثورة العامة، وتقولون: يسمع بلا سمعٍ، ويُبْصِرُ بلا بَصَرٍ، ويتكلَّمُ بلا كلامٍ، وهكذا.

٢٦١٢- لَكِـنَّ نَفْـيَ صِـفَاتِهِ تَشْـبِيهُهُ بِالـجَامِدَاتِ وَكُـلِّ ذِي نُقْصَـانِ

يعني: إذا نفينا صفاتِهِ فقد شَبَّهناه بالأنقص، وليس بالأكمل؛ ولهذا يقول: «بِالـجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ».

٢٦١٣- بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهْوَ مَعْـ ـدُومٌ وَإِنْ يُفْـرَضْ فَفِـي الأَذْهَـانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ»؛ لأنك إذا نفيتَ الصفاتِ عن الله مطلقًا فهذا هو العَدَمُ، وإذا كان هو العدم فقد وَصَفْتَ اللهَ بالعدم بأنَّه لا موجود.

قَوْلُهُ: «وَإِنْ يُفْرَضْ فَفِي الأَذْهَانِ» يعني: إِنْ فُرِضَ وجودُ ذاتٍ لا تتصفُ بصفاتٍ فإنَّ هذا يُقَدَّرُ في الذِّهْن، أمَّا في الواقع فلا، فلا تُوجَدُ ذاتٌ خاليةٌ من الصفات.

٢٦١٤- فَمَـنِ الـمُشَبِّهُ بِالْـحَقِيقَةِ أَنْـتُمُ أَمْ مُثْبِـتُ الأَوْصَـافِ لِلـرَّحْمَنِ؟

الجَوَابُ: هم! فإذا قُدِّرَ أنَّ المثبتين شبَّهوه فقد شبَّهوه بالأكمل؛ لأنَّ مَن يتصفُ بصفات الكمالِ أكملُ، وأمَّا هؤلاء فقد شبَّهوه بالأنقص، بما لا صفة له، بل إنَّهم في الحقيقة شبَّهوه بالعدم.

* * *

فصل

فِي نُكْتَةٍ بَدِيعَةٍ تُبَيِّنُ مِيرَاثَ المُلَقِّبِينَ وَالمُلَقَّبِينَ مِنَ المُشْرِكِينَ وَالمُوَحِّدِينَ

٢٦١٥- هَـذَا وَثَـمَّ لَطِيفَـةٌ عَجَـبٌ سَأُبْـ ... ـدِيهَا لَكُـمْ يَـا مَعْشَـرَ الإِخْـوَانِ

٢٦١٦- فَاسْـمَعْ فَـذَاكَ مُعَطِّـلٌ وَمُشَـبِّهٌ ... وَاعْقِلْ فَـذَاكَ حَقِيقَـةُ الإِنْسَـانِ(١)

٢٦١٧- لا بُدَّ أَنْ يَـرِثَ الرَّسُـولَ، وَضِـدَّهُ ... فِي النَّـاسِ طَائِفَتَـانِ مُـخْتَلِفَانِ

٢٦١٨- فَـالْوَارِثُونَ لَـهُ عَـلَى مِنْهَاجِـهِ ... وَالْوَارِثُـونَ لِضِـدِّهِ فِئَتَـانِ:

٢٦١٩- إِحْـدَاهُمَا حَـرْبٌ لَـهُ وَلِـحِزْبِهِ ... مَـا عِنْـدَهُمْ فِي ذَاكَ مِـنْ كِـتْمَانِ

٢٦٢٠- فَرَمَـوْهُ مِـنْ أَلْقَـابِهِمْ بِعَظَـائِمٍ ... هُـمْ أَهْلُهَـا لا خِـيرَةُ الـرَّحْمَنِ

٢٦٢١- فَأَتَى الأُلَـى وَرِثُـوهُمْ فَرَمَـوْا بِهَـا ... وُرَّاثَـهُ بِـالْبَغْيِ وَالْعُـدْوَانِ

٢٦٢٢- هَـذَا يُحَقِّـقُ إِرْثَ كُـلٍّ مِـنْهُمَا ... فَاسْـمَعْ وَعِـهْ يَـا مَـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ

٢٦٢٣- وَالآخَرُونَ أُولُو النِّفَاقِ فَأَضْـمَرُوا ... شَـيْئًا وَقَـالُوا غَـيْرَهُ بِلِسَـانِ

٢٦٢٤- وَكَـذَا الـمُعَطِّلُ مُضْـمِرٌ تَعْطِيلَـهُ ... قَـدْ أَظْهَـرَ التَّنْزِيـهَ لِلـرَّحْمَنِ

٢٦٢٥- هَـذِي مَوَارِيـثُ العِبَـادِ تَقَسَّـمَتْ ... بَـيْنَ الطَّوَائِـفِ قِسْـمَةَ الـمَنَّانِ

٢٦٢٦- هَـذَا وَثَـمَّ لَطِيفَـةٌ أُخْـرَى بِهَـا ... سُـلْوَانُ مَـنْ قَـدْ سُـبَّ بِالْبُهْتَـانِ

---

(١) في نسخة السفاريني: «الله».

٢٦٢٧- تَجِـدُ الـمُعَطِّلَ لاعِنًـا لِـمُجَسِّمٍ ... وَمُشَـبِّهٍ لله بِالإِنْسَـانِ

٢٦٢٨- وَاللهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الـهُدَى ... كَمُحَمَّـدٍ وَمُـذَمَّمٍ إِسْـمَانِ

٢٦٢٩- هُـمْ يَشْـتُمُونَ مُذَمَّـمًا، وَمُحَمَّـدٌ ... عَـنْ شَـتْمِهِمْ فِي مَعْـزِلٍ وَصِـيَانِ

٢٦٣٠- صَانَ الإِلَهُ[1] مُحَمَّدًا عَـنْ شَـتْمِهِمْ ... فِي اللَّفْظِ والمَعْنَـى هُمَـا صِنْوَانِ[2]

٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الـمُعَطْـ ... طِـلْ لِلْمُشَـبِّهِ هَكَـذَا الإِرْثَـانِ[3]

٢٦٣٢- وَالسَّـبُّ مَرْجِعُـهُ عَلَـيْهِمْ إِذْ هُـمُ ... أَهْـلٌ لِكُـلِّ مَذَمَّـةٍ وَهَـوَانِ

٢٦٣٣- وَكَذَا الـمُعَطِّلُ يَلْعَنُ اسْـمَ مُشَـبِّهٍ ... وَاسْمُ الـمُوَحِّدِ فِي حِمَى الـرَّحْمَنِ

٢٦٣٤- هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّـتْ لَكُـمْ ... وَلَدَى الـمُعَطِّلِ هُنَّ غَـيْرُ حِسَـانِ

٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ[4] مُوَفَّـقٍ ... مِـنْ غَـيْرِ بَـوَّابٍ وَلا اسْـتِئْذَانِ

٢٦٣٦- وَيَـرُدُّهُ المَحْـرُومُ مِـنْ خُذْلَانِـهِ ... لا تُشْـقِنَا اللَّهُـمَّ بِالـحِرْمَانِ

٢٦٣٧- يَـا فِرْقَـةً نَفَـتِ الإِلَـهَ وَقَوْلَـهُ ... وَعُلُـوَّهُ بِالـجَحْدِ وَالْكُفْـرَانِ

٢٦٣٨- مُوتُـوا بِغَـيْظِكُمُ فَرَبِّـي عَالِـمٌ ... بِسَـرَائِرٍ مِـنْكُمْ وَخُبْـثِ جَنَـانِ

---

(١) في نسخة السفارينية: «الإيمان».

(٢) في نسخة برلين والظاهرية وابن سحمان والإفتاء: «صونان».

(٣) في نسخة ابن سحمان: «الأوثان».

(٤) في نسخ السفارينية والتيمورية والظاهرية والإفتاء ونسختي ابن سحمان وبقية النسخ: «قلب كل»، والمثبت في نسخة برلين، وكلاهما صحيح، كما في آية غافر: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥].

٢٦٣٩- فَــاللهُ نَــاصِرُ دِينِــهِ وَكِتَابِــهِ ... وَرَسُــولِهِ بِــالْعِلْمِ وَالسُّــلْطَانِ

٢٦٤٠- وَالــحَقُّ رُكْــنٌ لا يَقُــومُ لِــهَدِّهِ ... أَحَــدٌ وَلَــوْ جُمِعَــتْ لَــهُ الــثَّقَلانِ

٢٦٤١- تُوبُــوا إِلَى الــرَّحْمَنِ مِــنْ تَعْطِــيلِكُمْ ... فَــالرَّبُّ يَقْبَــلُ تَوْبَــةَ النَّــدْمَانِ

٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالجِنَـانُ مَصِيرُهُ(١) ... أَوْ مَــاتَ جَهْمِيًّــا فَفِــي النِّــيرَانِ

الشَّــرحُ

هذه نكتةٌ بديعةٌ ذكرها المؤلفُ -رحمه الله-، وهي بديعةٌ في الواقع، يقولُ:

٢٦١٥- هَــذَا وَثَــمَّ لَطِيفَــةٌ عَجَــبٌ سَأُبْــ ... ــدِيهَا لَكُــمْ يَــا مَعْشَــرَ الإِخْــوَانِ

جزاه الله خيرًا، فألفاظُه -رحمه الله- مُشَوِّقةٌ، فالإنسانُ إذا سَمِعَ هذا البيتَ يقول: هاتِ ما عندك.

٢٦١٦- فَاسْــمَعْ فَــذَاكَ مُعَطِّــلٌ وَمُشَــبِّهٌ ... وَاعْقِــلْ فَــذَاكَ حَقِيقَــةُ الإِنْسَــانِ

قَوْلُهُ: «اعْقِلْ فَذَاكَ حَقِيقَةُ الإِنْسَانِ» يعني: العقلُ حقيقةُ الإنسان؛ ولهذا لا يتميَّزُ الإنسانُ عن الحيوان إلَّا بالعقل، فإذا فَقَد العقلَ -والمراد عقل الرشد- صار أَخْبَثَ من الحيوان؛ كما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩].

٢٦١٧- لا بُدَّ أَنْ يَــرِثَ الرَّسُــولَ، وَضِــدَّهُ ... فِي النَّــاسِ طَائِفَتَــانِ مُـــخْتَلِفَانِ

وهذا صحيحٌ، فالرسولُ ﷺ له أعداء، ووُرَّاثُ الرسول كذلك لا بُدَّ أن

---

(١) في نسخة الإفتاء وبعض النسخ: «نصيبه».

يكونَ لهم أعداءٌ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يُعَادَ لشخصه، وإنَّما عُودِيَ لشرعه، فمَن تمسَّك بشرعه فسيجد له أعداءً كما وَجد النَّبِيُّ ﷺ له أعداءً.

٢٦١٨- فَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى مِنْهَاجِهِ   وَالْوَارِثُونَ لِضِدِّهِ فِئَتَانِ:

الوارثون للرسول ﷺ وأسألُ اللهَ أن يجعلنَا وإيَّاكم منهم على مِنهاجه، لا يَحِيدون عنه.

٢٦١٩- إِحْدَاهُمَا حَرْبٌ لَهُ وَلِحِزْبِهِ   مَا عِنْدَهُمْ فِي ذَاكَ مِنْ كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا حَرْبٌ لَهُ وَلِحِزْبِهِ» وهم الكُفَّارُ الخُلَّص الذين يُعلنون الكفرَ، هؤلاء حربٌ للرسول وحزبِه، يُعلنونها إعلانًا صريحًا، ما عندهم في ذاك من كِتمان.

٢٦٢٠- فَرَمَوْهُ مِنْ أَلْقَابِهِمْ بِعَظَائِمٍ   هُمْ أَهْلُهَا لا خِيرَةُ الرَّحْمَنِ

يعني: رَمَوُا النَّبِيَّ ﷺ من ألقابهم بالعظائم، فقالوا: ساحرٌ، ومجنونٌ، وشاعرٌ، وكاهنٌ، وكذَّابٌ.

٢٦٢١- فَأَتَى الأُلَى وَرِثُوهُمْ فَرَمَوْا بِهَا   وُرَّاثَهُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

الذين وَرِثوا الكُفَّارَ رَمَوْا بهذه العظائم وُرَّاثَ النَّبِيِّ ﷺ، وهم أتباعُه.

٢٦٢٢- هَذَا يُحَقِّقُ إِرْثَ كُلٍّ مِنْهُمَا   فَاسْمَعْ وَعِهْ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ

الفريق الثالث، وهو الثاني ممن ضادَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، قال عنهم:

٢٦٢٣- وَالآخَرُونَ أُولُو النِّفَاقِ فَأَضْمَرُوا   شَيْئًا وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَضْمَرُوا شَيْئًا» ماذا أضمروا؟ الجوابُ: الكفرَ.

قَوْلُهُ: «وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانِ» أي: الإسلام، فأظهروا الإسلامَ وأبطنوا الكفرَ.

٢٦٢٤- وَكَـذَا الـمُعَطِّلُ مُضْـمِرٌ تَعْطِيلَـهُ   قَـدْ أَظْهَـرَ التَّنْزِيـهَ لِلـرَّحْمَنِ

المعطِّلُ يُنكرُ الصفاتِ ويكفرُ بها؛ مدَّعِيًا أنَّ ذلك تنزيهٌ لله عزَّ وجلَّ وتوحيدٌ له، ويقولُ: إنَّ أهلَ الإثبات مشرِكون كما سبق، عابدو أوثان، مُجَسِّمَةٌ.

٢٦٢٥- هَـذِي مَوَارِيـثُ العِبَـادِ تَقَسَّـمَتْ   بَـيْنَ الطَّوَائِـفِ قِسْـمَةَ الـمَنَّانِ

واللهُ -سبحانه وتعالى- يُؤْتِي فضلَه مَن يشاء، فمِن الناس مَنْ حُرِم، ومِن الناس مَنْ أُعطِيَ ومُنِحَ، وهذه لطيفةٌ.

٢٦٢٦- هَـذَا وَثَـمَّ لَطِيفَـةٌ أُخْـرَى بِهَـا   سُـلْوَانُ مَـنْ قَـدْ سُـبَّ بِالْبُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «سُلْوَان» يعني التَّسَلِّيَ، ما هذه اللطيفة؟ قال -رحمه الله-:

٢٦٢٧- تَجِـدُ الـمُعَطِّلَ لاعِنًـا لِـمُجَسِّمٍ   وَمُشَـبِّهٍ لله بِالإِنْسَـانِ

المعطِّلُ يلعنُ المجسِّمَ والمشبِّهَ لله بالإنسان.

والحقيقة أنَّ لعنَه يعودُ عليه؛ لأنَّ المعطِّلَ مشبِّهٌ -كما مرَّ علينا آنفًا- فإذا لعن المُمَثِّلَ قال: (اللَّهُمَّ العَنِ المُمَثِّلَ وَالمُشَبِّهَ) فقد لعن نفسَه؛ لأنَّ أهلَ الحديث ينكرون هذا، فلا يُشَبِّهون اللهَ بخلقه، ويقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولا يُجَسِّمون، فلم يقولوا: إنه جسمٌ.

٢٦٢٨- وَاللهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الـهُدَى   كَمُحَمَّـدٍ وَمُـذَمَّمٍ إِسْـمَانِ

قَوْلُهُ: «يَصْرِفُ ذَاكَ» أي: اللَّعْنَ.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَهْلِ الـهُدَى» أي: لفظًا ومعنًى؛ لأنَّهم ليسوا -ولله الحمد- مُجَسِّمَةً، وليسوا مُشَبِّهَةً.

مثاله: «كَمُحَمَّدٍ وَمُذَمَّم إِسْمَانِ» يجوز قطعُ الهمزة للضرورة. يشيرُ إلى أنَّ المشركين سمَّوُا النَّبيَّ ﷺ مُذَمَّـمًا[1]، وقالوا: هو مُذَمَّمٌ، لا مُحَمَّدٌ؛ لأنَّ (مُحَمَّدًا) مِن الحمد، و(مُذَمَّـمًا) مِن الذَّمِّ، فيشتُمون مُذَمَّـمًا فيقولون: مُذَمَّمٌ لا حيَّاه اللهُ ولا بيَّاه.

٢٦٢٩- هُــمْ يَشْــتُمُونَ مُذَمَّـــمًا، وَمُحَمَّـــدٌ عَــنْ شَــتْمِهِمْ فِي مَعْــزِلٍ وَصِــيَانِ

انظر، هم يشتمون مُذَمَّـمًا، ومُحَمَّدٌ الذي هو رسولُ الله ﷺ عن شتمهم في مَعْزِلٍ وصيان، إِذَنْ يَنْصَبُّ الشَّتْمُ إليهم؛ لأنَّهم هم أهلُ الذَّمِّ.

٢٦٣٠- صَـانَ الإِلَـهُ مُحَمَّـدًا عَـنْ شَـتْمِهِمْ فِي اللَّفْـظِ والمَعْنَـى هُمَـا صِـنْوَانِ

فرسولُ الله -عليه الصلاة والسلام- في اللفظ اسمُه (مُحَمَّد)، وفي المعنى كذلك (مُحَمَّد)، وليس مُذَمَّمًا، لا باللفظ ولا بالمعنى.

٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الـمُعَطْـ ـطِـلْ لِلْمُشَـبِّهِ هَكَـذَا الإِرْثَـانِ

٢٦٣٢- وَالسَّـبُّ مَرْجِعُـهُ عَلَـيْهِمْ إِذْ هُـمُ أَهْـلٌ لِكُـلِّ مَذَمَّـةٍ وَهَـوَانِ

قَوْلُهُ: «وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ» في نسخة: (إليهم) والمعنى واحد.

الله أكبر، هذا الإرثُ مُتَّفِقٌ تمامًا.

المشركون يَسُبُّون الرسولَ ﷺ ويلعنون مُذَمَّمًا، فتعودُ اللعنةُ في الحقيقة إليهم.

---

(١) وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّـمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّـمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ». أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم (٣٣٤٠).

وهؤلاء أهلُ التعطيل يَسبُّون أهلَ الإثبات ويلعنونهم، وفي الحقيقة أنَّ الأمرَ يعودُ إليهم.

٢٦٣٣- وَكَذَا الـمُعَطِّلُ يَلْعَنُ اسْـمَ مُشَـبِّهٍ وَاسْمُ الـمُوَحِّدِ فِي حِمَـى الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَا الـمُعَطِّلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهٍ**» يقول: لعن اللهُ الـمُشَبِّهَ، فيُقال: بل هو المُشَبِّهُ.

قَوْلُهُ: «**وَاسْمُ المُوَحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ**» يعني: أهل الحديث الذين يثبتون هل هم مُشَبِّهون؟ الجواب: أبدًا، فهم أهلُ التوحيد الذين قالوا: إنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

٢٦٣٤- هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّـتْ لَكُـمْ وَلَدَى الـمُعَطِّلِ هُنَّ غَـيْرُ حِسَـانِ

لا يوجد شَكٌّ، فالحِسانُ عند أهلِ الإثبات غيرُ حِسانٍ عند أهل التعطيل.

٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَـدْخُلُ قَلْـبَ كُـلِّ مُوَفَّـقٍ مِـنْ غَـيْرِ بَـوَّابٍ وَلا اسْـتِئْذَانِ

قَوْلُهُ: «**مِنْ غَيْرِ بَوَّابٍ**» في نسخة: (من غير أبواب)، والأُولى أحسنُ، وأيضًا نسخة (الأبواب) تصحُّ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الأبوابَ لا تُجعَلُ إلَّا لتمنعَ الدخول.

وصدق -رحمه الله-، فالموفَّقُ يدخلُ العلمُ قلبَه من غير بَوَّابٍ ولا استئذان؛ لأنَّ القلبَ هو الذي يطلبُ العلمَ، فبمجرد ما يَردُ إليه العلمُ يَقْبَلُه، ولا يحتاجُ إلى بَوَّابٍ ولا إلى استئذان، واقرأ قولَ الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٦].

يحضرون مجلسَ الرسولِ ﷺ يُعلِّمُهم، ولكنَّهم لا يَعُونَ، ولا يفهمون، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفًا؟ يحتمل أنَّهم يقولون ذلك على سبيل التحقير؛ يعني:

إننا لم نُبالِ به ماذا قال؟ ويحتمل أن يكونَ على سبيل الاستخبار، لكن لم يصل العلمُ إلى قلوبهم؛ لأنهم ليسوا أهلًا للعلم، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد:١٦] نعوذُ بالله.

أيضًا ابنُ القيِّم -رحمه الله- يقولُ: إنَّ العلمَ يدخلُ قلبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ من غير بَوَّاب ولا استئذان.

قد يكون عندنا في الحقيقة مشكلةُ دخولِ العلم، هذه واحدة.

وهناك مشكلةٌ أخرى: إذا دخل العلمُ من بابٍ مفتوح عندنا يخرجُ من ذلك الباب المفتوح، ولا ينغلقُ عليه البابُ حتَّى يحفظَه؛ ولهذا تجدنا نقرأُ كثيرًا، ونحفظُ ولكن يطير العلم، فالعلم يخرج من البابِ، والنافذة، والسقف أيضًا، بل لا يوجدُ سقفٌ، فهو يخرجُ من كُلِّ جانبٍ حتى لو دخل.

فالعلمُ في الحقيقة يحتاجُ إلى أمرين: إلى بابٍ مفتوحٍ لقَبوله، وإلى بابٍ مغلَقٍ، لمنعه من الخروج، نسألُ اللهَ أن يوفِّقَنا إلى هذا.

٢٦٣٦- وَيَرُدُّهُ المَحْرُومُ مِنْ خُذْلَانِهِ ... لا تُشْقِنَا اللَّهُمَّ بِالحِرْمَانِ

المحرومُ -نسألُ اللهَ العافيةَ- يَرُدُّ العِلمَ؛ لأنه مخذولٌ.

٢٦٣٧- يَا فِرْقَةً نَفَتِ الإِلَهَ وَقَوْلَهُ ... وَعُلُوَّهُ بِالجَحْدِ وَالْكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «يا فِرقةً»؛ لأنه ينادِي نكرةً غير مقصودةٍ.

٢٦٣٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ ... بِسَرَائِرٍ مِنْكُمْ وَخُبْثِ جَنَانِ

قَوْلُهُ: «مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» يعني: اغتاظوا غيظًا يقتلكم ويهلككم، وقد أمر اللهُ نبيَّه بذلك فقال: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١١٩].

٢٦٣٩- فَـــاللهُ نَــاصِرُ دِينِـــهِ وَكِتَابِـــهِ وَرَسُـــولِهِ بِـــالْعِلْمِ وَالسُّـــلْطَانِ

قَوْلُهُ: «**فاللهُ ناصِرُ دِينِه... بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ**»؛ لأنَّ الدينَ يقومُ بالعِلم، وبثِّ الدين، وبالسُّلطان أي: بالقوة: بالجهاد بالسِّنان والسِّلاح.

٢٦٤٠- وَالـــحَقُّ رُكْـــنٌ لا يَقُـــومُ لِـــهَدِّهِ أَحَـــدٌ وَلَـــوْ جُمِعَـــتْ لَـــهُ الـــثَّقَلانِ

وصدق -رحمه الله-، فالحقُّ ركنٌ لا يمكنُ أن يَهُدَّه أحدٌ مهما كان؛ ولهذا تجدُ على كثرة المبتدعة وكثرة الأعداء هل غابت شمسُ الهدى؟ الجواب: أبدًا، لم تَغِبْ -ولله الحمد- شمسُ الهدى، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَـهُمْ حَتَّى يَأْتِـيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١)، فلا يمكنُ أن يُهَدَّ الحقُّ أبدًا.

٢٦٤١- تُوبُـوا إِلَى الـرَّحْمَنِ مِـنْ تَعْطِـيلِكُمْ فَـــالرَّبُّ يَقْبَـــلُ تَوْبَـــةَ النَّـــدْمَانِ

قَوْلُهُ: «**تُوبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ**» ابنُ القيِّم -جزاه الله خيرًا- لـمَّا ذَكَرَ ما هم عليه من العدوان والبغي، لم يؤيِّسْهم من رحمة الله، دعاهم إلى التوبة، ومَن تابَ تابَ اللهُ عليه.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨]، وضدُّ هذا الشِّركُ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨] هذا اعتداءٌ على الأنفس، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨] اعتداءٌ على الأعراض.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «**لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين**»، رقم (٧٣١١)، مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا، رقم (١٥٦).

فأكبرُ اعتداء على الأعراض الزنا، وأكبرُ اعتداء على الأنفس القتلُ، وأكبرُ عدوان على حقِّ الله الشِّركُ.

هؤلاء: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] فاللهُ عزَّ وجلَّ يقبلُ التوبةَ؛ ولهذا قال ابن القيِّم: **توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم، فالرب يقبل توبة الندمان.**

فالتوبةُ المبنيَّةُ على الندم هي التوبةُ الحقيقيةُ، أما التوبةُ المبنيَّةُ على غير ذلك فهي توبةٌ ناقصةٌ، بل إنَّ العلماءَ جعلوا من شروط قَبول التوبة الندمَ.

٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالـجِنَانُ مَصِيرُهُ ... أَوْ مَـاتَ جَهْمِيًّـا فَفِـي النِّـيرَانِ

قَوْلُهُ: «**مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالـجِنَانُ مَصِيرُهُ**» أي: وإن كان في البداية كافرًا؛ ولهذا نحن نعلمُ حسب التاريخ ما حصل من عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أوَّل الدعوةِ الإسلاميَّة من المنابذة والمضادة، لو مات على هذا الحال لكان من أهل النار، لكن مَنَّ اللهُ عليه بالتوبة، فصار من أهل الجنة، فصار هو الثالث من القبور التي في بيت الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «**أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النِّيرَانِ**» يعني: مَن مات على مذهب الجَهْمِ بنِ صَفْوَان فإنَّه في النار؛ لأنَّ أكثرَ السَّلف كَفَّروا الجهميَّة، والكافرُ مصيرُه إلى النار، نعوذ بالله من ذلك.

* * *

فصل

فِي بَيَانِ اقْتِضَاءِ التَّجَهُّمِ وَالجَبْرِ وَالإِرْجَاءِ لِلْخُرُوجِ عَنْ جَمِيعِ دِيانَاتِ الأَنْبِيَاءِ

٢٦٤٣- وَاسْمَعْ وَعِهْ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْـ ... ـتُومًا مِنَ الأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانِ

٢٦٤٤- فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي ... نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الكِتْمَانِ

٢٦٤٥- جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعْهُمَا ... مَقْرُونَةٌ مَعْ أَحْرُفٍ بِوِزَانِ

٢٦٤٦- فِيهَا لَدَى الأَقْوَامِ طِلَّسْمٌ مَتَى ... تَحْلُلْهُ تَحْلُلْ ذُرْوَةَ العِرْفَانِ

٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ[1] الْـ ... ـجِيمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ

٢٦٤٨- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا ... سَهْمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْخُذْلانِ

٢٦٤٩- جَبْرٌ وَإِرْجَاءٌ وَجِيمُ تَجَهُّمٍ ... فَتَأَمَّلِ المَجْمُوعَ فِي المِيزَانِ

٢٦٥٠- فَاحْكُمْ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ ... بِخَلاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الإِيمَانِ

٢٦٥١- فَاحْمِلْ عَلَى الأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ ... حَمْلَ الجُذُوعِ عَلَى قُوَى الجُدْرَانِ

٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُذْرِكَ إِذْ تَرَى الْـ ... أَفْعَالَ فِعْلَ الخَالِقِ الدَّيَّانِ

٢٦٥٣- فَالجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا ... مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَانِ

٢٦٥٤- لا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلا هُوَ قَادِرٌ ... كَالمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الأَكْفَانِ

(١) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية: «مقارن».

٢٦٥٥- وَالأَمْـرُ وَالنَّهْـيُ اللَّـذَانِ تَوَجَّهَـا ... فَهُـمَا كَـأَمْرِ العَبْـدِ بِـالطَّيَرَانِ

٢٦٥٦- وَكَأَمْرِهِ الأَعْمَى[1] بِـنَقْطِ مَصَـاحِفٍ ... أَوْ شَـكْلِهَا حَـذَرًا مِـنَ الأَلْـحَانِ

٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعْتَ دُرَيْجَـةً أُخْـرَى رَأَيْـ ... ـتَ الكُـلَّ طَاعَـاتٍ بِـلَا عِصْـيَانِ

٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفْتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ ... لَكِـنْ أَطَعْـتُ إِرَادَةَ الـرَّحْمَنِ

٢٦٥٩- وَمُطِيـعُ أَمْـرِ اللهِ مِثْـلُ مُطِيـعِ مَـا ... يَقْضِـي بِـهِ وَكِلَاهُمَـا عَبْـدَانِ

٢٦٦٠- عَبْـدُ الأَوَامِـرِ مِثْـلُ عَبْـدِ مَشِـيئَةٍ ... عِنْـدَ الـمُحَقِّقِ لَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ

٢٦٦١- فَانْظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الجِيمُ الَّـذِي[2] ... لِلْجَـبْرِ مِـنْ كُفْـرٍ وَمِـنْ بُهْتَـانِ

٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الإِرْجَاءُ حِـينَ تُقِـرُّ بِالْـ ... ـمَعْبُودِ تُصْـبِحُ كَامِـلَ الإِيـمَانِ

٢٦٦٣- فَارْمِ المَصَاحِفَ فِي الحُشُوشِ وَخَـرِّبِ الْـ ... ـبَيْتَ الْعَتِيـقَ وَجِـدَّ فِي العِصْـيَانِ

٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعتَ[3] كُلَّ مُوَحِّدٍ ... وَتَمَسَّـحَنْ بِـالْقَسِّ وَالصُّـلْبَانِ

٢٦٦٥- وَاشْتُمْ جَمِيعَ الـمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَـوْا ... مِـنْ عِنْـدِهِ جَهْـرًا بِـلَا كِـتْمَانِ

٢٦٦٦- وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْـجُدْ لَـهَا ... بَـلْ خِـرَّ لِلأَصْـنَامِ وَالأَوْثَـانِ[4]

٢٦٦٧- وَأَقِـرَّ أَنَّ اللهَ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... هُوَ وَحْدَهُ الْبَارِي لِذِي الأَكْـوَانِ

٢٦٦٨- وَأَقِـرَّ أَنَّ رَسُـولَهُ حَقًّـا أَتَـى ... مِـنْ عِنْـدِهِ بِـالْوَحْيِ وَالْقُـرْآنِ

---

(١) في نسخة برلين: «أعمى».

(٢) في نسخة برلين والتيمورية والسفارينية والإفتاء والظاهرية: «التي».

(٣) في نسخة السفارينية والإفتاء ونسختي ابن سحمان: «اسطعت» بدون تاء في أوله.

(٤) في نسختي ابن سحمان: «والصلبان».

٢٦٦٩- فَتَكُونَ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا ... وِزْرٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكُفْرَانِ

٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الإِرْجَاءُ عِنْدَ غُلاتِهِمْ ... مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ

٢٦٧١- فَأَضِفْ إِلَى الجِيمَيْنِ جِيمَ تَجَهُّمٍ ... وَانْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالأَرْسَانِ

٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ ... بِسَرَائِرٍ مِنَّا وَلا إِعْلانِ

٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا ... بَصَرٍ وَلا عَدْلٍ وَلا إِحْسَانِ

٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى الْـ ... ـعَدَمِ الَّذِي لا شَيْءَ فِي الأَعْيَانِ

٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ ... بِأَوَامِرٍ وَزَوَاجِرٍ وَقُرَانِ

٢٦٧٦- كَلَّا وَلَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ ... أَبَدًا وَلا عَمَلٌ لِذِي شُكْرَانِ

٢٦٧٧- أَنَّى وَحَظُّ العَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا ... تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الحَضِيضِ الدَّانِي

٢٦٧٨- بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ ... لِلْعَرْشِ نِسْبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَانِ

٢٦٧٩- فَعَلَيْهِمَا اسْتَوْلَى جَمِيعًا قُدْرَةً ... وَكِلاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خِلْوَانِ

٢٦٨٠- هَذَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيمُ تَجَهُّمٍ ... حَشْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلا مِيزَانِ

٢٦٨١- تَاللهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعَطِّلٍ ... جِيمَاتُهَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيمَانِ

٢٦٨٢- وَالجَهْمُ أَصَّلَهَا جَمِيعًا فَاغْتَدَتْ ... مَقْسُومَةً فِي النَّاسِ بِالمِيزَانِ

٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ ... أَصْحَابُهَا لا شِيعَةُ الإِيمَانِ

٢٦٨٤- لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ ... ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ

٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الحَدِيثِ المحْضِ أَتْـ ـبَاعُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو القُرْآنِ

٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعْ عِلْمٍ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أُولُو العِرْفَانِ

٢٦٨٧- وَسِوَاهُمُ فِي الجَهْلِ وَالدَّعْوَى مَعَ الْـ ـكِبْرِ العَظِيمِ وَكَثْرَةِ الـهَذَيَانِ

٢٦٨٨- مَدُّوا يَدًا نَحْوَ العُلَى بِتَكَلُّفٍ وَتَخَلُّفٍ وَتَكَبُّرٍ وَتَوَانِ

٢٦٨٩- أَتُرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ؟ حَاشَا العُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي

الشرحُ

هذا الفصلُ عجيبٌ غريبٌ، ذكر المؤلفُ -رحمه الله- فيه أنَّ الجهمَ والجبرَ والإرجاءَ يقتضي الخروجَ من جميع ديانات الأنبياء.

فالتجهُّمُ، والجبرُ، والإرجاءُ، ثلاثُ جيماتٍ تقتضي الخروجَ عن جميع ديانات الأنبياء.

قال المؤلف -رحمه الله-:

٢٦٤٣- وَاسْمَعْ وَعِهْ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْـ ـتُومًا مِنَ الأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «**سرًّا عجيبًا كان مَكْتومًا**» يعني: ما أبداه أحدٌ ولا أظهره، وإن كان عند التأمُّل معلومًا، لكنه لم يُظْهَرْ، هذا السِّرُّ يقول:

٢٦٤٤- فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الكِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «**فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي**» هذا التركيبُ تأتي به العربُ للدلالة على معاناة الشيء، وأنه لم يحصل بسهولة.

يقول: إنه أذاعه -رحمه الله- بعد اللَّتَيَّا والَّتِي، أذاعه لماذا؟ قال: (نُصحًا وخوفَ معرَّة الكتمان).

٢٦٤٥- جِـيمٌ وَجِـيمٌ ثُـمَّ جِـيمٌ مَعْهُـمَا مَقْرُونَـةٌ مَـعْ أَحْـرُفٍ بِـوِزَانِ

ثلاثةُ جيماتٍ مقرونةٌ مع حروفٍ تُكَمِّلُها، جيم الجبر يُكَمِّلُها الباء والراء، التجهُّم يُكَمِّلُها الهاء والميم، الإرجاء يُكَمِّلُها الهمزتان والرَّاء.

هذه ثلاثة جيمات، يقول:

٢٦٤٦- فِيهَـا لَـدَى الأَقْـوَامِ طِلَّسْـمٌ مَتَـى تَحْلُلْـهُ تَحْلُـلْ ذُرْوَةَ العِرْفَـانِ

قَوْلُهُ: «طلسم» الطِّلَّسْمُ هو عبارة عن قراءاتٍ مُعَيَّنةٍ تُقْرَأ على المرضى تكونُ سببًا للشِّفاء، وتُجمع على (طَلَاسِم).

٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْـتَ الثَّـوْرَ فِيـهِ تَقَـارَنَ الْـ ـجِيمَاتُ بِالتَّثْلِيـثِ شَرَّ قِـرَانِ

قَوْلُهُ: «الثور» أحدُ البروج الاثني عشر، الذين يقولون بعلم النجوم يتكهَّنون في مثل هذه الأمور باقتران النَّجْم الفلانِـيِّ بالنَّجْمِ الفلانِـيِّ وما أشبه ذلك، وهو علمٌ باطلٌ لاشكَّ، لكن المؤلفُ -رحمه الله تعالى- أرد أن يضربَ مثلًا فقط.

٢٦٤٨- دَلَّـتْ عَـلَى أَنَّ النُّحُـوسَ جَمِيعَهَـا سَهْمُ الَّـذِي قَـدْ فَـازَ بِالْـخُذْلانِ

٢٦٤٩- جَـبْرٌ وَإِرْجَـاءٌ وَجِـيمُ تَجَهُّـمٍ فَتَأَمَّـلِ الْـمَجْمُوعَ فِي الْـمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «جَبْر» فيها جيم، «إرجاء» فيها جيم، «تجهم» فيها جيم، هذه الثلاثة مجموعة إذا اجتمعت خرج الإنسانُ من الإسلام.

٢٦٥٠- فَاحْكُمْ بِطَالِعِهَا لِـمَنْ حَصَلَتْ لَهُ ... بِخَلاصِـهِ مِـنْ رِبْقَـةِ الإِيـمَانِ

يعني: تَخَلَّصَ من رِبْقَةِ الإيمان وفَصَلَها، ودخل في الكفر والعياذ بالله.

٢٦٥١- فَاحْمِـلْ عَـلَى الأَقْـدَارِ ذَنْبَـكَ كُلَّـهُ ... حَمْلَ الـجُذُوعِ عَلَى قُوَى الـجُدْرَانِ

بدأ المؤلفُ بالجبر، وأهلُ الجبر يقولون: إنَّ الإنسانَ مُجْبَرٌ على عمله، ليس له حولٌ ولا قوة، فاحمل جميعَ الذنوب على الأقدار، إذا أحدٌ عَاتَبَكَ على ذنبٍ فقل: هذا قَدَرُ الله، كُلُّ ذنوبِك احْمِلْها على القَدَر.

قَوْلُهُ: «حَمْلَ الجُذُوعِ عَلَى قُوَى الجُدْرَان» الجِذع إذا أسندتَه إلى الجدار اتَّكَأَ عليه؛ لأنه لا يقومُ بنفسه.

٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُذْرِكَ إِذْ تَرَى الْـ ... أَفْعَـالَ فِعْـلَ الـخَالِقِ الـدَّيَّانِ

هؤلاء الغلاةُ من الجَبْرِيَّة يقولون: إنَّ فِعلَ العبد فِعلُ الله، ولا شكَّ أنَّ هذا البابَ يفتحُ علينا بابَ وَحدة الوجود الذين يقولون: إنَّ الخلقَ عينُ الخالق، فإذن فِعْلُ الخلقِ هو فعلُ الخالقِ.

٢٦٥٣- فَالـجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَـا ... مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَـانِ

رجلٌ ذهب إلى مُجَمَّعِ بغايا، وفَعَلَ الفاحشةَ ورجعَ، حركاتُه وخطواتُه وأفعالُه كُلُّها بغيرِ اختياره، كشيخ فانٍ كبيرٍ قد ذهبت قُواه، فهو يرتعشُ هكذا، هذا الفعلُ وهو (الارتعاش) اختيارِيٌّ أو اضطرارِيٌّ؟ الجواب: اضطرارِيٌّ.

هو يقول: هذا الرجلُ الذي ذهب إلى سوق البغايا وقضى حاجتَه ورجع، كُلُّ فعلِه هذا اضطرارِيٌّ، ليس له فيه حول لا قوة كارتعاش الشيخ الفاني.

٢٦٥٤- لا فَاعِـــلٌ أَبَـــدًا وَلا هُـــوَ قَـــادِرٌ   كَالــــمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِــلَ الأَكْفَــانِ

قَوْلُهُ: «لا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلا هُوَ قَادِرٌ» الإنسانُ ليس بفاعلٍ، وليس بقادرٍ على الفعل، عَلَّل ذلك بأنَّه مُجْبَرٌ.

قَوْلُهُ: «كَالمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الأَكْفَانِ» فالميتُ يُحْمَلُ من سَرير الغسل ويُوضَعُ على الكفن، وهذا ليس باختياره.

لو اختار ما اختارَ أن يُغَسَّلَ ولا أن يُدْخَلَ في الأكفان، بل لاختار الحياةَ.

٢٦٥٥- وَالأَمْــرُ وَالنَّهْــيُ اللَّــذَانِ تَوَجَّهَــا   فَهُـــمَا كَـــأَمْرِ العَبْـــدِ بِـــالطَّيَرَانِ

لـَمَّا قيل لهم: كيف تقولون هذا واللهُ تعالى يُوجِّهُ الأمرَ إلى العباد، يقول: افعلوا، أقيموا الصلاةَ، آتوا الزكاةَ، كيف تقولون هذا؟ قال: هذا أمرٌ كما يُؤْمَرُ العبدُ -أي: الإنسانُ- الذي ليس عنده جَناحٌ يُؤْمَرُ بالطيران.

توجيهُ الأمرِ بالطيران إلى مَن لا جَناح له، هذا غيرُ ممكنٍ، يعني: لو أنَّ أحدًا وجَّه الأمرَ بالطيران إلى شخصٍ لا جَناحَ له، قيل: هذا جنونٌ وسَفَهٌ.

٢٦٥٦- وَكَـأَمْرِهِ الأَعْمَـى بِـنَقْطِ مَصَـاحِفٍ   أَوْ شَـكْلِهَا حَـذَرًا مِـنَ الأَلْـحَانِ

أعطينا أعمى مصحفًا مكتوبًا بالحروف، وقلنا له: نَقِّطْه، وإذا انتهى من التنفيط قلنا: شَكِّلْه، وهو أعمى، فهذا لا يمكن إلَّا على طريقة (برايل)، لكن هذا ليس التشكيل المعهود المعروف.

على كُلِّ حالٍ هم يقولون-والعياذ بالله-: إنَّ أوامرَ الله وأوامرَ رسولِهِ الموجَّهةَ إلى الناس كأوامر العبد الذي ليس له جَناحٌ بالطيران، أو أمر الأعمى بأن يُنَقِّطَ المصحفَ و يُشَكِّلَه.

٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعْتَ دُرَيْجَةً أُخْرَى رَأَيْـ ـتَ الكُـلَّ طَاعَـاتٍ بِـلَا عِصْـيَانِ

ارتفع نسبيًّا أيضًا في قول أهل الجبر، إذا ارْتَفَعْتَ رأيتَ الكُلَّ طاعاتٍ، فالمعاصي طاعاتٌ، فالزنا طاعةٌ، شربُ الخمرِ طاعةٌ، السَّرِقةُ طاعةٌ!

٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفْتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ لَكِـنْ أَطَعْـتُ إِرَادَةَ الـرَّحْمَنِ

أعوذُ بالله، إن قيل: أنت شرِبتَ الخمرَ، وخالفتَ أمرَ الشرعِ، قال: لكن وافقتُ الإرادةَ، أليس اللهُ قد أراد أن أشربَ الخمرَ؟ الجواب: بلى، قال: إِذَنْ أنا مطيعٌ؛ لأنِّي وافقتُ إرادةَ الله.

٢٦٥٩- وَمُطِيـعُ أَمْـرِ الله مِثْـلُ مُطِيـعِ مَـا يَقْضِـي بِـهِ وَكِلاهُمَـا عَبْـدَانِ

قَوْلُهُ: «وَمُطِيعُ أَمْرِ الله» يعني أمرَ الله الكونيَّ.

الذي يطيعُ أمرَ الله الكونِيَّ كالمطيعِ أمرَه فيما يقضي به من الشَّرعِ.

قَوْلُهُ: «وكلاهما» أي: مطيعُ الأمرِ ومطيعُ الشَّرعِ، كلاهما عبدان.

وهذا صحيحٌ، فهما عبدان، لكنَّ الكافرَ عبدٌ بالعبوديَّة القَدَرِيَّة، والمؤمنَ عبدٌ بالعبوديَّة القَدَرِيَّة الشَّرعيَّة.

٢٦٦٠- عَبْـدُ الأَوَامِـرِ مِثْـلُ عَبْـدِ مَشِـيئَةٍ عِنْـدَ الـمُحَقِّقِ لَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ

قَوْلُهُ: «عَبْدُ الأَوَامِرِ» عبدُ الأوامر هو المؤمنُ الذي يطيعُ أمرَ الله.

قَوْلُهُ: «مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ» المشيئةُ لا تنقسمُ إلى شرعيَّةٍ وكونيَّةٍ، بل كُلُّها كونيَّةٌ.

يقول: أمرُ الشَّرعِ طاعتُه واضحةٌ؛ لأنها طاعةٌ لله، أيضًا مشيئةُ الله طاعتُها طاعةٌ، ليس يفترقان.

٢٦٦١- فَانْظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الجِيمُ الَّذِي ... لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

وهذا صحيحٌ، فقد أَدَّت إلى ثلاث فظائعَ عظيمة كبيرة:

الأُولى: أدَّت إلى أنَّ الإنسانَ مُجْبَرٌ على العمل.

الثانية: أدَّت إلى أنَّ أمرَ الله الخلقَ بالعبادة والطاعة عَبَثٌ، وهو أمرٌ بما لا يُطَاقُ، كأمر العبد بالطيران، والأعمى بنقط المصاحف.

الثالثة: أدَّت إلى أنَّ موافقةَ الأمر الكونِيِّ كموافقة الأمر الشرعيِّ.

فجعلوا المعاصيَ طاعاتٍ، أيُّ دينٍ لشخص يقول: إنَّ الزنا، والخمرَ والسرقةَ، وقتلَ النفس؛ كل هذا طاعةً، بل الشركُ يكون طاعةً؛ لأنه إِنْ خالف الأمرَ الشرعِيَّ فقد وافقَ الأمرَ الكونِيَّ؟!

٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الإِرْجَاءُ حِينَ تُقِرُّ بِالْـ ... ـمَعْبُودِ تُصْبِحُ كَامِلَ الإِيمَانِ

هؤلاء المرجئةُ يقولون: الإيمانُ: الإقرارُ بالمعبود، أَقِرَّ بالله فأنت مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، إيمانُك مثلُ رسولِ الله ومثلُ جِبريل، لكن أَقِرَّ بالمعبود، فأنت مؤمنٌ كاملُ الإيمان.

٢٦٦٣- فَارْمِ المَصَاحِفَ فِي الحُشُوشِ وَخَرِّبِ الْـ ... ـبَيْتَ الْعَتِيقَ وَجِدَّ فِي العِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَارْمِ المَصَاحِفَ فِي الحُشُوشِ» أعوذ بالله، فطالما تُقِرُّ بأنَّ اللهَ موجودٌ فخذِ المصحفَ وارمِهِ في الحُشِّ؛ أخبث مكان.

قَوْلُهُ: «وخرِّب البيتَ العَتيقَ»: اذهب إلى الكعبةَ واهدمها.

قَوْلُهُ: «وَجِدَّ فِي العِصْيَانِ» أيُّ معصيةٍ تُذْكَرُ لك اجتَهِدْ في الحصول عليها.

٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعتَ كُلَّ مُوَحِّدٍ وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعتَ كُلَّ مُوَحِّدٍ» يعني: لا تقتُلْ أيَّ نفسٍ، لكن انظر للموحِّدين واقتلهم.

قَوْلُهُ: «وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ» القَسُّ هو القِسِّيسُ عالمُ النصارى.

قَوْلُهُ: «الصُّلْبَان»: الصليب الذي يعبدُه النصارى، يقول: تَمَسَّحَنْ بهما.

٢٦٦٥- وَاشْتُمْ جَمِيعَ الـمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَاشْتُمْ جَمِيعَ الـمُرْسَلِينَ» أعوذ بالله، كُلُّ رسولٍ اشْتُمْه.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَتَوْا من عِنده» أي: الله عزَّ وجلَّ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

٢٦٦٦-وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا بَلْ خِرَّ لِلأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ

إذا رأيت حجرًا مُلْقًى في السوق فاسجدْ له، بل إذا رأيتَ معبودًا من دون الله من الأوثان وغيرها فاسجدْ له.

٢٦٦٧-وَأَقِرَّ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ هُوَ وَحْدَهُ الْبَارِي لِذِي الأَكْوَانِ

٢٦٦٨-وَأَقِرَّ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٢٦٦٩- فَتَكُونَ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا وِزْرٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكُفْرَانِ

٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الإِرْجَاءُ عِنْدَ غُلاتِهِمْ مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «الباري» في نسخةٍ (البادي)، والصوابُ: (الباري) يعني الخالقَ.

أعوذ بالله، فهو قادنا إلى أن تؤمنَ بوجود الله فقط، وافعل ما شئت.

فإذا قال: أنا مؤمنٌ بالله بأنَّه الرَّبُّ خالقُ المخلوقات، وأنَّه الباري، ثُمَّ فعل ما قال المؤلف؛ أخذ المصاحفَ ورمى بها في الحشوش، أو ذهب إلى الكعبة ودمَّرها، أو ذهب إلى كُلِّ موحِّدٍ وقتلَه، أو تمسَّح بالقَسِّ والصلبان....إلى آخر ما قال المؤلف فهو عندهم مؤمنٌ كاملُ الإيمان، هذا هو إرجاءُ الجهميَّة، فالإيمانُ عندهم أن تُقِرَّ بوجود الله فقط، والباقي افعل ما شئتَ.

فلو سببتَ اللهَ ليس هناك مانعٌ عندهم، سُبَّ الله لكن تؤمن بأنه موجودٌ.

الرُّسل سُبَّهم، وقلْ فيهم ما شئتَ، ولكن آمن بأنَّهم رسلٌ من عند الله فقط؛ ولهذا قال: «**فتكون حقًّا مؤمنًا وجميع ذَا وِزْرٌ عليك**» كُلُّ هذه الأفعال وزرٌ ولكن ليست بكفر؛ لأنك مؤمنٌ كاملُ الإيمان.

٢٦٧١- فَأَضِفْ إِلَى الـجِيمَيْنِ جِيمَ تَجَهُّمٍ وَانْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالأَرْسَانِ

قَوْلُهُ: «**فَأَضِفْ إِلَى الجِيمَيْنِ**» اللذين سبقا؛ جيمُ الجبر وجيمُ الإرجاء، وبقيت جيمُ التجهُّم.

قَوْلُهُ: «**جيم التجهُّم**» هي عبارة عن تعطيل الباري عزَّ وجلَّ من أوصافه، فجيمُ التجهُّم هي نفيُ الصفات.

٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ بِسَرَائِرٍ مِنَّا وَلا إِعْلانِ

أعوذ بالله، إذا كان لا يعلمُ سرائرَنا ولا إعلاننا إِذَنْ هو جاهلٌ، فلا يُوجَدُ مانعٌ عندهم؛ لأنه يقول: اشتُمِ اللهَ ولا يُهِمُّك ما دمتَ مؤمنًا بوجوده.

٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلا عَدْلٍ وَلا إِحْسَانِ

يقولون ذلك لأنَّهم ينفون الصفاتِ كُلَّها.

٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى الْـ ـــعَدَمِ الَّـذِي لا شَيْءَ فِي الأَعْيَـانِ

لأنهم إذا قالوا: إنَّ اللهَ لا داخلَ العالـمِ ولا خارجَه ولا فوقَ، ولا تحتَ، ولا يمينَ، ولا شمال، ولا متصل، ولا منفصل، صار عدمًا.

٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِـنْ مُـتكَلِّمٍ بِـــأَوَامِرٍ وَزَوَاجِـــرٍ وَقُـــرَانِ

لأنهم يقولون: الكلامُ مخلوقٌ، واللهُ لا يتكلَّمُ.

٢٦٧٦- كَــلَّا وَلَا كَلِـمٌ إِلَيْـهِ صَـاعِدٌ أَبَـدًا وَلا عَمَـلٍ لِـذِي شُـكْرَانِ

لأنهم لو أثبتوا أنَّ العملَ يصعدُ إلى الله لأثبتوا أنَّ اللهَ فوق، وهم لا يُقِرُّون بهذا.

٢٦٧٧- أَنَّى وَحَظُّ العَرْشِ مِنْـهُ كَحَـظِّ مَـا تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الحَضِيضِ الـدَّانِي

قَوْلُهُ: «أَنَّى» يعني: كيف يكونُ ذلك؟! يقولون: الذي عند العرش والذي في أسفل السَّافلين هما عند الله في القرب سواءٌ.

سبحان الله! هل يمكنُ هذا؟ قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء:١٩] وقال تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠] لو كانوا سواءً لكان الذي في الأرض السُّفلى عند العرش، وكان الذي في الأرض السُّفلى عند الله، فلا يُفرِّقون؛ لأنَّهم لا يَرَوْنَ العلوَّ.

٢٦٧٨- بَـلْ نِسْـبَةُ الـرَّحْمَنِ عِنْـدَ فَـرِيقِهِمْ لِلْعَـــرْشِ نِسْـــبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَـــانِ

٢٦٧٩- فَعَلَــيْهِمَا اسْـتَوْلَى جَمِيعًــا قُــدْرَةً وَكِلاهُمَــا مِــنْ ذَاتِـهِ خِلْـوَانِ

يقولون: إنَّ اللهَ استوى على العرش، يعني: استولى عليه، وكذلك الْبُنْيَان

الذي في الأرض استولى عليه.

إِذَنْ نسبةُ البنيانِ إلى الله كنسبةِ العرشِ إلى الله، كلاهما قد استولى عليه اللهُ عزَّ وجلَّ.

٢٦٨٠- هَـذَا الَّـذِي أَعْطَتْـهُ جِـيمُ تَجَهُّـمٍ حَشْـوًا بِـلَا كَيْـلٍ وَلا مِيـزَانِ

إِذَنْ ما الذي أعطته جيم التجهُّم؟ الجواب: لا شيء، أي: تعطيلُ الله حقيقةً.

لكن أيُّهُنَّ أشدُّ: جيمُ الجبرِ، أو جيمُ الإرجاءِ، أو جيمُ التجهُّمِ؟ الجواب: كُلُّهُنّ ظُلُماتٌ بعضُها فوق بعض، كُلُّ واحدةٍ يكونُ الكفرُ عندها، نسألُ اللهَ لنا ولكم الحمايةَ، الحمدُ لله الذي عافانا ممَّا ابتلاهم به.

٢٦٨١- تَاللهِ مَـا اسْـتَجْمَعْنَ عِنْـدَ مُعَطِّـلٍ جِيمَاتُهَـا وَلَدَيْـهِ مِـنْ إِيـمَانِ

ونحن نُقْسِمُ كما أَقْسَمَ -رحمه الله- أنَّه ما من إنسانٍ يعتقدُ هذا الاعتقادَ إِلَّا وهو كافرٌ بالله بلا شَكٍّ، ولا نَشُكُّ في هذا.

٢٦٨٢- وَالـجَهْمُ أَصَّلَهَا جَمِيعًـا فَاغْتَـدَتْ مَقْسُـومَةً فِي النَّـاسِ بِالـمِيزَانِ

هو أَصَّلَ هذه الأصولَ الثلاثةَ، ومع ذلك تقسَّمَت بين الناس، فمثلًا: التعطيلُ هل اختصَّ به الجهميَّةُ؟ الجواب: لا، والإرجاء والجبر كذلك، فيوجد أناسٌ أخذوا من الجبر شيئًا، وأُناس أخذوا من الإرجاء شيئًا، وأناسٌ أخذوا من التعطيل شيئًا، فتقسَّمها الناس، لكن أصل الثلاثة من عند الجهم -نسألُ اللهَ العافيةَ- فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة.

٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُـمْ أَصْـحَابُهَا لا شِـيعَةُ الإِيـمَانِ

وهذا صحيحٌ، أمَّا شيعةُ الإيمانِ فسالمون منها، ولله الحمد.

٢٦٨٤- لَكِـنْ تَقَسَّـمَتِ الطَّوَائِـفُ قَوْلَـهُ ذُو السَّـهْمِ وَالسَّـهْمَيْنِ وَالسُّـهْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ» أي: طوائفُ أهل البدع تَقَسَّموا قوله.

قَوْلُهُ: «ذُو السَّهْم والسَّهْمَيْنِ والسُّهْمَانِ» يعني أنَّ الناسَ أخذوا من هذا التعطيل، منهم مَن عَطَّلَ سهمًا، سهمين، ثلاثة، أكثر، لكن أَصْلُ البلاء من الجهم.

٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الحَدِيثِ المحْضِ أَتْـ ـبَاعُ الرَّسُـولِ وَتَـابِعُو القُـرْآنِ

٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَـعْ عِلْـمٍ بِـمَا قَالَ الرَّسُولُ فَهُـمْ أُولُـو العِرْفَـانِ

٢٦٨٧- وَسِوَاهُمُ فِي الجَهْلِ وَالدَّعْوَى مَـعَ الْـ ـكِبْرِ العَظِـيمِ وَكَثْـرَةِ الـهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «وسِواهم» يعني: سوى أهلِ الحديث.

قَوْلُهُ: «فِي الجَهْل والدَّعْوَى» هاتان خَصلتان ذميمتان: جهلٌ، ودعوى كمالٍ.

فأهلُ التعطيل بل أهلُ البدع كُلُّهم عندهم الجهلُ العظيمُ، وعندهم دعوى الكمال، تجدُ الصوفِيَّ مثلًا -ولا أجهلَ من الصوفِـيِّ- يدَّعِي أنَّه هو العالِـمُ، وهو صاحبُ الكمال، وهو العابدُ لله، وأنَّ مَن سواه ليس عنده رِقَّةُ قلبٍ ولا لينُ قلبٍ ولا توجُّهٍ إلى الله، وهكذا أهلُ البدع كُلُّهم عندهم جهلٌ ودعوى.

قَوْلُهُ: «مَعَ الكِبْرِ العَظِيم» هذه هي الخَصْلَةُ الثالثةُ، وبئسها خَصلة.

قَوْلُهُ: «وَكَثْرةِ الـهَذَيَان» هذه هي الخصلةُ الرابعةُ، تجدُ كلامًا طويلًا عريضًا مُزَخْرَفًا، وليس فيه فائدة.

فهذه أربعةُ أوصافٍ: الجهل، الدعاوَى الباطلة، الكِبْر، الهذيان، هذه سماتُ أهلِ البدع، نسألُ اللهَ أن يسلِّمَنا وإيَّاكم منهم.

٢٦٨٨- مَـدُّوا يَـدًا نَحْـوَ العُـلَى بِتكَلُّـفٍ وَتَخَلُّـــفٍ وَتكَـــبُّرٍ وَتَـــوَانِ

يعني: هم يدَّعون أنهم هم أصحابُ العُلَى، ويمدُّون أيديَهم إليها، لكن مع هذه الأوصاف لا يمكنُ أن ينالوها؛ ولهذا قال:

٢٦٨٩- أَتُـرَى يَنَالُوهَـا وَهَـذَا شَـأْنُهُمْ؟ حَاشَا العُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِـي

العُلَى لا ينالُه مِثْلُ هؤلاء الزبائن، فلا ينالُ العُلَى إلَّا أصحابُ العُلَى، أمَّا هؤلاء فلن ينالوها.

والحقيقةُ أنَّ هذا الكتابَ -سبحان الله- بَيَّنَ لنا أحوالًا كثيرةً من أحوال البدع، ما كُنَّا نظنُّ أنَّها تصلُ إلى هذا الـحدِّ، خصوصًا في هذا الفصل؛ ولهذا نقول: جزاه اللهُ خيرًا، هو أذاعها بعد اللَّتيَّا والَّتي، والحمد لله أنه أذاعها، وصار فيها عبرةٌ، وتَعَجَّبْ كيف تصلُ الـحالُ بهؤلاء القوم إلى ما وصف ابنُ القيِّم -رحمه الله-؟!

* * *

فصل

فِي جَوَابِ الرَّبِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا سَأَلَ الْمُعَطِّلَ وَالْمُثْبِتَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

٢٦٩٠- وَسَلِ الـمُعَطِّلَ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى ... فِئَتَانِ عِنْدَ اللهِ يَخْتَصِمَانِ؟

٢٦٩١- إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا ... بِعُقُولِهَا وَبِفِكْرَةِ الأَذْهَانِ

٢٦٩٢- سَمَّتْهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ ... أَوْلَى مِنَ الـمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ

٢٦٩٣- وَالنَّصُّ قَطْعًا لا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ ... وَلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلانِ

٢٦٩٤- قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ ... فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الأَكْوَانِ

٢٦٩٥- وَالْعَرْشَ أَخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْ ... قَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِـمَكَانِ

٢٦٩٦- وَكَذَاكَ لَسْتَ بِقَائِلِ الْقُرْآنِ بَلْ ... قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

٢٦٩٧- وَنِسْبَتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التَّـ ... ـشْرِيفِ تَعْظِيمًا لِذِي[1] القُرْآنِ

٢٦٩٨- وَكَذَاكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى ... إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الـجُثْمَانِ

٢٦٩٩- وَكَذَاكَ قُلْنَا: لَسْتَ ذَا وَجْهٍ وَلا ... سَمْعٍ وَلا بَصَرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!

٢٧٠٠- وَكَذَاكَ قُلْنَا: لا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّ ... نْيَا وَلا يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

---

(١) كذا في الأصول، وفي نسخة الإفتاء: «لذا».

٢٧٠١- وَكَذَاكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانِ

٢٧٠٢- مَا ثَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مِثْلًا عَلَى مِثْلٍ بِلَا رُجْحَانِ

٢٧٠٣- لَكِنَّ مِنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

٢٧٠٤- هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضَتْهُ عُقُولُنَا وَعُقُولِ أَشْيَاخٍ ذَوِي عِرْفَانِ

٢٧٠٥- قَالُوا لَنَا: لا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْـ ـوَحْيَيْنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الإِيمَانِ

٢٧٠٦- بَلْ فَكِّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمُ أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلانِ

٢٧٠٧- فَلِأَجْلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظَ آ ثَارٍ وَلا خَبَرٍ وَلا قُرْآنِ

٢٧٠٨- إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْزُولَةٌ عَنْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

الشرحُ

يقول ابنُ القيِّم -رحمه الله- في هذا الفصل:

٢٦٩٠- وَسَلِ الـمُعَطِّلَ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى فِئَتَانِ عِنْدَ اللهِ يَخْتَصِمَانِ؟

إنه سيجتمعُ عند الله يوم القيامة فئتان تختصمان في الله: فئةٌ معطِّلةٌ، وفئةٌ مُثْبِتَةٌ، أمَّا المعطِّلةُ فحكَّموا العقلَ، وتركوا النقلَ؛ ولذا قال:

٢٦٩١- إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا بِعُقُولِهَا وَبِفِكْرَةِ الأَذْهَانِ

٢٦٩٢- سَمَّتْهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ أَوْلَى مِنَ الـمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «سَمَّتْهُ مَعْقُولًا» أي: موصوفًا بمقتضى العقل.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّهُ» أي: ما دلَّت عليه العقول (أَوْلَى مِنَ المَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ) يعني أنَّ المعقولَ عندهم أَوْلَى من المنقول.

٢٦٩٣- وَالنَّصُّ قَطْعًا لا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ وَلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ قَطْعًا لا يُفِيدُ» ماذا يفيدُ؟ الجوابُ: يفيدُ الظنَّ، يعني: والنصُّ لا يفيدُ قطعًا، هذا معنى البيت.

قَوْلُهُ: «فنحنُ أَوَّلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلانِ» يعني: سَلَكْنا في هذه النصوص أحدَ مسلكَيْن: إمَّا التأويل، وإمَّا التفويض، مع أنَّ ما يُسَمُّونه تأويلًا هو في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنَّ اللفظَ لا يدلُّ عليه.

٢٦٩٤- قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الأَكْوَانِ

٢٦٩٥- وَالْعَرْشَ أَخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْ قَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانِ

٢٦٩٦- وَكَذَاكَ لَسْتَ بِقَائِلِ الْقُرْآنِ بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ» أي: محمدٌ -صلواتُ الله وسلامُه عليه-.

وهذا كقول إمامِهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥].

٢٦٩٧- وَنِسْبَتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التَّـ ـشْرِيفِ تَعْظِيمًا لِذِي القُرْآنِ

يعني: نَسَبْتَ القرآنَ إليك نسبةَ تشريفٍ فقط، لا على أنَّه صفةٌ من صفاتِك، فقولنا: (القرآنُ كلامُ الله) كقولنا: (ناقةُ صالحٍ ناقةُ الله).

٢٦٩٨- وَكَذَاكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الجُثْمَانِ

٢٦٩٩- وَكَذَاكَ قُلْنَـا: لَسْـتَ ذَا وَجْـهٍ وَلا سَمَعٍ وَلا بَصَـرٍ فَكَيْـفَ يَـدَانِ؟!

وكُلُّ هذا سبق.

٢٧٠٠- وَكَذَاكَ قُلْنَا: لَا تُرَى فِي هَـذِهِ الـدْ دُنْيَـا وَلا يَـوْمَ المَعَـادِ الثَّـانِي

هاهنا مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: «لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا»، وهذه المسألةُ اختلف فيها علماءُ السَّلف، هل يُرَى اللهُ في الدنيا أو لا؟

واختلافهم ليس لكُلِّ أحدٍ، بل للنَّبيِّ ﷺ هل رأى ربَّه أو لا؟

والراجح أنه لم يرَ اللهَ -سبحانه وتعالى-، وقد سُئِل هو نفسُه -صلوات الله وسلامه عليه-: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «رَأَيْتُ نُورًا»[1]، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[2]؛ لأنَّ بيننا وبين الله حُجُبًا عظيمةً من النور، لا يُرَى مِن ورائِها الرَّبُّ -جَلَّ وعلا-؛ ولهذا لـمَّا قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣] اندكَّ الجبلُ لعظمة الله ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: غُشِي عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] ففي الدنيا لا أحدَ يقومُ برؤية الله أبدًا، ولا يستطيعُ.

وأمَّا قولُه تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٨-٩] فالمرادُ به جِبريلُ على القولِ الراجح.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٢) هو رواية من الحديث السابق.

وما ورد من أنَّ بعضَ السَّلف يرى اللهَ في المنام، فاللهُ أعلم، فأنا متوقِّفٌ في هذا، وإلَّا فقد نُسِبَ هذا القول للإمام أحمد، أمَّا النَبيُّ ﷺ فقد رأى ربَّه في المنام[1].

المسألة الثانية: قوله: «**وَلا يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي**» يعني: في الآخرة لا يُرَى، وهذا لم يقلْ به أحدٌ من أهل السُّنَّة، بل اتَّفقَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ اللهَ تعالى يُرَى يوم القيامة عِيانًا بالبصر كما تُرَى الشَّمسُ.

٢٧٠١- وَكَذَاكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ ... مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانِ

يعني: ليس لفعل الله حكمةٌ، مِن أَجْلِ هذه الحكمة خصَّ الفعلَ بهذا الزمان المعيَّن.

فأفعالُ الله عزَّ وجلَّ تتجدَّد، يفعلُ هذا في يومٍ، ولا يفعلُه في يومٍ آخر.

لماذا فعله في هذا اليوم؟ الجوابُ: لحكمةٍ اقتضت تخصيصَه في هذا اليوم.

لماذا رَضِي عن هذا الرجلِ دون ذاك الرجل؟ الجواب: لحكمةٍ اقتضت الرِّضى؛ ولهذا قال: (**مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِن أَجْلِها**)، أي: مِن أَجْلِ هذه الحكمة (**خصَّصته**) أي: الفعل خصَّصْتَهُ بزمان، يعني: نحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ خصَّ هذا الزمنَ بهذا الفعل لحكمة.

فمثلًا: النزول إلى السَّماء الدنيا متى يكون؟ الجواب: في ثلث الليل الآخر، لماذا خصَّه اللهُ بهذا؟ الجواب: لحكمةٍ؛ لأنَّ هذا الجزءَ من الليل أطيبُ ما يكونُ الإنسانُ فيه نومًا ولذةَ نوم، فإذا هجر الإنسانُ فراشَه وقام يناجي اللهَ في صلاته كان هذا دليلًا على كمالِ إيمانه.

---

(١) كما في حديث: «إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؟ فَقَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟». أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤).

٢٧٠٢- مَا ثَـمَّ غَـيْرُ مَشِـيئَةٍ قَـدْ رَجَّحَـتْ ... مِـثْلًا عَـلَى مِثْـلٍ بِـلَا رُجْحَـانِ

يقولون: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يفعلُ الشيءَ بمشيئته لمجرد المشيئة، شاء أن يكونَ هذا فكان، وشاء ألَّا يكون الثاني فلم يكن، لكن ليس هناك حكمةٌ.

٢٧٠٣- لَكِـنَّ مِنَّـا مَـنْ يَقُـولُ بِحِكْمَـةٍ ... لَيْسَـتْ بِوَصْـفٍ قَـامَ بِـالرَّحْمَنِ

هذا قولٌ آخر لـهم، يقولون: إنَّ اللهَ يفعلُ لـحكمةٍ، لكن ليست الـحكمةُ وصفًا له؛ لأنه لا تقـومُ به الصفاتُ، فهي شيءٌ منفصلٌ بَائِنٌ يتعلَّـقُ بالمفعول لا بالفعل.

فمثلًا: الأنعام خلقها اللهُ عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥] فيقولون: الحكمةُ ليست صفةً الله، ولكن في نفس المفعول، لا في فعل الفاعل.

٢٧٠٤- هَـذَا وَقُلْنَـا مَـا اقْتَضَـتْهُ عُقُولُنَـا ... وَعُقُـولِ أَشْـيَاخٍ ذَوِي عِرْفَـانِ

٢٧٠٥- قَالُوا لَنَا: لا تَأْخُـذُوا بِظَـوَاهِرِ الْـ ... ـوَحْيَيْنِ تَنْسَـلِخُوا مِـنَ الإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «قالوا لنا» مَن الذين قالوا لهم؟ الجوابُ: الأشياخُ.

قَوْلُهُ: «**لا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الوَحْيَيْنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الإِيمَانِ**» أعوذ بالله، يقولُ هؤلاء الأشياخُ: إنْ أخذتم بظواهر الوحيَيْن، وقلتم: لله يدٌ، ولله وجهٌ، ولله عينٌ، ولله نزولٌ، انسلختم من الإيمان؛ لأنَّهم يدَّعون أنَّ هذا القولَ يستلزمُ تمثيلَ الله بالخلق، ومَن مَثَّلَ اللهَ بخلقه فهو كافرٌ.

٢٧٠٦- بَـلْ فَكِّـرُوا بِعُقُـولِكُمْ إِنْ شِـئْتُمُ ... أَوْ فَـاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْـلِ فُـلانِ

٢٧٠٧- فَلِأَجْلِ هَـذَا لَـمْ نُحَكِّـمْ لَفْـظَ آ   ثَـــارٍ وَلا خَـــبَرٍ وَلا قُـــرْآنِ

٢٧٠٨- إِذْ كُـــلُّ تِلْـــكَ أَدِلَّـــةٌ لَفْظِيَّـــةٌ   مَعْزُولَـةٌ عَـنْ مُقْتَضَـــى البُرْهَـانِ

يعني: لا ترجعوا للقرآنِ والسُّنَّة في إثبات الصفات لله، أو نفيها عنه، بل فَكِّرْ بعقلك، كأنك لا تقدر، إِذَنْ قَلِّدْ عقلَ فلان.

وكُلُّ هذا الفصلِ للخصمْ، والخصمُ هنا هم المعطِّلةُ.

* * *

فصــل

٢٧٠٩- وَالآخَـرُونَ أَتَـوْا بِـمَا قَـدْ قَالَـهُ ... مِـنْ غَـيْرِ تَحْرِيـفٍ وَلا كِـتْمَانِ

٢٧١٠- قَـالُوا: تَلَقَّيْنَـا عَقِيـدَتَنَا عَـنِ الْـ ... ـوَحْيَيْنِ بِالأَخْبَـارِ وَالقُـرْآنِ

٢٧١١- فَالحُكْمُ مَا حَكَمَا بِـهِ لا رَأْيُ أَهْـ ... ـلِ الاخْتِلافِ وَظَنُّ ذِي الحُسْبانِ

٢٧١٢- آراؤُهُـمْ أَحْـدَاثُ هَـذَا الـدِّينِ نَـا ... قِضَـةٌ لِأَصْـلِ طَهَـارَةِ[1] الإِيـمَانِ

٢٧١٣- آرَاؤُهُمْ رِيـحُ الـمَقَاعِدِ أَيْـنَ تِلْـ ... ـكَ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيحانِ؟

٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْـتَ رَقِيبُنَـا وَشَـهِيدُنَا[2] ... مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّـانِ

٢٧١٥- إِنَّـا أَبَيْنَـا أَنْ نَـدِينَ بِبِدْعَـةٍ ... وَضَـلالَةٍ أَوْ إِفْـكِ ذِي بُهْتَـانِ

٢٧١٦- لَكِـنْ بِـمَا قَـدْ قُلْتَـهُ أَوْ قَالَـهُ ... مَـنْ قَـدْ أَتَانَـا عَنْـكَ بِالفُرْقَـانِ

٢٧١٧- وَكَـذَاكَ فَارَقْنَـاهُمْ حِـينَ احْتِيَـا ... جِ النَّـاسِ لِلأَنْصَـارِ وَالأَعْـوَانِ

٢٧١٨- كَـيْلا نَصِـيرَ مَصِـيرَهُمْ فِي يَوْمِنَـا ... هَـذَا وَنطْمَـعُ مِنْـكَ بِـالْغُفْرَانِ

٢٧١٩- فَمَـنِ الَّـذِي مِنَّـا أَحَـقُّ بِأَمْنِـهِ؟ ... فَـاخْتَرْ لِنَفْسِـكَ يَـا أَخَـا العِرْفَـانِ

٢٧٢٠- لا بُـدَّ أَنْ نَلْقَـاهُ نَحْـنُ وَأَنْـتُمُ ... فِي مَوْقِفِ العَرْضِ العَظِيمِ الشَّـانِ

---

(١) في نسختي ابن سحمان: «ظاهر».

(٢) في نسختي ابن سحمان: «قالوا: وأين رقيبنا وشهيد».

٢٧٢١- وَهُنَــاكَ يَسْــأَلُنَا جَمِيعًــا رَبُّنَــا   وَلَدَيْــهِ قَطْعًــا نَحْــنُ مُخْتَصِــمَانِ

٢٧٢٢- فَنَقُــولُ: قُلْــتَ كَــذَا وَقَــالَ نَبِيُّنَــا   أَيْضًــا كَــذَا فَإِمَامُنَــا الوَحْيَــانِ

٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَـا مَـا أَنْـتَ أَهْـلٌ بَعْـدَ ذَا   نَحْنُ العَبِيـدُ وَأَنْـتَ ذُو الإِحْسَـانِ

٢٧٢٤- أَفَتَقْـدِرُونَ عَـلَى جَـوَابٍ مِثْـلِ ذَا   أَمْ تَعْــدِلُونَ إِلَى جَــوَابٍ ثَــانِ

٢٧٢٥- مَــا فِيــهِ قَــالَ اللهُ قَــالَ رَسُــولُهُ   بَــلْ فِيـهِ قُلْنَـا مِثْـلَ قَـوْلِ فُـلانِ

٢٧٢٦- وَهْــوَ الَّــذِي أَدَّتْ إِلَيْــهِ عُقُولُنَــا   لَــمَّا وَزَنَّــا الْــوَحْيَ بِالْــمِيزَانِ

٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكُـمُ الــجَوَابُ مُخَلِّصًــا   فَامْضُــوا عَلَيْــهِ يَــا ذَوِي العِرْفَــانِ

٢٧٢٨- تَاللهِ مَـا بَعْـدَ البَيَـانِ[1] لِـمُنْصِفٍ   إلا العِنَــادُ ومَرْكَــبُ الــخِذْلانِ

الشَّــرحُ

هذا الفريقُ الثاني، نسأَلُ اللهَ أن يجعَلَنا وَإِيَّاكم منهم.

٢٧٠٩- وَالآخَــرُونَ أَتَــوْا بِــمَا قَــدْ قَالَــهُ   مِــنْ غَــيْرِ تَحْرِيــفٍ وَلا كِــتْمَانِ

قَوْلُهُ: «قاله» الضمير في (قال) يعوُد على الله عزَّ وجلَّ.

٢٧١٠- قَــالُوا: تَلَقَّيْنَــا عَقِيـدَتَنَا عَـنِ الْــ   ــوَحْيَيْنِ بِالأَخْبَــارِ وَالقُــرْآنِ

هذا مصدرُ تلقِّي العقيدة من الكتاب والسُّنَّة، وليس هناك مصدرُ تلقٍّ سواهما.

٢٧١١- فَالــحُكْمُ مَا حَكَمَا بِـهِ لا رَأْيُ أَهْــ   ــلِ الاختِلافِ وَظَنُّ ذِي الحُسْبانِ

قَوْلُهُ: «الحُكْمُ مَا حَكَمَا بِهِ» أي: الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) في نسخة برلين: «الزمان».

٢٧١٢- آراؤُهُمْ أَحْدَاثُ هَذَا الدِّينِ نَا ... قِضَةٌ لِأَصْلِ طَهَارَةِ الإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «آراؤُهُمْ أَحْدَاثُ» (أَحْدَاثٌ): جمع (حَدَث)، والحَدَثُ ينقضُ الوضوءَ، وآراءُ هؤلاء تنقُضُ أصلَ طهارة الإيمان.

والحَدَث هو البول والغائط، فالبولُ والغائطُ ينقضان الوضوء، وهذه الأحداثُ التي أَتَوْا بها تنقضُ أصلَ طهارة الإيمان.

٢٧١٣- آرَاؤُهُمْ رِيحُ المَقَاعِدِ أَيْنَ تِلْـ ... ـكَ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيحَانِ؟

قَوْلُهُ: «آرَاؤُهُمْ رِيحُ المَقَاعِدِ» ريحُ المقاعدِ طيِّبةٌ أو خبيثةٌ؟ الجواب: خبيثةٌ.

قَوْلُهُ: «أين تِلْكَ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيحانٍ؟!» الله أكبر، بينهما كما بين السَّماء والأرض.

٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْتَ رَقِيبُنَا وَشَهِيدُنَا ... مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا» أي: الآخرون.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتَ» يخاطبونَ اللهَ -سبحانه وتعالى-.

وفي قولهم: «مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ» إثباتُ الاستواءِ على العرش، وأولئك القوم السَّابقون في الفصل الأول لا يُقِرُّون بهذا.

٢٧١٥- إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِبِدْعَةٍ ... وَضَلالَةٍ أَوْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

٢٧١٦- لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ ... مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَه» يعني: نَدينُ بما قد قلتَه.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالفُرْقَانِ» يعني الرسولَ ﷺ.

يعني: لا ندينُ إلَّا بقولِ الله أو قولِ رسولِه.

٢٧١٧- وَكَــذَاكَ فَارَقْنَــاهُمْ حِــينَ احْتِيَــا ... جِ النَّــاسِ لِلأَنْصَــارِ وَالأَعْــوَانِ

قَوْلُهُ: «فَارَقْناهُم» أي: فارقنا الفريقَ الأوَّلَ، وهم أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «حِينَ احتياجِ النَّاسِ لِلأَنْصَارِ وَالأَعْوَانِ» يعني: مع حاجتنا إليهم فارقناهم؛ لأنَّنا فارقناهم لله، فنحن مستَغنون بالله عنهم.

٢٧١٨- كَـيْلا نَصِـيرَ مَصِـيرَهُمْ فِي يَوْمِنَـا ... هَــذَا وَنطْمَــعُ مِنْــكَ بِــالْغُفْرَانِ

يعني: فارقناهم مع الحاجة إليهم؛ لئلا يصيرَ مصيرُنا كمصيرهم في هذا اليوم، فنحن نطمَعُ منك بالغفران.

ثُمَّ قال يخاطِبُ الفريقَ السَّابقَ ذكرُه:

٢٧١٩- فَمَــنِ الَّــذِي مِنَّــا أَحَــقُّ بِأَمْنِــهِ؟ ... فَــاخْتَرْ لِنَفْسِــكَ يَــا أَخَــا العِرْفَــانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنِ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟» أي: مَن: أولئك القوم أو هؤلاء؟ الجواب: هؤلاء القوم -بلا شَكٍّ- أحقُّ بذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

٢٧٢٠- لا بُــدَّ أَنْ نَلْقَــاهُ نَحْــنُ وَأَنْــتُمُ ... فِي مَوْقِفِ العَرْضِ العَظِيمِ الشَّــانِ

نعم، والله لا بُدَّ أنْ نَلْقَى خصومَنا يومَ العرضِ على الله في ذلك اليوم العظيم الشأن، قال اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦].

٢٧٢١- وَهُنَــاكَ يَسْــأَلُنَا جَمِيعًــا رَبُّنَــا ... وَلَدَيْــهِ قَطْعًــا نَحْــنُ مُخْتَصِــمَانِ

٢٧٢٢- فَنَقُولُ: قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِيُّنَا أَيْضًا كَذَا فَإِمَامُنَا الوَحْيَانِ

٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا نَحْنُ العَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الإِحْسَانِ

يعني: نحن حَكَّمْنَا الكتابَ والسُّنَّةَ فافعلْ بنا ما أنت أهلُه بعد هذا، وما هو الذي أهلُه؟ هو أهلُ التقوى، وأهلُ المغفرة، وأهلُ الفضل والإحسان.

٢٧٢٤- أَفَتَقْدِرُونَ عَلَى جَوَابٍ مِثْلِ ذَا أَمْ تَعْدِلُونَ إِلَى جَوَابٍ ثَانِ

٢٧٢٥- مَا فِيهِ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلانِ

قَوْلُهُ: «أفتقدِرون» يخاطبُ الفئةَ السابِقَ ذِكْرُها.

٢٧٢٦- وَهْوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُنَا لَـمَّا وَزَنَّا الْوَحْيَ بِالْـمِيزَانِ

يعني: وزنَّا بين الوحي وبين العقل فرجَّحنا العقلَ.

٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكُمُ الـجَوَابُ مُخَلِّصًا فَامْضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي العِرْفَانِ

والجواب ليس بِمُخَلِّصٍ، لكنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- يتهكَّمُ بهم، فيقول: (يا ذوي العِرفانِ) وما أبعدَهُم عن العِرفان!

٢٧٢٨- تَاللهِ مَا بَعْدَ البَيَانِ لِـمُنْصِفٍ إلا العِنَادُ ومَرْكَبُ الـخِذْلانِ

إِذَنْ هذان الخَصمان حَسَبَ ما تقتضيه الأدلةُ الشرعيَّةُ الرابحُ منهما هو الخصمُ الثاني ذكرًا، السَّابقُ مرتبةً، والخاسرُ هو الأوَّلُ ذِكْرًا الآخِر مرتبةً.

فأنت الآن اخترْ لنفسك أن تكون مثلَ هؤلاء أو مثلَ هؤلاء، وكُلُّ عاقلٍ سوف يختارُ أن يكونَ مِـمَّن حكَّموا كتابَ الله وسُنَّـةَ رسولِهِ ﷺ.

* * *

فصل

فِي تَحْمِيلِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ لِلْمُعَطِّلِينَ شَهَادَةً تُؤَدَّى عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ

٢٧٢٩- يَا أَيُّهَا الْبَاغِي عَلَى أَتبَاعِهِ ... بِالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

٢٧٣٠- قَدْ حَمَّلُوكَ شَهَادَةً فَاشْهَدْ بِهَا ... إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا لَدَى الرَّحْمَنِ

٢٧٣١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ إِنْ سُئِلْتَ بِأَنَّهُمْ ... قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالأَكْوَانِ

٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْـ ... عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!

٢٧٣٣- وَالأَمْرُ يَنْزِلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْـ ... أَقْطَارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

٢٧٣٤- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ ... مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ

٢٧٣٥- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ ... عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ

٢٧٣٦- وَكَذَلِكَ الأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا ... مِنْ هَاهُنَا حَقًّا إِلَى الدَّيَّانِ

٢٧٣٧- وَكَذَاكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا ... تَرْقَى إِلَيْهِ وَهْوَ ذُو إِيمَانِ

٢٧٣٨- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٢٧٣٩- سَمِعَ الأَمِينُ كَلامَهُ مِنْهُ وَأَدْ ... دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

٢٧٤٠- هُوَ قَوْلُ رَبِّ العَالَمِينَ حَقِيقَةً ... لَفْظًا وَمَعْنًى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٢٧٤١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ

٢٧٤٢- سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلامَهُ ... مِنْـهُ إِلَيْـهِ مَسْـمَعَ الآذَانِ

٢٧٤٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنْ ... نَ اللهَ نَـادَاهُ[1] بِـلَا كِـتْمَانِ

٢٧٤٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنْ ... نَ اللهَ نَـادَى قَبْلَـهُ الأَبَـوَانِ

٢٧٤٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنْ ... نَ اللهَ يَسْـمَعُ صَـوْتَهُ الـثَّقَلانِ

٢٧٤٦- وَاللهُ قَـالَ بِنَفْسِـهِ لِرَسُـولِهِ: ... إِنِّـي أَنَـا اللهُ الْعَظِـيمُ الشَّـانِ

٢٧٤٧- واللهُ قَـال بِنَفْسِـهِ لِرَسُـولِهِ: ... اذْهَـبْ إِلَى فِرْعَـوْنَ ذِي الطُّغْيَـانِ

٢٧٤٨- وَاللهُ قَـالَ بِنَفْسِـهِ: ﴿حـم﴾ مَـعْ ... ﴿طه﴾ وَمَعَ ﴿يس﴾ قَوْلَ[2] بَيَانِ

الشَّـرحُ

في هذه الأبيات يقولُ المؤلفُ -رحمه الله-: إنَّ أهلَ السُّنَّة حَمَّلوا أهلَ البِدعة إن كانت تُقْبَلُ شهادتهم هذا الحِمل، حَمَّلوهم الشَّهادةَ، يقولُ:

٢٧٢٩- يَـا أَيُّهَـا الْبَـاغِي عَـلَى أَتبَاعِـهِ ... بِـالظُّلْمِ وَالْبُهْتَـانِ وَالْعُـدْوَانِ

الباغي على أتباعِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالظلمِ والبُهتانِ والعُدوانِ، وهذا وصفُ أهلِ البِدَع بالنسبة لأهلِ السُّنَّة.

٢٧٣٠- قَـدْ حَمَّلُـوكَ شَـهَادَةً فَاشْـهَدْ بِهَـا ... إِنْ كُنْـتَ مَقْبُـولًا لَـدَى الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا» وهو غيرُ مقبول.

---

(١) في نسخ برلين والظاهرية والإفتاء وابن سحمان والتيمورية زيادة «ناداه وناجاه».

(٢) في نسختي ابن سحمان «بقول».

٢٧٣١- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ إِنْ سُـئِلْتَ بِـأَنَّهُمْ قَـالُوا: إِلَـهُ الْعَـرْشِ وَالأَكْـوَانِ

٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْـ عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «**وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ**» لعلَّها بالفاء أحسن للتفريع أي: فاشهد.

قَوْلُهُ: «**قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالأَكْوَانِ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى**» هذا العلوُّ، يعني: اشهد عليهم أنهم وصفوا اللهَ بالعلوِّ.

قَوْلُهُ: «**حَقًّا عَلَى العَرْشِ استَوَى**» هذا فيه إثباتُ العلوِّ وإثباتُ الاستواء، فهو فوق السموات؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وهو استوى على العرش لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

٢٧٣٣- وَالأَمْرُ يَنْزِلُ مِنْـهُ ثُـمَّ يَسِـيرُ فِي الْـ أَقْطَـارِ سُـبْحَانَ الْعَظِـيمِ الشَّـانِ!

قَوْلُهُ: «**الأمرُ يَنزِلُ منه**» ولا نزولَ إلَّا من أعلى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥].

٢٧٣٤- وَإِلَيْـهِ يَصْـعَدُ مَـا يَشَـاءُ بِـأَمْرِهِ مِـنْ طَيِّبَـاتِ الْقَـوْلِ وَالشُّـكْرَانِ

قال الله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

٢٧٣٥- وَإِلَيْـهِ قَـدْ صَـعِدَ الرَّسُـولُ وَقَبْلَـهُ عِيسَى بْنُ مَـرْيَمَ كَـاسِرُ الصُّـلْبَانِ

الرسولُ محمدٌ ﷺ صَعِدَ إلى الله ليلةَ المِعراج إلى السموات السَّبع، إلى موضعٍ سَمِعَ فيه صَرِيفَ الأقلامِ، لم يَصِلْه أحدٌ من البشر فيما نعلم.

قَوْلُهُ: «**وقبلَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ**» كاسر الصُّلبان، وذلك إذا نزلَ -عليه السلام- في آخر الزمان، فإنه «**يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ**

الجِزْيَةَ»[(١)]، فلا يَقْبَلُ إلَّا الإِسْلامَ.

٢٧٣٦- وَكَـذَلِكَ الأَمْـلاكُ تَصْـعَدُ دَائِـمًا مِـنْ هَاهُنَـا حَقًّـا إِلَى الـدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «من هاهنا» أي: من الأرض.

الملائكةُ تصعدُ إلى الله عزَّ وجلَّ في كُلِّ آنٍ وحِينٍ، فهي تصعدُ إلى الله -سبحانه وتعالى- بالأعمال، بالأرواح، وبغير ذلك من أوامره، قال اللهُ تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤] أي: تعرجُ دائمًا وأبدًا.

٢٧٣٧- وَكَـذَاكَ رُوحُ الْعَبْـدِ بَعْـدَ مَـمَاتِهَا تَرْقَـى إِلَيْـهِ وَهْـوَ ذُو إِيـمَانِ

إذا قَبض مَلَكُ الموتِ الرُّوحَ أخذتها الملائكةُ، فصعِدوا بها إلى السَّماء، فإن كان من المؤمنين -أسألُ اللهَ أن يَجْعَلَنا وإِيَّاكم منهم- فُتِّحَت لها أبوابُ السَّماء حتَّى تصعدَ إلى الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، وإن كان من الكافرين فلا تُفَتَّحُ له أبوابُ السَّماء، وتُطْرَحُ رُوحُه طرحًا، وتُرْمَى على الأرض رَمْيًا، وقرأ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- قولَه تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[(٢)] [الحج:٣١].

٢٧٣٨- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ مُـتَكَلِّمٌ بِـالْوَحْيِ وَالْقُـرْآنِ

نعم، هذا القرآنُ الذي بين أيدينا كلامُ رَبِّنا عزَّ وجلَّ تكلَّمَ به حقيقةً لفظًا ومعنًى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢١٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٥).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

٢٧٣٩- سَـمِعَ الأَمِـينُ كَلامَـهُ مِنْـهُ وَأَدْ　　　دَاهُ إِلَى الـمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَـانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الأَمِينَ» أي: جبريلُ -عليه السَّلام-.

وَقَوْلُهُ: «سَمِعَ الأَمِينُ كَلامَهُ مِنْهُ...إلخ» هذا يدلُّ على أنَّ نزولَ القرآنِ من الله إلى جبريلَ إلى محمَّدٍ، وليس من اللَّوْح المحفوظ كما هو مشهورٌ عند كثير من العلماء، بل إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يتكلَّمُ بالقرآن حين إنزالِه فيسمعُه جبريلُ، ثُمَّ ينزلُ به إلى محمَّدٍ ﷺ.

٢٧٤٠- هُـوَ قَـوْلُ رَبِّ العَالَـمِينَ حَقِيقَـةً　　　لَفْظًـا وَمَعْنًـى لَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ

وقد مرَّ علينا هذا كثيرًا، وبيَّنَّا اختلافَ الناسِ في كلام الله.

٢٧٤١- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ　　　قَـدْ كَلَّـمَ الـمَوْلُودَ مِـنْ عِمْـرَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ كَلَّمَ الـمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ» وهو موسى عليه الصلاةُ والسَّلامُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

٢٧٤٢- سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُـولُ كَلامَـهُ　　　مِنْـهُ إِلَيْـهِ مَسْـمَعَ الآذَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلامَهُ» يعني: سَمِعَه بأذنيه، وهذا يدلُّ على أنه بصوتٍ.

٢٧٤٣- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ قَـالُوا بِـأَنْ　　　نَ اللهَ نَـادَاهُ بِـلَا كِـتْمَانِ

قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم:٥٢].

٢٧٤٤- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ قَـالُوا بِـأَنْ　　　نَ اللهَ نَـادَى قَبْلَـهُ الأَبَـوَانِ

قَوْلُهُ: «الأَبَوَانِ» يعني آدمَ وحواء، قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا

عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢].

والتزم المؤلفُ -رحمه الله- في هذا البيت لغةَ مَنْ يُلْزِمُ المثنى الألفَ مطلقًا؛ لأنه قال: (نادى قبله الأبوانِ) ولو جرى على اللغة المشهورة لقال: (الأبوينِ).

٢٧٤٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنْ ... نَ اللهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلانِ

يوم القيام يتكلَّمُ عزَّ وجلَّ بكلامٍ، «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ -الثَّقَلانِ- مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»[1].

٢٧٤٦- وَاللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: ... إِنِّي أَنَا اللهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «**وَاللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ**» وهو موسى عليه السَّلامُ، قال الله تعالى له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤] يزعمُ القائلون بأنَّ موسى سَمِعَ الصَّوتَ من الشَّجرة، فهل يمكنُ أن تقولَ الشَّجرةُ: إني أنا اللهُ؟ الجوابُ: لا يمكنُ.

٢٧٤٧- واللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: ... اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ**» **قال تعالى**: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه:٢٤].

٢٧٤٨- وَاللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ: ﴿حم﴾ مَعْ ... ﴿طه﴾ وَمَعَ ﴿يس﴾ قَوْلَ بَيَانِ

هذا القرآنُ، قال: حتَّى الحروف الهِجائيَّة قالها اللهُ عزَّ وجلَّ، معَ أنَّ الحروفَ الهجائيَّةَ ليس لها معنًى، ومع ذلك قالها الرَّبُّ عزَّ وجلَّ.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦١٣٨)، والبخاري تعليقًا: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

٢٧٤٩- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الإِلَـ ـهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ

٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا عُدْوَانِ

٢٧٥١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ وَكَلامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التِّبْيَانِ

٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِيـ ـنِ إِفَادَةَ الـمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ

٢٧٥٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التْـ ـتَعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالنُّكْرَانِ

٢٧٥٤- إِنَّ الـمُعَطِّلَ وَالـمُمَثِّلَ مَا هُمَا مُتَيَقِّنَيْنِ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ

٢٧٥٥- ذَا عَابِدُ الـمَعْدُومِ لا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الأَوْثَانِ

٢٧٥٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الْـ أَسْمَاءَ وَالأَوْصَافَ لِلدَّيَّانِ

٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَا تِ وَهَذِهِ الأَرْكَانُ لِلإِيمَانِ

٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْـ ـلَمُ غَايَةَ الإِسْرَارِ وَالإِعْلانِ

٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهْوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْـ ـصِرُ كُلَّ مَرْئِيٍّ وَذِي الأَكْوَانِ

٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهْوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْـ ـمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الأَكْوَانِ

٢٧٦١- مُتَكَلِّمٌ وَلَهُ كَلامٌ وَصْفُهُ وَيُكَلِّمُ الـمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ

٢٧٦٢- وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ

٢٧٦٣- وَهُوَ الـمُرِيدُ لَهُ[1] الإِرَادَةُ هَكَذَا أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الإِحْسَانِ

---

(١) في نسخة برلين «وله».

٢٧٦٤- وَالْوَصْفُ مَعْنًى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْـ ... أَسْمَاءُ أَعْلامٌ لَهُ بِوِزَانِ

الشَّرحُ

ذكر المؤلفُ -رحمه الله تعالى- مِن جملة ما حَمَّلَ أهلُ الإثبات أهلَ التعطيل ليشهدوا به عند الله عزَّ وجلَّ، قال:

٢٧٤٩- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الإِلَـ ... ـهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ

وهذه -ولله الحمد- هي عقيدتُنا، أنَّنا نَصِفُ اللهَ بكُلِّ وصفٍ جاء في القرآن، ولا نَجْبُنُ عن وصف الله به إذا كان اللهُ قد وَصَفَ نفسَه بذلك.

٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً ... مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا عُدْوَانِ

أيضًا كُلُّ ما قاله النَّبِيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في وصفِ الله فإنَّنا نصفُ اللهَ به، ولا نتوقَّفُ، ولا نَجْبُنُ، بل نقولُه صريحًا عَلَنًا ونحن مطمئنون ولله الحمد.

٢٧٥١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ ... وَكَلامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التِّبْيَانِ

٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِيـ ... ـنِ إِفَادَةَ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ

قولُ الله ورسولِه نَصٌّ يفيدُ لديهم علمَ اليقين إفادةَ المعلوم بالبرهان، وعند أولئك المعطِّلة أنَّه لا يفيدُ القطعَ ولا اليقينَ، فلا يفيدُ إلَّا الظنَّ، وعرفتم شُبُهاتِهم السَّابقة، ورَدَّ المؤلفُ -رحمه الله- عليهم، قالوا: إنَّ (الرسولَ) يَحْتَمِلُ معانيَ كثيرة، وقالوا: إنَّ (العرشَ) يحتملُ معانيَ كثيرة، و(الاستواءَ) يحتملُ معانيَ كثيرة، وَرَدَّ عليهم -رحمه الله- بِرَدٍّ مُقْنِعٍ سبق.

٢٧٥٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التْـ تَعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالنُّكْرَانِ

التعطيلُ والتمثيلُ طرفان، فالتعطيلُ نفيُ الصفاتِ، والتمثيلُ إثباتُها مع التمثيل، فهما ضِدَّان، أمَّا أهلُ الإثباتِ فأنكروا التعطيلَ والتمثيلَ.

٢٧٥٤- إِنَّ الـمُعَطِّلَ وَالـمُمَثِّلَ مَا هُمَا مُتَيَقِّنَيْنِ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ

وصدق -رحمه الله-، فالمعطِّلُ لم يَعْبُدْ إلهًا يَقِينًا، والممثِّلُ لم يعبدْ اللهَ يقينًا، فكلاهما لم يَعْبُدِ اللهَ يقينًا، لماذا؟ قال:

٢٧٥٥- ذَا عَابِدُ الـمَعْدُومِ لا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الأَوْثَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا عَابِدُ المَعْدُومِ» (ذا) المُشارُ إليه المعطِّلُ، قال عنه: (عَابِدُ المعدومِ).

قَوْلُهُ: «لا سُبْحَانَهُ أَبَدًا» يعني: لا عابدَ مَنْ يُنَزَّه عن النقائص.

قَوْلُهُ: «وَهَذَا عَابِدُ الأَوْثَانِ» هذا هو الثَّاني وهو الممثِّلُ.

٢٧٥٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الْـ أَسْمَاءَ وَالأَوْصَافَ لِلدَّيَّانِ

يعني: أنَّ أهلَ الإثبات (أهل الحديث) أثبتوا الأسماءَ والأوصافَ، فيُثْبِتُون الاسمَ وما دلَّ عليه من صفةٍ.

٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَا تِ وَهَذِهِ الأَرْكَانُ لِلإِيمَانِ

فأثبتوا الأسماءَ وما تَضَمَّنَتْهُ من الأوصاف، وما تضمَّنته هذه الأوصافُ من الأحكام، هذه أركانُ الإيمان باسم الله.

فالإيمانُ باسم الله لا بُدَّ فيه من ثلاثة أركان:

١- أن تؤمنَ به اسمًا لله.

٢- أن تؤمنَ بما تضمَّنه من الصفة.

٣- أن تؤمنَ بالـحُكْمِ الذي يترتَّبُ على هذه الصفة.

وضرب -رحمه الله- لنا أمثلةً، فقال:

٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْـ ـلَمُ غَايَةَ الإِسْرَارِ وَالإِعْلانِ

قَوْلُهُ: «**قَالُوا: عَلِيمٌ**» (عليم) اسم.

قَوْلُهُ: «**وَهْوَ ذُو عِلْمٍ**» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «**ويَعْلَمُ غَايَةَ الإِسْرَارِ وَالإِعْلانِ**» هذا الحكم؛ لأنَّ العلمَ يقتضي أن يكونَ هناك معلومٌ.

٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهْوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْـ ـصِرُ كُلَّ مَرْئِيٍّ وَذِي الأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «**وَكَذَا بَصِيرٌ**» أي: قالوا: (بصير) وهذا اسم.

قَوْلُهُ: «**وهو ذُو بَصَرٍ**» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «**ويُبْصِرُ كُلَّ مَرْئِيٍّ وَذِي الأَكْوَانِ**» هذا الـحُكْمُ، والحكمُ والأثرُ معناهما واحدٌ، لكن الحكمُ أحسنُ.

٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهْوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْـ ـمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «**وكذا سَمِيعٌ**»: (سميع) اسمٌ.

قَوْلُهُ: «**وهو ذُو سَمْعٍ**» هذه صفةٌ.

قَوْلُهُ: «**ويسمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الأَكْوَانِ**» هذا الـحُكْمُ.

٢٧٦١- مُـــتَكَلِّمٌ وَلَـــهُ كَـــلامٌ وَصْـــفُهُ وَيُكَلِّمُ الـمَخْصُوصَ بِالرِّضْـوَانِ

قَوْلُهُ: «متكلِّم» هذا اسمٌ، لكنَّه في الحقيقة ليس اسمًا، بل هذا خبرٌ، يعني: تُخْبِرُ بأنَّه متكلِّمٌ؛ ولهذا ليس من أسماء الله (المتكلِّمُ)؛ لأنَّ الكلامَ يَنْقَسِمُ إلى محمود ومذموم، وأسماءُ الله كُلُّها حُسْنَى، وليس فيها ما يقتضي الذَّمَّ إطلاقًا، لكن يُخْبَرُ عن الله بأنَّه متكلِّمٌ، ولا يُسَمَّى متكلِّمًا.

قَوْلُهُ: «**وَلَهُ كَلامٌ وَصْفُهُ**»: الكلامُ هو الوصفُ والحكمُ.

قَوْلُهُ: «**ويكلِّمُ الـمَخْصُوصَ بالرِّضْوَانِ**» وهذا واضحٌ، والذي لم يرضَ عنه هل يُكلِّمُه؟ الجواب: نعم، يكلِّمُه كلامَ توبيخٍ، فإنَّ اللهَ أخبرَ عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧] فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

٢٧٦٢- وَهُـوَ الْقَـوِيُّ بِقُـوَّةٍ هِـيَ وَصْـفُهُ وَعَلَيْـكَ يَقْـدِرُ يَـا أَخَـا السُّـلْطَانِ

قَوْلُهُ: «**وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ**» (القوي): اسم، الوصف: القوة، لكن القوة ليس لها حكمٌ إلَّا إذا كانت قوةَ قدرةٍ؛ ولهذا قال: «**وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ**» المؤلفُ -رحمه الله- ما أتي بحكمٍ للقوة؛ لأنَّ (**القوةَ**) من الأوصاف التي لا تتعدَّى.

(**الحياة**) كذلك من الأوصاف التي لا تتعدَّى، وأمَّا (**العِزَّة**) فهي من الأوصاف التي تتعدَّى.

على كُلِّ حالٍ تُوجَدُ أوصافٌ لا تتعدَّى الموصوف، و(**القوة**) من الأوصاف التي لا تتعدَّى الموصوفَ، وإنْ تَعَدَّتْه صارت بمعنى القدرة، فتقول: (يقوى عليك)؛ فلهذا قال المؤلف: (**وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ**).

لماذا قال: (يَا أَخَا السُّلْطَانِ) لأنه -سبحانه- إذا قدر على صاحبِ السُّلطان فمن ليس له سلطانٌ من باب أَوْلَى، فهو يقدِرُ على الملِك، يقدرُ على الرئيس، يقدرُ على الوزير، فهو ذو سلطانٍ، ومَن دونه مِن باب أَولى.

٢٧٦٣- وَهُوَ الـمُرِيدُ لَـهُ الإِرَادَةُ هَكَذَا   أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «الـمُرِيدُ» ليس من أسمائه، لكنَّه مما يُخْبَرُ به عن الله، فيقال: إنَّ الله مريدٌ، لكن لا يُسَمَّى به.

واعلَمْ أنَّ الأسماءَ ثلاثةُ أقسامٍ:

١- قِسْمٌ لا يَحْمِلُ إِلَّا معنًى حسنًا، فهذا يكونُ من أسمائِه.

٢- قِسْمٌ لا يحملُ إلَّا معنًى قبيحًا، فهذا لا يكونُ من أسمائِه، ولا يُخْبَرُ به عنه.

٣- قِسْمٌ يكونُ منقسمًا: يَحْمِلُ هذا وهذا، أو لا يحملُ لا هذا ولا هذا، فهذا يُـخْبَرُ به عنه، ولا يُسَمَّى به، فـ(مـريدٌ)، (متكلِّمٌ)، (صانعٌ)، وما أشبهها، هذه يُـخْبَرُ بها عن الله، ولا يُسَمَّى بها.

(شيء) يُـخْبَرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به، كذلك (ذات) يُـخْبَرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به.

وَقَوْلُهُ: «وهوَ المُرِيد» الإرادةُ وصفٌ.

وَقَوْلُهُ: «ويُرِيد» هذا حُكْمٌ.

٢٧٦٤- وَالوَصْفُ مَعْنًى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْـ   أَسْمَاءُ أَعْلامٌ لَـهُ بِـوِزَانِ

يقول -رحمه الله-: إنَّ أسماءَ الله مِن جهةٍ أعلامٌ، ومِن جهةٍ أوصافٌ، فمِن حيثُ دلالتُها على ذاتِ الله أعلامٌ، ومن حيثُ دلالتُها على الوصف القائم به أوصافٌ.

فمثلًا: اسم (القدير) من حيثُ دلالتُه على الله عَلَمٌ، ومن حيثُ دلالتُه على القُدرة وصفٌ؛ ولهذا نقول: أسماءُ الله أعلامٌ وأوصافٌ.

ينبني على ذلك هل هي مترادِفةٌ أو متبايِنةٌ؟ الجواب: من حيثُ دلالتُها على الذات مترادِفةٌ، ومن حيثُ دلالتُها على المعنى متبايِنةٌ.

فمثلًا: الحيُّ، العليمُ، القديرُ، السَّميعُ، البصيرُ تدلُّ على ذاتٍ واحدة، لكن من حيثُ الأوصافُ كُلُّ واحدٍ يدلُّ على وصفٍ غير ما يدلُّ عليه الآخرُ.

إِذَنْ أسماءُ الله أعلامٌ وأوصافٌ، أسماءُ الله متبايِنةٌ ومترادِفةٌ، وهي أعلامٌ من حيثُ دلالتُها على الذات، وأوصافٌ من حيثُ دلالتها على الوصف الذي قام به.

مترادِفةٌ من حيثُ دلالتها على الذات، ومتبايِنةٌ من حيثُ دلالتها على الوصف والمعنى.

وأمَّا أسماءُ غير الله -يعني: أسماء الناس- فقد تكونُ أعلامًا محضةً، فيُسَمَّى هذا الرجلُ مثلًا (عبد الله) وتجده يعبدُ الشَّيطانَ، ولا يعبدُ اللهَ.

إِذَنْ هل دَلَّ الاسمُ على ما اشتقَّ منه؟ الجواب: لا، فيُسَمَّى الشخصُ محمَّدًا، وتجده مذمَّمًا لا خيرَ فيه، وليس فيه خَصلةٌ تُحْمَدُ، ويُسَمَّى الرجلُ خالدًا وهو سيموتُ؛ لأنه لا يمكنُ أن يكونَ خالدًا، وهكذا، لكن أسماءُ الله كُلُّها أعلامٌ وأوصافٌ.

* * *

٢٧٦٥- أَسْـمَاؤُهُ دَلَّـتْ عَـلَى أَوْصَـافِهِ ... مُشْـتَقَّةً مِنْهَـا اشْـتِقَاقَ مَعَـانِ

٢٧٦٦- وَصِـفَاتُهُ دَلَّـتْ عَـلَى أَسْـمَائِهِ ... وَالْفِعْـلُ مُـرْتَبِطٌ بِـهِ الأَمْـرَانِ

٢٧٦٧- وَالـحُكْمُ نِسْـبَتُهَا إِلَى مُتَعَلَّقَـا ... تٍ تَقْتَضِـي آثَارَهَـا بِبَيَـانِ

٢٧٦٨- وَلَـرُبَّمَا يُعْنَـى بِـهِ الإِخْبَـارُ عَـنْ ... آثَارِهَـا يُعْنَـى بِـهِ أَمْـرَانِ

٢٧٦٩- وَالْفِعْـلُ إِعْطَـاءُ الإِرَادَةِ حُكْمَهَـا ... مَـعَ قُـدْرَةِ الْفَعَّـالِ وَالإِمْكَـانِ

٢٧٧٠- فَـإِذَا انْتَفَـتْ أَوْصَـافُهُ سُـبْحَانَهُ ... فَجَمِيـعُ هَـذَا بَـيِّنُ الْـبُطْلانِ

٢٧٧١- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ قَـالُوا بِهَـ ... ـذَا كُلِّـهِ جَهْـرًا بِـلَا كِـتْمَانِ

٢٧٧٢- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ بُـرَآءُ مِـنْ ... تَأْوِيـلِ كُـلِّ مُحَـرِّفٍ شَـيْطَانِ

٢٧٧٣- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ يَتَـأَوَّلُو ... نَ حَقِيقَـةَ التَّأْوِيـلِ فِي الْقُـرْآنِ

٢٧٧٤- هُمْ فِي الـحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّـذِي ... يُعْنَـى بِـهِ لا قَائِـلُ الـهَذَيَانِ

٢٧٧٥- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ تَـأْوِيلاتِهِمْ ... صَرْفٌ عَنِ الـمَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ

٢٧٧٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُـو ... صَ عَلَى الحَقِيقَةِ لا المَجَازِ الثَّانِـي

٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهُمْ لِـمَجَازِهَا الْـ ... ـمُضْطَرُّ مِـنْ حِسٍّ وَمِـنْ بُرْهَـانِ

٢٧٧٨- فَهُنَـاكَ عِصْـمَتُهَا أَبَاحَتْـهُ[1] بِغَيْـ ... ـرِ تَجَـانُفٍ لِلإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ

٢٧٧٩- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ لا يُكْفِـرُو ... نَكُـمْ بِـمَا قُلْـتُمْ مِـنَ الكُفْـرَانِ

---

(١) في نسخة برلين: «أباحتها له».

٢٧٨٠- إِذْ أَنْـتُمُ أَهْـلُ الـجَهَالَةِ عِنْـدَهُمْ ... لَسْـتُمْ أُولِـي كُفْـرٍ وَلا إِيـمَانِ

٢٧٨١- لا تَعْرِفُـونَ حَقِيقَـةَ الْكُفْـرَانِ بَـلْ ... لا تَعْرِفُـونَ حَقِيقَـةَ الإِيـمَانِ

٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَـدْتُمْ وَرَدَدْتُـمُ ... قَوْلَ الرَّسُـولِ لِأَجْـلِ قَـوْلِ فُـلانِ

٢٧٨٣- فَهُنَـاكَ أَنْـتُمْ أَكْفَـرُ الثَّقَلَـيْنِ مِـنْ ... إِنْـسٍ وَجِـنٍّ سَـاكِنِي النِّـيرَانِ

٢٧٨٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُـوا الْـ ... أَقْـدَارَ وَارِدَةً[1] مِـنَ الـرَّحْمَنِ

٢٧٨٥- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ حُجَّـةَ رَبِّهِـمْ ... قَامَـتْ عَلَـيْهِمْ وَهْـوَ ذُو غُفْـرَانِ

٢٧٨٦- وَاشْهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ هُـمْ فَـاعِلُو ... نَ حَقِيقَـةَ الطَّاعَـاتِ وَالْعِصْـيَانِ

٢٧٨٧- وَالْـجَبْرُ عِنْـدَهُمُ مُحَـالٌ هَكَـذَا ... نَفْـيُ القَضَـاءِ فَبِئْسَـتِ الرَّأْيَـانِ

٢٧٨٨- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ إِيـمَانَ الْـوَرَى ... قَـوْلٌ وَفِعْـلٌ ثُـمَّ عَقْـدُ جَنَـانِ

٢٧٨٩- وَيَزِيـدُ بِالطَّاعَـاتِ قَطْعًـا هَكَـذَا ... بِالضِّدِّ يُمْسِـي وَهْـوَ ذُو نُقْصَـانِ

٢٧٩٠- وَاللهِ مَـا إِيـمَانُ عَاصِـينَا كَإِيـ ... ـمَانِ الأَمِـينِ مُنَـزِّلِ الْقُـرْآنِ

٢٧٩١- كَـلَّا وَلا إِيـمَانُ مُؤْمِنِنَـا كَإِيـ ... ـمَانِ الرَّسُـولِ مُعَلِّـمِ الإِيـمَانِ

٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُـمْ لَـمْ يُخْلِـدُوا ... أَهْـلَ الْكَبَـائِرِ فِي حَمِـيمٍ[2] آنِ

٢٧٩٣- بَـلْ يَخْرُجُـونَ بِإِذْنِـهِ بِشَـفَاعَةٍ ... وَبِـدُونِهَا لِـمَسَاكِنٍ بِجِنَـانِ

٢٧٩٤- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُـمُ يُـرَى ... يَـوْمَ المَعَـادِ كَـمَا يُـرَى القَمَـرَانِ

---

(١) في نسخة السفاريني: «وإرادة».

(٢) في نسخة برلين: «جحيم».

٢٧٩٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو ... لِ خِيَارُ خَلْقِ اللهِ مِنْ إِنْسَانِ

٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ ... خَيْرُ البَرِيَّةِ خِيرَةُ الرَّحْمَنِ

٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ ... وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ

٢٧٩٨- وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ أَحَقُّ بِالتْـ ... ـتَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بِبَيَانِ

٢٧٩٩- كُلٌّ بِحَسْبِ السَّبْقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً ... مِنْ لاحِقٍ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ

الشرحُ

٢٧٦٥- أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ ... مُشْتَقَّةً مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ

٢٧٦٦- وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ ... وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الأَمْرَانِ

تقدَّمَ أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- يقول: إنَّ أسماءَ الله تعالى متضمِّنةٌ للأوصاف وأحكامِها، وضربَ أمثلةً لذلك، ثُمَّ ذكر أنَّ صفاتِه دلَّت على أسمائِه، وأمَّا الفعلُ فقال: (**وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الأَمْرَانِ**) أي: الأسماء والصفات، فمثلًا: (**السَّميعُ**) اسمٌ دلَّ على السمعِ وهو صفة، والفعلِ يسمعُ، ويُسَمَّى الحكمَ، ويُسَمَّى الأثرَ.

كذلك (الخَلَّاق) دلَّ على الصفةِ، وهي الخلق، وعلى الفعلِ، وهو أنه يَخْلُقُ.

٢٧٦٧- وَالحُكْمُ نِسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلَّقَا ... تٍ تَقْتَضِي آثَارَهَا بِبَيَانِ

قَوْلُهُ: «والحُكْمُ» ما معنى الحكم؟ يقول: (**نِسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلَّقَاتٍ تَقْتَضِي آثَارَهَا بِبَيَانِ**) هذا الحكمُ، أن تُنْسَبَ إلى متعلَّقاتها التي تقتضي الآثار، وعلى هذا فلنا أن نُعَبِّرَ بالأحكام، ولنا أن نُعَبِّرَ بالآثار.

٢٧٦٨- وَلَـرُبَّمَا يُعْنَـى بِـهِ الإِخْبَـارُ عَـنْ   آثَارِهَـــا يُعْنَـــى بِـــهِ أَمْـــرَانِ

قَوْلُهُ: «ولَرُبما يُعْنَى بِهِ» أي: بالحكم.

قَوْلُهُ: «يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ» إِذَنْ الحُكْمُ أحيانًا يُعْنَى به ما يدلُّ على متعلَّقاتٍ تقتضي آثارها، وأحيانًا يُعْنَى به الآثار نفسها.

فالمؤلفُ يقولُ: لا بُدَّ لكُلِّ اسم من صفة، ثم هذه الصفة قد تقتضي الآثارَ، أي: تقتضي أن يكونَ لها أثرٌ، وحينئذٍ يكونُ لها حكمٌ، وقد لا تقتضي ذلك، وحينئذٍ لا يكونُ لها حكمٌ، فما كان لازمًا فإنه لا حكمَ له، وما كان متعدِّيًا فله حكمٌ، هذا الضابط.

فمثلًا: (**الحيُّ**) لازمٌ، لا يتعدَّى إلى الغير، فليس له حكمٌ؛ ولهذا نقولُ: اسمُه (الحيُّ) ووصفُه الحياة، ولا نقولُ: الحكمُ يُحيي؛ لأنَّ (يُحيي) فعلٌ للمحيي، وليس فعلًا للحيِّ، فالحيُّ وصفٌ لازمٌ.

وأمَّا (**البصير**) فهو متعدٍّ، فالبصير متضمِّنٌ لصفةٍ تتعدَّى وهو أنه يُبصرُ.

وأمَّا (**العظيم**) فهو لازمٌ، فإذن يدلُّ على الاسم وعلى الصفة وليس له حكمٌ، وهَلُمَّ جَرًّا.

٢٧٦٩- وَالفِعْـلُ إِعْطَـاءُ الإِرَادَةِ حُكْمَهَـا   مَـعَ قُـدْرَةِ الْفَعَّـالِ وَالإِمْكَـانِ

الفعلُ ناتجٌ عن إرادةٍ وقدرة، ولا يمكنُ أن يوجدَ فعلٌ بلا إرادةٍ، ولا فعلٌ بلا قدرة؛ ولهذا لو أردتَ أن تسافرَ إلى بلد ولكن ليس عندك راحلةٌ ما استطعت السَّفر، لماذا؟ لعدم القُدرة، ولو كان عندك راحلةٌ لكن الطريق مَخُوفٌ، فلم تُرِد السَّفرَ، فإنَّ السفر لا يكون، لماذا؟ لعدم الإرادة، ولو وُجِدَت الإرادةُ و القدرةُ حينئذٍ يتحقَّقُ الفعلُ.

٢٧٧٠- فَـإِذَا انْتَفَـتْ أَوْصَـافُهُ سُـبْحَانَهُ فَجَمِيـعُ هَـذَا بَـيِّنُ الْـبُطْلَانِ

إذا لم يكن لله أوصافٌ فأين أحكامُ هذه الأوصاف؟ إِذَنْ لا يكونُ له خَلْقٌ ولا سمعٌ ولا بصرٌ، حتَّى المخلوقات ليست خلقًا لله؛ لأننا نعلمُ أنَّ الخلَّاقَ متضمِّنٌ لوصفٍ هو الخلق، ومتضمِّنٌ لحكمٍ وهو يخلُق، وأنَّ (يخلق) لا يمكنُ أن تكونَ إلَّا بإرادةٍ وقدرةٍ، فإذا انتفت الإرادةُ والقدرةُ والخلْقُ والحكمُ ماذا يبقى؟ الجواب: انتفى كُلُّ شيءٍ عن الله، نسألُ اللهَ العافيةَ.

٢٧٧١- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ قَـالُوا بِهَــ ـــذَا كُلِّـهِ جَهْـرًا بِـلَا كِـتْمَانِ

قَوْلُهُ: «بهذا» المشارُ إليه إثباتُ الأسماءِ والأوصافِ والأحكامِ.

٢٧٧٢- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ بُـرَآءُ مِـنْ تَأْوِيـلِ كُـلِّ مُحَـرِّفٍ شَـيْطَانِ

قَوْلُهُ: «**مِن تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفٍ**» ولم يقل: (كُلِّ مُؤَوِّلٍ)؛ لأنَّ التأويلَ قد يكونُ حقًّا، أمَّا التحريفُ فهو باطلٌ.

٢٧٧٣- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ يَتَـأَوَّلُو نَ حَقِيقَـةَ التَّأْوِيـلِ فِي الْقُـرْآنِ

والـمرادُ بالتأويل هنا غير تأويل التحريف، بل الـمرادُ به التفسيرُ الـمطابقُ لمرادِ الله ورسولِهِ.

٢٧٧٤- هُمْ فِي الـحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّـذِي يُعْنَـى بِـهِ لا قَائِـلُ الـهَذَيَانِ

قَوْلُهُ: «**قَائِلُ الـهَذَيَانِ**» هو الذي يتأوَّل تأويلَ التحريف، أمَّا هم فيتأوَّلون التأويلَ الذي يُعْنى به الكلام، أي: التفسير.

٢٧٧٥- وَاشْـــهَدْ عَلَــيْهِمْ أَنَّ تَــأْوِيلاتِهِمْ   صَرْفٌ عَنِ الـمَرْجُوحِ لِلرُّجْحَـانِ

وتأويلُ المُحَرِّفِ بالعكس، صَرْفٌ عن الراجح للمرجوح.

٢٧٧٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلـوا النُّصُـو   صَ عَلَى الحَقِيقَةِ لا المَجَازِ الثَّانِـي

خلافًا لأهل التحريف الذين حملوها على المجاز، أمَّا أهلُ الحديثِ فحملوها على الحقيقةِ لا على المجاز.

٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهُمْ لِـمَجَازِهَا الْـ   ـمُضْطَرُّ مِـنْ حِـسٍّ وَمِـنْ بُرْهَـانِ

٢٧٧٨- فَهُنَـاكَ عِصْـمَتُهَا أَبَاحَتْـهُ بِغَيْـ   ـرِ تَجَـانُفٍ لِلإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ

يقول: إذا وُجِدَتْ ضرورةٌ تُوجِبُ أن يُؤوِّلوا أوَّلوا؛ لأنَّ النصوصَ معصومةٌ من مخالفةِ المحسوس والمعقول، فإذا كانت معصومةً من مخالفة المحسوس والمعقول وجاء فيها ما ظاهرُه مخالفةُ المحسوس والمعقول حينئذ يتأوَّلونها؛ ولذا قال: «**فهُناك عِصْمَتُها أَبَاحَتْه**» أي: أباحتْ تلك التأويل.

مثلًا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:٩٨] يتأوَّلون: (إذا قرأت) أي: إذا أردتَ أن تقرأ، وليس المعنى: إذا أتممتَ القراءة، لماذا يصرفون اللفظَ عن ظاهره؟ الجواب: لأنَّ هديَ النَّبيِّ ﷺ الاستعاذة قبل القراءة.

وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥] أي: ريح عاد، يقولون: نؤوِّلُ هذا عن ظاهره، فالمراد: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يُمكنُ تدميرُه بالرِّيح؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥] فالمساكنُ لم تُدَمَّر، والأرضُ لم تُدَمَّر، والسَّماءُ لم تُدَمَّر، والنجومُ لم تُدَمَّر، إِذَنْ فالعمومُ هنا يُرادُ به الخاص، هم يتأوَّلون هذا لكن بحقٍّ بلا شَكٍّ.

٢٧٧٩- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّهُـمْ لا يُكْفِـرُو نَكُـمْ بِـمَا قُلْـتُمْ مِـنَ الكُفْـرَانِ

يعني: لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ، وإن كان قولُكم كفرًا لكن لا يُكَفِّرونكم، لماذا؟ يقول:

٢٧٨٠- إِذْ أَنْـتُمْ أَهْـلُ الـجَهَالَةِ عِنْـدَهُمْ لَسْـتُمْ أُولِـي كُفْـرٍ وَلا إِيـمَانِ

يعني: أنتم جُهَّالٌ لا تعرفون الكفرَ والإيمانَ؛ لذلك لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ، وإن كان ما قلتم كفرًا.

٢٧٨١- لا تَعْرِفُـونَ حَقِيقَـةَ الْكُفْـرَانِ بَـلْ لا تَعْرِفُـونَ حَقِيقَـةَ الإِيـمَانِ

يعني: أنتم جُهَّالٌ بهذا وهذا.

٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَـدْتُمُ وَرَدَدْتُـمُ قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَـوْلِ فُلانِ

٢٧٨٣- فَهُنَـاكَ أَنْـتُمْ أَكْفَـرُ الثَّقَلَـيْنِ مِـنْ إِنْـسٍ وَجِـنٍّ سَـاكِنِي النِّـيرَانِ

وهذه مسألةُ العذر بالجهل، هل يُعْذَرُ الإنسانُ بالجهل في أصول الدين أو لا يُعْذَرُ؟ الصواب أنه يُعْذَرُ بالجهل في أصول الدين وفروعه؛ لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فقوله: ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] لماذا؟ الجواب: ليُعَلِّمَ الناسَ، فإذا كان الإنسانُ جاهلًا ولا يعرفُ شيئًا فإننا لا نكفِّره بذنبه إلَّا إذا كان ينتسبُ إلى الكفر فهو كافرٌ وحسابُه في الآخرة على الله، يعني: مثلًا: إنسان لم تبلغه الدعوةُ الإسلاميَّةُ لكنَّه يعيشُ على النصرانيَّة مثلًا، ولا يعرفُ عن الإسلام شيئًا، فهذا وإن كان جاهلًا نعاملُه في الدنيا معاملَة الكافر النصراني، وفي الآخرة حسابُه على الله، كأهل الفَتْرَة، أمَّا إذا كان ينتسبُ إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلمٌ، لكن يفعلُ ما هو كفرٌ جاهلًا أنه كفرٌ،

ولم يخبِرْه أحدٌ بأنه كفرٌ فهذا لا نُكفِّره؛ للجهل، لكن إذا عاند وَرَدَّ قولَ الرسولِ لقول فلانٍ، حينئذٍ قامت عليه الحُجَّةُ، فلو أخبرناه وقلنا: هذا كفرٌ لأنه سجودٌ لغيرِ الله، والسجودُ لغيرِ الله كفرٌ، فقال: لا أقبلُ هذا لأنَّ الشيخَ الفلانِيَّ يشاهدُني أفعلُ هذا ولا يقولُ لي شيئًا، فأنا أتبعُ شيخي.

قلنا له: إنَّ سبَّ أبي بكر وعمر كفرٌ، فقال: لا أقبلُ ذلك؛ لأنَّ شيخي الفلانِـيَّ يقولُ: سَبُّ أبي بكرٍ وعمرَ قُربةٌ. فهذا يَكْفُرُ؛ لأنَّ الحقَّ بلغه.

٢٧٨٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الْـ ... أَقْـــدَارَ وَارِدَةً مِـــنَ الــرَّحْمَنِ

خِلافًا للقَدَرِيَّة الذين يقولون: إنَّ اللهَ لا يُقَدِّر أعمالَ العباد.

٢٧٨٥- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ حُجَّـةَ رَبِّهِـمْ ... قَامَـتْ عَلَـيْهِمْ وَهْـوَ ذُو غُفْـرَانِ

قَوْلُهُ: «حُجَّةَ رَبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ» بماذا قامت؟ الجواب: بإرسال الرُّسل، فالجبرُ غيرُ واردٍ، فلا يمكنُ أن يحتجَّ الإنسانُ بالجبر؛ لأنَّ الحُجَّةَ قامتْ عليه.

٢٧٨٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُـمْ هُـمْ فَـاعِلُو ... نَ حَقِيقَـةَ الطَّاعَـاتِ وَالْعِصْـيَانِ

٢٧٨٧- وَالْـــجَبْرُ عِنْــدَهُمُ مُحَــالٌ هَكَــذَا ... نَفْــيُ الْقَضَــاءِ فَبِئْسَــتِ الرَّأْيَــانِ

إذنِ المؤلفُ يقولُ: اشهَد بأنَّ أهلَ الحديث براءٌ من أهل القدر (القَدَرِيَّة) ومن أهل الجبر (الجبريَّة)، ويَذُمُّ هذين الرأيَيْن؛ ولذا قال: (فبِئْسَتِ الرأيانِ).

٢٧٨٨- وَاشْـهَدْ عَلَـيْهِمْ أَنَّ إِيمَانَ الْـوَرَى ... قَـوْلٌ وَفِعْـلٌ ثُـمَّ عَقْـدُ جَنَـانِ

خِلافًا للمرجئة وللخوارج، فالخوارجُ يَرَوْنَ أنَّ الإيمانَ قولٌ وفعلٌ واعتقادٌ، لكن يفارقون أهلَ الحديث بأنهم يُكفِّرون أهلَ المعاصي.

٢٧٨٩- وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا بِالضِّدِّ يُمْسِي وَهْوَ ذُو نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا» وفي النقص لم يقل: (قطعًا)؛ لأنَّ الزيادةَ جاءت في القرآنِ صريحةً، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤] أمَّا النقصُ فلم يَرِدْ صريحًا في القرآن، إنما جاء في السُّنَّة: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»[1]، فقال: «مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ».

ولكن نقولُ: إذا ثبتت الزيادةُ فلا زيادةَ إلَّا بنقصٍ، فالزيادةُ يقابلُها النقصُ قطعًا، فإذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤] نقولُ: هم قبل ذلك أنقص من الآن، فما دامت الزيادةُ ثبتتْ في القرآن فالنقصُ قد ثبت؛ ولهذا نقول: إنَّ مَنْ فَرَّق بين الزيادة وبين النقص فقولُه مرجوحٌ، إذنِ الصَّوابُ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنْقُصُ.

٢٧٩٠- وَاللهِ مَا إِيمَانُ عَاصِينَا كَإِيـ ـمَانِ الأَمِينِ مُنَزِّلِ الْقُرْآنِ

٢٧٩١- كَلَّا وَلا إِيمَانُ مُؤْمِنِنَا كَإِيـ ـمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الإِيمَانِ

والأوَّلُ خِلافًا للمرجئة الذين قالوا: إنَّ الإيمانَ هو المعرفة، وهم الجَهْمِيَّةُ كما مَرَّ، وإنَّ إيمانَ أفسقِ عباد الله وأتقى عباد الله على حَدٍّ سواء، وإنَّ إيمانَنا كإيمان جبريل، والمؤمنُ منَّا كإيمان محمَّدٍ -عليه الصلاة والسَّلام-.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، رقم (٨٠).

٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَدُوا أَهْلَ الْكَبَائِرِ فِي حَمِيمٍ[1] آنِ

خِلافًا للخوارج والمعتزلة، الذين يقولون: إنَّ فاعلَ الكبيرةِ مُخَلَّدٌ في النار.

٢٧٩٣- بَلْ يَخْرُجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ وَبِدُونِهَا لِمَسَاكِنٍ بِجِنَانِ

خلافًا للخوارج والمعتزلة.

٢٧٩٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمُ يُرَى يَوْمَ المَعَادِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ

خلافًا للجهميَّة، والمعتزلة، وكذلك الأشاعرة.

٢٧٩٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو لِ خِيَارُ خَلْقِ الله مِنْ إِنْسَانِ

٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ خِيرَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أصحابَ الرسولِ خِيَارُ خَلْقِ الله» خلافًا للرَّوافض.

٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ

قَوْلُهُ: «وخِيارُهم» أي: خيارُ أصحابِ الرسول (خُلَفاؤُه مِن بعدِه).

قَوْلُهُ: «وخيارهم» أي: خيار الخلفاء (حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ).

إذَنْ أفضلُ الأُمَّةِ أبو بكر، ثُمَّ عمرُ، ثُمَّ عثمانُ، ثُمَّ عليٌّ، هذا الذي أجمع عليه أهلُ السُّنَّة وإن كان بينهم خلافٌ في التفاضل بين عثمان وعليٍّ، ولكن استقرَّ أمرُهم على أنَّ ترتيبَهم في الفضيلة كترتيبِهم في الخلافة.

---

(١) في نسخة برلين: «جحيم».

٢٧٩٨- وَالسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ أَحَـقُّ بِالتْـ   تَقْـدِيمِ مِـمَّنْ بَعْـدَهُمْ بِبَـيَانِ

لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

٢٧٩٩- كُلٌّ بِحَسْبِ السَّـبْقِ أَفْضَـلُ رُتْبَـةً   مِـنْ لاحِـقٍ وَالْفَضْـلُ لِلْمَنَّـانِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نسألُكَ من فضلك العظيم.

* * *

فصل

فِي عُهُودِ المُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ العَالَمِينَ

٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ وَقَوْلُهُ ... وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بِبَيَانِ

٢٨٠٢- اشْرَحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ ... شَرْحًا يُنَالُ بِهِ ذُرَى الإِيمَانِ

٢٨٠٣- وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لا بِمَا ... قَدْ قَالَهُ ذُو الإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

٢٨٠٤- وَانْصُرْ بِهِ حِزْبَ الهُدَى وَاكْبِتْ بِهِ ... حِزْبَ الضَّلالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ

٢٨٠٥- وَانْعَشْ بِهِ مَنْ قَصْدُهُ إِحْيَاؤُهُ ... وَاعْصِمْهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانِ

٢٨٠٦- وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ[1] أَهْلَ الزَّيْغِ وَالتْـ ... ـتَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

٢٨٠٧- فَوَحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي ... وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ

٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الهُدَى ... فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطُرَ الإِيمَانِ

٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الهَوَى ... بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْفُرْقَانِ

٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شِرْبِي المَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي ... هُوَ رَأْسُ مَاءِ الوَارِدِ الظَّمْآنِ

٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ المَاءِ تَحْـ ... ـتَ نَجَاسَةِ الآرَاءِ وَالأَذْهَانِ

---

(١) في نسخ برلين والظاهرية والسفارينية والتيمورية: «واصرف بحقك عنه».

٢٨١٢- وَحَفِظْتَنِي مِـمَّا ابْتَلَيْـتَ بِـهِ الأُلَى حَكَمُوا عَلَيْـكَ بِشِـرْعَةِ البُهْتَـانِ

٢٨١٣- نَبَذُوا كِتَابَكَ مِـنْ وَرَاءِ ظُهُـورِهِمْ وَتَمَسَّـكُوا بِزَخَـارِفِ الـهَذَيَانِ

٢٨١٤- وَأَرَيْتَنِي الْبِدَعَ الـمُضِلَّةَ كَيْفَ يُلْـ ـقِيهَا مُزَخْرَفَـةً إِلَى الإِنْسَـانِ

٢٨١٥- شَـيْطَانُهُ فَيَظَـلُّ يَنْقُشُـهَا لَـهُ نَقْـشَ الـمُشَبِّهِ صُـورَةً بِـدِهَانِ

٢٨١٦- فَيَظُنُّهَا المَغْرُورُ حَقًّا وَهْـيَ فِي التْـ تَحْقِيـقِ مِثْـلُ الـلَّالِ فِي القِيعَـانِ

٢٨١٧- لَأُجَاهِـدَنَّ عِـدَاكَ مَـا أَبْقَيْتَنِـي وَلَأَجْعَلَـنَّ قِتَالَـهُمْ دَيْدَانِـي

٢٨١٨- وَلَأَفْضَـحَنَّهُمْ عَـلَى رُوسِ الْـمَلَا وَلَأَفْـرِيَنَّ أَدِيمَهُـمْ بِلِسَانِـي

٢٨١٩- وَلَأَكْشِـفَنَّ سَرَائِـرًا خَفِيَـتْ عَـلَى ضُـعَفَاءِ خَلْقِـكَ مِـنْهُمُ بِبَيَـانِ

٢٨٢٠- وَلَأَتْبَعَـنَّهُمْ إِلَى حَيْـثُ انْتَهَـوْا حَتَّـى يُقَـالَ: أَبَعْـدَ عَبَّـادَانِ؟

٢٨٢١- وَلَأَرْجُمَـنَّهُمْ بِـأَعْلَامِ الـهُدَى رَجْـمَ الـمَرِيدِ بِثَاقِـبِ الشُّـهْبَانِ

٢٨٢٢- وَلَأَقْعُدَنَّ لَـهُمْ مَرَاصِـدَ كَيْـدِهِمْ وَلَأَحْصُـرَنَّهُمُ بِكُـلِّ مَكَـانِ

٢٨٢٣- وَلَأَجْعَلَـنَّ لُـحُومَهُمْ وَدِمَـاءَهُمْ فِي يَـوْمِ نَصْـرِكَ أَعْظَـمَ القُرْبَـانِ

٢٨٢٤- ولَأَحْمِلَـنَّ عَلَـيْهِمْ بِعَسَـاكِرٍ لَيْسَـتْ تَفِـرُّ إِذَا الْتَقَـى الزَّحْفَـانِ

٢٨٢٥- بِعَسَاكِرِ الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْـ ـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ بِالإِحْسَـانِ

٢٨٢٦- حَتَّى يَبِينَ لِـمَنْ لَهُ عَقْـلٌ مِـنَ الْـ أَوْلَـى بِحُكْـمِ الْعَقْـلِ وَالْبُرْهَـانِ؟

٢٨٢٧- وَلَأَنْصَـحَنَّ اللهَ ثُـمَّ رَسُـولَهُ وَكِتَابَـهُ وَشَرَائِـعَ الإِيـمَانِ

٢٨٢٨- إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ إِنْ[1] لَمْ يَشَأْ فَالأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ

الشرحُ

يقول المؤلفُ -رحمه الله تعالى-: «فَصْلٌ فِي عُهُودِ المُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ العَالَمِينَ» يعني: ما عاهدوا به الله، وعاهدوه عليه من بيانِ الحقِّ ومحاربةِ الباطلِ وأهله.

توسَّل المؤلفُ -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أوَّلًا بما يكونُ وسيلةً من صفات الله عزَّ وجلَّ على هذا الهدفِ العظيمِ النبيلِ، فقال:

٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «يَا نَاصِرَ الإِسْلامِ...» النداءُ موجَّهٌ لله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «المَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ» وهو محمد -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «بِالْفُرْقَانِ» في نسخة: (بالقرآن) والفرقانُ هو القرآنُ.

٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بِبَيَانِ

قَوْلُهُ: «يَا مَنْ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ» وهو اللهُ، قال اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بِبَيَانِ» أي: ولقاؤه حقٌّ، ورسولُه حقٌّ، أقولُ ذلك ببيانٍ وعن يقين.

---

(١) في نسخ برلين والسفارينية والظاهرية والتيمورية وابن سحمان: «أو».

٢٨٠٢- اشْرَحْ لِدِينِكَ صَـدْرَ كُـلِّ مُوَحِّـدٍ شَرْحًـا يُنَـالُ بِـهِ ذُرَى الإِيـمَانِ

جزاه الله خيرًا، وتَقَبَّلَ منه، يعني: سأل اللهَ بنُصرته الإسلام، وبأنه الحقُّ المبينُ أن يشرحَ لدِينه صدرَ كُلِّ مُوحِّدٍ إلى يوم القيامة.

٢٨٠٣- وَاجْعَلْـهُ مُؤْتَـمًّا بِوَحْيِـكَ لا بِـمَا قَـدْ قَالَـهُ ذُو الإِفْـكِ وَالْبُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «مؤتمًّا» يعني: جاعلًا وَحْيَكَ إمامًا له، لا ما قاله ذو الإفك والبهتان من أهل البِدَعِ والتعطيل.

٢٨٠٤- وَانْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَاكْبِتْ بِـهِ حِزْبَ الضَّلالِ وَشِـيعَةَ الشَّـيْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَانْصُرْ بِهِ» أي: بالموحِّد.

٢٨٠٥- وَانْعَـشْ بِـهِ مَـنْ قَصْـدُهُ إِحْيَـاؤُهُ وَاعْصِـمْهُ مِـنْ كَيْـدِ امْـرِئٍ فَتَّـانِ

قَوْلُهُ: «انْعَشْ بِهِ» يعني: أَحْيِهِ وقَوِّه.

قَوْلُهُ: «مَنْ قَصْدُهُ إِحْيَاؤُهُ» أي: إحياء الهدى.

قَوْلُهُ: «كَيْدِ» الكيدُ والمكرُ معناهما متقاربٌ، وهو أن يتوصلَ إلى الإيقاع بعدوِّه من غير أن يَشْعُرَ به.

٢٨٠٦- وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنقَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالتْـ ـبْـدِيلِ وَالتَّكْـذِيبِ وَالطُّغْيَـانِ

أيضًا توسلَ بالحقِّ الذي جاء من عند الله أن يضربَ به عنقَ أهلِ الزَّيْغِ والتبديل؛ لأنَّ أهلَ الزَّيْغِ والتبديل على باطلٍ، وقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

٢٨٠٧- فَوَحَــقِّ نِعْمَتِــكَ الَّتِــي أَوْلَيْتَنِــي وَجَعَلْــتَ قَلْبِــي وَاعِــيَ الْقُــرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَوَحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي» الواوُ هنا قَسَمٌ، وحقُّ النعمة شكرُها، والشُّكرُ من حقوق الله عزَّ وجلَّ، لكنَّه فعلُ العبد، فهل يجوزُ أن يُقْسِمَ الإنسانُ بفعل العبد، فيقول: (وحَقِّ نعمتك)؟

ربَّما نقولُ: إنه يجوزُ على أساس أنَّ حقَّ النعمةِ وهو الشُّكرُ أمرٌ واجبٌ، يعني: فبتأكُّد هذا الأمر الواجب لأفعلنَّ كذا وكذا.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: (فَبِنِعْمَتِكَ الحقّ) فيكون من بابِ إضافة الصفة إلى موصوفها، وإذا كان: (فَبِنِعْمِتكَ الحقّ) فنعمةُ الله التي هي إنعامُه من فعلِه، والقَسَمُ به لا بأسَ به.

إِذَنْ الأوَّلُ فيه شيءٌ من الإشكال، وهو أنه كيف يحلفُ بشكرِ نعمة الله وهي من فعل العبد، ولا يجوزُ أن تحلفَ بفعلك حتَّى لو كان عبادةً، فلو قلتَ: (فبعبادتي لك) أو (بصلاتي لك) لا يجوزُ.

فأنا أقول توجيهًا لكلام المؤلفِ: أن نجعلَ (حقّ) صفة، فنجعلها من باب إضافةِ الصفة إلى موصوفها، ويكون المعنى: (فبنعمتك الحق) الثابتة التي أوليتني، ونعمةُ الله التي هي إنعامُه من فِعل الله عزَّ وجلَّ، وفعلُ الله يجوزُ الإقسامُ به.

ومِثْلُ هذا أيضًا قولُ بعضهِم: (بِحَقِّ هذا الأذان) يعني الأذانَ الحقَّ، وإلَّا فالأذانُ نفسُه ليس له حقٌّ.

وَقَوْلُهُ: «فَوَحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ» كونُه يُثْنِي على الله -سبحانه وتعالى- بأنَّ اللهَ أولاه النعمةَ واضحٌ، لكن قوله: (جَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ) لا يريدُ المؤلفُ بها أن يفتخرَ بالنعمة افتخارَ علوٍّ وتكبُّرٍ،

وإنما يُريد بهذا أن يتحدَّثَ بنعمة الله.

٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الـهُدَى   فَقَـرَأْتُ فِيـهِ أَسْـطُرَ الإِيـمَانِ

هذا أيضًا من باب التحدُّث بنعمة الله عزَّ وجلَّ.

٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الهَوَى   بِحَبَائِـلٍ مِـنْ مُحْكَـمِ الْفُرْقَـانِ

وقد سبق أنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- كان في أوَّل الأمر بدعيًّا حتَّى مَنَّ اللهُ عليه بشيخ الإسلام ابنِ تَيْمِيَّةَ -رحمه الله-.

٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شِرْبِي المَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّـذِي   هُـوَ رَأْسُ مَـاءِ الـوَارِدِ الظَّمْـآنِ

قَوْلُهُ: «المَنْهَلَ الْعَذْبَ» أي: الكتاب والسُّنَّة.

٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ المَاءِ تَحْـ   ـتَ نَجَاسَـةِ الآرَاءِ وَالأَذْهَـانِ

قَوْلُهُ: «سِفْلِ المَاءِ» هو ما اعتنقه هؤلاء النُّفاةُ من تحكيم العقل على رَبِّ العالمين وصفاتِه ودعواهم أنَّ هذه الصفةَ حَقٌّ؛ لأنَّ العقلَ يدلُّ عليها، وهذه باطلٌ؛ لأنَّ العقلَ نفاها.

٢٨١٢- وَحَفِظْتَنِي مِـمَّا ابْتَلَيْتَ بِـهِ الأُلَى   حَكَمُوا عَلَيْـكَ بِشِـرْعَةِ البُهْتَـانِ

قَوْلُهُ: «مِـمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الأُلَى» أي: النُّفَاة.

قَوْلُهُ: «بِشِرْعَةِ البُهْتَانِ» أي: بالعقل، فإنَّ العقلَ الفاسدَ لا شكَّ أنَّه بهتانٌ، وأمَّا العقلُ الصحيح فلا يخالفُ النقلَ.

وَقَوْلُهُ: «الأُلَى» يعني: الذين، قال ابن مالك -رحمه الله-:

جَمْعُ الَّذِي: «الأُلَى» «الَّذِينَ» مُطْلَقَا   وَبَعْضُـهُمْ بِـالوَاوِ رَفْعًـا نَطَقَـا

٢٨١٣- نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِزَخَارِفِ الـهَذَيَانِ

هذه حالُهم والعياذُ بالله، أنَّهم لا يرجعون إلى الكتابِ والسُّنَّةِ في إثبات الصفات أو نفيها، وإنما يرجعون إلى زخارف الهذيان الذي أَصَّلوه.

٢٨١٤- وَأَرَيْتَنِي الْبِدَعَ الـمُضِلَّةَ كَيْفَ يُلْـ ـقِيهَا مُزَخْرَفَـةً إِلَى الإِنْسَانِ

٢٨١٥- شَـيْطَانُهُ فَيَظَـلُّ يَنْقُشُـهَا لَـهُ نَقْشَ الـمُشَبِّهِ صُورَةً بِـدِهَانِ

وهذا من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ اللهُ -سبحانه وتعالى- للإنسان نورًا يهتدي به، فيرى الحقَّ حقًّا ويرى الباطلَ باطلًا، ومن سُوء الطالِع أنَّ الإنسانَ تَعْمَى عليه الحقائقُ، فلا يرى الباطلَ باطلًا ولا الحقَّ حقًّا، نسألُ اللهَ السَّلامةَ.

قَوْلُهُ: «**فَيَظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ الْمُشَبِّهِ صُورَةً بِدِهَانِ**» نفرض أنه يرسمُ صورةَ شجرةٍ، تجده يحرصُ أن تخرجَ هذه الصورةُ تامةً، إذا نظرْتَها كأنما تنظرُ إلى الشَّجرة الأصليَّة، هؤلاء شياطينُهم ترسمُ لهم هذا الباطلَ هذا الرَّسمَ الدقيقَ.

٢٨١٦- فَيَظُنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهْيَ فِي التْـ ـحْقِيقِ مِثْلُ الـلَّالِ فِي الْقِيعَانِ

قَوْلُهُ: «**اللَّال**» أي: السَّراب، والسَّرابُ إذا رآه الإنسانُ يظنُّه ماءً، لنفرض أنَّك في البَرِّيَّة عطشانُ، وأمامك أرض سَبِخَة يكون فيها السَّرابُ كأنه ماءٌ، فتجدك تشعرُ بنفسك أنك حَيِيتَ؛ لأنَّ الماءَ الكثيرَ أمامك، ولكنَّك إذا جئتَه وجدتَه سرابًا كما قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور:٣٩].

٢٨١٧- لَأُجَاهِـدَنَّ عِـدَاكَ مَـا أَبْقَيْتَنِـي وَلَأَجْعَلَـنَّ قِتَالَـهُمْ دَيْدَانِـي

قَوْلُهُ: «لأُجاهدنَّ» هذه الجملةُ جوابُ القَسَمِ في قوله: (فَوَحَقِّ نِعْمَتِكَ) يعني: بما أنعمتَ عليَّ أفعلُ كذا وكذا.

قَوْلُهُ: «لَأُجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَأَجْعَلَنَّ قِتَالَـهُمْ دَيْدَانِي» جزاه اللهُ خيرًا، وهذه علامةُ الإيمان، أن يجاهدَ الإنسانُ أعداءَ الله، وألَّا يُكِنَّ لهم حُبًّا أبدًا؛ لأنك إذا أحببتَ أعداءَ الله لَزِمَ من ذلك معاداةُ أولياء الله، كما قال ابن القيم -رحمه الله-[1]:

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الـحَبِيبِ وَتَـدَّعِي حُبًّـا لَـهُ مَـا ذَاكَ فِي إِمْكَـانِ

فلا بُدَّ أن نُضْمِرَ العِداءَ لكُلِّ عدوٍّ لله عزَّ وجلَّ، فإن لم نفعلْ فإنَّ ولاءَنا لله غيرُ صادقٍ.

٢٨١٨- وَلَأَفْضَـحَنَّهُمْ عَـلَى رُوسِ الْـمَلَا وَلَأَفْـرِيَنَّ أَدِيمَهُـمْ بِلِسَانِـي

قَوْلُهُ: «وَلَأَفْرِيَنَّ أَدِيمَهُمْ» أديمهم يعني: جلودهم.

قَوْلُهُ: «بلِساني» يعني: بما أُبيِّنُه من الحقِّ الذي يَدْحَضُ باطلَهم.

٢٨١٩- وَلَأَكْشِـفَنَّ سَرَائِـرًا خَفِيَـتْ عَـلَى ضُـعَفَاءِ خَلْقِـكَ مِـنْهُمُ بِبَيَـانِ

وقد فَعل -رحمه الله-، أبدى من معايبهم ما لم يُبْدِه إلَّا شيخُه ابنُ تيميَّة.

٢٨٢٠- وَلَأَتْبَعَـنَّهُمْ إِلَى حَيْـثُ انْتَهَـوْا حَتَّـى يُقَـالَ: أَبَعْـدَ عَبَّـادَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَلَأَتْبَعَنَّهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا» هل سيقف أم يتبعهم؟ الجواب: يتبعهم إلى حيث انتهَوْا.

---

(١) البيت لابن القيم في هذه النونية، برقم (٣٥٠٣).

قَوْلُهُ: «حَتَّى يُقَالَ: أَبَعْدَ عَبَّادَانِ؟» عَبَّادَان: بَلَدٌ معروفٌ في إيران، والمؤلفُ من أهل الشَّام، يقولُ: أَتْبَعُهُمْ حتَّى يُقالَ: أَبَعْدَ عَبَّادَانَ تَتْبَعُهُمْ؟ يعني: من وراء عَبَّادَان، فهو يقولُ: أَتْبَعُهم إلى حيثُ انتهَوْا ولو يصلون إلى الصِّين.

٢٨٢١- وَلَأَرْجُمَنَّهُمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى ... رَجْمَ الْمَرِيدِ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ

أَرْجُمَنَّهُم بثاقبِ الشُّهْبَانِ رَجْمَ المَرِيدِ، والمريد: يعني الشَّياطين، فالشُّهُبُ ترمي مَرَدَةَ الشَّياطين.

٢٨٢٢- وَلَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ ... وَلَأَحْصُرَنَّهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ

قَوْلُهُ: «مَرَاصِد» المراصد جمع: مرصد، يعني: المكان الذي يُتَحَرَّى وجودُهم فيه أقعدَنَّ لهم.

٢٨٢٣- وَلَأَجْعَلَنَّ لُحُومَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ ... فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ

أتقرَّبُ إليك بذبحهم كما يتقرَّبُ الناسُ بذبح الهدايا والقربان.

وقد ذكر -رحمه الله- في النونية أنَّ خالدَ بنَ عبد الله القَسْرِيَّ لَـمَّا خرج بالجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ مؤسس مقالة التعطيل، أَسَرَهُ ثُمَّ خرج به في عيد الأضحى فخطب الناسَ، وقال: **«أَيُّها الناسُ ضحوا تَقَبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فإنِّي مُضَحٍّ بالجعد ابن درهم، فإنه زعمَ أَنَّ اللهَ لم يتخذْ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكَلِّمْ موسى تكليمًا»**[1]. ثُمَّ نزل مِنْ على المنبر فذبحه، وهذه الأُضْحِيَّةُ يقولُ ابنُ القيِّم عنها في النونية:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الْـ ... ـقَسْرِيُّ يَومَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ

---

(١) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٨٢).

إِذْ قَـالَ: إِبْـرَاهِيمُ لـيْسَ خَلِيلَــهُ كَـلَا وَلَا مُوسَـى الكَلِـيمُ الدَّانِــي

شَكَرَ الضَّـحِيَّةَ كُـلُّ صَـاحِبِ سُـنَّةٍ لله دَرُّكَ مِـــنْ أَخِـــي قُرْبَـــانِ

ونحن نشكرُه على تضحيتِهِ بهذا الرجلِ، ونرى أنها أقربُ قُرْبانٍ يتقرَّبُ به الإنسانُ إلى الله.

٢٨٢٤- ولَأَحْمِلَــنَّ عَلَــيْهِمْ بِعَسَــاكِرٍ لَيْسَــتْ تَفِـرُّ إِذَا الْتَقَـى الزَّحْفَـانِ

قَوْلُهُ: «بِعَسَاكِر لَيْسَتْ تَفِرّ» لماذا؟ لأنَّها قويَّةٌ مُريدةٌ للقتال تمامًا.

٢٨٢٥- بِعَسَاكِرِ الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْـ ـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ بِالإِحْسَانِ

٢٨٢٦- حَتَّى يَبِينَ لِـمَنْ لَهُ عَقْـلٌ مِـنَ الْـ أَوْلَـى بِحُكْـمِ الْعَقْـلِ وَالْبُرْهَـانِ؟

جزاه الله خيرًا، يعني: بعدما يُبَيِّنُ بطلانَهم يَبِينُ للناس مَنِ الأَوْلَى بالعقل، هل هم أم أهلُ الحديث؟ ولا شكَّ أنَّ أهلَ الحديثِ هم أَوْلَى.

٢٨٢٧- وَلَأَنْصَــحَنَّ اللهَ ثُــمَّ رَسُــولَهُ وَكِتَابَــهُ وَشَرَائِــعَ الإِيــمَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَأَنْصَحَنَّ اللهَ» يعني: أنصحنَّ لله، ولو كان البيتُ هكذا:

وَلَأَنْصَــحَنْ لله ثُــمَّ رَسُــولِهِ وَكِتَابِــهِ وَشَرَائِــعِ الإِيــمَانِ

لاستقام.

وقوله: «ولأنصحنْ لله» ليوافقَ لفظَ الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِـمَنْ؟ قَالَ: «لله...»[1]، أمَّا على النسخ الموجودة في أيدينا (ولأنصحنَّ الله) فالمعنى: لأنصحنَّ له، فيكون منصوبًا بنزع الخافض.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

٢٨٢٨- إِنْ شَـاءَ رَبِّي ذَا يَكُـونُ بِحَوْلِـهِ إِنْ لَـمْ يَشَـأْ فَـالأَمْرُ لِلـرَّحْمَنِ

وَقَوْلُهُ: «إِنْ لَـمْ يَشَأْ» في نسخة: (أَوْ لَـمْ يَشَأْ)، على كُـلِّ حـالٍ المعنيانِ صحيحان.

قَوْلُهُ: «إِنْ شَاءَ رَبِّي» الحمدُ لله أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي)؛ لأنَّ كُلَّ أَقْسَامِهِ الأُولى لو لم يَقْرِنْهَا بالمشيئة لذهبت جفاءً؛ لأنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- قال في سليمان: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَـمْ يَحْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لِـحَاجَتِهِ»(1).

والإنسانُ إذا أقسمَ على شيء فينبغي له أن يَقْرِنَ قَسَمَهُ بالمشيئة ليسهل ذلك؛ ولهذا قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ).

قَوْلُهُ: «إِنْ لَـمْ يَشَأْ -وفي النسخة الثانية: أَوْ لَـمْ يَشَأْ- فَالأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ» لأنه إذا شاء اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يهدِيَ عبدَه فذلك بفضلِهِ وحولِه، أو لم يشاء مَنِ الأمرُ إليه؟ الجوابُ: الأمرُ له عزَّ وجلَّ، فنسأل اللهَ أن يهديَنا وإيَّاكم صِراطَه المستقيم.

* * *

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب الاستثناء في الأيمان، رقم (٦٣٤١)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

فصل

فِي شَهَادَةِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ أَنَّه لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلا لله بَيْنَنَا كَلامٌ، وَلا فِي القَبْرِ رَسُولٌ

٢٨٢٩- إِنَّا تَحَمَّلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي ... قُلْتُمْ نُؤَدِّيهَا لَدَى[1] الرَّحْمَنِ

٢٨٣٠- مَا عِنْدَكُمْ فِي الأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَا ... مُ الله حَقًّا يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

٢٨٣١- كَلَّا وَلا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... رَبٌّ يُطَاعُ بِوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

٢٨٣٢- كَلَّا وَلا فِي القَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ ... مِنْ مُرْسَلٍ وَالله عِنْدَ لِسَانِ

٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلاثٌ قَدْ بَدَتْ ... مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوَغَانِ

٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الأَعْرَاضِ قَا ... ئِمَةٌ بِجِسْمِ الحَيِّ كَالأَلْوَانِ

٢٨٣٥- وَكَذَا صِفَاتُ الحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ ... مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الجُثْمَانِ

٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الحَيَاةُ فَيَنْتَفِي ... مَشْرُوطُهَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ المَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا ... كَصِفَاتِهِ بِالْعِلْمِ وَالإِيمَانِ

٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْـ ... ـرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الأَذْهَانِ

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

الشـــرحُ

يقولُ المؤلفُ -رحمه الله-: إنَّ أهلَ الإثبات يشهدون عند الله على أهل التعطيل بهذه الأمور الثلاثة:

أوَّلًا: أنه ليس في السماء إلهٌ يُعْبَدُ.

ثانيًا: أنه ليس في الأرض كلامٌ لله.

ثالثًا: أنه ليس في القبر رسولٌ.

يقول -رحمه الله-:

٢٨٢٩- إِنَّـــا تَحَمَّلْنَـــا الشَّـــهَادَةَ بِالَّـــذِي قُلْـتُمْ نُؤَدِّيهَـا لَـدَى[(١)] الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «**قُلْتُمْ نُؤَدِّيهَا لَدَى الرَّحْمَنِ**» لكن متى؟ الجواب: نؤديها في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تكلَّم بشيءٍ في الدنيا فقد شَهِدَ به عند الله؛ ولهذا جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ...**»[(٢)] وأمَّا في الآخرة فظاهرٌ.

٢٨٣٠- مَا عِنْـدَكُمْ فِي الأَرْضِ قُـرْآنٌ كَـلَا مُ الله حَقًّـا يَـا أُولِـي الْعُـدْوَانِ

لماذا؟ لأنهم يقولون: إنَّ القرآنَ عبارةٌ عن كلام الله، أو يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ من مخلوقات الله.

٢٨٣١- كَـلَّا وَلا فَـوْقَ السَّـمَوَاتِ الْعُـلَى رَبٌّ يُطَـاعُ بِوَاجِـبِ الشُّـكْرَانِ

وذلك لأنَّهم ينكرون علوَّ الله عزَّ وجلَّ، ويقولون إمَّا بالتعطيل المحض وإمَّا

---

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٦٩).

بالحلول، يقولون: إنَّ اللهَ ليس فَوْقَ العالَـمِ، ولا تحتَ العالَـمِ، ولا يمينُ ولا شمالُ، ولا متصلًا ولا منفصلًا، ولا مباينًا ولا محايدًا، وهذا تعطيلٌ مَحْضٌ، ومضمونه: أنَّ اللهَ ليس في السَّماء. أو يقولون: إنَّ اللهَ بذاتِه في كُلِّ مكان، وهذا أيضًا مضمونُه: أنَّ اللهَ ليس في السَّماء، فإذن ليس فوقَ السموات العُلَى رَبٌّ يُطَاعُ بواجب الشكران.

٢٨٣٢- كَـلَّا وَلا فِي القَـبْرِ أَيْضًـا عِنْـدَكُمْ ... مِـنْ مُرْسَـلٍ وَاللهِ عِنْـدَ لِسَـانِ

قَوْلُهُ: «**كَلَّا وَلا فِي القَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ**» يعني: لا يوجد أيضًا رسولٌ في القبر.

قَوْلُهُ: «**وَاللهِ عِنْدَ لِسَانِ**» يعني: أَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- عند قولِ كُلِّ قائلٍ، فكُلُّ مَن شَهِدَ لله فاللهُ تعالى عند شهادتِه يحاسبُه عليها.

٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَـلاثٌ قَـدْ بَـدَتْ ... مِـنْكُمْ فَغَطُّوهَـا بِـلَا رَوَغَـانِ

قَوْلُهُ: «هاتِيكَ» اسمُ إشارةٍ، والمشارُ إليه ما سبق من أنه ليس في الأرض كلامٌ لله، وليس فوق السموات إلهٌ يُعْبَدُ، وليس في القبر رسولٌ.

قَوْلُهُ: «**قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوَغَانِ**» يعني: إن استطعتم فغَطُّوا هذه العوراتِ، ولكنَّهم لا يستطيعون.

أما العورتان الأوليان: أنه ليس في الأرضِ كلامٌ لله، وأنه ليس فوق السموات إلهٌ يُعْبَدُ، فقد سبق وجهها.

أَمَّا الثالثةُ فوجهُها ما ذكـره -رحمه الله- في قوله:

٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الأَعْـرَاضِ قَـا ... ئِمَـةٌ بِجِسْـمِ الـحَيِّ كَـالأَلْوَانِ

الرُّوحُ عند هؤلاء عَرَضٌ من الأعراض: كالحرارة، والبرودة، والحركة، هذه الأشياءُ عَرَضٌ، إذا مات الإنسانُ زالت؛ ولهذا عندهم الرُّوحُ عَرَضٌ من أعراض الجسم، كاللون، وحرارة الجسم، وبرودته، ورطوبته، ويُبُوسته، وما أشبهَ ذلك، فإذا مات أين تذهبُ الرُّوحُ؟ الجواب: تزولُ كزوالِ بقيَّة الصفات.

٢٨٣٥- وَكَـذَا صِـفَاتُ الْـحَيِّ قَائِمَـةٌ بِـهِ مَشْـرُوطَةٌ بِحَيَـاةِ ذِي الْـجُثْمَانِ

صفاتُ الحيِّ قائمةٌ به، لكنَّها مشروطةٌ بأيِّ شيء؟ الجوابُ: بحياته، لا يمكنُ أن يتحرَّكَ، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يغضب، ولا يرضى، إلَّا إذا كان حيًّا.

إِذَنْ لا رُوحَ فيه إلَّا إذا كان حيـًّا، وإذا كان ميتـًا فُقِدَت الرُّوحُ تمامًا كما تُفْقَدُ بقيَّةُ الصفات، وهذا أحدُ أقوالِ القائلين في الرُّوح: إنها عَرَضٌ من أعراض الجِسم، تذهبُ بذَهاب الجِسم.

فـ «**صِفَاتُ الحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ**» الرسالةُ مشروطةٌ بالحياة، كُلُّ الصفاتِ مشروطةٌ بالحياة، فالرسالةُ وصفٌ مشروطٌ بحياة الـرسول، فإذا ماتَ زالت الرسالةُ، كما أنَّ صفات الجسم إذا مات ماتت.

إِذَنْ هذه الجُثَّةُ التي في القبر هل هي رسولٌ أو لا؟ الجوابُ: على قولهم ليست برسولٍ؛ لأنَّ صفات الحيِّ مشروطةٌ بحياته، والحياةُ من الرسول ﷺ قد فُقِدَتْ وزالت، إِذَنْ فالصفاتُ التي لا بُدَّ فيها من الحياة زالت؛ ولهذا قال:

٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْـكَ الْـحَيَاةُ فَيَنْتَفِـي مَشْـرُوطُهَا بِالْعَقْـلِ وَالْبُرْهَـانِ

إذا انتفت هذه الحياةُ انتفى مشـروطُها وهو الصفات؛ لأنَّ الصفاتِ من شرطها الحياةُ، فإذا فُقِدَت فُقِدَت الصفاتُ.

٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ الـمَبْعُوثِ مَشْـرُوطٌ بِهَـا كَصِـفَاتِهِ بِـالْعِلْمِ وَالإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «وَرِسَالَةُ المَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا» أي: من شرط كونه رسولًا أن يكون حيًّا على زعمهم، فإذا مات قال:

٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الـحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْـ ـرُوطٍ بِهَـا عَـدَمٌ لِـذِي الأَذْهَـانِ

قَوْلُهُ: «**كلُّ مَشْرُوطٍ بها عَدَمٌ**» (**كُلُّ**): مبتدأ مضافة إلى (**مشروط**)، و(**عدم**): خبر المبتدأ.

إِذَنْ -على قولهم- (**ليس فِي السَّماء إِلَهٌ يُعْبَدُ**)؛ لماذا؟ لأنهم ينكرون علوَّ الله.

- (**ليس فِي الأرض كلامٌ لله**)؛ لأنهم يقولون: كلامُ الله مخلوقٌ، فهو كوجود البعير والإنسان، ولا فرق.

- (**ليس فِي القبر رسول**)؛ لأنَّ الرسالةَ وصفٌ مشروطٌ بالحياة، والحياةُ مفقودةٌ؛ لأنَّ الرُّوحَ عندهم عَرَضٌ من الأعراض تفوتُ بموت الجسم، فإذا فُقِدَت الرُّوحُ التي هي شرطٌ للرسالة فُقِدَت الرسالةُ، وعلى هذا فالنَّبِيُّ ﷺ في قبره ليس برسولٍ، يعني: انتفى عنه وصفُ الرسالة، هذا معنى قولهم: (**ليس فِي القبر رسول**).

هؤلاء لو قالوا: (**ليس فِي القبرِ حَيٌّ**) نقول: هذا صحيحٌ إن أرادوا الحياةَ الدنيا، أمَّا إن أرادوا الحياةَ البرزخيَّةَ فغيرُ صحيح؛ ولهذا جاء المؤلفُ في الفصل الذي يليه بالكلام عن حياةِ الأنبياءِ في قبورِهم.

* * *

فصـــل

فِي الكَلامِ فِي حَيَاةِ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ

٢٨٣٩- وَلِأَجْلِ هَـذَا رَامَ نَـاصِرُ قَـوْلِكُمْ ... تَرْقِيعَــهُ يَــا كَثْـرَةَ الـــخُلْقَانِ

٢٨٤٠- قَـالَ: الرَّسُـولُ بِقَـبْرِهِ حَـيٌّ كَـمَا ... قَدْ كَـانَ فَـوْقَ الأَرْضِ وَالرُّجْحَـانِ

٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللْـ ... ـلَبِنَـاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الجُـدْرَانِ

٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّـا فِي الضَّـرِيحِ حَيَاتَـهُ ... قَبْـلَ الـــمَمَاتِ بِغَـيْرِ مَـا فُرْقَـانِ

٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا ... وَاللهِ هَــــذِي سُـــنَّةُ الـــرَّحْمَنِ

٢٨٤٤- أَتُـرَاهُ تَحْـتَ الأَرْضِ حَيًّـا ثُـمَّ لَا ... يُفْتِيـــهِمُ بِشَـــرَائِعِ الإِيـــمَانِ؟

٢٨٤٥- وَيُـرِيحُ أُمَّتَـهُ مِـنَ الآرَاءِ وَالْــ ... ـخُلْفِ[1] العَظِيمِ وَسَـائِرِ البُهْتَـانِ

٢٨٤٦- أَمْ كَـانَ حَيًّـا عَـاجِزًا عَـنْ نُطْقِـهِ ... وَعَنِ الـجَوَابِ لِسَـائِلٍ لَـهْفَانِ؟

٢٨٤٧- وَعَنِ الحَرَاكِ، فَمَا الحَيَاةُ اللَّاتِ قَـدْ ... أَثْبَتُّمُوهَـــا؟ أَوْضِـــحُوا بِبَيَـــانِ

٢٨٤٨- هَـذَا وَلِـــمَ لا جَــاءَهُ أَصْــحَابُهُ ... يَشْــكُونَ بَـأْسَ الفَـاجِرِ الفَتَّـانِ؟

٢٨٤٩- إِذْ كَـــانَ ذَلِـــكَ دَأْبُهُـــمْ وَنَبِـــيُّهُمْ ... حَـيٌّ يُشَـاهِدُهُمْ شُـهُودَ عِيَـانِ

٢٨٥٠- هَـلْ جَـاءَكُمْ أَثَـرٌ بِـأَنَّ صِـحَابَهُ ... سَـأَلُوهُ فُتْيَـا وَهْـوَ فِي الأَكْفَـانِ

(١) في نسخة السفاريني: «السخف».

٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابِ حَيٍّ نَاطِقٍ ... فَأْتُوا إِذَنْ بِالْحَقِّ وَالبُرْهَانِ

٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمُ جَوَابًا شَافِيًا ... إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانِ؟

٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شُدَّتْ رَكَائِبُهُ عَنِ الْـ ... ـحُجُرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ البُلْدَانِ

٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الحِرْصِ العَظِيمِ لَهُ عَلَى ... إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التِّبْيَانِ

٢٨٥٥- أَتُرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلافَهُمْ ... وَيَكُونُ لِلتِّبْيَانِ ذَا كِتْمَانِ؟!

٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمُ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمُ ... قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ

٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ اشْكَلَ بَعْدَهُ ... أَعْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانِ

٢٨٥٨- أَوَمَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بِأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تِبْيَانِ

٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلالَةٍ ... وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرِّبَا الْفَتَّانِ

٢٨٦٠- قَدْ قَصَّرَ الفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ ... إِذْ لَمْ يَسَلْهُ وَهْوَ فِي الأَكْفَانِ

٢٨٦١- أَتُرَاهُمُ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... لِسُؤَالِ أُمِّهِمُ أَعَزِّ حَصَانِ

٢٨٦٢- وَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْـ ... ـمَعُهُمْ وَلا يَأْتِي لَهُمْ بِبَيَانِ؟!

٢٨٦٣- أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ ... إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ؟!

٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ العُقَلاءِ وَالْـ ... ـمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ

٢٨٦٥- وَاللهِ لَا قَدْرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمُ ... كَلَّا وَلا لِلنَّفْسِ وَالإِنْسَانِ[1]

(١) في نسختي ابن سحمان: «الإيمان».

٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَـذَا الْقَـدْرُ مَبْلَـغَ عِلْمِـهِ ... فَلْيَسْـتَتِرْ بِالصَّـمْتِ وَالْكِـتْمَانِ

٢٨٦٧- وَلَقَـدْ أَبَـانَ اللهُ أَنَّ رَسُـولَهُ ... مَيْـتٌ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي الْقُـرْآنِ

٢٨٦٨- أَفَجَـاءَ أَنَّ اللهَ بَاعِثُـهُ لَنَـا ... فِي الْقَـبْرِ قَبْـلَ قِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ؟

٢٨٦٩- أَثَـلاثُ مَوْتَـاتٍ تَكُـونُ لِرُسْـلِهِ ... وَلِغَـيْرِهِمْ مِـنْ خَلْقِـهِ مَوْتَـانِ؟!

٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لا يَبْقَـى امْـرُؤٌ ... فِي الأَرْضِ حَيًّـا قَـطُّ بِالْبُرْهَـانِ

٢٨٧١- أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسْـلُ أَمْ يَبْقَـوا إِذَا ... مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُـمْ قَـوْلانِ؟

٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لا الدَّعْوَى وَجِيـ ... ـئُوا بِالـدَّلِيلِ فَـنَحْنُ ذُو أَذْهَـانِ

٢٨٧٣- أَوَلَـمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِي الْـ ... أَصْـوَات حَـوْلَ القَـبْرِ بِـالنُّكْرَانِ:

٢٨٧٤- لا تَرْفَعُوا الأَصْوَاتَ حُرْمَـةَ عَبْـدِهِ ... مَيْتًـا كَحُرْمَتِـهِ لَـدَى الـحَيَوَانِ[1]

٢٨٧٥- قَـدْ كَـانَ يُمْكِـنُهُمْ يَقُولُـوا: إِنَّـهُ ... حَيٌّ فَغُضُّوا الصَّـوْتَ بِالإِحْسَـانِ

٢٨٧٦- لَكِـنَّهُمْ بِـاللهِ أَعْلَـمُ مِـنْكُمُ ... وَرَسُـولِهِ وَحَقَـائِقِ الإِيـمَانِ

٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًـا إِلَى العَبَّـاسِ يَسْـ ... ـتَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبِ زَمَـانِ

٢٨٧٨- هَــذَا وَبَيْـنَهُمْ وَبَـيْنَ نَبِـيِّهِمْ ... عَرْضُ الـجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوَانِ

٢٨٧٩- فَنَبِـيُّهُمْ حَـيٌّ وَيَسْتَسْـقُونَ غَيْـ ... ـرَ نَبِيِّهِمْ حَاشَـا أُولِـي الإِيمَانِ

---

(١) في نسختي ابن سحمان «الحولان».

الشـرحُ

المؤلفُ -رحمه الله- تكَلَّم في حياة الأنبياء في قبورهم بعد أن ذكر شهادةَ أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السَّماءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، ولا بيننا كلامٌ لله، ولا في القبرِ رسولٌ لله، وبَيَّن وجهَ قولنا: إنه يَلْزَمُ على قولهم بأن لا يكونَ في القبر رسولٌ لله هو أنهم يقولون: إنَّ الموتَ عَرَضٌ من الأعـراض، فالموتُ كفقدِ اللون، وفقدِ الصحة، وما أشبهَ ذلك، فهو عَرَضٌ من الأعراض، إذا مات الإنسانُ ذهبت رُوحُه، وإذا ذهبت رُوحُه زال عنه وصفُ الرسالة؛ لأنَّ الرسالةَ مشروطةٌ بوجود الروح، وهذا تقدَّم. بعد أن ذكر ذلك بَيَّنَ -رحمه الله- حياةَ الأنبياء في قبـورهم، وقال: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ ليس حيًّا في قبره كحياتنا هذه؛ ولذا قال: «**فَصْلٌ فِي الكَلَامِ فِي حَيَاةِ الأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ**» يعني: هل هم أحياءٌ؟ وما نوعُ الحياة؟ قال المؤلف:

٢٨٣٩- وَلِأَجْـلِ هَـذَا رَامَ نَـاصِرُ قَـوْلِكُمْ ... تَرْقِيعَـهُ يَـا كَثْـرَةَ الـخُلْقَانِ

يعني: أنَّ مَن نَصَرَ قولَكم رَامَ أَنْ يُرَقِّعَه، ولكنَّ الترقيعَ لا ينفعُ؛ لأنَّ الثوبَ الخَلَقَ خَلَقٌ سواءٌ رُقِّعَ أم لم يُرَقَّعْ.

٢٨٤٠- قَـالَ: الرَّسُـولُ بِقَـبْرِهِ حَـيٌّ كَـمَا ... قَدْ كَـانَ فَـوْقَ الأَرْضِ وَالرُّجْمَـانِ

سبق قبل قليل أنَّهم يَرَوْنَ أنَّ الـرُّوحَ والحياةَ عَرَضٌ، وأنه لـمَّا مات الرسولُ ﷺ زالت الرسالةُ، فكان في القبر غير رسول.

رام مَن ينصرُ قولَهم أن يقولَ: إنَّ الرسولَ ﷺ لم يمت، بل هو حَيٌّ في قبره، مِن أَجْلِ ترقيع هذا القول، لكن لا تنفعُ الرُّقَعُ.

قَوْلُهُ: «والرُّجمان» يعني: الحصى التي يُرْجَمُ بها.

٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللْـ ... ـلِبنَـاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الجُـدْرَانِ

يعني: فيكون حيًّا ولو كان تحتَ التراب مِن أَجْلِ أَلَّا يُسْلَبَ عنه وصفُ الرسالة.

قال المؤلف ردًّا عليهم:

٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّـا فِي الضَّـرِيحِ حَيَاتَـهُ ... قَبْـلَ الـمَمَاتِ بِغَـيْرِ مَـا فُرْقَـانِ

٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا ... وَاللهِ هَـــذِي سُـــنَّةُ الـــرَّحْمَنِ

وصدق -رحمه الله-، فلو كانت حياتُه في قبره كحياتِه في الدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها، بل ولا ما دفنَه أصحابُه؛ لأنه لو كان حيًّا كحياته بالدنيا ودفنَه أصحابُه لكانوا أكبرَ الجُنَاةِ عليه، وهذا أمرٌ معلومٌ؛ فلو أمسكتَ شخصًا حيًّا يُرْزَقُ يَأكلُ ويَشربُ ثُمَّ رَمَسْتَهُ بالتُّرْبِ لكان هذا أعظمَ الجناية عليه، فلو كان حيًّا في قبره كحياته بالدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها.

٢٨٤٤- أَتُـرَاهُ تَحْـتَ الأَرْضِ حَيًّـا ثُـمَّ لَا ... يُفْتِـيهِمُ بِشَـرَائِعِ الإِيـمَانِ؟

الجَوَابُ: لا، لو كان حيًّا تحت التراب كحياته بالدنيا لكان يُفتيهم إِذَا أَشْكَلَ عليهم الأمرُ مع أنه لم يُفْتِهِم.

قد يقولون: هو مدفونٌ ولا يسمعُ، قد يقولون هكذا، فنقول: حتَّى وإِنْ كان الأمرُ كذلك فلا بُدَّ أن يسمعَ إذا اسْتَفْتَوْهُ لدعاء الحاجة.

٢٨٤٥- وَيُـرِيحُ أُمَّتَـهُ مِـنَ الآرَاءِ وَالْـ ... ـخُلْفِ العَظِـيمِ وَسَـائِرِ البُهْتَـانِ

لأنه لو كان حيًّا لأراح الأمةَ من هذا الخلافِ العظيمِ الثابتِ بينها في العقائد والأحكام.

٢٨٤٦- أَمْ كَـانَ حَيًّـا عَـاجِزًا عَـنْ نُطْقِـهِ   وَعَنِ الـجَوَابِ لِسَـائِلٍ لَـهْفَانِ؟

٢٨٤٧- وَعَنِ الحَرَاكِ، فَمَا الحَيَاةُ اللَّاتِ قَـدْ   أَثْبَتُّمُوهَـــا؟ أَوْضِـــحُوا بِبَيَـــانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنْ نُطْقِهِ؟» الجواب: لا؛ لأنه لو كان حيًّا لكان لصار ناطقًا، فمن أهم الأوصاف الحياتيَّة النطقُ.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الحَرَاكِ» يعني: لو كان حيًّا لكان قادرًا على الحركة.

يعني: إن قلتم: إنه حَيٌّ لكن لا يستطيعُ أن يتكلَّمَ، ولا يستطيعُ أن يتحرَّكَ، نقولُ لكم: أيُّ نوعٍ من الحياة كانت؟! إِذَنْ لا بُدَّ أن تكونَ الحياةُ -وإن كانَ في قبره حيًّا- حياةً مُفْارِقةً للحياة الدنيا.

٢٨٤٨- هَــذَا وَلِــمَ لا جَــاءَهُ أَصْــحَابُهُ   يَشْــكُونَ بَــأْسَ الفَــاجِرِ الفَتَّــانِ؟

يعني: لماذا لم يجئه أصحابُه إذا أصابهم بأسٌ (حربٌ) أو غير حرب يشكون إليه؟ ومن أعظم ما أصابهم ما حصل في أيام الـحَرَّة من القتلِ العظيم، والنهبِ، والسَّلب، وانتهاك الـحُرُمات، ومع ذلك لم يأتوا إلى النَّبِيِّ ﷺ يشكون إليه، ولو كان حيًّا لأَتَوْا إليه يشكون إليه هذا البأس.

٢٨٤٩- إِذْ كَــانَ ذَلِــكَ دَأْبَهُــمْ وَنَبِــيُّهُمْ   حَــيٌّ يُشَــاهِدُهُمْ شُــهُودَ عِيَــانِ

قَوْلُهُ: «دأبَهم» (الدأب) أي: العادة.

يعني: كانت عادتهم والنَّبِيُّ ﷺ حيٌّ أن يلجئوا إلى النَّبِيِّ ﷺ في الأحكام والفُتيا بينهم، وحين يحين البأسُ يرجعون إلى النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

٢٨٥٠- هَــلْ جَــاءَكُمْ أَثَــرٌ بِــأَنَّ صِــحَابَهُ   سَــأَلُوهُ فُتْيَــا وَهْــوَ فِي الأَكْفَــانِ

٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابِ حَيٍّ نَاطِقٍ ... فَأْتُوا إِذَنْ بِالحَقِّ وَالبُرْهَانِ

٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمُ جَوَابًا شَافِيًا ... إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانِ؟

يعني: هل جاء هذا؟ هل جاء أثرٌ بأنَّ الصحابةَ يستفتونه وهو مُدْرَجٌ في أكفانِه فأفتاهم؟ الجواب: أبدًا.

اختلف الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أين يُدْفَنُ؟ وهل يُغَسَّلُ كما يُغَسَّلُ الموتى؟ وهل يُكَفَّنُ كما يُكَفَّنُ الموتى؟ اختلفوا في ذلك، ومع ذلك ما رجعوا إليه يسألونه، وهو بينهم لم يُدْفَنْ، فكيف يكونُ حيًّا؟!

٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شُدَّتْ رَكَائِبُهُ عَنِ الْـ ... ـحُجُرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ البُلْدَانِ

صحيحٌ، لو كان حيًّا لَشُدَّت ركائِبُهُ من حُجُراته إلى أقاصي البلدان ولَشارَكَ النَّاسَ في الغزوات والحروب.

٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الحِرْصِ العَظِيمِ لَهُ عَلَى ... إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التِّبْيَانِ

ولا شكَّ أنَّ الرسولَ -صلوات الله وسلامه عليه- شديدُ الحرصِ على إرشاد الأمة، وأنه لا يألو جهدًا في إرشادِهم في كُلِّ طريق.

٢٨٥٥- أَتَرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلافَهُمْ ... وَيَكُونُ لِلتِّبْيَانِ ذَا كِتْمَانِ؟!

ما الجوابُ؟ الجواب: لا، لا يمكنُ، وكُلُّ هذا يدلُّ على أنه ليس حيًّا في قبره كحياته في الدنيا؛ لأنه لو كان حيًّا كحياته بالدنيا لرجعوا إليه في هذه الأمور.

٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمُ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمُ ... قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ

لو قالوا: إنما لم يفعلِ النَّبِيُّ ﷺ ذلك؛ لأنه سبق أن بَيَّنَ البيانَ المبينَ وتركَ

أُمَّتَه على محجَّةٍ بيضاءَ، نقولُ: صدقتم، إنَّه قد بَيَّنَ وترك أُمته على المحجَّة البيضاء، لكن ما الذي يضيرُه من تَكرارِ البيان؟ تكرارُ البيانِ يكونُ زيادةَ إحسانٍ للأُمة؛ ولهذا قال: «**إِنْ قُلْتُمُ: سَبَقَ الْبَيَانُ**» يعني: فلا حاجةَ إليه (**صدقتم**) وهذه جواب (**إن**).

قَوْلُهُ: «**قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ**» يعني: لو كَرَّرَ لكان زيادةَ خيرٍ وإحسانٍ للأُمة.

٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ اشْكَلَ بَعْدَهُ أَعْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلَّ زَمَانِ

وهذا صحيحٌ، فما أكثرَ الأمورَ التي أَشْكَلَتْ على الأمة بعد الرسول ﷺ!

فَمِن أوَّلِ ما أشكل: اختلف الصحابةُ بعد أن اختلفوا في غسله وتكفينه وأين يُدْفَنُ؛ اختلفوا في إنفاذ جيش أسامةَ بنِ زيدٍ، وهذه مسألةٌ مهمةٌ، فجيشُ أسامةَ بن زيد كَوَّنَه الرسولُ -صلوات الله وسلامه عليه- في حياته، وعقد اللواءَ لأسامةَ بن زيد، وخرج الجيشُ إلى ظاهر المدينة، ولـمَّا مرِض النَّبيُّ ﷺ لم يَسِرْ هذا الجيشُ حتَّى تُوُفِّيَ صلوات الله وسلامه عليه.

لـمَّا تُوُفِّيَ اختلف الصحابةُ؛ لأنه لَـمَّا تُوفي ارتدَّ بعضُ العرب، فاختلف الصحابةُ هل يُنْفِذون هذا الجيشَ أو يبقونه يستعينون به على قتال المرتدين، فمانَعَ عمرُ وجماعةٌ من الصحابة، وقالوا: يبقى الجيشُ نستعينُ به، ولكنَّ أبا بكر قال: والله لا أَغمِد سيفًا سَلَّه النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-، ولا أَحُلُّ لواءً عقده النَّبيُّ ﷺ. أَقسمَ على ذلك. قال عمر: فوالله ما هو إلا أنْ رأيتُ اللهَ قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال، فعرفت أنه الحقُّ[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم (٢٠).

هذا الخلافُ الذي حصل، هل رجعوا فيه إلى الرسول ﷺ في قبره؟

الجواب: أبدًا.

٢٨٥٨- أَوَمَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بِأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تِبْيَانِ

٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلالَةٍ ... وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرِّبَا الْفَتَّانِ

قَوْلُهُ: «أَوَمَا تَرَى الْفَارُوقَ» يعني عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَدَّ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن قد كان عنده عهدٌ من الرسول -عليه الصلاة والسلام- في أمورٍ ثلاثة: الجَدِّ، وَالكَلَالَةِ، وَشَيْءٍ مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا(١).

الأَوَّلُ: (الجَدُّ) يُريد ميراثَه مع الإخوة، وكما هو معلومٌ من اختلاف الصحابة ومَنْ بعدهم في ميراث الجدِّ مع الإخوة على أقوالٍ كثيرة، والصحيح أنَّه بمنزلة الأب وأنه يُسقط الإخوةَ الأشقاءَ أو لأبٍ أو لأُمّ.

الثاني: (الكَلَالَة) ما الكَلَالَةُ؟ أشكلت على عمر، لكنَّها في الحقيقةِ واضحةٌ عند التأمُّل، الكَلَالَةُ مَنْ ليس له ولدٌ ولا والدٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ [النساء:١٢] الإخوة من الأم لا يرثون مع وجود الأصول الذكور أو الفروع مطلقًا. وكذلك في آخر سورة النساء قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ [النساء:١٧٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، رقم (٥٢٦٦)، ومسلم: كتاب التفسير، باب في نزول الخمر، رقم (٣٠٣٢).

قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ هذا شرطٌ من شروط الكلالَةِ، فالشرطُ أن لا يكونَ له ولدٌ، ولا يكونَ له والدٌ، وهذا الشرطُ مأخوذٌ من القسمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧٦]، وهذا لا يُتَصوَّرُ مع وجود الوالد.

فإذن الكَلَالَةُ واضحةٌ في القرآن لِمَن تأمَّل، لكنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُريدُ بذلك بيانًا واضحـًا لا جدالَ فيه إطلاقـًا.

الثالث ممَّا تمنَّاه عمرُ: **شيءٌ من أبواب الرِّبا**، أبوابُ الرِّبا كثيرةٌ، وقد وردَ في الحديث أنه «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا»[١] أشكلت على عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الأبوابَ فتمنَّى أنَّ النَّبِيَّ بَيَّـنَ ذلك، ولم يرجعوا إليه في قبره.

٢٨٦٠- قَدْ قَصَّـرَ الفَارُوقُ عِنْـدَ فَـرِيقِكُمْ ... إِذْ لَـمْ يَسَـلْهُ وَهْـوَ فِي الأَكْفَـانِ

معناه: أنَّ ابنَ القيِّم -رحمه الله- يقولُ: أنتم تقولون: إنَّ عمرَ مُقَصِّرٌ؛ لأنه ما سأله بعد موته، لو سأله لوجده حيًّا فأجابه.

٢٨٦١- أَتُـرَاهُمُ يَـأْتُونَ حَـوْلَ ضَرِيحِـهِ ... لِسُـؤَالِ أُمِّهِـمُ أَعَـزِّ حَصَـانِ

٢٨٦٢- وَنَبِـيُّهُمْ حَـيٌّ يُشَـاهِدُهُمْ وَيَسْـ ... ـمَعُهُمْ وَلا يَـأْتِي لَـهُمْ بِبَيَـانِ؟!

الجَوَابُ: لا، يعني أنَّ الصحابةَ يأتون إلى حجرة النَّبِيِّ ﷺ وفيها عائشةُ أمُّ المؤمنين، يسـألون عـائشةَ، فهل تَظُنُّ أن يوجِّهوا السؤالَ إلى عائشةَ والنَّبِيُّ ﷺ يشاهدُهم ويسمعُهم؟ الجوابُ: لا، لا يمكنُ أن يسألوا عائشةَ في الحجرة، والنَّبِيُّ ﷺ في الحجرة حيٌّ ويَدَعُوا سؤالَ النَّبِيِّ إلى سـؤال عائشةَ، هذا محالٌ.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، رقم (٢٢٧٥).

٢٨٦٣- أَفَكَـانَ يَعْجِـزُ أَنْ يُجِيـبَ بِقَوْلِـهِ   إِنْ كَـانَ حَيًّـا دَاخِـلَ الْبُنْيَـانِ؟!

الجَوَابُ: لا يعجز؛ لأنه في الحجرة، فلو كان حيًّا داخل البنيان لأجابَهم، ولم تجبْهم عائشةُ.

٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ العُقَلاءِ وَالْـ   ـمَبْعُوثِ بِـالْقُرْآنِ وَالـرَّحْمَنِ

استحيوا من العقلاء، ثُمَّ من الرسولِ -عليه الصلاة والسَّلام-، ثُمَّ من الله، استحيوا من الله، ما هذا الكلامُ الذي صدر منكم؟!

٢٨٦٥- وَاللهِ لَا قَـدْرَ الرَّسُـولِ عَـرَفْتُمُ   كَـلَّا وَلا لِلـنَّفسِ وَالإِنْسَـانِ

نعم، ما عرفوا قَدْرَ الرسولِ ﷺ حيث زعموا أنه حيٌّ في قبره كحياته في الدنيا، ولا عَرَفوا أيضًا قـدرًا للنفس والإنسان؛ لأنه يجبُ على الإنسان أن يترفَّعَ بنفسه عن هذه السَّفاسفِ وهذه المقولاتِ التي يضحكُ منها السُّفهاء، بل والله ما عرفوا قدرًا للصحابة؛ لأنه لو كان حيًّا على زعمهم لكان الصحابةُ قد دفنوا نبيَّهم وهو حَيٌّ، وإذا كانت المَوْءُودةُ تُسأَلُ يوم القيامة عمَّن وَأَدها، فكيف بالرسول أن يدفنَه الصحابةُ وهو حيٌّ؟! هذا أكبرُ قدحٍ في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَـذَا الْقَـدْرُ مَبْلَـغَ عِلْمِـهِ   فَلْيَسْـتَتِرْ بِالصَّـمْتِ وَالْكِـتْمَانِ

يعني: من كان هذا مبلغَ عِلمه بأنَّ الرسولَ حيٌّ في قبره فعليه أن يستحييَ من نفسِه، وأن يستترَ عن بيان عيبه بالصمت والكتمان؛ حتَّى لا يفتضِحَ أمام الناس.

٢٨٦٧- وَلَقَـدْ أَبَـانَ اللهُ أَنَّ رَسُـولَهُ   مَيْـتٌ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي القُـرْآنِ

وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠].

٢٨٦٨- أَفَجَـــاءَ أَنَّ اللهَ بَاعِثُـــهُ لَنَـــا　　　فِي الْقَــبْرِ قَبْــلَ قِيَامَــةِ الأَبْــدَانِ؟

الجَوَابُ: لا. إِذَنْ ثبت أنه مَيِّتٌ، ولم يثبت أنه مبعوثٌ الآن، والأصلُ بقاءُ ما كان على ما كان عليه.

٢٨٦٩- أَثَــلاثُ مَوْتَــاتٍ تَكُــونُ لِرُسْــلِهِ　　　وَلِغَــيْرِهِمْ مِــنْ خَلْقِــهِ مَوْتَــانِ؟!

الجَوَابُ: لا يمكنُ، لكن على زعمهـم تكونُ الموتاتُ ثلاثًا: مات النَّبِيُّ قبل وجودِهِ، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، ومات بعد وجوده في الدنيا، ثُمَّ بُعِثَ في القبر فأُحْيِيَ، ثم يموتُ يوم القيامة الموتة الأولى، الثانية: الموتة التي يَصْعَقُ فيها الناسُ يوم القيامة، ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّور مرةً ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لا يَبْقَـى امْـرُؤٌ　　　فِي الأَرْضِ حَيًّـا قَـطُّ بِالبُرْهَــانِ

الدليلُ قولُ الله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨].

٢٨٧١- أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسْـلُ أَمْ يَبْقُـوا إِذَا　　　مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُـمْ قَـوْلانِ؟

٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لا الدَّعْوَى وَجِيـ　　　ـئُوا بِالـدَّلِيلِ فَـنَحْنُ ذُو أَذْهَــانِ

لله دَرُّه، أحرجهم تمامًا، يقولُ: هل يموتُ الرُّسلُ أم يبقون إذا مات الورى؟ إن قلتم: يموتُ الرُّسلُ فقد ماتوا ثلاثَ مراتٍ، وإن قلتم: يبقون، نقولُ: أين الدليلُ؟ أو لكم في هذا قولان، قولٌ يقولُ: إنَّهم يبقون، وقولٌ يقولُ: إنَّهم يموتون؟ وهكذا الإنسانُ إذا أُحْرِجَ يقولُ: في المسألة قولان، فيستريح.

٢٨٧٣- أَوَلَـمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِي الْـ أَصْـوَاتِ حَـوْلَ القَـبْرِ بِـالنُّكْرَانِ:

٢٨٧٤- لا تَرْفَعُوا الأَصْوَاتَ حُرْمَـةَ عَبْـدِهِ مَيْتًـا كَحُرْمَتِـهِ لَـدَى الـحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «لَدَى الـحَيَوَانِ» أي: لدى الحياة.

جاء هذا في أثرٍ عن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه جـاء قومٌ من أهل الطائف إلى مسجد النَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام- فجعلوا يتكلَّمون ويرفعونَ أصواتَهم، فدعاهم، وقال: «لَوْلَا أَنَّكُمْ مِنْ غَيْرِ هَذَا البَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمْ ضَرْبًا»[1]. هذا ما قال أو معناه، أترفعون أصواتَكم عند قَبْرِ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-؟ ولكن هذا على سبيل الاحترام والأدب.

٢٨٧٥- قَـدْ كَـانَ يُمْكِـنُهُمْ يَقُولُـوا: إِنَّـهُ حَيٌّ فَغُضُّوا الصَّـوْتَ بِالإِحْسَـانِ

قد كان يمكنهم أن يقولوا: إنه حيٌّ، فغُضُّوا الصوتَ، ولا يقولوا: لماذا ترفعونَ أصواتَكم عند قبرِ الرسول، فإنَّ حُرْمتَه ميِّتًـا كحُرمته حيًّا؟

٢٨٧٦- لَكِـنَّهُمْ بِـالله أَعْلَـمُ مِـنْكُمُ وَرَسُـولِهِ وَحَقَـائِقِ الإِيـمَانِ

الصحابةُ أعلمُ بالله وبرسولِهِ وبحقائقِ الإيمان منكم.

٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًـا إِلَى العَبَّـاسِ يَسْـ ـتَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبِ زَمَـانِ

٢٨٧٨- هَـذَا وَبَيْـنَهُمْ وَبَـيْنَ نَبِـيِّهِمْ عَرْضُ الـجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوَانِ

أَتَوْا إلى العباس يستسقون، وذلك أنه لـما أُصيبَ النَّاسُ بالقحط في عهد عمرَ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وجمع الناسَ للاستسقاء قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم (٤٥٨).

بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا»[١]، قُمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ اللهَ. فَقَامَ العَبَّاسُ فَدَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. ولو كان الرسولُ حيًّا لاستسقَوْا به، ما ذهبوا إلى العباس؛ لأنه ليس بينهم وبين نبيِّهم إلَّا عرضُ الجِدار وحجرةُ النسوان.

٢٨٧٩- فَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غَيْـ ... ـرَ نَبِيِّهِمْ حَاشَا أُولِي الإِيمَانِ

يعني: هل يمكنُ أن يستسقوا بأحدٍ دون النَّبِيِّ ﷺ وهو حيٌّ؟ الجواب: لا.

والحديث فيه أنه لا بأسَ بالتوسُّلِ بدعاءِ الصالحين في حياتهم، يعني: مثلًا: يوجد رجلٌ صالحٌ تَتَوسَّمُ فيه الخيرَ، فتقول له: ادعُ اللهَ لنا.

وكَرِهَ شيخُ الإسلامِ طلبَ الدعاء من الغير في الأمور الخاصة، أمَّا الأمور العامَّة كالاستسقاء العام للناس، فلا أظنُّ أحدًا يكرهُه.

* * *

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم (١٠١٠).

فصل

فِيمَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرُّسُلِ فِي القُبُورِ

٢٨٨٠- فَإِنِ احْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ ... حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ

٢٨٨١- وَالرُّسْلُ أَكْمَلُ حَالَةً مِنْهُ بِلا ... شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

٢٨٨٢- فَلِذَاكَ كَانُوا بِالحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ ... شُهَدَائِنَا بِالعَقْلِ وَالبُرْهَانِ

٢٨٨٣- وَبِأَنَّ عَقْدَ نِكَاحِهِ(١) لَمْ يَنْفَسِخْ ... فَنِسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصِيَانِ

٢٨٨٤- وَلِأَجْلِ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ ... مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الأَزْمَانِ

٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ ... حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟

٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرَ المُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا ... فِي قَبْرِهِ لِصَلاةِ ذِي القُرْبَانِ؟

٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلاةَ؟ وَإِنَّ ذَا ... عَيْنُ المُحَالِ وَوَاضِحُ البُطْلانِ

٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرُدُّ عَلَى الَّذِي ... يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ؟

٢٨٨٩- أَيَرُدُّ مَيِّتٌ السَّلامَ عَلَى الَّذِي ... يَأْتِي بِهِ؟ هَذَا مِنَ البُهْتَانِ

٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَاءَ الحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ ... أَحْيَاءُ فِي الأَجْدَاثِ ذَا تِبْيَانِ

٢٨٩١- وَبِأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ عَلَيْهِ تُعْـ ... ـرَضُ دَائِمًا فِي جُمْعَةٍ يَوْمَانِ

---

(١) في نسختي الإفتاء وابن سحمان: «نسائه».

٢٨٩٢- يَوْمَ الـخَمِيسِ وَيَوْمَ الاثْنَيْنِ الَّذِي قَدْ خُصَّ بِالْفَضْلِ العَظِيمِ الشَّانِ

الشَّــرحُ

٢٨٨٠- فَـإِنِ احْتَجَجْـتُمْ بِالشَّـهِيدِ بِأَنَّـهُ حَـيٌّ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي القُـرْآنِ

٢٨٨١- وَالرُّسْـلُ أَكْمَـلُ حَالَـةً مِنْـهُ بِـلا شَـكٍّ وَهَـذَا ظَـاهِرُ التِّبْيَـانِ

استدلَّ هؤلاء الذين يقولون بـأنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قبورِهم بأدلَّةٍ، منها: أنَّه لا شكَّ أنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ في قبورِهم، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، ومقامُ الأنبياءِ أعلى من مقام الشُّهداء بلا شَكٍّ، فإذا كانوا أعلى مقامًا من الشُّهداء صارت حياتُهم في قبورهم أَوْلَى من حياة الشُّهداء، وهذا هو الدليلُ الأوَّلُ.

٢٨٨٢- فَلِذَاكَ كَـانُوا بِالـحَيَاةِ أَحَـقَّ مِـنْ شُـهَدَائِنَا بِالعَقْـلِ وَالبُرْهَـانِ

وهذا دليلٌ بقياس الأَوْلَى، وهو أنَّهم أحقُّ بالحياة من الشُّهداء.

الدليل الثاني ذكره بقوله:

٢٨٨٣- وَبِـأَنَّ عَقْـدَ نِكَاحِـهِ لَـمْ يَنْفَسِـخْ فَنِسَـاؤُهُ فِي عِصْـمَةٍ وَصِـيَانِ

٢٨٨٤- وَلِأَجْـلِ هَـذَا لَـمْ يَـحِلَّ لِغَـيْرِهِ مِـنْهُنَّ وَاحِـدَةٌ مَـدَى الأَزْمَـانِ

قَوْلُهُ: «وَلِأَجْلِ هَذَا» يعني: مِـمَّا يدُلُّ على أنَّ عقدَ نكاحِ الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بـاقٍ بالنسبة لزوجاتِه قولُ الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣] قالوا: وهذا دليلٌ على أنَّ نِكاحَه باقٍ،

وإلَّا مَا حَرُمَتْ نساؤه على مَنْ بعده، وإذا كان نكاحُه باقيًا دَلَّ على أنه حيٌّ كحياته في الدنيا.

٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ ... حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟

هم يستدلُّون بهذا، لكن هم يقولون: هو دليلٌ، ونحن نقولُ: إنه لا دليل، وسنُجيبُ عنه إن شاءَ اللهُ.

٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرَ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا ... فِي قَبْرِهِ لِصَلاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟

قَوْلُهُ: «**أَوَلَمْ يَرَ الْمُخْتَارُ**» وهو النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «**أَوَلَمْ يَرَ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟**» الجواب: بلى، فالنَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، هكذا جاء الحديثُ[1] وصَحَّ.

٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلاةَ؟ وَإِنَّ ذَا ... عَيْنُ الْمُحَالِ وَوَاضِحُ الْبُطْلانِ

يقولون: إذا كان النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- رأى موسى حيًّا يُصَلِّي في قبره، فهل يمكنُ أن يُصلِّيَ وهو غيرُ حيٍّ؟ الجوابُ: لا، وهذا الجوابُ تَمَشِّيًا معهم، لكن سنردُّ عليهم إن شاءَ اللهُ.

٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرُدُّ عَلَى الَّذِي ... يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ؟

نعم، الرسولُ أخبرَ بأنَّ مَنْ سَلَّم عليه رَدَّ -عليه السَّلام-[2].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

(٢) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)..

٢٨٨٩- أَيَـرُدُّ مَيِّـتٌ السَّـلامَ عَـلَى الَّـذِي ... يَأْتِـي بِـهِ؟ هَـذَا مِـنَ البُهْتَـانِ

هم يقولون لك: الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- يسمعُ السَّلامَ عليه، ويردُّ، هل الميت يَردُّ؟ ستقولُ: لا، يقولون: إِذَنْ هو حيٌّ.

لكنَّنا نقولُ في الجوابِ عن ذلك: لا يلزمُ من السَّماعِ أن يكون حيًّا، فهذا الإنسانُ إذا دُفِنَ وتولَّى عنه أصحابُه يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ[1].

وهل يسمعُ النَّبِيُّ مطلقًا؟ هذا فيه خلاف، فمن العلماء مَنْ قال: يسمعُ، والصحيح أنَّ الأصلَ أنه لا يسمعُ إلَّا ما جاء به النصُّ؛ مثل السَّلام عليه، فإنه يسمعُ ويردُّ.

٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَـاءَ الـحَدِيثُ بِـأَنَّهُمْ ... أَحْيَـاءُ فِي الأَجْـدَاثِ ذَا تِبْيَـانِ

قَوْلُهُ: «فِي الأَجْدَاثِ» أي: في القبور.

يعني: ورد حديثٌ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الأَنبِيَاءُ أَحْيَـاءٌ فِي قُبُورِهِمْ»[2].

٢٨٩١- وَبِـأَنَّ أَعْـمَالَ العِبَـادِ عَلَيْـهِ تُعْـ ... ـرَضُ دَائِـمًا فِي جُمْعَـةٍ يَوْمَـانِ

٢٨٩٢- يَوْمَ الـخَمِيسِ وَيَوْمَ الاثْنَيْنِ الَّذِي ... قَدْ خُصَّ بِالْفَضْلِ العَظِيمِ الشَّـانِ

قَوْلُهُ: «جمعة» أي: أسبوع، يُعَبَّرُ بالجمعة عن الأسبوع، كما يُعَـبَّرُ عن السَّنة بالخريف، والخريفُ فصلٌ من فصول السَّنة، لكن يُعَبَّرُ به عن السَّنة كُلِّها، فيُعَـبَّرُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم (١٣٣٨). ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦/ ١٤٧، رقم ٣٤٢٥)، والديلمي (١/ ١١٩، رقم ٤٠٣)، وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٨٧): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

بالجمعة عن الأسبوع؛ كما جاء في حديث الدَّجَّال: «يَوْمٌ كَجُمُعَةٍ»[(١)].

فهم يستدلُّون بحديث: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ»[(٢)].

لكن في النفس شيءٌ من مسألة عرض الأعمال على الرسول ﷺ في يوم الاثنين والخميس، فإِنْ وَرَدَ فيه حديثٌ فلعلَّه انقلب على الرَّاوي، وأراد أن ينقُل ما يعرض على الله يوم الاثنين والخميس إلى ما يعرض على الرسول ﷺ؛ لأنه قد صَحَّ أَنَّ الأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى الله يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ[(٣)].

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

(٢) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (١١/ ٢٩٢، رقم ١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم (٢٥٦٥).

فصل

فِي الجَوَابِ عَمَّا احْتَجُّوا بِهِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ

٢٨٩٣- فَيُقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجْـ ... ـجَتُنَا عَلَيْكُمْ وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ

٢٨٩٤- إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ ... لَا بِالْقِيَاسِ القَائِمِ الأَرْكَانِ

٢٨٩٥- هَذَا مَعَ النَّهْيِ المُؤَكَّدِ أَنَّنَا ... نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ

٢٨٩٦- وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ ... وَالمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السُّهْمَانِ

٢٨٩٧- هَذَا وَأَنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ ... وَسِبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدِّيدَانِ

٢٨٩٨- لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ ... مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ

٢٨٩٩- فَالرُّسْلُ أَوْلَى بِالحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعْ[1] ... مَوْتِ الجُسُومِ وَهَذِهِ الأَبْدَانِ

٢٩٠٠- وَهِيَ الطَّرِيَّةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا ... فَهُوَ الحَرَامُ عَلَيْهِ بِالبُرْهَانِ

٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا ... أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ

٢٩٠٢- فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمُ ... حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرَ التِّبْيَانِ

الشرحُ

المؤلفُ -رحمه الله- كغيرِه من أهل العلم إذا ذكر دليلَ الخصم فلا بُدَّ أن

(١) في نسختي ابن سحمان: «من».

يُجيبَ عن هذا الدليلِ؛ لأنَّ الخصمَ لا بُدَّ له في مقابلة خصمِه من أمرين: مدافعة لأدلة خصمه، وإثبات لأدلته، يقول:

٢٨٩٣- فَيُقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجْـ ... ـتُنَـا عَلَـيْكُمْ وَهْـيَ ذَاتُ بَيَـانِ

يعني أنَّ ما احتججتم به علينا هو حُجَّةٌ لنا عليكم، فنقلبُ الدليلَ عليكم بعد أن جعلتموه لكم.

٢٨٩٤- إِنَّ الشَّـهِيدَ حَيَاتُـهُ مَنْصُوصَـةٌ ... لَا بِالْقِيَـاسِ القَـائِمِ الأَرْكَـانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ» والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة:١٥٤] فنفى اللهُ عزَّ وجلَّ هذا الظَّنَّ، ونهى أن نقولَ: إنَّهم أمواتٌ بالنَّصِّ.

أمَّا حياةُ الأنبياءِ عندكم فهي بالقياس، وأمورُ الغيبِ ليس فيها قياسٌ.

٢٨٩٥- هَـذَا مَـعَ النَّهْـيِ الـمُؤَكَّدِ أَنَّنَـا ... نَـدْعُوهُ مَيْتًـا ذَاكَ فِي القُـرْآنِ

قَوْلُهُ: «هذا» أي: ثبوتُ كونه حيًّا بالنَّصِّ مع أنه إضافة إلى ذلك ورد النهيُ المؤكَّد عن تسميته ميِّتًا، وهذا مأخوذٌ مِن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة:١٥٤] هذا نهي، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران:١٦٩]. وهذا نهيٌ أيضًا أبلغُ من الأوَّل؛ لأنَّ الأوَّلَ نهيٌ عن اللفظ، والثانيَ نهيٌ عن التقدير والظَّنِّ.

٢٨٩٦- وَنِسَـاؤُهُ حِـلٌّ لَنَـا مِـنْ بَعْـدِهِ ... وَالـمَالُ مَقْسُـومٌ عَـلَى السُّـهْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَنِسَاؤُهُ» أي: نساءُ الشهيدِ المقتول في سبيل الله حِلٌّ لنا من بعده،

ولو كان حيًّا حياةَ دنيا لم تكن نساؤه حِلًّا لنا.

قَوْلُهُ: «وَالـمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السُّهْمَانِ» أي: بعد موته، ولو كان حيًّا حياةَ دنيا لم يُقْسَمْ مالُه، ولم يَحِلَّ الاعتداءُ عليه.

٢٨٩٧- هَـذَا وَأَنَّ الأَرْضَ تَأْكُـلُ لَـحْمَهُ وَسِـبَاعُهَا مَـعَ أُمَّـةِ الدِّيْـدَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ لَـحْمَهُ» والحيُّ لا تـأكلُه الأرضُ، وعلى ظهر الأرض ليس في بطنها مأكولًا.

٢٨٩٨- لَكِنَّـهُ مَـعَ ذَاكَ حَـيٌّ فَـارِحٌ مُسْتَبْشِـرٌ بِكَرَامَـةِ الـرَّحْمَنِ

قال اللهُ تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:١٧٠]، فهم أمواتُ أجسامٍ، أحياءُ أرواحٍ.

٢٨٩٩- فَالرُّسْـلُ أَوْلَى بِالـحَيَاةِ لَدَيْـهِ مَـعْ مَـوْتِ الـجُسُومِ وَهَـذِهِ الأَبْـدَانِ

قَوْلُهُ: «فَالرُّسْلُ أَوْلَى بِالـحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعْ مَوْتِ الـجُسُومِ» الرُّسلُ -صلى الله عليهم وسلم- أَوْلَى بالحياة عند الله مع موت الـجسوم، فهم أولى بالحياة من الشُّهداء.

٢٩٠٠- وَهِـيَ الطَّرِيَّـةُ فِي الـتُّرَابِ وَأَكْلُهَـا فَهْـوَ الـحَرَامُ عَلَيْـهِ بِالبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «وَهِيَ الطَّرِيَّةُ» أي: أجسامُهم وأبدانُهم، أعني الأنبياءَ.

قَوْلُهُ: «وأكلُها فَهْوَ الـحَرَامُ عَلَيْهِ» أي: على التراب.

قَوْلُهُ: «وأكلُها فَهْوَ الـحَرَامُ عَلَيْهِ بِالبُرْهَانِ»؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ أمرَ بالإكثارِ

عليه من الصلاة[١]، وأخبرَ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ الصلاةَ تُعْرَضُ عليه، قالوا: كيف تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاَتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»[٢].

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ**» مع أنَّها ليست مُكَلَّفةً حتَّى تُخاطَبَ بالتحريم، فيَحتمِل أن يُقَالَ: إنَّ التحريمَ هنا تحريمٌ لُغَوِيٌّ بمعنى المنع، لا بمعنى التحريم الذي يترتَّبُ عليه التكليفُ؛ لأنَّ التحريمَ الذي يترتَّب عليه التكليفُ مُنْتَفٍ بالنسبة للأرض، منتفٍ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب:٧٢].

وقال بعضُهم: إنَّه يصحُّ أن يُوَجَّهَ إليها التحريمُ والإيجابُ، وإن لم تكن مُكَلَّفةً تكليفًا تُعاقَبُ بالمخالفة فيه، بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، فأثبتَ لهما طواعيةً وكراهيةً، ووَجَّه إليهما الخطابَ.

وعلى كُلِّ حالٍ المسألةُ في هذا لا تكادُ تكونُ ذاتَ أهمية جدًّا؛ لأنَّ الجميعَ متفقون على أنَّ تكليفَ الأرضِ والسموات ليس تكليفًا يترتَّبُ عليه الثوابُ والعقابُ؛ لأنهما لن يخالفا أمرَ الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦/ ٨٤، رقم (١٦١٦٢). وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤). وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥). وأحمد (٤/ ٨)، رقم (١٦٢٠٧).

٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا ... أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا» يعني: أنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَهم.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ» يعني: رَأَوْا بالعِيان أنَّ بعضَ الناسِ لا تأكلُهم الأرضُ، وهم ليسوا من الشُّهداء، وليسوا من الأنبياء، لكن قد يُكْرِمُ اللهُ الإنسانَ فلا تأكلُه الأرضُ.

وقد حدَّثني بعضُ الناس أنهم كانوا في هذا البلد في عُنَيْزَةَ يحفِرون لسور البلد، وأنَّهم مَرُّوا على قبر، فلمَّا انفتحَ القبرُ خرج منه رائحةُ مسكٍ لا يُوجد لها نظيرٌ، ووجدوا شيخًا لم تأكلْه الأرضُ قد خضَّب لحيتَه بالحناء، وكان يابسًا كاللحم اليابس، أمَّا كفنُه فقد صار رَمَادًا، فانبهروا منه، وتوقَّفوا، وجاءوا إلى الشيخ، وأظنُّه عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين -رحمه الله-؛ لأنه كان قاضيًا في هذا البلد، جاءوا إليه يخبرونه، فقال لهم: رُدُّوا القبرَ على ما هو عليه، وانحرِفوا بالشَّقِّ للسور يمينًا أو شمالًا. ففعلوا.

فهذا شيءٌ مثل ما قال ابنُ القيِّم: وُجِد بالعِيان أنَّ من الناسِ مَنْ لا تأكلُه الأرضُ، وهذا من كرامةِ الله -سبحانه وتعالى- للإنسان.

٢٩٠٢- فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمُ ... حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرَ التِّبْيَانِ

نعم، انقلبَ الدليلُ عليهم، صارت حياةُ الشُّهداء ليست كحياة الدنيا، والدليلُ على ذلك أنَّ أعمالَهم قُسِمَتْ، ونساءَهم نُكِحَتْ وأُحِلَّتْ، والديدان تأكلُ أجسادَهم، فكيف تكونُ حياتُهم كحياةِ الدنيا؟!

إِذَنْ فالذي استدللتم به وجعلتموه أصلًا وهو حياةُ الشُّهداء صار عليكم، لم يكونوا أحياءً حياةً دنيويةً، كذلك حيـاةُ الأنبياء التي هي الفرعُ عندكم لن تكونَ حياةً دنيويَّةً، فبذلك انقلبَ الدليلُ عليهم.

يعني: هم قالوا: حياةُ الأنبياء فرعٌ عن حياةِ الشُّهداء؛ لأنه من باب قياس الأَوْلَى، ومعلومٌ أنَّ المَقِيسَ فرعٌ عن المقيسِ عليه.

نقول لهم: حياةُ الشُّهداء هي موتٌ، والدليلُ: نكاحُ نسائه من بعده، اعتدادُ النساءِ، قَسْمُ الأموالِ، أكلُ الأرض للأجساد، كُلُّ هذه مُنْتَفِيَةٌ في الحياة الدنيا، فإذن يكون موتُ الأنبياء حقيقةً، كما أنَّ موتَ الشُّهداء حقيقة، وتكونُ حياةُ الأنبياءِ حياةً بَرْزَخِيَّةً، لا كحياة الدنيا، كما أنَّ حياةَ الشُّهداءِ حياةٌ برزخيَّةٌ وليست حياةَ دنيا، فانقلب الدليلُ عليهم الآن.

بقي عندنا أنهم احتجُّوا بأنَّ نساءَ الرسول -عليه الصلاة والسلام- حرامٌ من بعده، وهذا يدلُّ على أنه حَيٌّ، وإلَّا لكان نساؤه حلالًا، وسيأتي الرَّدُّ على هذا إن شاء الله تعالى.

* * *

٢٩٠٣- لَكِـنْ رَسُـولُ الله خُـصَّ نِسَـاؤُهُ ... بِخَصِيصَـةٍ عَـنْ سَـائِرِ النِّسْـوَانِ

٢٩٠٤- خُيِّرْنَ بَـيْنَ رَسُـولِهِ وَسِـوَاهُ فَاخْـ ... ـتَرْنَ الرَّسُـولَ لِصِـحَّةِ الإِيـمَانِ

٢٩٠٥- شَـكَرَ الإِلَـهُ لَـهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَـا ... سُـبْحَانَهُ لِلْعَبْـدِ ذُو شُـكْرَانِ

٢٩٠٦- قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَـةٌ ... مِنْـهُ بِهِـنَّ وَشُـكْرُ ذِي الإِحْسَـانِ

٢٩٠٧- وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْـهِ مَعْـ ... ـلُومٌ بِـلَا شَـكٍّ وَلا حُسْـبَانِ

٢٩٠٨- زَوْجَاتُهُ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْـ أُخْـرَى يَقِينًـا وَاضِـحَ البُرْهَـانِ

٢٩٠٩- فَلِـذَا حَـرُمْنَ عَـلَى سِـوَاهُ بَعْـدَهُ إِذْ ذَاكَ صَـوْنٌ عَـنْ فِـرَاشٍ ثَـانِ

٢٩١٠- لَكِـنْ أَتَـيْنَ بِعِـدَّةٍ شَرْعِيَّـةٍ فِيهَـا الحِـدَادُ وَمَلْـزَمُ الأَوْطَـانِ

الشَّـرحُ

يقول المؤلفُ -رحمه الله- في الإجابة عن استدلالهم بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ حيٌّ في قبرِه بأنَّ نساءَه حرامٌ على مَنْ بعدَه، يقولُ -رحمه الله- في الجواب عنه:

٢٩٠٣- لَكِـنْ رَسُـولُ الله خُـصَّ نِسَـاؤُهُ بِخَصِيصَـةٍ عَـنْ سَـائِرِ النِّسْـوَانِ

٢٩٠٤- خُيِّرْنَ بَـيْنَ رَسُـولِهِ وَسِـوَاهُ فَاخْـ ـتَرْنَ الرَّسُـولَ لِصِـحَّةِ الإِيـمَانِ

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُ» سوى الرسولِ يعني الحياةَ الدنيا وزينتَها.

وهذا بأمر الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨].

الآن لو اخْتَرْنَ الدنيا فإنَّ الرسولَ لن يَغْضَبَ عليهنَّ، وانظُر إلى لُطْف الله بالمرأة، إذا اختارت الدنيا تُمَتَّعُ وتُسَرَّحُ سَراحًا جميلًا، ولا تُوَبَّخُ، ولا يُقَالُ: كيف اخترتِ الدنيا على الرسول؟ لماذا؛ لأنَّ المرأةَ ناقصةُ عقلٍ ودين، ربَّما تنخدِعُ وتختارُ الدنيا على الرسول، فلا نقابلُها بمقتضى عقلِها، بل نقابلُها بالحسنى، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨].

الظاهر الآن لو قيل لشخص: خَيِّرْ زوجَك، قل لها: هل تريدني أو تريدين غيري؟ لقال: إن كنت تريديني فاللهُ يحييك، وإن كنتِ تريدين غيري فاذهبي

بعيدًا عنِّي. هذا الذي يقعُ من كثيرٍ من الناس؛ لأنها إذا قالت: لا أريدُك، بل أختارُ غيرَك هل يقابلُها بالإكرام والتمتيع والسَّراح الجميل؟ الجواب: أبدًا، بالعكس، لكن لكمالِ خلق الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمره اللهُ أن يقول هذا ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨] ثُمَّ ذكر المقابل فقال: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٩]. يعني: فأنتنَّ محسناتٌ، وقد أعدَّ اللهُ للمحسنات مِنْكُنَّ أجرًا عظيمًا.

فبدأ -صلوات الله وسلامه عليه- بعائشةَ، وهي أحبُّ النساء إليه؛ لأنه يريدُ امتثالَ أمرِ الله، فقدَّم ما يُرضي اللهَ على ما تهواه نفسُه، وعائشةُ أحبُّ النساء إليه، وكان مقتضى الطبيعة البشرية أن يبدأ بالنساء الأخريات، لكنَّه بدأ بعائشة لتكون مِقياسًا، وقال لها لـمَّا خيَّرها: «**لَا عَلَيْكِ أَلَّا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**» يعني: لك الحقُّ أن تشاوري أبويك في هذا، فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ الله، أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! وَالله لَا أُرِيدُ إِلَّا اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. فَمَشَى أَزْوَاجُهُ على هذا[1].

فَلَمَّا حصل منهنَّ هذا الأمرُ شكر اللهُ لهنَّ، وقال له: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٢]، فمنعه اللهُ من نكاح نساءٍ عليهنَّ، ومنعه أن يطلقهُنَّ وأن يتزوَّجَ غيرَهُنَّ، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب:٥٢]، فشكر اللهُ لهنَّ هذه الحالَ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨]، رقم (٤٥٠٧)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية، رقم (١٤٧٥).

٢٩٠٥- شَكَرَ الإِلَهُ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا   سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ

واللهُ عزَّ وجلَّ أعظمُ شكرًا منَّا، إذا تقرَّب الإنسانُ إليه شِبرًا تقرَّب إليه ذِراعًا، وإن تقرَّب إليه ذِراعًا تقرَّب إليه باعًا، وإن أتاه يمشي أتاه هَرولةً، فاللهُ -سبحانه وتعالى- يشكرُ العبدَ أكثرَ ممَّا يشكرُ العبدُ ربَّه؛ ولهذا قال -رحمه الله-: «وربُّنا سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ»، وقد ذكر الله تعالى أنَّ من أسمائِه (الشَّكُورَ) في عدَّة آياتٍ من القرآن.

٢٩٠٦- قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَةٌ   مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرُ ذِي الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «قَصْرُ الرَّسُولِ» ويجوز (قَصَرَ الرَّسُولَ) بالفتح، لكن قوله في البيت الذي بعده: (وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ) هذا يؤيِّد بأنَّ الأوَّلَ مصدرٌ أيضًا (قَصْرُ).

قَوْلُهُ: «قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ» يعني أنه لا يتزوَّجُ سِواهُنَّ، ولا يستبدلُ بِهِنَّ.

قَوْلُهُ: «رحمةٌ مِنه» أي: من الله.

قَوْلُهُ: «بهنّ» أي: بالزوجات.

قَوْلُهُ: «وَشُكْرُ ذِي الإِحْسَانِ» يعني: من شكرِ الله عزَّ وجلَّ، فهذا رحمةٌ وشكرٌ.

٢٩٠٧- وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْـ   ـلُومٌ بِلَا شَكٍّ وَلا حُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ معلومٌ» أيضًا قُصِرْنَ عليه فلا يتزوَّجْنَ بعدَه، وهذا معلومٌ؛ ولذا يقولُ: «بلا شكٍّ وَلَا حُسبانِ»، وهو معلومٌ من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

فصار الرسولُ مقصورًا عليهنَّ وهنَّ مقصوراتٍ عليه.

٢٩٠٨- زَوْجَاتُـهُ فِي هَـذِهِ الـدُّنْيَا وَفي الْـ أُخْـرَى يَقِينًـا وَاضِـحَ البُرْهَـانِ

هنَّ زوجاتُه في الدنيا وزوجاتُه في الآخرة، فهنيئًا لهنَّ؛ ولهذا لـمَّا خافت سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ أن يُطلِّقَها الرسولُ ﷺ وتُحْرَم من هذه الخصيصة وَهَبَتْ يومَها لعائشةَ[1]، فصار الرسولُ يَقْسِمُ لثمانٍ بعد أن كان يَقْسِمُ لتسعٍ.

٢٩٠٩- فَلِـذَا حَـرُمْنَ عَـلَى سِـوَاهُ بَعْـدَهُ إِذْ ذَاكَ صَـوْنٌ عَـنْ فِـرَاشٍ ثَـانِ

حَرُمَ أن يتزوَّجْنَ من بعده لِئلا يَكُنَّ فِراشًا لغيره ﷺ، هذه الخصيصةُ لا لأنَّه حيٌّ، ولكن لأنَّ اللهَ شَكَرَ لـهُنَّ، فخَصَّهُنَّ بهذه الخصيصة؛ ولذلك كانت زوجاتُ الشُّهداءِ حلالًا مع أنَّهم أحياءٌ، والدليل على أنَّهُنَّ -أي: زوجات الرسول ﷺ انفصَلْنَ عنه وحُكِمَ بموته -صلوات الله وسلامه عليه- ما ذكره بقوله:

٢٩١٠- لَكِـنْ أَتَـيْنَ بِعِـدَّةٍ شَرْعِيَّـةٍ فِيهَـا الحِـدَادُ وَمَلْـزَمُ الأَوْطَـانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ أَتَيْنَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ» بعد موتِه اعتدَدْنَ لموته أربعةَ أشهرٍ وعشَرةَ أيام.

قَوْلُهُ: «فِيهَا الحِدَادُ وَمَلْزَمُ الأَوْطَانِ» يعني: لزوم البيت؛ لأنَّ المرأةَ المُحِدَّ يجبُ عليها أمورٌ:

أوَّلًا: ألَّا تخرجَ من بيتها إلَّا لضرورة، كما لو تَصَدَّع وخِيف أَنْ يَسقُطَ عليها، أو استعرت فيه النارُ، أو جاءت أمطارٌ ويُخْشَى من سقوطها عليها، أو ما أشبهَ ذلك، المهم للضرورة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها، رقم (٢٥٩٤)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٣).

ثانيًا: ألَّا تلبسَ الجميلَ من الثياب، فلا تلبسُ ثيابًا جميلةً يقال: إنها مُتَزَيِّنَةٌ، ولا يَلْزَمُها أن تلزمَ لونًا واحدًا كما يقول العوامّ بأنه لا بُدَّ أن تلبسَ ثوبًا أخضرَ أو ثوبًا أسودَ، لا، بل الْـمُحَرَّمُ ألَّا تلبسَ ثوبًا يُعَدُّ تجمُّلًا.

ثالثًا: ألَّا تَلبَسَ الـحُلِـيَ بجميع أنواعه، لا في اليد، ولا في الرِّجل، ولا في الأذن، ولا في الرأس، ولا في النحر.

رابعًا: ألَّا تتطيَّبَ بجميع أنواع الطِّيب، لا بخورًا ولا دُهنًا، إلَّا أَنَّ الشَّارِعَ رَخَّص لها في قُسْطٍ من أظفار، مثل العُود المعروف إذا طهرت من الحيض؛ إزالةً للنَّتْن الذي يكون بسبب الحيض؛ لأنَّ هذا حاجة.

خامسًا: ألَّا تتزيَّنَ بوجهها أو يديها أو أيِّ شيءٍ من أجزائها، فلا تكتحلُ ولا تُحمِّر الشَّفَتَيْن ولا تتحنَّى، ولا تختضب، فهذه خمسةُ أشياء.

وأمَّا ما يزعمه العوامُّ ويقولون: لا تُقابل القمرَ وقت الإبدار، فهذا ليس بصحيحٍ، وحُجَّتُهم في ذلك يقولون: إنَّ القمرَ رجلٌ، ولا يجوزُ أن تُكْشَفَ عند الرجال، أمَّا الشَّمسُ فإنَّها أنثى؛ ولهذا يجوزُ أن تظهرَ في النهار للشَّمس.

يقول العامةُ أيضًا: إنه لا يجوز أن تصعدَ إلى السَّطح، أو تخرجَ إلى فِناء البيت. وكُلُّ هذا ليس له أصلٌ، ويقولون أيضًا: لا يجوز أن تُكَلِّمَ أحدًا، وهذا أيضًا ليس له أصلٌ.

الغريب أيضًا عند العامة أنَّهم يقولون: لا بُدَّ أن تكونَ صلاتُها موافقةً لصلاة الإمام، يعني: لا تصلِّي قبلَه ولا بعدَه، وأنه يجبُ أن تغتسلَ كُلَّ جمعة، وأشياء من هذا غريبة.

وأمَّا الصابون فهل يجوزُ أن تستعملَه المُحِدُّ؟ فنقول: إن كان طِيبًا فإنه لا يجوزُ، وإن كان زكاءً فهذا لا بأسَ به، والزَّكاءُ كالتفاح مثلًا له رائحةٌ طيِّبةٌ، النعناعُ له رائحةٌ طيِّبةٌ، الأُتْرُجُّ له رائحةٌ طيِّبةٌ، هذا لا يضرُّ؛ لأنه ليس بطِيبٍ.

وأيضًا مَشْطُ الشَّعر لا بأسَ به، وتغسيلُه بالصابون غير المُطَيَّب لا بأسَ به.

وأما كلامها في الهاتف فلا حرج فيه، وأمَّا خروجُها للقاضي فيجوزُ أيضًا؛ لأنه قد يكونُ للحاجة، وليس ضروريًّا؛ لأنها تستطيعُ أن تُوكِّلَ ولكنَّه يجوزُ في النهار.

المهم الإحدادُ معروفٌ بالأشياء الخمسة التي ذكرناها.

* * *

٢٩١١- هَـذَا وَرُؤْيَتُـهُ الْكَلِيمَ مُصَـلِّيًا ... فِي قَـبْرِهِ أَثَـرٌ عَظِـيمُ الشَّـانِ

٢٩١٢- فِي القَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ هَـلْ قَالَـهْ؟ ... فالحَقُّ مَـا قَـدْ قَـالَ ذُو البُرْهَـانِ

٢٩١٣- وَلِذَاكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّـدٌ ... عَنْـهُ عَـلَى عَمْـدٍ بِـلَا نِسْـيَانِ

٢٩١٤- وَالـدَّارَقُطْنِي الإِمَـامُ أَعَلَّـهُ ... بِرِوَايَـةٍ مَعْلُومَـةِ التِّبْيَـانِ

٢٩١٥- أَنَسٌ يَقُـولُ: رَأَى الكَلِيمَ مُصَـلِّيًا ... فِي قَبْرِهِ فَاعْجَـبْ لِـذَا الفُرْقَـانِ![1]

٢٩١٦- فَـرَوَاهُ مَوْقُوفًـا عَلَيْـهِ وَلَـيْسَ بِالْـ ... ـمَرْفُوعِ وَاشَـوَاقًا إلى العِرْفَـانِ

٢٩١٧- بَـيْنَ السِّـيَاقِ إلى السِّـيَاقِ تَفَـاوُتٌ ... لا تَطْرَحَنْـهُ[2] فَـمَا هُمَـا سِـيَّانِ

(١) في نسخة برلين والتيمورية «العرفان».
(٢) في النُّسخ المخطوطة كلها «لا تطرحه» بدون نون.

٢٩١٨- لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِمْـ ... مَـنْ صَحَّ هَـذَا عِنْدَهُ بِبَيَانِ

٢٩١٩- فَرُوَاتُهُ الأَثْبَاتُ أَعْلامُ الـهُدَى ... حُفَّاظُ هَـذَا الـدِّينِ فِي الأَزْمَانِ

٢٩٢٠- لَكِنَّ هَـذَا لَـيْسَ مُخْتَصًّا بِـهِ ... واللهُ ذُو فَضْـلٍ وَذُو إِحْسَانِ

٢٩٢١- فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ ... خَـبَرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ

٢٩٢٢- فِيهِ صَلاةُ الْعَصْـرِ فِي قَبْرِ الَّذِي ... قَـدْ مَـاتَ وَهْـوَ مُحَقِّـقُ الإِيـمَانِ

٢٩٢٣- فَتُمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّتِي قَـدْ كَانَ يَـرْ ... عَاهَـا لِأَجْـلِ صَلاةِ ذِي الْقُرْبَانِ

٢٩٢٤- عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلاتِهِ ... فَيَقُـولُ لِلْمَلَكَيْنِ: هَـلْ تَدَعَانِـي

٢٩٢٥- حَتَّى أُصَلِّي الْعَصْـرَ قَبْـلَ فَوَاتِهَا؟ ... قَـالا: سَـتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْـدَ الآنِ

٢٩٢٦- هَذَا مَعَ المَوْتِ الـمُحَقَّقِ لا الَّـذِي ... حُكِيَـتْ لَنَـا بِثُبُوتِـهِ القَـوْلانِ

الشـــرحُ

سبق أنَّ الذين قالوا بحياة النَّبيِّ ﷺ، بل بحياة الأنبياء في قبورهم استدلوا بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ[1] فتكلَّم المؤلفُ -رحمه الله- على هذا الحديث فقال:

٢٩١١- هَـذَا وَرُؤْيَتُـهُ الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا ... فِي قَـبْرِهِ أَثَـرٌ عَظِيمُ الشَّـانِ

٢٩١٢- فِي القَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ هَـلْ قَالَـهُ؟ ... فالـحَقُّ مَـا قَـدْ قَـالَ ذُو البُرْهَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «فِي القَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ» تصغير حَسَكَة، والحَسَكُ في الأصل نوعٌ من الشَّجرِ له شوكٌ، ويجوز أن تكونَ (حَسِيكة) للعداوة، إِذَنْ يجوز فيها وجهان:

الوجه الأول: (حُسَيْكَةٌ) أي: بعض القلق؛ لأنه ليس المرادُ بكلام ابن القيِّم لـمَّا قال: (في القلبِ مِنه حُسَيْكَة) العداوة، بل المرادُ فيه قلقٌ وشكٌّ. الوجه الثاني: (حَسِيكَةٌ).

فالمعنى أنَّ قلبَ المؤلفِ لم يَرْتَحْ لهذا الحديث الذي رواه مسلمٌ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، ووجهُ هذا الشيءِ الذي في قلب المؤلف يقول: (هل قاله؟)، يعني: هل قاله النَّبِيُّ ﷺ.

قَوْلُهُ: «فالحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ» يعني: فإنْ كان قد قاله فهو حقٌّ، ولا عِبرةَ بما في قلبي؛ لأنَّ الإنسانَ يجبُ أن ينقادَ انقيادًا تامًّا لِـمَا جاء في كتابِ الله، ولِمَا صحَّ عن رسولِ الله ﷺ، وألَّا يَتَرَدَّدَ في تنفيذه إنْ كان حُكْمًا، ولا في قَبولِهِ إن كان خَبرًا، ثُمَّ استدلَّ المؤلفُ -رحمه الله- لِـمَا في قلبه عن هذا الأثر فقال:

٢٩١٣- وَلِذَاكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّدٌ عَنْـهُ عَـلَى عَمْـدٍ بِـلَا نِسْـيَانِ

قَوْلُهُ: «محمدٌ» هو محمد بن إسماعيل البُخارِيُّ.

يقول: إنَّ هذا الحديثَ مِمَّا انفرد به مسلمٌ، والبخاريُّ أعرضَ عنه، مع أنَّ إعراضَه عنه ليس نسيانًا، ولكن كأنَّه -رحمه الله- لم يكن على شرطه؛ فلذلك أعرضَ عنه، فجعل المؤلفُ -رحمه الله- هذا علَّةً.

والحقيقة أنَّ هذا ليس بعِلَّةٍ؛ لأنَّ كونَ البخاريِّ لم يروِ الحديثَ ويرويه مسلمٌ لا يدلُّ على أنَّ الحديثَ ضعيفٌ، فكم من أحاديثَ كثيرةٍ أعرض عنها البخاريُّ -رحمه الله-، ولكنَّ غيرَه صحَّحها!

٢٩١٤- وَالـــدَّارَقُطْنِي الإِمَـــامُ أَعَلَّـــهُ   بِرِوَايَـــةٍ مَعْلُومَـــةِ التِّبْيَـــانِ

٢٩١٥- أَنَسٌ يَقُـولُ: رَأَى الكَلِـيمَ مُصَـلِّيًا   فِي قَـبْرِهِ فَاعْجَـبْ لِـذَا الفُرْقَـانِ!

قَوْلُهُ: «وَالدَّارَقُطْنِي الإِمَامُ أَعَلَّهُ» أي: أعلَّ الحديثَ. أعلَّه بماذا؟ الجواب: بالوقف، أي أنَّ الذي قال: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- رأى موسى يُصلِّي في قبره هو أنس، فيكون منتهى الحديث الصحابِيَّ، وما كان منتهيًا إلى الصحابيِّ فإنه يكونُ موقوفًا.

وعندي أنَّ هذا ليس بعِلَّةٍ، حتَّى لو ثبت أنَّه لم يَصِلْ إلَّا إلى أنس فليس بعِلَّة؛ لأنَّ هذا من أمور الغيب التي لا يمكنُ أن تُقَالَ بالرَّأي، وأنسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس من الذين عُرِفُوا بالأخذ عن بني إسرائيل حتَّى نشكَّ فيما أَخبر به من هذه الأمور، وقد نَصَّ المحقِّقون من أهل العلم بالحديث أنَّه إذا قال الصحابيُّ قولًا ليس للرَّأي فيه مجالٌ فله حكمُ الرَّفع، إلَّا أن يكونَ هذا القائلُ مِمَّن عُرِفَ بالأخذ عن بني إسرائيل، فحينئذٍ لا يُحْكَمُ لقوله بالرفع؛ لاحتمال أنه أخذه عن بني إسرائيل.

قَوْلُهُ: «فَاعْجَبْ لِذَا الفُرْقَانِ» أي: لهذا الفرقان، فـ(ذا) هنا ليست من الأسماء الخمسة، بل هي اسم إشارة، فالمعنى: لهذا الفرقان.

٢٩١٦- فـرَوَاهُ مَوْقُوفًـا عَلَيْـهِ وَلَـيْسَ بِالْـ   ـمَرْفُوعِ وَاشَـوَاقًا إلى العِرْفَـانِ

جزاه الله خيرًا، كُلُّنا نشتاقُ إلى العِرفان، لكن واعجبًا أن تفوتَ ابنَ القيِّم هذه المسألةُ؛ لأننا نقولُ: وإن كان موقوفًا على أنس فإنَّه في حُكْمِ الرَّفع.

على أنه من المعروف أيضًا عند علماء الحديث أنه إذا تعارَضَ الوقفُ والرَّفعُ، وكُلٌّ من الواقف والرافع ثِقَةٌ، فالمُقَدَّمُ الرَّافِعُ؛ لأنَّ معه زيادةَ علمٍ. ولأنَّ

الإنسانَ قد يَرفعُ الحديثَ إلى الرسول ﷺ في مجلسٍ من المجالس، ثم يُحدِّثُ به من غير رفعٍ في مجلسٍ آخر، فيسمعه في المجلس الأول أناسٌ، ويروونه عنه مرفوعًا، ويسمعه في المجلس الثاني أناسٌ ويروونه عنه موقوفًا.

أرأيتم الآن لو أنَّ أحدًا أسندَ حديثَ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(١) إلى عمرَ بن الخطاب إلى النَّبِيِّ ﷺ صار مرفوعًا، ولو أنَّ أحدًا في مجلس من المجالس قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» فرواه عنه أحدٌ، فالذي سمعه في المجلس الأول سيرويه مرفوعًا، والثاني سيرويه موقوفًا؛ لأنه لم يُسْنِدْه، وهذا يقعُ دائمًا، فمِنْ ثَمَّ نقولُ: إنَّه إذا تعارضَ الرَّفعُ والوقفُ وكلا الرَّاوِيَيْن ثِقَةٌ يُقَدَّمُ الرَّافعُ لسببين:

السبب الأول: أنَّ معه زيادةَ علمٍ.

السبب الثاني: أنَّ الرَّاويَ للحديث المرفوعِ قد يُحدِّثُ به غيرَ معزوٍّ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- في بعض المجالس، فيرويه عنه أحدٌ دون عزوٍ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهذا لا ينفي أن يكونَ مرفوعًا.

قَوْلُهُ: «**وَاشَوَاقًا إلى العِرْفَانِ**» إذا كان ابنُ القيِّم -رحمه الله- يقول: «**وَاشَوَاقًا إلى العِرْفَانِ**» فما بالنا نحن؟! اللَّهُمَّ اغفِرْ لنا وله.

٢٩١٧- بَيْنَ السِّيَاقِ إلى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ ... لا تَطْرَحَنْـهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

قَوْلُهُ: «**بَيْنَ السِّيَاقِ إلى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ**» يعني: بين هذا السِّياق وبين السِّياق الآخر تفاوتٌ، فـ(إلى) هنا بمعنى (بَيْنَ).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية». رقم (١٩٠٧).

قَوْلُهُ: «لا تَطْرَحَنْهُ» وفي نسخة: (لا تَطَّرِحْه) بدون نون، إِذَنْ هما نسختان: (لا تَطَّرِحْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ)، أو (لَا تَطْرَحَنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ).

٢٩١٨- لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِمْـ ... مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بِبَيَانِ

المعنى: أنَّ مَنْ قَلَّدَ مسلمًا في هذا الحديث وصحَّحه، وأخذ به، فليس بملومٍ، لماذا؟ قال:

٢٩١٩- فَرُوَاتُهُ الأَثْبَاتُ أَعْلامُ الهُدَى ... حُفَّاظُ هَذَا الدِّينِ فِي الأَزْمَانِ

فكأنَّ المؤلفَ -رحمه الله- بعد أن ألقى الشَّكَّ على هذا الحديث رجع وبَيَّنَ أنَّ مَنْ قَلَّدَ مسلمًا في تصحيحه فقد سلك مسلكًا صحيحًا؛ لأنَّ رواته أثباتٌ ثقاتٌ أعلامٌ، فلا حرجَ علينا أن نُقَلِّدَ.

والعِلَّةُ التي أشار إليها الدارَقُطْنِيُّ تُبَيِّنُ لكم أنها ليست بعِلَّةٍ، لكن يقول المؤلف:

٢٩٢٠- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ ... واللهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ

يعني: كونُ الإنسان يصلِّي في القبر ليس مختصًّا بموسى -عليه السلاة-، بل قد يكونُ لغيره.

٢٩٢١- فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ ... خَبَرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ

٢٩٢٢- فِيهِ صَلاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي ... قَدْ مَاتَ وَهْوَ مُحَقِّقُ الإِيمَانِ

٢٩٢٣- فَتُمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّتِي قَدْ كَانَ يَرْ ... عَاهَا لِأَجْلِ صَلاةِ ذِي الْقُرْبَانِ

٢٩٢٤- عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلاتِهِ ... فَيَقُولُ لِلْمَلَكَيْنِ: هَلْ تَدَعَانِي

٢٩٢٥- حَتَّى أُصَلِّي الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالا: سَتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْدَ الآنِ

قَوْلُهُ: «فَتُمَثَّلُ الشَّمسُ» يعني: تُمَثَّل له الشَّمسُ، وكأنَّها عند الغروب.

الله أكبر! ورد في هذا حديثٌ: أنَّ الميِّتَ إِذَا دُفِنَ وَأَتَاهُ المَلَكَانِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُمَثَّلُ لَهُ وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الغُرُوبِ[1]، وهذا المَيِّتُ مُحَقِّقُ الإيمانِ، فهو مؤمنٌ إيمانًا حقيقيًّا، يرعى الشمسَ مِن أَجْلِ الأوقات التي يُصلِّي فيها، وصلاةُ العصر -كما نعلمُ- هي أفضلُ الصلوات، فَتُمَثَّلُ له الشَّمسُ عند الغروب كأنها تريدُ أن تغربَ، فإذا أتاه المَلَكَان يقولُ لهما: دَعَانِي حَتَّى أُصَلِّيَ العَصْرَ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

فهذا رجلٌ ليس برسول، ويُصلِّي في قبره، فيقولُ له الملكان: «إِنَّكَ سَتَفْعَلُ» يعني: ستُصلِّي بعد السُّؤال.

والشَّاهد قوله: «كانَ يَرْعَاها لِأَجْلِ صَلاةِ ذِي الْقُرْبَانِ» كان الأوَّلون قد يجدون مشقةً في مراعاة الشَّمسِ، وذلك عند الزوال، وإذا صار ظِلُّ كُلِّ شيءٍ مِثْلَه، وعند مَغيب الشَّفَق، وعند طلوع الفجر، لكن نحن الآن -والحمد لله- بما أنعم الله علينا من السَّاعات صارت مراعاةُ الأوقات سهلةً علينا.

وقَوْلُهُ: «فَيَقُولُ لِلْمَلَكَيْنِ: هَلْ تَدَعَانِي؟» أي: المَلَكَان اللذان يأتيانه في قبره

---

(١) يعني حديث: «إِنَّ الْـمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِـهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْـخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالْـمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِـي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِـي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِـي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلَ الْـخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْـمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِـي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ. فَيَجْلِسُ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ مَثُلَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي. قَالُوا: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ». أخرجه الخلال في السُّنَّة (٤/ ٦٤، رقم ١١٧٦).

يسألانه عن ربِّه ودينِه ونبيِّه.

وقَوْلُهُ: «حَتَّى أُصَلِّي الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالا: سَتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْدَ الآنِ» فصارت الصلاةُ الآن في القبر حتى لغيرِ الأنبياء.

٢٩٢٦- هَذَا مَعَ المَوْتِ الـمُحَقَّقِ لا الَّـذِي　　　حُكِيَـتْ لَنَـا بِثُبُوتِـهِ القَـوْلانِ

يعني: مع أنَّ هذا الرجلَ قد مات موتًا مُحَقَّقًا، ليس شهيدًا، حتى نقول: إنَّه حيٌّ، وليس نبيًّا حتى نقولَ: إنه حيٌّ، ومع ذلك فإنه يُصَلِّي العصر، حتَّى لو مات في غير وقت العصر، حتى لو مات الضُّحَى، فإنه يصلِّي العصر فقط.

وهل يُؤْجَرُ على صلاتِه هذه؟ الجواب: لا يُؤْجَرُ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا مات انقطعَ عملُه، فصلاتُه في القبر ليست صلاةَ ثواب، لكن تلذُّذ فقط، يعني: يرى أنها نعيمٌ، إِذَنْ هو لا يُؤْجَرُ، لكن هذا دليلٌ على شِدَّةِ تعلُّقِه بها.

إِذَنْ فصلاةُ العصر التي جاءت من موسى -عليه الصلاة والسلام- لا تدلُّ على أنَّه حيٌّ كما زعم هؤلاء.

* * *

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتٌ الْبُنَانِي قَـدْ دَعَـا الـرْ　　　رَحْمَـنَ دَعْـوَةَ صَـادِقِ الإِيقَـانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَـزَالَ مُصَـلِّيًا فِي قَـبْرِهِ　　　إِنْ كَـانَ أُعْطِـيَ ذَاكَ مِـنْ إِنْسَـانِ

٢٩٢٩- لَكِـنَّ رُؤْيَتَـهُ لِـمُوسَى لَيْلَـةَ الْـ　　　ـمِعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيـعِ ذِي الأَكْـوَانِ

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ　　　وَالْقَطْـعُ مُوجَبُـهُ بِـلَا نُكْـرَانِ

٢٩٣١- وَلِـذَاكَ ظُـنَّ مُعَارِضًـا لِصَـلاتِهِ　　　فِي قَـبْرِهِ إِذْ لَـيْسَ يَجْتَمِعَـانِ

٢٩٣٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِي بِهِ ... لِيَرَاهُ ثَمَّ مُشَاهَدًا بِعِيَانِ

٢٩٣٣- فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا ... بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الْوَقْتَانِ

الشرحُ

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتٌ الْبُنَانِي قَدْ دَعَا الرْ ... رَحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الإِيقَانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ ... إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إِنْسَانِ

ذكر المؤلفُ -رحمه الله- أنَّ ثابتًا البُنَانِيَّ -رحمه الله[1]- قد دعا الرحمن دعوة أن لا يزالَ مصلِّيًا؛ لأنه -رحمه الله- كثيرُ الصلاة، وكانت قد ملكت قلبَه، وجعلها اللهُ قُرَّةَ عينِه، فسأل اللهَ إذا أماته أن يجعلَه مُصلِّيًا في قبره.

واللهُ أعلمُ هل أجابَ اللهُ دعوته أم لا؟ لكنَّ الرجلَ لم يسأل شيئًا مُحالًا؛ لأنَّ هذا لو كان شيئًا محالًا لكان سؤالُه اللهَ عدوانًا؛ لأنَّ الإنسانَ لا يجوزُ أن يسألَ اللهَ الشيءَ المحالَ؛ ولهذا قال: «**إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إِنْسَانِ**» يعني: سأل اللهَ قائلًا: **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ فِي قَبْرِي**[2]. والله أعلم، ومع ذلك فالأَوْلَى أَلَّا يدعوَ الإنسانُ بهذا؛ لأنَّ هذا لم يدعُ به الرسولُ ولا الصحابةُ، وهم أفضلُ مِن ثابتٍ، والرسولُ -عليه الصلاة والسلام- نفسُه يقولُ: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[3].

---

(١) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البناني، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد البناني مولاهم، البصري. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٠، رقم ٣٥٦٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، رقم ١٢٣١٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم (٣٩٣٩).

ثُمَّ أورد المؤلفُ إشكالًا على الحديث الذي رواه مسلمٌ في صحيحه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»[1] إشكالًا في الحقيقة قد يُقَالُ: إنه أَولَى بتعليل الحديث مِـمَّا ذكره المؤلفُ سابقًا، فالمؤلِّفُ سابقًا أَعَلَّ الحديثَ بأنه رُوِي موقوفًا، لكن هذا الذي أورده الآن قد يكونُ أَولى بتعليل الحديث مِـمَّا سبق، وهو أنَّ بعضَهم أَعَلَّ الحديثَ فقال: كيف يراه يُصلِّي في قبره، ثُمَّ يراه في السَّماء السَّادسةِ في ليلةٍ واحدةٍ؟ هذا شيءٌ مستحيلٌ، أجاب عنه ابنُ القيِّمِ فقال:

٢٩٢٩- لَكِنَّ رُؤْيَتَهُ لِـمُوسَى لَيْلَةَ الْـ ... ـمِعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ ... وَالْقَطْعُ مُوجَبُهُ بِلَا نُكْرَانِ

قَوْلُهُ: «**وَالْقَطْعُ مُوجَبُهُ بِلَا نُكْرَانِ**» يعني أنَّ هذا يُوجِبُ القطعَ بلا نكران.

٢٩٣١- وَلِذَاكَ ظُنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ ... فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

كيف يراه مُصلِّيًا في قبره ويراه بعد ذلك في السَّماء السَّادسة؟! لكن أجاب عنه ابنُ القيِّم فقال:

٢٩٣٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِي بِهِ ... لِيَرَاهُ ثَمَّ مُشَاهَدًا بِعِيَانِ

يعني أنَّ اللهَ أَسْرَى بمحمدٍ لِيَرَى موسى، وهما متلازمان، لكن رآه في الأرض في قبره يُصلِّي، ورآه في السَّماء السَّادسة، ولا تعارضَ؛ ولهذا قال:

٢٩٣٣- فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا ... بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الْوَقْتَانِ

قَوْلُهُ: «**الضَّرِيحِ**» يعني القبر.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الْوَقْتَانِ»؛ لأنَّ الليلَ طويلٌ، وهو لم يرَ موسى في آنٍ هو الذي رآه فيه في السَّماء السَّادسة، وما دام الوقتان مُخْتلِفَيْن فإنه يمكنُ أن يراه أوَّلًا في الأرض ثُمَّ يراه ثانيًا في السَّماء لاختلاف الوقتَيْن.

* * *

٢٩٣٤- هَــذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَــا التَّسْــلِيمَ[1] مَــنْ ... يَــأْتِي بِتَسْــلِيمٍ مَــعَ الإِحْسَــانِ

٢٩٣٥- مَــا ذَاكَ مُخْتَصًّــا بِــهِ أَيْضًــا كَــمَا ... قَــدْ قَالَــهُ الْــمَبْعُوثُ بِــالقُرْآنِ

٢٩٣٦- مَــنْ زَارَ قَــبْرَ أَخٍ لَــهُ فَــأَتَى بِتَسْـ ... ـــلِيمٍ عَلَيْــهِ وَهْــوَ ذُو إِيــمَانِ

٢٩٣٧- رَدَّ الإِلَــهُ عَلَيْــهِ حَقًّــا رُوحَــهُ ... حَتَّــى يَــرُدَّ عَلَيْــهِ رَدَّ بَيَــانِ

٢٩٣٨- وَحَدِيثُ ذِكْـرِ حَيَـاتِهِمْ بِقُبُـورِهِمْ ... لَــمَّا يَصِــحَّ وَظَــاهِرُ النُّكْــرَانِ

٢٩٣٩- فَـانْظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْـرِفْ حَالَـهُ ... إِنْ كُنْــتَ ذَا عِلْــمٍ بِهَــذَا الشَّــانِ

٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُـمْ أَحْيَـاءُ لَـ ... ـكِنْ عِنْـدَنَا كَحَيَـاةِ ذِي الأَبْـدَانِ

٢٩٤١- وَالتُّرْبُ تَحْـتَهُمُ وَفَـوْقَ رُءُوسِـهِمْ ... وَعَــنِ الشَّــمَائِلِ ثُــمَّ عَــنْ أَيْــمَانِ

٢٩٤٢- مِثْـلَ الَّـذِي قَـدْ قُلْتُمُـوهُ مَعَاذَنَـا ... بِــاللهِ مِــنْ إِفْــكٍ وَمِــنْ بُهْتَــانِ

٢٩٤٣- بَـلْ عِنْـدَ رَبِّهِـمُ تَعَـالَى مِثْـلَ مَـا ... قَــدْ قَــالَ فِي الشُّــهَدَاءِ فِي القُــرْآنِ

٢٩٤٤- لَكِــنْ حَيَــاتُهُمْ أَجَــلُّ وَحَالُــهُمْ ... أَعْلَى وَأَكْمَـلُ عِنْـدَ ذِي الإِحْسَـانِ

٢٩٤٥- هَــذَا وَأَمَّــا عَــرْضُ أَعْـمَالِ العِبَـا ... دِ عَلَيْــهِ فَهْــوَ الْــحَقُّ ذُو إِمْكَــانِ

---

(١) في النُّسخ المخطوطة كلها: «لسلام».

٢٩٤٦- وَأَتَى بِهِ أَثَرٌ فَإِنْ صَحَّ الحَدِيـ ـثُ بِهِ فَحَقٌّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ

٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا بِآثَارٍ رُوِينَ حِسَانِ

٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْوَانِ

٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَذَّةَ الْفَرْحَانِ

٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا لُوا: رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ

٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَقِيبَهُ بِلِسَانِ

٢٩٥٢- يَا رَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةٍ أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي

٢٩٥٣- ذَاكَ الشَّهِيدُ المُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الْـ ـمَحْبُوُّ بِالْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ

٢٩٥٤- لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ

٢٩٥٥- هَذِي نِهَايَاتٌ لِإِقْدَامِ الْوَرَى فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ

٢٩٥٦- وَالحَقُّ فيه لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو لُ بني الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الأَذْهَانِ

٢٩٥٧- وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعْ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا لِلإِلْفِ بِالأَبْدَانِ

٢٩٥٨- فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإِلَهُ لَهُمْ بِهِ أَتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ؟!

الشرحُ

قال المؤلف -رحمه الله-:

٢٩٣٤- هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمَ مَنْ يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ

٢٩٣٥- مَـا ذَاكَ مُخْتَصًّـا بِـهِ أَيْضًـا كَـمَا　　　قَـدْ قَالَـهُ الْـمَبْعُوثُ بِـالقُرْآنِ

يعني: كون الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- إذا سَلَّمَ أحدٌ عليه رَدَّ اللهُ عليه روحَه فردَّ -عليه السَّلام-[(١)] -وهذا الحديثُ أخرجه أبو داود- يقول ابنُ القيِّم: هذا ليس مختصًّا به، بل قد قاله المبعوثُ بالقرآن، لكن ماذا قال المبعوثُ بالقرآن؟

قال:

٢٩٣٦- مَـنْ زَارَ قَـبْرَ أَخٍ لَـهُ فَـأَتَى بِتَسْـ　　　ـلِيمٍ عَلَيْـهِ وَهْـوَ ذُو إِيـمَانِ

٢٩٣٧- رَدَّ الإِلَـهُ عَلَيْـهِ حَقًّـا رُوحَـهُ　　　حَتَّـى يَـرُدَّ عَلَيْـهِ رَدَّ بَيَـانِ

فقد روى ابنُ عبد البَرِّ[(٢)] من حديثِ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْـمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**». قال ابنُ عبدِ البرِّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. لكن هذا الرَّدُّ هل يقتضي أن يكون حيًّا كحياته على ظهر الأرض؟ الجواب: لا، بل هو حيٌّ حياةً برزخيَّةً لا نعلمُ كيفيتها.

أنت الآن في منامك حيٌّ لكنَّها حياةُ نومٍ، وهي وفاة، وفي القبر تكون حيًّا حياةً برزخيَّة وأنت مَيِّت، أي: وفاة، فالرُّوحُ لها شأنٌ عظيم في تعلُّقِها بالبدن، لا أحدَ يُدْرِكُه، فهذا الحديثُ صحيحٌ، وإن كان بعضُ العلماء المتأخِّرين حمل عليه وقال: إنه ضعيفٌ ولا يصحُّ.

---

(١) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)..

(٢) انظر: الاستذكار (١/ ١٨٥).

ولا شكَّ أنَّهم أرادوا بهذا دفعَ كُلِّ شُبْهَةٍ يتعلَّقُ بها البطَّالون الذين يتعلَّقون بأصحاب القبور، ويقولون: إنَّهم يسمعون، وإننا نأتي إليهم نسألُهم أن يشفعوا لنا عند الله، وما أشبهَ ذلك.

لكنَّ هذا لا يَستلزِم أن نُضَعِّفَ الأحاديثَ الصحيحةَ التي لا ترمي إلى هذا بصلةٍ، فكونُ الميت تُرَدُّ عليه رُوحُه لِيَرُدَّ السَّلامَ لا يَستلزِمُ أن تبقى رُوحُه حتَّى يخاطبَه هذا المُسَلِّم بكُلِّ ما يريد، والحديثُ إنما ورد بأنه يَرُدُّ السَّلامَ فقط، فنَقتصِرُ على هذا، ونقول: بعد هذا لا يمكنُ أن يسمعَ شيئًا؛ لأنَّ الأصلَ فيما يُدَّعى من سماع أهل القبور الرجوعُ إلى السَّمع؛ لأنه من الأمور الغيبيَّة؛ فإذا كان الميتُ يسمعُ قَرْعَ نِعالهم إذا انصرفوا منه عند الدفن لم يلزمْ أن يكونَ يسمعُ ذلك إذا جاءوا إليه مرةً أخرى؛ لأنَّ الميِّتَ مَيِّتٌ، ولا نُثبِتُ من أحواله إلَّا ما جاء به النَّصُّ.

فلو جاء أحدٌ إلى القبور وجعل يمشي بنعاله، فهل يمكنُ أن نقولَ: إنَّ أهلَ القبور يسمعون قرعَ النعال كما يسمعه مَنْ دُفِنَ؟ الجواب: لا، وهكذا كُلُّ الأمورِ الغيبية يجبُ أن يُقْتَصَر فيها على النَّصِّ.

فنقول في دَرْءِ مفسدةِ تعلُّق أصحابِ القبور بحديث ردِّ الروح على المُسَلَّم عليه لِيَرُدَّ على مَنْ سَلَّم عليه؛ درءُ ذلك بأن نقولَ: إنَّ النَّصَّ إنما جاء في ردِّ السَّلام فقط، ولا تعلُّقَ لكم بها سوى ذلك؛ ولهذا جزم به ابنُ القيِّم -رحمه الله- هنا، ونَقَلَ عن ابن عبد البرِّ تصحيحَه في كتاب (**الروح**)[1] ولم يتعقَّبْه.

٢٩٣٨- وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ لَـمَّا يَصِحَّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ

---

(١) انظر: كتاب الروح (ص:١٢).

٢٩٣٩- فَانْظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ» وهو حديث: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ»[1]، لكن ابن القيِّم يقولُ: إنَّه ليس بصحيحٍ، وإنَّه لا يَلْزَمُ من ردِّ الروح عند السَّلام أن تكونَ مستقرَّةً في البدن دائمًا.

٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُمْ أَحْيَاءُ لَـ ـكِنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ

٢٩٤١- وَالتُّرْبُ تَحْتَهُمُ وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَعَنِ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ

٢٩٤٢- مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا بِاللهِ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

يعني أنَّنا نقول: هم أحياءٌ، لكن هل نقولُ: إنَّهم أحياءٌ كحياتنا والتُّرْبُ تحتهم، وفوق رءوسهم، وعن الشَّمائل، ثُمَّ عن أيمان، مثل الذي قد قلتموه؟! لأنَّ هؤلاء يقولون: إنَّهم أحياءٌ كحياة الدنيا، فنحن نقولُ: هم أحياءٌ لكن ليس كحياة الدنيا، (**مَعَاذَنَا باللهِ مِن إفكٍ ومِن بُهتانٍ**).

٢٩٤٣- بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمُ تَعَالَى مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي القُرْآنِ

كُلُّ هذا يريدُ أن يَرُدَّ عليهم، حيث قال في أوَّل الكلام: إنَّه يلزمُ على قولهم أَنَّ الرُّسلَ في قبورهم ليسوا برسلٍ، لماذا؟ قالوا: لأنَّ الحياةَ عَرَضٌ من أعراض الجسم، ومعلومٌ أنه لا رسالةَ إلَّا بحياة، فإذا كانت الحياةُ عَرَضًا وفُقِدَت بالموت لزِم من ذلك فَقْدُ الرِّسالة.

هم دفعوا هذا، وقالوا: إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ، فقلنا لهم: هم أحياءٌ لكن ليست

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦/ ١٤٧، رقم ٣٤٢٥)، والديلمي (١/ ١١٩، رقم ٤٠٣)، وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٨٧): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

حياتُهم كحياة الدنيا، بل هي حياةٌ برزخيَّةٌ، وعلى هذا فإنَّه لا يُمْكِنُكُم دَفْعُ ما قلناه من إلزامكم ببُطلان الرِّسالة بموت الرسول؛ لأنَّ الحياةَ في البَرْزَخِ غيرُ الحياة في الدنيا، لكنَّه يقولُ:

٢٩٤٤- لَكِــنْ حَيَــاتُهُمْ أَجَــلُّ وَحَالُــهُمْ ... أَعْلَى وَأَكْمَـلُ عِنْـدَ ذِي الإِحْسَـانِ

الحياةُ البرزخيَّةُ أعلى وأكملُ من الحياة الدنيا، وكذلك مَقامُ الأنبياء في الآخرة أعلى وأكملُ عند الله عزَّ وجلَّ، فالإنسانُ إذا فارقتْ رُوحُه بدنَه في الدنيا مات، وانتقل من الدنيا بما فيها من الكَدَرِ والصَّفْو، والنعيم والبُؤْس، إلى دار النعيم؛ لأنَّ المؤمنَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ[(١)]، ويأتيه من رَوْحِها ونعيمها وَيُسَرُّ؛ ولهذا تقولُ رُوحُه عند حمله: «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي»[(٢)]؛ لأنها قَدْ بُشِّرت بنعيم أعلى من نعيم الدنيا بكثير، نسألُ اللهَ أن يجعلني وإيَّاكم منهم؛ فلهذا اختلفُ الحالُ، فحياةُ البرزخِ وحياةُ الدنيا بينهما فرقٌ عظيمٌ.

٢٩٤٥- هَـذَا وَأَمَّـا عَـرْضُ أَعْـمَالِ الْعِبَـا ... دِ عَلَيْـهِ فَهْـوَ الـحَقُّ ذُو إِمْكَـانِ

٢٩٤٦- وَأَتَى بِهِ أَثَـرٌ فَـإِنْ صَـحَّ الـحَدِيـ ... ـثُ بِـهِ فَحَـقٌّ لَـيْسَ ذَا نُكْـرَانِ

عرضُ أعمالِ العباد على الرَّسول[(٣)] -عليه الصلاة والسلام- يقولُ المؤلف: «حقٌّ ذُو إمكانٍ» لكن إِنْ صَحَّ الحديثُ فعَرْضُ الأعمالِ على الرسول ممكنٌ عقلًا، لكن يبقى النظرُ هل صَحَّ سمعًا أم لم يصحَّ؟ ولهذا فقوله: «**فَهْوَ الحقُّ ذُو إمْكَانٍ**»

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السُّنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة، رقم (١٣١٤).

(٣) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (١١/ ٢٩٢، رقم ١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

يعني: ليس مستحيلًا عقلًا؛ فإنَّ صَحَّ الأثرُ فإنَّه حقٌّ.

وقول المؤلف: «إِنْ صَحَّ» هذا طعنٌ في الحديث وتوقُّفٌ في صحته، وعليه فإنَّ كلامَ الشَّارح الهرَّاس[1] -رحمه الله- على ابن القيِّم في هذا المقام فيه نظرٌ؛ لأنَّ ابنَ القيِّم لم يصحح الحديثَ، بل قال: «إِنْ صَحَّ الحديثُ بِهِ فحقٌّ» والذي يقول: «إِنْ صَحَّ» هل هو كالذي يقولُ: قد صَحَّ؟ الجواب: أبدًا، بل إنَّ هذا طعنٌ وعِلَّةٌ في الحديث.

٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا بِآثَارٍ رُوِينَ حِسَانِ

يعني: إذا صحَّ فهو ممكنٌ، وأيضًا ليس بمختصٍّ به، بل تُعْرَضُ الأعمالُ على غير الرسولِ -عليه الصلاة والسَّلام-؛ ولذا قال:

٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْوَانِ

٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَذَّةَ الْفَرْحَانِ

٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا لُوا: رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ» يعني: أنَّ أبا الإنسان يُعْرَضُ سعيُ ابنه عليه في قبره بعد مماته، يعني: يُعْرَضُ عملُه.

أشار المؤلفُ إلى أنَّ هناك آثارًا تدلُّ على أنَّ أعمالَ الإنسانِ تُعْرَضُ على أبيه وعلى أقاربه، فإنْ كان حسنًا فَرِحُوا واستبشروا، وإنْ كان سَيِّئًا حزِنوا لذلك، وسألوا اللهَ أن يَرُدَّه إلى الأعمال الصالحة[2].

---

(١) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٤)، للشَّيخ محمد خليل هرَّاس -رحمه الله-.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٤، رقم ١٢٧٠٦).

لكنَّ الظاهرَ أنَّ هذه الأحاديثَ وإن كانت حِسانًا عنده لكنَّها لا تصحُّ؛ وذلك لأنَّ أعمالَ العباد التي لا ليس لها صلةٌ بالميت لا فائدةَ من عرضِها على الميت؛ لأنها إذا كانت سيِّئةً فسوف يحزنُ ويتألمُ، وإنما قلنا: (التي لا صِلةَ لها بالميت) احترازًا من البكاء على الميت، فإنَّ البكاءَ على الميت يُعَذَّبُ به الميتُ، ويتألمُ منه كما يتعذَّب المسافرُ بالسفر؛ كما صحَّ في الحديث: «**إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»[1]، «**وَبِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**»[2] أما كونُ الأعمالِ تُعْرَضُ على الأموات في القبور فهذا فيه نظرٌ.

والذي يظهرُ أنَّ الأحاديثَ كُلَّها لا تصلُ إلى درجة الحسن كما قال ابنُ القيِّم -رحمه الله-، يعني أنَّ ابنَ القيِّم يرى أنَّ هذه الآثارَ تصلُ إلى درجة الحسن، والظاهرُ خلاف ذلك.

٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى ... هَـذَا الـحَدِيثَ عَقِيبَـهُ بِلِسَـانِ

قَوْلُهُ: «**ولذا**» أي: ولأجل كونِ أعمال القرابة تُعْرَضُ على أقاربهم استعاذ مِن الصحابة مَنْ روى هذا الحديثَ عَقِيبَه، يعني أنَّ الصحابِيَّ الذي روى حديث عرض أعمال الإنسان على أقاربه استعاذ لَـمَّا ذكر هذا الحديثَ فقال:

٢٩٥٢- يَـا رَبِّ إِنِّي عَائِـذٌ مِـنْ خِزْيَـةٍ ... أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيـبِ الدَّانِـي

استعاذ بالله أن يُخْزَى عند قريبِهِ، وقريبُه يقولُ ابنُ القيِّم:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه». إذا كان النوح من سنته، رقم (١٢٨٦)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم (١٢٣٠)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

٢٩٥٣- ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الْـ ـــمَحْبُوُّ بِـالْغُفْرَانِ وَالرِّضْـوَانِ

قَوْلُهُ: «ذَاكَ الشَّهِيدُ» الإشارةُ إلى القريب الداني.

والقائلُ هو أبو الدرداء، وكلام الهرَّاس -رحمه الله- في هذا الموضع فيه نظرٌ؛ لأنه ذكر أنَّ الذي استعاذ هو ابنُ رَواحةَ، وليس كذلك؛ إنما الذي استعاذ أبو الدرداء، اسْتَعَاذَ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا سَيِّئًا يُخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ الله بنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]؛ لأنه كان من أقاربه؛ ولهذا يقول: (**ولذا استعاذَ مِن الصحابةِ مَن رَوَى هذا الحديثَ عَقِيبَهُ**) متعلِّقةٌ بـ(**استعاذَ**) فالذي استعاذ هو أبو الدرداء.

٢٩٥٤- لَكِنَّ هَـذَا ذُو اخْتِصَـاصٍ وَالَّـذِي لِلْمُصْـطَفَى مَـا يَعْمَـلُ الـثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ هَذَا» المشارُ إليه عرضُ الأعمالِ على الأموات سوى النَّبِيِّ ﷺ، فإنَّ هذا مختصٌّ بالأقارب، فعرضُ الأعمالِ على غيرِ النَّبِيِّ مختصٌّ بالأقارب، إن صحَّتِ الآثار، أمَّا النَّبِيُّ ﷺ فالعرضُ عليه يكونُ عامًّا من جميع الثَّقَلَيْنِ.

والخلاصة أنَّ أهلَ التعطيل استدلُّوا على حياة النَّبِيِّ ﷺ في قبره بأنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ عليه، فابنُ القيِّم -رحمه الله- يقولُ: هذا الحديثُ إنْ صَحَّ فهو ممكنٌ، ومع هذا فلا يَلْزَمُ أن تكونَ حياتُه كحياة الدنيا، ثُمَّ قال: وليس هذا خاصًّا بالرسول؛ فإنَّ أعمالَ العِبَاد تُعْرَضُ على أقاربهم، ثُمَّ فَرَّق بين عرضِ أعمالِ العباد على الأقارب وبين عرضِ أعمالِ الأُمَّة على الرسول بأنَّ عرضَ أعمال الأمة على الرسول عامٌّ، وعرضَ أعمال الأقارب خاصٌّ بالأقارب.

---

(١) يعني حديث أبي الدرداء: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ، فَيُسَرُّونَ وَيُسَاءُونَ». وكان أَبُو الدَّرْدَاءِ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يُخْزَى بِهِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ». أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٤٢).

٢٩٥٥- هَـذِي نِهَايَـاتُ لِإِقْـدَامِ الْـوَرَى   فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ

المؤلفُ -رحمه الله- بعد أن ذكر هذا قال: إنَّ هذا ما انتهت إليه أَقدامُ الناس في هذا الزمان الضنك الصعب الدقيق.

٢٩٥٦- وَالـحَقُّ فيـه لَـيْسَ تَحْمِلُـهُ عُقُـو   لُ بنـي الزَّمَـانِ لِغِلْظَـةِ الأَذْهَـانِ

يعني: لأنَّ أذهانَهم غليظةٌ لا تتحمَّلُ الأشياءَ الدقيقةَ والفُرُوقَ الدقيقةَ، فنحن الآن فرَّقنا بين حياة الدنيا وحياة البرزخ، ونفرِّقُ أيضًا بين حياة البرزخ وحياة القيامة؛ فإنَّ بينهما فرقًا عظيمًا كبيرًا؛ لأنَّه في حياةِ القيامة تعودُ الرُّوحُ إلى الجسد عَوْدًا كاملًا، ويبقى الجسدُ متحرِّكًا، لكن في الحياةِ البَرْزَخِيَّةِ عَوْدُ الرُّوح إلى البدن ليس كاملًا، ولذلك لا يتحرَّكُ البدنُ ولا يتغيَّرُ عن حاله، أمَّا في الآخرة فإنَّ عودَ الرُّوح إلى البدن عَوْدٌ كاملٌ حقيقيٌّ، يتحرَّكُ البدنُ، ويمشي الناس، ويكونُ الناسُ أجسامًا بأرواح.

٢٩٥٧- وَلِـجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَـعْ أَحْكَامِهَـا   وَصِــفَاتِهَا لِلإِلْــفِ بِالأَبْــدَانِ

يعني: ولأنَّ عقولَ بني الزمان يجهلون بالروح وأحكامها؛ ولهذا اختلفوا في الروح، ما هي الروح؟ على خلاف كثير، وأحكامُ الروحِ وتعلُّقاتها بالبدن أيضًا اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا؛ لأنهم إنما أَلِفوا الأبدانَ وأحكامَها، أمَّا الأرواح فهم عنها بِمَعْزِلٍ؛ ولهذا قال:

٢٩٥٨- فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإِلَهُ لَـهُمْ بِـهِ   أَتُرِيـدُ تَـنْقُضُ حِكْمَـةَ الـدَّيَّانِ؟!

معناه: ارضَ بحالهم، وتكلَّم معهم على مقتضى حالهم.

قَوْلُهُ: «أَتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ؟!» الجوابُ: لا، فلا أحدَ يريدُ ذلك،

واللهُ عزَّ وجلَّ حكيمٌ يَهَبُ فضلَه مَنْ يشاءُ، فمِن الناس مَنْ يعطيه من الحكمة ما تَتَبَيَّنُ له بها الأشياءُ، ومِن الناس مَنْ يكونُ غليظَ الطبع متينَ الذهن، لا يفهمُ الفروقَ ولا يعرفُها.

***

٢٩٥٩- هَـلْ فِي عُقُولِـهِمُ بِـأَنَّ الـرُّوحَ فِي ... أَعْـلَى الرَّفِيـقِ مُقِيمَـةٌ بِجِنَـانِ

٢٩٦٠- وَتَـرُدُّ أَوْقَـاتَ السَّـلامِ عَلَيْـهِ مِـنْ ... أَتْبَاعِـهِ فِي سَـائِرِ الأَزْمَـانِ؟

٢٩٦١- وَكَـذَاكَ إِنْ زُرْتَ القُبُـورَ مُسَـلِّمًا ... رُدَّتْ لَـهُمْ أَرْوَاحُهُـمْ لِـلآنِ

٢٩٦٢- فَهُـمْ يَـرُدُّونَ السَّـلامَ عَلَيْـكَ لَـ ... ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِـذِي الأُذُنَـانِ

٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَافُ الطُّيُورِ الخُضْرِ مَسْـ ... ـكَنُهَا لَـدَى الجَنَّـاتِ وَالرِّضْـوَانِ

٢٩٦٤- مَنْ لَـيْسَ يَحْمِـلُ عَقْلُـهُ هَـذَا فَـلا ... تَظْلِمْـهُ وَاعْـذُرْهُ عَـلَى النُّكْـرَانِ

٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَـيْرُ ذِي الأَجْسَـامِ لا ... تُهْمِلْهُ شَأْنُ الـرُّوحِ أَعْجَـبُ شَـانِ

٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْـوَرَى فِيـهِ فَلَـمْ ... يَعْرِفْـهُ غَـيْرُ الْفَـرْدِ فِي الأَزْمَـانِ

٢٩٦٧- هَـذَا وَأَمْـرٌ فَـوْقَ ذَا لَـوْ قُلْتُـهُ ... بَـادَرْتَ بِالإِنْكَـارِ وَالْعُـدْوَانِ

٢٩٦٨- فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَـانَ وَلَـوْ أَرَى ... ذَاكَ الرَّفِيـقَ جَرَيْـتُ فِي الـمَيْدَانِ

٢٩٦٩- هَـذَا وَقَوْلِـي أَنَّهَـا مَخْلُوقَـةٌ ... وَحُـدُوثُهَا الـمَعْلُومُ بِالْبُرْهَـانِ

٢٩٧٠- هَـذَا وَقَوْلِـي أَنَّهَـا لَيْسَـتْ كَـمَا ... قَـدْ قَـالَ أَهْـلُ الإِفْـكِ وَالْبُهْتَـانِ

٢٩٧١- لا دَاخِـلٌ فِينَـا وَلا هِـيَ خَـارِجٌ ... عَنَّـا كَـمَا قَـالُوهُ فِي الـدَّيَّانِ

٢٩٧٢- وَاللهِ لا الـــرَّحْمَنَ أَثْبَـــتُّمْ وَلا   أَرْوَاحَكُـمْ يَـا مُـدَّعِي الْعِرْفَـانِ

٢٩٧٣- عَطَّلْـتُمُ الأَبْـدَانَ مِـنْ أَرْوَاحِهَـا   وَالْعَـرْشَ عَطَّلْـتُمْ مِـنَ الـرَّحْمَنِ

الشـرحُ

بَيَّنَ المؤلفُ -رحمه الله- أنَّ شأنَ الروح لا مدخلَ للعقل فيه؛ لأنَّ شأنَها أعظمُ مِن أن تدركَه العقولُ؛ ولهذا قال:

٢٩٥٩- هَـلْ فِي عُقُولِـهِمُ بِـأَنَّ الـرُّوحَ فِي   أَعْـلَى الرَّفِيـقِ مُقِيمَـةٌ بِجِنَـانِ

٢٩٦٠- وَتَـرُدُّ أَوْقَـاتَ السَّـلامِ عَلَيْـهِ مِـنْ   أَتْبَاعِـهِ فِي سَـائِرِ الأَزْمَـانِ؟

يعني بذلك أنَّ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ في أعلى عِلِّيِّين، كما كان يقولُ عند موته صلوات الله وسلامه عليه: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»[1]، ومع ذلك إذا سَلَّم عليه أحدٌ ردَّ اللهُ عليه هذه الروحَ من أعلى عِلِّيِّين إلى مكانه في القبر وبلحظة؛ لأنَّ شأنَ الروح عظيمٌ، لا يمكن أن يُقَاسَ بشأن الجسم الكثير، فشأنُها عظيمٌ لا يدركُه العقلُ إطلاقًا.

٢٩٦١- وَكَـذَاكَ إِنْ زُرْتَ القُبُـورَ مُسَـلِّمًا   رُدَّتْ لَـــهُمْ أَرْوَاحُهُـــمْ لِـــلآنِ

يعني: عند سلامك إذا مررت فقلتَ: (السَّلَامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنينَ) رَدَّ اللهُ عليهم أرواحَهم فردُّوا عليك السَّلامَ؛ ولهذا قال:

٢٩٦٢- فَهُـمْ يَـرُدُّونَ السَّـلامَ عَلَيْـكَ لَـ   ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِـذِي الأُذُنَـانِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤١٧٢)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

قَوْلُهُ: «لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الأُذُنَانِ» يعني: لا تسمعُه، وهذا معلومٌ، لكن هم يسمعون؛ ولهذا تقول: (السَّلامُ عليكم) بحرف الخطاب (دارَ قومٍ مؤمنين).

وزعم بعضُ العلماء أنَّ الخِطابَ هنا يُرادُ به خطابُ الحاضِرِ، لا الفاهم، وأنَّه كقول عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلحَجَر: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»[1]، فقال: «أَنَّكَ» بكاف الخطاب، ومعلومٌ أنَّه لا يصحُّ خطابُه؛ لأنه حَجَرٌ، قال: فخطابُ هؤلاء الموتى بقولك: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ» كخطاب عمرَ للحجر بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ»، ولكن فيه نظرٌ؛ لأنه لا يصحُّ أن يُقَاسَ الموتى بالحجر، فالموتى أبدانٌ لها أرواحٌ، وإذا كان اللهُ يردُّ رُوحَ نبيِّه محمدٍ ﷺ إذا سَلَّم عليه المُسَلِّم فما المانعُ مِن أن يَرُدَّ أرواحَ هؤلاء إذا سَلَّمَ عليهم المُسَلِّمُ لِيَرُدُّوا عليه؟! ولكن لِيُعْلَم أنَّ هذا الرَّدَّ ليس ردَّ تكليفٍ، يعني: أنَّه ليس يُثَابُ عليه؛ لأنَّ الإنسانَ «إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»[2]، لكنَّ الفائدة منه للحيِّ المُسَلِّم، حيث يقولون: (عليك السَّلام).

وليس معنى أنهم يردُّون السَّلامَ أن نذهبَ إليهم ونؤانسَهم، ونُحَدِّثَهم، نقولُ مثلًا: اليوم حصل في البلد الفلاني كذا، حصل فيضانات، حصل اضطرابات، فهذا يحتاجُ إلى توقيفٍ، ولا أظنُّ هذا يَثْبُتُ، فالظاهرُ أنَّ الأموات لا يُؤْذَنُ لهم إِلَّا بردِّ السَّلامِ فقط.

فأرى أنَّ هذا يُقَيَّدُ بما جاءت به السُّنَّةُ، وكثرة الترداد على الأموات ربما تُخِلُّ بالإنسان عقليًّا؛ لأنه مع كثرة الترداد ربما تنفعلُ نفسُه حتَّى يكونَ كأنه في عالم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

الأموات فيتأثر بهذا، ثُمَّ هل كان الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- يزورُ المقبرةَ كُلَّ يوم؟ إذا كان يزورها فعلى العينِ والرأس.

٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَافُ الطُّيُورِ الْخُضْرِ مَسْـ ـكَنُهَا لَـدَى الْجَنَّـاتِ وَالرِّضْـوَانِ

أرواحُ المؤمنين في أجواف طيورٍ خضر، وهم الشُّهَداء عند الله -سبحانه وتعالى-، فهي في هذه الأجواف كرامةً لها.

٢٩٦٤- مَنْ لَـيْسَ يَحْمِـلُ عَقْلُـهُ هَـذَا فَـلا تَظْلِمْـهُ وَاعْـذُرْهُ عَـلَى النُّكْـرَانِ

وهذا صحيحٌ، فالإنسانُ عدوٌّ ما لا يعرفُ، فإذا كانت عقولُ هؤلاء لا تتحمَّلُ هذه المعاني ولا يمكنُها أن تجمعَ بين هذا وهذا فلا تظلمْه واعذرْه على النكران.

ومرادُ المؤلف -رحمه الله- بهذا: تهوينُ شأن هؤلاء والحطُّ من قدرِهم، يعني أنهم ليسوا أهلًا لأن يُدْرِكُوا الجمعَ بين هذه النصوص، وإنما هم بُلْهٌ فاعذرهم على بلاهتهم، وليس المراد أنَّ لهم عذرًا في عدم التصديق بالنصوص، بل هم غيرُ معذورين، لكن إذا كانوا بُلْهًا لا يستطيعون الجمعَ بين ما ورد فهؤلاء معذورون كما يُعْذَرُ الطفلُ.

٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَـيْرُ ذِي الأَجْسَـامِ لا تُهْمِلْهُ شَأْنُ الـرُّوحِ أَعْجَـبُ شَـانِ

٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْـوَرَى فِيـهِ فَلَـمْ يَعْرِفْـهُ غَـيْرُ الْفَـرْدِ فِي الأَزْمَـانِ

من الذي يعرفه؟ الفردُ في الأزمان هو الذي أَقرَّ بما جاء به الرسولُ ﷺ في شأنِ الأرواح؛ لأنه عرفه من طريقه الصحيح، وهو طريقُ الوحي؛ إذ إنَّه لا مدخلَ للعقول فيه.

٢٩٦٧- هَـذَا وَأَمْـرٌ فَـوْقَ ذَا لَـوْ قُلْتُـهُ بَـادَرْتَ بِالإِنْكَـارِ وَالْعُـدْوَانِ

٢٩٦٨- فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَانَ وَلَوْ أَرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ

يقول: هناك شيءٌ فوق الذي ذكرتُ، ولو قلتُه لبادرتَ بالإنكار؛ لأنه فوق مستواك، ويقول: فلذاك أمسكتُ العِنان، ونقول: ليتَه أعلمنا به -رحمه الله-.

قَوْلُهُ: «ولو أَرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ» يعني: لو أرى أحدًا يكون رفيقًا لي في فهم ما أقولُ جريتُ في الميدان، ولكنَّه لا يرى أحدًا يجاريه على ما فهِم من النصوص؛ فلهذا أمسك عن الخوض والقول؛ لأنه يرى أنَّ عقولَ هؤلاء لا تبلُغُه، وقد قال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُـهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**»[1]؛ لأنه إذا لم يتحمَّلْه عقلُه، فإنه يبادرُ إلى الإنكارِ فيكون في هذا فتنة.

٢٩٦٩- هَـذَا وَقَوْلِـي أَنَّهَـا مَخْلُوقَـةٌ وَحُـدُوثُهَا الْـمَعْلُومُ بِالْبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «**هَذَا وَقَوْلِـي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ**» (أنها) يتعيَّنُ الفتح؛ لأنَّ (أَنَّها) خبر (قول) وليست مقولَ القول، و(إنَّ) إنَّما تُكْسَرُ إذا كانت مقولَ القول، وهنا هي خبر، يعني: (هذا وأقول: إِنَّها مخلوقةٌ) هذا معنى الكلام.

قَوْلُهُ: «**وَقَوْلِـي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ**» أي: كونُها مخلوقةً هو قولي الذي أقولُ به وأَدينُ اللهَ به.

قَوْلُهُ: «**وَحُدُوثُهَا الْـمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ**» يعني أنَّ الأرواحَ مخلوقةٌ حادثةٌ، لكن متى تُخْلَقُ؟ الظاهرُ -واللهُ أعلمُ- أَنَّها تُخْلَقُ حين يُريدُ اللهُ -سبحانه وتعالى- نفخَها في الجسد؛ لأنَّنا لا نعلمُ لها حالًا قبل ذلك كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه «**إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهِ**

(١) أخرجه مسلم: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

الرُّوحَ»[١]، فالظاهرُ أنَّ الأرواحَ تُخْلَقُ عند نفخ الروح في الجسد؛ لأنه قبل ذلك ليس لها ذِكْرٌ، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، إِذَنْ فهي حادثةٌ مخلوقةٌ، خِلافًا لِـمَن قال بِقِدَمِهَا.

٢٩٧٠- هَـذَا وَقَوْلِـي أَنَّهَـا لَيْسَـتْ كَـمَا قَـدْ قَـالَ أَهْـلُ الإِفْـكِ وَالْبُهْتَـانِ

٢٩٧١- لا دَاخِـلٌ فِينَـا وَلا هِـيَ خَـارِجٌ عَنَّـا كَـمَا قَـالُوهُ فِي الـدَّيَّانِ

يعني: وكذلك أقولُ: ليستِ الروحُ كما قال أهل الإفك والبُهتان: «**لا دَاخِلٌ فِينَا وَلا هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدَّيَّانِ**» سبحان الله!

يقول: الروحُ ليست داخلَ العالم، ولا خارجَ العالم، كما أنَّ اللهَ ليس داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، إِذَنْ أين تذهبُ الروحُ؟ إذا كانت الروحُ لا داخلَ العالم ولا خارجَه فأين تذهبُ؟! إِذَنْ هي عدمٌ، وأيضًا قولُهم: الرحمنُ ليس بداخل العالم ولا خارجه إِذَنْ هو أيضًا عَدَمٌ؛ ولهذا قال:

٢٩٧٢- وَالله لا الـرَّحْمَنَ أَثْبَـتُّمْ وَلا أَرْوَاحَكُـمْ يَـا مُـدَّعِي الْعِرْفَـانِ

قَوْلُهُ: «**وَالله لا الرَّحْمَنَ أَثْبَتُّمْ**» لماذا لم يُثْبِتُوا الرحمن؟ لأنهم يقولون: إنَّ اللهَ لا داخلَ العالم ولا خارجَه.

قَوْلُهُ: «**ولا أَرْوَاحَكُمْ**» ولا أرواحهم؛ لأنهم يقولون: لا داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، سبحان الله!

قَوْلُهُ: «**يَا مُدَّعِي الْعِرْفَانِ**» ما أبلغَ هذا التهكُّمَ بهم! تهكُّمٌ شديدٌ، وهذا كما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] إنَّ هذا من باب التهكُّم الذي يُرادُ به الإهانةُ التامةُ.

إن أحدهم يقول: والله إنَّ روحي لا داخلَ العالم ولا خارجَه، فنقول: أليست بجسمك الآن؟ هل أنت لا داخلَ العالم ولا خارجَه؟ فأنت الآن لا عرفتَ اللهَ ولا عرفتَ نفسك، ومع ذلك تَدَّعِي أنت أنَّك صاحبُ الفلسفة، وصاحبُ الحكمة، وصاحبُ العقل، وصاحبُ النظر، ولهذا يُسَمُّون أنفسَهم النُّظَّار، جمع (ناظر) يعني أنهم هم أهلُ النظر والمعرفة، وهذا مُنتهَى عقولِهم.

٢٩٧٣- عَطَّلْتُمُ الأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَالْعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

الأبدان عطَّلوها من الأرواح؛ لأنه إذا كانت رُوحُ الإنسانِ لا داخلَ ولا خارجَ العالم فمعناه أنَّ جسدَه ليست به روحٌ، وإذا كان الرحمنُ لا داخلَ العالم ولا خارجَه فمعناه: أنه ليس هناك رحمنٌ على العرش.

لكن هل الأَوْلى التوقُّف في مسألة الروح أو الأَولى إذا بدا له شيءٌ واستنباطٌ من الكتاب والسُّنَّة أن يقولَ به؟

نقول: الواجبُ على مَنْ بدا له شيءٌ من الكتاب والسُّنَّة أن يعتقدَه، أمَّا نَشْرُه بين الناس فهذا يُنْظَرُ فيه للمصلحة، فقد يكونُ من المصلحة أن تُبْقِي الناسَ على ما هم عليه من فِطرهم، وتدعَ هذا الخوضَ والتفاصيلَ في هذا الشيء، وقد يكونُ من المصلحة أن تُبيِّنَ، فإذا كنَّا وسط قوم قد صار عندهم بحثٌ في حقيقة الروح وكيفيتها، وما أشبه ذلك، فالواجب أن تُبيِّنَ هذه الأشياء، ولا سيما إذا كنت ترى مثلًا أنَّ هؤلاء يتكلَّمون فيها بباطل، أمَّا إذا كنت عند قوم لم يعرفوا إلَّا ما فُطِروا عليه على وجه الإجمال فقد يكونُ في التفصيل فتنةٌ.

فصل

فِي كَسْرِ المَنْجَنِيقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَاقِلِ الإِيمَانِ وَحُصُونِه[1] جِيلا بَعْدَ جِيلٍ

٢٩٧٤- لَا يُفْزِعَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ ... وَجَعَاجِعٌ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٢٩٧٥- مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يَهُولُكَ غَيْرُ ذَا ... كَ الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الأَرْكَانِ

٢٩٧٦- وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ مَنْـ ... ـصُوبًا عَلَى الْإِثْبَاتِ مُنْذُ زَمَانِ

٢٩٧٧- أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْجَنِيقَ فَإِنَّهُمْ ... نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ؟

٢٩٧٨- بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ[2] الْـ ... ـشُرُفَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ

٢٩٧٩- لله كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتِ الْـ ... ـكُفَّارُ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي!

٢٩٨٠- وَاللهِ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا[3] ... قَصْدًا عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٢٩٨١- وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنَّ قَوْمًا بَيْنَ أَهْـ ... ـلِ الْحِصْنِ وَاطَوْهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ

٢٩٨٢- وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْـ ... ـلِ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ

٢٩٨٣- فَتَرَكَّبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوِفَاقِ مَنْ ... فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيَانِ

---

(١) في نسخة التيمورية: «وخصومه» بالخاء المعجمة.

(٢) في نسختي ابن سحمان: «فهزت» بالزاي المعجمة.

(٣) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية وابن سحمان: «غيروا» بغين بعدها ياء معجمتين.

٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ ذَيْنِ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٩٨٥- وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرْ رَحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأَدْيَانِ

٢٩٨٦- لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ يَزَكًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالأَعْوَانِ

٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْمَنْجَنِيقِ صَوَاعِقًا وَحِجَارَةً هَدَّتْهُ لِلْأَرْكَانِ

٢٩٨٨- فَاسْأَلْهُمْ مَا ذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالتْـ تَرْكِيبِ فَالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانِ؟

٢٩٨٩- إِحْدَى[1] مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَبَايِنٍ كَتَرَكُّبِ الْحَيَوَانِ

٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَا، كَذَا أَعْضَاؤُهُ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ

٢٩٩١- أَفَلَازِمٌ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ؟

٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلَكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا: ذَا لَازِمُ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ

٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ حَثْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

الشرحُ

يقول المؤلفُ: «**فَصْلٌ فِي كَسْرِ الْمَنْجَنِيقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَاقِلِ الإِيمَانِ وَحُصُونِهِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ**» المَنْجَنِيقُ والمِنْجَنِيقُ هو آلةٌ حربيَّةٌ تُسْتَعْمَلُ في القتال تُشْبِهُ ما يَسمَّى الآن بالمدافع، والمراد بالمنجنيق هنا هو التركيب الذي جعله أهلُ التعطيل مُسْتَنَدَهم، وقالوا: إنَّ إثباتَ الصفاتِ يَستلزِمُ التركيبَ، والتركيبُ ممتنِعٌ؛ لأنه يستلزمُ الحدوثَ من وجه، وافتقارَ المركَّب إلى ما معه من المركَّب، وإذا

(١) في نسخة التيمورية: «أهذى».

كان اللازمُ باطلًا كان الملزومُ باطلًا؛ فلذلك لا نُثْبِتُ الصفاتِ خوفًا من التركيب.

قال المؤلف -رحمه الله-:

٢٩٧٤- لَا يُفْزِعَنَّــكَ قَعَــاقِعٌ وَفَرَاقِــعٌ وَجَعَـاجِعٌ عَرِيَـتْ عَـنِ الْبُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُفْزِعَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ» القَعْقَعَةُ: هي صوتُ الجِلد اليابس وما أشبَهَهُ يقعقع.

والفراقع: هي صوتٌ أضعفُ من هذا، ومنه قولهم: (فرقعةُ الأصابع).

والجعاجع: بالقول، أو هو الصوت، ومنه قولهم: «تَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا تَرَى طِحْنًا».

يقول: هذه الأصواتُ مِن الفَراقع والقَعاقع والجعاجع كُلُّها عاريةٌ عن البرهان.

٢٩٧٥- مَـا عِنْـدَهُمْ شَيْءٌ يَهُولُـكَ غَـيْرُ ذَا كَ الْــمَنْجَنِيقِ مُقَطَّـعِ الأَرْكَـانِ

يعني أنَّه منجنيقٌ، لكنَّه ليس له أركانٌ فلا يَثْبُتُ.

٢٩٧٦- وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التَّرْكِيـبَ مَنْـ ـصُوبًا عَـلَى الْإِثْبَـاتِ مُنْـذُ زَمَـانِ

قَوْلُهُ: «يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ» يعني: يُسَمُّونه التركيبَ، هذا هو الذي عندهم، فيقولُ ابنُ القيِّم:

٢٩٧٧- أَرَأَيْـتَ هَـذَا الْــمَنْجَنِيقَ فَـإِنَّهُمْ نَصَـبُوهُ تَحْـتَ مَعَاقِـلِ الْإِيـمَانِ؟

قَوْلُهُ: «معاقل» المَعَاقِل: جمع (مَعْقِل)، وهو المكانُ الذي ينعقلُ به الإنسانُ ويتحصَّنُ به.

يقول: أَخْبِرْنِي عن هذا المنجنيق فإنَّهم نصبوه على أي شيءٍ؟ الجواب: نصبوه تحتَ معاقلِ الإيمان.

٢٩٧٨- بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ الْـ ... ـشُّرُفَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ

قَوْلُهُ: «بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الْـحُصُونَ» يعني: أنه يبلغ، وليس منجنيقًا سهلًا، لكن سَيُبَيِّن المؤلفُ -رحمه الله- أنَّ أثرَه ضعيفٌ.

٢٩٧٩- للهِ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْـهِ اسْـتَوْلَتِ الْـ ... ـكُفَّارُ مِنْ ذَا الْـمَنْجَنِيقِ الْـجَانِي!

هذا الحصنُ الذي نصبوه على معاقل الإيمان صار سُلَّمًا للكفَّار يُنكرون به ما ثبت بالتواتر، فمثلًا أهلُ التخييل أنكروا حقائقَ الإيمان باليوم الآخر، مستندِين بذلك إلى العِلَّة التي أنكر بها أهلُ التعطيل صفاتِ الله؛ لأنهم يقولون: إنَّ الإيمانَ باليوم الآخر لا يقبلُه العقلُ، فهم يقولون: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾؟ [يس:٧٨] والذين أنكروا صفاتِ الله قالوا: إنَّ العقلَ لا يقبلُها أيضًا، وإذا كان لا يقبلُها فإنَّنا لا نثبتُها.

فصار هذا المنجنيقُ[١] الذي نصبوه على معاقل الإيمان سُلَّمًا للكفَّار يَسْتَنِدُون إليه في كفرهم.

٢٩٨٠- وَاللهِ مَـا نَصَـبُوهُ حَتَّـى عَـبَّرُوا ... قَصْدًا عَلَى الحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّـانِ

يعني أنهم لم ينصِبوا هذا المنجنيقَ إلَّا لِيَعْبُرُوا إلى الحِصن العظيم الشانِ، وهو ما جاءت به الرُّسلُ، مِن أَجْلِ أن يهدِموه ويقضوا عليه.

---

(١) المَنْجَنِيقُ بفَتْحِ المِيمِ وكَسْرها، مَع فَتْحِ الجِيم: آلَةٌ تُرْمَى بِها الحِجارةُ على العَدُوِّ، وذَلِك بأَنْ تُشَدَّ سَوارٍ مُرتَفِعَةٌ جِدًّا مِن الخشَب، يُوضَعُ عَلَيها ما يُرادُ رَمْيُه، ثُمَّ يُضْرَبُ بسَارِيَةٍ تُوصِله لمكانٍ بَعيدٍ جِدًّا، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٢٥/ ١٣٢) مادة: جنق.

٢٩٨١- وَمِــنَ الْبَلِيَّــةِ أَنَّ قَوْمًــا بَـيْنَ أَهْــ ـلِ الْـحِصْنِ وَاطَوْهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ

من البَلِيَّةِ أَنَّ أهلَ الحِصن الذين يرميهم هؤلاء بالمنجنيق واطئوا أهلَ المنجنيق على العدوان، وكأنَّه يشيرُ إلى أهل التعطيل الذين قاموا ضد أهل الإثبات؛ لأنَّ الكفارَ ينصبون المنجنيقَ على أهل الإثبات والإيمان، فجاء قومٌ ممَّن يَدَّعون أنَّهم مسلمون فنصبوا على أهل الإثبات نفسَ المنجنيق.

٢٩٨٢- وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْـ ـلِ الحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْـرَانِ

يعني: الذي أصابَ أهلَ الحصن من هؤلاء الذين واطئوا الكفَّار صار أشدَّ ممَّا أصابهم من الكفَّار؛ لأنَّ الكافرَ إذا رمى أهلَ السُّنَّة بشيء فكُلٌّ يردُّ قولَه وكلٌّ يَنْفِرُ منه، لكن إذا جاءنا إنسانٌ من أهل الملة ينصِبُ المنجنيقَ على أهل السُّنَّة صار ذلك أشدَّ؛ لأنَّ الذي من أهل الملة يُقْبَلُ أكثر من الإنسان الكافر.

٢٩٨٣- فَتَرَكَّبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوِفَـاقِ مَـنْ فِي الْـحِصْنِ أَنْـوَاعٌ مِـنَ الطُّغْيَـانِ

لأنَّ العدوَّ الآن صار من الداخل ومن الخارج.

٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَـمُ مِحْنَـةٍ مِــنْ ذَيْــنِ تَقْـدِيرًا مِــنَ الــرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مِنْ ذَيْنِ» المشارُ إليه: مَنْ كان خارجَ الحصن، ومَنْ كان داخلَ الحصن.

٢٩٨٥- وَاللهِ لَــوْلَا أَنْ تَــدَارَكَ دِينَــهُ الــرْ رَحْمَــنُ كَــانَ كَسَــائِرِ الْأَدْيَــانِ

فالحمد لله، يعني: لولا أنَّ اللهَ تداركَ دينَه بِمَنْ مَنَّ بهم مِنْ أهل السُّنَّة الذين يناضلون ويدافعون لكان كسائرِ الأديان التي حُرِّفَتْ، وكُتِمَتْ، وتلاعبَ بها الناسُ.

٢٩٨٦- لَكِـنْ أَقَـامَ لَـهُ الْإِلَـهُ بِفَضْـلِهِ   يَزَكًـا مِـنَ الأَنْصَـارِ وَالأَعْـوَانِ

أقام اللهُ -سبحانه وتعالى- لهذا الدين يَزَكًا، واليَزَكُ: الظاهرُ -والله أعلم- أنَّ معناه الجُنْدُ القويُّ من الأنصار والأعوان حتَّى رَدُّوا كيدَ الحاقدين من داخل الحصن وخارجه.

٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْـمَنْجَنِيقِ صَـوَاعِقًا   وَحِجَـارَةً هَدَّتْـهُ لِلْأَرْكَـانِ

الحمد لله، رَمَوْا على هذا المنجنيق صواعقَ من فوق، وحجارةً من تحت، حتَّى هدموه وأزالوه، وذلك بما يأتي:

٢٩٨٨- فَاسْأَلْـهُمْ مَا ذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالتْـ   تَرْكِيبِ فَالتَّرْكِيـبُ سِـتُّ مَعَـانِ؟

يعني: اسألهم ما هو التركيبُ الممتنِعُ الذي جعلوه وسيلةً إلى إنكار صفاتِ الله؛ لأنَّه -على حدِّ زعمهم- باطلٌ، وما استلزمَ الباطلَ فهو باطلٌ.

يقول: التركيب له ستّة معانٍ، ذكرها قائلًا:

٢٩٨٩- إِحْدَى مَعَانِيهِ هُـوَ التَّرْكِيـبُ مِـنْ   مُتَبَـايِنٍ كَتَرَكُّـبِ الْـحَيَوَانِ

يعني: المعنى الأول للتركيب ما تركَّب من أشياءَ متباينةٍ، مثل: الحيوان، فهو مُركَّبٌ من أعضاء متباينة في حقيقتِها، وفي شَكْلِها، وفي منافعِها، فاللحمُ غيرُ العظمِ، والعظمُ غيرُ الجلدِ، والكَبِدُ غيرُ الكَرِش، والكَرِشُ غيرُ الأمعاء... وهكذا.

جسمٌ واحدٌ لكنَّه مركَّبٌ من أشياءَ عديدةٍ لا يعلمُها إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ، يعني: ففي الجسمِ مركَّباتٌ عظيمةٌ وغريبةٌ وعجيبةٌ، هذا تركيبٌ، هل تقولون: إنَّ الجسمَ بهذا التركيب صار أجسامًا؟ الجواب: لا، هو جسمٌ واحدٌ، وهو مركَّبٌ من أشياءَ متباينةٍ.

٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَا، كَذَا أَعْضَاؤُهُ ... قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ

الأعضاءُ أيضًا مركَّبةٌ من أربعة أركان: يدٌ يُمنى، ويدٌ يسرى، ورِجْلٌ يمنى، ورِجْلٌ يسرى.

٢٩٩١- أَفَلَازِمٌ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا ... وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ؟

يعني: هل يلزمُ أن يكونَ الإنسانُ بهذا التركيب متعددًا؟ الجواب: لا.

فإذا كان هذا لا يلزمُ في المخلوق فكيف يلزمُ في الخالق؟! فالرَّبُّ عزَّ وجلَّ له صفاتٌ متعددةٌ: سمعٌ، وبَصَرٌ، وعِلمٌ، وقُدرةٌ، وغيرُ ذلك من الصفات، وهذا لا يلزمُ التعدد.

٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلَكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا: ... ذَا لَازِمُ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ

يعني: ربَّما يقولُ الجاهلُ منكم: إنَّ هذا لازمٌ، يعني أنَّ هذا التركيبَ يَلْزَمُ منه التعددُ، ولكن يقولُ: هذا من باب المباهتة والمكابرة والمراوغة، وإلَّا فحقيقةُ الأمر أنه ليس كذلك.

٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمُ رَخِيصٌ سِعْرُهُ ... حَثْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

البهت: يعني: **الكذب**، سعرُه رخيصٌ أو بلا شيءٍ، ومع ذلك: (**حَثْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ**) مَنْ جاء قال: «**الكيس بقِرش وهات**» وهذا لا شكَّ أنه بئسَ المطيَّةُ، بئس مطيَّةُ الرجل زعموا.

فهؤلاء -والعياذ بالله- لا يُهِمُّهم أن يبهَتوا أو يكذبوا أو يقولوا شيئًا لا يدخلُ في العقل بحُجَّة أنَّه هو العقل.

* * *

٢٩٩٤- هَـذَا وَثَانِيهَـا: فَتَرْكِيـبُ الْـجِوَا ... رِ وَذَاكَ بَـيْنَ اثْنَـيْنِ يَفْتَرِقَـانِ[١]

٢٩٩٥- كَالْـجِسْرِ وَالْبَـابِ الَّـذِي تَرْكِيبُـهُ ... بِجِـوَارِهِ لِـمَحَلِّهِ مِـنْ بَانِـي[٢]

٢٩٩٦- وَالْأَوَّلُ الْـمَدْعُوُّ تَرْكِيـبَ امْتِـزَا ... جٍ وَاخْـتِلَاطٍ وَهْـوَ ذُو تِبْيَـانِ

٢٩٩٧- أَفَـلَازِمٌ ذَا مِـنْ ثُبُـوتِ صِـفَاتِهِ؟ ... أَيْضًـا تَعَـالَى اللهُ ذُو السُّـلْطَانِ!

٢٩٩٨- وَالثَّالِـثُ: التَّرْكِيـبُ مِـنْ مُتَمَاثِـلٍ ... يُـدْعَى الْـجَوَاهِرَ فَـرْدَةَ الْأَكْـوَانِ

٢٩٩٩- وَالرَّابِعُ: الجِسْمُ المُرَكَّبُ مِنْ هَيُو ... لَاهُ وَصُـورَتِهِ لَـدَى الْيُونَـانِ

٣٠٠٠- وَالجِسْمُ فَهْوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْـ ... ـدَ الْفَيْلَسُـوفِ، وَذَاكَ ذُو بُطْـلَانِ

٣٠٠١- وَمِنَ الْـجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَـلَا ... مِ وَذَاكَ أَيْضًـا وَاضِـحُ الْـبُطْلَانِ

٣٠٠٢- فَالْـمُثْبِتُونَ الْـجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّـذِي ... زَعَمُـوهُ أَصْـلَ الـدِّينِ وَالإِيـمَانِ

٣٠٠٣- قَـالُوا بِـأَنَّ الْـجِسْمَ مِنْـهُ مُرَكَّـبٌ ... وَلَـهُمْ خِـلَافٌ وَهْـوَ ذُو أَلْـوَانِ

٣٠٠٤- هَلْ يُمْكِنُ التَّرْكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ ... مِـنْ أَرْبَـعٍ أَوْ سِـتَّةٍ وَثَـمَانِ

٣٠٠٥- أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِي ... يُ لِـذِي مَقَـالَاتٍ عَـلَى التِّبْيَـانِ

٣٠٠٦- أَفَـلَازِمٌ ذَا مِـنْ ثُبُـوتِ صِـفَاتِهِ ... وَعُلُـوِّهِ؟ سُـبْحَانَ ذِي السُّـبْحَانِ!

٣٠٠٧- وَالْـحَقُّ أَنَّ الْـجِسْمَ لَـيْسَ مُرَكَّبًـا ... مِـنْ ذَا وَلَا هَـذَا هُمَـا عَـدَمَانِ

٣٠٠٨- وَالْـجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّـذِي قَـدْ أَثْبَتُـو ... هُ فِي الْـحَقِيقَةِ لَـيْسَ ذَا إِمْكَـانِ

---

(١) في نسختي برلين والسفارينية: «يقترنان» بقاف مثناة.

(٢) في نسخة الإفتاء: «ثاني».

٣٠٠٩- لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْـمُحَا ... لُ لِوَاضِحِ[1] الْـبُطْلَانِ وَالْبُهْتَانِ

٣٠١٠- مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا ... جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأَوْزَانِ

٣٠١١- أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّوْدَ فِي الْـ ... أَجْزَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَذْهَانِ؟!

٣٠١٢- إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ ... لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْـحُسْبَانِ

٣٠١٣- وَإِذَا وَضَعْتَ الْـجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا ... فِي الْوَسْطِ وَهْوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي

٣٠١٤- فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقَيَا[2] ... حَتَّى يَزُولَ إِذَنْ فَيَلْتَقِيَانِ

٣٠١٥- مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْـ ... ـمَمْسُوسُ[3] لِلثَّانِي بِلَا فُرْقَانِ

٣٠١٦- هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرَهُ ... فَهْوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التِّبْيَانِ

الشَّرحُ

٢٩٩٤- هَذَا وَثَانِيهَا: فَتَرْكِيبُ الْـجِوَا ... رِ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ

يعني: تركيبٌ بين شيئَيْن متباينَيْن لكنَّهما متجاوران، مثل: تركيب الباب، فالبابُ مع الجدار هذا تركيبٌ، والبابُ مع المحمل الدائر عليه (البرواز) هذا تركيبٌ، لكن كُلُّ واحدٍ منهما منفصِلٌ عن الثاني؛ ولهذا قال:

٢٩٩٥- كَالْـجِسْرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيبُهُ ... بِجِوَارِهِ لِـمَحَلِّهِ مِنْ بَانِي

---

(١) في نسخة الإفتاء وابن سحمان: «الواضح».

(٢) في نسخة التيمورية: «يتواليا».

(٣) في نسختي ابن سحمان: «المحسوس».

يعني: الجسر والباب، الجسرُ الذي نسمِّيه نحن السَّقف الذي على الباب، ثُمَّ يُرَكَّبُ البابُ، وهذا نوعٌ من التركيب، ويُسَمَّى تركيبَ الجوار، وتركيبُ الجوار بالاتفاق لا يعني أنَّهما شيءٌ واحد، فكلٌّ يَعرِفُ أنَّ المتجاورَيْن متباينان.

٢٩٩٦- وَالْأَوَّلُ الْـمَدْعُوُّ تَرْكِيبَ امْتِزَا ... جٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهْوَ ذُو تِبْيَانِ

قَوْلُهُ: «والأول» ما هو الأوَّلُ؟ الجواب: هو تركيبُ الواحدِ من متباينَيْن.

٢٩٩٧- أَفَلَازِمٌ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ؟ ... أَيْضًا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ!

هل يلزمُ من ثبوت صفاتِ الله أن يكون مركَّبًا بالمعنى الأوَّل أو بالثاني يعني: تركيبَ جوار أو تركيبَ تباين؟ الجوابُ: لا.

٢٩٩٨- وَالثَّالِثُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ ... يُدْعَى الْـجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الْأَكْوَانِ

الثالثُ: تركيبُ الفرد أو الجوهر، وهو أن يتركَّبَ شيءٌ مع آخرَ مماثلٍ له، وهذا وإن كان ابنُ القيِّم -رحمه الله- وشيخُ الإسلام قد تكلَّما به منذ قرون فقد أثبته العلمُ الحديثُ.

وقضيةُ علم الذرة أو القنابل الذرية من هذا الباب؛ لأنَّ كلَّ شيء وإن كان متماثلًا فإنَّه يدورُ حولَ شيء، فكُلُّ شيء في الإنسان وفي غير الإنسان ذرات يدورُ بعضُها حولَ بعض، وتتكون هذه الأجسامُ، منها اللَّيِّن وهو الذي لا يلتصقُ بغيره كثيرًا، ومنها القاسي: وهو الذي يكون منضمًّا بقوة وكثرة مع الآخر؛ ولهذا نجدُ فرقًا بين لِين القطن وقسوة الحديد أو الحجارة؛ وذلك لأنَّ كُلَّ واحدةٍ في الحديد والحجارة قد شُدَّت إلى الأخرى بقوة بخلافها في الشيء اللَّيِّن، هذا يسمُّونه فيما سبق عند الفلاسفة الجوهر الفرد، وهو الآن ثابتٌ، وأساسُ القنابل الذريَّة على

هذا؛ لأنَّ النظرية فيها أنَّ هذه المكونات للأجسام للقنبلة تتمزَّقُ وتتفرَّقُ فيحصلُ التَّصدُّعُ للجبال والجدران حتَّى في الإنسان نفسِه.

٢٩٩٩- وَالرَّابِعُ: الجِسْمُ المُرَكَّبُ مِنْ هَيُو لَاهُ وَصُورَتِهِ لَدَى الْيُونَانِ

الرابع: تركيبُ الـهَيُولَى والصورة، وهذا التركيبُ العام لكُلِّ مركَّبٍ، مثلًا: الإنسان: زيد، عمرو، خالد...إلخ، هو في جسمه مركَّبٌ، يسمُّونه المركَّب من الـهَيُولى والصورة، الـهَيُولَى يعني كما نقول: الجسم، والصورة: الشَّكل، فيكون كُلُّ شيءٍ مركَّبًا من هَيُولَاه وصورته.

٣٠٠٠- وَالجِسْمُ فَهْوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْـ ـدَ الْفَيْلَسُوفِ، وَذَاكَ ذُو بُطْلَانِ

الفلاسفة يقولون: الجسمُ مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة، لكنَّ ابنَ القيِّم يقولُ: إنَّه ذو بطلان، وليس كذلك، فالجسمُ لا بُدَّ له من صورة، فلا نقولُ: إنَّ الصورةَ مركَّبةٌ معه، فكُلُّ جسمٍ لا بُدَّ له من صورة، ولا يصحُّ أن نقولَ: إنَّه مركَّبٌ من شيئَيْن، هو نفسُه شيءٌ واحد، ولا بُدَّ لكُلِّ شيء موجودٍ بالفعل أن يكونَ له صورةٌ على حسب ما يليقُ به، فأنتم تقولون: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة مِن أَجْلِ إنكار صفات الله وغيرها؛ لأنكم إذا جعلتم الجسمَ مركَّبًا من شيئَيْن صارت الصفاتُ غيرَ الموصوف، وهذا هو الذي جعلهم يُنكرون صفاتِ الله؛ لأنَّهم يقولون: لو أثبتنا لله صفةً لزِم تعددُ القدماء، وأَن تكونَ هذه الصفاتُ قديمةً، ونفسُ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ، فيلزم من ذلك تعددُ القدماء.

شيخُ الإسلامِ وابنُ القيِّم أنكرا هذا، وقالا: لا يمكنُ أن نقولَ: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من شيئَيْن، بل هو شيءٌ واحدٌ، ولكن لا بُدَّ لكُلِّ شيءٍ موجودٍ من صورة.

قالوا: الجسمُ أيضًا مركَّبٌ من الجواهر؛ ولذا قال:

٣٠٠١- وَمِنَ الْـجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَـلَا م وَذَاكَ أَيْضًـا وَاضِـحُ الْـبُطْلَانِ

الجسم عند الفلاسفة من القسم الرابع من التركيب، وعند أهل الكلام من القسم الثالث.

وابنُ القيِّم ذكر بطلانَ الأوَّل، ثُمَّ ذكر بطلانَ الثاني فقال: «**وذاك أيضًا واضِحُ البُطلانِ**».

٣٠٠٢- فَالْـمُثْبِتُونَ الْـجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّـذِي زَعَمُـوهُ أَصْـلَ الـدِّينِ وَالإِيـمَانِ

٣٠٠٣- قَـالُوا بِـأَنَّ الْـجِسْمَ مِنْـهُ مُرَكَّـبٌ وَلَـهُمْ خِـلَافٌ وَهْـوَ ذُو أَلْـوَانِ

هؤلاء الذين يدَّعون أنَّ الجسمَ مركَّبٌ من الجواهر الفردة، العلمُ الحديثُ يُؤيِّدُ قولَهم في الواقع، لكن ابن تَيْمِيَّة وابن القيِّم صارا ينكران هذا؛ لأنه لم يكن العلمُ المادِيُّ قد انتهى إلى ما انتهى إليه اليوم، فقالا: إنَّ الجوهرَ الفردَ -وهو الذي لا ينقسمُ- شيءٌ ممتنِعٌ، ما من شيءٍ إلَّا وهو قابلٌ للانقسام، حتَّى رأس الإبرة قابلٌ للانقسام، فلا يوجدُ شيء إلَّا وهو قابلٌ للانقسام، فإذا قلتم: المركَّب كُلُّ قابلٍ للانقسام لزِم أن تصفوا اللهَ بأنَّه لا شيء، ولزِم أن تصفوا الإنسانَ أيضًا بأنَّه لا شيء، أو يلزمكم ثُبُوتُ الإنسانِ وادِّعاء أنَّه مركَّبٌ من الجواهر الفردة؛ ولهذا (**قالُوا بِأَنَّ الْـجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَـهُمْ خِلَافٌ وَهْوَ ذُو أَلْوَانِ**) أي: أنواعٌ من الخلاف.

٣٠٠٤- هَلْ يُمْكِنُ التَّرْكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ مِـنْ أَرْبَـعٍ أَوْ سِـتَّةٍ وَثَـمَانِ

٣٠٠٥- أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِ ... يُ لِـذِي مَقَـالَاتٍ عَـلَى التِّبْيَـانِ

فالأقوالُ إِذَنْ خمسةٌ: جزآن، أربعةُ أجزاءٍ، ستةُ أجزاءٍ، ثمانيةُ أجزاءٍ، ستة عَشَرَ جزءًا.

قَوْلُهُ: «قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِي لِذِي مَقَالَاتٍ عَلَى التِّبْيَانِ» (المقالات) أي: كتابٌ اسمُه: **(مقالات الإسلاميين)** للأَشْعَرِيِّ -رحمه الله-، ذكر هذه الأنواعَ من التراكيب، وفَنَّدَ الباطلَ منها.

٣٠٠٦- أَفَــلَازِمٌ ذَا مِــنْ ثُبُــوتِ صِــفَاتِهِ ... وَعُلُــوِّهِ؟ سُبْحَانَ ذِي السُّــبْحَانِ!

يعني: هذا التركيبُ الذي هو تركيبُ الجواهرِ الفردة هل يَلْزَمُ من إثبات صفاته أن نقولَ: إنَّه مركَّبٌ من الجواهر الفردة؟ الجواب: أبدًا؛ لأنَّ جنسَ الخالق يخالفُ جنسَ المخلوق، ولا يمكنُ أن يُوافقَ المخلوقَ في أيِّ شيءٍ من الأشياء.

فإذا كان بنو آدمَ مخلوقين من تراب، والملائكةُ من نور، والشَّياطينُ والجنُّ من نار، ومع ذلك فكُلُّها أجسامٌ تُرَى، واختلفتْ في أصلِها ومادتِها، فكيف تُلزمون بأَنَّ مَنْ أثبتَ لله صفةً لزِمه أَنْ يجعلَ اللهَ مركَّبًا من الجواهر الفردة، أو الـهَيُولَى والصورة، أو ما أشبه ذلك؟!

٣٠٠٧- وَالْـحَقُّ أَنَّ الْـجِسْمَ لَـيْسَ مُرَكَّبًـا ... مِــنْ ذَا وَلَا هَــذَا هُـمَـا عَــدَمَانِ

ابنُ القيِّم -رحمه الله- ينكرُ أن يكونَ الجسمُ مركَّبًا من الهيولى والصورة، ويقول: إنَّ كلَّ جسمٍ فهو مقارنٌ لصورته، وليس مركَّبًا منها، وكذلك الجوهر الفرد.

٣٠٠٨- وَالْـجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّـذِي قَـدْ أَثْبَتُـو ... هُ فِي الْــحَقِيقَةِ لَــيْسَ ذَا إِمْكَــانِ

٣٠٠٩- لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْمُحَا ... لُ لِوَاضِحِ الْبُطْلَانِ وَالْبُهْتَانِ

٣٠١٠- مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا ... جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأَوْزَانِ

يعني: أنَّ إثباتَ الجوهر الفرد هذا مستحيلٌ، وليس في الحقيقة ممكنًا من أوجهٍ متعددة، لكن اعتذر المؤلفُ عن سردِها مِن أَجْلِ صعوبة الأوزان، يعني النظمَ، ولكنَّها مذكورةٌ في كتب شيخ الإسلام -رحمه الله- كثيرًا، وكذلك في بعض كتب ابنِ القيِّم، لكن من جملة بطلانه ما ذكره في قوله:

٣٠١١- أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّوْدَ فِي الْـ ... أَجْزَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَذْهَانِ؟!

٣٠١٢- إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ ... لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

وهذا ليس بممكنٍ، لكن عندهم ممكنٌ؛ لأنَّهم يقولون: إنَّ الخردلةَ -وهي حبَّةٌ صغيرةٌ جدًّا- تنقسمُ إلى أجزاء، ولا بُدَّ أن تنقسمَ، وإذا كانت تنقسمُ إلى أجزاء لا نهايةَ لها لزِم أن تكونَ مساويةً للجبل الطَّوْد العظيم.

وهذا شيءٌ لا يمكنُ لا في شرعٍ ولا في حِسٍّ ولا في عقل، أن تكون الخردلةُ مثلَ الطَّوْد، بناءً على أنَّه ما من شيءٍ إلَّا وهو قابلٌ للانقسام، فيكون هذا مساويًا لهذا؛ لأنَّك حتَّى لو قلتَ: قَسِّم الجبلَ إلى ألف، وقَسِّم الخردلةَ إلى ألف، والواحدُ من ألفٍ في الجبل أكثرُ من الخردلة قَسِّمه أيضًا إلى ألف، ثُمَّ قَسِّم كُلَّ واحدٍ منه إلى ألف، والنهاية أنَّها لا تنقسمُ كما أنَّ الخردلةَ كذلك.

٣٠١٣- وَإِذَا وَضَعْتَ الْجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا ... فِي الْوَسْطِ وَهْوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي

٣٠١٤- فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقَيَا ... حَتَّى يَزُولَ إِذَنْ فَيَلْتَقِيَانِ

٣٠١٥- مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْـ ـمَمْسُوسُ لِلثَّانِي بِلَا فُرْقَانِ

٣٠١٦- هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرَهُ فَهْوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التِّبْيَانِ

هذا في الرَّدِّ على المتكلِّمين الذين أثبتوا الجوهرَ الفردَ، والفلاسفة أثبتوا التركيبَ من الهيولى والصورة، والعجب أنَّ كُلَّ واحدٍ من هؤلاء رَدَّ على الآخر، وقال: إنَّ الجوهرَ الفردَ غيرُ ممكنٍ، وإنما هو شيءٌ في الخيال، ولو أنَّنا قلنا به للزِم أن تتساوى الذرةُ الصغيرةُ التي لا منتهى لأجزائها بالجبل الكبير؛ لأنَّ كُلًّا منهما ينتهي إلى لا شيء.

وهذا شيءٌ محالٌ ومكابرةٌ للحِسِّ، فلذلك كفى اللهُ المؤمنين القتالَ بردِّ بعض هؤلاء على بعض.

وأولئك المتكلِّمون أيضًا رَدُّوا على هؤلاء بأنَّ الهَيُولَى هي الصورة، وأنَّه لا يمكنُ وجودُ هيولَى بلا صورةٍ، والهيولَى ماهيَّةُ الشيء، لا بُدَّ أن يكونَ الهيولَى على صورة معيَّنة لا تنفكُّ إحداهما عن الأخرى.

* * *

٣٠١٧- وَالخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الْـ أَوْصَافِ هَذَا بِاصْطِلَاحٍ ثَانِ

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضْعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنِ

٣٠١٩- لَسْنَا نُقِرُّ[1] بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ بِالْاِصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ الْيُونَانِ

٣٠٢٠- أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عِرْفَانِ

---

(١) في نسختي برلين وابن سحمان: «نفر» بالفاء الموحدة.

٣٠٢١- مِنْ[1] وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الْـ ـعُلْيَا وَنَتْرُكُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٣٠٢٢- وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَاتِ أَيْضًا كُلِّهَا قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

٣٠٢٣- سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْـ أَسْمَاءِ بِالْأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ

٣٠٢٤- هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التْـ تَرْكِيبِ مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ فُرْقَانِ؟

٣٠٢٥- وَاللهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكُمُ لَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ أَتَى الثَّقَلَانِ

٣٠٢٦- وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ

٣٠٢٧- إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا فِي الذِّهْنِ وَالثَّانِي فَفِي الْأَعْيَانِ

٣٠٢٨- فَهُنَاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرًا لِذَا فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ

٣٠٢٩- أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْـ ـسُ وُجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي

٣٠٣٠- مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ[2]

الشرحُ

٣٠١٧- وَالخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الْـ أَوْصَافِ هَذَا بِاصْطِلَاحٍ ثَانِ

الخامس: التركيبُ من الذات والأوصاف؛ فالإنسانُ مثلًا إنسانٌ بشرٌ ذاتٌ، أوصافُه: الحياةُ، والعلمُ، والقدرة، والسَّمعُ، والبصرُ، وما أشبهَ ذلك، قالوا: فهذا تركيبٌ، كيف كان تركيبًا؟ قالوا: هذا تركيبٌ من الذات ومن الصفات، فسمَّوْا

(١) في نسخة الإفتاء: «في».

(٢) في نسخة الإفتاء: «الغفلان» بغين معجمة ثم فاء موحدة.

هذا تركيبًا، ومِنْ ثَمَّ أنكروا صفاتِ الله، قالوا: لأننا لو أثبتنا لله صفةً لزِم التركيبُ، ولكنَّ ابنَ القيِّم رَدَّ عليهم فقال:

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضْعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنِ

قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضْعُهُمْ» يعني: اصطلاحًا، وليس من وضع اللغة.

قَوْلُهُ: «مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنِ» يعني: ليس هذا في عُرف أهل اللغة ولا في القرآن الكريم العربيِّ أن يكونَ الموصوفُ وصفتُه مُرَكَّبَيْنِ أبدًا، بل الموصوفُ لا يمكنُ أن يُوجدَ بلا صفةٍ، كُلُّ موجودٍ فلا بُدَّ له من صفةٍ.

٣٠١٩- لَسْنَا نُقِرُّ بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ بِالْإِصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ الْيُونَانِ

يعني أنَّ ابنَ القيِّم أنكر هذا النوعَ من التركيب، وقال: هذا ليس بتركيبٍ؛ لأنَّ كُلَّ ذاتٍ فهي ملازمةٌ للصفات، فكُلُّ ذاتٍ لا بُدَّ أن يكونَ لها صفةٌ، وهل يمكنُ أن يكونَ الموصوفُ بصفاته مركَّبًا من ذاته وصفاته؟ الجواب: لا؛ إذ إنَّ الصفاتِ ملازمةٌ للذات، فلا وجودَ لذاتٍ بلا صفةٍ أبدًا.

قَوْلُهُ: «لَسْنَا نُقِرُّ» في النسخ التي عندنا: (لَسْنَا نُقِرُّ)، لكن يقولُ الشَّارحُ ابنُ عيسى -رحمه الله تعالى-: الصوابُ: (لَسْنَا نَفِرُّ) بدليل قوله: «**مِن وَصْفِه سبحانه بصفاته العليا**»[1] يعني: لَسْنَا نَفِرُّ من وصفه مِن أَجْلِ لفظةٍ موضوعة باصطلاحٍ ليس معروفًا في اللغة العربية، ولا في لغة القرآن.

---

(١) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم (٢/ ١٨٦)، ط. المكتب الإسلامي.

وعلى هذا فلعلَّها (نَفِرُّ) بدليل قوله: «من وصفه سبحانه» فيكون البيتُ «لَسْنَا نَفِرُّ بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ» أي: بسبب لفظةٍ موضوعةٍ بالاصطلاح من وصفه سبحانه.

قَوْلُهُ: «بلفظةٍ مَوْضُوعَةٍ بِالْإِصْطِلَاحِ» ما هي اللفظة الموضوعة؟ هي التركيب من الذات والصفات، وأنَّ وجودَ الصفاتِ مضافةً إلى الذات يُعْتَبَرُ تركيبًا.

قَوْلُهُ: «لشِيعة اليُونانِ» شيعة اليونان هم المتفلسِفة.

٣٠٢٠- أَوْ مَــنْ تَلَقَّــى عَــنْهُمْ مِــنْ فِرْقَــةٍ ... جَهْمِيَّــةٍ لَيْسَــتْ بِــذِي عِرْفَــانِ

هنا -رحمه الله- وصف الجهميَّةَ بأنَّهم مثل الببغاوات تُتَابعُ بدون معرفة، فهم أخذوا عن الفلاسفة هذا المعنى، وقالوا: إنَّ هذا تركيبٌ؛ ولهذا يُنكرون صفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

٣٠٢١- مِنْ وَصْــفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِــفَاتِهِ الْــ ... ــعُلْيَا وَنَــتْرُكُ مُقْتَضَــى الْقُــرْآنِ

٣٠٢٢- وَالْعَقْــلِ وَالْفِطْــرَاتِ أَيْضًــا كُلِّهَــا ... قَبْلَ الْفَسَــادِ وَمُقْتَضَــى الْبُرْهَــانِ

يقولُ ابنُ القيِّم: إنَّ هذا التركيبَ -تركيب الذات مع الأوصاف- اصطلاحٌ حادثٌ، وهذا لا يُلْزِمُنَا بأن نَفِرَّ من وصف الله -سبحانه وتعالى- بصفاته ونتركُ مقتضى القرآن، ومقتضى العقل، ومقتضى الفطرة قبل تغيُّرها وفسادِها، ومقتضى البرهان.

فلا يمكنُ أن نتركَ هذا مِن أَجْلِ اصطلاحٍ حادثٍ مأخوذٍ عن اليونان، أو عمَّن أخذ منهم من فرقة الجهميَّة الجاهلة، بل نقولُ: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ذو ذاتٍ وصفاتٍ حتَّى وإن سَمَّيتموه تركيبًا فإنَّ ذلك لا يُهِمُّنا.

٣٠٢٣- سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْـ أَسْـمَاءِ بِالْأَلْقَـابِ ذَاتِ الشَّـانِ

قَوْلُهُ: «سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ» يعني: سَمُّوا إثباتَ الصفاتِ ما شئتم تركيبًا أو غير تركيب.

قَوْلُهُ: «فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الأَسْمَاءِ بِالْأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ» يعني: ليس الشأن بأن تسمُّوه شيئًا مكروهًا فيكون مكروهًا، لا، بل الشَّأنُ بالمعاني، لو سمَّيتم هذا تركيبًا ونَفَّرتم الناسَ منه، وقلتم: إنَّ هذا يَسْتَلْزِمُ أن يكونَ الباري عزَّ وجلَّ مركَّبًا من ذاتٍ وصفاتٍ فإنَّ هذا لا يَقْلِبُ الحقَّ باطلًا.

٣٠٢٤- هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التْـ ـرْكِيبِ مِـنْ عَقْـلٍ وَمِـنْ فُرْقَـانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التَّرْكِيبِ؟» الجواب: لا، ليس هناك دليلٌ يمنعُ هذا التركيبَ، ونحن إنما نقولُ: إنَّه تركيبٌ بناءً على تسميتكم إيَّاه، وإلَّا فنعلمُ أنَّ الإنسانَ بصفاتِه لا يكونُ مركَّبًا من شيئَيْن، بل هو بصفاتِه واحدٌ وليس متعددًا، إِذَنْ فلا تركيبَ، لكن أنتم إذا سمَّيتموه تركيبًا فنقول: سَمُّوه ما شئتم، نحن سنثبتُه لله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «من عقلٍ» أي: دليل عقلي.

قَوْلُهُ: «من فرقان» أي: من قرآن: أي: دليلٍ سمعيٍّ.

٣٠٢٥- وَاللهِ لَـوْ نُشِـرَتْ شُـيُوخُكُمْ لَـمَا قَـدَرُوا عَلَيْـهِ وَلَـوْ أَتَـى الـثَّقَلَانِ

يعني: لَا يَقْدِرُ شيوخُكم لو نُشِرُوا أي: بُعثوا بعد موتهم، ما قَدروا على أن يأتوا بدليلٍ.

خلاصةُ هذا التركيبِ، وهو تركيبُ الذات مع الأوصاف:

أوَّلًا: نحن نمنعُ أن يكونَ تركيبًا؛ لأنَّ الموصوفَ لا يرى تعددًا بتعدد الصفات، وكُلُّ إنسانٍ عاقلٍ لا يرى أنَّ الموصوفَ إذا وُصِفَ تعدَّدَ بتعدُّد الصفات، فمثلًا (زيد) إذا قلنا: (إنَّ زيدًا سميعٌ) فهل (زيدٌ) يكونُ واحدًا؟ فإذا قلنا: (سميعٌ) صار اثنين، فإذا قلنا: (قدير) صار ثلاثةً؟ الجواب: أبدًا، لا أحدَ يقولُ بهذا.

ثانيًا: لو سَلَّمنا جدلًا أنَّ هذا تركيبٌ فهل من مانعٍ منه؟ الجواب: أبدًا، لا مانع، بل إنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ والنظرَ دَلَّ على وجوده، أي: على وجود ذاتٍ موصوفة بالصفات، ولا يُعَدُّ هذا تركيبًا، ولو سمَّيتموه تركيبًا فإنَّه لا يكونُ تركيبًا.

٣٠٢٦- وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ

السادس: التركيبُ من الماهيَّة والوجودِ، هذا أيضًا يُسَمَّى تركيبًا عند الفلاسفة، ولكنَّه عند التأمُّلِ ليس بتركيبٍ، فماهيَّةُ الشيء هي ما يُسْأَلُ عنه بـ(ما) فتقول: ما هو؟ الجوابُ: إنسانٌ، هذا الماهيَّة.

يقولون: وجودُ الماهيَّة شيءٌ، والماهيَّةُ نفسُها شيءٌ آخر، فإذا قلت: «ماهيَّة ووجود ماهيَّة» صار مركَّبًا من الماهيَّة ووجودِها، ولكن هل هذا صحيح؟ لا يمكنُ أن يكونَ ماهيَّة إلَّا بوجود، ووجودُ ماهيَّة بلا وجود إنما هو في الذهن لا في الخارج.

يعني: قد يتصوَّرُ الإنسانُ إنسانيَّةً بلا إنسان، كالتي يُسمُّونها الكُلِّيَّات، لكن حقيقة الأمر هل يمكنُ أن يوجدَ إنسانٌ بلا وجود؟ الجواب: أبدًا، لا يمكن، ولذلك يقول المؤلف: «**وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا**» أي من: ماهيَّة

ووجود ماهيَّة، ثُمَّ قال: «**مَا هَاهُنَا شَيْئَان**» وهذا رَدٌّ لهذا التركيب، يقولُ: إنَّ هذا التركيبَ لا يمكنُ أن يُسَمَّى تركيبًا؛ لأنه ليس هناك فرقٌ بين الماهيَّة ووجودِ الماهيَّة إلَّا في الذهن، فقد يُتَصوَّرُ مثلًا ماهيَّةٌ بلا وجود، وهذا لا يُعْتَدُّ به؛ لأنَّ الذهنَ قد يفرضُ الشيءَ المستحيلَ على أنَّه ممكنٌ فقد يتصوَّرُ اجتماعَ النقيضين وارتفاعِهما مع أنَّ ذلك في الخارج لا يمكنُ.

٣٠٢٧- إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا ... فِي الذِّهْنِ وَالثَّانِي فَفِي الْأَعْيَانِ

٣٠٢٨- فَهُنَاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرًا لِذَا ... فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ

يعني: يقولُ -رحمه الله-: إنَّ الماهيَّةَ هي وجودُ الشيء إلَّا إذا اختلف الاعتبار بحيث يُقَالُ: إنَّ الذهنَ قد يَفْرِضُ وجودَ ماهيَّةٍ بلا وجودٍ، كَأَنْ يفرضُ الذهنُ إنسانًا لكن بلا وجود إنسان، هذا ممكنٌ، فممكن أن نقولَ: إنَّ الماهيَّةَ الذهنيَّة غيرُ الماهيَّة الخارجيَّة، أمَّا الماهيَّةُ الخارجيَّة فإنَّ وجودَها هو وجودُها في الحقيقة، فليس هناك تركيبٌ.

٣٠٢٩- أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْـ ... ـسُ وُجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي

صحيحٌ، هذا أمرٌ واضح؛ لأنَّ الأوَّلَ تركيبُ ذاتٍ وصفاتٍ، والصفاتُ غيرُ الوجود، لكن هنا تركيب الذات والوجود، ماهيَّةُ الشيء ووجود الشيء، نقول: لا يمكنُ أن توجدَ ماهيَّةٌ بلا وجودٍ أبدًا، صحيحٌ توجد مثلًا (ذاتٌ) بلا سمعٍ وبلا بصر، لكن (ذات) بلا وجودٍ، هذا شيءٌ لا يُوجَدُ، إلَّا إذا قَدَّرْتَها اعتبارًا بالذهن، وقلتَ: يمكنُ أن يتصوَّرَ الإنسانُ ماهيَّةً بلا وجود، أمَّا في الخارج فلا توجدُ ماهيَّةٌ إلَّا بوجود، ولهذا قال: «**أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا**» اعتبارًا يعني: باعتبار الخارج فهنا (**كان نفسُ وُجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي**).

٣٠٣٠- مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي ... قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ

قَوْلُهُ: «ضَرْبًا مِنَ الفُعْلَان» أي: من الوصف الذي على وزن «فُعْلَان» مثل: البُهتان، وهذا يفتحُ لنا بابًا إذا أردنا أن نُكَنِّيَ، مثلًا: تريدُ أن تسألَ عن شخص لا تحبُّ أن يُعْرَفَ اسمُه عند الحاضرين واسمهُ مثلًا: (أحمد) تقولُ: (ما رأيتَ أَفْعَلَ؟) فهذا يصلح تكنيةً.

وتقول: (ما رأيتُ مُفَعَّلًا) يعني: محمدًا، تريدُ أن لا يعرفَ الحاضرون اسمَه، وهذا جَيِّدٌ، أن يُكَنَّى عن الاسم بوزنه اللُّغَوِيّ، فيَعْرِفُ المخاطَبُ المقصودَ، والسَّامعُ لا يعرفُ المقصودَ.

* * *

٣٠٣١- هَذَا وَكَمْ خَبْطٍ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتْـ ... ـتَفْصِيلِ وَهْوَ الْأَصْلُ فِي الْعِرْفَانِ

٣٠٣٢- وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ ... لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الْفُرْقَانِ[1]

٣٠٣٣- بَلْ خَبَّطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبَا ... شَكًّا لِكُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وُجُودُهُ ... أَمْ غَيْرُهُ فَهُمَا إِذَنْ شَيْئَانِ؟

٣٠٣٥- فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَاكَ إِنْ ... قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانِ

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وُجُودُهُ ... كَالْمُطْلَقِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَانِ

٣٠٣٧- وَحَكَوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْـ ... ـقَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلَا فُرْقَانِ

٣٠٣٨- وَالثَّالِثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْـ ... أَعْلَى وَبَيْنَ وُجُودِ ذِي الْإِمْكَانِ

(١) في نسخ التيمورية والإفتاء وابن سحمان: «العرفان».

٣٠٣٩- وَسَطَوْا عَلَيْهَا كُلِّهَا بِالنَّقْضِ وَالْـ إِبْطَالِ وَالتَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ[(١)]

٣٠٤٠- حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ آمِدَ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلْ حَقِيرُ الشَّانِ

٣٠٤١- قَالَ: الصَّوَابُ الْوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

٣٠٤٢- هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرحُ

هذا تكميلٌ لِـمَا سبق في النوع السَّادس من التركيب وهو التركيبُ من الوجود والماهيَّة، وهو رأيُ الفلاسفة، يقولون: إنَّ الشيءَ مركَّبٌ من وجودِه وماهيَّته، ونحن نقولُ: إنَّ الوجودَ هو الماهيَّة، ولا يُتَصوَّرُ انفكاكُ أحدِهما عن الآخر إلَّا في الذهن، أمَّا في الواقع والحقيقة والخارج فإنَّهُ لا يمكنُ أن يفترقا.

٣٠٣١- هَذَا وَكَمْ خَبْطٍ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتْـ تَفْصِيلِ وَهْوَ الْأَصْلُ فِي الْعِرْفَانِ

(الخَبْطُ) معناه التَّحدُّث بالشيء على غير رَوِيَّةٍ، بل يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاء.

قَوْلُهُ: «كَمْ خَبْطٍ هُنَا قَدْ زَالَ بالتفصيل وَهْوَ الْأَصْلُ» ولهذا نجدُ أنَّ التفصيلَ دائمًا في الأقوال المضطربة يكونُ حَلًّا للنزاع، مثالُ ذلك: اختلافُهم في الجسم، هل يوصفُ اللهُ بأنه ذو جسمٍ أو لا؟ فمنهم مَنْ أنكر ذلك، ومنهم مَنْ أثبتَه، ومنهم مَنْ فَصَّل.

وكذلك (الحيِّز) و(الحدُّ)، وما أشبه ذلك من الكلمات المُحْدَثَة التي اختلف الناس في إثباتها أو نفيها، فيأتي التفصيلُ فيقضي عليها، ويُبَيِّنُ الحقَّ، فالأصلُ في هذه المُجْمَلات المشتَبِهَة الأصل أنها تُحَلُّ بالتفصيل.

---

(١) في نسخ برلين والتيمورية والإفتاء والسفارينية: «للأذهان»، وهو أولى.

٣٠٣٢- وَابْنُ الْـخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِـنْ بَعْـدِهِ لَـــمْ يَهْتَـدُوا لِـــمَوَاقِعِ الْفُرْقَـانِ

٣٠٣٣- بَـلْ خَبَّطُـوا نَقْـلًا وَبَحْثًـا أَوْجَبَـا شَـــكًّا لِكُـــلِّ مُلَـــدَّدٍ حَـــيْرَانِ

قَوْلُهُ: «ابنُ الخَطيبِ» هو الرازي المفسِّر المشهورُ، والمتكلِّمُ الصوفيُّ الفلسفيُّ، وهو معروفٌ، ويُعتبر من أذكياء العلماء، وله شَطَحَاتٌ كثيرةٌ في التفسير وغيره، ولكن يُقَالُ: إنَّه في آخر عُمُره تاب إلى الله، واللهُ أعلمُ، لكن مؤلفاتُه معروفةٌ شهيرةٌ.

قَوْلُهُ: «خبَّطوا نقلًا» أي: فيما نقلوه عن غيرهم.

قَوْلُهُ: «وبحثًا» أي: فيما ناقشوه من آراء غيرهم؛ ولهذا يقولون: إنَّ الرازِيَّ من خصائص بحثه أنه يُوردُ المشكلاتِ على وجهٍ يُوقِعُ في الحَيرة ولا يأتي بحلِّها، فهو كما قال بعضُ المغاربة فيه: «إنه يَعْرِضُ المشكلاتِ نقدًا ولكن يكونُ حلُّها نسيئةً» يعني: يعطيك المشكلاتِ حالَّةً وأمَّا الحَلُّ فلا يعطيك إِيَّاه، بل يأتي به نسيئةً.

وهذا لا شكَّ أنَّ فيه مصلحةً من وجه، وهو أنه يسدُّ على الخصم كُلَّ أبواب الإيرادات، لكنَّه إذا لم ينتصر لقوله صار فيه نقصٌ من هذه الناحية؛ لأنه يُقَالُ للإنسان: إِمَّا أن تأتيَ بِحُجج الغير كاملة وتَردَّ عليها وإِمَّا أن تسكتَ، أَمَّا أن تفتحَ على قولك بابَ الثغرات ثُمَّ تعجِز عن سدِّ هذه الأبواب فهذا يُعتبر نقصًا.

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنهم خَبَّطُوا نقلًا وبحثًا، نقلًا فيما نقلوه عن غيرهم، وبحثًا فيما ناقشوه.

قَوْلُهُ: «أوجبا» الضميرُ يعودُ على المنقول والمبحوث.

قَوْلُهُ: «شَكًّا لِكُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ» المُلَدَّد معناه الذي لم تُيَسَّر له الأمورُ، بل يُلَدِّد اللهُ أمرَه، ولا يُيَسِّر له أمرَه، والحيران أي: المتحيِّر.

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَـمِينَ وُجُودُهُ ... أَمْ غَـيْرُهُ فَهُـمَا إِذَنْ شَـيْئَانِ؟

وهذا مَبْنِيٌّ على ما سبق وهو (التركيب السَّادس)، هل ذاتُ الله هي عينُ وجودِه أم هناك ذاتٌ ثُمَّ وجود، أي: الوجود شيءٌ آخر؟ إنْ قلنا بالثاني صار هناك تركيبٌ بين الذات والوجود.

٣٠٣٥- فَيَكُـونُ تَرْكِيبًـا مُحَـالًا ذَاكَ إِنْ ... قُلْنَـا بِـهِ فَيَصِـيرُ ذَا إِمْكَـانِ

معلومٌ إذا قلنا: إنَّ وجودَه غيرُ ذاتِه لَزِمَ من هذا التركيبِ التعدُّدُ بأن يكونَ هناك وجودٌ وهناك ذاتٌ، وقد سبق لنا أنَّ هذا التركيبَ باطلٌ، وأَنَّ وجودَ كُلِّ شيءٍ هو ذاتُه، هذا باعتبار الأمرِ الخارج، لا باعتبار ما يفرضه الذهنُ، فالذهنُ قد يفرِضُ أشياءَ مستحيلةً.

قَوْلُهُ: «إن قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانِ» يعني: إنْ قلنا به صار ذا إمكان مع أنَّه شيءٌ محالٌ.

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَـا ذَاكَ صَـارَ وُجُـودُهُ ... كَالْـمُطْلَقِ الْـمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَـانِ

يعني: أو نقول بنفي ذلك، يعني: أنَّ ذاتَ الله ليست هي عينَ وجودِه، فيكون وجودُه كالمطلق الموجود في الأذهان، ومعنى (المطلق) إذا قالوا: (الشيء المطلق في الذهن): الذي لا يتقيَّدُ بصفةٍ، بل هو موجودٌ بشرط الإطلاق، ليس له صفةٌ، لا وجود، ولا حياة، ولا غيرها من الصفات.

فهم الآن ذكروا قولين: هل ذاتُه هي عين وجوده أو هما شيئان؟ وإذا نفينا

الشَّيئَيْن صارت الذاتُ موجودةً وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، ومعنى مطلقًا يعني: غيرَ متصفةٍ بصفة، وهذا لا يمكنُ أن يُوجدَ في الخارج أبدًا، فلا يوجد شيءٌ موجودٌ إلَّا وهو متصفٌ بصفة.

٣٠٣٧- وَحَكَوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْـ ـقَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «**وحَكَوْا أقاويلًا**»: (أقاويلًا): صرفها المؤلفُ مِن أَجْلِ استقامة الوزن، وإلَّا فإنَّها ممنوعةٌ من الصرف لصيغة منتهى الجموع.

قَوْلُهُ: «**بِلَا فُرْقَانِ**» الفرقانُ هو ما أشار إليه المؤلفُ أوَّلًا بأنه يُقَالُ: إن كان المرادُ الفردَ الذهنيَّ فيمكنُ أَن تنفكَّ الذاتُ عن الوجود، وأمَّا إذا كان الحقيقةَ الواقعةَ فلا يمكنُ أن تنفردَ الذاتُ عن الوجود؛ إذ إنَّ الذاتَ هي عينُ وجودِها.

٣٠٣٨- وَالثَّالِثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْـ أَعْلَى وَبَيْنَ وُجُودِ ذِي الْإِمْكَانِ

يعني: يُفَرِّقون بين الواجب الوجود وهو الله، وبين الممكن الوجود وهو المخلوق، فيُقَالُ: الرَّبُّ ذاتُه عينُ وجودِه بخلاف المخلوق.

فتكون الأقاويلُ الآن ثلاثةً: إمَّا نفي أن يكونَ الوجودُ هو عين الذات، أو يكون هو عين الذات، ويكون مركَّبًا، أو يُفَرَّق بين وجود الممكن ووجود الواجب.

٣٠٣٩- وَسَطَوْا عَلَيْهَا كُلِّهَا بِالنَّقْضِ وَالْـ إِبْطَالِ وَالتَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ

يعني: لـمَّا ذكروا الأقاويلَ الثلاثةَ نقضوها كُلَّها، وهل أتوا ببدلها؟ الجواب: لا، فبقي الإنسانُ متحيِّرًا، تُذْكَرُ الأقاويلُ عنده ثُمَّ تُنْقَضُ ولا يُذْكَرُ عنها بديلٌ، فيكون هذا هو غاية ما يكون من التشكيك للإنسان.

٣٠٤٠- حَتَّـى أَتَـى مِـنْ أَرْضِ آمِـدَ آخِـرًا ثَـوْرٌ كَبِـيرٌ بَـلْ حَقِـيرُ الشَّـانِ

وهو الآمِديُّ الأصولِـيُّ المشهورُ، أتى من أرض آمِد، وقال:

٣٠٤١- قَالَ: الصَّوَابُ الْوَقْـفُ فِي ذَا كُلِّـهِ وَالشَّـكُّ فِيـهِ ظَـاهِرُ التِّبْيَـانِ

قال: «الصَّوَابُ الْوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ» أي: نتوقَّف، فلا نقولُ: ذاتُه عينُ وجودِه، ولا غيرَه، ولا نُفَرِّقُ بين الواجب والممكن، بل نتوقَّف.

قَوْلُهُ: «وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ» الشَّكُّ في هذا القولِ ظاهرُ التبيان؛ لأنَّ المتوقِّفَ شاكٌّ، لم يجزِمْ برجحان شيءٍ على شيء.

٣٠٤٢- هَـذَا قُصَـارَى بَحْثِـهِ وَعُلُومِـهِ أَنْ شَـكَّ فِي اللهِ الْعَظِـيمِ الشَّـانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ» قولُه: «أَنْ شكَّ» بدل من «قُصارى» يعني: قصارى بحثه أَنْ شَكَّ في الله العظيم الشان، فصار غايةُ أمر الآمِديِّ الشَّكَّ في الله -والعياذ بالله- وهذا غايةُ ما يكونُ من الضَّلال.

* * *

فصل

فِي أَحْكَامِ هَذِهِ التَّرَاكِيبِ السِّتَّةِ

٣٠٤٣- فَـالْأَوَّلَانِ حَقِيقَـةُ التَّرْكِيـبُ لَا ... تَعْـدُوهُمَا فِي اللَّفْـظِ وَالْأَذْهَـانِ

٣٠٤٤- وَكَذَلِكَ الْأَعْيَانُ أَيْضًـا إِنَّمَا التْـ ... ـتَرْكِيـبُ فِيهَـا ذَانِـكَ النَّوْعَـانِ

٣٠٤٥- وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الْـ ... ـعُقَلَاءُ فِي تَرْكِيـبِ ذِي الْـجُثْمَانِ

٣٠٤٦- وَلَـهُمْ أَقَاوِيـلٌ ثَـلَاثٌ قَـدْ حَكَيْـ ... ـنَاهَا وَبَيَّنَّـا أَتَـمَّ بَيَـانِ

٣٠٤٧- وَالْآخَـرَانِ هُمَـا اللَّـذَانِ عَلَـيْهِمَا ... دَارَتْ رَحَى الْـحَرْبِ الَّتِي تَرَيَانِ

٣٠٤٨- أَنْـتُمْ جَعَلْـتُمْ وَصْـفَهُ سُـبْحَانَهُ ... بِعُلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذِي الْأَكْـوَانِ

٣٠٤٩- وَصِـفَاتِهِ الْعُلْيَـا الَّتِـي ثَبَتَـتْ لَـهُ ... بِالْعَقْـلِ وَالْـمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَـانِ

٣٠٥٠- مِـنْ جُمْلَـةِ التَّرْكِيـبِ ثُـمَّ نَفَيْـتُمُ ... مَضْـمُونَهَا مِـنْ غَـيْرِ مَـا بُرْهَـانِ

٣٠٥١- فَجَعَلْـتُمُ الْـمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيـلِ هَـ ... ـذَا الِاصْطِلَاحَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ

٣٠٥٢- لَكِنْ إِذَا قِيـلَ: اصْـطِلَاحٌ حَـادِثٌ ... لَا حَجْـرَ فِي هَـذَا عَـلَى إِنْسَـانِ

٣٠٥٣- فَنَقُـولُ: نَفْـيُكُمْ بِهَـذَا الِاصْـطِلَا ... حِ صِـفَاتِهِ هُـوَ أَبْطَـلُ الْـبُطْلَانِ

٣٠٥٤- وَكَـذَاكَ نَفْـيُكُمْ بِـهِ لِعُلُـوِّهِ ... فَـوْقَ السَّمَاءِ وَفَـوْقَ كُـلِّ مَكَـانِ

٣٠٥٥- وَكَـذَاكَ نَفْـيُكُمُ بِـهِ لِكَلَامِـهِ ... بِـالْوَحْيِ كَـالتَّوْرَاةِ وَالْقُـرْآنِ

٣٠٥٦- وَكَــذَاكَ نَفْــيُكُمُ لِرُؤْيَتِنَــا لَــهُ يَـوْمَ الْـمَعَادِ كَـمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ

٣٠٥٧- وَكَـذَاكَ نَفْـيُكُمُ لِسَـائِرِ مَـا أَتَـى فِي النَّقْلِ مِـنْ وَصْـفٍ بِغَـيْرِ مَعَـانِ

٣٠٥٨- كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَـابِعِ وَالَّـذِي أَبَــدًا يَسُــوءُكُمُ بِــلَا كِــتْمَانِ

٣٠٥٩- وَبِــوُدِّكُمْ لَــوْ لَــمْ يَقُلْــهُ رَبُّنَــا وَرَسُــولُهُ الْـمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَـانِ

٣٠٦٠- وَبِــوُدِّكُمْ وَاللهِ لَـــمَّا قَالَــهُ أَنْ لَيْسَ يَـدْخُلُ مَسْـمَعَ الْإِنْسَـانِ

الشَّـرحُ

بَيَّنَ المؤلفُ -رحمه الله- أحكامَ هذه التراكيبِ السِّتَّة، فقال:

٣٠٤٣- فَـالْأَوَّلَانِ حَقِيقَــةُ التَّرْكِيــبُ لَا تَعْــدُوهُمَا فِي اللَّفْــظِ وَالْأَذْهَــانِ

٣٠٤٤- وَكَذَلِكَ الْأَعْيَـانُ أَيْضًـا إِنَّـهَا التْـ ـتَرْكِيــبُ فِيهَــا ذَانِــكَ النَّوْعَــانِ

قَوْلُهُ: «فَالْأَوَّلَانِ حَقِيقَةُ التَّرْكِيبُ لَا تَعْدُوهُما» وهما: التركيب بين مُتَبَايِنَيْنِ والتركيب بين مُتَجَاوِرَيْنِ، فهنا التركيبُ فيهما واضحٌ، فالجسمُ مثلًا مركَّبٌ من عظم، ولحم، وعصب، وجلد، وما أشبهَ ذلك، والبابُ في إطاره مركَّبٌ من الباب، والإطار، والسَّارية، وما أشبه ذلك.

٣٠٤٥- وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الْـ ـعُقَلَاءُ فِي تَرْكِيبِ ذِي الْـجُثْمَانِ

قَوْلُهُ: «والأوسطانِ» ما هما؟ الثالث: المركَّبُ من متماثلٍ يُدْعَى الجواهر، والرابع: المركَّبُ من الـهَيُولَى والصورة، يعني: مذهب الفلاسفة: الـهَيُولَى والصورة، ومذهبُ المتكلِّمين الجواهرُ الفردة.

٣٠٤٦- وَلَـهُمْ أَقَاوِيـلُ ثَـلَاثٌ قَـدْ حَكَيْـ ... ـنَاهَا وَبَيَّنَّـا أَتَـمَّ بَيَـانِ

وهذه الأقاويلُ هي التي أشار إليها عن ابن الخَطيب.

٣٠٤٧- وَالْآخَـرَانِ هُمَـا اللَّـذَانِ عَلَـيْهِمَا ... دَارَتْ رَحَى الْـحَرْبِ الَّتِي تَرَيَـانِ

قَوْلُهُ: «وَالْآخَرَانِ...» وهما: التركيبُ من الذات والصفات، ومن الماهيَّة والوجود؛ لأنَّ الماهيَّةَ والوجودَ في الحقيقة لا يعدو أن يكونَ من باب التركيب من الذات والصفات؛ إذ إنَّ الوجودَ صفةُ الموجود.

ثُمَّ قال المؤلف:

٣٠٤٨- أَنْـتُمْ جَعَلْـتُمْ وَصْـفَهُ سُـبْحَانَهُ ... بِعُلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذِي الْأَكْـوَانِ

٣٠٤٩- وَصِـفَاتِهِ الْعُلْيَـا الَّتِـي ثَبَتَـتْ لَـهُ ... بِالْعَقْـلِ وَالْـمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَـانِ

٣٠٥٠- مِـنْ جُمْلَـةِ التَّرْكِيـبِ ثُـمَّ نَفَيْـتُمُ ... مَضْـمُونَهَا مِـنْ غَـيْرِ مَـا بُرْهَـانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ بِعُلُوِّه وصفاتِه العُليا» يعني: جعلتم ذلك من جملة التركيب.

فجعلوا اتِّصافَ الله بالصفات من باب التركيب، وقالوا: التركيبُ في حقِّ البارِي ممتنعٌ، وقد ذكرنا أوَّلًا ما قاله ابنُ القيِّم من أننا نُثْبِتُ هذا التركيبَ وإن سمَّيتموه تركيبًا فإننا لن نَفِرَّ منه بمجرد ما سمَّيتموه، سمُّوه ما شئتم، فنحن نُثْبِتُ لله ذاتًا ونُثبتُ له صفاتٍ، أنتم سمَّيتموه تركيبًا أم لم تُسمُّوه لا يُهِمُّنا.

٣٠٥١- فَجَعَلْـتُمُ الْـمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيـلِ هَـ ... ـذَا الِاصْطِلَاحَ وَذَا مِـنَ الْعُـدْوَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمُ الْـمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ» أي: لتعطيل الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من صفاتِه.

٣٠٥٢- لَكِنْ إِذَا قِيلَ: اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ لَا حَجْرَ فِي هَذَا عَلَى إِنْسَانِ

يعني: في مسألة ما إذا قيل: إنَّ من التركيب تركيبَ الذات والصفات، فإذا قال إنسانٌ: لا تُنكروا علينا هذا التركيبَ لأنَّ هذا اصطلاحٌ، ولا مُشَاحَّة في الاصطلاح، ولا حَجْرَ على الإنسان فيما اصطلح عليه؛ فإن المؤلف يقول:

٣٠٥٣- فَنَقُولُ: نَفْيُكُمْ بِهَذَا الِاصْطِلَا حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ

يعني: سلَّمنا أنَّ هذا اصطلاحُكم، ولا ننكرُ عليكم الاصطلاحَ، لكن الذي نُنكرُه هو نفيكم للصفات مِن أَجْلِ هذا الاصطلاح، حيث تقولون: إنَّ إثباتَ الصفاتِ يستلزمُ التركيبَ، والتركيبُ في حقِّ الخالق مُحَالٌ، وحينئذٍ يكون إثباتُ الصفات مُحالًا.

٣٠٥٤- وَكَذَاكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِعُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

يعني: فإنَّ من أبطل البطلان أن تنكروا عُلوَّ الله مِن أَجْلِ دعواكم أنَّ هذا يستلزمُ التركيبَ، فهذا باطلٌ.

٣٠٥٥- وَكَذَاكَ نَفْيُكُمُ بِهِ لِكَلَامِهِ بِالْوَحْيِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ

أي: ننكره عليكم، ونقولُ: إنه باطلٌ وإن وافقناكم على تسمية هذا تركيبًا.

قَوْلُهُ: «كَالتَّوْرَاةِ» المشهورُ عند السَّلف أنَّها من كلام الله، بل ولا أعلمُ أحدًا منهم إلَّا ويقول: إنَّها كلامُ الله، وقد كان الناسُ زمن المأمون يُمتحَنون في القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، فالمتأوِّلون منهم تَأَوُّلًا صادقًا يشيرون إلى أيديهم ويقولون: هذه مخلوقةٌ، والمؤلفُ أيضًا كلامُه هنا يدلُّ عليه؛ ولذا قال: (لِكلامِهِ بِالْوَحْيِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ).

لكن الذي ورد في القرآن أنَّ اللهَ كتبها وأنزلها، وليس هناك شيءٌ صريحٌ أنَّها كلامُ الله، وأمَّا قولُه تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة:٧٥] فهذا يحتملُ أنهم يسمعون التوراةَ، أو أنهم سمعوا كلامَ الله حين كلَّم موسى، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥]، أو يسمعون كلامَ الله، يعني: يسمعون القرآنَ ويحرِّفونه.

٣٠٥٦- وَكَــذَاكَ نَفْـيُكُمُ لِرُؤْيَتِنَـا لَـهُ ... يَـوْمَ الْـمَعَادِ كَـمَا يُـرَى الْقَمَـرَانِ

٣٠٥٧- وَكَـذَاكَ نَفْـيُكُمُ لِسَـائِرِ مَـا أَتَـى ... فِي النَّقْلِ مِـنْ وَصْـفٍ بِغَـيْرِ مَعَـانِ

كُلُّ هذا واضحٌ، يعني أنَّ الذي نُنكرُ عليكم ليس تسميتكم هذا تركيبًا، بل إنكاركم للصفات من أجله.

٣٠٥٨- كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَـابِعِ وَالَّـذِي ... أَبَـدًا يَسُـوءُكُمُ بِـلَا كِـتْمَانِ

(الوجهُ) ثابتٌ لله عزَّ وجلَّ بالقرآن والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلف، وكذلك **(اليد)**، و**(الأصابع)** أيضًا ثبتت بالسُّنَّة، وكذلك الذي يسوءكم أبدًا كنزوله إلى السَّماء الدنيا، وما أشبه ذلك.

٣٠٥٩- وَبِـوُدِّكُمْ لَـوْ لَـمْ يَقُلْـهُ رَبُّنَـا ... وَرَسُـولُهُ الْـمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَـانِ

يعني أنَّكم تَوَدُّون أنَّ اللهَ لم يصف نفسَه بهذه الصفات، وهذا من أغرب ما يكونُ، أن يكونوا أشدَّ غَيْرَةً من الله على الله، فيكرهون أن يَصِفَ اللهُ نفسَه بهذه الصفاتِ؛ خوفًا من التركيب على زعمهم.

٣٠٦٠- وَبِـــوُدِّكُمْ وَاللهِ لَـــمَّا قَالَـــهُ ... أَنْ لَيْسَ يَـدْخُلُ مَسْمَعَ الْإِنْسَانِ

يعني أنكم تودُّون أوَّلًا أنَّ اللهَ لم يقلْه ولا رسوله، ثُمَّ تودُّون ثانيًا أَلَّا تدخلَ مسمعَ الإنسانِ، ولا يسمعَها الناسُ ولا تبلغهم.

***

٣٠٦١- قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكَوْنِ أَجْـ ... ـــمَعِهِ إِلَى خَلَّاقِـــهِ الـــرَّحْمَنِ

٣٠٦٢- مَـا قَـامَ قَـطُّ عَـلَى انْتِفَـاءِ صِـفَاتِهِ ... وَعُلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذِي الْأَكْـوَانِ

٣٠٦٣- هُـوَ وَاحِـدٌ[1] فِي وَصْـفِهِ وَعُلُـوِّهِ ... مَــا لِلْــوَرَى رَبٌّ سِــوَاهُ ثَــانِ

٣٠٦٤- فَـلِأَيِّ مَعْنًــى تَجْحَــدُونَ عُلُــوَّهُ ... وَصِــفَاتِهِ بِالْفَشْـــرِ وَالْــهَذَيَانِ؟

٣٠٦٥- هَـذَا وَمَـا الْــمَحْذُورُ إِلَّا أَنْ يُقَـا ... لَ: مَــعَ الإِلَــهِ لَنَــا إِلَــهٌ ثَــانِ

٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعَطَّـلَ عَـنْ صِـفَاتِ كَمَالِـهِ ... هَـــذَانِ مَحْـــذُورَانِ مَحْظُـــورَانِ

٣٠٦٧- أَمَّــا إِذَا مَــا قِيــلَ: رَبٌّ وَاحِــدٌ ... أَوْصَـافُهُ أَرْبَـتْ عَـلَى الْــحُسْبَانِ

٣٠٦٨- وَهُـوَ الْقَـدِيمُ فَلَـمْ يَـزَلْ بِصِـفَاتِهِ ... مُتَوَحِّـــدًا بَـــلْ دَائِـــمُ الإِحْسَـــانِ

٣٠٦٩- فَبِــأَيِّ بُرْهَــانٍ نَفَيْــتُمْ ذَا وَقُلْـــ ... ـتُمْ: لَيْسَ هَـذَا قَـطُّ فِي الْإِمْكَـانِ؟

٣٠٧٠- فَلَـئِنْ زَعَمْــتُمْ أَنَّــهُ نَقْـصٌ فَـذَا ... بُهْــتٌ فَـمَا فِي ذَاكَ مِــنْ نُقْصَــانِ

٣٠٧١- الـنَّقْصُ فِي أَمْـرَيْنِ: سَـلْبِ كَمَالِـهِ ... أَوْ شِرْكَـــةٍ بِالْوَاحِـــدِ الـــرَّحْمَنِ

٣٠٧٢- أَتَكُـونُ أَوْصَـافُ الْكَـمَالِ نَقِيصَـةً ... فِي أَيِّ عَقْــــلٍ ذَاكَ أَمْ قُـــرْآنِ؟!

(١) في نسخة ابن سحمان: «شيء» وما في المتن أَوْلَى.

٣٠٧٣- إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الأَوْصَافِ لَا ... فِي سَلْبِهَا ذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

٣٠٧٤- مَا النَّقْصُ غَيْرَ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْـ ... ـصٍ أَصْلُهُ ذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ

٣٠٧٥- فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهْوَ نَقِيصَةٌ ... وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

٣٠٧٦- مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبُ وَصْفِهِ ... حَقًّا تَعَالَى اللهُ عَنْ نُقْصَانِ

٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ ... وَالْحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ كُلَّ أَوَانِ

٣٠٧٨- وَلِذَاكَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ أَدْرَاهُمُ ... بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٣٠٧٩- وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا ... هُ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانِ

٣٠٨٠- وَلِذَاكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا ... لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بِعِيَانِ

٣٠٨١- بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدْ ... دُنْيَا لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

٣٠٨٢- وَثَنَاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُو ... بِ[1] كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ

٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلَّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْـ ... ـمَعِهِ إِلَى رَبٍّ عَظِيمِ الشَّانِ

٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ ... لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ

٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَا ... لَى ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ

٣٠٨٦- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

٣٠٨٧- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْـ ... ـمَعْبُودُ لَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

---

(١) في نسخ التيمورية وابن سحمان: «بالسكوت» بالتاء المثناة.

٣٠٨٨- وَكَــذَاكَ يَشْــهَدُ أَنَّــهُ سُــبْحَانَهُ ذُو حِكْمَــةٍ فِي غَايَــةِ الْإِتْقَــانِ

٣٠٨٩- وَكَـــذَاكَ يَشْـــهَدُ أَنَّـــهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٌّ عَلِيمٌ دَائِمُ الإِحْسَانِ

٣٠٩٠- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ حَقْـ ـقًا كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ

٣٠٩١- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْـمُخْتَارُ فِي أَفْعَالِـهِ حَقًّا بِـلَا نُكْـرَانِ

٣٠٩٢- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْـحَيُّ الَّـذِي مَـا لِلْمَمَاتِ عَلَيْـهِ مِـنْ سُـلْطَانِ

٣٠٩٣- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ الْقَيُّـومُ قَـا مَ بِنَفْسِـهِ وَمُقِـيمُ ذِي الْأَكْـوَانِ

٣٠٩٤- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ ذُو رَحْمَـةٍ وَإِرَادَةٍ وَمَحَبَّـــةٍ وَحَنَـــانِ

٣٠٩٥- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ مُـتَكَلِّمٌ بِـالْوَحْيِ وَالْقُـرْآنِ

٣٠٩٦- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ الْـ ـخَلَّاقُ بَاعِـثُ هَـذِهِ الْأَبْـدَانِ

٣٠٩٧- لَا تَجْعَلُـوهُ شَـاهِدًا بِـالزُّورِ وَالتَّـ ـعْطِيلِ تِلْـكَ شَـهَادَةُ الْـبُطْلَانِ

الشـرحُ

٣٠٦١- قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَعِهِ إِلَى خَلَّاقِـهِ الـرَّحْمَنِ

يعني أنَّ الكونَ كُلَّه مفتقِرٌ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه هو الخلَّاق الذي خلقه، وأتى بـ(الرحمن) لأنَّ الكونَ مفتقِرٌ لرحمة الله عزَّ وجلَّ، فلولا رحمةُ الله ما قام هذا الكونُ بأجمعِه.

٣٠٦٢- مَـا قَـامَ قَـطُّ عَـلَى انْتِفَـاءِ صِـفَاتِهِ وَعُلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذِي الْأَكْـوَانِ

قَوْلُهُ: «مَا قَامَ قَطُّ» يعني الدليل.

قَوْلُهُ: «قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ» يعني: ليس في القرآن ولا في السُّنَّة نفيُ صفاتِ الله، بل الذي فيهما نفيُ المماثلة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] وكقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] وكقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] وهذا لا يدلُّ على انتفاء الصفاتِ وإنما يدلُّ على كمالِه، وأنه لكماله لا يوجدُ له مثيلٌ.

٣٠٦٣- هُوَ وَاحِدٌ فِي وَصْفِهِ وَعُلُوِّهِ ... مَا لِلْوَرَى رَبٌّ سِوَاهُ ثَانِ

٣٠٦٤- فَلِأَيِّ مَعْنًى تَجْحَدُونَ عُلُوَّهُ ... وَصِفَاتِهِ بِالْفَشْرِ وَالْهَذَيَانِ؟

قَوْلُهُ: «الْفَشْر» الكلامُ اللَّغْو.

قَوْلُهُ: «الْهَذَيَانِ» الكلامُ الذي لا يقصدُه صاحبُه، بل يأتي من كِبَرٍ أو نحوِه.

٣٠٦٥- هَذَا وَمَا الْمَحْذُورُ إِلَّا أَنْ يُقَا ... لَ: مَعَ الإِلَهِ لَنَا إِلَهٌ ثَانِ

وهذا هو الشِّركُ، هذا هو المحذور، أمَّا أن يُقالَ: إنَّ اللهَ واحدٌ مُتَّصفٌ بالصفات اللائقة به فهذا ليس بمحذورٍ، المحذورُ أن تجعلَ مع الله إلهًا آخرَ.

٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعَطَّلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ ... هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ» هما: الشِّركُ، والثاني: التعطيلُ.

وقَوْلُهُ: «مَحْذُورَانِ» أي: يجبُ الحذرُ منهما.

وقَوْلُهُ: «مَحْظُورَانِ» أي: ممنوعان شرعًا، بل وعقلًا أيضًا؛ فإنَّ العقلَ قد دَلَّ على أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- متصفٌ بصفات الكمال، وأنه لا شريكَ له في ذلك.

٣٠٦٧- أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ: رَبٌّ وَاحِدٌ أَوْصَافُهُ أَرْبَتْ عَلَى الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «أَرْبَت» يعني: زادت.

قَوْلُهُ: «على الحسبان» يعني الحساب.

إذا قيل: هو رَبٌّ واحدٌ لكن صفاته لا تُحْصَى فإنَّ هذا ليس بمُنكرٍ.

٣٠٦٨- وَهُوَ الْقَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمُ الإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» أي: وهو القديمُ وصفًا وليس اسمًا، فإنَّ (القديم) ليس من أسماء الله؛ لأنَّ ذلك لم يَرِدْ لا في القرآنِ ولا في السُّنَّة، ولكن يُوصَف بأنَّه قديمٌ، والقِدَم عندهم ليس هو القِدَمَ في اللغة العربية، القِدَمُ في اللغة العربية: سَبْقُ الغير ولو كان حادثًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] أمَّا القديمُ عند الفلاسفةِ والمتكلِّمين فهو الذي لم يُسْبَقْ بعدمٍ، ومع ذلك لا نُسَمِّي اللهَ به، وإن كان معناه صحيحًا، لكنَّنا لا نُسَمِّي اللهَ به؛ لأنَّ الأسماءَ توقيفيَّةٌ.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّه يُغني عنه (الأوَّل) الذي جاءت به النصوصُ، وفيه دلالةٌ صريحةٌ على أنَّه لم يسبقه أحدٌ، ولم يقارنْه أحدٌ في وجوده عزَّ وجلَّ، وأنَّ الأمورَ تؤولُ إليه؛ لأنَّ (الأوَّل) قد يكون مشتقًّا من (الأوْل) أيضًا.

إنما قول المؤلف: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» هذا من باب الوصف لا الاسم.

٣٠٦٩- فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْـ ـتُمْ: لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ؟

الاستفهامُ هنا للنفي والتحدِّي، يعني: أَيُّ برهان ينفي ذلك وأنَّه لا يمكنُ أَنْ يتصف بالصفات؟ إن كان فأتوا به.

٣٠٧٠- فَلَـئِنْ زَعَمْـتُمْ أَنَّـهُ نَقْـصٌ فَـذَا بُهْـتٌ فَـمَا فِي ذَاكَ مِـنْ نُقْصَـانِ

يعني: لو قلتم: ننفي ثبوتَ الصفاتِ له؛ لأنَّه يقتضي أن يكونَ مركَّبًا من ذاتٍ وصفاتٍ وهذا نقصٌ، ماذا نقولُ؟ نقولُ: هذا كذبٌ وبهتٌ، فأيُّ نقصٍ يكونُ في اتِّصاف الله عزَّ وجلَّ بالصفات الكاملة، النقصُ في الحقيقة بسلبِ الصفاتِ عنه؛ ولهذا قال:

٣٠٧١- الـنَّقْصُ فِي أَمْـرَيْنِ: سَـلْبِ كَمَالِـهِ أَوْ شِرْكَـةٍ بِالْوَاحِـدِ الـرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «سَلْبِ كَمَالِهِ» بدل.

النقصُ في أمرين: إمَّا سلبُ كماله كما زعم أهلُ التعطيل، وإمَّا الإشراكُ به كما زعم أهلُ التمثيل، فإنَّ أهلَ التمثيل يثبتون لله المثيلَ، وهذا شركٌ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] إِذَنْ فالنقصُ فيمن غلا في الإثبات فمثَّل، أو غلا في النفي فعطَّل.

٣٠٧٢- أَتَكُـونُ أَوْصَـافُ الْكَـمَالِ نَقِيصَـةً فِي أَيِّ عَقْـلٍ ذَاكَ أَمْ قُـرْآنِ؟!

الجَوَابُ: لا تكونُ، لا بدلالة العقل، ولا بدلالة السَّمع الذي أشار إليه المؤلفُ بقوله: (أم قرآن).

٣٠٧٣- إِنَّ الْكَـمَالَ بِكَثْـرَةِ الأَوْصَـافِ لَا فِي سَـلْبِهَا ذَا وَاضِـحُ الْبُرْهَـانِ

وقَوْلُهُ: «إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الأَوْصَافِ فِي سَلْبِهَا» (سلبها) أي: نفيها.

وهذا صحيحٌ، فالكمالُ بكثرة الأوصاف، يعني الكاملة، وكُلَّما كَثُرت أوصافُ الكمالِ كَثُرَ الكمالُ، وكُلَّما قَلَّتْ قَلَّ الكمالُ؛ ولذلك نجدُ الرجلَ يكونُ أكملَ إذا كان عنده علمٌ في التفسيرِ، والحديثِ، والعقيدةِ، والفقهِ، والحساب،

وغير ذلك، فيكون أكملَ ممَّا ليس عنده إِلَّا علمُ فنٍّ واحد، فكُلَّما كثرت الأوصافُ صار ذلك أكملَ في الموصوف.

٣٠٧٤- مَا النَّقْصُ غَيْرَ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْـ ـصٍ أَصْلُهُ ذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ

يقول: النقصُ -حقيقةً- هو السَّلبُ، وكُلُّ نقصٍ فأصلُه السَّلبُ، يعني النفي؛ لأنَّ النفيَ عدمٌ، فإذا نَفَيْتَ سَلَبْتَ المنفيَّ عنه صفةَ الكمال، وهذا نقصٌ؛ ولهذا قال -رحمه الله- ممثِّلًا:

٣٠٧٥- فَالْـجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهْوَ نَقِيصَةٌ وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَـدْلِ وَالْإِحْسَانِ

إذا قلنا: إنَّ اللهَ لا يُوصَفُ بالعلم لزِم أن يُوصَفَ بالجهل، وإذا قلنا: إنَّه لا يُوصَفُ بأنَّه عدلٌ لزِم أن يكونَ ظالمًا ولا بُدَّ.

٣٠٧٦- مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبُ وَصْفِهِ حَقًّا تَعَالَى اللهُ عَنْ نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبُ وَصْفِهِ» (مُتَنَقِّص) خبر مُقَدَّم، و(سَالِبُ وَصْفِهِ) مبتدأٌ مؤخَّرٌ، يعني: سالبُ وصفِ الرحمن هو المتنقِّصُ له، وليس المثبت لوصف الرحمن.

٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ وَالْـحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ كُلَّ أَوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ» أي: الثناء على الله.

إذا قال: أَثْنَى على الله يعني: كرَّر أوصافَه الحميدةَ كما يدلُّ لذلك الحديث: **«إِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللهُ تعالى: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ تعالى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٤).

٣٠٧٨- وَلِـذَاكَ أَعْلَـمُ خَلْقِـهِ أَدْرَاهُـمُ بِصِـفَاتِهِ مَـنْ جَـاءَ بِـالْقُرْآنِ

أعلمُ خلقِه أدراهُم بصفاتِه، وهو الذي جاء بالقرآن، يعني بذلك محمَّدًا -عليه الصلاة والسلام-.

٣٠٧٩- وَلَهُ صِـفَاتٌ لَـيْسَ يُحْصِيهَا سِـوَا هُ مِـنْ مَلَائِكَـةٍ وَلَا إِنْسَـانِ

إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يفتحُ على النَّبيِّ ﷺ صفاتٍ لا يُحصيها أحدٌ سوى الرسولِ -عليه الصلاة والسَّلام-، وذلك في يوم القيامة؛ ولهذا قال:

٣٠٨٠- وَلِـذَاكَ يُثْنِـي فِي الْقِيَامَـةِ سَـاجِدًا لَـمَّا يَـرَاهُ الْـمُصْطَفَى بِعِيَـانِ

يعني: إذا رأى اللهَ عزَّ وجلَّ يوم القيامة عند طلب الشَّفاعة للعباد سجد، فأثنى عليه[1]، لكن بماذا؟ قال -رحمه الله-:

٣٠٨١- بِثَنَاءِ حَمْـدٍ لَـمْ يَكُـنْ فِي هَـذِهِ الـدْ دُنْيَـا لِيُحْصِـيَهُ مَـدَى الْأَزْمَـانِ

٣٠٨٢- وَثَنَـاؤُهُ بِصِـفَاتِهِ لَا بِالسُّـلُو بِ كَـمَا يَقُـولُ الْعَـادِمُ الْعِرْفَـانِ

محامدُ عظيمةٌ يفتحها اللهُ عليه في ذلك الوقت لا يساويها شيءٌ من المحامد، ولم يكن يعرفها في الدنيا.

٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلَّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَعِهِ إِلَى رَبٍّ عَظِـيمِ الشَّـانِ

وهذا كالبيت الذي سبق أنَّ كُلَّ الكونِ يعودُ إلى الله ابتداءً وانتهاءً كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، رقم (٤٤٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤).

٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ

يعني أنَّ أوصافَ الكمالِ لا تقتضي إبطالَ هذا البرهانِ، وهو أنَّه موصوفٌ بالمحامد، وكل الأشياءِ ترجعُ إليه.

٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَا لَى ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ

الكونُ يشهدُ شهادةً قوليَّةً فيمن ينطق، وفعليَّة فيمن لا ينطق، يشهدُ بأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- خالقُه، قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج:١٨].

٣٠٨٦- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

الكونُ يشهدُ أنه فوق الوجود، أمَّا بالنسبة للعقلاء فنعم يشهدون بذلك، أمَّا الجمادات فلا نعلمُ في هذا شيئًا يدلُّ على أنَّها تشهدُ بأنَّ اللهَ فَوْقَ الكون، ولَعلَّ المؤلفَ اطَّلع على أشياءَ أو على أحاديثَ أو آثارٍ تدلُّ على هذا.

٣٠٨٧- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْـ ـمَعْبُودُ لَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

٣٠٨٨- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ

يشهدُ الكونُ أيضًا بلسان الحال أو بلسان المقال، فإذا تدبَّر الإنسانُ هذه المخلوقاتِ وما فيها من الإبداع والانتظام عَلِمَ أَنَّ الذي خلقها ذو حكمةٍ في غاية الإتقان.

٣٠٨٩- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٌّ عَلِيمٌ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

٣٠٩٠- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ الْفَعَّـالُ حَقْـ ... قًـا كُـلَّ يَـوْمٍ رَبُّنَـا فِي شَـانِ

يشهدُ أنَّه هو الفعَّال؛ وذلك لأنَّ الكونَ كما نشاهدُه يتجدَّدُ شيئًا فشيئًا، هذا يُولَدُ، وهذا يموتُ، وهذا يُمْرَضُ، وهذا يشفى، وهكذا، ولا يقومُ هذا إلَّا بالله.

٣٠٩١- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ الْـمُخْتَارُ فِي ... أَفْعَالِـهِ حَقًّـا بِـلَا نُكْـرَانِ

فإنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ له، بل يفعلُ الشيءَ باختياره.

٣٠٩٢- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّـهُ الْـحَيُّ الَّـذِي ... مَـا لِلْمَمَاتِ عَلَيْـهِ مِـنْ سُـلْطَانِ

٣٠٩٣- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ الْقَيُّـومُ قَـا ... مَ بِنَفْسِـهِ وَمُقِـيمُ ذِي الْأَكْـوَانِ

أتى المؤلفُ -رحمه الله- في تفسير (القَيُّوم) على المعنيين: أنَّه القائمُ بنفسِه، وأنَّه القائمُ به غيرُه؛ ولهذا قال: (القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمُ ذِي الأَكْوَانِ» يعني: هو الذي أقام الأكوانَ وبه تقومُ، وهو الذي قام بنفسه، والنتيجةُ أنَّه لا يحتاجُ إلى أحدٍ، وأنَّ كُلَّ أحدٍ محتاجٌ إليه.

٣٠٩٤- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ ذُو رَحْمَـةٍ ... وَإِرَادَةٍ وَمَحَبَّـةٍ وَحَنَـانِ

٣٠٩٥- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ ... مُـتَكَلِّمٌ بِـالْوَحْيِ وَالْقُـرْآنِ

٣٠٩٦- وَكَـذَاكَ يَشْـهَدُ أَنَّـهُ سُـبْحَانَهُ الْـ ... خَـلَّاقُ بَاعِـثُ هَـذِهِ الْأَبْـدَانِ

والمعنى في هذا واضحٌ.

٣٠٩٧- لَا تَجْعَلُـوهُ شَـاهِدًا بِـالزُّورِ وَالتْـ ... ـتَعْطِيلِ تِلْـكَ شَـهَادَةُ الْـبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَجْعَلُوهُ» أي: لا تجعلوا الكونَ (شَاهِدًا بِالزُّورِ والتَّعْطِيلِ)، والخطابُ في قوله: (لَا تَجْعَلُوهُ) لهؤلاء المعطِّلة الذين أنكروا ما شهدَ الكونُ بثبوته لله.

٣٠٩٨- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ ... إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمْيَانِ

٣٠٩٩- بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا ... لله لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

٣١٠٠- وَكَذَاكَ رُسْلُ الله شَاهِدَةٌ بِهِ ... أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانِ

٣١٠١- وَكَذَاكَ كُتْبُ الله شَاهِدَةٌ بِهِ ... أَيْضًا فَهَذَا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ

٣١٠٢- وَكَذَلِكَ الْفِطَرُ الَّتِي مَا غُيِّرَتْ ... عَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا بِأَمْرٍ ثَانِ

٣١٠٣- وَكَذَا الْعُقُولُ الْمُسْتَنِيرَاتُ الَّتِي ... فِيهَا مَصَابِيحُ الْهُدَى الرَّبَّانِي

٣١٠٤- أَتَرَوْنَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ ... لِشَهَادَةِ الْجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِي؟!

٣١٠٥- هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا ... مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانِ

٣١٠٦- إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْغُبَارُ فَيَظْهَرُ الْـ ... ـحَقُّ الْمُبِينُ مُشَاهَدًا بِعِيَانِ

٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ ... مَلْزُومُ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يَلْحَانِي

٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ ... وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانِ

٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ الْـ ... ـمَنْفِيِّ؟ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

٣١١٠- فَالشَّيْءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى ... عَقْلٍ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

٣١١١- قُلْتُمْ: نَفَيْنَا وَصْفَهُ وَعُلُوَّهُ ... مِنْ خَشْيَةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ

٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا ... فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا ... فَالْفَوْقُ[1] وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفِقَانِ

---

(١) في نسخ الظاهرية والتيمورية والسفارينية: «فالعرش».

٣١١٤- فَنَفَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعْ ... تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِشَانِ

٣١١٥- بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا ... شَكْلًا عَقِيمًا لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ

٣١١٦- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَاكَ مَوْ ... صُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ

٣١١٧- فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفظَةُ التَّرْكِيبِ بِالْـ ... ـمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ

٣١١٨- جِئْنَا إِلَى الْـمَعْنَى فَخَلَّصْنَاهُ مِنْـ ... ـهَا وَاطَّرَحْنَاهَا اطِّرَاحَ مُهَانِ

٣١١٩- هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدْعِيَّةٌ ... مَذْمُومَةٌ مِنَّا بِكُلِّ لِسَانِ

٣١٢٠- وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ نَجْعَلُهُ مَكَا ... نَ اللَّفْظِ بِالتَّرْكِيبِ فِي التِّبْيَانِ

٣١٢١- وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا ... تِ وَبِالْعُلُوِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

٣١٢٢- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الرُّسْلِ لَا ... أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الْكُفْرَانِ

الشرحُ

٣٠٩٨- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ ... إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمْيَانِ

٣٠٩٩- بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا ... لله لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

إذا تأمَّلْتَ الوجودَ رأيتَه -إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ العُمْيَانِ، يعني أعمى- بشهادة الإثبات حقًّا قائمًا، يعني: قائمًا بشهادة إثبات الصفات لله، فمثلًا: وجودُ النِّعم التي لا تُحصَى على الخلق يدلُّ على الرحمة، ودفعُ النِّقم كذلك يدلُّ على الرحمة، وإتقانُ المخلوقاتِ والشَّرائع يدلُّ على الحكمة، وتجدُّدُ الأشياءِ يدلُّ على الخلق، وهلمَّ جرًّا.

فإذا تأمَّلْتَ الوجودَ رأيتَه قائمًا بشهادة الإثبات، إلَّا أن تكون من العُمْيان، فالأعمى لا يُبْصِرُ الشَّمسَ.

٣١٠٠- وَكَـذَاكَ رُسْـلُ الله شَـاهِدَةٌ بِـهِ   أَيْضًـا فَسَـلْ عَـنْهُمْ عَلِـيمَ زَمَـانِ

٣١٠١- وَكَـذَاكَ كُتْـبُ الله شَـاهِدَةٌ بِـهِ   أَيْضًـا فَهَـذَا مُحْكَـمُ الْقُـرْآنِ

٣١٠٢- وَكَذَلِكَ الْفِطَـرُ الَّتِي مَـا غُـيِّرَتْ   عَـنْ أَصْـلِ خِلْقَتِهَـا بِـأَمْرٍ ثَـانِ

٣١٠٣- وَكَذَا الْعُقُولُ الْـمُسْتَنِيرَاتُ الَّتِـي   فِيهَـا مَصَـابِيحُ الْـهُدَى الرَّبَّانِـي

قَوْلُهُ: «شَاهِدَةٌ بِهِ» أي: بالإثبات.

فالأدلةُ الآن خمسةٌ:

الأول: الحِسُّ، وهذا سبق في قوله: (**وإذا تأملتَ الوجودَ رأيتَه بشهادة الإثبات حقًّا قائمًا**)، الثاني: الرُّسلُ، الثالث: الكتب، الرابع: الفِطَر، الخامس: العقول، فكُلُّها تشهدُ بإثبات الصفاتِ لله تعالى حقًّا.

٣١٠٤- أَتَـرَوْنَ أَنَـا تَـارِكُو ذَا كُلِّـهِ   لِشَهَادَةِ الْـجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِـي؟!

الجَوَابُ: لا، فلا يمكنُ أن تُتْرَكَ هذه الأدلةُ والبراهينُ القاطعةُ مِن أَجْلِ هذه الشُّبهة التي أوردها اليونانِيُّ أو الجهمِيُّ.

٣١٠٥- هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَـاهِدًا   مِـنْ غَيْرِهَـا سَـيَقُومُ بَعْـدَ زَمَـانِ

٣١٠٦- إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْغُبَارُ فَيَظْهَـرُ الْـ   ـحَقُّ الْـمُبِينُ مُشَـاهَدًا بِعِيَـانِ

قَوْلُهُ: «هذي الشهود» أي: في الدنيا.

قَوْلُهُ: «إِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانِ» متى يقومُ؟ الجوابُ: يوم القيامة، حين تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون، وحين لا يتمكَّنون من التَّمَلُّصِ ممَّا شَهِدَتْ به عليهم.

٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ ... مَلْزُومُ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يَلْحَانِي

٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ ... وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانِ

٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ الْـ ... ـمَنْفِيِّ؟ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

٣١١٠- فَالشَّيْءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى ... عَقْلٍ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا» المشار إليه يعني: هذا الإثبات، وهو إثباتُ الصفات، وقلتم: إنه ملزومُ التركيب.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يَلْحَانِي» يعني: مَن يلومني إن قلتُ: إنَّه ليس عندكم عقلٌ ولا سمعٌ.

قَوْلُهُ: «وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانِ» يعني: بإعلامٍ بأنَّكم ليس عندكم سمعٌ ولا عقلٌ.

قَوْلُهُ: «هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ؟» الجواب: لا، وهم جعلوا الملزومَ عينَ اللازم، فقالوا: إثباتُ الصفاتِ تركيبٌ، وهو يَستلزِمُ التركيبَ.

سبحان الله! كيف تقولون: تركيبٌ يستلزمُ التركيبَ، وكُلُّ العقلاء يقولون: إنَّ اللازمَ غيرُ الملزوم؟! أَمَّا أن تجعلوا اللازمَ هو عينَ الملزوم، وتقولوا: إثباتُ الصفات تركيبٌ وهو مستلزمٌ للتركيب، فهذا باطلٌ.

قَوْلُهُ: «فَالشَّيْءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي» يعني: ليس ينفي نفسَه.

قَوْلُهُ: «يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ» فيه تهكُّمٌ بهؤلاء الذين يَدَّعونَ أنَّهم أصحابُ المعرفة، فيقولُ: أين معرفتُكم؟ كيف تجعلون اللازمَ عينَ الملزوم، وهذا مخالفٌ لما عليه العقلاءُ كُلُّهم؟!

فحقيقةُ قولهم: أنَّ اللازمَ هو عينُ الملزوم، أليس الذين قالوا: إنَّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكانٍ، قلنا لهم: يلزمكم أن يكونَ في الحشوش والقاذورات، وبطونِ الكلاب، وبطون الحمير، وما أشبه ذلك؟ هم لا يقولون بهذا، لو قالوا بهذا كَفَّرهم العالَمُ، ورموهم بالحجارة، لكنَّه لازمُ قولهم، فلا يلزمُ أن يكونَ لازمُ القولِ قولًا لقائله.

ونحن ذكرنا فيما سبق في كتاب: (القواعد المُثْلَى)[1] هل لازمُ القولِ قولٌ أو لا؟ وقلنا: إنَّه إذا كان القولُ قولَ الله ورسولِه فلازمُه حقٌّ؛ لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- يعلمُ ما يترتَّبُ على قولِهِ من اللوازم، أمَّا البشر فلازمُ قولِه إمَّا أن ينفيَه ويصرِّح بنفيه فهذا لا يُنْسَبُ إليه، وإِمَّا أن يَسكتَ عنه ولو ذُكِّرَ به لرجع عن قوله، وإِمَّا أن يسكتَ عنه ولو ذُكِّرَ به لأجاب؛ فالإنسانُ قد يقولُ القولَ وهو لا يشعرُ بلوازمه، فإذا ذُكِرَتْ له لوازمُه إمَّا أن يجيبَ عنها، أو يلتزمَها وهي باطلةٌ، أو يقول: هذه ليست بلازمةٍ فينكرها.

فنحن نقولُ وكُلُّ النَّاسِ يقولون: إنَّ الصفاتِ ليست مع الذاتِ تركيبًا أبدًا.

٣١١١- قُلْتُمْ: نَفَيْنَا وَصْفَهُ وَعُلُوَّهُ ... مِنْ خَشْيَةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ

٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا ... فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا ... فَالْفَوْقُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفِقَانِ

---

(١) انظر: القواعد المثلى للشارح (ص:١٣).

٣١١٤- فَنَفَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعْ   تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِشَانِ

قَوْلُهُ: «فَنَفَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ» يعني: نفيتم التركيبَ؛ لأنه يستلزمُ التركيبَ، فصار الدليلُ هو عينَ المدلول.

٣١١٥- بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا   شَكْلًا عَقِيمًا لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ

لأنَّ المعروفَ في الأدلة العقليَّة المرتَّبة أن يكونَ اللازمُ غيرَ الملزوم، أَمَّا أن يكونَ اللازمُ هو الملزوم، فتقول: إثباتُ الصفاتِ تركيبٌ يلزمُ منه التركيبُ، فهذا لا شكَّ أنَّه غيرُ صحيحٍ، وشكلُ القضية أو الاستدلال على هذا ليس بشيء.

٣١١٦- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَاكَ مَوْ   صُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ

هذا حاصلُ دليلِك، لو كان متَّصفًا بالصفات لكان متَّصفًا بالصفات، لو كان مركَّبًا لكان مركَّبًا.

٣١١٧- فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفظَةُ التَّرْكِيبِ بِالْـ   ـمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ

٣١١٨- جِئْنَا إِلَى الْـمَعْنَى فَخَلَّصْنَاهُ مِنْـ   ـهَا وَاطَّرَحْنَاهَا اطِّرَاحَ مُهَانِ

قَوْلُهُ: «إِذَا جَعَلْتُمْ لَفظَةُ التَّرْكِيبِ بِالمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ جِئْنَا إِلَى الْـمَعْنَى فَخَلَّصْنَاهُ مِنْهَا» فنقول: التركيبُ بين الموصوف والصفة غيرُ ممتنعٍ، وليس هناك تركيبٌ بين شيئين مُتَبَايِنَيْنِ؛ لأنَّ الصفةَ لازمةٌ للموصوف، وما من موصوفٍ إلَّا وله صفةٌ، وحينئذٍ نُخَلِّصُ هذه الشُّبهةَ ونقول: إنَّ الصفةَ بالنسبة للموصوف لا تُعتبرُ تركيبًا، ولا يُعتبر هذا تعدُّدًا؛ لأنَّها من ماهيَّة الموصوف، مثلما قلنا: إنَّ وجودَ الشيء هو عينُ ماهيَّته.

٣١١٩- هِــيَ لَفْظَــةٌ مَقْبُوحَــةٌ بِدْعِيَّــةٌ   مَذْمُومَــةٌ مِنَّــا بِكُــلِّ لِسَــانِ

قَوْلُهُ: «هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدْعِيَّةٌ» الضميرُ (هي) يعودُ على لفظة التركيب.

٣١٢٠- وَاللَّفْـظُ بِالتَّوْحِيـدِ نَجْعَلُـهُ مَكَـا   نَ اللَّفْـظِ بِالتَّرْكِيـبِ فِي التِّبْيَـانِ

٣١٢١- وَاللَّفْـظُ بِالتَّوْحِيـدِ أَوْلَى بِالصِّـفَا   تِ وَبِـالْعُلُوِّ لِـمَنْ لَـهُ أُذُنَـانِ

٣١٢٢- هَذَا هُوَ التَّوْحِيـدُ عِنْـدَ الرُّسْـلِ لَا   أَصْـحَابِ جَهْـمٍ شِـيعَةِ الْكُفْـرَانِ

يعني: بدل أن نقول: (التركيب) نقولُ: (التوحيد)، فنقولُ: إثباتُ الصفاتِ لله تعالى ليس بتركيبٍ ولكنَّه توحيدٌ، ولا يمكنُ قيامُ ذاتٍ بدون صفةٍ إطلاقًا، فإذا قلنا: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- مُتَّصفٌ بالصفات اللائقة به من غير تمثيلٍ، فهذا توحيدٌ وليس بتركيبٍ.

والحاصل أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- أبطلَ دليلَهم الذي اعتمدوا عليه، وهو أنَّ إثباتَ الصفاتِ يستلزمُ التركيبَ، والتركيبُ ممتنِعٌ، وبَيَّن أنَّ التركيبَ ستةُ أنواعٍ، ومنه: تركيبُ الصفةِ مع موصوفها عندهم.

ونحن نقول: عن ذلك جوابان:

الجوابُ الأوَّل: أن نمنعَ كونَه تركيبًا.

الجوابُ الثاني: أن نقولَ: هو تركيبٌ باصطلاحكم، لكن أين الدليلُ على بطلانه؟

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الثاني

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الثالث

وأوله: فصلٌ فِي أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ، البيت رقم (٣١٢٣)

فهرس الآيات

الآية **الصفحة**

* * *

فهرس الأحاديث والآثار

* * *

فهرس الموضوعات والفوائد

* * *